

أ. س. ميخوليفسكي



أسرار الآلهة والادبانات

ترجمة

د. حسان مخائيل اسحق



دار علماء الدين

أسرار
الآلهة و الديانات

أ. س. ميغوليفسكي

أسرار الآلهة و الديانات

ترجمة
د. حسان مخائيل اسحق



منشورات دار علاء الدين

- أسرار الآلهة والديانات
- تأليف: أ. س. ميغوليفسكي.
- ترجمة: د. حسان مخائيل اسحق.
- الطبعة الرابعة ٢٠٠٩.
- عدد النسخ / ١٠٠٠ / نسخة.
- جميع الحقوق محفوظة لدار علاء الدين.
- تمت الطباعة في دار علاء الدين للنشر.
- هيئة التحرير في دار علاء الدين:
- الإدارة والإشراف العام: م. زويا ميخائيلينكو.
- المتابعة الفنية والإخراج: أسامة راشد وحمة.
- التدقيق اللغوي: صالح جاد الله شقير.
- الخلاف: م. محمد طه.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص. ب: ٢٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٢٢٤١

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

مَقَامٌ

لقد أراد الناس يوماً أن يعرفوا مَنْ صنع هذا العالم؟ مَنْ الذي يدير شؤونه؟ وبِمَنْ يرتبط مصيره؟ لقد أحسَّ الناس دوماً بأنه ثمة كائن أعلى، وكانت التَّصَوُّرات عن هذا الكائن تختلف بين شعب وآخر وقبيلة وأخرى. كما أنها اختلفت من زمن لآخر. لقد خطا الإنسان بالتَّدرُّج خطوة خطوة على الطَّرِيق التي كانت تَقْرِيه إلى الحقيقة، وتقوده إلى فهم بنية العالم الذي يعيش فيه فهماً صحيحاً، وإدراك حقيقة خالق هذا الكون والمكانة التي يشغلها فيه. ولكنَّ الإنسان لم يُعمدْ إمكانيّة فهم كل شيء حتى الثَّيَابَةِ. وليس الأمر المهمُّ في هذا عينه، بل في أيّ طريق يسلك وإلى أين تقوده تلك الطَّرِيق. إلى عالم الخير وحبِّ القريب، والثَّمانون والثَّمانمئة؟

لقد سار الإنسان دوماً على هذه الطَّرِيق. ومن حيث الجوهر كانت مساعيهِ ومَنكهِ متشابهة جداً في مختلف العصور. فكان مُتَعَطِّشاً إلى العدالة ومُؤمناً بأنَّ العالم قائم عليها وأنها لا بدَّ أن تسود في آخر المطاف. وإذا لم يحدث هذا في هذا العالم، في هذه الدُّنْيَا، فإنَّه لا بدَّ أن يحدث في الآخرة؛ في العالم الآخر. فالإيمان بالعدالة والسَّعي لتحقيقها أمران عتاً صِلَان في الإنسان، يعيشان فيه ويعيش فيهما.

وليس ثمة أي تباين جوهري بين مختلف الدِّيانَات الحقَّة (إذا لم نأخذ بالشَّكليات التي غالباً ما يعطيها المؤمنون أهميَّة بالغة). ولكي نتحقَّق من هذا ينبغي أن نفوِّص إلى أعماق جوهر الدِّيانَات. وهذا ما سنعيناه إليه في هذا الكتاب. ومن يقرؤه يدرك أنَّ طريقنا سواءً هُنا مسيحيين، أو مسلمين، أو بوذيين أو...، طريق واحد، هُناكلنا نرغب في أن يعيش في عالم الخير والمحبة. وسوف ندرك أنَّ محبة الإله هي محبة القريب. وأحبب قريبك كما تحب نفسك.

الباب الأول

الديانات القديمة

الفصل الأول

مكنونات حكمة مصر

تعد الحضارة المصرية أقدم الحضارات المعروفة لنا (على ذمة المؤلّمين م). فعند لألف العاشر ق.م في أقلّ تقدير كانت هذه الحضارة قد قامت وكان أفلاطون الذي عاش في القرنين 5-4 ق.م قد رأى أنّ حكمة الكهنة المصريين تسمد جذورها من ديانات أطلنطس. ونحن كنّا قد درسنا المعطيات المتوفرة عن الكارثة الكونية التي أودت بحضارة أطلنطس العظيمة في كتابنا الآخر الذي يحمل العنوان «ثقب الأوزون وهلاك البشر» (دار فيتشي، 1998م). كما تحدّث عن هذا أيضاً التعاليم الباطنية التي عرفتها القريسطوية الأوروبية وقد دعي كهنة مصر في تلك العاليم. خزنة حكمة الأطلنطيين وفي القرن 5 ق.م. رأى هيرودوت أنّ المصريين «كانوا أوّل من بنى المذابح، والثماثيل والمعبد للآلهة».

لقد جاء المصريون إلى أرض وادي النيل الحسبة المعطاءة من إقليم الصحراء، بعد أن تحوّل مناخ هذا الأخير إلى مناخ جاف قاطط، والتهمة السحّر غاباته ومراعيه ومروحه. وقبلت لم يكن وادي النيل أرضاً صالحة للعيش، فمستوى الرطوبة كان عالياً جداً هنا، ولبس خافياً ما لهذا من تأثير مدمر على صحة الإنسان. وقد أطلق الباحثون على الشعوب التي جاءت وادي النيل اسماً واحداً، هو الحاميون. وهو الاسم الجمعي الذي أطلق على كل قبائل العرق الأنيس في شمال - شرقي أفريقيا، أي على السكّان الأصليين لهذا الإقليم. وما عدا هؤلاء جاء إلى الإقليم أيضاً أسلاف السّاميين. وقد تحالط لعرقان وشكلاً معاً عرقاً واحداً بات يتحدث لغة واحدة وفي أقصى جنوبي مصر التقى الوافدون إلى هنا من إقليم الصّغاري. قبائل لرنوح من سكّان الإقليم الأصليين وتحالطوا معهم ولكن الوافدين حافظوا على لغتهم وشكلهم الخارجي.

لقد كان هؤلاء أناساً ذوي نية قويّة، وبشره سمراء، وشعر أسود مسرسل، وعيون لوزيّة التكوين ومهما كان الأمر، فهكذا وصفتهم لنا المصادر التي تنتمي إلى الألف ١ ق.م وتقع الصحراء إلى الغرب من مصر. وثمة إشارات تنوّه إلى أنّ أسلاف المصريين جاؤوا من هناك تحديداً، بيد أنّ المصادر الأقدم تشير إلى أنّ أسلاف المصريين جاؤوا من بلاد الهيموريين

الشمالي التي نضع في مملكة الحليد الأزليّة و لضلّام الذي يدوم نصف العام وما يثير الضلّول
أنّ «أرض النعيم» هذه تُذكر بصفتها الوطن الأم لكثير من الشعوب، بمن فيهم الآريين الذين
استوطنوا الهند.

وبن لا نعرف لأقلّياً جداً عن تاريخ مصر وديانتها لأقدمين وما يعرفه لا يكفي
لرسم لوحة متماثلة لحياة هذا الشعب القديم ومعتقداته الدنيويّة ويحاول العلماء وضع مثل هذه
اللوحة ابتداء من النصف الأوّل من الألف آ.م فعدنر يبدأ وهو مصطلحاتهم عصر المملكة
القديمة ويسو أنّه لدينا عن ذلك الزمّن ما يكفي من المعطيات لرسم لأنصبا بصوّر من
ديانة المصريين وآلهتهم فقد تشكّلت وقتئذٍ من كثرة الإمارات المصريّة مملكان قويّان،
هما مملكة مصر العليا ومملكة مصر السفلى وفي أوائل الألف آ.م تقريباً اتّحدت
المملكتان في مملكة مركزيّة واحدة. وعليه يمكننا أن نتحدّث ابتداء من ذلك الوقت
عن ديانة مصريّة موحّدة واحدة فقد عرف المملكة القديمة عصر ازدهار ثلاث طوّر انهيار.
وأطلق الباحثون على طوّر الانهيار هذا (أواخر الألف ٣ - أوائل الألف ٢ ق.م) اسم المملكة
الوسطى ثمّ حلّ بعد مرور الانهيار طوّر ازدهار جديد. إنّ عصر المملكة الحديثة الذي امتدّ
حتى أواسط الألف الأوّل ق.م.

وعلى امتداد هذا التّاريخ الطويل شكّله كانت مصر تقع بين وقت وآخر صريعة بين ندي
أعدائها. ففي القرن ١٦ ق.م. قامت مصر حراً من إمبراطوريّة الإسكندر المقدوني، ثمّ احتلّها
الرومان في القرن الأوّل ق.م. لكنّ هذا كله لم يعمّ إلى حدوث تبدّلات جوهرية في الديانة
المصريّة. ولم تتبدّل هذه الأخيرة، أو بمعنى أدقّ سم تتبدّل الديانة المصريّة إلاّ مع انتشار
المسيحيّة في حوض البحر المتوسّط كله. وإقليم الشرق الأدنى فبعد ذلك الوقت قضت الديانة
المصريّة زياتها في حياة المجتمع المصريّ بيد أنّ هذا لا يعني أنّها اندثرت دون أثر فتمتّ تهيّرت
صوفيّة مختلطة في اليهوديّة والمسيحيّة حتّى كثيراً من الرّموز والشخصيات المصريّة والرّمزيّة
المصريّة تتبدّى بوضوح في المقدّاليه (= تعاليم صوفيّة يهوديّة)، والطقوس الماسونيّة، وخرافات
الأحيوات لروحيّة لأورونيّة في القرون الوسطى

وكما عند كثير من الشعوب كذلك عند المصريين، كانت الشمس هي الإله الأعلى
وقد سجدوا لها، للإله التّاريّ رع في عصور الملك المصريّة الثلاث لقد كان رع إلهاً مصريّاً
مشرّكاً. وكان هناك آلهة آخرون أنصبا، لكنّهم كانوا خاضعين لسلطة رع، وكانت
الأنوار التي أدّوها أواراً تابعة ورُبّهم أمكسا القول إنّهم كانوا مجرد تحلّيات متنوّعة للإله
الواحد رع ويساء عليه سنّ لمرعون أمينوتيّب الرابع في أواسط الألف ٢ ق.م. شريعة عبادة الإله

لواحد، وبات هذا الإله ابواحد يدعى آتون (= قرص الشمس) وتبعاً لهذا يدلّ لمرعون، اسمه،
حيات يدعى أحياتون (أي الذي يَحْيِي الإله) وقد وقع ذلك الحدث في حوالي الوقت الذي بدأ
فيه أبرم (= إهر هيم) يدعو قومه لعبادة الإله الواحد.

لقد كانت مدينة هليوبوليس (= مدينة الشمس)، هي مدينة الإله رع. ومن الواضح أنّ
التسمية تسمية بعريقه، أمّا الاسم المصري لهذه المدينة فهو بعلبك لقد نقوا للإله آتون عاصمة
جديدة: موها أختيانور (= أهي آتون) ولكن كما يحصل في التاريخ دوماً، هدد وفاة
المرعون المصلح عاد كل شيء إلى ما كان عليه: وأصبحت مصر عبادة ألهاها القدامى، بد
كان كلهم يحسّد الشمس أيضاً

وتنحّ الديانة المصرية بكثرة كثيرة من الآلهة، لكنّ عددهم هنا لا يفارب عدد آلهة
الديانة الهندوسية. وثمة عدد من هؤلاء الآلهة يشبه الإنسان، الإله الخدق بتاج، والإله أمين
وروجته موت وبهما خونسو، وإبرس وأوزيرس والآلهة حاثور إله الحب والفرح وري جانب
الآلهة اسين يشبهون اسنر، لدى المصريين أيضاً عدد من الآلهة المحتلطة، وقد رسموا هؤلاء
بجسد بشري ورأس واحد من الحيوانات ونحن مؤمنون قليل إلى الإله بتاح الذي منعوه
مظهراً بشرياً لكن زوجته لإلهة المماننة محميت كان لها رأس لبوة كما كانت لإله
الحكمة توت رأس الطير أي منجل، وإله الثور حورس رأس صقر، وإله الماء سيبك رأس
تمساح، وإله الخصب خنوم رأس كبش وكان الإله الأعلى رع قد تحسّد بدوره عدّة مرّات
مرّة في صورة السبع آتوم ومرّة في صورة مومياء، ومرّة في صورة حمل. ولكي تنب على
السبعين أبوب تُحذّر أيضاً صورة هر رمادي

بعد عهد المصريين شتّى أنواع الحيوانات ولم يتحلّ هذا فقط في معبدهم آلهتهم رؤوس
حيوانات، بل تحلّى أيضاً في أنّه كان للآلهة أنفسهم حيواناتهم المقدسة وقد أطلق لبحثون
على مثل هذه الديانة اسم رو-لاترسا، أي «المسحود للحيوانات» لقد كانت للبقرة، والهر،
والكباش، والثور، وأبي مجس، والقرد اسرتاح، والممابين، والأسماك، و، مسكينة مرموقه
حداً عند المصريين: وبحول بعض منها إلى رموز وطني. بل لقد حطّوا بعضها، كما كانوا
يحتطون الفراغة، وإذا ما قتل أحدهم الهرة حيوان الإلهة ناست المقدس فقد كان يمكن أن
يُحكم عليه بالإعدام.

ويتبعم الدين عند المصريين بتصوّرهم عن بيده لعالم المحيط فكيف تخيل المصريون هذا
العالم؟ لقد كان هناك عدد من مثل هذه التصوّرات (= اند رمس) فحسب بعالم المدرسة التي
كانت ترتبط بمدينة هليوبوليس، أنّه في البدء لم يكن سوى خراب المحيط نون، ولكنّه حمل في

داته إمكانية ظهور بكل ما ظهر في الكون بعد ذلك. وقد سارت عملية الخلق عندهم وفق الترتيب التالي في الأول ظهرت من ذلك المحيط الحرب الهصة الدثنية وكانت تلك الهصة أو الجين «حجرب بن» المسيح ثم ظهرت السمسة الكونية (كما في الحوليات المسنة)، التي خرج منها العالم والطير اشتمسي فيصمكس. وقد أول العلماء هذا الطير بصفته الطاقة الخلافة لأنه الشمس. ولكن إله الشمس لا يتجلى في هذه الطاقة فقملة إله يتجلى في شمس الصباح المشرقة التي تترمز في لجعل. وهو نفسه يتجلى في صورة الشمس امارية إله آتوم. ويعد الشبخ المرهق رعزاً لأتوم إله الشمس هنا. ويؤول آتوم على أنه كل شيء ولا شيء، إله الأرض. ويهني أن يفهم الأمر على الوجه الأتي لقد كان آتوم موجوداً منذ البدء، عندما لم يكن شيء سوى الحراب (= الكورس) وهو عينه سيبقي في المحيط الحرب عيه بعد أن يندثر كل شيء ويصل العالم إلى نهاية طريقه لكن آتوم يحمل في داته كل ما هو موجود وهو نفسه الأرض

وحسب تعاليم هذه المدرسة أن الإله توم إله الأرض خرج من المحيط لبدني وقد رسموه في هيئة ثعبان محتج. وخلق أتوم الإله شو والإله تقنوت فأحب هذان عب ونون ثم رجع إله الهواء إله السماء صوت هرقه. وبدأ يكون قد فعل السماء عن الأرض (غب = إله الأرض) وأحب البرو حان غب وتوت جبالاً حدساً من الآلهة أوربريس وإمزس، وبقطس وستة وهكذا ظهر آلهة لإيادنا المصرية التسعة. وكان هؤلاء هم الآلهة الرئيسيين الذين عبدتهم المصريون في كل مكان. ولكن الإله رع محج هما بعد في رحة الإله آتوم، وقاد الإيادنا (= التأسوعة) بنفسه وحسب تعاليم مدرسة هيرموبوليس أن ثعبانية آلهة ظهوروا مرة واحدة في المحيط البدني. وقد شكلوا بعد ظهورهم ثنيت روجية (إله - إلهة) وهؤلاء الآلهة هم بلدات الذين عكسوا مختلف مهابت المحيط لبدني نو وينيت = البيشة امانية، و كوك و كوكيب = اندجور، وخوخ وخوحيث = لاندبايه في مكن، وآمون وأموييت = المكون.

كما عرفت ممفيس عاصمة مصر القديمة مدرستها أتي كتاب لها تصوراتها الكوسموفونية الخاصة ووفق تلك الرؤي كان إله بتاح هو إله الرئيس فهو الذي خلق الآلهة كلهم، وخلق كل ما هو موجود في الكون الآن. وقد صنع بتاح مخلوقاته كلها بقوة الكلمة والإرادة الخلافة وكتاب هذه الإرادة قد وكذب في قلبه ولم يحسن الآلهة الذين خلقهم بتاح سوى صفته، وماهيته، وخاصياته فكلتمه لحلافة هي لإله ساء. والقوة اسحرية للكسمة هي الإله خصكا، ... ومن الملائم أن نتذكر هب مادة إيجيل يوحنا التي جاء فيها

(في البدء كن الكلمة والكلمة كن عند الله وكان الكلمة الله.)

(يوحنا ١ : ١)

لقد لعب فراغة مصر أنفسهم إلى الآلهة أنفسهم وكان تأليه المراعنة قد بدأ لحظة تشكلت الدولة المركزية في مصر

ومن الوجهة العملية كاتب الديانات كلها تقريباً، بما فيها الديانة المسيحية تطوي على شقين طاهري وباطني ولم تكن التعاليم الباطنية تثقل إلا شفوياً، وللمحتارين المكترسين فقط وفي مصر أيضاً كرسوا المحتارين في أسرار الدين. ومن يكر ممكناً بغير هذه الأسرار (المعارف) بلوغ أعماق الأسرار الإلهية. وكان للكُرس المنزلة التراماً صارماً بالطقس. وقد أطلق الإغريق على هذا الطقس اسم ميسيريا (من الكلمة الإغريقية «ميسيريون» ومعناها، اسكنون). وثمة اعتقاد سائد بأن ميسيريات المصرية كانت أولى الميسيريات التي عرفها التاريخ وفي اليونان نصبت هذه الميسيريات على أحرق قديمه جداً كانت قد ظهرت منذ آلاف السنين.

وفيما يخص الطقس المصرية هذه، فقد ارتبطت بالآلهة الروحين أوريزيس وإيزيس. لقد كان طقس التكريس يقضي بأن يعمر الكُرس معادة الموت. وقد نجح الباحثون المعاصرون في الكشف عن معنى هذا الطقس فجوهر الأمر يتلخص حسب رأيهم في لآتي. يرتبط وعياً الحقيقي مع وعياً اساطري بقناة للمعلومات تفلقها سدة وذلك لا يستطيع الميب المعادي أن يمنح معلومات من اسوعي الباطني، لأن هذه السادة محكمة الإغلاق لديه إحصائياً حيداً ولدى كل إنسان في وعيه الباطني معلومات عن كل ما هو موجود في هذا العالم، عن كل ما كان، وما هو موجود وما سوف يكون. لكن هذه المعلومات محبوبة عن الإنسان لعادي. وموصد عليها (خمس سبعة أبواب) وبسكن إذا ما عاى المرء معادة الموت وأحسن بالرعب والخطر ادأهم الذي يتهدد حياته، فإنه حلاًها لما كلف بعدو بصيراً يرى ما لا يستطيع أن يراه ويدرك ما لا يستطيع إدراكه ويمكن القول في هذا السياق إن المرء يلقى في أثناء التكريس نظرة عبر المرأة فينمد إلى العالم الآخر العصي علينا نحن البشر أعبادين ونحن كنا قد درسنا هذه مسائل كلها دراسة واقية في كتابات «الإله، الروح، اسلود» (دار إيكير، ١٩٩٢م)، وه أسرار العقل الكوني والوحي» (هيتشي ١٩٩٧م). ويشترك الآلهة أنفسهم في إقامة طقس التكريس. إذ يعبر هؤلاء أنفسهم معادة حالة الموت ومن هؤلاء الآلهة المصريين أوريزيس وإيزيس. فأوريزيس لم يعبر هذه الشدة وحسب، بل عبر الموت عيبه لقد قص ست حسد أوزيريس إلى ربع عشرة قطعة، ونثرها في أرجاء مصر كلها لكن إيزيس روعة أوريزيس المعطسة استطاعت أن تعثر على حواء جسد روحها هكلها وتجمع بعضها إلى بعض، ثم غسلها بدموعها. وفي صورة حمامة النيل سكنت إيزيس روحها الميت وفي حالة الموت

هذه حقق أوريس اتصالاً زوجياً مع إيريس، فأجبت هذه ابنتها حوريس الذي هزم ست. وهكذا انتهى كل شيء على خير ما يرام واكتملت أحداثه: عبر لإله أوزيريس حلقات الموت كلها وعد إلى الحياة وقد كان على المكربس أن يعبر هذه الطريق (أو رمزياً) ونحن اقتبسنا ما وصفناه من كتاب المؤلف الإغريقي القديم سوتارج «عن إيزيس وأوزيريس» (القرنان ١ و ٢ م) ولكن سوتارج لم يتجاسر على وصف تفاصيل طقس التكريس كلها. فقد كانت تلك أسراراً ناطقاً مقدسة، ولم يكن بمقدور سوتارج أن ينتهك حرمتها كما وصف هيرودوت بدوره طقوس التكريس بصريّة لكن وصفه جاء مقتضباً أيضاً، بل لم يورد الكاتب حتى اسم الإله الذي كان الطقس مكرساً له وهكذا ضاع كثير من شعائر الطقس عبر أقر. ولم يبق من حيث الجوهر سوى قلة قليلة. فيعتقدون مثلاً أن جزءاً مهماً من شعائر طقس التكريس كان يؤدى في المعبد. وكان ينبغي أن يشارك الإله أوزيريس (يؤدى الدور لرئيس) نفسه في إقامة الطقس وقد شكوه من عجية درية حمية قبل وقت من موعد إقامة الطقس وكان الشكر يُروى بالماء، وفي وقت معبد يست منه نبات أحضر، الأمر الذي كان يرمز إلى انحصار الحياة على الموت (من جسد أوزيريس لميت انبثقت الحياة).

لقد كانت هذه المسرحيات، التي تستمر أكثر من يوم، وكان «يوم أوزيريس» واحداً من مشهد العرض وكان هذا يجري في تشرين الأول - تشرين الثاني في وقت فيضان النيل. فهي ليلة بعيدها من طور دروة الفيضان، كانوا يحملون موميا أوزيريس في العرش وكان يشارك في الموكب أربعة وثلاثون صوفاً فيبحر الموكب في البحيرة المقدسة مساءً ثلاث مائة وخمسة وستين مشعلاً (وهو عدد أيام السنة) وفي اليوم التالي تؤدى مشاهد تدب إريس وأختها نفطيس وبواحيهما على حتمس أوزيريس. وعند ظهر اليوم التالي كان يبدأ ذلك القسم من العيد الذي يجب أن يشارك فيه إلى جانب المكربس لحدد، المواطنون كلهم فيحملون تمثال أوزيريس من المعبد على أشاد الأناشد الدسنة، ويبدأ الموكب دحل المبحر، بينما هذا مدور حول المعبد بعدد يوحه الموكب إلى ضريح أوزيريس. ثم يعود المشاركون في الموكب وهم يهتفون.

وكان الكتاب الروماني أبوليوس قد وصف في القرن ٢م هذه الموكب وصفاً دقيقاً في كتابه: «التحوليات» لمد ساق أبوليوس كثرة من شئى، التفاصيل، لكن السؤال الأهم بأسسبة إلينا هو ما امتزى العميق لتلك الموكب هليس ووضعاً لنا سوى أمر واحد من كان يشارك في تلك الموكب ملتزماً قواعد المشاركة كلها، يمكنه أن يأمل برقامة طليبة في لعدم الآخر يستطيع أن ينتظر قيامته من الأموات ولكن لوميسيوس، بطل أبوليوس، لم

يتحدث عن هذا بوضوح كافٍ فقد كتب أوليوس يمول بلسان بطله هذا. «لقد بلغت تخوم الموت، و تجاوزت عتبة برونينا (= إلهة مملكة العالم الآخر عند الرومان)، ثم عدتُ أدرجى مروراً بالبيئات كلها وفي منتصف الليل رأيت الشمس ساطعة، ومثلت في حضرة إلهة العدم السفلي وأبه لسماء، وسجدت لهم عن قرب، ويبدو أن جوهر الأمر يتلخص هنا في بوع حارة خاصة من الوعي بغدو الإنسان فيها مؤهلاً لتلقي معلومات من الوعي اساطني، وفادراً على النقاد ببيئته إلى جوهر الأشياء وهذا ما يمارسه اشغالات على وجه التحديد فيدفع هؤلاء بأنفسهم إلى حالة خاضعة من الوعي، ويجولون العالم الآخر ثم يعودون أراحهم ومن الواضح أنه ليس الحل قادراً على فعل هذا إخراجاً ب التكريس الشامانية تأخذ بالحسبان تاذية حركات وأفعال تعود المرشح لدخول عالم الشامانات، إلى حالة الشؤنة (الروحانية) وتحكيون نتيجة دست أن لشخص المعنى يكتسب لدى بلوغه التخوم بين الحياء والموت سمات، ماهيات، وحاصيت جديدة فيعدو مؤهلاً لرؤية المستقبل، والنماد ببيئته إلى دائرة ما لا يرى (كان يرى الشمس ساطعة في منتصف الليل مثلاً)، و

لقد كتبت الحكمة الواردة في «كتاب الموتى» المصري معدة للمراعاة فقط ومن المعروف أن هذا الكتاب ينتمي إلى زمن المملكة القديمة، وتكرر الأمر تغيير بعد مضي ألف عام، إذ صارت لحكمة تدرس للكثيرين هم كان يمتلك تلك المعارف المكتوبة كان له حظاً بأن يقوم من الأموات ويشعل مكتبة مرموقة في لعالم الآخر وكان حملة الطقوس قد دُسمت حزئياً قال إله أوربرس مات وتعت. هذا ما ينبغي أن يفعله كل مندرِك في الطقوس لقد كان يحب على الشخص المعني أن يسحر قوة إرادته ومحبته لكي يحقق اندغمه بأوربرس ويجبر منه فكراً وشعوراً كل تلك الذئرة من الحياء إلى الموت، ثم من الموت إلى الحياء من جديد. ولكن الأمر لا يمتصر على هذا فقط، فلم يكن على المشارك في الطقوس أن يقدم ذاته بأوربرس بهت ثم بأوربرس القائم من الموت وحسب، وإنما كان يحب عنبه أن يقدم أيضاً ببله الشمس رع - آتوم (أو بأمون - رع). لقد كان عليه أن يصعد معه إلى هاربه الليلي ويعرق في مملكة الأموات حتى يبلغ الحضيض.

أما فيما يتعلق بالعالم الآخر، فتمة وصف دقيق له في «كتاب الموتى» المصري، ومنطق لأشياء هنا هو التالي. عند ما ينحج الإنسان الحي في الوصول إلى عالم الأموات، فإنه يستوعب معايير السلوك هناك وصوله، وهذا ما يفعله مؤهلاً بعد أن يموت فعلاً ويقعد في مملكة الأموات، لأن بُعث من جديد هيه فكل شيء في العالم الآخر له أهميته اسعة بالنسبة إليه إلى أين يحب أن يمضي، وكيف ينبغي عليه أن يجيب على الأسئلة التي تُطرح

عليه، وكيف يعرف من الإغراءات و لمواية وتحدد الإشارة في هذا السبق إلى أنه لدى التيبتيين «كتاب الموتى» أيضاً، وأنَّ لحدث فيه حجري من الأشياء عينا بمرتباً.

يصف «كتاب الموتى» العالم الآخر والنحور في أرحته وصف دقيقاً فيه رسم للمراحل الاثنتي عشرة بطريق لليلة التي يقطعها قارب إله الشمس الليلي وهذه الطريق يعبرها أيضاً كمن يشارك في تأدية الطمس، لأنه يدغم بإله الشمس وحسب الوصف أن الساعات المراحل الرمزية الثلاث الأولى من الرحلة تمر بسلاسل ويعبر أي متاعرات هير العالم الآخر هادئ ساكن، وهو بهر النيل طبعاً. ولهذا النهر هرعان من المحيط الهندي الأربي - فرع في السماء، وأحر في العالم السفلي وتستقبل أرواح الأموات هارب إله الشمس على ضفتي هذا النهر بمرج كبير إله الشمس هذا ينير دياجير مستقر لأموات ولكن حالة لنعيم هذه لا تطور كثير، لأن حركة مياه النهر تدفع ومعها قارب إله الشمس، نحو المتعطف الحاد الذي يؤدي إلى أعماق الحضيض وريداً رويداً تنصب مياه النهر التي يستقر فوقها قارب إله الشمس ولكن الإله هو الإله في حر الأمر بتأثير من مفاته السحرية نزحف القارب على الرمل، فيبلغ عمق الأعماق في الساعات (الرمزية) المتبقية. وهناك في عمق الأعماق يقوم المعبد المكون. وهذا الأخير عبارة عن محال مقدس يرتبط «بتحجر بن بن»، أي «بالهضبة لبدئية». وهذه الهضبة هي الهضبة عينا التي وصفت بداية حق العالم كله. وهنا في هذا المعبد المكون عينا يجدد إله الشمس قدراته الخلافة وعند الساعة الرمزية السادسة من رحلته اليومية إلى العالم الآخر، يتعد إله الشمس رخ - أتوم مع موميائه في «مرقد أوزيريس» وهنا بالصبط يتلقى المشارك في نفس التكريس الإمكانيات التي تؤهله ليتقلب في استقبال على حصوم لشمس كلهم. ويُعد الثعبان ابواب واحداً من أعتى حصوم إله الشمس، إنه رمز رأس وفي آخر رحلته عبر العالم الآخر، يتقى المكس فرصته ليعت لحظة انبلاج الفجر في أهوم حيطري، أي الشمس المشرقة وقد شربنا سابقاً إلى أن الحبل كان صدهم رمز الشمس المشرقة حيطري إنه رمز البعث والتجديد وكان الطير هيبكس هو لذي جعل هذا الرمز عند الإغريق ومن المعروف أن هيبكس كان يحرق نفسه ثم يهبط من الرماد.

ويصف المصنف طريق المكس الذي يقطعها مرفقة إله الشمس ولكن كل ميت يقطع الطريق صنها وتعد لإعداد وسلوكه يتقرر ما ذا كان سيبعث أم لا من الأموات عند نهاية الساعة الثانية عشرة من رحلته عبر العالم الآخر ونحو كذا قد تحدثنا عن رحلة مماثلة يقوم بها الشامان إلى عالم الآخر. وقد عرفت نباتات أخرى طقوس التكريس أيضاً فعند الشعوب كلها تقريباً كان طقس التكريس يتألف من ثلاثة مستويات لكن طقس

التكرس كان يتألف في ثقافات إيران، ووادي الرافدين، وأمريكا من سبعة مستويات وعرفت الأسرار الثمانية في سميريا، وآسيا الوسطى، و«لسميام الناطقية» الدوسية في الصين تنويع لطعم التكرس تألف من سبعة مستويات لتكن وصف تنويع طقس التكرس المؤلف من اثني عشر مستوى، هي التنويع الأكبر قديماً بين التنوعات كلها ولأن الحديث يدور حول قيامة الإنسان من الأموات، فإنه من المهم أن يبين ما الذي يموت إذن وما الذي يُبعث فقد عتقد المصريون القدماء أن الإنسان يتكوّن من ستة أو حتى من عشرة أجسام (= أغلفة حسدية). وعندما يقع الموت العضوي ويموت الجسد الفيزيولوجي، تختلّ وحدة عمل الأعضاء التي يتكوّن منها الإنسان ولكن امتداد تلك الوحدة أمر ممكن فهي تتحقّق من جديد حينما يتحدّ إليه الشمس مع موميائه ويتكوّن الإنسان حسب المصريين القدماء من الجسد الفيزيولوجي، والصنوّ «كا»، والنفس «با»، والقلب (يعدّ العمل تعويذة القلب)، والطلّ، والإرادة، والاسم، والروح المشرقة و . وتكثر الإشارة عندهم إلى الصنوّ والنفس وصو الإنسان رقيق غير مرئي، فهو يولد مع الشّخص ويبقى بقيّاً طويلاً على امتداد حياة الشّخص المعنى كلها، لئلا يتركه الحارس. وعندما يموت الجسد الفيزيولوجي فإنّه ينبغي بحنيطة للتخفيف أهميّة مبدئيّه في هذا المبدن. ولضمان تامين ضروريات عيش لصنوّ فرمت التقديرات من مأكولات ومشروبات ويستطيع الصنوّ أن يخرج من القبر بفصل النصوص السحرية التي تُقش على جدرانه. ولكن كان يمكن تدوين مثل هذه النصوص على رقائق البردي أيضاً ووضعها في الثالوس. وإذا ما تعرّص القبر أو المومياء لأي أذى فإن ذلك يسبب لآماً مصنّية بصنوّ وتزلزل لعقد الإلهي صرماً بمن يذني قبر الميت أو موميائه ولا يقصر وجود الصنوّ على البشر، بل للآلهة صنوّها أصلاً وثمة لبعض الآلهة أكثر من صنوّ هلاّله روع مثلاً أربعة عشر صنوّاً. ويعرّعون أيضاً أكثر من صنوّ واحد، فالمرعون إيمان وإله في الآن عينه.

نجد رسم المصريون الشمس في صورة طير له رأس بشرية ولا ترمبط الشمس بالضرر، رباطاً وثيقاً تكتريبط الصنوّ به. فهي تتركه وتمضي إلى حيث تشاء وفي «محكمة أوريزيس الآخروية» أن الشمس هي التي تقدّم الحساب عن أعمال الإنسان طول حياته الرميّة كلها. وكان «كتاب الموتى» قد سبق لنا وصفاً دقيقاً لمحكمة أوريزيس هذه، وتبدو إجراءات المحاكمة فيها على الصورة التالية يوضع قلب الإنسان المُتهم في إحدى كفتي الميزان الإلهي، ويوضع تمثال إله الحقيقة معاً في الكفة الأخرى. وإذا يتحقّق وزن النفس والكشف عن الأضيق وثمة في قاعة المحكمة عينها وحش يمترس هؤلاء، لئلا يموت النهائي أما الصالحون

فإن مصيرٌ معياراً ينتظرهم فيمضي هؤلاء إلى حقول الميطة، حقول إبالو وهناك سيمتعون
سروعة لعمل الرّاعي والعيش بسلام.

ومن المعروف أنّ موقف المصريين من الموت يُسم بالنسُكِيّة والاطمئنان أمّا الهندوس
فإنّ ما يثقّهم دوماً هو النّقْصُ في كائن ردي، ولذلك سدلون كل جهد ممكن لمطع
سلسلة النّقْصُ لمواصلة. لقد وضع المصريون لأنفسهم هدفاً أكثر سموً، هدفاً لم يكن
سامياً وحسب، بل كان هدفاً أعظم، هدفاً صوفيّاً وقد تلخّص في تحقيق الانتصار على
سلطة الرّوس وعبور الطريق رجوعاً من الشّيوخه إلى الطّمولة، وبعث قوّتهم الخلاقة تحت
حساحي صائر النّيسيكس. والحكمة الأخيرة لهذا الهدف هي الانبعاث في الأزل على صفحة
:تسماء مشرقة صباحاً ولا وجود هنا لتلك القيود والآلام التي لا تقتفي والتي كُبل الهندوس
أنفسهم بها. فكل شيء هنا رائع ونيل، وكل شيء هنا ملهم يظهر قوّة الرّوح وبضائع شدة
العزيمة وقوّة الإرادة. لم يرض المصريون أنفسهم بأنفسهم يقول إنّهم بنمي عليهم أنّ سألوا مئات
وآلاف الأجيال اتّبعه لقد أحبّ هؤلاء أحياء حياً حقاً واستحسروا هدرها شيئاً. ولتكنّهم
أمضوا عشرات السّنين هرحس بإعداد أنفسهم للإبحار اساطلي في الأزل. فاجتبارهم ملّص
النّكريس، وندّهم للأضرحة والمعابد - المدافن لم ينعهم من الاستمتاع بالحياة، لقد كان
المصريون على قناعة راسخة بأنهم سوف يُبعثون ويعيشون إلى الأبد حياة يمارسون فيها العمل
الرّاعي النّيل. إنّ الأمر رائع حقاً ففي الألف ٢ ق.م. كتب المصري يقول «إنّ الموت بالنسبة
إليّ الآن كفّوح الطّيب، مرحلة تحت شراع عندما يريح موانئ إن الموت بالنسبة لي كعبير
زهرة أنوبيوس، كشاطئ بلاد الحبوة».

بعد توافقت الخدمة الإلهيّة توفّق دماً في مصر مع التّورب الطّبيعيّة التي كانت حياة
النّاس سلق بها. وينسحب هذا أوّل ما ينسحب على فيضان أسيل وكان الفكر الدّيني لدى
المصريين فكراً سامياً رفيحاً فقد كان كهنتهم يقولون إنّ الإلهة إيزيس التي تقسم في أعالي
النّيل، تتعاطف مع النّاس الذين يرضيهم التّقيظ ولذلك فهي تسحب دموعها المقدّسة في النّهر
اعطيم. فيفيض وفي وقت الفيضان هذا يسطع بحم بريس في السّماء عند الفجر: مستوحس
(سيربوس) «يسطع موثيس العظمى في السّماء، هيخرج النّيل من مجرا». وتحلّ لا نصول
جديداً إذا قلنا إنّهم ليس كلهم يدرك كم هو مهمّ في الحياة اعميّة الحماظ على الإيمان
بالفاية الأسى والثّور على مكان لشّمر السامي

لقد كانت ملوات المصريين مليّة بالشّعر. وكانت الخدمة الإلهيّة تقام كل يوم وتبدو
المصلاة الختامية للخدمة الإلهيّة اليوميّة، وفق ترجمة ت بالموت هكذا.

«ها هي الظهارة. تستبج النهر المكنون، الذي صورته الشمس، لرب
الكرنك للشمسي العظيم على عرشه والفرعون هب معك. إنه لحبلة
والعاقبة والقرّة، والنكا، ملك الجيوب والشمك لفرعون سيد كل حي في
الزّمل.

«ها هي التّصمات معلّم حدها. إنها نفقة وحفة كلهدا تحدها أيها الإله
الذي أحبّ اللبك القوّح».

تقدّ بكانت هذه هي صلاة الفرعون الي كان مرعها في معبد الكرنك إلى الإله آمون
« راج في زمن الممكة الحديثة

ولكنّ أبولويس أورد هذه الصلّاة في كتابه «التّحولات» مرهوعه إلى الإله

.يريس

«أيّها القدسيه» منقلة الجنس البشري الأزلّي» المدافعة دوماً عن البشر
الضّالين، أنت تعذّين نفسك تاعسه وقت الرّايا أيّها الأمّ لرؤوم! ليس ثمّة
نهار، ولا ليل، ولا حتى دقيقة قصيرة تمرّ، لأ مكلومة بعطايك وأعمالك
الطّنة تجبرنّ أسس في البحر وعلى البيسة، وفي رواع الحبة تمثّين بساط
السّجّة وترمين شبك القدر الذي لا رادّ له، وتهذّلين حقّ المصير وتروّضين
شرّ حركة الكواكب يجلّك الألهة العليّون، ويسجد لك آلهة الطّلال
السّفينون، أنت تديرين حلقة العالم، وتشعين الشمس، وتوجّهين للعمودة
ونطّنين تارتاروس.

تستحيب لبدائن اسكواكب، أنت ينبوع نعاقب الأزمنة، وفرح من
سكن السّماء، ودرّة البينات. بيباعة صك تشتمل أسيران، وتنكائف
الفيوم، ويبب الزّرع، وتصعد الشّروق وتند قواك تخيف طيور السّماء
والكواسر السّائرة في الحبّاء، والثّعابين المحتبسة تحت الأرض،
والوحوش العائمة فوق الأموج ولكنّي أجدك طمعاً بلثواب، أما
فغير العقل...».

وفورده في حتام حديثنا هذا كلمة اعتدار وتبرير ساقها «كتاب الموتى» على لسان أحد

الأموات

لم أنسبُ بلدى للبشر.
ولا بضرر للحيوانات.
لم أرتكب إنجاً بذلاً من الحقيقة ...
ولم آت بحمقة
لم أكفر...
ولم أرفع يدي على صديق ..
ولم آت بسوء أمام لاهة...
ولم أكن مسبباً لعلّة.
ولا سبباً للدموع
لم أقتل.
ولم أمر بالقتل.
لم أنسب لأحد بمعاقبة
وم أنهب عجلان المعابد.
لم أفسد خبز الآلهة.
وم استول على حمر الأموات.
أنا لم أنطق بالسوء يوماً ..
وأنا لم أترزع الخليب من أفواه الأطفال. .
لم أصطد طير الآلهة
ولا الأسماك من مصائدكم
لم أوقف مسيل المياه في أوان مسيلها
ولم أضع ححراً في طريق الماء الخالية.
لم أطفئ نار القربان ساحة تقديمه ..
ولم أنسب بعقبات للآله وقت ظهوره
أنا نقي أنا نقي أنا نقي

الفصل الثاني

سرُّ آلهة وادي الرافدين

تعدُّ حضارة وادي الرافدين واحدة من أقدم الحضارات في التاريخ وقد قامت هذه الحضارة على الامتداد الجغري المتوسِّع بين نهري دجلة والفرات. وفي أيامها هذه تقوم هناك دولة العرق. وأراضي وادي الرافدين إقليم محصَّن تحصيناً طبيعياً من جهاته لأربع فمن الجنوب تحدها مياه خليج العربي، ومن الشرق جبال زاغروس. ومن الشمال جبال أرمينيا، ومن العرب البادية السورية. وقد توسَّعت سومر في إقليم جوبي وادي الرافدين. وإلى الشمال في السَّطَر الأوسط من وادي الرافدين قامت بلاد أكاد. وفي الأتمين ٢-١ ق.م اتَّحدت هذه مع سومر، وقامت مملكة بابل. وإلى الشمال من ناس قامت آشور. ويرى بعضهم أنَّ الجماعات البشرية مستوطنت إقليم وادي الرافدين منذ أربعين ألف عام. ولكنَّ الألف ١٠ ق.م عرف انفجاراً ديموغرافياً لقد تضاعفت أعداد السُّكَّان، وأخذ هؤلاء يتحوَّلون إلى نمط العيش الحضري. فعملوا في الزراعة وتربية الحيوانات.

ونحن لا نعرف إلا القليل عن تاريخ وادي الرافدين قبل الألف ٤ ق.م. فأوَّل شبكة كسرى من قنوات الري التي جاءتها أخبارها، بناها العبيديون في النِّصف الأوَّل من الألف ٤ ق.م. وفي التُّلث الأخير من هذا الألف عيَّنه، حلَّت ثقافة أوروك محلَّ ثقافة العُبد. وكان السُّومريُّون هم بناة هذه الثقافة. ولكنَّنا لا نعرف عن هؤلاء إلا القليل أيضاً. فنحن لا نعرف من أين جاء هؤلاء إلى وادي الرافدين، ولغتهم لا تشبه أيَّ لغة من لغات الإقليم.

في أواسط الألف ٤ ق.م. أخذت تظهر المدن في وادي الرافدين. ولم يبنوا قبل هذا التاريخ سوى القرى الصغيرة وبعض المستوطنات. وحتى هذه مكان بناؤها بدائياً جداً. فقد تألَّفت مساكنهم من أخصاص مبنية من آجر غير مشوي، أي من طين مخلوط بالقش ويرى الباحثون أنَّ قرى لزراعين هذه ظهرت في وادي الرافدين في حوالي الألف ٧-٨ ق.م. وفجأةً تعيَّر كل شيء، عيَّراً جذرياً وفي زمن قصيرة جدًّا. فنمت هناك مدن حقيقية تحيط بها أسوار جِبرة وشيِّدت فيها معابد رحبه ارتفعت على مدرجات من الآجر، تكما شيِّدت فيها منشآت ضخمة أخرى. لكنَّ العمل الزراعي لم يخسر مكانته فيها. وبقي السُّكَّان يزرعون الأراضي المحيطة

مدنهم. لقد كان الفلاحون يشكلون العدد الأكبر من سكان مدن وادي الرافدين، وكان لنظام الإدارة الذاتية لتلك المدن فاعلية مهمة في حياتها. فقد كان يقف على رأس تلك الإدارة الكاهن الأكبر لمعهد المدينة الرئيس وقد يشغل هذا المنصب أحياناً قائد القوات الشعبية. لقد كان يتمتع المدينة إدارياً بحيطها الزراعي بقراء وسكانه وألفت امدية مع محيطها هذا دوره ذات استقلال تام ولم يكن عدد المدن - الدول هذا قليلاً. فهي انصفت الأول من الألف ق.م. بلغ عدد دول المدن في سومر نحو العشرين. وكانت علاقات بعضها مع بعض ذات طابع كلاسيكي. لقد كان العداء هو سيد الموقف في تلك العلاقات، فكل دولة مدينة كانت تسمى للاستيلاء على قطعة أرض أخرى، أو على قناة ري إضحية، أو لإظهار قوتها وقدرتها على إعطاء حيرانها والحقيقة أن معاور الخلاف التقليدية المعروفة في تاريخ البشرية هي التي كانت تعمل فعلها هنا الحشع، وحب لتسلط، وقصر الأنظر، والرغبة. ولذلك كان كل شيء ينتهي إلى ما يمكن أن نتوقعه. في أواخر القرن ٢٥ ق.م وقعت دول المدن تلك وحادثة إثر الأخرى تحت سيطرة سرجون ملك أكاد. وقد امتد حكم سرجون هذا من العام ٢٣٣٤ إلى العام ٢٢٧٩ ق.م. وهكذا قامت دولة سومر وأكاد الموحدة بكنها دالت ووقعت تحت سيطرة الحصوص في آخر الألف ٣ ق.م. فقد هاجمها البابليون من الشرق، والقبائل العموري من الغرب عبر المائدة السورية.

لقد استولى العموريون على عدد من مدن السومريين، لكنهم سرعان ما دبوا في استكان السليين وأخذوا عادتهم وباليدهم ولعنهم (الله الأكادي) وكان حمورابي، وهو شهر ملوك بابل وصاحب «قوانين حمورابي» الشهيرة، كان من العموريين. وبعد حمورابي الملك البابلي المنادس، وقد امتد عهده بين العام ١٧٩٢ والعام ١٧٥٠ ق.م وكان هذا حاكماً فذاً فهو لم يكتف بوضع الأسس القانونية للدولة بل أسس الدولة نفسها ولم تقتصر حدود دولة حمورابي على مدينة بابل وضواحيها، وإنما امتدت من شاطئ الخليج العربي حتى مدن مملكة ماري على الفرات. وتبنى على دولة لقد كانت مملكة حمورابي هي لمملكة البابلية القديمة لكن هذه المملكة لم تستطع أن تحافظ على استقلالها طويلاً. ففي العام ١٥٩٥ ق.م. وقع بابل تحت سيطرة القبائل الكشية التي احتاحت وادي الرافدين آتية من جبال زاغروس. لقد حكم الكاشيون بابل حتى العام ١٥٥٠ ق.م. وانقسم وادي الرافدين في ملل حكم الملوك الكاشيين إلى شطرين: آشور (الشاطر الشمالي)، و بابل (الشاطر الجنوبي) وقد ستمكم العداء بينهما وبواصلت الحروب بينهما طول ألف عام. وفي القرن ١٢ ق.م. نجحت آشور في نهاية المطاف في أن تحصد بابل لسيطرتها واستثمر لأشوريون انتصارهم ذلك

«بحكمه» في العام ٦٨٩ ق.م سويت بابل بالأرض تنفيذاً لأمر الملك الآشوري سنحريب ولكن الشعب سبى الأحداث التاريخية أمر صعب هبيل بهضت من ركابها ثانية و ستعادت استقلالها في العام ٦٢٦ ق.م، ثم سرعان ما نجحت في عقد تحالف مع الميديين مكّنها من إلحاق هزيمة بالإمبراطورية الآشورية العظمى وبعد سبعين عاماً سقطت المملكة اساطلية سقوطاً تاريخياً لم تقم له بعده قائمه فقد اجتاحتها جيوش امك الفارسي قورش الثاني وفي العام ٣٢١ ق م أطاح الإسكندر المقدوني بالإمبراطورية اسارسية، ولم يمض أكثر من ثماني سنوات حتى توفي الإسكندر في مدينة بابل اثر عودته من حملة الهند، وبعد وفاة الإسكندر مباشرة بدأ قادة قواته حروباً مدمرة، منهم لانزاع حق و رثة نريكة القائد العظيم، وفي تلك الحروب آل حاكم و دي الرافدين إلى ثماند المملوئي سلوقس، وامتد حكم ورثته في دولة مدينة بابل مئتي عام، وفي العام ١٢٦ ق.م. ستولى البارثيون على بابل ومدين وادي الرافدين الأخرى، وقد عاش و دي الرافدين في عهدهم حقبة من الانهيار التام شمل ميادين الحياة كلها وفي القرن الميلادي الثاني جعل الرومان من وادي الرافدين مقبضة تابعة لروما (نصرة وحيزة جداً استولى عليه تراجان وانسحب منه خليفته هادريان م)

على امتداد آلاف السنين عرف وادي الرافدين شتى ضروب المستعمرين الذين حاووا إلى هنا حامسين معهم معتقداتهم وآلهتهم، واثروا سدة اسلاد؛ ثم دهمهم آخرون إلى الخلف وحووا محلهم داهس مآلهتهم هم إلى الصدارة. ولذلك فربّه من عصر الممكن عملت رسم اللوحة الدنيئة في وادي الرافدين وفق الفهم التقليدي المعاد ومع ذلك فإننا سوف نحاول أن نبرر هذا أهم سمات الحالة الدنيئة في بلاد ما بين النهرين.

إن الدين الحقيقي هو الدين المنصق دوماً بحياة الشعب وهذا ما تظهره بوضوح تلقى الآثار التي عثر عليها في مواقع وادي الرافدين، فمذ أهدم العصور عندما لم تكن معابد الكبيرة قد شيدت بعد، عرفت بلاد ما بين النهرين مخازن مقدسة كدست تحزن الحبوب فيها. لقد كانت المتساعة تحزن فائض محاصيلها هذا تحسباً للظواري وليس خاف بالثأكيد لهذا عُدّت مثل تلك المخازن مقدسة، فالحيز هو الحياة وقد سجنوا له لقد كانوا يؤذون حول تلك المخازن طقوس مهمّة وكانت هذه مرتبطة قبل أي شيء آخر بالحصول، بالأفماج، بموسم السار وجمع المحصول. و ، لقد عوّلوا على الآلهة لسمان محصول وهر. ولكن الآلهة كانوا يطلبون تقدمات وصلوات.

ومن الواضح أن لهد كله منطفاً متيناً قم يكن المعبد وسيلة لجمع الأموال التي سمى بعد ذلك على حاجات لإله، بل فكان وجوده كوجود لحبر، لخدمة مصالح المشاعة وهكذا

لشاعة تدرك هذا تمام لإدراكه لحسن الأمر المهم الذي تبغى الإشارة إليه، هو أنه حتى بعد ظهور المدن الكبرى والمعابد العظيمة نقت الميادى الأولى نفسها لم تتغير - لم يؤد المعبد دوراً دسباً فقط، وإنما كان له أيضاً دور اقتصادي رائد على امتداد تاريخ حصاره وادي الرافدين كله.

لقد حرت العادة في بلاد ما بين النهرين أن تحاور شكل معبد حطرة للحيوانات كما كانت تفتد هناك قطعة أرض يحيط بها سياج نرعى الحيوانات فيها. وكان ثمة كاهن يسمي في مثل هذه الحظيرة إذا كان المعبد مكرساً لإلهة، وكاهنة إذا كان المعبد مكرساً لإله. وكانوا يقيمون طقوس رواج الكاهن وإلهه أو الكاهنة والإله لقد كان كل شيء مكلوء هن بالخدبة بالحصوية التي كانت حياة الناس تتعلق بها. وكان هيرودوت قد ترك لنا الوصف التالي لمعبد الإله بل مردوك في بابل في هذا المعبد سرير كبير مزين زينة ضخمة. وإلى جانبه مندة ذهبية وليس ثمة صورة أو تمثال لأي إله هنا كما لا يبيت أي إنسان ليلة هنا. ما عدا امرأة واحدة يقول الكلدانيون كهنة هذا الإله. إن الإله يختارها لنفسه من بين النساء المحليات. ويؤكد هيرودس الكهنة أن الإله يأتي إلى المعبد أحياناً ويقضي ليلته على السرير.

لقد كان نشاط معابد ما بين متوفاً متوفاً وسد هي كانت تملك مراعي دمة، وقطناً كثيرة وحقولاً واسعة وكانت تدبر تجارة متوفاً مع المدن المحاوره واليميد. كما كانت تحقق شئى للمملات النقدية. فتقدم قروضاً بمائد، (هضة أو حبوباً)، وتشتري أملاكاً منقولة ثم تعيد بيعها من جديد، وترهن وتؤجر المنازل ولسمانين. لحسن هذا ليس كل شيء فقد كانت تنع المعبد ورش حرفية مسوعة. وكانت المعابد مركز ثماهيته تعليمية. فهل يجب علينا بعد هذا أن نمول إن حياة المجتمع كلها كانت تحت إشراف الكهنة الذين كان نمودهم واسعاً وثرواتهم طائلة. ولم يتناول الملوك يوماً على المعبد، لذلك حافظ الثعاف هنا على مجراء على الرخيم من أن سادة لشعوب كانوا يتغيرون. فقد كان الفرط يطحنون بالسلاطات الحاكمه، أما المعابد فقد بقيت كقاعدة بعيدة عن كل آسى

ولكن من كان أولئك الآلهة الذين عبدوهم في تلك المعابد؟ أولاً، لقد كان عندهم كبير جداً وهو ما يمكننا لحكم عليه قياساً على الواقعة التالية في لعام ١٩١٤م. صدر دابيم في روما كتابه «المجمع البابلي». وأورد فيه أسماء ٣٣٠٠ إله ومعبد في ودي الرافدين ونحن لن نتحدث عن هؤلاء كههم بالثأكد، إنما سوف نكتفي بالحديث عن الرئيسين منهم. لكننا نشير بادئ ذي بدء إلى أن الباحثين لا يعرفون شيئاً تقريباً عن معبودات سكان وادي الرافدين قبل لالف عقم. إلا أنه من المعروف أنهم بوسلوهم محصولاً وصيراً، وصحة جيدة، وسلاماً ورجاء.

لقد كان بكل مكان (قريه، إقليم) آلهته الذين لا يعرفونهم، لأننا ولا يسجدون لهم إلا هنا. كعب كان منه آله أكثر شهرة، كالإله رابسا والإله شدارا مثلاً، للذين كانتا شمعيتي مدينتي أوميا وكيش وحارسيتيها. وقد عدت هاتين إلهتين عظيمتين هنا في هاتين المدينتين بالذات. وكان هناك آلهة انتشرت عبادتهم في مختلف مدن وادي الرافدين وقرىه ومن هؤلاء على سبيل المثال إله القمر نانا شمعيع مدينة أور وحارسها وكان إله الشمس 'وتو ابناً لإله القمر وكان هذا الشميع الحارس لمينيني سيبار و لارسا وحسدت الإلهة إينانا حباً لحسدي. كما كانت حامية النصر في المعارك العسكرية، وارتبطت بكوكب لزهره وهي نفسها الإلهة عشتار عند الأكاديين وقد كانت إلهة مدينة أوروك وكان لإلهه رجال شفع مدسة قوطور وحارسها، وإله الأوتة ومملكة لأموات في الآن عيه

أما أدم الآله، وأكثرهم جبروتاً فهم إله السماء أن (= أبو عند الأكاديين)، وله أربع والمكان الكوني من السماء حتى الأرض إيليل، وإله المحيط ومياه الحوفيّة نعدية ابكي (= إيا عند الأكاديين) كما حظيت الإلهة - الأُم نيجورساغ بقدر عظيم من التّجليل في سومر فهي فجر تاريخ سومر كاتب هذه الإلهة هي الإلهة الأكثر حرّوتاً وعند أواخر الألف ٤ وأو ثل ٣ ق.م عند الإلهة دوموزي إلى الصّفوف الأولى، وكان هذا روج لإلهة إينانا (= عشتار) لقد حاول الناس دوماً أن يشكّلوا آلهتهم على صورتهم ومثلهم، ولم يدركوا إلا في زمن متأخّر أنّه لا محور رؤية الإله، وأنّ هذا موجود في كل مكان وليس له شكل محدّد. أما سكّان وادي الرافدين فلم يكتفوا زمنئذ بترويج آلهتهم، بل انتقوا لهم أفضل بعي، وكان على هذه أن تستلقي اللّيل كله وحيدة على سرير الذهبى بانتظار مجيء الإله إليها، لقد كان يحلو للنّاس أن يروا أنفسهم في الآلهة، ويضيؤوا بمط عيشتهم بأفعال الآلهة ومط عيشتهم وعليه عند ما كان نمط حياتهم يتغيّر كان يتغيّر تبعاً له نمط عيش آلهتهم أيضاً. وشيئاً مع نشوء المدن العسكرية جهز إداري شديد التّعقيد وسرعان ما شرع للناس بنظّمون تبعاً لذلك نشاطات آلهتهم أيضاً هاتماًوا لهم التّرتيب الطّبيعيّ عيها التي كانت سائدة عندهم. ولذلك ظهر لدى الآلهة منهم، ووريره الأكبر ثمّ صهر الحكّاب المسكّرتير، وحامل المرش الذي كان عليه أن يحمل عرس ملك الآلهة وتبعاً لإرادة النّاس ظهرت لآلهة وادي الرافدين ومئات حرى ضدّ ملهى على سبيل المثال الآلهة - البوّابون ونب آلهة بيثبات الطّبيعة يعدّون «قادة سمويين عظاماً» وكانوا قتلّير واهبي نعم وخيرات

وعلى الرغم من أنَّ الآلهة كانوا على الأرض إلا أنَّ صلتهم باسماء نبتت قوَّة ر سعة
 فالإلهة عشتار مثلاً ارتبطت بكوكب الزهراء، وارتبط الإله مردوك بحوبس (= المشتري)
 ومجموعة برج الثور وارتبط الإله نابو بمركوريوس (= عطارد) لقد كان لكل مدينة إنهما
 لشقيق - الحارس، وبما أنَّ هذا الأخير كان مرتبطاً بحرم سماوي، فإنَّ المدينة المعنية ارتبطت
 بدورها بالسماء، بالحرَم الكوني المعني، وهذا ما منح سكان المدينة قوَّة روحية كبيرة. لقد
 كان هؤلاء على قساعة ر سعة بأنَّ شمعهم السماوي من يتركهم وقت القسعة، وهذا ما جعل
 نعوَّة الروحانية للمدينة أقوى. لكنَّ صلة المدينة هذه وصله جهة ساكنيها بالكوكب
 لكوني، لم تقتصر فقط على إدراك هؤلاء بأنَّ السماء تحميهم. لقد رصد سكان مدن وادي
 لراهدين حركة الكواكب وتنبؤوا بكل استبدلات التي تطرأ عليها، واستخلصوا من ذلك
 ككله النتائج ذات الصلة كما رافب هؤلاء أيضاً أطوار الخسوف والكسوف وسوى ذلك من
 الظواهر التي كانت ترتبط بكوكبيهم. وحاولوا أن يتنبؤوا ما يحصل أن سى به هذا كله.
 لقد كانوا يرغبون كثيراً بأنَّ يروا في تلك الاعلامات إشارات إلى أن المستنقح يحمل للمدينة
 بشرى بالرخاء والخير أو بد العذاب. بيد أنَّهم لم يكونوا محصنين مسدَّ أن تحمل لهم تلك الآيات إند رأ
 بقرب تعرض مدينتهم لمزو الأعداء، أو لموجة حفاف، أو لمجاعة، أو لاجتياح وباء، وسوى ذلك
 من الرزأنا. وليس عبتاً أن سعط هؤلاء له الأويثة ورهموا له لصلوات ولئوسلات، وقدّموا
 له لقرابين.

إذ لقد كان لسكان وادي الرافدين كثرة كثيرة من الآلهة ولذلك فإنَّنا عاجزون
 عن اسعادة وضائهم، وتحديد الأطوار التي بلغ شاطهم فيها قمة حيويته وقاعليته. ومع ذلك
 فإنَّ معصيات النصوص لني حملتها لنا الألواح الطينية التي اكتشفت هناك، تحبر لنا رسم
 بصور عن أهم أولئك الآلهة.

فالإله أنو مثلاً كان إله المسكطة، أو بمعنى أدق جسَّ قوَّة لسلطة وحسد الإله يليل
 القوَّة عى وحه العموم أمَّا الإله إنكي فقد كان هو «المكره عسه، والمهارة، فقد آمن الضنون
 كلها والمهن كلها إتقائاً تاماً، واحتضن الرقاء، وحاول أن يحمي لبشر من دساتس الإلهين أن
 وإيتليل. فقد كان هذان الإلهان لا يكثران كثيراً لأمر لحسد البشري، وكان يمكن أن
 يصدر عهما أي فعل كان، بما في ذلك الثروات اشتريرة والسلوك الأرض، وكان بإلهة إيتليل
 ابن - إله، هو الإله سوريبا الذي لم يكن له مدينة خاصه به ولكنَّ نينورتا كان يحسد
 السائلة وإلهه. ولذلك بجله ملوك آشور امتاتوا، أمَّا الإله الذي يرى كل شيء، أنو إله
 الشمس، فقد كان الماضي الأكبر، وناصر المقهورين والضعفاء، واحتضن بشئيين وتآقلم

مع الحالة الدينيّة في بلاد ما بين النهرين أيضاً، الإله الساموري إيشكور (= الأوكادي أداد)،
إله الرعود والعو صف

وعرف وادي الرافدين إلى جانب الآلهة، إلهات أمّهات أيضاً. لكنّ عددهنّ لم يتجاوز
الثلاث إلهات وهنّ يهنخورسغ، ومالي، وبابا، كما كان لكل إله زوجة. وكان ثمة إلهات
ارتبطن بالعالم السفلي، عالم الأموات، ومنهنّ من ارتبطت بالموت أيضاً. ونذكر في السياق أنّ
إلهة الموت تحولّت مع لوقت إلى إلهة مداوية وقد عُثر على صورها مع رفيقها لذائم
الحكس وهذا رأس هذا الأخير رمزاً له وكان النجم هو رمز الإلهة عشتار، والهلال رمز الإلهة
إينانا.

وتحوي النقى والنصوص التي سفرت عنها أعمال المسرّ الاناري معطيات عن جماعة
الآلهة الأتوناسكي العظام كما يذكر النصوص جماعة آلهة أخرى، هي جماعة آلهة الإيجيحي
ويسمى معروفاً لنا عن هؤلاء سوى أنّ عددهم كان كبيراً فقد كان الآلهة الإيجيحي
يشاركون في اجتماعات العمّة، وعند انعقاد قرارات المهمة كانوا يعبرون عن موافقتهم أو
رفضهم بالمهمة ذات طابع مختلف وكان أعضاء الاجتماع الآخرون قاندين على تأويل تلك
المهمة بمعناها الصّحيح أمّا الآلهة الأتوناسكي فقد كانوا يشاركون في احتفالات مجلس
الآلهة وسعدون القرارات المهمة إدر لم يكن اشتغال الآلهة بشؤون الحياة أقلّ من اشتغال
النسرين بها وكانوا يعملون معرق حسيهم قبل أن يظهر الجنس السشري إلى الوجود وهذا ما
تعبّر به «مهمة أتراسسس» الناطقة القديمة. فقد جاء في هذه الملحة

علمت كان الآلهة يحملون الأعباء

كأنهم، يحرقون السلال.

وكانت سلال الآلهة مهولة

كان الشغل مضيقاً، والشفقة عظيمة،

فألقي الآلهة السبعة الأتوناسكي العظم

بأعين العمل كلها على كامل الإيجيحي..

وعلى امتداد ألفين وخمسين مائة عام

عمن هؤلاء أثناء الليل والنهار.

فتعدي صراخهم، وملتؤوا عيطه

وصحّروا في الأرض وشاغبوا:

أريد أن نرى الأمرا
 فليرفع من كواهلنا عبء هذا لعمل الشقيّة
 فاحرقوا أنوابهم
 ودمروا ألواحهم
 وأطعموا الثيران سلاهم
 وساروا كتماً إلى كعب
 صوب ثوابت إنليل المقابل المقدسة
 فطوّقوا الخرس، وعندما انتصف الليل
 باتت أعبد تحت الحصار، لكنّ الإله لم يظهر...
 فسمع كالكل الصخب واضطرب
 ففتح المزلاج ونظر إلى الخارج.
 وشنّ الإله كالكل النوسكو.
 فسبح صخب الإيحيي
 ومضى النوسكو يوظف السيد..

ثمّ بطوّرت لأحداث بعد ذلك على لوجه الآتي لقد دعا الإله إنليل الأنوناكي إلى
 اجتماع المجلس، وكان هؤلاء قد أفرطوا في استعمال الإيحيي واضطهادهم ودارت
 لمباحثات مع الإيحيي الثّائرين فأوحى الإله إياهم مخرج من الوضع المرح، إذ اقترح أن يُخلق
 لبشر وتلقى على عاتقهم «أعساء الآلهة» وهكذا كان. فقد مرج إله طيناً بدماء واحد من
 الإيحيي وخلق الإنسان الأوّل بمساعدة «قنلة الآلهة، الحكمة مامي» وبعد ذلك ابوهت
 وأسماء يحملون السلّال بدلاً عن الآلهة

وثقلت الانتباه في هذا السّباق إلى أن الإنسان الأوّل قد صنّع من طين ممزوج بدم أحد
 الآلهة، حتى لو لم يكن هذا الإله هو إله الأعظم فقد تشاور لإيحيي كبهم وقرّروا
 النّضحية بواحد منهم لأجل إتمام ذلك العمل الجليل، فتقرّروا
 سوف يُجنّتل أحد الآلهة...

ومن حسنه، ويدمائه.

فلنمرح قبضة طيننا

وليُتحد حقاً الإلهي والبشري

عروجين في الطين

فلنسمع أبدأ طرقات القلب.

فلنعش العقل في جسد الإله،

فلنعرف الحي آية حياته.

وليتذكر حوماً أنه يمتلك عقلاً.

ويبدو هذا النداء الأخير الموجه للإنسان ذا أهمية فائقة لم تتراجع حتى يومنا هذا
فمن امتداد دريخ البشرية كله كان «التي» لشخصي، يتألق حياً ويحبوا أحياناً
أخرى وفي الألف ٢م كان «دس الأنا المرء» يعيش في وادي الرافدين طور ربهزه فقد
كان الإله «الأنا المرء» (إيلو) هو الشخصية الرئيسة. كان مباشر بنفسه استؤمن
لشخصية الإنسان، ويهتم بمجاده الإبداعية ولكن هذا الإله «الشخصي» لم يكن إلهاً
فريداً. فالإله المرء كان الإله الذي يهتم بشؤون المرء، استعص، كلها دون استثناء. ولم
يكن الإنسان في عصور ذلك عبداً للإله الشخصي، بل كان ابناً له وقد عدّو الشخص
المعني أن للإله بالمعنى الفيزيولوجي المباشر بكلمة. ولم يكن هذا الإله والإله وادين لابس
واحد، وأب للسلالة كلها، للعائلة كلها. فالإله الشخصي كان هو عيه للابس، وأب،
والحد، و قد فهم المعاصرون هذا الأمر فهماً مادياً تماماً فاعتقدوا أن الإله يقيم في جسم
الشخص قائم هملية. وافترضوا أنه كان حاضراً لحظة الحبل بالذرية، وأنه ينتقل من جسد
الأب إلى جسد الابن.

وقد استخلصوا من هذا نتائج بعيدة المدى. فما أن لابس تلقى إلهه الخاص عبر جسد
والده الذي يقيم فيه إلهه الخاص، لذلك يسعى عليه أن يتعامل مع والده كما يتعامل مع إلهه
الخاص. بمعنى حر أنه كان يجب على لابس أن يخضع لسلطة والده حصوفاً مطلقاً. وفي
عصور ذلك يمكن للابس أن ينتظر من والده الحب، والاهتمام، والرفق. فمبه كان يفهم إلهه
الشخصي والحاصل إذن أنه شمة صلة مرابه، عبر لأب بين لابس وإلهه الشخصي. وبذلك يفدو
دفاع الإله الشخصي عن تابعه أمراً بدهياً فهو الوسيط في علاقة مع إله أعلى. أكثر عظمة،
وها نحن نورد مقطعاً من رسالة كتبها بائس إلى إلهه الشخصي (إيلو)

«حبر إلهي، آبي اهكر يقول أبيل - أداد، عبيدك، لم صرحت وجهك عني وأهميتي؟
من هو الآخر الذي يعطيك كما أعطيك أساء؟ أكتب للإله مردوك الذي يحبك ولنهنر سي

تألمى قنارى وجهل، وألثم قدميك. انظر بعين المعطف لى عائلي، إلى الكبار من أهرابه والصغار. رآفة بهم ارحمني. ولبصل إلي عوتد» لا شك أن أجملة الأولى تثير الحيرة، لكن الأمر بحب ألا يكون هكذا. فذلك هو التمسد ابدى كان سائداً، وكل الرسائل البابلية والآشورية تبدأ كما بدأت الرسالة التي سقنا نصها هنا.

لعمد كان الإله مردوك هو إله مدينة بابل وفي الألف ٢ ق.م. كان هذا مجرد له عادي. لكنه ما لبث أن صعد إلى الصفوف الأولى من حشد آلهة سومر وبابل. ويقدر ما كانت قوة بابل تزداد وعودها يمتد، كان الإله مردوك يزداد قوةً وشيئاً فشيئاً بات في طليعة سكان الآلهة الذين كان بهم نفوذ وهيبه عظيمين. أن، وإينليل، وإيا فمي كل مكان تقريباً ماتوا بسوئه ملك لآله، ولكن كيف حدث وسمح الآلهة العظم. المذكورين بذلك؟ لماذا تبارل هؤلاء عن سلطاتهم المطلقة. وتحلوا عن حب الشعب واحترامه لهم؟ لقد تبين أن هؤلاء أقررو بزعامه مردوك لأنه حصنهم من الكائن الوحشي الرهيب الآلهة فامات فلم يحررو أي من الآلهة الآخرين على منارلتها. أما مردوك فلم يتردد في فعل ذلك، وليس هذا وحسب، من هزم الآلهة المتوحشة النقيصة التي كانوا يكرهونها. ولذلك كان بدهياً أن يترغم هو ولا أحد غيره محمى آلهة وادي الرافدين، ويمدو ملحقاً على الآلهة. وقد وردت هذه القصة كلها في الملحمة الديبية. «عندما في الأعمال»، التي أشتت في بابل، مدينة مردوك لأ. في القربس ١٢-١٢ ق.م. وعلمه فقد مصمت الملحمة بطلاً وأهياً زعامه مردوك ملك آلهة بلاد ما بين النهرين كلهم ولكن الحان لا يمكن أن تبقى على ما هي عليه فعندما سقط بابل، اضطرب مردوك لأن يتخى وأحد إله الغزاة، إله العاصفة الآشورية القديمة آشور يطالب بالزعامه وسرعان ما أدخلت التعديلات الملائمة على ملحمة «عندما في الأعمال»، فحل اسم آشور بدلاً من اسم مردوك في كل سطر من سطور الملحمة

إن لبس هو ابدى يحد الأخلاق وشعب بغير دنس. هو شعب بغير أخلاق وفي وادي الرافدين قضى الذين يتحرم التعديف على الآلهة، وأخرج على الذين، وإهانة الآلهة بأي شكل كان، كما حرم الكذب، والحداد، والقتل، والزنى؛ وأوجب احترام الوالدين، وكبار السن، والمعطف على الصغماء، وأعمراء، والأرامل، واليتامى، ومد يد العون للقريب، و لاهتمام بشؤون القرية الأم، والأبعد عن فعل الشر وبث الفرقة بين الأقارب. وعني عن الذين أن ما تقدم عرضه هنا لا يحتاج المزيد، إنها الوصايا العشر التي ينفي على العالم المسيحي أن يعيش وفقها ويكره يجب ألا نض أن سكان بلاد الرافدين الترمو بهذه الوصايا الأخلاقية كلها التزاماً صارماً في حياتهم. لقد كان الناس يقترعون لأخطاء، ويرتكبون

لأنهم، فيندمون ويرفعون الصلوات مستغفرين طائسين الصمخ، ثم لا يلبثون أن يحطثوا من جديد فالبشر هم لبشر في كل زمان ومكان يتلهثون بالصلوات والثبوة، والسدم، والثماويد. فقد كتب لبحثون يقولون إن صلوات سكان وادي الرافدين تدهش بمعنى لشعور الديني الذي تتلوي عليه. وهكهم و حدة منها

لم أكن أعرف يا إلهي أنَّ عقبك صارم
فتمسكت بيئاً عظيماً دون أن يرف لي جف.
واحتقرت شرعك وأوعلت بعيداً
لقد انتهكت طريقك وقت بلقي.
أنا كثر، كيف انزمتها لا أعرف
يا إلهي هيني السكينة واصمح عني،
وهنيئ الشر في قلبي.

لقد أدرك الإنسان أنه عبثاً يقترب الأتام على هذه الأرض، لأن كل ما يحققه بأعماله طارئ ولي زل. وليس من قبيين المصادفة أن ترد في ملحمة حلحاش أحوال انعكست في نسمة سليمان.

ليس ثمة ما هو خالد سوى الألهة والشمس،
أنا الإنسان فإن سبته معدونة،
وبهما يكن ما يعمه بالله مجرد ربح.

يجب على كل إنسان يعيش في هذا العالم أن يكون لنفسه تصوراً ما عن وجوده من أين جاء. كيف ينبغي عليه أن يعيش، وإلى أين هو ماضي بعد أن يموت. ونحن درسنا هنا تصورات سكان بلاد ما بين النهرين عن كيفية خلق البشر والطريقة التي كان يجب عليهم أن يعيشوا وفقها. فننلق لأن نظرة على الطريق التي كان علي إسماء وادي الرافدين أن يسلصها بعد الموت، وكيف.

إنَّ حياء الفرد منا كلها تتعلق بتصوره عن الموت. فإذا ما ارتسمت أمام الإنسان أفاق معرنة بعد حروجه من العالم الآخر، فإنَّ هذا سوف يسمم حياته كلها، ويصعبها بمسمة الحداد ومثالنا على هذا في الهدوسية وكاستنتها (= طبقاتها الاجتماعية) فالإنسان يعيش حياته كلها في الأعلام. وهو لا يعرف أنَّ الموت يشده منها بل على الصد من هذا تماماً إذ يمكن أن تعدو تلك الأعلام أكثر شدة في الحياة الأخرى. وبذلك لا يمكن للهدوسية المعذب

أن يحلم إلا مشيماً واحداً: كيف يقطع ألال تلك لعانة مرة وإلى الأبد سمعاداته والآله لا مسوع لها، ولا مليل لها، وهو لا يستحقها فهل يمكن لبد الإنسان أن يكون سعيداً، وممتلاً، ومعياً لحياة في ظل سيطرة مثل هذه لرؤى، وهذه الأخلاقيات، وهذا الدين على تفكيره هديه هن يدفع به إلى الرأوية، وليس له أمل بالحلاص لا في هذه لحياة، ولا في الحياء العاشرة، ولا في الحياة الألف. هلا يبقى له سوى أن يحلم بالترقنا، والعدم أمّا المصريون فقد كان لهم من الحياة موقف مغاير تماماً لقد كان يمكن للمصري أن يقول «إن الموت بالنسبة لي الآن كعطر فواح». لقد عاش المصريون سعاداء، حياتهم مردهره، وكانوا ينتظرون حياة أكثر سعادة واردهاراً وكماً لا بعد رحيلهم إلى العالم الآخر. وم يوسف له بالنسبة لسكان وادي الرأهدين، هو أنهم رأوا في العالم الآخر مكاناً كئيباً حذاً إليها «بلاد لا عودة»، هكذا وصفتها منحة حلحامش (في الألفين ٢-١٠م).

يقودون التوفى إلى باب النبحور،

إلى مسكن إيركالا.

إلى البيت الذي لا يخرج الداحل إليه منه

إلى لصريق التي لا عوة منها،

إلى البيت الذي لا يرى قاطنوه الثور،

حيث قوتهم الرمال، وطعامهم الطن

وكسوتهم كالطن، ملابس من ريش.

لا يرون الثور، ويقفون في ظلمة أبدية،

واللهم وأبواهم يعلها العبار

وقد جاء في ملحمة «نروى عشتار إلى الحضيض»، أن الوصول إلى «بلاد اللا عودة» دونه سبعة أبواب ينبغي اجتيازها وأن د لوحشة تسود أمام الأبواب. وتفيد المصادر لأقدم عهداً بأن نهراً يقود إلى المملكة السملية. وعبر هذا النهر يحمل النوتي الميت في قاربه وشخصية النوتي هذه معروفة عند كثير من الشعوب. وقد قيل في وصف هذا المشهد.

لا تجري في نهر «عالم السفلي» مياه،

مياهه لا تروي ضمأ ظموج

ولا تنجب حقول العالم السفلي حيوات،

ولا أحد يخلص منها قبيحاً
ولا يعطي شبه العالم السفلي صوفه
ولا يخط أحد منه ثياباً

لقد تحيل سكان ودي الرافدين العالم السفلي مدينة تحيط بها سبعة سوار حصينة وثمة سبعة أبواب تقود بالتتابع إلى داحل المدينة. وكان الحارمن يبدو يبغي الأبواب السبعة منفذة بالزجاج ولذلك لم يكن بمقدور أي كان أن يخرج من العالم السفلي وتصور أهل وادي الرافدين حياة الأموات في المملكة السفلية هكذا عندما يمد عيت حديد يبني عليه أن يقدم اسبقداً وقرابين إلى نة العالم السفلي السبعة لسكي يكسب ونهم ويمس مساندتهم له. وقد بدا الأمر على صورة ثنائية: عندما يمر الميت الأبواب عليه أن يسرع عند ككل باب حلية ما أو قطعة من ملائسه وبعد أن يعبر الأبواب المئمة يمثل أمام أريشكيجال زوجة إله العالم السفلي نرجال.

ثم يمثل الميت بعد ذلك أمام محكمة لعالم السفلي. فسطر في قصيبه هيئة قصائده مؤلفة من الآلهة الأنوناكي. ولكن رئاسة هذه الهيئة تتألف من آله أعظم نموذجاً فتمتون إلى العام العلوي وقد يكون المني هو إله الشمس (نل)، أو إله القمر (وقت ظهور لبال لحسد). لقد كانت الهيئة هي التي يضرر مصير لنهم. لكن هراها سكان يرسل بطريقة عيش امعتي في الحياة الدنيا وهناك كن المنهم تملق دروسه الأولى في شريعة المملكة السفلي ومعايير السلوك فيها وبعد التلطي بالحكم كان المنهم يقاد إلى أحد أرحاء المملكة السفلية. وعندما يصل إلى المكان المعنى يستقبله السكان العد من على الرحب والسمة، ويقدمون له كفن من ممكن.

وقد تلخصت معايير السلوك في العالم السفلي في الآتي التزام الهدوء، وعدم الإتيان بما يلقب، لانتباه بالملابس، أو الطيوب، والقدرة على كبت المشاعر والحقيقة أن الحياة كانت تواصل ولكن بطريقة أخرى يواصل الإنسان في المملكة السفلية الأعمال التي كان يمارسها في حياته استثنوية عينها وكانت تقام هناك أيضاً شتى الطقوس والمرسم يفهم لكنة أنفسهم، كما في الحياة الدنيا

ولا تمضي مدة أيام حتى يبدأ الوافد الحديد يتلمس وشكاوى سومره وقد تصفقت هذه معلومات عن أنه لم يتس للفتوى أن يسي بيتاً ودا ما تبين أن أمراً ما شيب الأهميه لم يجر حقاً، فإنه يمكن لطلأ اميت أن يصعد إلى الأرض حين لكن هذا لا يحدث مع الموتى من الفئات الاجتماعية الدنيا إلا قليلاً وعاماً جداً ما استعمل الملوك هذا الامتياز وما يثير المصوّل أن بعض الآلهة سحن في عياهب لمملكة السفلية وهؤلاء مثلهم مثل الملوك يسمح لهم بمعادرة معتقلهم لبعض اوقت في صورة ظلال فقد صعد ظل أنكيدو من لمملكة السفلية

سلاهي سديقه طحامش ويتحدث إليه. كما كان الخروج من المملكة السملية لبعض الوقت
مرأ ممكماً إذا ترك المعني رهبة فيها ثوب عنه. وكسبت الإلهة إيانا قد حرجت في العدم
لعلوي بهذه الطرفة عيبه. فقد تركت زوجها دومري رهبة يسوب عنها هناك ويتحدث
كثير من مصائر وادي الرافدين عن أن آلهة حليدين يقيمون في المملكة السملية ملهمة «خلق
له لقمرة» على سبيل المثال.

وحسب ديدة وادي الرافدين الصيغة أن الموت شرٌ عظيم، لكن وهو عه أمر حتمي لا بد
منه إنه «الطلام» الذي لا يمكن مواجهته بيد أن معتقدات متماثلة عن الخلود أخذت تسود
رؤاهم الأخرى فيما بعد. ولكنهم قصدوا بها الخلود لروحي.

ولا بد من أن نصل في حاتمة حديثنا هذا بعض الكلمات عن تصور ديانة وادي الرافدين
لعملية خلق العالم والبشر. وقد جاء وصف تلك العملية تكميل صورة في ملحمة لدنشة عندما
في الأعالي، التي كبرست للإله الثاني مردوك وحرى الأمر على النحو التالي
عندما في الأعالي لم تكن السماء قد منعت بعد

ولم يكن تحت للياسة اسم.

كان أبسر البدني الذي خلق كل شيء

والأم تيامات التي ولدت كل شيء

فمزجا مياهما في كل واحد.

وعندئذ نكوّن في أحشائهما الآلهة...

بعد امتزج كدوس (= حراب، عدم م.) المياه المالحة تيامات وكاوس المياه العذبة أبسو
سأله نكوّن الآلهة فظهر لخموا ولاخامو ثم تبع زوج الآلهة الأول الزوج الثاني. أنشأ (= الحلقة
السماوية). وكيشار (= الحلقة الأرضية) بعد ذلك خلق أنسو الإله أنكي (= إيا) ثم ظهر
الآلهة الآخرون.

ويجتمع الآلهة - لأفارب حشداً،

يزعمون تيمت إذ يروحون ويحيون

لقد زلزلوا جوف تيلت.

بغروائهم الصلابة في السكينة العلوية

ولا يهدأ لعظهم في أبسر

فأوحى المستنار ممؤ لأيسو الذي أيقظه الصبح، بفكرة إبادة الآلهة ولكنّ ذلك لم يحدث لأنّ لإله يد الذي يرى كل شيء وحد مخزحاً من الوضع الحرج

بحكمته خلق تعويذة مقدّسة

وأشدّ ترتيلة أرسلها في المياه

فانسكب الثعلب، وجه النّوم

لقد استغرق أيسو في نوم هاتج

فلتخذ الرجوم يلبس شرّمو.

بعد ذلك قتل الإله إبا أيسو. ثمّ ككل ممؤ وخلق لنفسه سكينه دعاها «أيسو»

هناك مع دامكينه مع روحته استوى إبا عظيمة

وفي سكة المصائر والأقدار،

أحبب الإله حكيم الحكماء

في أيسو ولد مردوك.

قلعته عظيمة، متفوّق بين جميعهم

صورته كاملة كمالاً لا يحيط له خيال

لا يدركه الفهم، ولا يحيط به خيال

أربع عيونه، وأربع أذانه

وعندما يفتح فمه تخرج النيران منه

ثمّ تطوّرت لأحداث بعد ذلك على النّحو لتألي لقد عزمت أرملة الإله المقتول أيسو على

أنّ تستقم من الآلهة الذين قتلوا روحها ولعكي بحقّق انتقامها طامت حشداً من الكائنات

المتوحّشة لحيفة ووضع الإله كينفو على رأس ذلك الحشد، وهلّدت له لوح مصير، وقد

كانت تلك الأنواح تحدّد حركة العالم وسير الأحداث الكونية فارتفعت فرائض الآلهة خوفاً

من عدوانية حشد الوحوش ذاك، ولعكنّ الإله الشّاب مردوك هبّ للقتال غير هيّاب وكان قبل

ذلك قد وضع شروطه أمام الآلهة. وقد تلخّصت في الآتي

إذ ما انتصت لكم كلكم،

وقهرت تيلباب، وأبقت حياتكم،

فلتجمعوا المجلس ولتعسوا إعلاء مصري

ونفّر كلمتي المصائر كما كلمتكم

وبيّن ما أخلقه أنا راسخاً لا يتغير!

هو افاق الآلهة على مطالب مردوك لأنّه لم يكن أمامهم مخرج آخر وفير عن ذلك ما

يلي:

قلّموا له الصّولحانة والعرش، وألبسوه ثوب الملئكة

وقلّبوه سلاح النّصر الذي يجنّد الأعداء...

فهلّجهم مردوك ونيلب أحدهما الآخر ..

واشتبكّا في قتال مرير، ومعرّكة فصلة .

فاحت تيامات شلّعها لكي تبتلعه،

فأدحل فيها الإغمصان، وعجزت عن إطباق شفّتيها...

وتقطّعت أشلاء، وامتدح شدّقها.

لقد أطلق سهامه وشقّ بطنها

ومزّق أعماقها وأخذ قلبها

وبعد أن صرّعت تيامات وهلكت ونى حشد الكائنات المتوحّشة الأديار بكن مردوك

المفدّم لم يمهنها لتعتنّ فألقى عليها القبض وقبّدها وقتل قائدها مكينفو وأخذ منه «ألوح

المصيرة» ثمّ رجع مردوك بعد ذلك إلى جنة تيامات:

فقفّح أحشائها بحسكة،

وشطرها نصفين، كأنّها توقعت

ثمّ أخذ نصفاً وغطّى به لسماء.

وجعل ترايبس وأقام حراساً

ليعملوا على ألاّ تتسرّب المياه.

وقلس الرّبّ أبعاد أبسو،

وحلق بناته انمكاسه خلق إيشارو،

فظلل إيشارو السمء.

وأقام مردوك استراحات في السماء للألهة كلهم

لقد أقم استراحات للآلهة العظام.
وصح النجوم - الكواكب على شبه الآلهة صنعها،
فسم لسنة رسم رسماً...
ووصح لحوماً للأشهر الاثني عشر،
وقتح بابين على حامي السماء...
ومح اهلل، حارس الليل، ضيلاً...
ثم وضع رأس تيامات وأهل عبيها جبالاً...
ثم أطلق دجلة والفرات عبر عينيها
هكذا خلق هو السماء والأرض..

وبعد ذلك غير مردوك طعوسه، وهرص شعائره وحاء لحظة خلق الإنسان

فلاجم اللماء أنا، ولأنت العظام
سأصنع كائنات، وسوف ادعوه إنساناً
حقاً إنني سأخلق بشراً،
ولبخدم هؤلاء الآلهة، لكي يستريح هؤلاء

الفصل الثالث

آلهة الإغريق القدماء

تقد كانت جزيرة كريت عمدة الحياة الروحية والثقافية، والدينية لليونان القديمة ومن المعروف أن كريت هذه تقع في البحر المتوسط وحلال الألفين ٢-٢٠٠٠ ق.م. لم تكن الثقافة الإغريقية منفصلة عن ثقافات الشرق الأخرى. ولكن كريت عاشت في أواسط الألف ٢ ق.م صور انحطاط لا تزال أسبابه غامضة حتى الآن. وحسب بعضهم أن الجزيرة تعرضت لكارثة ما ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى بيد أنه في الأحوال كلها وحد سكان الجزيرة أنفسهم عاجزين عن التصدي للفرقة الذين جاؤوا بلادهم من شبه جزيرة بلقان. فحمل الآخيون ثقافتهم وديانتهم إلى كريت ومع أن الثمار حدثت في ميادين شتى، إلا أن المؤرخين والشعراء بالغوا في تقويم دوره، فقد تحاملوا واقع الأسسلاء نفسه ووصفوا تاريخ ثقافة اليونانية بصمتة غصراً واحداً مبدد خلاله الملكد الحرا في ميسوس. فظهر هذا في تاريخ اليونان ملعكاً إليها وى دولة بحرته كبرى ويسط سلطانة على جزر وشبه جزر شرقي البحر المتوسط بل يصرح بعضهم أن نفوذه امتد ليشمل صقلية أيضاً.

وبحق لا تتوفر على مصدر مكتوبة في تاريخ كريت إلا من زمن الاحتلال لأخي وما بعد فنظم الكتابة لكريتي قبل ذلك لا يزال مراً عصياً على العلماء لقد امتد العصر الأخي في تاريخ اليونان من العام ١٥٠٠ حتى العام ١٠٠٠ ق.م أما ما قبل هذا التاريخ فهو زمن الملك مينوس وعليه فقد كان لدى الإغريق دنان الدين المينوسي. والدين الأخي

ومثله مثل لاديان الأخرى في العالم القديم، كان الدين لمينوسي دنناً ثناً هالاله الرئيس هو الإله زيوس أب الملوك، وحاكم جزيرة كريت هو والد الملك مينوس، والملك سيريديون، والملك رادامانتوس الذين أنحيتهم له الأميرة الكعاسة أورونا وكان زيوس قد اتخذ صورة ثور ومضى خلف الأميرة إلى بلاد الكعانيين حانصاً عمار معاصره صعبة مع البحر الهائج ولكنه صبح في آخر المطاف، فحملت الأميرة أوروب وحملها إلى جزيرة كريت ملهه معافاء وحسب الأساطير أن لسلطه الملوكيه المقدسه والبنه الأولى للدولة خرجت من اتحاد الإله - الثور والإلهة - ابقرة فقد ولد من ذلك الاتحاد ملك وكانت سلطته مقدسه، لكن

لتسع سنوات فقط. أمّا بعد ذلك فقد كان ينبغي ترسيخ صلاحيات الملك ولم يكن بمقدور أحد أن يفرض ذلك سوى الإله. وقد ستمرت الصرة الثانية من حكم الملك عشر سنوات. والثور كما هو معروف رمز الخصوبة. والخصوبة هي مصدر الحياة بالتمسك بالحركة للكلمة. ولذلك كانت صور الثور مرسومة في كل مكان: على الحدران، والأستام، والأنواب، ... وظهرت في تلك اللوحات مشاهد مصارعة الثيران. فيبدو المصارعون على ظهور الثيران وقرونها يؤدون مختلف صروب لحركات البهلواني بينما تقدم مع الثيران مسورة ولم تكن الثيران الحقيقية هي التي تظهر في شعائر الزواج الصقوسي للإلهة - الأم، بل المصارعون. أمّا دور الإلهة - الأم فقد كانت تزييه كاهنات أسرانت الجمال وقد ظهر صورهن على اللوحات لجدارية وهن عذريات الصنوبر، لكنهن يرتدين تنابير تغطي أقدامهن، وهذا ما يجعل مبدأ أسطورة ليونافروس مبهوماً فقد كان هذا إنساناً - ثوراً عاش في ألتايرستوم (ألتيه) وقرض أن تقدم له صعباً فتياً وفتيات، كان يقرضهم ولكن الأمر الشاب تيسبيوس حلص أثينا من تلك الأتاوة لذلك، إذ قتل الوحش. لقد كانت الإلهة الأم هي الشخصنة الإلهية، الرئيسة في كريت الميثونية إنها إلهة الحصاد ولم تكن هذه سيّدة لطبيعته البرية وحسب، بل وسيّدة قاهلي عالم البرية كلهم. فرسمو صورتها فوق قمة جبل عادة، رامين لذلك إلى سموم فوق هذا العالم كله. أمّا الملك فهو على الرغم من منشئه الإلهي، إلا أنهم رسموا صورته عند سمح، لحسن الذي تقيم الإلهة الأم فوق قمته. عدّ ذلك عن هذا أنهم رسموا صورة الملك مبطعاً على الأرض.

ويعد أن قهر الآحيون البلهنيين تعامدوا معهم بعقلانية تثير الإعجاب لم يمسو ثقافتهم أو ديانتهم بأي أدى بل اعتنق المستعمرون عملياً ديانة المستعمرين بيد أن أشياء كثيرة، أُعيد انظر فيها جذرياً مع أنه لم يطرأ عليها أي تبديل يذكر من حيث الشكل وهذا، أمر طبيعي، لأنه كان للأحيين أيضاً آلهة، وكان العزوف عنهم أمراً فيه كثير من «نكران الجميل» رد على ذلك إن هؤلاء الآلهة لم يكونوا دائماً يشبهون آلهة الإغريق، أي لم يكن من السهل تبديل اسم الإله إلى اسم آخر (إغريقي) والإبقاء على وظائفه عنها. فالإله الآحي الأكبر دينا لم يكن مماثلاً بريوس ولجنته من حيث وظائفه فكان يشبه كثيراً الإله - الثور، إله الديانة الكريتية القبل لأحية وكانت إلهة الخصب ديميبا هي زوجة هذا الأحيين. وفيما بعد نُقلت هاتان الوظيفتان في اليونان إلى عدد من الإلهات ففي كريت حملتهما الإلهة بريتوماريتيس ودعيت أيضاً باسم ديكسا. وكان لهنّ زوجين الإلهيين لسمامين ابن يسعي ديونيسيوس، إله الخصب وزراعة لكرمة ولم تتحول الإلهة بوسيدون فوراً إلى إله البحار فقد كان اسمه

قبل ذلك موسيداو كما كان ثمة إلهة تدعى بوسيديو. وأحرى باسم إيسيا. وكانت هذه نظيرة الإله هرمس إله التجارة كما كان هناك إله الحرب أريس الذي كان اسمه قبل ذلك إيسيا. ولا شك في أن هذه التفاصيل غير مهمة بالنسبة إلينا فالو ضح أمر واحد مع اندغام الشمس كان يدغم الميثم أيضاً، ويتحولون. ولكن التوافق التام في عصور ذلك بين هؤلاء الآلهة وأولئك، كان أمراً مستحيلاً فلاحيون مثلاً لم يفارقوا بعض ميثم لتقايين الدين لم يكن لدى الإغريق آلهة نظراء لهم. ومع ذلك تحول هؤلاء فيما بعد إلى إلهة عظام سكنوا لأوليبيس ومن الملائم أن نموهما إلى أن حسم إنداً في كرت كان يدعى بحبل الأوليبيس. وكان هد هو الحبل الذي وسد عليه الإله الإغريقي زيوس وشة.

لقد أقيمت التعداد على قمم جبال، وأحييت بالأسرار. وانصبت مع السفوح بأرضية. وظالم الآلهة الكريتيون بدبش، ولم تكن هذه من الحيوانات دائماً، وهو ما يؤكد أعمال السر الأثاري. لقد كان هؤلاء يحتاجون حياة البشر ودمهم، لا سيما لأطامال. ففي كبوسوس، عاصمة الملك مينوس عثر الأثاريون على حانة مليئة بكثرة من الأواني الكبيرة. وعثروا في داخل هذه الأخيرة على أجزاء من هياكل عظمية لأطامال. وقد حمل بعض عظام الأطامال الصحابي آثاراً واضحة لعملية تقطيع أوصالهم وبحيز لنا ذلك أن نقرر دون تردد أن عبادة زيوس الكريتي كانت مردده في كرت. ومن المعروف أن هذه العبادة كانت تتسم باستعراق أتباعها في حالة الوحده والشوة الروحية. وكان المقاتلون الفتيان هم الذين يؤدون طقوس هذه العبادة، فيرتدون الدروع لبرورية ويقدمون الأطفال قرابين لوشهم. ولم تكن الإلهة - الأم (= إلهة الخصم)، إلهة حب للماء إلى هذه الدرجة. ولذلك لم يطالب بأن تقدم لها ذبائح من الأطامال. فاككت بأشعاب، والحمام

لقد ندغم الأخيون بالإغريق وشئوا إثر ذلك حملة توسيعه كبرى وبنوا يندعون أنفسهم هليين ثم دعاهم الإيتروسيون وبعضهم إرومان: غريفيين. وقد تشكلت الثقافة الهلينة تحت تأثير ثقافات شعوب التي أحصها الإغريق وكان الميلاسيون البلقانيون أحد تلك الشعوب. وقد كانت تصورات هؤلاء عن الآلهة أكثر تقدماً ورقياً كما كانوا قد عرفوا المعابد والحكمة المنتسبين.

وكان للحكماء (الفينيقيين) بسورهم تأثير عظيم جداً على تشكيل الثقافة الهلينية ففي أو بحر الألف ٢٠٠٠م كان هؤلاء قد شعروا بمساحات شاسعة جداً من الأراضي امتدت على سواحل البحر الأبيض المتوسط الأفريقية والآسياسية، وحرر وشبه جرر كان يقطنها الإغريق. ومن المعروف أن الأبجدية الإمبريقية ذات أصل كنعاني. كما كان للشعوب

والأقوام، الأخرى التي تواصل الإغريق معها مادياً أو روحياً، تأثير يبين على ديانتهم وثقافتهم ولكن دراسة هذا الموضوع من مختلف حواشيه ليست ههنا الآن ولذلك سوف يقصر اهتمامنا به هنا على إعطاء وصف مختصر جداً لآلهة الإغريق والوظائف التي أنصبت بهم.

إذن كانت الإلهة الأم الممضى هي إرثيسة بين هؤلاء، ولكن أب الآلهة ما لبث أن شغل هذه المكانة وفي بادئ الأمر كان هذا الأب هو الإله يوسيدون، ثم حل محله الإله زيوس وقد حافظ يوسيدون على ألوهيته، لكن إرثيسية اقتصرت على البحر لقد كان زيوس يمتلك وحده من القوة ما كان يفوق أموة التي يمتلكها الآلهة الآخرون مجتمعين، وقد عثر هومروس من ذلك في النسخة الآتية إذا ما أمسك الآلهة كلهم بالسلسلة الحديدية المقدسة التي يرميها زيوس من السماء، فإنه لن يكون بمقدورهم شدة إلى الأرض، ولكن زيوس ستنطبع بدفعة واحدة أن يرفع الآلهة والأرض إلى السماء.

ديميتر، هي أخت يوسيدون وزيوس، بها الأم - الأرض، ربة الطبيعة، التي نرى كل شيء. ابتدع هوميروس، إلهة النبات التي تموت وتحيا كل سنة، وكانت هيرا زوجة زيوس حارسة طقوس الانتقال الصارمة، من سن استوى إلى هشة الرجال ابلعين. ومن المعروف أن شعوباً كثيرة كانت تعرف مثل هذه الطقوس. وقد انعكست التجارب لمريرة التي كان ينبغي على الفتيان اجتيازها لكي يندوا رجالاً بالعين، انعكست في ماثر هرقل الشهيرة. ومعنى اسم هرقل نفسه، هو الذي يحمي هيرا، لقد كان هرقل بن لريوس، لكن والدته لم تكن هيرا، روح زيوس، بل امرأة أنسية. ولذلك كانت هيرا تلاحقه وتضطهده.

أرطيميس إلهة الموت، إلهة صيادة ومقاتلة صارمة. تردد شخصيتها أصدقاء شخصية ربة الحيوانات البرية القديمة. عبدوها على الدأوب، وفي آسيا الصغرى وسهوب يوراسيا، حيوانات المقدس هو الذئبة وبواجه أرطيميس بصفتها إلهة الموت، أثينا بصفتها الإلهة الحامية الحياة واسم السلمى. بعد كانت أثينا غزالة ووقفت عند ديت نحتكار العمل الزراعي، وتدجين الحيوانات البرية، ونشوء المهن، وإخضاع البحر. ولذلك ليس عريشاً أن تكون هي الإلهة الشعبية والحارسة للولة - المدينة. فرسبوها مع الرمح وعلى رأسها الخوذة الحربية.

كما كان إلهة الموت أرطيميس أخ توأم أبوللون. وقد كان هذا إلهاً صارماً جداً، وهاسياً لا يرحم. ظهرت صفاته هاتان في كل خطوة كان يخطوها وشدة شؤبه، على ذلك لا تعد ولا تحصى فعلى سبيل المثال، سلج أبوللون جلد مناضحه في مباراة الموسيقى. ومن الجدير ذكره أن هذا حدث بعد أن طرأت تحولات مهمة على شخصية هذا الإله فهي بادئ الأمر كان أبوللون إلهاً معطرساً يتقن استخدام القوس. فقد قهر الثنتين المتوحش، ولكن هذا

فبمعد حاضن القنوس وبات بإمكاننا أن نقول إنه استبدل بالقنوس الفيشارة بيد أن قضاوته
بم تتركه، المكان للرحمة والتدطف.

وكان لأبوللو حشم تقيص، هو الإله ديونيسوس. وكانت الإله هيرا لعبورة هـ
أمات والد ديونيسوس. فالتقى الإله لمقبل نفسه غير محدود ولكن ريو لم يهمل اسمه، بل
اهتم به، وحمل به هو نفسه ما تسمى من مدة الحمل الطبيعي ثم عهد به بعد ذلك إلى الحوريات
ليربيته لقد تربى ديونيسوس ونشأ في مكان ما في الشرق ولما شب واشتد عوده مضى بجوب
العالم. فوصل حتى الهند وكانت صناعة الخمر هي ميدانه الشرعي في الحياة الواقعية ويرمر
ازدهار زراعة الكرمة وصناعة الحمر إلى عودته إلى لوطي.

أما هرمس فهو رسول زيوس وقد عده بصفته إله التجارة. وما بشر الفصول لهم
عده شقيق اللصوم أيضاً كما كانت له وطائف أخرى فهو الذي يقود الأزواج إلى المملكة
السفلى وبلوره كان الإله هيفيستوس مرتبط في بادئ عهده بمملكة الأموات ولكنه صار
فيما بعد إلى الإله الحامي المهيمن لقد كان هيفيستوس ابن زيوس وهيرا ولد على الأويهمب
لكن هذا الوليد كان يثير استمراء هيرا (ولد أعرج وقدر)، هزمت به في البحر فأنقذته
حوريات البحر وربيته وما بلغ سن أبشده أمثلك هيفيستوس أمر ر مهنة الحداة كلها، وعاد
إلى الأويهمب وقد كان العرض من عودته خائياً من أي عنوانية وصنع نصب عينيه خدمة
سكن الأويهمب، فالآلهة أيضاً كانوا يستعملون لسلح الأيهمب لقد عانى هيفيستوس
كثيراً قبل أن تمتدق حياته لإلهة لكنه كوفى مقابل ذلك بأجمل امرأة زوجة له إنها
الساحرة الأسرة حارسه الحب الحسدي أفروديت. لقد حرج الآلهة كهم من زيوس، ما عدا
أفروديت. فهي ليست إله زيوس بل إله السماء أورانوس. سمطت بدرة هذا الأخير في مياه
البحر، فولدت منها أفروديت. وليس لدى العلماء شك في أن أفروديت أكثر قديماً من آلهة
الأولمب الآخرين، وأن موطنها الأصل في الشرق وعاش على الأويهمب. له بحر أهل شهرة من
الآلهة الآخرين، إنه الإله اريس وكان هذا بحسداً للنف العيشي الذي ينفقر الموقف
الإنساني ونحر يمكننا أن نشك في أن هذا الإله الأويهمبي كان فيما مضى له الحرب
الدموي.

أما لمملكة السملى، عالم الأموات، فقد كانت تحت إدارة الإله هانيس. وفي بادئ
الأمر كانت مجالات النفود كلها موزعة بين الآلهة على لوجه لأتي زيوس ملك السماء،
ونوسيون ملك الأرض، وهديس (= غير المرئي) ملك المملكة السملى لكن زيوس هرم
يوسيدون وطرده من الأرض، فاحتصر نفود هذا الأخير على المياه الواهمة الحداة وبقي هادس

محافظة على مصالحه يحكم المملكة السفلى دون مندرج، ويبدو هذه المملكة على الصورة الآتية يحيط بها نهر ستيكس تسع حلقات، ويلقي هذا النهر مع نهر الأحزان كوتسيت، ويصب هذا الأخير في نهر لسو (نهر التسيان)، وكل من يمضي إلى العالم لآخر يمر نهر ستيكس في قارب نوتييه هو هرون النوتي، وكان هارون هذا يتلقى أجراً لقاء خدماته، ولذلك كانوا يصمون للميت قطعة نقود في همه قبل أن يوارى الثرى. وكان منزل هاديس في المملكة السفلى محاطاً بأبواب حديدية تعلق برّيح مهول. ولذلك رسموا صورة هاديس وهو يحمل مفتاحاً كبيراً لقد كان هاديس مسؤولاً عن حماية أرواح الأموات، فاحتقن لذلك حارساً له ثلاث رؤوس ونعطى للعاين حمدة وكان هذا يدعى كيربيروس كما كانت لهاديس زوجة، هي پرسيفوني ابنة ديميتر التي خطفها هاديس عنوة ولما كانت برسيفوني له الحبوب فإنها لم تكن خالية من التزامتها الأساسية سوى ثلاثة أشهر في السنة، شتاء عندما يموت كل شيء.

ولكن هيرق الهة الأولمب لم يتشكل نهائياً بكامل قوامه إلا في المربع ٦-٥٠ ق.م. لقد كانت تصورات الإغريق عن الآلهة تصورات بدائية جداً، مع أن ذلك الزمن زمن بوزا (وزراشت) كان قد عرف منظومات عميقة ومعقدة عن خلق العالم وإدارة شؤونه وهما يمثلان تصورات الإغريق عن خلق الكون، فإنها تشكلت كلها تقريباً تحت تأثير تعاليم الشرق. فبدأ خلق الآلهة للعالم بمثابة تدوير للكاوس والسكون. في البدء كان لكاوس (لخراب، الفوضى الكونية) ويمتدّز ولدت الأرض (=جدا)، «الرجبة المندرة» ثم ولدت أعمق أعماق الأرض (= تارباروس) وظهرت بعد ذلك الشهبوات والثرعاب (= إروس) وأصبح الإله إروس الليل (= نيكيتوس) والديجور (= بيربيوس)، وخرج من الليل والديجور الأخير والنهار وأبحت الأرض (=جدا) السماء وكان الشاعر الإغريقي لنديم هسيود قد صرّض هذه الكوسمولوجيا في قصيدته الملحمية «ثيولوجيا» لقد عاش هسيود هذا وابتدع بعد مائة وخمسين عاماً من زمن هوميروس، وكان هذا الأحمر قد وصف بدوره عملية خلق الكون لكن منظومته أكثر بدائية ولم يكن أي من هذين الشعيرين كاهناً مثبّتاً، وإنما اعتمد كل منهما على المصادر التي كانت متاحة له وقد ارسطت المصادر لمعية، بتقافات الشرق، فعلى مدى زمن طويل بقي الاعتقاد سائداً بأن أدور الرئيس في تصورات الإغريق عن خلق الكون كان يعود إلى التسموزات التي طورها الحضارات المصرية، والآشورية - البابلية، والكممانية ولكن المعطيات الحديثة التي بوهرت عن الميثولوجيا الحورية (آسيا الصغرى)، تؤكد بدالة واحدة أن كل شيء (أو تقريباً كل شيء) قد خرج من هنا همن الميثولوجيا

لجمهورية بالدات استمدت تصورات الإغريق عن حق العدم عناصرها الأولى. لقد بدأ هسيود لنظام الكوسمولوجي المعتاد بالنسبة للشرق، بأسماء آلهة هليسيين وهيدنأورويين. وعند هذا النظام عساه في الإسكندرية عند الرومان ولذلك باب يمكننا القول إن هذا النظام باب نصاماً صلاسيكياً مع أنه مكان ثقة منظومات أخرى عن تشكيل العالم وقد سبق إيبيميدس واحدة منها في العام 500 ق.م. وحسب هذه المنظومة أن الهواء والبن كانا بداية كل شيء، ومن زواجهما ولد تارتاروس وإبان. وقد أحب هذين مدورهما لبيضة الكونية وسوف بلاقي اقارئ إشارة أخرى إلى لبيضة لكونية في هذا الكتاب. فقد كانت هذه عند الهندو آريين أيضاً ومن الملائم أن يشير هنا إلى أنه كان عند الهليبيين أسطورة عن لندا. فقد جاء ربوس في صورة ذكر البجع، ومن لقائهما وضعت ليد بيضتين. همتت من إحداهما الحساء بينما ملكة أسبرطة، وفتت من لأخرى التوأمان الديوسكوري.

وتشر حياة الكهنة في اليونان بقية بعض الاهتمام. فلم يكن هناك من فئة كهوتية مميزة معينة، كما كانت عليه الحال في مصر على سبيل المثال. إذ اعتقد الإغريق بأن الآلهة يحاربون بأنفسهم الناس الذين يلتقون عندهم حظوة وذلك كمن اختبر الناس لمناصب الكهوتية يجري بأسرعة. وكانت متحة هذه الأخيرة تحلياً لإرادة الآلهة ولكن هذا الأمر لم يكن وحده الأمر الجديد فما يثير الاهتمام أيضاً أن الكهنة الإغريق كانوا يسيرون أنفسهم بأنفسهم. لقد كانوا يعيشون على العرايين التي كان يقدمها الأفراد. منه إلى هذا أنه سمح لهم بأن يلقوا أجراً لقاء الحفاظ في منازلهم على مختلف كصور الدولة والأفراد كما كان من حقهم، لاستفادة من لحوم ذبائح القرابين، وبيع جلودها، وقرونها، وأصلافها قصارى لعول، لم يكن الكهنة أناساً فقراء آف كبار أغنيائهم فهم الكهنة الذين كانوا يخدمون في المعابد الهلنسية المشتركة فالدخل هناك كان أكبر

ولم يكن شيء قواعد سلوك محددة تصبط السلوك لتتحصي للكهنة فهي بعض المبادئ كان عليهم الالتزام بالمعترية، بينما فرض عليهم الزواج في معابد أخرى. فالمسألة هب هي أن الكهنة يشرفون على شؤون عبادة الآلهة والإلهات وكان في كل معبد خدم أو أكثر لكل عبدة، ولذلك كانت المحرمات مختلفة فهي معبد بوسيدون في ميعارا على سبيل المثال. حرم على الكهنة أن يتناولوا في طعامهم بعض أنواع السمك بينما حرم على كهنة معبد أثينا المديني أن يأكلوا الجبن اسطأرج. وكان هذا كله لم يربك كثيراً حياة الكهنة والكهانات فقد كان هؤلاء عادة أعتناء ويحظون بالاحترام، وعالب ما كوفوا بالأكاليل الذهبية وسوى ذلك من الهدايا

لقد كانت معابد الهلليسيين ضيئة وكانت تُعزّن هيها كصور كثيرة جداً ولذلك مكان
يحب حمايتها من اللصوص المحليين، كما من العرة البرابرة والدخاق عن مقدّساتهم
وكنوزهم ألف الهليسيون اتحاد المدن الهليسيّة المقدّسة، وقد ظهروا مثل هذه الاتحادات حول
كل معابد الهلينة الشهيرة

ويجب أن نعترف بالإعريق بحصّتهم الوطني العاني هم ينس هؤلاء شهداءهم الدين
سقطوا دفاعاً عن الوطن، فدعواهم أبطالاً ولم يحدّ يهد الشرف إلا الذين قدّموا حياتهم في
سبيل مجد الوطن، وقد قدّموا بهم قرابين على مقابرهم، ولم يندم الإعريق آيات التّجديد
لأبطالهم فقط، بل للغيراء الذين قدّموا قدوة يمكن أن يقتدي المواطنون الإعريق بها ومن
هؤلاء على سبيل المثال، العريب تيسوس الذي دفعه الإعريق إلى مرتبة أبطال الإعريق ورأوا
فيه مؤسس القوة البحريّة الأثينيّة وما أنهم كانوا يصدّمون القرابين على مقابر الأبطال،
فقد اكتسب هذه الأجرة أهميّة خاصّة بالنسبة لدول المدن، وأدّى الأبطال دور حماة المعسكر
المسكّاني المعني بولّة المدينة لقد كانوا يؤدّون الصلوات في هذه الأماكن ويقدمون لصل
بطل قرياناً مما يجب. فقدّموا لهرقل قرابين دمويّة لأنّه كان محارباً أمّا تلتولوس الذي نشر
العمل الزراعي فقدّموا له قرابين من الحيز، وتبعاً لهذه القاعدة كان لبطال المسكيني العريب
دوكسارس يتلقّى كل عام جوّاً رائعاً دميحة. كما قدّموا لبعض الأبطال دنانير من التّبرن،
ولآخرين قرابين من الأكباش، و....

وفي كل عام كانوا يسيّرون المواكب إلى الأماكن التي درت فيها المعارك وإلى
مواقع المآبر الجماعيّة لشهداء السّلع عن الوطن، وكما يصود المسيرات العظمى أكبر
شخصيّات دوله المدينة لقد كان المشهد مهيباً، يطلق الموكب ليلاً على أصواء المساهل،
وبرتدي المشاركون فيه الأردية الأروانيّة. فيدور السيل البشري حول مضابر شهداء حرب
لوصر واعتزافاً بالحميل إلى وهب دمه لوطن، ويعبر عن الشكر لهم، كانوا ينسلون
شواهد عبورهم الحجريّة ويسكنون عليها المنيوب، ويتنثرون الصّحاح المقدّس ويؤنّون طفس
سكب احمرّة تمّ يدار على مشاركين في الموكب كلهم بكنس واحدة من التّبيد وكر
كل من يرشف رشفة منها برّد قائلاً: «إني أشرب نحب من سقطت دفاعاً عن هلالنا»، وفي آخر
المطاف يقدمون دنانير من الثيران السوداء، ويرفعون الصلوات لزيوس، وهرمس المصلي.

وفي زمننا هذا لا يعري أحد الألعاب الأولمبيّة المعاصرة إلى ميدان النشاطات الدنيّة.
ولكنّها نشأت في ليون، القديمه بصفته مطهراً من مظاهر خدمة الآهة. ومن المعروف أنّه
كانت تقام في بلاد الإعريق هديماً مختلف الألعاب السّعيّة، الإقليميّة والإعريقيّة لعامة.

وكانت هذه تتظم مرة بكل أربع سنوات. ولكن أول دورة من دورات الألعاب الأولمبية كانت جاثزية، إذ أقيمت على شرف البطل ميلونوس، وكان غير هذا البطل يصع عند ملتقى نهري ألتيه وكتلاديه. فكما أخذت شبه حريه البيلوبونير اسمها من اسم البطل ميلونوس. ويرى أن هرقل نفسه شارك في أولى الألعاب الأولمبية، وقد فاز بالمباريات الرياضية كلها. ولكن تاريخ الألعاب الأولمبية الأولى غير معروف حتى الآن. بيد أنه يتصور لدى العلماء الآن معطيات عن الألعاب الأولمبية التي أقيمت في لعام ٧٧٦ ق.م. وابتداءً من ذلك العام بدأ الإغريق اقباء (الهليونون) تاريخ أحداث حياتهم. ومن المعروف أن الحروب و لصدمات كنها كعب تتوقف أثناء إقامة الألعاب الأولمبية. وكان زيوس نفسه يحرس الدروب التي تقود إلى أولمبي. لقد كانت الألعاب الأولمبية فعلاً مقدساً وعُدت المباريات لرياضة حزة لا يتحرراً من المراسم المقتنصة. وقدّموا لزيوس وهيرا وسواهما من الآلهة والإلهات، القرابين الثلاثة وكان الظاهر في الألعاب الأولمبية نمطاً مبرراً من قبل الإله هيركول إكليلاً من الريحون المقدسة التي تنمو في أرض المقدس. وفي سلالة كان البطل الأولمبي يحظى بآيات الحد والتكريم التي كانت للآلهة وحدهم. وهذا عن الألعاب الأولمبية كانت تقام في بلاد الإغريق ألعاب هليبية أخرى. ومن أشهر هذه الأخيرة، الألعاب التي كانت تقام في دلفي على سموح جبل بارناس. وكانت هذه مكرسة للإله أبوللون. وبما أن أبوللون كان حارس معتك الفنون، لذلك أولى هذا الميدان اهتماماً كبيراً في المباريات. ولكن برنامج الألعاب كان من حيث أنواعها، هو نفسه برنامج الألعاب الأولمبية. لقد اعتقدوا أن أبوللون نفسه أسس ألعاب دلفي. لقد تبارى هه الشعراء، والموسيقيون، والخطباء، والممثلون لإيمانين و... وكانت المباريات الرياضية تترافق بالعرف الموسيقي وثمة على حداد أحد مياني دلفي نص مقطوع موسيقي مدون بعلامات النوتة الموسيقية.

وعلى غنى كورنثوس (الاسم القديم لإسبس)، كانت دمم ألعاب على شرف الآلهة بوسيدون، فقد كان هذا الإله الرئيس في نك الأنحاء قبل أن يشعل ريوس هذه المكانة. وكان العائرون هيه يفلدون أكتابهم من قصص الصنوبر. وفي وادي بسميس كرتت الألعاب لريوس. وكان قد أسسها الأبطال الصبغة الذين شاركوا في الحملة على طيبة. أما المسرحيات الدينية فقد تحدثنا عنها سابقاً. وكانت هذه تقام في اليونان القديمة. ولكنهم لم تكن أعياداً هومية، إنها مشاهد تروى للمحترفين سمكرسين. وكان الفرص منها صلاح دثرة محددة من لأشخاص على معارف سرية مكيونه. لقد كانت تقام في مثل هذه احتمالات طقوس لم يكن الاطلاع عليها متاحاً إلا للمكرسين. وكانت المسرحيات

الدينية تعرض في شتى مدن اليونان، لكن شهرها فكانت تلك التي كانت تُعرض في أثينا، وفي جزيرة ساموس قديماً.

وقد كانت المسرحيات الدينية التي تعاد في إيليسين في ضواحي أثينا مرة كل عام، مكرسة لأسرار العالم الآخر وكان ذلك إعداماً لسدين يشاركون فيها لانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر. ولم يكن احتفاء مدينتي إيليسين لإقامته المسرحيات فيها من قبيل المصادفة فهي زمرة ما كانت ابنة ديميتر الإلهة كورا تجمع الزهور في هذا المكان مع أثينا وأرطيميس وإد قطفت كورا زهرة زعران انشققت لأرض أمامها وعبر ذلك الشق حمس هاديس إله المملكة السفلية كورا ومضى بها إلى هناك فتزوجها وقد بحث ديميتر طويلاً عن بنتها وعاب الطبيعة كلها جرأاً فقدان كورا - جثت الأنهار، وأفحلت الحقول، فأحرق خطر الموت جوعاً بالثام. وبكى ديميتر عرفت أخيراً مكان استئجارها وطالت بأن يعيدها هاديس إليها دون إنصاف بيد أن ذلك كان مستحيلاً؛ فكورا كانت قد قدمت لبحود لأنها بكت من شدة الحزن لعالم السفلي (من شجرة الرمان). صعدت أمام مجلس الآلهة وحسم الأمر كما يلي بعد أن نالت كورا زوجة هاديس. صار لزاماً عليها أن تقضي ثلث العام مع زوجها في المملكة السفلية أم باقي أيام السنة فتعصيه فوق سطح الأرض. وإذ تكون كورا على سطح الأرض، فإن هذه ترده وتعطى ثمرها. ومع رجوعها إلى لعالم السفلي تفرق الأرض في سبات الشتاء العميق.

وعلى محور الازدهار والسبات، الحياة والموت هذا، بنيت المسرحيات الدينية الإيليسينية وقد بقيت تعرض وفق السيناريو عينه على امتداد آلاف السنين ومنذ القرن ١٧ ق.م. بدأ عرض تلك المسرحيات، وبعد ألف عام أخذ الآثينيون يقربونها وعلى وجه العموم لم يشارك في المسرحيات سوى مسنتين أثين التي كانت تمثل الحبة، وإيليسين التي كانت تمثل الموت.

وكان كل شيء يبدأ هكذا يجتمع في مدينة الحياة أناس كل المرمعين المشاركة في المسرحيات لأول مرة (= البيوتيتيون) ولكن من كان مسطح الالتحاق بعدد هؤلاء فقط العرفون باللغة الإغريقية من لم تتلوث سمعهم بربكاب أي إثم. صف إلى هذا أنه كان ينبغي على الشخص المرشح للمشاركة أن يحضر بحذاء طقوس التكريس الصغرى التي كانت تقام قبل عام من بدء طقوس التكريس العظمى. وبعد أن يكتمل تشكيل الفريق المشارك، كان الكهنة يملون تمثال ديونيسوس من إيليسين إلى أثينا والتمثال هو قدس المسرحيات الرئيس. لقد كانت إقامة الطقوس تبدأ من ثاليرين، وهي إحدى ضواحي أثينا، حيث كان يؤدي هذا الطقس الأول من طقوس التكريس. وقد دعي هذا إلى البحر أيها

المشاركون» وتلخص هذا المطلق في أن كل مشترك (= مست) كان يقود فرح حنيرير ويعوم معه في مياه اسحر. وبعد ذلك كان الميسر يقدم حيوانه ذبيحة في أثينا فهذا الدَّم كان السوفيت يغسل أثاره غسلًا رمزيًا

بعد الانتهاء من الطقس الأول يتبع الموكب مسيره بقيادة ديونيسيوس (= تمثاله طبعاً) والعاهدين الأكبرين. لقد كانت طريق الموكب تمتد في إلفسين. هيسر المشاركون على «الطريق الممدنة» من مدينة الحياه أثين، إلى مدينة الموت إلفسين. وعلى الحدود بين المدينتين كان المشاركون يلدون شعائر خاصة ترمز بعبور الحدود الفاصلة بين الحياه والموت. وكان يقوم على الحدود هنا جسر عبر نهر كيميس. ومع عبور المشاركين الدين كانوا يرتدون ملابس موداء، كانت تنزل اللعنات الطقوسية على رؤوسهم؛ وكانت هذه ترمز إلى إيمانهم شعرياً. ثم يصل المشاركون بعد ذلك إلى مملكة الزعفران. ولم يكن الزعفران هذا سوى اله - زهرة أسصوري. إنه هو عينه الذي فقدت الإلهة كورا حياتها بسببه. وهنا كانوا يقبلون المشاركين بقبول رمزي (= يقبوتونهم) ويربطون بهم على اليد اليمنى والساق اليمنى شريطة بلون الزعفران. ثم كان يسمى بعد ذلك أجتير. حد آخر إنه المستعبد فقد عبوا هذه الأخيرة بيتة الخلق الأول. وكان المشاركون مدحون بها بصفتها غنة العالم الآخر. وبهذا يكون الموكب قد بلغ هذه الأخير إلفسين «الجنة» طقسياً وأسطورياً ولكن ذلك كله لا يعني أن محنة السوفيتيين قد انتهت عند هذا الحد فالرحلة الأصعب والأصعب رعباً ما زالت تنتظر. وقد تلخصت المصكرة في أنه كان ينبغي على كل منهم أن يعاني حالة الرعب من الحيوانات معاناة حقيقية وليست طقسية هذه المرة لقد كان عليه أن يعاني شدة نفسيه قويه لأنه بذلك فقط يستطيع أن يلقي نظرة على لحة العالم الآخر. وكانت أفعال المعاناة هذه تجري في مدينة ثيلبستريون. ثم بعد أن يحرب المشاركون حالة الخوف من الحيوانات في مكان مصلم طليماً دامساً تتردد في أرحائه صرخات وحشة، يظهر أمامهم على حين عرة نور ساطع يريح النفس، وتهادي إلى أسماعهم أنغام موسمه. فلجملة لتضاد في مثل هذه الاحواء هيبة بالغة إذ يمرر بدايتها إلى انتقال لمشاركين في الطقس من الموت إلى الحياه. فيرتدي المتمشون حللاً مبصلاً ويسما هم بمشون حالة الاتصال الممسي. نك تظهر أمامهم الرمز الإلهي.

لقد كان يمكن لطقس التكريس الأعظم الذي يلي طمس التكريس الأصغر. أن يتواصل بعد عام. فيعد أن يعيشوا حالات جديدة من الشدة النفسية، يعدو المشاركون الذين يرغبون في الالتحاق بالدرجة التكريسية لأعلى. «مدركين لما لا يدرك» يتحلّى أمامهم المعزى الإلهي، الزهرة التي قطقتها الإلهة كور.

وكانت إحصاءات أسكريس الأعظم التي وصفاها هنا تمتدُّ سبعة أيام يعود بعضها
«السبعون» إلى مدينة الحياة أثينا وبنى عبورهم جسر نهر كيميوس كان هؤلاء يتعرَّضون
لألدراء طمسي. وكان يجب أن يمهم دس على أنه عودة إلى حياة جديدة
وفي مسرحيات ديونيسيوس الأكثر قدماً التي كدت تقام في دلفي، كانت تشارك
الكاهنات - المخبونات (= الميناديس) عهد لهنَّ بالدور الرئيس فيها. وكانت هؤلاء تدفن
بأنفسهنَّ حتى حالة الحنون ثم يقطن الحيوان الإلهي دبيحة، ويلتهم جسده ودمه. وكان ذلك
يعني ابتعاث الإله، وتحقيق فعل «الزواج المقدس» كما كانت لحنة رمز انتصار الحياة.
ولذلك كانت ألكهفات تحمل تعابيس حية تحب ثيابهنَّ ورثما لهذا السبب وضمن بالحنون.
ولكن سيناريو تلك المسرحيات تغير مع مرور الزمن فكف المشاركون عن شرب
دواء حيوان الدبيحة بيد أن جوهر المسرحيات بقي هو عينه ولم يتغير إلقاء نظرة على العالم
الأحر عبر بؤغ حالة الشدة النفسية ومع سوقها عرضها حتى المعالم ٣٩٦ م. عند دس
الويستفوط معد ايليفس وبهيم.

مجمع آلهة الرومان

لم يكن لدى الرومان القديس أنفسهم مجمع آلهة خاص بهم، لأنه لم يكن لهؤلاء آلهتهم الخاصة ويقدرون ما تفكر أكثر في جوهر المجتمع الروماني القديم بقدر ما تكتشف من العناصر المشتركة بينه وبين المجتمع الأمريكي المعاصر بنعمته، وتدني مستوى ثقافته لشعبه، وفقره الروحي، وغيب الخيال فيه، وحرره الإيمان الحقيقي منه والحديث لا يجري هنا عن إيمان اصطناع من لعل، بل عن الإيمان النبع من القلب، أي ذلك الإيمان الذي لا يسألون عما يعطيه، أو عن حاجة المجتمع له فالروح والإيمان هما أس الحياة، والملاط الذي يضمن رسوخ البناء الاجتماعي. وعند الرومان القدماء متبدل بهذا الملاط الإسماعي رمل لتفعية وتحقيق لمكسب الفردي أو الاجتماعي لا فرق) ولذلك انهارت التراتبية الاجتماعية الرومانية، على الرغم من أن صول بقائها يثير انصباعات كثيرة أمّا النظام التراتبي الأمريكي العالمي الجلف المظن، فإنه سوف ينهار أسرع كثيراً، لأن البناء كله مبني على هذا الملاط الإسماعي المتين وبغير هذا الامسان الصادق النقي بالقوى العلية، سالفى الأسمى للحياة، فالأرصدة المبرهنة لا يمكنها أن تحل محل هذا المسمى، ولذلك هازم النهاية لأسسوية لهذه الحضارة التي قدست العالم كله تقرباً، من قرونه، وأحرقت فيه كل ما هو حي صادق، ودمرت كل ما هو سام ونبل، نهبتها هذه دست قريبة قسم يحسن لدى الأمريكيين، ولا يمكن أن يكون لديهم دستوييسكي، وتولستوى وشيخوف. وتشيجيمسكي فظامهم ليس مبرمجاً لإنجاب مثل هؤلاء

ولم يكن ذلك مبرمجاً لدى الرومان أيضاً فروحهم لم تتصل يوماً بالآلهة، بل كانوا ينتقون هؤلاء حسب الحاجة، عند الضرورة. وقد راوا أنه ما دامت القوة موجودة، فلا حاجة للروح. وعندما كانوا يقهرون الشعوب الأخرى كانوا يبدلون آلهتهم أيضاً فسوا لهم المعبد، لكن ليس إيماناً بهم، بل طمعاً في تحقيق المنافع من هؤلاء الآلهة المستبددين وراوا أنفسهم بتعطشهم لتحصيل اسافع الاجتماعية من الآلهة، وكان يحب أن يسوع هذا لهم كل شيء، إن

التأريخ لم يعرف شعباً على الإطلاق كان حقراً كالكثوثومان إلى لمصر الرئيس الروح والإيمان.

وعني عن البيان ر مثل هذه الحال لم يكن أزلّة، وإنما تشكّلت مع برسيح أركان الإمبراطوريّة الرومانيّة، وقبل ذلك كان سكان إيطاليا يؤمنون بالآلهة والمعبودات، مثلهم في هذا مثل الشعوب الأخرى كلها لقد كانت لهؤلاء تصوّراتهم عن آلهة السماء التي ورثوها عن معتقدات الماضي الهندو أوروبي البعيد ولم يكن هؤلاء الآلهة قد نُظموا بعد. فلم يكن لهم مقر و حد ثابت بل كانوا يقيمون في مختلف لأغال. وكان سكان إيطاليا يخاطبون إلهتهم هكذا مغريباً: «أعيوناً أيها اللاري، لا تسمح يا مارس بنزول الأمراض والخراب على الكثيرين. اضع يا مارس القاسي اقمز على العيبة، وابق هناك. سوف ندعوكم بالنسب يا سيموني» والاري والسيموني أرواح. تحرم الأولى الناس وتحرم الثانية امزروعات كما كانت هناك أرواح للمياه. والأنهار وقد تحيلوها في صور. ذبّان رهبة جامعة. أو هتبات أسرّات رخيماّت الصوت ودعواها بالكارمينات. ومعنى كلمة «كارمين» بالإنجليزية «أعنية» وكانت هناك أرواح للعناصر، والأشياء، والمواد الأخرى لقد كان كل شيء مكلّواً بالأرواح وكثراً ذلك إن حثلاً واحداً من المعلومات كان يمتدّ عبر كل شيء ولذلك لم يكن ثمة مغرّ في أن تعطى الأرواح والمعبودات أسماء أو علامات مميزة كما لم تكن هناك حاجة لرسم صور لهؤلاء. ومنعهم صورة إنسان، أو حيوان، أو هيئة تجمع بين الشكّين. لقد ظهر الإيمان في صورته النقيّة البدئية، بعبر تسميم الآلهة وتوزيع مبادئ أسمو عليهم. فلم نقاس الآلهة بعضهم بعضاً، ولم نراوجوا ولم يلاحق واحد منهم الآخر، بمعنى آخر. إن هؤلاء لم يسلوكوا سلوك البشر وبقوا آلهة، وبمعنى أدق كانوا مجلّين إله واحد أحد ويقدر ما يكون الإنسان أقرب إلى الطبيعة، بقدر ما يكون تصوّره عن العالم المحيط أكثر دقّة وقرب من الواقع وما له دلائله أن بعض الأرواح لم يكن ينتمي إلى أي من الجنسين، وهو أمر طبيعي لقد كان المحيط مليئاً بالأرواح فكلّ تل من بلال روما السبعة روجه نحاس: إلهة وكانوا يقدمون الضرايين لكلهم، مرّة واحدة يوم العهد المشترك الذي كان يدعى التلال السبعة وكان الرومان. والسّابّين قد اسوطوا تلك الأماكن وكان لكل منهم لغة مختلفة. وقدّم الرومان - لإيطاليون الضرايين لأشجار البلوط والتّين وما شابه وعندما كانوا يعممون اليمس كانوا يشهدون على ذلك الآلهة والأشجار. وفي روما نفسها كانوا يجلّون شجرة التّين أسمى تيجيل. لقد

كانت تلك هي شجرة التين عينها التي أرضعت الذئبة تحت ظلها مؤسسي روما ريموس ورومولوس.

وقيل أن تظهر الدولة كانت عبادة الآلهة قوية جداً في كل عائلة (= عشيرة) رومانية. وكان رب العائلة هو الذي يقيم طقوس عبادتها ولم يكن يسمح للغرباء بحضورها، لأن ذلك عدّ كفراً وإضافة إلى لعائلة (العشيرة)، كانت هناك الطوائف الرجالية وصغار بقوم شعتر طقس لديعة هنا، الشخص الذي تختاره الطائفة وكان من الضروري أن يُصنف هذا بالصفاء الثانية: أن يكون تجوز الحمسين من عمره، ألا يكون فيه أي عيب جسدي، وأن يكون مدبوكة نموذجاً يحسد به، أما الشيء الأهم بالنسبة للحياة، فهو المحصول الجيد ولذلك كانت الطوائف (كوريات) الرجالية تقدم قرايين لإلهات الخصب وقد كنّ كثير

بعد كان المجتمع الروماني يتألف من عشائر وكوريات ولكن رويداً رويداً أخذ تنوهد إلى المكان مستوطنون جدد ولم تكن أعدد هؤلاء قليلة. وقد حمل هؤلاء اسم بليس، بينما حمى أولئك الذين كانوا ينتمون إلى عشيرة من العشائر أو كوريات من الكوريات اسم باترسي وكان بدهماً أن يُعدّ الباترسي أنفسهم سادة المجتمع الروماني. ولم يُسمح للبليس الو فدين بحضور احتفالات السكّان الأصليين (= الباترسي)، كالاتعمال بآبياد أقدم آلهة الرومان، وقامة الطقوس المرتبطة بتأسيس روما. وما شير الحصول أن الباترسي عدو آلهة معرفة في التجريد مثل الشرف، والأمانة، والنصر، وأوقات

ومن الوجهة النظرية كان ذلك صحيحاً تماماً، ولكنه كان خالياً من أي روح أما البليس فقد كانوا أناساً يتميرون بالحيوية في أحاسيسهم، ومعتقداتهم وإدراكهم للأشياء، ولكن قدرهم هو الذي ساقهم إلى روما من مختلف الأنحاء من راصي أريسيا، وموسكول، وأبانيا، وتيوزا وقد حمل هؤلاء معهم إلى روما أرواحهم وآبئتهم الحية ومن هؤلاء الآلهة، الإلهة هورتونا التي تأقست مع روما. ويبدو أن الملك الروماني السادس سيرفيوس توليوس كان نصير البليس فقد أسس معبداً لهورتونا، ووضع فيه تمثالاً خشبياً للإلهة، وهو الأمر الذي كان غريباً من معتقدات الباترسي، وعلى امتداد لطور المديد من تاريخ العلاقات بين الباترسي والبلين، كانت طقوس خدمة الآلهة تقام على حدة، ولم يُسمح لأي تدخل كان وقد انسحب هذا الشحريم الصّارم حتى على المسائل ذات الطابع الاجتماعي فالتشجيم على سبيل المثال، كان شأنها شيوعاً واسعاً عند الرومان ويسود

موقفهم منه اُسْم بكثير من الحديثة فيبر رأي المجسمين لم يكن ممكناً تحديد أيّ عمن له أهمية اجتماعية تذكر ولكن لم يُسمح لليليس بحضور مثل هذه المؤتمرات ومعنى هذا أنهم أخرجوا خارج الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع الروماني وفُني عن البيان أن دست أعاق تطوير بء الدولة

ولم تظهر الدولة الرومانية وتترسّج أركانها إلا بعد أن تمّ تحاور النباين بين حقوق الباتريسي والسلبيس فقد كان السلبيس وألهمهم الشريان الحيوي الذي عدى بنية دولة روما ومع ذلك كانت قيادة الدولة والمجتمع بيد الباتريسي. فقد كان هؤلاء رمزاً للماتحين الأوائل، وحاولوا إخضاع كل شيء لنفوذ هذه المكرة بيد أن هذا كان موقفاً براغماتياً صرفاً وبمرارة طاهره نوه الشاعر الروماني هرجيلوس إلى أن الثرية الرومانية لم «تتحرب بمحركات الإيمان، ولم تبدر بيدار الخيال الديني، فلم يكر موحداً هنا أي شيء مما يشبه الرادشيتيه، أو لبودية، أو حتى الهندوسية لقد فهم الباتريسي الدين نظاماً من المعايير معداً إعداداً دقيقاً وقد وظفت تلك المعيير كلها لخدمة غرض واحد. بلوغ الهدف المحدد (بغير حسائر زائدة) أمّ المعايير فقد كانت تحدد بدقة، إلى أيّ إبه يبعي التوجّه، وفي أيّ صيغة، وأي عهد يجب أن يتحلح أمامه أدن يتلخص فهم الرومان للدين في بلوغ الهدف المحدد معبياً بأقلّ الخسائر المادية والمعنوية. ومن الواضح أن هذا النظام الاجتماعي الديني الذي بناه الرومان، شكّل لدى المواطنين مراحاً ذات طابع خاص فقد كان ذلك النظام موحداً لتطوير حسّ اليقظة، وحسن التدبير، والدقة، وقوة الشكيمة وقد نمت عندهم في غضون ذلك روح الشككية. وكان صبيغاً أن تعيب روح الخيال. ومن المدهي أنه مبر الخيال لا يمكن أن تكون هناك فلسفة، أو شعر، أو دس حقيقي، أو هن. وقد رأى الرومان في هذا كله أشياء زائدة لا لزوم لها واتخذوا من الشعوب التي كان لها مثل هذه الإبداعات: لإغريق، والعصريين، والسوريين، والأرمن، موقف ملبشاً بالعصرسه والكراميه. ويدكرنا هـ الموقف الملتصبرسين الأمريكيين المعاصرين الذين يعتقدون أن بإمكانهم تقرير مصائر الناس والبلدان في كل بقعة من صاع الأرض، لكنهم في الوقت عيه عاجزون عن رؤية عجزهم ومحدودتهم. ولا يعمق هذا الأمريكيين عن سلب الببدان الأخرى كل ما يرويه ضرورتاً لهم. وكذلك كان يفعل الرومان أيضاً، إذ نقلوا آلهة الشعوب التي قهروها عنوة إلى بلادهم آمين أن يؤدي هؤلاء لهم الخدمات المرجوة وكان أوهيديوس قد وصف هذا المشهد في مصيدته اسعمية

«استاء»

صمم ليصاكنه إذ استعرض الأفعال لقدريّة في لاغاني الايبية.

«ينبغي على الرُّوماني أن يجد لنفسه أمّة

من هي هذه الأمّة وأين تقيم؟

الآباء - أعضء سينت روما في حريم.

«لا يدّ من أن يُسال أبوللون.

ويزد أجاب هنا على السؤال:

«انثوا عن الأمّة في لآلة الخالدين على حين إيذا «فرمحي».

وكذا الملك أثال قد امتلك فرمحيّا عدتني باسمو لحاد.

نسم بمنح مو فقه للسّجارة التي وصلت من روم

وحدثت، لمحزة. لقد ارتخت الأرض حتى أعماقها.

وانفجر صوت الإله المختبئة في الحبال.

«أريد أنا أن أكون في روم. حلوني دون تنكير.

سوف تعدو روما بعد الآن ممكن لآلة الخالدين»

إذن سم يكتف الفرة بما كانوا ينهيون، بل أرعموا الآلهة أنفسهم عس بيرير
نهيهم وتمجيده، فالإلهة طلست نفسها حكم رايف، أن تمقتل إلى روما ولم ينتزعها أحد
من أحضان الشعب الذي أنجبها وعلّق عليها آمال مستقبل. وظهر الأمر كأن الرُّومان
قوم نسلهم. إنهم لا يسمون إلا ما يحقق مصالحهم وهكذا يفعلون اليوم عبر آبهين
بالأحرين.

وكان أوغسطس لطوياوي (٣٥٤ - ٤٣٠ م) معقاً عندما لاحظ أن الرُّومان جعلوا من
الهة الأحرين بحارة عندهم فقد نقلت القوآت الرُّومانية تمثال الإله أوبي من المدينة
الأيتروسكيّة العظمى أو المحتلة فيبي وحاعت به إلى روما وكان الجسود قد تسلّو إلى
المعبد عبر ممرّ أرضي وسرقوا تمثال لإلهة ولم تكسر هذه هي لمرّة الوحيدة لتي سرق
الرُّومان فيها الآلهة هي العام ٣٦٤ ق م مثلاً، نقل الرُّومان إلى روما تمثال الإلهة بورتيا الذي
كان يقوم في معبد مدينة فولسبي الأيتروسكيّة وقد فعلو ذلك لكي تصع الآلهة للرُّومان
الحير وية موطن الإلهة كانوا يدقون كل عام مسماراً ذهبياً في حدار معبدها ولعكي تبقى
الإلهة على نشاطها المعتاد، أقام لها الرُّومان السّطيم الذي اعادت عليه عيه فحملوا معهم

للسامبر المذهبة من هناك وصاروا يدهشوا واحداً منها كل عام في جدار معبد جوبيتر الكابيتولي.

من آسيا اصغرى حمص الرومان إلى روما أم الآلهة، الإلهة كيبيللا. وقبل ذلك بقليل كان قد سقط قرب مركز عبدة كيبيللا حجر ميركي أسود اللون. وقد عُذ هذا الحجر بمثابة الصورة السماوية لأم الآلهة فأقيم الحجر في معبد مدينة بيرغاموس وأراد الرومان امتلاك تلك المادة المقدسة أيضاً. فانسرعوه من الشكك الأصيلين وشحنوه بحراً إلى روما ثم شاعت إثر ذلك حكاية خرافية وضعت الرومان موضع الإككار ولتمجيد فرعموا أن الأمر كان على الوحة التي في الطريق جمعت السفينة التي تحمل الحجر السماوي واستقرت في مكان مبهمة صعبة لكن عذراء فستالكا أنقذت الوضع وكانت هذه كاهنة الإلهة فسدت لقد عجز الفريق كله عن رحرحة السفينة من مكانها ولكن الإلهة فسداً ما ركت استمال الإلهة العربية إلى روما (لشوع الأخلاقي) ومراً أخرى يظهر الرومان في أعلى قمة اسمكم الأخلاقي، في السمو الإلهي (من وجهة نظرهم) وفي روما وصعوا الثيرك المقدس في معبد فيكتوريا ولم يكن مد من قبل المصادفة، ففي تلك الأثناء كانت تدور رحى الحرب النوبية الثانية (- الحرب ضد هانيبعل)، كان كلهم يمسك بالتصبر (هيكوريا).

وحملوا مع كيبيللا إلى روما معشوقها، الإله أنيس وكان هذا الإله إله الميانات. ولذلك كان يموت وحيماً سورناً كالرهور. وتذكر في السياق أن الرهور وكذلك الأشجار بنت من دماء أنيس وقبل رحيلها إلى روما كانت الإلهة كيبيللا شديدة العيرة على حبسها أنيس وبذلك حصى الرجل نفسه في واحدة من نوبات جنونه وقد وقع الحادث بحب شجرة صفوبر ثم تحول بعد ذلك إلى صقش مربع ونلخص في إقدام الصهنة - لئال عسى فعل ما فعله أنيس في حينه إخصاء أنفسهم لقد عمل الرومان عسى إرضاء كيبيللا، لأنهم حشبوها إن لم يفعلوا أن تعرف الإلهة عن مساعدتهم وإلزامهم طقس الإخصاء هذا ستقدم رومان كهمه عاليين إلى روما ولم يرعهم عن ذلك يكون القربابين الدموية تخالف الدين الروماني، والمعايير الأخلاقية الرومانية الرسمية فقاموا بذلك الطقس الشرقي الدموي على مقربة من معبد الإله فسداً التي كانت رمز العفة

وهكذا مع مرور الزمن كان قوام الآلهة لرومانية (المسحطين في روما) ينفذ تمثيل
جوهرياً فقد كان هؤلاء جماعة شديدة التنوع وكانت أحلاق بعضهم وطقوسهم تناقص
أحلاق بعضهم الآخر وطقوسهم ولكن هذا لم يزعج الرومان أبداً فالأمر الأهم بالنسبة إليهم
كان يتلخص في استغلال الآلهة كلهم، وبما أنه لم يكن لديهم آلهتهم، لذلك استخدموا

الغريباء، فقد كتب فرجيليوس يقول:

لم نعر الثيران أرضنا:

نلقته النار من حياضهم

ولم ندخل أحاديثها

نوب اندر الرحشة،

ولم نرتفع رملع الرُحل

المستعدين لخوض المعركة في سبيلها

وفي عهد تيطوس قاتوس جرى نقل بعض آلهة السابيين إلى روما ولما اعتلى عرش روما
الملك الساببي نوما بومبيليوس، ضاعف عدد آلهة السابيين في روما وكان هذا قد أبحر
تشكيل الديانة الرومانية، وأنشأ التقويم الروماني، وعندما ملك في روما الملوك
لابيتروسكيون من ل تركويني، ظهر على الكابيتول الآلهة الإيتروسكيون أيضاً ولم يبق
من آلهة الرومان إلا قحاح هنا سوى ثلاثة: مارس، وجوبيتر، وشرميس، وبعد أن استولى
لرومان على المدن الإمبريئة في حربي إيطاليا، قسمت في روما عبادة أبولون وكان
لا يزال يدعى وقتئذ باسم ميديكوس. فالمسألة الطيبة كانت عندئذ مسألة ملحة جداً لأن
لرومان كانوا في أول عهدهم بالأومنة ما قبل ذلك فلم يكن مناداتهم إلا مع الحمى، وقد
حاولوا إثناء شرها بتقديم القرابين للإلهة التي حملت الاسم عيسى حمى وحلها
للابيتروسكيين، لم يدرك الرومان ضرورة تعاد مصدر الحمى المستفحات فجعلوا أبولون
صداً للعداء، ثم أنه استكليبوس أصبح كان إله المداواة وطقو، عليه اسم إيسكولاب
وحصصوا له أرضاً على جزيرة صغيرة مقابل سوق الثيران. وصاروا يقتلون لعبيد المصابين
إلى هناك، حيث يجب أن يعتني بهم الآلهة إيسكولاب ويبدو هذا سلوكاً سلوكاً عملياً
حداً للوهلة الأولى، بل سلوكاً يرضي الآلهة فلم يرم الرومان أرضي ليلاقوا مصيرهم،
وأنما وضعوهم تحت عتية الإله وقد كانت هذه الأخلاق الأرذالة تسم بطائفتها مباديين
نشاهد الرومان كلهم

وليس أدل من كلمات أوكسطين الطوباوي في كتابه «مذبة الإله» على المذبي الذي
بعبه الرومان في استبداد أم الآلهة

« هل يمكننا أن نستذكر كل أسماء الآلهة أو الإلهيات لتبين بالكاد استنصاع الرومان
انصهم أن يحشروها في محلات ككاسة فحشى حراسة القرى لم يأتهم
ارومان عليها إلهاً لوحده، وتكثفهم وصمو على القرى الإله رورينا، وعلى قمم
الحبال الإله حوغمين، وعلى المنال الإله كولاثينا، وعلى الوديان الإلهة
واللوسا وبم يكن بمصودورهم حتى أن يتخيلوا سيعيت بمكهم أن يأنتموها
وحدها على موسم حي المحاصيل: حسب رأيهم أن البذور المروعة تبقى في
عهدة الإلهة سيبين صالما هي في قلب الأرض، لكنها بعد أن تنبت وتخرج إلى
سطح الأرض تعدو هي عهدة الإلهة سيبيتيا وعندما يحصد الررع أحيرا
ويجمع، تنتقل مهمه الحصاد عله وحمايته إلى الإلهة ثوبلينا فمن يستطيع
ادن أن يتصور أن الإلهة سيبيتيا عاجرة بمصردها عن حماية البور التي تحولت
إلى بقات ثم إلى سنابل كم أشرك الرومان الإلهة رورينا هي شؤون زروع
الأرض، واستدعوا إله ثودوت للاهتمام بكوب السبل وزرعها، والإلهة
هاليوتيت لحراسة أكمام لسابل، كانوا يعهدون بها إلى إلهة باتينا وعندما
كانت السنابل الجديدة تغطي الحقول، كانوا يعهدون بالمحاط عيها للإلهة
هو ستيليا، لأن السبل الجديدة نموّض القديمة إذا صحّ القول أما الزروع
المهررة فقد وضعوها هي عهدة إلهة فلورا، والممثلة هي عهدة الإلهة
ليكتوروس، والناصحة هي عهدة الإلهة ماتورا، والمجنبة في عهدة الإلهة
رونسين. إن انقلب الذي فسته هيا، لم أقله إلا لكي انس أنه لا يمكن للرومان أن
يقولوا بأي حال من الأحوال، أن الإمبراطوريه الرومانيه قد قامت على أيدي
الآلهة الذين عهد لكل منهم بوظيفة واحدة، وإن أيا منهم لم يعهد إليه بالآمر
المشسر له، وفي واقع الحال، كيف كان يمكن للإلهة سيبينا أن تمكر في
شؤون الدولة، د كان لم يسمح لها بأن تعتني بالشجر إلى جانب اعتنائها بحمي
المحاصيل؟ وكيف لكونينا أن تهتم بالمعارك إذا كان محرماً عليها أن تبعد
عن مهود المواليد؟ لقد كان كل يضع أمام منزله حارساً واحداً فقط، وبما
أنه إنسان، إذن هذا كاف تماماً ولكنهم لم يكتبوا محارس واحد، بل وصمو
ثلاثة آلهة حراساً: دور كول للأبواب، وكارديا للحلقات، وليمينتين لعتبة».

لقد أظهر الرومان عملياً كل تلك الماهيات التي يعجز الناس ببسبها عن العيش حياة طبيعية فقد أبدوا تذلاً وخنوعاً لا مثيل لهما أمام مواطنهم الذي كان والحق يقال إمبراطوراً وحدث يحرق هنا عن الإمبراطور أوكتافيان الذي اعترف الرومان به إلهاً وكأنه كان لئن ذلك التأييد أمسه، فقد أعلن أوكتافيان رسمياً انتهاء الحرب الأهلية، وتجديد الجمهورية فَمُنح لقب أغسطس (= المعظم) ولم يحظ بمثل هكذا تعظيم من قبل سوى الإله جوبيتر ثم تدحرج كل شيء بعد ذلك ككرة الثلج والواقع أن حاة من الجنون قد سيطرت على الرومان بعد ذلك فأخذوا يتساقون لإظهار مزيد من التذلل أمام شخص سفك دماء كثيرة لقد معدّ المواطنون كلهم الإمبراطور - الإله، ورأوا فيه وحده المنقذ ومن حيث لمشأ مكان أوكتافيان من مرانه. ولكن أساقفين الذين لم يكن سفاقهم جنود (خاصة الشعراء)، أدرجوا شخصيته الإلهية في اللوحة المثلوحة لمشوء روم فاعلوه إيباس الناسي ناره، ورومولوس أسألت نارة أخرى لقد صارت عبادة هذا «بعود الحسد في كل بيت ورأوا فيه حارس موقف اسرل، وأب الوطن. وما أن إلهاً حداثاً قد صنع، إذن لا بد من تأسيس جماعة كهنوتية جديدة تقوم على خدمة هذا إله وقد حمل هؤلاء اسم الأوغسطالين وكان تقديم القرابين لإله جديد من أهم وظائفهم. ولم تقتصر عبادة على الإله أغسطس وحده، بل امتدت لتشمل أفراد العائلة الإلهية كلهم ولكن روحه أغسطس كاتب واحدة من أكثر أسماء التاريخ لروماني ضرور، ومع ذلك منعت اسقب الإلهي. وبحب الأ نظن أن هذا كن أمراً شكلياً، أو مفروضاً بالقوة، أو أن الناس ألترموا به خوف على حياتهم، لقد قبل الرومان ذلك بملء إرادتهم فسجدوا أمام الشخصيات الإلهية إنه الجنون بعينه لم يرغم أحد الشعب على ذلك، ولم يمكن حظر معسكرات لاعتقال مائلاً. بل كان الأمر على العكس من ذلك، إذ اتخذ الإمبراطور إجراءات لحد من المداينة في إظهار آيات الولاء له ولكن محاولاته باءت بالفشل فتنازع روم ككها وحاداتها كانت مريضة بيمانيل فضيحة للإمبراطور، وشيئ في كل قرية معبد واحد ككعد أدسي، لإله الحديد

السلطة السرية للدرويديين

لقد كانت سلطة الدرويديين على الناس عظيمة إلى درجة أن الملوك أنفسهم لم يجرؤوا على معارضتهم فعلى ماذا استندت تلك السلطة؟ لقد استندت على لمعارف المكتومة عن الآخرين فالدرويديون كانوا «مكشّسين» وتوفروا على معارف فريدة لا يستطيع حياها سوى أن نحسّ وحسب، لأن ما بين يديها عنها لا يتعدى المقطع والثقب المبتسر، وبحر لا يعرف إلا لنثر السبر عن الدرويديين، لأنهم أنفسهم لم يدونوا أي شيء لا في عملية نسيم ثعالبهم، ولا في شططهم العملي ولذلك حصوا معارفهم كلها تقريبا معهم إلى القبر.

ومعنى كلمة «درويد» عيبها، هو «نسان شجر البُلوط» وكان هؤلاء في واقع الحال كهنة ولكن بالمعنى الشامل للكلمة فلم يكن الدرويديون مجرد كهنة عاديين يقومون على خدمة أسدين، بل كانوا أحياء أطباء، وقضاة، ومؤرخين، ومعماريين، وفلكيين، وشعراء، وعلماء قصارى القول، إن الدرويديين نهضوا بكل الوظائف التي يعجز المجتمع عن البش بغيرها ولذلك كان الالتزام مبرماً بمرأى العين ألا يصل إليك شيئاً مهماً إلا بعد أن يسمح الدرويد.

لقد كان الدرويديون أكثر السحرة مهرة، ولم تكن سلطتهم على الناس سلطة وهمية وكانت الكلمات التي يطمنون بها تفعل فعل الحير أو «مس الشر» وهم يمكن هؤلاء يتنبؤون بوقوع الأحداث فتص بن كانوا يستنزلون اللغات على الناس كذلك فالامبراطور الروماني، الإمبراطور سيفروس (القرن ٢م)، استحق لعنة الدرويديين، فتعمقت لديه فقد روى لنا المؤرخ الروماني لامبريديوس أن متنبئه عاليه صاحت في وجه سيفروس دقابه قائلة: «امضي! امضي! قلن نرى النصر بعد اليوم، ولا تنتظر الإخلاص من حذائك، وسرعان ما هقل اجنود الرومان إمبراصورهم بعد ذلك اللقاء».

فهم يكن لدى أحدهم ريب في أن الدرويديين حملة بالآلهة والحقيقة أن الدرويديين كانوا سادة الكلمة كما لم يمدّ عليها أحد، كما كانت لهم قدرة مذهشة على سماء المعلومات من حقل المعلومات الكوني وتلقيها من العقل الكوني عنه، فقد كان للدرويديين

حق تسمية الناس. وقد منحوا المدن والاماكن اسماءها أيضاً. لقد عقدوا المحاكم القضائية،
 وهم يخطونوا في استقرء نتائج المعارف، و... وشئ مشهود له. لآلته في هذا السياق. بعد احبر
 الدرويديون يوماً إحدى القبائل الغالية بأنها سوف تمنى فوزية ماحقة في المعركة المزمعة.
 فعند هؤلاء قبل المعركة إلى قتل اطفالهم وبناتهم لكي يجنيوهم ادلال الأعداء لهم،
 وتحويلهم إلى عبيد. ولم يكن هذا مشهداً فريداً، فأخبار مثل هذه الاحداث تتكرر كثير
 في مؤلفات المؤلفين الرومان. والواقع أن شهادات المصادر الرومانية لا يركز إليها دوماً لأن
 الرومان الذين اسننوا على أراضي الدرويديين، عالماً ما حانبوا الموضوعية في حكمهم.
 وعموا دائماً على الشهير بهذا الشعب. لقد كان هذا شعباً فريداً بكونه لم يعرف نظم
 الدولة المعروف، على الرغم من أنه كان يشغل أراضي أوروبا اماصرة كلها فلم يكن
 الدرويديون احصون ولا القلاع. وفي القرن هـ قم استوطنت القبائل السلتية وسط أوروبا
 وشرقها، ثم انتشرت بعد ذلك في اسبانيا وشمالي إيطاليا، وشمال شبه جزيرة البلس،
 واستقرت في البحر اسريطانية. وفي العام ٣٩٠ قم استولت قبائل السلت على روما وفي العام
 ٢٨٩ قم دمر السلتيون مدينة دامي اليونانية واندفعوا إلى أعماق إقليم غربي آسيا ولحقتهم ثم
 يعملو على ترسيخ فتوحاتهم بتأسيس مونة عسكرية قوية. دل لم يؤسس السلتيون مستعمرات
 على الأراضي التي استولوا عليها. ولذلك فإنه يصعب أن تصفهم بالمدنيين، لأنهم لم يسعوا إلى
 احصاء السكّن المحليين لسلطنتهم، وإنما اندعموا باشعوب التي هموها

ولكن كيف منح ذلك المعشر الذي لم تكن لديه أحهر إمارة مركزية، أن يعيش
 مثل هذا الرمن الممد حكمة؟ وعلى ماذا استندت تلك السب الاجتماعية، تلك الحصرية؟ انها
 المعارف وحسب وهو حدث فريد في تاريخ البشرية

فدلقائع تشهد بأن القبائل السلتية المبشرة كانت تمثل سبة حضارية و حدة. فهي
 مختلف ارجاء أوروبا (في أراضي فرنسا، والدانمرك، وأيرلند، وشبه جزيرة ايبيريا،
 و لبلقان)، عثر لآثاريون على صور آله السلت القدماء. ورموز عبادتهم كما عثر أيضاً على
 أجزاء نمطية من اسلحتهم، وأشكال حبو منهم، وأشياء أخرى كثيرة. وكانت أشياء حييهم
 بدورها من النمط التقليدي المعروف عيه (المجدولة). إن مثل هذه أسقى الآثارية كثير جداً
 صعب إلى هذا إنه كانت لهم عبادة مشركة قامت على نظام ميثولوجي و حد، والإيمان
 بالآله عينهم

وما يؤسف له أننا لا نعرف إلا القليل عن هؤلاء الآلهة وأشياء أخرى كثيرة في حياة
 السلتيين ومع أن شهادات الرومان ليست موضوعية، إلا أننا مع ذلك سوف نسوق شهادة

بوليوس قيصر فهي كتبه لسانس من «مذكرات حول الحرب البانيّة» ساق قيصر لوصف
 الثّاني درويدين: «يشترك الدرويدين مشاركة شطلة في تأديب صقوس العبادّة، ويتأبسون دفع
 الالتزام بتدعيم الصرايين الاجتماعيّة، ويشترجون كل لمسات ذات الصلة بالدين، ويتوافد
 عليهم كثير من الشباب لتسقى العلوم، وهم على وجه العموم يحضون لدى العاليين (أي لدى
 السّلب) باحترام عظيم فهم الدين يعضلون في لمسات الخلافة كلها تقريباً، سواء كانت
 اجتماعيّة أو خاصّة. وإنّما تمرّد على قرارهم فرد أو شعب، فإنهم يعبونه عن المشاركة
 في تقديم النّبيحة. وكان هذا أشدّ العقوبت مرارة فمن يعد بمثل هذه الطّريقة يعدّ كافر
 بالآله، ومجرماً يتعدّ عه جميعهم ويتفادون لقاءه أو الحديث معه كأنه يحمل وباء معدية
 وعهما قدّم من شكاوي فإنّ أحداً لن يعقد محكمة من أجله، ويمقد حقّه في شتم أيّ وصيفة
 كاسته. وتترغم الدرويدين شكلهم رغب واحد محطى عندهم بتدبير عظيم، ويحصه بعد موه
 الشخص الأكثر حداره، وإذا كان هزلاء عدّه يجا الدرويدين للتصويت، ولكنّ التّراع
 حول لمساته كل بحسب بقوّه السّلاح في بعض الأحيان. وفي وقت محدد من السنّة كان
 الدرويدين يجتمعون في مكان مكرّس يقع في بلاد بكاروتيين (بريتانيا)، التي كانت تعدّ
 مركز عبادة كلها، فيتوافد إلى هناك كل المدّعين من كل حذب وصوب ويلتزمون بالإرادات
 والأحكام الصّادرة عنهم لقد كان الاعتقاد السائد، هو أنّ علم الدرويدين ملهم في بريطانيا
 وانتقل منها إلى عالي، وحثّى لأن يمضي الذين يرغبون في التّعرف على هذا العلم بشكل
 كامل. إلى هناك لدرسته

ولا يشارك الدرويدين عادة في الحروب ولا مؤثرون الأساوات وسمي كثيرين إلى
 مدرستهم إمّا برغبة منهم، أو مراً بعد إرادة الأصدقاء والأقارب. ويرى أنّه يسمون عبيداً كمّا
 من الأشعار بقضي بعضهم عشرين عاماً في مدرستهم ليعمّله. وهم يروى بشأ كبيراً في
 كتابة أيّ شيء مما يرمى به. وصبّ محاولات الدرويدين أدختر ما تصبّ على ترسيخ
 انصاعة يخلوّد الرّوح. حسب تعليمهم أنّ الرّوح تنتقل مع موت جسد «إلى جسد آخر» وهم
 يعتقدون أنّ هذا الإيماء يزيج عبء الخوف من الموت، الأمر الذي يحصر روح لشجاعه والإقدام
 وعلاوة على ذلك ينقل الدرويدين إلى تلاميذهم الشّبان معلومات عن الكواكب وحركتها،
 وامتداد المعمورة والأرض التي يعيش عليها، وقوّ الآلهة الخالدين وعظمتهم:

وبصرف النّظر عن حديثنا السّابق عن لا موضوعيّة المصادر الرّومانيّة نحاه أمدائهم
 الدرويدين، إلّا أنّ ما أورثناه هنا يوافق واقع الأشياء وفي الأحوال كلها فإنّ مصدر أخرى
 تتوفّق المعلومات عينها، ومن هذه على وجه الخصوص، لساعات الايرلنديّة، هالبحمة البطوليّة

الإيرلندية تبرز على سبيل المثال الحكيم الدرويدى ككتباد ، الذي كانت له سمعة لا تصاهى وكان قادراً على أن يؤثّر على نتيجة المعركة على الرغم من أنه لم يكن يشارك فيها بصمته مقصداً. لقد كان يؤثّر برقاؤه وتعوديده التي كانت تسبب العدو قوه وكان مسموحاً له أن يستغل اللغات على الملوك نفسه ويمكن هذا لم يكن يحدث إلا إذا رفض الملك طساً ما للكهنة. وحسب الملحمة أن لحكمهم الدرويدى كان يقرأ المسقيل، ويحذر الاسم للجلل، ويحدد يوم بدء العمليات القتالية، أو أي نشاط آخر له أهمية وكان فتهاج العداوات الأرستقراطية يتلقون تعليمهم على يديّ بحكمهم الدرويدى، الكاهن الأكبر وعن السّمعة المميّزة التي كانت للدرويديين في المجتمع الغالي، يخبرنا نص السّاف، الإيرلندية «سرقة ثور كوانايخ». فقد ورد هناك «يحرم على الملك أن يتحدث قس درويده». ويمكننا أن نؤكد بدون أيّ مبالغة، أن الدرويدية تأسست وعاشت على الطقوس وكانت بضاماً تراثياً معقداً ومستكراً سفة وكانت الغاية الأساس التي سعى هذا النظام لبلوغها، هي ضمان استمرار حركة العالم، وما يثير الفضول، أن الدرويديين، و في المكان والزمان ماهية واحدة وحسب الميراث الكلاسيكية أنه يمكن دراسة المكان منفصلاً عن الزمان، بيد أن الحديث يدور في النظرية التأسيسية عن المكان الرباعي الأبعاد. فالإحداثيات الثلاث الأولى، هي المكان المعبود، والإحداثيّة الرابعة، هي الزمن متغير، وحسب أبششتين أن المكان والزمان غير متفصل أحدهما عن الآخر. وكان هذا العالم قد حلّ هذه المعضلة مستعياً بالمعادلات والصّيع، لكنّ الدرويديين ساروا في طريق أخرى. فقد حلّوا المعضلة عيها باستمءاء المعلومات من جعلها الكونى مباشرة. وكان الصّقص هو مفتاح تواصلهم مع الحقل المذكور. فاللّغاتهم الدرويدية قضت بأنّ تلاقى، تطابق أهم نقاط الزمان والمكان، هو الصّمم لتواصل حركته ان لم وفصي بضرورة ابرار هذا لتطابق بطريقة خاصة ولتحقيق ذلك كانت تتطلم في المعابد لقاءات شعبية احتمالية تقام في أيام معينة، تحسباً دقيقاً صراماً وكان تقديم الذبائح للآلهة من أهم نشاطات مثل تلك اللقاءات ومثلهم مثل الشعوب الأخرى كان الدرويديون يقدمون القرابين في شتّى المناسبات لدى ساء معبد، ومع بدء موسم حني المحاصيل وقبيل الخروج في حملة عسكرية، و . وكانت القرابين تقدّم من قبل المؤسسات الاجتماعية، كما من قبل أفراد ويميل المتخصصون إلى الاعتقاد بأنّ الدرويديين لم يقدموا ذبائح بشرية. ويفترضون في غضون ذلك أن المؤرخين الرومان حرقوا الواقع عن سابق قصد وأنهموا الدرويديين بتقديم ذبائح بشرية لآلهتهم. ولكنّ قد يسبب هذا الاتهام جريئاً إلى حهل الرومان بالتعاطف الدرويدية ولشاهد لثالي يمكن أن يكون مثالث على هذا الجبل. فقد

كان الدرويديون يستخدمون مر حل طقسه لتقديم الذبائح لألهتهم واكشف الآثار بور على واحد منها رسماً لشكل عملاق يرل إنساناً صغيراً في المرحل. وكان من أبسط الأمور أن يتوقع أن ذلك الإنسان الصغير يقدم قرباناً. ولكن الحميمة هي أن الشهيد لمعني كان يمثل عمليه بعث المماتين الذين سقطوا في ساحات المعارك عندما كانوا يرلون مماتليهم القتلى في مرجل الحياة العيب، كان هؤلاء يعودون إلى الحياة ليواصلوا القتال ضد الأعداء من حديد وهكذا يتضح أن أسقية الأثرية عنها يمكن أن تؤول تأويل متيناً وقد عمل مؤلفو العصر الإغريقي - الروماني حاهدين على إثبات أن السكتيين (الماليين) كانوا يقدمون لألهتهم نذائح بشرية قد يودوروس الصقلي كتب عن هذا في «تاريخه» يقول: «وفي هذا تظهر وحشية طبيعتهم يسلكون سلوك الكفرة المترمئن في ميدان تقديم القرابين فمادهم أن يحتجروا المحرمين كلهم حتى الخمس سنوات ثم تمعيداً لألهتهم بصعوبهم على الحواريق وضد موتهم دبائح، مصيبي إلى هذا كثره من التضدمات، وأخيراً بحرقوا هذا كله في معرقات كبيرة أعدت للعرض. كما يجعلون من أسرى الحروب أنصاً معدئين يؤساء يقدمونهم أصحابي لألهتهم. وعاباً ما يستخدمون للعرض عيه الحيوانات التي يستولون عليها في غزوهم فيقتلونها مع الأسرى، أو يحرقونها حية، أو يعرضونها لضروب أخرى من الألم المضى، وبروح مشابهة كتبت كثير من المؤلفين القدامى الآخرين فقد وصف ستربون في «الجغرافيا» عادة تقطيع الذبيحة إلى أشلاء وتعليقها على شجار مقدسة، أو على حدران المعدد وفي القرن الميلادي الأول رعم الشاعر الروماني لوكانوس أن العالين يعلقون ذبيحة الإله إيسوس على شجرة، وكان هذا الإله عنه مرتبطاً بعبادة الأشجار أمناً ذبيحة الإله تاراميس فقد سكاوا يحرقونها حية وكانت ذبيحة إله قبيلة باونابيس يعرق في مرحل كسر محصن للعرض. ولكن الباحثين يرباويون في موضوعيه المعلومات التي سافتها نصوص مؤلفي العصر الإغريقي - الروماني، لأن هؤلاء لأخبرين كانوا طرماً مستميد لقد كان يجب تسويغ احتلال لقبائل الغلية واستعبادها، والرعم نأهم إنما يفعلون ذلك لتحقيق غايات عليا

لقد جرى الحديث سابقاً أن تقديم الذبيحة كان يحقق استمرار الرمن، والحفاظ على سيره الطبيعي وتستنتج من هذا خلاصات بعيدة المدى فإذا ما ارتكب أحدهم إثمًا وعاقبه الدرويديون بإبعاده عن طقس تقديم الذبيحة، فإنه يخرج بذلك خارج دائرة الرمن. وينقطع توصل الرمن بالنسبة إليه وفي موقع العملي يصكون هذا الشخص قد ساب مبعداً عن المجتمع، لأنه فقد إمكانية التواصل المنتعم مع الحوهر الإلهي

ومن القرن ١٧م، جاعنا وصف لهذا الطقوس يعطياً بعض التصور عن تقديم الأندلس في كتابه «طغرافيا إيرلندا» وصف لنا المؤرخ واللاهوتي الإنكليزي هيراند كامبريسكي طقس تنصيب الملوك الإيرلنديين على العرش لقد كان هذا الطقوس يقام على مرج مغطى بحضور سيول من نساء الشعب، ثم طمس رواج لبس القبل بالمهرة البيضاء وقد بد المشهد هكذا تقام في ددي الأمر مراسم زفاف رمزية صرف ثم يقطع الملك بيديه حنجره المهرة ويطهى لحمها في مرجل كبير ويستحم الملك المقبل بصرق لحم المهرة وبعد الاستحمام يرتس الملك وبهمة احتمالية كبيرة يكون لحم المهرة مطهو وحبثها الأساس، و للمهره في هد الطقوس هي الإلهة فالأمر هكذا كان عند العنك القدماء وفي عالها القارئة كانت الفرس البيضاء هي الإلهة - الأم وكانت تدعى إيبونا وقد رسمو صورة الإلهة - الأم هرساً معها مهر صغير والحقيقة أن أعمال لسير الأندري كشفت عن رسمها في صورة فارسة. وهكذا كان طقس تنصيب الملك على العرش يعني زوجه بالبالا، مواطليها، أما حمر الفرس وأكل لحمها فقد كان يرمز إلى التواصل مع حسد الإلهة وكن ذلك صمانة لاسنمرار رحاء المواطنين وإردهار الملك.

ويشغل الشرح مكانة مميزة عند الرومانيين وهكم ما كنه المؤرخ الروماني سترابون في لكتاب الرابع من مؤلفه «الجغرافيا» عن القرائين أسشيرة عند السلت. «لقد وضع الرومان نهاية لطقوس المكثية لرعية فحاربوا تقدم الدينج واستقراء الغيب، اللذين لا يشهان طقسيد إلا قليلاً، فالشخص المحدث تقدمه للإله متلقى طعنة حنجر في ظهره، ثم تتوون له بالمستقبل الذي ينتظره، حسب طابع الششحات التي تظهر عليه. ويجري هذا كله يوماً بحضور درويشهم ومشاركتهم وموافقتهم»

ولكن الباحثين المنصعين يرون أن الرومان ينامون كثيراً في هذا، ويعملون على طهار حصومهم في أبشع صورة فالحقيقة هي أن استنئين السلنت والد رويديين كانوا سيئون مستخدمين لحيوانات لا الشر مثلاً، قبيل المعركة التي كانت تنتظر قواتها مع الرومان، توجهت شبكة الغالية بوبسكا إلى المنحمن هرمى هؤلاء أرباً أمام القوات السلنتيه، وحسب طابع قمرات الأرب أسخلف هؤلاء رأيهم في سيحة المعركة التي كانت لصالح الفل ولذلك لم يضيع الحسد لحظة واحدة، وهاجموا عدوهم.

ولكي يكون الشبق ناجحاً كان يمكن أن ينحر الحور وغالباً فعلوا هذا مع الحزير وقد وضعت لنا النصوص القرسطوية الإيرلندية المشهد على النحو الآتي «يضع اميلد قطعة من لحم الحزير، أو الكب، أو الهر شئة، ثم يأخذها من فمه ويصمها على حمر مستو قرب اسباب إله يقدمها قرباناً للإله الذي يخدم. ويبدأ بعد ذلك ياديه. ومن ثم

يمضي ليعود في اليوم التالي هذا ما احتضنت قطعة النجم، يستلقي في مكانه ويضعط وجهه بين كفييه وهكذا ينفو، ولكن من الضروري جداً ألا يقلق نومه أي شيء، لأن المستفس يفتح له بوابة أثناء ذلك لنوم. لقد ورد هذا الوصف في مجموعة تأويلات «معجم كورمال» (القرن ١٠م) وليس الفيلينيون الذين يتحدثون النص عنهم سوى ورثة الدرويديين الإيرلنديين. ولكن عندما وصح المعجم المذكور، كانت المسيحية قد انتشرت ولذلك ورد بعد ذلك أن «القدس» سربك حرم تلك العدة وقال: «ن من نكرم بها تصمد السماء والأرض، لأنه يريد بذلك عن سر لعمودي المخلص».

بأي الآلهة آمن الدرويدون والسُّلُت على وجه العموم؟ هاكم ما كتبه قيصر عن هذا. «يجب أن الدرويدون أكثر ما يجلون من الآلهة، الإله مركوريوس له من الصُّور أكثر من لأيّ إله آخر ويعُدونه مبتكر الصور كلها، ومرشد الدروب؛ ويعتقدون أيضاً بأنه يحرص كثيراً على حي المال، واسدع بالأعمال التجارية بعده مباشرة يجلون الإله أتوللون، ثم الإله مارس، فالإله حويتر، والآلهة مينيرف وعندهم عن هؤلاء الآلهة التَّصَوُّرات عينها تقريباً التي عند الشُّعوب الأخرى. أتوللون يطرد الأمراض، وتعلم منبرها مبادئ الفن والصور، وبملك حويتر تُسلط العنا على سكان السماء، ويقود مارس الحرب، والسؤال الذي يطرح نفسه مباشرة، هو لماذا عبد السُّلُت (العاليون) الآلهة لرومان، والواقع أنهم عبدوا آلهتهم هم وليس آلهة الرومان. وكل ما في الأمر، هو أنه كان هناك مشابهة بينهم فالإله العُلُتُ لوغ يشبه مركوريوس بكونه يمتلك دسببها كلها والصور كلها وهو يصير فن الحرب. وبدلاً على هذا أن اسم الإله نوع يشكل جزءاً محكّوتاً لأسماء كثير من الحصون، حتى مدينة بيون لعاصره فكانت تدعى فيم مضي لوغدونوم، وعفناه «حصى نوع» وأدغم الإله نوع بالنسبة ونور الشمس (تماماً كالإله لروماني مركوريوس) ولذلك يأتي عبد الإله نوع (= لوغارد) في اليوم الأول من شهر آب فقد دعي الشُّهر كله باسم لوغارد ولا يجب أن يتذكر في هذا السياق، أن الإمبراطور أرتيمسي اعسطس قد دعى هذا الشُّهر باسمه أغسطس وهذا مفهوم تماماً، لأنّ لرجل كان شديد الرعدة لأن يرى في نفسه الإله مركوريوس

ونموه في أساق إلى أن قسلة دانيو عبد الإله لوغ في إيرلند

أما الإله حويتر فقد كان تُسلط إليهم أندي نيهي بوطائف مشابهة. إنه الإله سارانس (اسم مشتق من الكلمة العالية tarran التي تعني «برعد») رسموه صورته مع المطرقة ويديه عجلة ومن الواضح أن عبد اسكنديافيون الإله عيه. ويدعى عندهم تور إله السماء والبروج.

كَمَا عبد السُّلْتُيُون الإله تيفتاقيس الذي كان يدافع عن القسبة ويحميها من الأعداء،
والإله أغمبوس، إله الحرب، لكنَّهُ تَمَرَّعَ ابوقت عينه بالعلم والمصاحبة. ومن الواضح أنَّ
هذين الإلهين يشبهان الإله مارس، إله الحرب عند الرومان

ويعتبرون بين نوللون والإله السُّلْتُي مابوتوس ويرون أنَّ الإلهه بريتا تعبته من حث
وطانمها الإلهه الرومانية مينسرها لكنَّ الإلهين لا تتطابقن، ولماذا، ينبغي أن نتساءل؟

وبما أنَّ المصادر المكتوبة عن آلهة السُّلْتُي نادرة، فإنَّه يتأسَّس لنا أن نستخدم المعلومات
التي ساقها عنهم بوسبوس قيصر في «مدكراته الشهيرة». فنمَّه في هذه الأخيرة ذكر لإله يثير
الحيرة إله الإله دسه (ديت) باتر، أي الأب وقد كان هذا في واقع الأمر أب الآله وكتب
عنه قيصر ما يلي: «يُكْرَمُ الغاليون» (السُّلْتُي) كلهم على أنَّهم أحفاد الأب ديت، ويقولون، إنَّ
هذه هي تعاليم الدرويديين ولهذا السُّب لا يحسبون ابوق ولا يحسبونه حسب البهرت، بل
حسب السُّلَّي يحسبون يوم الميلاد، وبداية الشَّهر والسُّنة بطريقة يبدأ احصاء فيها من السُّل
ثمَّ بله لئهاره فانييل يدغم عندهم بالعالم الآخر وكذلك يحور لنا أن نفترض أنَّ الحديث
بحري عن إله العالم الآخر، عالم الأموات. وقد ناط الرومان هذه المهمة بإلهه سوتون. وندعم
إله الأموات بالظلام، والليل، والصقيع، والديحور. ولا يزال اسم هذا الإله السُّلْتُي غير معروف
لنا حتى الآن لكنَّ كبير من آلهة السُّلْتُي أضحوا آلهة إيرنديين من أصل سُلْتُي. وعند هؤلاء
يدعى هذا الإله باسم انقام (دون).

لكنَّ قيصر لم يورد سوى أسماء آلهة الغال (السُّلْتُي) الرئيسية. وفي واقع الأمر أن
عددهم كان أكثر بكثير. وتفيدنا المصادر الأخرى في الحكم على بعض منهم، ومنها على
وجه الخصوص معطيات أعمال المسر الآتاري. فقد أميط، اللثام مثلاً عن الإله يزوس. والإلهة
ييون. والإله كيربونوس وكثير من الآلهة الآخرين وعثر على صور آلهة لم يفلح الساحتون في
معرفة أسمائهم، مثل صورة الآلهه اجالس في وصيفة البودا إلهة «الإله ذو الوجود الثلاثة»

لقد توصل المتخصصون في تزيح الأديان إلى استنتاج أكيد مؤداه أن الآلهه الغال
(السُّلْتُي) يرتبطون بأواصر القرابة مع آلهة الشُّعُوب الهندوأوروبية الأخرى ولكنَّ هذا لا يعني
بحال من الأحوال أن معارف الدرويديين المكونة لها امصدر عنه ولا يزال هذا المصدر لمرأ
بمعز المتخصصون من حده ولكنَّ من الواضح أن الدرويديين كانوا قد امتلكوا هذه
المعارف البيطنية قبل زمن طويل من استيطان السُّلْتُي أوروبا ثمَّ بعد ذلك ألحقت معارف
الدرويديين بطريقة ما مع آلهة هندوأوروبية الأصل. ونحن لا نعرف كيف حصل هذا. وبكسر
ثمة فرضيتن إما أن يكون السُّلْتُي قد جمعو معارف الدرويديين القديمة ووضعوها في خدمه

آلهتهم وإما أن يكون الآلهة الهندوأوروبيون قد حضنوا هم أنفسهم لسرويديين، لمعارفهم المهكسونة. وقد نكون هذه امرصية لشبية هي الأقرب إلى الصواب.

ولم يسجد الدرويديون لآلهة المجردة فقط، بل عبدوا أيضاً موجودات العالم المحيط. الأشجار، والحجارة، والصخور، ... ويجب أن نلاحظ في غضون هذا أن معتقدات السلت والدرويديين لم تنطبق دوماً هم يعبدوا شجرة البلوط فقط، بل عبدوا أيضاً المسن الحلي، وشجرة لبتولا، والعبيراء، وشجرة أشباح، ... ولم يعرفوا أشجاراً مخصصة فقط، بل هدسوا أدغالاً كاملة وهذا ما تشهد عليه على سبيل المثال أسماء المراكز السكانية في فرنسا واسبانيا ففي الزمن القديم كانت تقوم هناك معابد أو أدغال مخصصة. وبالنسبة للدرويديين فإن شجرة البلوط هي الشجرة الأكثر قداسة. وقد عرفو شجرة قطع نبات السيق الذي ينمو على شجرة البلوط. ووصف لنا المؤرخ الروماني بليني لأكبر هذه الشجرة فقال «لا يعرف الدرويديون شيئاً أكثر قداسة من السيق المقدس وتلك الشجرة التي يمو عليها نبات السيق هذا أي شجرة البلوط. وبلغ من تقدسهم لهذه الشجرة أنهم لا يبنون معابدهم إلا في دغال اليسوط. وعندما يؤذون شعائر السحر يمسكون بعضهم من شجرة اليسوط. ويهتأ لها أنهم يؤلفون أسماء كهنتهم من اسم شجرة اليسوط. إنهم يعتقدون أن كل ما يمو على هذه الشجرة مرسل من السماء، وأن هذا يحدث ذاته علامة تدل على أن إله الأعلى يبارك هذه الشجرة ومع أن مثل هذه الأقوال نادرة، إلا أنه عندما يحدث وبلاطون شيئاً مشابهاً، فإنهم يضعون علامة على الثياب ثم يقطعونه في حو احتفالي. وعادة ما يقع هذا في اليوم السادس من القمر، ولذلك فإنهم يعتقدون أن القمر بالذات هو الذي يوحى الأشهر، وحركة الزمن على وجه العموم، وأنه سوهو هو نفسه على دورة حاصه به تصول ثلاثين يوماً. وهم يرون في اليوم السادس أكثر الأيام ملائمة لإقامه المراسم الدينية. لأن القمر يكون قد جمع في هذا اليوم ما يكفي من قوته، ولكنه لم يطلع بعد منتصف طريقه. وأطلقوا على نبات الدبق اسماً تعني ترحمته ذلك الذي يبرئ من كل شيء.

وبعد أن تقدم الذبيحة، وتترك عند كعب الشجرة مسافة وهيره لآلهة، يهودون ثورين أبيضين لم تربط قرونهما إلا في ذلك اليوم ثم تقدم من الشجره ضحايا يردي حله بياضه فيقطع نبات الدبق بمجل ذهبي، ويحمله في غطاء حاص من ميلة حاص غير ملونه، ثم تقدم الدناج مرة أخرى، وترفع الصلوات والتوسلات إلى الإله لكي يكون رؤوف بالذين يقدمون له هذه التخدمات لقد اعتقدوا أنه إذا ما أخذ شراب من نبات السيق، فإن فيه قوة تحمل الخصم للحيو اناب العقيمة فتتجنب، وإن فيه دواء ضد أنواع السموم كلها»

والشواهد كثيرة أيضاً على أنَّ الدرويديين سجدوا للحجارة ولا تزال أوروبا تحتفظ حتى اليوم بمنشآت دينية قديمة وقد بنيت هذه في أماكن مقدسة وهي منشآت شديدة الشَّوْع فمنها أكو م، لحجرة، ومنها أحياناً حلاميذ فردية أو روحية. وغالباً ما نصب على منشآت خائزئة حجرية قديمة وهذه عبارة عن أحواض حجرية مغطاة بصمغ حجري وتسمى بالميدات. كما تصادف أيضاً حجارة ملوثة مزروعة في الأرض عمودياً، وهي تدعى مانجيري. وقد عن المنشآت الدينية التي على شكل سياج مستدير مبني من حجارة ضخمة، تدعى كروميهي.

لقد وقع الدرويديون تحت صعوبة متواصلة من جانب المبشرين المسيحيين ولكن هؤلاء لم يستخدموا حكيك السيف والشار بل على الضد من هذا، إذ غالباً ما شيدوا مساكنهم - صوامعهم على طريقة مباشرة من المنشآت الدرويدية الحجرية المقدسة وهكذا كان صك شيء يتدح بعضه مع بعض رويداً رويداً. في درجة أنَّ منشآت الدرويديين الحجرية بادت مرداناً بالصليبان المسيحي وصارت تسمى غالباً داخل معابد المسيحيين.

ولا يزال تعطيل هذه المنشآت الحجرية غائياً فبعصها له مئة وأصمة يعلم الصنف إذ بني مهتدياً بالشقم وسواها من الأجرام السماوية الأخرى

وتشهد أعمال السر الأثاري على أنَّ هذه المنشآت الحجرية المهولة كانت قد شيدت حين أنَّ يستوطن السلب غالباً ولكن من مناهها ولاي غرض بل ليس واضحاً كيف أمكن الثقل على تلك المهمة، الباعلة التقيد مع وجود تقيدت ذلك الزمن. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نحرم بأن مستوى تقية ذلك لعصر (الف مئة حلت) كان شديد التقدي وسوف يسوق في كتابنا «ثقوب الأورو» واستمرار البشرية» (هيتشي، ١٩٩٨م)، قرائن توحى بأن كارتة كونيية قد وقعت وأهلكت حصده كانت تمك مستوى رفيعاً من التقديم التقني

وتقول المراتن التي وصلت إليها عن بناء المنشآت الحجرية المهولة، إنَّ أمة هؤلاء كانت تختلف من حيث بنيتها عن اللغات الهندوأوروبية القديمة وقد اختلفت في الأصغر الثقافة الروحية لأونك الدين بوا هذه المنشآت في شكل من أشكالها ويريدها ويبلغ عمر هذه المنشآت بضعة آلاف من السنين، ولا يزال الغرض الذي من أجله شيدت غير واضح وصوحاً تاماً. فهي قد تكون معابد، وقد تكون مراصد فلكية لكن هذه الفرضية الأخيرة مقبولة جداً. وحسب الفرضية الأولى أنَّ هذه كانت معابد الشمس والقمر وإذا كان الأمر كذلك فإنه بمقدورنا أن نعرض، أنَّ الدرويديين قد حددوا عبادة، لأحرام السماوية من هن داندات، من ثقافة بناء المنشآت الحجرية المهولة. وعلاوة على هذا سوف

يكون من المنطقي أن نرى سبب الدرويدية من هذه الحصاره، ومن هذه المعتقدات
 فالدرويديون يتفرعون من المجري المشترك لمعتقدات الشعوب الهندية القديمة وثقافتها
 ويبدو على أغلب الظن أن مركز نشوء الدرويدية يقع في بريطانيا وهذا ما افترضه
 هيسر ونزك عليه بخصوص الساعات الإيرلندية فتتوه هذه مكراراً إلى مدارس المعارف
 السريّة التي تتوزع على أراضي سكتلندا المعاصرة (في أبيان) لقد شاع عند الدرويديين
 تحليل قوى الطبيعة و لأحرام السماوية ورافق ذلك التجهيل بنظام كهوتي تراتبي صارم
 وهذا ما وفر لمجمل النظام الاجتماعي مستوى ممتازاً من الاستقرار وعندما استوطن
 السلت غالباً أخذوا هذا النظام

وتعد مسألة إيمان الدرويديين بانتقال الأرواح، أي بالخلود، مسألة مثيرة والحقيقة أن
 التنويع الدرويدية هذه كانت تختلف مسبقاً عن التنويع الهندية فهي المعتقدات الهندية أن
 فكرة انتقال الأرواح تحمي نظم الكاسيات (= الطوائف، الإجماعة المملقة، م)، وتسب
 وجودها، فلا وجود للهوسية غير الكاسيات، ولا وجود لهذه الأخيرة غير انتقال الأرواح ومن
 الواضح أن الدرويديين لم يستقلوا فكرة انتقال الأرواح بهذه الطريقة لمد أراد الدرويديون أن
 يعيشوا وحسب، فأمنوا بالخلود. إنسان رعب نوم في أن يؤمن بالخلود وهذا كان تمكيد
 الدرويديين في هذا الميدان ككثير واقعية، وأكثر التصاقاً بالشؤون الأرضية، لم يتجهل
 الدرويديون الخلود رجعت كثيرة إلى الأرض وجاء وصف هذا الحب الجسدي للحياة، وكره
 مغادرة هذا العالم بهائياً إلى العدم الآخر، في ملحمة «كيات عو ديو» للشاعر - المعني تاليسين
 (القرن ٦م) ومعنى عنوان الملحمة، هو «معرفة لشجرة»، وقد جاء فيها عن تكرار الولادات
 ما يلي

وتحوّلت من حليمة

عكنت سلومة أزرق،

وكنت كلباً ووعلاً،

وأبلاً على لمعدرات الجليّة

وكنت قرمة شجرة وعرفة،

ومثماً في ورشة يعينها لسخام

رائمت علماً ونصف العرم

ديكاً أرقط أطال النجلجاب من أشاء.

ولا سدرج لهجه هذا المقطع الذي يتحدث عن انتقال الرُّوح من جسم لآخر، في دائرة
الآلام اللاهثية التي جاءت بها اليهودية، ومحاولات الشُّطُص منها وصحائف هكسر، انتقال الرُّوح
وهي هذه التنويع المتماثلة شائعة شيوعاً واسعاً عند شعوب أهرقبا، وأسبراليا، ومن المعروف
أنها لم تحم على فالاسمه الإغريق لقدماء والحقيقة أنه لا يمكن الموافقة على الرأى الذي
يقطع بأن الدرويديين أخذوا فكرة انتقال الرُّوح عن هيثاغورس، وهو ما عمل ديودوروس
الصفلي على إثباته وكتب يقول «لقد شاع عندهم رأى فيثاغورس القتل، إن رُوح الإنسان
خالدة، وهي تعيش من جديد في خلال عدد معلوم من السنين متقلقلة في أجساد أخرى» وقد
أعجب كثير من المؤرخين القدماء بمصكرة افساس الدرويديين لتصوُّراتهم عن انتقال الرُّوح عن
فيثاغورس فقد راق لهم لمصكرة وصاغوا سيناريو ذلك الاقتباس، فزعموا أن مولكسيس
عيد فيثاغورس التراقي، عاد بعد موت سيده إلى وطنه تراقيا، ونشر فيها الشَّاعنم التي
تتحدث عن انتقال الرُّوح لكن هذا الرأى ليس رأياً جدياً

الفصل السادس

هكذا تكلم زرادشت

لقد عاش زراتوشترا مؤسس الديانة الجديدة، في الربع الأخير من الألف ٢ ق.م. وقد سادت ديانتة الجديدة في إمبراطوريات، فارسية حوالي الألف والخمس مائة عام (من القرن ٦ ق.م حتى القرن ٧ م). وقد عرفت هذه الديانة بالديانة الزرادشتية وكان الإغريق القدماء قد حولوا اسم مؤسس هذه الديانة من زراتوشترا إلى زروسترا. وعدوه حكيماً منجّباً (هلخندر) أسمته مآخو من كلمة آسترو = حكمة ثم أخذ الآخرون عن الإغريق هذا التجديد والحقيقة أن بعض المؤلّفين المعاصرين يحاولون العودة إلى استخدام الاسم الأصلي لزردشت بهدف تطهارة تميّزهم وحسب، ولكن ذلك لا يمسح في وقوع الأمر إلا إلى تشوش المسألة.

جغرافياً ظهرت الزرادشتية في سهوب روسيا الجنوبية إلى الشرق من النوب في الألف ٢ ق.م. عاش هنا أسلاف الهنود إرسين. وكان هؤلاء من بني حيوانات عاشوا شبه متقلين. وكان رعاتهم هم جنودهم أيضاً، كما كان لهم دينهم أحاص بهم، وثقافتهم المتميزة، وخدم ديانتهم. أي كهنتهم وفي الزمن المذكور انقسم أسلاف الهندوإيرانيين إلى شعبين لكل منهما لغة الخاصة به. وقد كان هؤلاء هم الهندوإيرانيين والإيرانيين. وما عد تربيته لحيوانات عمل الشعبان بالتجارة مع حيراهم الحيويين الذين كانوا يعيشون حياة حصرية.

وعند منتصف الألف ٢ ق.م باتت حياة هذين الشعبين مصطرية فلقي يدودوا عن حقهم في الحياة كان عليهم أن يصعوا كميات كبيرة من الأسلحة والمركب لقتالية لقد كان ذلك هو زمن مسرورة روح الشعب، وإدراكه لرسائله في هذا العالم، الأمر الذي تحلّس في ولادة دين جديد ولم يكن ذلك الدين معشاً إلهاء ولم يتنكر ثم يتلاءم مع شروط حياة الشعب بل تم تلقيه من فوق في الوحي الذي نزل على النبي زرادشت وقد وهم الحدث بين العامين ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م.

لعمد بدأ «الشي زرادشت بيشتر بجوهر ما يوحى إليه وقد تلخص ذلك جوهر في أن
 ما يجب أن يدير شؤون المجتمع ليس القوة، وإنما القانون، قانون واحد للمعمورة كلها،
 قانون الهي وعندما بدأ زرادشت دعوته كان كما يسموع المسيح في الثلاثين من عمره.
 وقد دعاه حاطر اخير لتأدية الرسالة فهي لصباح. عند بزوغ اسمحر ممسى زرادشت إلى
 لشهر سيأتي بالدم من أجل إعداد الشراب المقدس وبينما هو في طريق العودة ظهر أمامه
 حاطر الخير في ضياء مبهر وقاده إلى حضرة الآله وفي مساء، الإله عمر زرادشت عن رؤية
 طنه وبعد تلك اللحظة بات مدعواً للتشعر بحكمة الإله (رب الحكمة، الرب الحكيم)
 وكان الرب الذي دعا زرادشت رسولاً له، نه معالماً عارفاً بكل شيء، وخالق الوجود
 كله لقد كان هذا إله السماء والأرض، وصامداً لتحقيق العدالة الإلهية وإقامة النظام
 وقد أعلن الرب لعادل عن ذاته في أعمال الخير والكلمة الطيبة وفيما بعد أصلقوا على
 الدبابة الزرادشنة اسماً آخر، هو الدياب المازديّة (نسبة إلى أهورا مازدا، أي اسرّب
 الحكيم) فكلمة «أهورا» تعنى الرب كما كان من الأرباب أيضاً ميترا، وهاروما
 وآخرون.

أن تعاليم زردشت قائمة على الديالكتيك الحي لمزدهر، فهي ترى أن أعمال
 يتألف من المتناقضات، من الإيجابي والسلبي، والخير والشر، والموه والطلام، وجوهر
 العمليات الحاربه في العالم، هو ارتقاء يتلخص في صراع هديين لبدأين (بوجستهما)، وفي
 اشخصيات تطهر المعادلة على النحو التالي مرتبط الخير بالرب الحكيم (أهورا مازدا)،
 ويتجسد لشر في أنغرامايبوي (الروح الشرير) ويدور بين الاثنين صراع متواصل لا يتوقف
 فقد صنع الرب الحكيم السماء، والدّفء، و سور، وكل ما هو يجاني في هذا العالم
 لكن الروح الشرير صنع الموت، والشتاء، والبرد، والقيظ، و حيوانات اصنارية،
 و احشرات المؤذنة، وقد قسم لإنسان اعمال دوماً إلى خير وشر ولكن وفق ما نفضى به
 مصالحه لذاته. ولذلك تُسست الحيوانات الصنارية والحشرات المؤذنة إلى عالم روح الشر،
 بيد أن تعاليم زرادشت تنعم بالشمس، وفي نهاية المطاف يتصمر الخير على الشر انتصاراً
 نهائياً نازحاً، ولا يعمر الرب الحكيم وحصمه الروح الشرير بممردهما. فقد خلق الرب
 الحكيم بمساعدة الروح قدس ستة قديسين خالدين وهم حامى اسطمن، وهكرة
 الخير (بهامس)، وبظر النار وحاض البر (أوردسبيحشت) وحارس المعدن والسلطة
 المعتارة (شهريوار)، وحامى الأرض والعمة (سبسا أرماشتي)، وأمين لياه والحكماء
 (هورد)، وحارس السحاب والخلود (مورد) كما صنع الرب الحكيم إضافة إلى

هؤلاء آبهة تابعين له، ميترأ، وفارون (حميد المياه) وشراوشي (= الطاعة، والاهتمام، والستظام)، وشي (إله المصير)، ويخوض هؤلاء كلهم مع الرب لحكمهم حرباً صلبة ضد الروح الشرير.

وبدوره فإن الروح الشرير ليس وحيداً مساعده هم الأرواح الشريرة (الديماس)، ولسفرة، وسلاطين الشر الذين يستولون بالأذى لعبصر الطيبة الأربعة: الشار، والشراب، والساء، والسماء. وسركر في سلاطين الشر الصفات البشرية الأكثر سوءاً الجسد والنعام، والكذب ..

لقد ستمرت لرادشيتيه على قيد الحياة آلاف السنين لأنها أعطت الكمالات الروحية أهمية كبيرة. فافترض تباع هذه التعاليم أن نشاط الإنسان يجب أن يستند على المكورة للخبرة، والكلمة الطيبة والعمل الصالح كم دعوا إلى الالتزام بالتمسك بالنعامة والتزام ودعب الزرادشتية إلى التماطف مع الناس وحفظ الحمل للوالدين والعائلة وأبناء لخدمة وقضت تعاليمها بالالتزام بالوحسات المقدسة تجاه الأطفال. وفرصة مساعدة أبناء الملّة، ولعناية بالأرض والمراعي إن هذه هي وصايا الزرادشتية الأساسية ولذلك ليس عرياً أن حلو الزرادشتيين لدى أبناء وطبهم عزيمة تثير العجب، من خلال تصميمهم هذه الأخلاق المستقيمة العادلة في حياتهم ليومية لقد كان تحقيق هذه المبادئ الأخلاقية السامية في الحياة، هو المعين الأكبر الذي مكّن الزرادشتيين من تجاوز المحر الثقيلة التي تعرضوا لها أمّا فيم يتعلق باتباع الديانات الأخرى فليس في تعاليم زرادشت ما يدعو إلى ملاحقتهم واصطهادهم وحسب الزرادشتية أن للإنسان حرية الاختيار وهو المستزول من حسن الخير أو فعل شرّ لكنّ الزرادشتية رأّت مع ذلك أن قدر الإنسان محدود من الأزل

وتحليل الزرادشتيون ساء الكون على النحو التالي. يمتد تاريخ وجود العالم انبي عشر ألف عام وينقسم إلى أربعة عصور طول كل منها ثلاثة آلاف عام ولم يكر في العصر الأول لا أفكار ولا أشياء ولكنّ هذا العصر عرفه الصنور الأول بكل ما حقق على وجه الأرض بعدئذ. لقد كان هذا العصر عصر العالم «الروحي»، «المكس»، وفي العصر الثاني خلق العالم الواقعي. ففيه خلق الرب الحكيم السماء، والنجوم والقمر، والشمس، والإنسان الأول، والصنور الأول وكان مسكن لرب يقوم ور، مجال لشمس وخلق فيه الروح لشرير الكواكب والاندباب هذه لا تصنع لقواس نوازين حركة لمجالات الكونية. ولذلك فإنها يمكن أن تكون سبباً في وقوع كوارث كويته لقد

جبرثم الرُّوح الشرُّير الماء وأرسل الموت على الإنسان الأوَّل والسُّور الأوَّل. وقبل هذا كلَّ الإنسان الأوَّل قد أحبَّ رجلاً وامرأة خرج منهما الجنس البشري كله وخرجت من الثور الأوَّل الحيوانات كلها ونسب المصَّدام الذي وقع بين المبدأين سفيصين (الإيجابي والسلبي). دخل العالم كله الآن في حركة هجرت الماء، وظهرت الجبال، وبحرُكت الأحرار السماوية ونما نُ قوى شرٌّ هي التي صنعت الكوكب، لذلك أهام لربُّ الحكيم رواجه على كل منها

وبعد العصر الثاني بدأ العصر الثالث وقد استمرَّ هذا حتَّى ميلاً زرادشت ووقعت فيه كثر من الأحداث المهمة، ومنها على وجه الخصوص، الطوفان وكان الفعل في هذا العصر بين أيدي أبصار الأفيستا الميثولوجيين. ومتهم إيمان ذو الصِّياء وليس في مملكة هذا حرٌّ، أو برد، أو شجوحه، أو حسد، وعندما وقع الطوفان أنقذ إيمان البشر والحيوانات كما عمل في نوحه نفسه أيضاً، الناصك فيشتاسا الذي منح زرادشت انجاءً واعتق بعالمه وبدأ بعد زرادشت العصر الرابع من ارتقاء عالمنا. وكان حب أن يظهر في كل ألف من هذا العصر ثلاثة مخلصين ينقذون الجنس البشري، إيمان أبناء زرادشت والأخير منهم (ساوشيت)، هو الذي سيقرِّر مصير الجنس البشري والعالم كله. وفي عهده يحلُّ زمن الرؤيا فيهرم الرُّوح الشرُّير، أي يسمو الخير على الشرِّ. وبحرُّ نهاية الكون، ويتملَّه العالم بسيل من المعدن المصهور. وبعد أن يهلك العالم القديم بالتار، تبت الكائنات التي كانت تعيش فيه إلى النقاء من جديد يبعث كلهم: الأخيار والأشرار وسوف يندم هؤلاء الآخرون على ما ركبوه من شرور، ويعلمون توبتهم لكنَّ مصدر الشرِّ في العالم سيديم مرَّة وإلى الأبد. سيتغيَّر العالم وتتحول الأرض والبشر وتدخل الجبال على الأرض طوراً جديداً إنَّها لحظة انتصار لمرح، وبهية الشرِّ والموت ولذلك ينبغي انصهار لحظة الرُّمضان خوف، ولكنَّ يأمل وإيمان بعدم جديد عادل يعيش فيه البشر سعداء لا يعرفون الضَّغينة، أو الحسد، أو العصب، أو الخسنة، أو الخيانة، أو ما شابه هذا هو المستقبل البديع الذي راه أتباع تعاليم زرادشت لبشريَّة وهذا ما ساعدهم على تجاوز صعوبات الحياة اليومية المليئة بالتَّعاسة والظُّلم، والفساد، والحداد. لقد مكَّن هذا الإيمان الزرادشتيين على أن يتمتعوا دوماً بروح معبوءة عالية، ويحملوا للنَّاس الثور والإيمان في حتمية انتصار الخير على الشرِّ.

إنَّ ما أورثنا هنا ليس سوى رسم تعطيلى لتعاليم زرادشت. أما جوهر هذه التعاليم فقد عرَّض بالتفصيل في رؤيا زرادشت التي دوَّنت في كتابه المقدَّس (الأفيستا) إنَّه إنجيل

زرادشت أو قرانه والأفيستا لا تحتوي فقط على مجموعة النصوص المقدسة سماليه زرادشت، بل هيها كذلك معلومات عن سيرة حياة مؤسس هذه النعالم. ونحن نعرف اليوم ثلاثة من كتب الأفيستا: الياسنا، والياسستا، والعيدمدانا. كما استخدمت استخداماً واسعاً مجموعة الصلوات اليهيمية: الأفيستا الصمري وسألف كتاب الأفيسن الأول (الياسنا) من اثنين وسبعين فصلاً، تُولف الأناشيد سبعة عشر فصلاً منها، وهي أناشيد أنهار زرادشت نفسه. ويصح تحليل الأناشيد المتخصصين بأن زرادشت لم يكن ابن عائلة ثرية فاسمه بصفة يعني: ذلك الذي يقود الجملة. ولم يفهم أبناء وطنه تعاليمه. وهذا ما حصل لتعاليم المسيح (لم يقبلها اليهود)، ولتعاليم محمد في بادئ الأمر (فمكة لم تعترف بها)، ولتعاليم بودا (لا تزال الهند تعتق لديانة الهندوسية المناقبة على لبودية) لقد لاحقوا زرادشت في وطنه واضطهدهو بيد أنه لم يصعب الحلحة، بل احضأ عند الحاكم فبشاسا الذي اعتنق الزرادشتية

لقد كان أتباع تعاليم زرادشت يسجدون سائر ومكانت هذه رمز الرب الحكيم (مورا مازد) وقد نحتت النار المقدسة (نار) في مظاهر مختلفة لنار السماوية، نار الصوة عى، والنار التي تمنح لجسد ابشري الحياة والدفء، والنار التي كانوا يشعلونها في المعابد الزرادشتية. وكانت هذه معابد حاصه ابرح وكان كل معبد منها يحتوي على محراب بأربع درجات ارتفاعه متران وكانت النار المقدسة توضع في كأس نحاسية عظيمة قائمه على المحراب المبني من الحجارة وحجت قاعة النار هذه عن قاعات المعبد الأخرى بحيث لا يمكن للمصلين في المعبد أن يروا النار مباشرة لقد كان يمكنهم أن يروا انعكاسها فقط.

وعبر المسلم كانوا يحملون النار إلى سطح المعبد لكي ترى من بعيد ومن النار المشتعلة أبداً في معبد النار، كذبوا يشعلون نيران معابد المدن. ومن نيران معبد المدن كانوا يشعلون نيران محاريب القرى، ومن هذه الأخيرة إلى محاريب المنازل ولم تكن لتبيران المقدسة كلها الأهمية عيها. فقد كان لكل ولي صنعه الرب الحكيم بارة الخاصه به، وكان ولي البر والنعوى (بهرام)، هو الولي الأهم بينهم. هارز كان الجدوة الأساس التي أخذت منها النيران المقدسة لأكبر مدن إيران ولقطعات الأساسية فيه النار الأكثر عظمه واحتراماً هي آتشي كانت تمنح الناس القوة في صراعهم ضد الشر ولكل نار بهرام لم تكن مجرد نار عادية فقد كانت تتألف من ستة عشر نوعاً من أنواع النار، حذب من الموافد المنزلية لمنلي فئات المجتمع كلها. حدم العباد (الكهنة)، والحنود، والكهنة،

والشُّعَار، والمصنَّاع، والزَّرْع، والرُّعَاة و وكنت النُّار التي تُقدِّح من مسربة الصَّاعِق
«الشَّجَرَة»، هي النُّار الأساس بين النُّيران الأخرى كلها ولذلك مكبوا ينتظرونها طويلاً
ويحافظون عليها بحرص شديد.

ولم يتوقَّض الأمر عند حدود خدمتهم للنُّار، بل اعتنوا بها وحذَّوْها فكانوا ينصوبونها
من الشُّوَّابب والرُّؤُوس، ويصرمون في المحراب بين وقت وآخر ناراَ جديدة لقد كانت نار
المحراب نارٌ مقدَّسة ولم يكن مسموحاً إلا للكاهن بالتعامل معها، ولتعمل ذلك كان ينبغي
على هذا الأخير أن يكون مرتدداً رباً حاصداً كزبي الجرجاج في أيامنا هذه رده، أبيض. وقبضة
بيضاء معها قباض أبيض على وجهه وكان اعرض من القضاة حماية النُّار المقدَّسة من دنس
تنمُّس الكاهن. وكان من مهمات كاهن لخدمة الحفاظ على النُّار مشغولة في المصحح.
هستخدم لهذا الغرض ملقطاً خاصاً وعمل على أن تكون الشُّعلة فيه مستوية أم مصدر النُّار
فهو خشب أشن أنواع الشجر وأشدّها صلابة (نما فيه شجر «النسبل») ولم يكر اسار تبعث
النور والدُفء فقط، بل كانت تبعث من الخشب المحترق روائح عطريّة طيبة. وكسبوا
يجمعون الرُّماد ثم يدفنونه عميقاً في الأرض

لقد كان أساس الأخلاقي لهذه الدِّيانة التي كانت ديانة رسميَّة للدولة طول ثلاثة
عشر قرناً. أساساً راسخاً وقر الإمكانية الصُّوريَّة لبناء مجتمع قويٍّ معافى فكانت
حياة المرء فيه منظّمة بدقة ولكن ذلك الشُّطيم كان أقرب إلى ما كان يحري في
الطَّبيعة كانت الطُّقوس والسُّعائر الأهمُّ مرتبطه بالاحتفال بحلول العام الجديد، وعادة
الأسلاف، وتكريم المشروب المقدَّس، وإشراك الأحداث في شؤون الإيمان، وعقد القران،
وولادة مولود، ودفن ميت، وما إلى ذلك. وكان الكهنة هم حتماً محرّضو مثل هذه
الطُّقوس

وللصلاة مكانة مهمّة في الزرادشتيّة وكانت هروص بأديّة لصلاة بزرٍ
الحكيم خمسة هروص كل يوم، ليس أقلّ وكان من بواجب أن تؤدّي لصلاة ليلاً
أيضاً. لقد كان الزرادشتيون يذكرون الرُّب صباحاً، وقبيل النُّوم، ولدى خروجهم من
المنزل ودخولهم إليه، وعند اللُّطهر، وأجرء المراسم الشُّعيريّة الأخرى. ولم تكن الصلاة
تؤدّي في المعبد فقط، بل في أيّ مكان متاح وكان ينبغي على المصلّي أن يُقيم وجهه
نحو الجنوب بالضرورة وقد وصف المصنّف الإبراسي صادق هداية تأديّة الصلاة في المعبد
الزردشتي على النحو التّالي «أذكر جيداً عندما كنت مساءً أقيس أبعاد هذا المعبد
كان الطُّقس حاراً، وكنت منهمكاً تماماً وفجأة رأيت رحلين يتّجهان نحوي في ملابس

لا يرتديها الكهنة الآن. ولما احتزبا رأيت بصبي أمام شيعين طويلي القامة هويي السنية، أعينهما تبرق بلمعان غريب، وملاحج وجهيهما غير عادية، كما بدت لي. لقد كان هذان رجلين زرادشتيين يعبدان النار. كأسلافهم المسوك القدماء المدفونين في هذه المقبر. هجما الحطب بسرعة ووضع كومة، ثم أضرم النار فيه وشرع يقرأ صلاة بطريقة خاصة تشبه الهمس. فظننت اللغة كتاب لغة الأهيستا عينا وبينما أنا أرتقب هزاتهم الصلاة، رفعت رأسي مصادقة وحطت على الدُھول فأمامي مدشرة، على حجارة لتواويس اسحضر المشهد عساه انذني بمكسي أنا. الآن بعد ألف سنة أن أراه بعسي، لقد حيل لي أن اسحضره عاشت، وأن الناس لحضورين على لصخرة قد نزلوا لكي يسجدوا لتجسيد إلههم.

والحقيقة أن الحجارة حافظت على الكثير، هبقت محصورة فيها صور داريوس الأول والملوك الأخمينيين الآخرين أمام محراب النار على قبور تاركني - روستام ولطقوس التطهر أهمية خاصة في الزرادشتية ومن الأشياء غير النظمية بعض أنواع النباتات، والحيوانات، واللعابين والحشرات (كالثمل وما شبهه) وعد لمن ما هو غير نظيف أيضاً. ومن الكائنات النظمية الإنسان، والكلب، والبقرة، والشيء، والصعد، والشجر، والنباتات ولذمار التي تنمو في السماتين. وقد قصد الزرادشتيون بالنظافة نظافة لجسد ونظافة الروح. وسدل الزرادشتيون جهدهم كله في سبيل ألا يدنس مصدر الحياة فمن الضروري غسل اليدين جيداً قبل سكب الماء. ويحرم لخروج من المنزل وقت هطول المصركي لا يتلطح الماء والأرض وقبل استخدام اللحم في الطعام كانوا يحرجون الدم منه ومنعوا إقامة الولائم والاستحمام بحضور أتباع ديانات أخرى. كما كان ينبغي أن تكون نار اموقد المنزلي نظيفة. حشبه نظيف وحاف. وفي أثناء طهي الطعام على النار كان يجب الحرص الشديد على ألا تسقط اي قطرة منه فيها لقد كان كل شيء مُعدّ وفق تقنية حييدة كانت لقادوراء تبع إلى خارج المنزل عبر أليات مخصصة للمرس وكانوا يحلطونها قبل ذلك بحليب خاص بحزن في محرن خاص.

بعد كانت المرأة عند الزرادشتيين عصواً كامل الحقوق في العائلة والمشاخة. وكان كلهم يحسب لرأيها حساباً. وبعد الوضع كان طمس التطهر لراماً على الأمهات. ولم يعف حتى البكبه من تأديت طقس التطهر من كان الكاهن المقبل يحصع لعدد من مراحل التطهر، لأن اطقس كان يمتد أسبوعين. وفي كل يوم كان امرش لسكبهوت

يفنسل ستّ مرّات بلهاء، والرّمّل، ومركّب خاصّ يدخل لئول في سيته. وكان المرشّح يرّدّد في غضون ذلك صلوات خاصّة. وكان اللّقب الكهنوتي يتمل بالوراثة، ولكنّ إضافة إلى تاديته طمّس، لتطهّر كان المرشّح للكهنوت سرّس تحصّصه دراسة دقيّة شاملة

أمّا الأطلمال فقد كان المنجمون يكشّمون عن مسفيلهم فور ولادتهم وفي طور اللوغ كانوا يؤدّون طقس الشّكر يس يس سنّ السابعة والحادسة عشرة فيوضع على وسط الصّتي أو الفناة حرام محوك من المحيط لا يمارقه أو يفارقه طول الحياة، وكان حب أن ينام الطّقس في المنزل على صوء المصباح وكانت تُقرأ في أثناء ذلك صلوات من الأفيست.

إنّ لنزادشنيّة تاريخاً معيّداً وطويلاً فقد وجدت، وازدهرت ثمّ أراجها الدّين الجديد الإسلام ولم يبق الرّادشيتون الأوائل معابد، كما لم يرسموا أيّ صور للرّبّ الحكيم وأوليائه. ولكنّ عندما صارت الرّادشنيّة في القرن آقيم الدّين لرسمي لصبرين، أخذوا يرسمون صورة الرّبّ الحكيم شبيهاً بلّله الآشوري، وزولاً عند أمر الملك داريوس الأوّل حفرو رسم الرّبّ الحكيم على حجر أحاموه في عاصمة فارس. وكان الرّسم عبارة عن صورة ملك له حياحان مبسوطان، وكان الملك يضع التّاج على رأسه الذي تحيط به هالة من النّور على شكل قرص الشّمس وينتهي التّاج الذي على رأس الملك بكرة عليها نجمة ويحمل الملك (الّله) سده رمز السّلطة

وفي القرن ٨ ق.م شيّدت معابد النّار ورسموا صور الرّبّ الحكيم ولوائه وآلهته النّابيين الذين صنّفهم. فقد أمر الملك أرتاكسيراكس الثّاني (٤٠٤-٣٥٩ ق.م)، بإقامه تماثيل لآله الماء والحصب أناهيتا في عدد من مدن فارس. كما عمل ملوك إيرّان الساسانيون على تعظيم الرّادشنيّة يوماً فبني في رسمهم عدد كثير من معابد أسّار في مختلف أرجاء البلاد وكانت هذه السّلالة قد بلغت طور ازدهارها في لقرن ٣م. لقد سبت معابد أسّار من الحصاره أو الطّين غير المشوي وفوق مخصّط مطي واحد، وكانت موجوداتها متواضعة، وحبرائها معصّصة من الدّاخل. وكان في كلّ معبد معرب فيه نار مقدّسة.

وبعد أربع مائة عام، عند أواسط القرن ٧م اسولى المسلمون على فارس وضمّوها إلى دولة الخلافة العربيّة. وعلى امتداد حوالتي المائتي عام لم يضطهد المسلمون أتباع الرّادشنيّة ولكنّ بعد أن وُجد هؤلاء أكثر شعوب آسيا لدنيا تحت سبطتهم (في القرن ١١م)، أمر حنساء بني العبّاس بتدمير معابد النّار الرّادشنيّة كلّها تدميراً تاماً ودعوا

الزرادشتيين «كُمار» وحرّموا من حصونهم المدينية الأخرى، وهرّسوا عليهم تأدية
 الجزية ومن كان منهم يعاد. كان يُضطهد دون رحمة. هجر كثير من الزرادشتيين
 وطنه الذي بات تحت سيادة الأعرب المسلمين، وجاءت عدّة آلاف منهم إلى الهند وبتوا
 يدعون فيها فرساً، والحقيقة أنّ طريق الزرادشتيين إلى الهند كانت طويلة، همي بادئ
 الأمر خرج هؤلاء من الخليج العربي، ومنه أبحروا إلى جزيرة ديب التي أقاموا فيها تسعة
 عشر عاماً فقد أذن لهم الرّجا المحلي أن يقيموا هنا في مكان ديموه هم، سانشان ونوا
 فيه معبد النار أتيت بهرام وبقي هذا معبد النار الوحيد في ولاية غوجارات الهندية على
 مدى ثمانية قرون، ومع مرور الزمن اندغم هؤلاء الفرس بالسكان المحليين. ونسي
 أحفادهم وأحفاد أحفادهم لغتهم الأمّ وبنوا متحدثين اللّغة المحلية. ولم يبق على إخلاصه
 لتعاليم زرادشتية سوى الحكمة فحافظوا على ربهيم، القديم عيه؛ وتمسك الفرس كلهم
 بمشاعتهم بقوة لقد كان في الهند خمسة مراكز رئيسة لاستيطان هؤلاء الفرس.
 فانكوتير، وفاراف، وأكيمانار، ويرانث ونايساري. وفي القرنين ١١-١٧م ظهرت
 لفرس مراكز في بومبي وسورت.

ولكن الأمر لم يكن سهلاً على المهاجرين الفرس بيد أن أحوال الزرادشتيين الذين
 بقوا في هرس كانت أكثر صعوبة. فقد هدم المسلمون معابدهم، ودمروا كتبهم المقدسة،
 بما فيها كتاب الأقيمتا. ولم يتمكن من النّجاة سوى مجموعة صغيرة من المؤمنين (البعض
 ابوقت فقط) فقد اتعد هؤلاء عن الأماكن المرحمة بالسكان. وحاولوا أن يحتسوا وراء
 اجباب والصّحاري. في ١١-١٢م، سكّنت الزرادشتية يعيش حالة شبه سرّة لقد حلت
 معابدها من المؤمنين سكن لثيران المقدسة بقيت متّمة في أماكنها المعتادة ولكن في
 القرن ١٧م. أدرك المسلمون الزرادشتيين في ملاجئهم النائية تلك وقد قاد ملاحصهم الآن
 شابات السّلالة الصفوية فأمر هؤلاء بإجراح الزرادشتيين من المدن ورعامهم على عتاق
 الاسلام، أو مواجهة عقوبة الموت قتلاً ومع ذلك بقي الزرادشتيون الأكثر صلابه قائمين
 على خدمة الربّ الحكيم هبوا منشآت بغير نواهد حتّى مع معاند النّار ولم يكن يدخل
 إلى تلك الأماكن إلا الكهنة بينما كان باقي المؤمنين يمكتون في الشّطر الآخر من
 المنشأة

وعاش الزرادشتيون الاصطهاد في إيران حتى في العصر الحديث فقد سيطر المسلمون
 على محمل منحي حياتهم كلها وبات عليهم أن يحصلوا منهم على إذن حتى لباء مسكن.
 ومبعوا من اسمل في كثير من انهر، وحرّمت عيهم التّجارة في اللّحوم. و لعمل في مهب

التسج، و... كما هرسوا عليهم ارتداء ثياب مبرءاء اللون أو قاتمها اللون، نقب حاب الرادشيين الأفق، وانتلقوا من مكان لآخر هرباً من الاضطهاد وتضدياً للاندثار ولذا كان لا بد من أن يترك هذا كله أثراً على مطهرهم الخارجى وصابعهم البنفسجى. لقد كان عليهم أن يفكروا دوماً بالعبء، بإنقاذ طائفتهم وأعمال على استمرارها على عهد الحياة لأكثر من جيل آخر.

لم تتطور الأحداث لمصلحة الرادشيتية. ففي العام ١٢٠٦م قامت في دلهي سلطة إسلامية واستولى المنغول على فارس. وفي العام ١٢٩٧م استولى المسلمون على غوجارات. فاقطعت لصلة بين زرادشتي الهند وفارس.

لقد كان من السهولة بمكان تمييز الرادشيتيين الفرس بمطهرهم الخارجى عن المسلمين الفرس فقد كانوا يرتدون قميصاً قطنياً واسعاً على سروان ويتحرمون بحزام عريض أبيض، ويعتبرون قلمسوة من البساط، أو عمامة وعلى وجه العموم كان هؤلاء شعباً جميلاً رحالهم أقوى، النية، طوال القائمة، عرسو الماكيب أنفسهم كآف الصقر، شعرهم أسود طويل مسرسل، لحاهم مكثيفة، وعيونهم رمادية واسعة. ولما كانت نساؤهم فاضلات الحسن، فقد كان العرس المسلمون يخطفوهن عنوة وينزوجوهن.

أما هرس الهند فقد كان اضطهادهم أخف وطأة وكان هؤلاء مرتبي حيوانات وفلاحين ممتازين. كما نجحوا في صناعة الخمور، وزرعو التبن، وعملوا في التجارة كانوا يزبون البشارة بالماء والحب، وفيما بعد تحول هؤلاء إلى وسطاء تجاريين مع الأوروبيين.

إننا لكي نحدد مكانة الإنسان في هذا العالم، علينا أن نمتلك قبل هذا تصوراً معيناً عن هذا الأخير، عن مبادئ نشأه عن قوابله اسى بعش وبطون وفهنا. واستناداً على مثل هذا التصور تتشكل قواعد سلوك الإنسان في الحدا، أخلاقياته. وتعد مسائله الحياة والموت واحداً من وجوه هذه المعضلة. إذا كان موت الجسد المهيولويحي يعني نهاية لكل شيء بالنسبة للإنسان، فإن هذا ليس سوى سيماريو واحد، تنتج عنه معييره السلوكية الخاصة وإذا كانت الحياة تواص بعد موت الجسد الفيزيولوجي، لكنها تتحد أشكالاً أخرى، فإنه سرب على هذا قواعد سلوكية أخرى، قيم أخرى. ولذلك فإن الموقف من الحياة والموت يسم بمدر كبير من المبدئية. ونحن ندرس هذه المسألة بالتفصيل في كتابينا «الإله، لروح، الحلود» (دار إيكيز، ١٩٩٢م)، و«أسرار العقل الكوي واسوحي» (فيلشي، ١٩٩٧م).

لقد حسم منتقو النعائيم الزرادشتية مسألة الحياة والموت على النحو التالي لا يلحق الموت إلا بالحسد الفيزيولوجي للإنسان. فتنتقل روحه إلى العالم الآخر وهناك تمضي في بادئ الأمر إلى قمة جبل اعدالة وينبغي عليها أن تجتاز حسر تشيقات ولكن الصعوبة تكمن هنا في أن أرواح الأبرار وحدها التي تنجح في اجتيازه فعندما تبدأ روح البار بالعبور يفتح الحسر حتى يغدو أمناً سهلاً. ولكن إذا ما كانت الروح العابرة لا تم فإن الحسر يصيق حتى يمدو كالكسب؛ فسقط روح الأثم في اللعنة. ولا تهتم الزرادشتية بعد ذلك بمصيرها فحسب التي نعرف عنها، لا وجود لها في الزردشتية أم الجنة فهي موجودة. وتقيم فيها أرواح الأبرار وفيها يقوم العرش الذهبي للإله.

ولأرواح الأسلاف، والأبطال، ومعلمي الزرادشتية مكانة خاصة في العالم الآخر وينسحب هذا على الأرواح الحارسة. وقد أطلقت الزرادشتية على هذه لأرواح كنها اسماً واحداً فراهاشي فالراهاشي تعني بالناس لذين يعيشون على الأرض. وتساعدهم على تحصيل القوت، و الماء. وتحسين خصوبة الأرض، وجمع محصول وغير كم تساعد افراهاشي على استمرار العشيرة ورحاء العائلة. وتعد الفراهاشي مثلها مثل الآلهة. ويخصمون لها في الأعباد تقدمات من المأكولات والملابس.

وحسب تعاليم زرادشت أن الإنسان يسأف من طبيعة مادية، وأخرى نفسية، وثالثة روحية فمن هم الفراهاشي إذن؟ لهم صورة الإله وشبيهه، عنصر أبدي خالد. ويعد الإنسان نفسه من حيث جوهره عنصراً خالداً مشرقاً لا يتلف. ولا يموت هذا العنصر الجسد والروح بأي قيد. ويرتبط عنصر الإنسان مع الإله ارتباطاً لا تتمصم عراه، إنه جزء من الإله. وفي طور معين عاش الفراهاشي (الإنسان السماوي) حياة كونية وحلأناً للحياة الأرضية كبت هذه الحياة حياة راحة، حرّة، ومكتملة ولكن في لحظة ما سقط الإنسان السماوي لماداً هل وقع السقوط بسبب عمل لروح الشرير؟ لقد جاءت اجدة الزردشتيين على هذا السؤال إجابة حكيمة. فما هو الشر من حيث جوهر الأمر؟ إن ما هو شر بالنسبة لبعضهم، قد يكون خيراً لبعضهم الآخر، بل وأكثر من هذا فالأمر عنه قد يكون خيراً بالنسبة لأحدهم في وقت ما، وقد ينقلب بالنسبة للشخص عينه إلى شر في وقت آخر إذن كيف يستدل على الشر وأين يقع مصدره وكيف لنا أن نجف هذا المصدر؟ إنما نشر على اجابة لهذا لسؤال في مثال التالي. تصور الحكاياه: كان يعيش في لارمه العبدرة رجل طيبه وقد حدث له الرعبه يوماً لأن يرى الشرير ثم عينه، أي أنه أراد أن يرى عنصر التدمير عينه، روح الشر فعاب العدم كنه وركر انتباهه فقط على الشر ابدى يأتيه الناس على الأرض. لكنّه عندما حل الأمر ليعرف لماذا

يصنع الشَّرُّ، بوصُلِّ إلى نتيجة مفادها، إنَّ للنَّاسِ يعملون الشَّرَّ أمَّا بسبب تربيتهم لعاصده أو بسبب ضررهم، أو لأنَّ اليأس والوحدة أو الحزن يسيطران عليهم. كتب يرتكب النَّاسُ الشَّرَّ أيضاً بسبب حركة قوانين الطَّبيعة التي لا تلائم الإنسان. وهكذا عجز الماحث عن الروح اشترى عن العثور عليه فجاءه هذا في الحلم وقال له «أنت تبحث عني في صكر مكان، لكنك لا تبحث في المكان الصَّحَّ ههنا أقسم في عيبك، وفي قلبك، ففكر في ههنا».

إذن من أين جاء الشَّرُّ؟ لقد ظهر لشرُّ في العام عندما وُحد القلب الذي أُنزِلَ بتفلاق شعور شرير جاء ما لم يكن يمثل بذاته شرّاً. ولماذا يصارع في الإنسان عنصران؟ إنَّ مثل هذا الصراع يبدأ في اللحظة التي يحيز فيها القلب ما هو شرُّ إنَّها هي عينها اللحظة التي يولد لشرُّ فيها في هذا القلب وفيه يبدأ صراع لمصريين.

إذن أين الروح الشريرة؟ إنَّه غير موجود، وهو لم ينفو لإنسان إلى الشَّيخ لموجود في القلب وهو لا يخرج منه إلى السطح إلا عندما يتفجر العنصر الشرير في داخل الإنسان نفسه ولكن متى ولد الشرُّ في الإنسان السَّماوي لأوَّل مرَّة؟ ألم يكن له ما للإله نفسه؟ وكيف إضافة إلى ذلك كان يملك إمكانية أن يضع نفسه تقصيصاً لتلك الكامل فتراد يوماً أن يسمع نفسه في المركز فانتصرت بعواية على الإنسان السَّماوي. لقد رغب في أن يبرر «أنا»، ويضع ذاته في مواجهة باقي العالم كله. لقد خرج الإنسان من العالم المحيط به، وقطع المحيط الذي كان يربطه به فتجزَّأ وعيه وتحول إلى شظايا الكل المدمر. وسات الإنسان المتميز إسائناً عادياً وقد صيفت هذه الحالة الحديدية هكذا «كما نُ الموسقى التي تُعرف لحناً كاملاً تماماً يمكن أن يسمط إذا ما اشغل العارفين في أشياء تأديه للصن، بالتفكير بكل نعمة على حدة؛ كذلك الإحساس الزكي بالحياة في الإله، انقسم كالقعد المقطوع إلى شطرين مكوَّنين» هكذا سقط الإنسان السَّماوي، لقد مرَّفته قوَّة النبذ الأنيوَّة

كما أنتحت تصورات الرادشنيين عن الحياة و لموت طقس وداع الميت إلى العالم الآخر إنَّه طقس غير عادي أبداً. فقد حرِّموا دفن الميت في الأرض أو حرقه، بل تركوا جثمانه للضوء ري والحوارج تمرُّقه وإذا ما توفى الشخص شتاء يحفظون جسده إلى أن تظهر الطَّير في السَّماء وتزهو النُّباتات، وتخرج المياه لخشنة في جوف الأرض، وتجنَّف الرِّيح الأرض، عندئذٍ هبط بسجُون جسده التوفى تحت عرين الشَّمْس لكي تتمكَّن الحوارج والكواسر من نمزيقه. ومنذ وهدته حتى اليوم المضي (يوم دفنه)، يبقى جثمان الميت محفوظاً

في مكان مخصص يفصله عن مكان سكن الأحياء حاجز وعلى امتداد كل ذلك الوقت حتى يوم الدفن يجب أن تبقى النار متقدة في حجرة المتوفى، إنها رمز الإله الحكيم. لقد كانت النار تحجب عن المتوفى بمرشحة عيب. وكانت هذه تسير النار المقدسة عن أعين العفارت، وما ينبغي أن يقال هو إنه حسب تماليم «لزر» دشنة ممثل المتوفى تمسراً عن عنصر الشر، لأن الموت نفسه شرٌ ولذلك كان لمس الميت محرماً تحريماً صارماً، إلا لمن يعملون اجتماعيين. فقد كان هؤلاء يعملون جسد المتوفى ثم يكسونه، ويضعون احزام المقدس على صدره ويديه هوفه وفي المصوّل الأخرى (ما عد فصل الشتاء)، كانت تقام مراسم الدفن في اليوم الرابع بعد الوفاة لقد اعتقدوا أن روح المتوفى تنتقل إلى العالم الآخر في هذا الوقت بالصنط

كانت مراسم الدفن هذه تؤدى وقت الشروق. فيسجى الجنين على لوح خشبي، ثم يوضع هذا على حمالة حديدية يحملها النعالون إلى المقبرة وكان الموكب الحائزي يتألف من أقارب المتوفى وفي المقدمة يسير الكهنة أما المقبرة فقد كانت مصممة وفق معطط خاص. إنها مشاة ارتفاعها ٥ م، مدكرونا شكلها بالبرج المستدير. وكانت أرض البرج هي المقبرة. فصممت الى ثلاثة مجالات مسديرة مد حل بعضها مع بعض. لجنامين الأطفال، وحنامين النساء، وحنامين الرجال، وكان كل جنم ينبت في منطقته، وهنا كانت الجوارح والكواسر تمرّقه، ثم تحفص الشمس عطامه وحينما تجص هذه تماماً يجمعونها ويرمون بها في بئر عميقة تقوم في وسط البرج تماماً. وكانت البئر مكيّسة بالحجارة. وقد دعبت هذه المقابر أبراج الصنمت

وفي العقود الأخيرة من القرن ليلادي العشرين ملمر لعراقيون آخر أبراج الصنمت هذه ويدهر ررادشتيو ايران موتاهم الآن في الأرض، لكنهم يملؤون القبر بالإسمنت حتى حر مساحة صكي لا تدنس الأرض. ولا ير ل هرس الهند حتى يومنا هذا يدفنون موتاهم في أبراج الصنمت

ولم يكن طفس الدفن وحده الذي نطلم عند الررادشتيين بدقة. هالدقة عيبه نطلم أيضاً طقس الاحصار وطقس صلاه الغائب. فقد كان ينبغي أن يلازم سرير المحتصر دون أي إنقطاع، اثنان من الكهنة أحدهم يصر الصلوات دون توقف ووجهه صوب الجنم، ييب الآخر يعد للمحتضر المشروب المقدس أو عصير لرمان لقد كان الكعب حيواً مقدساً عند الررادشتيين، فهو يقصني على النجاسة. ولذلك كان يجب أن يكون الكلب حاصراً عند هراش المحتصر. وليس عيباً أن اعتقدوا أن الكلب يحس آخر نفس وآخر دقات قلب الإنسان.

لقد كانوا يفعلون الآتي: يضعون قطعة خبز على صدر المحتضر وعندما يأكلها اسكب، عندئذ يمكن الجزم بأن المحتضر قد مات

وكانت إقامة مراسم صلاة الغائب الرامية، لأنه ينبغي على الدين على هيد الحياة أن سحلبوا أسلافهم لأرحلين الذين سوف يتصلون بهم من حدود بعد الموت وقبل بدء صلاة العشب كان الأعراب يزدنون طقس الاغتمسال (غسل ليدس، والوجه، والعقب). ويجب بالضرورة ارتداء ملابس نظيفة قبل ذلك وغسل أرض المنزل بماء. كما يجب دخول النار المقدسة في البيت وفي الشتاء لم تكن شميرة إدخال النار تؤدي إلا في اليوم العاشر بعد وفاة الميت. أم في الصيف فلا يحملون النار إلى المنزل إلا بعد شهر من الوفاة. ثم يقيمون طقس تقديم القرابين، يهرمون في النار بعض قطرات الزيت. كما تقام صلاة الغائب في اليوم العاشر وفي اليوم الثالث عشر ومن ثم بعد مرور سنة وما بعد. وفي أثناء إقامة صلاة الغائب بعد الصلوة الشراية المقدسة ويقرؤون الصلوات وأنشاء الصلوة يحمل لكاهن بيده عمن صحاف أو اثل. ثم يتعاون المشاركون في الطقس معاً حاصراً ويجلس المصلون إما على الأرض مباشرة أو يجلسون على قرفصاء ويرفعون أثناء الصلوة أيديهم؛ لكنهم خلافاً للمسلمين لا يلمسون الأرض قط.

سرُّ الإله ميترا

لقد شككت فعليهم رزادشت مصدراً لديانة أخرى حظيت في حينها بانتشار و سع حداً
مكن شمة في دائرة الربِّ الحكيم آلهة مختلفة ومهم الإله ميترا وكلمة «ميترا» تعني
«الوفاق»، «الاتفاق» وفي أوائل التاريخ الميلادي كان الإله ميترا و حداً من أكثر الآلهة بجيلاً
في اسيا الوسطى وشمالى الهند ومن الدولة الكوشية، لجيرة لعد عبده الملوك الأخمينيون،
والمكان العظيمان قرش الأصغر ودارموس الأول. فالتسبة لهؤلاء كان ميترا إله الشمس
والنار لادنية لقد عظمت لرزادشت الإله ميسر بعليماً كبيراً

وفي العالم الهلستى، كما في زمن الإمبراطوريّة الرومانيّة شاعت الميترية شيوعاً واسعاً
لعد كان ميترا يهب لنصر، لذلك حظي بإجلال عظيم عند المقاتلين لرومان

تقد ظهرت عبادة الإله ميترا منذ القدم (في الألف :ق.م) فهو حاصر في الفيدات
والأفيسا مهمته هي ضمان سير حياة المجتمع سيراً طبيعياً وهو الذي يقيم «وفاق بين الناس»،
ويحمي البلاد من النزاعات والحرب، ويسرل العقاب بالأعداء ويهتم بكل ما خلقه الربُّ
الحكيم وميترا هو إله الشمس، كانوا يحتفون بعد ميلاده يوم الانقلاب الشتوي، أي في ٢٥
كانون الأول ومن الواضح أن هذا التاريخ قد «تعل إلى المسيحيّة»، أنه يوم ميلاد يسوع المسيح
وبعد ميترا ابن الربِّ الحكيم من روحه أرماني، إله الأرض.

وفي طريقها إلى أعالم الآخر كان يجب على أروح الموتى أن تعبر جسر تشينباد.
وكان يقف على ذلك جسر الإله ميترا وشقيقه، ويعقدون المحكمة التي كانت تقرّر من
سيبر، ومن يرمى في البوة ولم يكن ميترا يرن في ميزان العدل كل أعمال الشخص فقط،
بل نواياه أيضاً لعد رأى المؤمنون في ميترا وسيطاً بين الربِّ الحكيم والروح الشرير وميترا
الشب ابداً يدرأ الشر عن البشر، ويبذل كل جهده في سبيل أن يتصر لخير لقد كان
يمثل فكره الخير، وكلمة الخير، وفعل الخير

لقد حافظ ميترا على النضام العام والأخلاق، وكان المساعد الرئيس للإله الحكيم،
ولذلك هن الأطلاق في الميترية هي عينها ابني في لرزادشتية والواقع أن الأخلاق واحد في

الديانات الحقيقية كلها ولا يمكن للأخلاق أن تكون مختلفة إما أنها موجودة أو غير موجودة وتتميز الديانات الحقيقية في أن الأخلاق فيها موجودة وينبغي على الإنسان نمسه أن يختار بين الخير والشر. وعليه أن يحارب شره، وألا يولد عليه أيضاً أن يكون شريعياً، وصدقاً، وسمحاً، وحكيماً.

فقد أشتات المسيحية نموذجاً متدرجاً من الكمال الأخلاقي وأولى درجاته هم الجنود اد يدخل هؤلاء في قتال مرير ضد المبدأ الشرير يليهم على درجات السلم الصباغ والأسود، هؤلاء شئون حرياً ضد روح البعض الغدار وتقف العرب على الساحة الثالثة من السلم إليها حسن نهاية عصر الشر، موته، ويقف الذهبيون والحديديون على الدرجة الرابعة من سلم الكمال الأخلاقي هذا، هم يحملون في نفوسهم أملاً راسخاً بالحرية لأنهم تمرسوا في الصراع ضد الشر يليهم على أعلى درجات لكمال الأخلاقي مسرا الظاهر. لقد هزم ميترا لفتراً

لقد كانت تستمر الصلاة للإله مسرا من لحظة بزوغ الفجر حتى ينتصف النهار وكرسوا له اليوم السادس عشر من كل شهر، ففي هذا اليوم كانوا ينشدون الأناشيد على شرفه وشرف الشمس وكان يجب على الملك أن يؤدي بنفسه الرقصة المقدسة أمام الشئب في أعياد ميترا هبتلك الرقصة كانت تبدأ احتمالات الشئب بالعيد وكانت الحركات لمقدسة تؤدي على شرف مسر في الكهوف والسراديب غالباً كما استقرت محرابيه في الصخر، وقد دعوا «الميتريات الصخرية» وكان ثمه سلم مؤلف من سبع درجات يقود إلى كل منها ومن المعروف أن العدد سبعة كان عدداً سحرياً في ديانات الشرق القديم كلها، واقتسبت الميترية كثيراً عن الرردشية، ورمز موت الطبيعة وانبعائها كما يلي: في وقت الاعتدال الربيعي تكون ميترا بصفته ميتاً، فيضعون تمثله ليلاً في نعش حجري، ثم يأخذونه منه في الصباح وسدزون إنشاد الأناشيد التي تمجده

وما يثير الاهتمام خاصة أن المؤمنين كانوا يأكلون على شرف ميترا خبزاً، ويختسون حمراً، ويشربون شرباً محلي وفي المسيحية كذلك يرتبط سرُ المناولة بالخبر والنبيذ (= جسد المسيح ودمه) خبز إلى هذا أن المعمودية أيضاً كانت طقوساً من طقوس الميترية. وفيه كانوا يحررون الشئب من آثامه وكان الفرد المعنى يتصل في غضون ذلك مع الإله ميترا، وأثناء إقامة تلك المراسم كانوا يغمسون الجهر قرياً لميترا، ويمسحون يدي الممّس ولسانه بالمسح كي لا تدخل، الآثام وعيه وجسده

لقد كان على المؤمنين كلهم أن يتلقوا سر المعمودية «مما من أراد (أو كان يحب عبه) أن يصبح كدها، فقد كانت طقوس تكريسه ومرسه أكثر تعقيداً. ففي الأول كان على

ايرشخ للكهنوت أن يجتاز جو لي الثمادين نجريه وامتحناً بعصها كان على الشكل انثالي
عمر شهر جليدي عميق سباحه، والمرور عبر النار، وتسلق صخرة عمودية تماماً وقصاء وهت
طويل وحيداً، والامتناع عن رداء ملايس رافقة واحتذاء حذاء مهما فكانت حال الطقوس
الجوي، وضرورة لاهتيايات بالثمار النتيه فقط، و..

وتعد الإيديولوجيا الميترية إيديولوجيا متعائلة، نوراية في طقوس الميترية ومسرحياتها
كها يحري لحيث عن الانتقال من الديحور إلى الثور، والتخلص من الشر والرزانيا وشنة في
الميترية كثير من الأفكار والمفكرات المتشابهة وكان للملم المسيحي تروتوليانوس محققاً تماماً
صدم رأى في طقوس الميترية ما شبه الأسرار المسيحية وحتى أفكار الميترية نفسها كانت
شبيهة جداً بأفكار المسيح ويجب على المسيحي الحقيقي أن يفرض لهذا؛ عليه أن يصرح لأن
الآخرين وشؤون حرياً على الشر، ويطمحون لباء مجتمع ذي مستوى أخلاقي سام، ولكن بعد
أن نال فلسوفة المسيحية ليس السلسلة الروحانية فقط، بل السلطة الزمنية أيضاً، بات الأهم
بالنسبة إليهم شيئاً آخر، البحث عن سبيل للحفظ على تلك السلطة وترسيخ أركانها. لقد رأوا
في كل الرعاة الروحانيين الآخرين منافسين حطرين لهم، تهديداً لسلطانهم ولذلك شنوا حرباً
ضارية على ممثلي الميترية وانحقيقة أن الميترية كانت تشبه من حيث الصيغة والحوهر،
الديانة المسيحية شيئاً كسراً فميتراً متلاً كان مثله مثل المسيح بُدً وسيلاً بين الإله والناس
ميتراً هو ابن الإله الأعلى، الرب الحكيم، وهو يحقق إرادة والده. والرئاسة عينها كان يؤدنها
المسيح حكماً كان كمن مهما يحارب لشر، ويعادي ككل شكل من أشكال الظلم وبعد
المآثر التي حمفها ميتراً على الأرض، أصدى بي أبيه في السماء، وكذلك المسيح بعد أن أدى
رسالته وحق إرادة الأعلى، أصدى إلى السماء إلى الإله الأب. وفي الميترية كان على
المكرس الحسيد أن يؤدي طقس الاعتسال، لأنه السبيل إلى التخلص من الآثام وهذا الطقوس
هو طقس العمودية المسيحية عينه، الذي يطهر من الآثام حتى العشاء السري له في الميترية ما
يمائله الوليمة السرية، وليمة ميتر ومعويه

قد كان الذين المسيحيون الأوائل يساعون الناس في كل شيء (كما كان
يعمل المسيح) قد كانوا خيرة الحكمة، وتعلموا لطباً وداووا المرضى، وكانوا على دراية
بالشجيم، وعرفوا التاريخ وأرثوا الأرواح وشنوا وحلوا الآثام. وهذا ما همه كهنة الميترية
عملت وكما المبنيون كذلك المسيحيون عدوا بمسهم أخوه فكان كل منهم سادي الآخر
«أخي الحبيب» وهكذا فعل «الأخوه في المسيح». وكما حمل الميتريون بيوم الأحد، كذلك
حمل المسيحيون ويحمل الطرهان بيوم ميلاد ميسر والمسيح في يوم واحد: ٢٥ كانون الأول.

ولا يبصق لنا بعد هذا كله سوى أن نأسف لصراع المرسل السني دار بين المسيحية والمهترية فتعاليمهما متناقضتان - تؤمان وإذا كانت غاية كل منهما واحدة تحقيق الرخاء لأتباعهما والنقاء الأخلاقي في المجتمع فما الذي يمكن أن يسوغ تلك الحرب الشنوء التي دارت بينهما؟ لا شيء بالتأكيد، لم يكن ثمة مسوغ لقد حرصت العبة المسيحية على زيادة مواردها، وكان ذلك يرتبط بزيادة أعداد المؤمنين. ولذلك عمل هؤلاء على ملاحقة المهترين واصطهادهم ويفضل تحول المسيحية إلى ديانة رسمية للدولة، باتت هذه تملك إمكانيات حقيقية لاضطهاد مناهسيها. وقد ارتدت تلك الملاحمت طابعاً لا أخلاقياً تماماً، عندك عن وحشيئها فالكي يخرج المسيحيون معك مسر من المعركة، أو عزو إلى موظفيهم شنيسه وقتلوا كاهن ميترا ودفنوه في أرض لمعد نفسه. وبعد ذلك بات المعبد عاجزاً من حيث المبدأ عن تأدية وظائفه هكذا كان أولئك الدين دعوا أنفسهم أتباع المسيح. يؤدبون عمسهم!

انتصار مملكة النور

ومن دعاء النور في الشرق القديم، لنعلم العظيم مانو، وقد مانو في القرن الميلادي الثالث لعائلة أرسقراطية فقد كانت والدته تنتمي إلى السلالة اسارثية التي كانت تحكم وقتئذ في باب. سمجته الأم كتيميمور كانت بالنسبة إليه كالحليس بالنسبة للمسيح. لكن الأمر الأهم، هو أن المديع كانت ذات طابع أممي. فكانت تسمع فيها لغات الشرق كلها، وتقابل أناساً ينتمون إلى شتى الديانات والثقافات. وقد تعايش جميعهم بسلام، وأثر واحد منهم في الآخر دينياً، وثقافياً، وفي ميدان العلاقات الاجتماعية. ومن الواضح أن ذلك التعايش لم يكن البيئة المثالية لنمو الفوميشة التي تمزق عالم اليوم. فبصرف النظر عن أن الراديشتية كانت هي السبيل الرسمي لسؤلة لبارثية في دبل إيان القرن الميلادي الثالث، إلا أن السلطات السارثية والمواطنس السارثيس نظروا إلى أتباع الديانات الأخرى نظرة ودّ وتسامح. لقد تواصل النبي المقص مانو مع اليهود، والمسيحيين وعرف التوراة معرفة حادة كما كانت لوالده بتيشمي. سلالات مماثلة مع اليهود والمسيحيين وقد انقسم إلى وحدة من الطوائف اليهودية - المسيحية، مع أنه كان قبلان من عابدي أحد الآله المحليين. وكانت الطائفة المعنيّة تدعى (لدين يعمون أنفسهم بأنفسهم) ويرى عن انتماء واب النبي إلى هذه الطائفة ما يلي (جاء بتيشمي المعبد مرة كالعتاد، ليسجد للآله المحليين. فسمعها صوت يدعو للامتثال عن تناول اللحوم، واحتساء الخمر، ومعاشرة النساء. لكن الرجل حاول أن يطرد الرؤب، بل هرب من المعبد وفي اليوم التالي تكرّرب لدعوة عينيها وهكذا استمررت الحال عينيها ياماً، وباتساء أكثر إلحاحاً وأكثر تغلغلاً في الروح. وحيراً لم يبق لبتيشمي إلا أن يسي الدعوة ويقبل لوصايا التي لقنه إياه الصوب العريب. إذ لقد كانت هذه الطائفة طائفة تختلف عن اليهودية كما تختلف عن المسيحية فلم يحرم أي من هاتين الدمانتين الزواج، فهذهما بتيشمي كانت إذن تسبعا من تنوعات النقش والتسك التي كانت شائعة في الهند شيوياً واسماً

لقد قبل بتيشمي شروطاً لصوت وهجر الحياة العائلية، غير عابئ بكون زوجته وقتئذ حاملاً فهاش في الطائفة، ولم يمكن يمشي بيته إلا نادراً. وهكذا ولد الداعية بعل مانو وإد

بلغ الرُّبعة من عمره أخذوا والده لمبعوث معه في الطائفة وبدأ منذئذٍ إعداد مانو دينياً، ولكن مانو مكثت لديه رسالته لحاصته ومنذ أن كان في الثمانية عشرة من عمره أحدث تمشاه رأى خاصة يتحدث خلالها مع مبعوث إلهي وقد دعا القتي ذلك المبعوث «توامه» أو «صيوه» ومرة أعلى المبعوث للمسي أنه ينبغي عليه أن يترك الصائفة لأن رسالة خاصة بانتظاره عليه أن ينقل للناس بشرى أشحر نكته لم يقبض لمانو أن يخرج من الطائفة إلا فيما بعد، ما الآن فقد مكث عليه البقاء فيها لينهل المزيد من المعارف وبراعم المريد من الشجرية ومرب اثنا عشر سنة أخرى. وفي يوم ميلاده الرابع والعشرين جاء المبعوث الإلهي معلناً أنه ن الاوان لكي يبدأ مانو دعوته مستقلة إلى الحقيقة

لقد بدأ مانو حياته التبشيرية في مرحلة تأسيسية بالنسبة لشعبه (منه في هذا مثل بود) للأعداء دمروا المملكة البارثية ونهبوها وأحرقوا المحتلون الرومان كتيمةفون مدينة مانو الأم وهاجم القادة العسكريون المحسوبون الحانة بتنظيمهم سلسلة من الانتصارات المتتالية لقد كن كلهم يطالب بالاستقلال فتمسرت الدولة وبرزت اشلاء وفي الأثناء نجحت السلسلة لسامانية في الاستيلاء على السلطنة. والحقيقة أن هؤلاء نجحوا في صد الهجوم الروماني لبعض الوقت. وفي لحظة الأمل، أمل تحقيق النصر على الأعداء وبدء حياة جديدة هائلة يسودها العدل، بحث مانو سبباً للشعب البارثي لقد حاول مانو أن يدرك هذه الحياة بالظلم الذي فيها، بالأمها، وعصها، وجرائم القتل لمتشرة فيها، مطلقاً في ذلك من منطلق كوني إلهي. فلم ير مانو في الانتصار على العدو (الرومان) مجرد حالة من التفوق في الاستراتيجية العسكرية، أو في إقدام الجنود وشجعانهم، بل تجسداً لمرجوة الكونية بين مملكة النور ومملكة الديحور تتحقق على هذه الأرض الآمنة

لقد كان الحكماء يعرفون أن الكون مسسوح من النور والظلام من الخير والشر. وأن سبب شقاء الجنس البشري، هو وجود مملكة الديحور المظيمة الموحشة. وسبب أثم الناس، هو الطمع، والحسد، والكراهة، والقسوة، والعدو بية، و.. إن الصراع بين النور و الديحور متواصل لا يوقف ولكن توارى نقوى بينهما غالباً ما يحتل بيد أن أياً من الطرفين عاجز عن تحقيق نصر تام تاجر على الآخر، في رمنا هذا ولكن الرمن الآتي يعد رمنا سوف يشهد هزيمة الظلام أمام النور. ومن المعروف أن المعتقدات والأديان كلها تقمر مثل هذه الخاتمة لصراع الخير والشر

إن الإله لأعلى في تعاليم مانو، هو رب النور أو أب لعظمه. وهو حاكم مملكة النور ويحسد هذا في داته ابحر والإحسان، ويظهر في صيغ إلهة أربع، فهو إله ونور، وقوه

(جبروت)، وحكمة وقد منح أب النور عقلاً، ومعرفة، وبصيرة، وفكراً، وحصافه، ولذلك نجح في إدارة العالم بحكمة. وتتعدد سماته الإلهية في «ثتى عشرة ماهيه مبركة أو خاصه وهذه هي: لسلطه العبا، والحكمة، والنصر، والمسلمه، والنقاء، والحقيقه، والإيمان، وطول الأناة، والاستقامه، والإحسان، والعدل، والنور. من الواضح إذن أن العدد اثنا عشر عدد مقدس

أما النقيض، أي مملكة الديجور، فإن احاكمها هيها هو ملك الظلام لخبث لنادر لشرب وثمة في حاشيته حشد كبير من العقرب والأرواح الشريرة وهذه تسحر، وتخدع، وتوقع في شياكلها مريداً من الأتباع كل يوم

ويمتلك أب النور خمسة عناصر، خمسة عوالم، هي النور، والريح، والنار، والماء، والأثير وخمسيتها عناصر مشرقية. ويمتلك ملك لدجور بدوره على خمسة عناصر فيريائية. ثمانية، تدفع نحو الأسفل. وهي النار، والدخان، والريح، والماء، والظلام وهكذا تظهر اسرار، ولاء، والريح في أقديم محتمة روحية وفيريائية، خصية وثمسه.

وكان قد شارك في الصراع ضد الظلام قبل مانو، يسوع المسيح ثم واصل مانو تلك احرب فالإنسان بحاجة إلى الخلاص لأن روحه سجينه أغلال الجسد، وإذا ما اعتنق الإنسان تعاليم مانو، فإنه يغتو اننا للإله - الأب وورثاً مباشراً له لقد نسي الإنسان أن منشأ إلهي، وأن مهمته إنقاذ العالم من الظلام. لكن الإنسان قادر على إدراك مقوده والعودة إلى مملكة النور

لقد أدرك مانو أنه المخلص التالي بعد المسيح، ويمكن يثر رسالته مكن يوم دون كلل. فجاب الأرجاء وقصى حياته كلها مسقلاً وأرسل للاميذه كثره من الرسائل، أمت أعظم مفدسات، المانوية ولم يشهر مانو في بارثا، وسوغديانا فقط، بل في الهند والصين أيضاً وبعد أن حاب في الأرض طويلاً عد مانو ليموت (ليقتل) في وطنه ومع أنه كان من أعظم معلمي الروح، إلا أن وطنه استقبله بصعته هرطيقاً مشعوداً فسرت إشاعات تقول، إن مانو وأتباعه قادرون على فعل كل شيء: التسلسل عبر القوافد وشرب الرصاص، مصهور، والتعليق فوق الأرض، والاحتماء عن النمل في غمصة عين. فأمر ملك مانو بأن يظهر هذا كله لكن لئلي أحسن نأته أمين ورفض أن يصنع أي معجزة كانت. عندئذ أمر الملك بإعدام مانو، وطريقة عيها انطلمت ككثرة من مشاعل البشرية الذين لم يكن هدفهم سوى حبرها ويرى أتباع مانو أنه كان آخر محلل للحس، بشري، وهم يظنون بمشكر من لمره إلى المخلص لآخر يسوع المسيح، ويمثلون مانو، المخلص الحقيقي

لقد كان اتباع تعاليم مانو ينتمون إلى مشارب شتى ومع مرور الزمن انقسم هؤلاء انقساماً طبعياً إلى مجموعتين. مجموعة المختارين، وهم أولئك الذين التزموا التزاماً صارماً بقواعد العيش المشترك الكهنة بشكل رئيس، ومجموعة ثنائية أكثر عدد، هم المستمعون اتباع المختارين. وقد أحاط المستمعون بالمختارين، فأعدها لهم طعامهم، واعتصموا بشؤونهم وكان اختارون بدورهم يطلعون مستمعهم على الحقائق المكتوبة في التعاليم، وبركاتهما، ويزرعون فيهم الأمل بالخلاص. لقد اعتقد المانويين بانتقال الروح، واقتضوا أن روح المستمع الملهتم ممكن أن تحيا في الجسد الأخرى في جسد مختار. وهذا م كان يسمح المستمع الأمل وألقيت على كاهل المختارين مهمة مزدوجة: الصلاة من أجل أنفسهم، والصلاة من أجل المستمعين.

ومن أهم ما تميزت به تعاليم المانوية، هو أنها «عترف بأن كل شيء (بصرف النظر عن معتقده) يحس إلى الناس حقيقة ومن هؤلاء، المسيح وبودا، ولأوتيسي، و... وكان مانو قد رأى أنه ينبغي أن يكون للبشرية دين واحد. ولذلك وجه النبي تعاليمه إلى الناس ككلهم بصرف النظر عن الانتماء القومي، فقال «إن من له معبد في الغرب، لن يبلغ الشرق يوماً لا هو ولا رعيته ومن اختار رعيته في الشرق لن يبلغ الغرب أنداً ولصكن أمني معقود على أن تعاليمي سوف تنص إلى لغرب والشرق وسوف يسمع جميعهم صوت دعائنا يبشرون باللفات كلها، وفي المدن كلها إن كنيستي ستتفوق على الكنائس الأخرى كلها، لأن هذه الأخيرة اختارت لنفسها نداءً معيناً ومدناً معينة، أما كنيستي فإنها ستتنتشر في المدن كلها، وسوف تؤثر بشارتي في البلدان كلها».

لقد ساعد الموقع الجغرافي نفسه فكرة مانو فمارس وقعة من روما والصين، وكانت الفئة الحاكمة في فارس تبشّر دائماً بمكرة رساله فارس «الوسيط»، ومن وجهة نظر إيديولوجيا الدولة، عدت فارس مركز النصفية العالمية وتقيد الرواية التاريخية، أنهم وصعوا إلى حاسب عرش الملك كسرى لأول أنوشروان ثلاثة عروش أخرى أعلنت لحكام الصين، وروما، والكاهنات الخزري بيد أن العروش الثلاثة بقيت خالية وليس هذا عريب، لأنه لم يكن للمساواة مكان تهم فيه. فالملك الفارسي كان يحب أن يبقى ملك للملك، والثلاثة الآخرون تابعين له.

وبحبرنا المارقة التالية لدى دراسة تعاليم مانو فهي من جهة تعاليم أعدت لجميعهم، وجميعهم بالنسبة إليها سواسية ومن جهة أخرى كان موقف أسلطة منها معانياً في السدان كلها. فقد رأوا فيها تعاليم مؤذية، هرطقة. ولذلك لوحقت لمانوية في كل مكان في الصين.

وروما، وحتى في بلادها نفسها ولكن، لتعاليمهم تستسلم على الرغم من الملاحقات صكلها وكان مصدر قوتها كامناً في لقوة لدملة لشخصية مانو وقدرته المعجزة على الصمود والثبات فقد كان هذا الشّي خطيباً لامعاً ونفسانياً دقيقاً حادفاً وملك طاقة خيرة حيرة. فقد أكدوا أن من كان يقف إلى جانب مانو ساعة أو ساعتين، حكام بقى طوال أشهر بحسب بفيض من القوى، و لسمادة، والسكينة. ولذلك لم يكن عريباً أن يمدو مانو في حياته واحداً من أكثر الشخصيات شهرة في كثير من البلدان. فأنشأوا حوله حرافات وانتشرت تعاليمه في السهوب الجافة كانتشار ضوء المشعل فاستولى خلال بعض الوقت على أمد، شاسعة من الإمبراطورية الرومانية كما كان كثير من لشخصيات الرومانيه لبارزة من أتبع مانو. ومنهم على سبين المثال أفريطوس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٢٢م)، الذي اعتنق المسيحية فيما بعد ولكنه كان قد بقي ربحاً طويلاً من حياته بصيراً لتعاليم مانو فقطى تسع ستودت قرب أحد المختارين، وعرف الماتوية من لتأخل وكن الإنسان يبقى سناً فالتخارون لم يسلطوا في روما السبوك الذي فرضته تعاليم الماتوية وكان أوغسطين الذي انتقل إلى المسيحية محققاً تماماً في انتقاداته للمانويين الرومن الذين كانوا يمشون حياة ترف وندج بيد أن ما يبقي قوله، هو أن أكثر دعاة الماتوية كانوا ذوي سلوك لائق.

الفصل التاسع

آلهة السلاف قبل المسيحية

تدعى معتقدات السلاف قبل اعتناقهم لمسيحية بالمعتقدات «الوثنية»، أي المعتقدات الوثنية.

لقد كان للسلاف مجمع الآلهة الخاص بهم فكتب الحوليات تقرر: «بدأ الأمير فلاديمير في كيبف وحده مفرداً وأقام الأوثان فوق التل حارح القناص سرون الخمشي ورأسه من فضة، وقمه من ذهب، وجورس، وإسموع، وسترسوغ، وسمارغس، وموكوش. وشرعوا يقدمون لهم القرابين، ويسادونهم آلهة، واصطحبوا أسامهم وبناتهم، فكيف كان هؤلاء لآلهة؟»

كان الإله بيرون هو رأس المجمع كله. وهو إله حامية كيبف لروسيه ويعد عتاق لمسيحية من النبي إيب معله. وليس عريباً أن يتوافق يوم عيد بيرون مع يوم تبجيل إيلب النبي في شهر نموز.

وكان إله الرعد شخصية معروفة لدى الشعوب الهندو أوروبية لأخرى. فهو عند لجرمان تور (= ثور)، وعند لاتفيين، واسيتو، فيس و لبروس، هو الآلهة الأعلى بيريكونم.

وبيرون السلافي، هو مقاتل أشيب له شنب ذهبي، يجوب السماء في مركبة أو على صهوة حصان مطلقاً سهامه - الصواعق، والرعد صوت عذو مركبته. وقد نصب سهمه الإنسان واعتصوا أن ذلك لا يقع إلا إذا كان إله الرعد يريد أن يجبدل روحاً نجس سكّن جسد الشخص المعنى. ولذلك حرّموا بكاء من تملتهم صواعق بيرون، لأنهم إنما فحزروا من النفس. وببيت إله الرعد في جدد الشجرة المقدسة.

ولم يكن الإله بيرون الإله الرئيسي بين آله السماء فقط، بل كان أسلاف الأولى لذي حرح منه السلاف، وهو شميع الأمر، وحامية البلاد. وكان قد شاع مسندت عرف حرم النطق باسم الإله علانية ولذلك أطلقوا على بيرون أسماء مختلفة هشاع كثير اسم دوندول (دونول، دوبير).

لقد قدموا لآلهة بيرون دناح حيوانات مقدسة (الحصان، الثور، الغنز)، وبياتات شجرة البلوط والتفاح البري وأقاموا لصنوات له في أعمال شجر البلوط أو تحت شجرت معبها أما معبده فقد شيدها فوق الحصان ومرتفعاته، وكانوا يشعلون هناك بيراناً. فالنذر عدت طلعة إله الرعد.

وعند كل يوم خميس مكرماً يبيرون. حتى أنهم دعوه أحياناً باسم خميس كما كان لسرون أسماء أخرى فقد دعوه برايه (= ابن)، لأنه كان تمسيداً للعدالة لغنياً، وشمة في الحراهد والحكايات ابحراهية الروسية اسم براهد (= الحقيقة) ودعي إله الرعد عند السلاف الغربيين برويه.

لقد كانت أوثان الآلهة عند السلاف من خشب، ولذلك فهي لم تبق، ولكن في العام ١٨٤٨م عثر على وثن سلافي من حجر وكان هذا يسمى إلى القرن ٩م، ولا يزال الوثن معروضاً حتى الآن في متحف كراكوف وبمثل هذا نصنم مجمعاً كاملاً من الآلهة ويعطي تصوراً عن تصور السلاف القدماء لنية العالم فإلى جانب بيرون احتوى الصنم الرباعي الأبعاد على ثلاثة آلهة آخرين وبمثل هؤلاء كلهم عائلة إلهة واحدة، معشراً واحداً. فالآلهة كلهم يشتركون في معركة الإله الأكبر بيرون ضد الثعبان ويخوض سرون صراعاً ما صد الثعبان، أو ضد الملك الثعباني، أو حتى ضد فيليس. وقد وصفت الأساطير مختلف تعاليات هذا الصراع. يحطف الثعبان قطع إله الرعد، أو روحته، أو أنشاء الشمس. فسرل بيرون الثعبان مطلقاً سباهمه - صراعه عليه. لكن هذا يحاول أن يتخفى في الأشجار، وحلف الصنم، أو حتى في أجساد البشر والحيوانات بيد أن صواعق بيرون تدركه وتجسده. فيحصل لطر على الأرض منداراً ولكن الصراع لا ينتهي ومن الرنح حتى الحريق يطارد بيرون أعداءه ويصرعهم ونحن مرصد أسطورة صراع سرون ضد الثعبان في مآثر الأبطال من اسشر أيضاً. هنريونيا بيكيتيتش مثلاً، يهزم الثعبان غوربيتش، وأليوشا بوبوفيتش يهزم توشارين ثعبانوفيتش. أما إيليا مورومتس فإنه يهزم اللبل - قاطع الطريق، أو الثعبان لصقراً القرنين الذي يحمي شجرة البلوط في ابحاهة اكنيف.

لقد تميز السلاف القدماء بمثل هذه الميية المقلوبة للعالم وهذا ما مشهد به الرسومات المرسومة على الوثن الحجري. فتمت على الأبعاد الأربعة للمسد الحجري صور لآلهة مختلفة رسمت وفق نظام محدد، وفق تراتبية من الأعلى إلى الأدنى. وفي الحزة الأعلى من النذر رسمت إلهت سقر وحاتم في اليد كما رسم هنا أيضاً له مع سيف وحصان ورمز الشمس. أما الطبقة الأعلى من الصنم الحجري، فهي أصغر لآلهة، هي السماء وثمة على الطبقة الوسطى

من الصنم الحجري صور لرجال ونساء يمسك بعضهم بيد بعض ورسمت في أدنى طبقات الصنم صورة إله محور ساجد على ركبتيه وهو يظهر من الأمام، ومن الجسد وهكذا يحمل الصنم الحجري معطيات لا عن الآلهة ولصنم التراتسي فقط بل عن بناء العالم المحيط أيضاً. أما الآلهة، فإن تلك التي تحمل القرص، رمز الوفرة، هي الإلهة ثيو سكوت إلهة المحصول، والآخرى التي تحمل الحاتم رمز لزواج، هي الإلهة لاد، إلهة الأرض ورسمت في المكان عيه صور، بيرون يرمج على جواده أما الإله الذي تحمل ملاهسه رسم رمز الشمس، فهو الإله داجيوغ رب نور الشمس، وهؤلاء كلهم آلهة النفس الأعلى، آلهة السماء، ولكن ثمة آلهة رسمت صورته في أسفل طبقات الصنم راكعاً على ركبتيه. إنه الإله فيليس إله الأرض والعالم السفلي وحسب المعطيات المتوفرة يبدو أن السلاف القدماء تصوروا العالم المحيط بهم مؤلفاً من ثلاثة مستويات في الأعلى، أي في السماء، يقيم الآلهة الأعظم وفي الوسط بتوضع عالم البشر وفي الأسفل يقع الحضيض

ولم يكن الإله فيليس وحده يملك في لعالم السفلي بل كان هناك غير قليل من آلهة الملقبة الأولى، ومن آلهة الظلام أولئك الآلهة تدعى ياغا، أي «الضباب» وقد تحدثت كثير من سماتها في الشخصنة لخراصة ياغا لساحره لقد كانت ياغا ربة الطليعة البرية، وصيرة الساحرات وحاميتهن، ولا يقيم ياغا في العالم السفلي فقط حيث تمتد يد المون لموى الشر والظلام، ولها ابنة تدعى ياغيشما تخبئ دوماً في غياهب الغابات ويبدو ياغا شبيحة الصورة، بساق واحدة وعين واحدة وما عدا ياغا كان هناك آلهة آخرون في الممسكة السفلى ومنهم كاشيه الخالد، وعائلة الغورينشيين التي تتألف من الثعبان غورينتش نفسه، والفرس غورنيا حامل قوة لشر العضلية، والساحرة غورنيكا، و

ولكن الإله الرئيس في العالم السفلي، هو الإله فيليس (فولوس) سدناً لا نستطيع أن نقول إنه كان إله قوى الشر الظلامي فملائمته متنوعة جداً ولم يكن رباً عالم الأموات فقط فكان يملك قوة سحرية، أي لحروب واسلطة وصلة الشب بادية بين فيليس، وفلاست (= أسلطة)، وفيلست (يامر)، وفلاذنت (يملك) وفيلسكي (عظم)

لقد كان فيليس شفيح الحكماء واشتراء، حكم عد في الأول حامي عام الحيوان، ولذلك تحييه في صورة وحش أومر مائلاً هكذا وليس عتاً أن يكون المكهة الوثنيون يريدون جلود لحيوانات وفراؤها لي الحارح

لقد كان الآلهة يتعبدون عند الشعوب كلها مع تغير نمط حياتها فعند تقدمت تربية الحيوان عند السلاف، صار فيليس، من حارم للحيوانات المنزلية ومع تقدم الزراعة بات إله

العمل الزراعي والمحصول وعرف السلاف تقليداً يتركز بموجبه جزءاً من الحد لا يحصدون سنبلة «لحية للإله فيليس» (نوه إلى أن شريعة موسى قضت بعدم جمع المحصول كله من الحقل، وترك ما يمكن تركه لطيور، والوحوش، والفقراء) لقد شاعت عبادة فيليس عند السلاف مسيوعاً واسعاً وهو ما انعكس في تسميات قراهم (فيليسوفو، فولوسوفو، فولوتوفو، و...) .

وكادت تمكث في عالم الأموات بين وقت وآخر إلهة مورينا، أو مارينا (اسمها مأخوذ من كلمة «مور» = «موت») ولحقتها ككائنات إلهة الخصب في الآن عينه.

أم إلهة لسماء هربنا نعرف عنهم الآتي في طور تحولهم إلى ممارسة العمل الزراعي، فتتس السلاف آلهة السككث (الفرس) وكان الإله لرئس بين هؤلاء الآلهة، هو إله حررة الشمس، إله الصوء وتصح المحصول داجيوغ (داجيوغ) ومعنى اسمه: «إله الحر». ودعوه أيضاً: «الملك الشمس»، أو «ابن سمروغ» وكان رمز هذا الإله هو الذهب والصفة. وقد تمايز آلله الوثني هؤلاء رمزاً طويلاً مع المسيح. وكان ذلك الزمناً زمن الأرواجية الحديثة، الذي توافق مع عصر السبعثر لسياسي في بلاد الروس (القرن ١١-١٢ م) ولكن الديانتين لم تصارع إحداهما الأخرى، بل يصح القول إنهما كملت إحداهما الأخرى. فالأميرات في روسيا القديمة كن يحملن على سبين المثال فيعاب طقوسية في وسطها إما صورة يسوع لسيح أو صورة داجيوغ ومع لوقف تحول داجيوغ إلى دايوغ (= فليعلنا الإله م.)، وهو ما لا يخالف المسيحية وراوا في الملك - الشمس الحاكم الأول والمشرع الأول الذي يرتبط به التقويم السنوي وما في حكمه وسموا الملك - الشمس (داجيوغ) راجعاً في مركبة ذهنة تحركها سل الخيل كلاب لها أجيحة صيور وقد عدت هذه بايعة آلهة الخصب. وكان داجيوغ يقف في مركبة حاملاً بيديه صوبجانين شعيريين سمعت عليهما أراي لشرحس.

وكان عند السلاف إله شمسي آخر، هو الإله خورس. وإذا كان داجيوغ قد رمز إلى دهم الشمس وضوئها، فإن خورس كان إله الشمس مباشرة لشد رأي القدماء (وليس أسلاف وحدهم) إن النور كان أولاً والشمس بعدها ثانياً. وقالوا: «ليست الشمس سوى تجسيد للنور، وم يكن لخورس (معناه الحر: كشمس) وجه بشري فهو كقرص الشمس الذي يتحرك في السماء وقد صدرت الحركة لدائرية عن خورس (الدائرة) مباشرة وكائنات الزلاييات الذهبية المستديرة لشكل التي يحملونها في الصوم الكبير ترمز إلى شمس صغيرة كما شاعب عدة دحرحة عجالات (شموس) ملتبهة

وكان الكلب المجنح سيهارعا تابعاً لألابة الشمس وداجبوغ وقد عُذَّ إليه لجذور، ولبذور، وحارس البدار والزروع. لكن هذا الإله تحوَّل مع مرور الزمن تحولاً كبيراً هُند كان في الأول إله النار وتخيُّلوه في صورة إسمان كما في صورة صقر ولم يكتسب سمات الكلب المجنح إلا في زمن متقدِّم وكما قلنا سابقاً إِنَّ إله الشمس جاءت السلاف من السكيث. وذلك شاعب عاداتهم أساساً في جنوبي بلاد الروس. وورد ذكر داجبوغ، وحورس، وستريوغ في «كلمة فوج إيغور» (القرن ١٢ م)

ويسمى الإله ستريوغ إلى الإله السلافي الأعظم القديم رود ويفترضون أنَّ جميعهم مكان يسعد لهذا الأخير في لرُمن القديم. وقد قالت المواقف المسيحية عن هذا «أخذ الهيلينيون يميمون ولاتم لرود والروجات، وكذلك فعل المصريون، والرومان وقد وصل هذا إلى السلاف فأخذ هؤلاء يقيمون الولائم لرود والروجات قبل سرون إلههم». ولكنَّ التوحيدات المسيحية تلجَّ على طريق الحقِّ «لكنَّ حلق واحد، وهو ليس رود»

لقد كان رود، لهاً حالقاً ولد منه كل شيء وكان سيِّد الأرض وكل ما هو حي. ومعنى اسم رود باللغة لفارسية إله، وصور. وكان هذا عند انبرس أمراً واحداً أما عند السلاف فقد اكتسب اسم رود معنى آخر يتوافق مع المعنى المعاصر لهذه الكلمة. وهو القرابة والملاذ، ولبسوع والمحصول. إله معنى الشعب والوطن ايضاً عن الوضع إذن أنَّ الإله رود حاز كل شيء. ولعلَّ رسالة ستريوغ كانت محدودة أكثر فهو الإله الأب، لرياح أخضاده. وعلم سفايوج «السمائي» نشر تصنيع الحديد، وأرسن لهم «الملفط» ومن الواضح أنَّ سفايوج كان مرتبطاً بأشهر وقد دعا السلاف النار نفسها باسم: «سماز حيثش»

واهتمَّ أساماً بالحصويه. ولكنَّ الروجات هنَّ مَنْ كن يمح الخصب وهنَّ خرنات الحياة، و الحياة هي الماء قبر بكل شيء. ولذلك تخيُّلوا الروجات في صورة إلهات سمويات يمنحن مطر. ومن المدهي أنهنَّ كنَّ بصيرات لأمهات الستيات ولأطفال الصغار وبعد أن اعتنق السلاف المسيحية تحوَّلت الروجات شيئاً فشيئاً إلى و لدة الإله لقد كانتوا يحتفلون بعيد رود والروجات بإقامة الولائم الشعيرية في يوم الاعتدال الشتوي، وفي موسم جنى المحصول الخريفي فيقيمون بلالة والإلهات الحبز، والعسل، واللبن لصقن والمطاطن.

وم يكن للروجات سماء وقد عبد السلاف إضافةً إليهنَّ، إلهتين أخريين (مأ واستها) لخصب، والزحاء، وازدهار الحياة في الربيع وهن الإلهتان لادا وليليا لقد كانت وظائف هاتين شئ. فلادا إلهة الروح، ووقت نصبح ل محصول والوهرة وكانت تبيعتها ديكاً ويظهر صوره الإلهة لادا في اللبنة الشمية. ونحن نلنا السح و هذه اللعبة عبارة عن صلاة

من أجل المحصول، والرواح ترددها لازمة؛ «أوي ديد؛ لادوا» أم ليليا ابنة لادا فقد كانت حارسة المنيات العرباوات وكانت إلهة لحصار الأول والثريع.
وعبد السلاف الأم العظمى موكوش، ولدة كل حي وكانت هذه إلهة الخمس، ولدند ارنيطت بالماء وسجدوا لها عند الثنايح. وكانوا يرمون إليها في هذه الأخيرة عرولاً. وعُدَّت موكوش حارسة الأعمال النسيوية.

أيمكن لنا بعد هذا كله أن نشكك في أن الشعوب القديمة التي لم تفقد صلته مع الطبيعة، والعالم الخارجي المحيط بها، قد رأيت في كل شيء حياء، وعملاً، ومبدأ إلهياً؟ ويسحب هذا على السلاف أيضاً ونحن نعتز على هذا كله حاضراً في المصادر القديمة كلها. في الحكايات السحرية، والخرافات، والحوادث. فأبطال «كلمه عن روح إيفور» يخاطبون الريح، والشمس، وبهر لدنسر، والسوتن محاطبتهم لكائنات حية ولكن لما عقر، الإنسان كف عن ذلك وبات يرى في هذا كله مجرد رعب، ونتيجة بلحماقة، وعلامة على التخلف. ولصغته أحد مدرك الآن، واحمد لله، أن القدماء كانوا على حق العقل الكوني موحود في كل شيء، سواء كان هذا الشيء حياً أو غير حي إنه ماهية واحدة تخترق المكون كله. وتلد كل شيء في هذا العالم وتوجهه لقد مرّت آلاف السنين قبل أن يدرك نحن أن القدماء لم يكونوا على ضلال، بل نحن الذين عصى التعرير بصيرتنا وبتنا نطالب بالعرش الإلهي (والإله - الإنسان).

أسرار آلهة الهندوسية

لقد قطعت الشعوب، كتبها طريقاً طويلاً جداً حاملة معها تهاباتها وتصوراتها عن وجود
كثيرة من الآلهة، بل أن أدركت أن الإله يمكن أن يكون واحداً واحداً وحسب، ولا فإنه
ليس إلهاً، ونحن إذا أدركنا أن الإله كم هو في واقع الأمر، أي على وجه التحديد، أنه كل
شيء، والمشرع لكل ما هو موجود في الماضي، والحاضر، والمستقبل، فإنك تدرك عندئذ أنه
لا يمكن أن يكون إلا واحداً فوجود على أول متعددة، أمر مستحيل وكان النبي محمد قد
قال: لو كان ثمة عدد من الآلهة لانهار الكون، ولا شك في أن الإنسان المتصور في أيامه هم
بدرك هذا الأمر جيداً. هالفيريائيون يستطيعون دراسة خصائص الكواكب الفيزيائية (لا
وجود مثل هذه المادة على الأرض، وصناعتها في المخاهر غير ممكنة)، لأن قوانين سلوك
لجزئيات الأولى هي نفسها الموجودة على الأرض. وغني عن البيان أن هذا يسحب على
لقوانين كلها على وجه العموم فهي لا يمكن أن نكون على أرض محتملة عليها على أنتم
أو على المشتري. ومن البدهي أن الشروط هناك مختلفة، ولذلك فإن التجلي الظاهري لفاعلية
هذه القوى بين هي عيناها.

لم يمسك الإنسان في مراحل ارتقائه الأولى بالكون كله بل فكر أول ما فكر بحيره
اليومي، بمكان دافئ يرتاح فيه بأمان كما فكر بالإله أيضاً وثمة اتفاق اليوم بين علماء
مختلف المدارس في مختلف البلدان، على أن تاريخ البشرية لم يعرف رمزاً لم يمسك الإنسان
فيه بالإله لقد كان الإنسان يحس دوماً بوجود إله، لأنه حكاه على تواصل دائم مع العالم
المحيط، أي مع ما خلقه الإله وأدرك الإنسان دوماً أن أحداً ما خلقه ولم يكن بإمكان أحد
أن يفعل ذلك سوى إله وفي المراحل الأولى من حركة ارتقاء الإنسان لم تكن الفهمسة قد
استعوتت عليه بعد لأنه لم يكن قد ميّز نفسه عن باقي عالم الحيوانات، لم يرع بعد أنه
إله - إنسان. وهذا ما مكّنه من العيش مع الطبيعة في توافق يمتدح إليه الآن.

لقد أحس الإنسان في حياته اليومية أن نعمة الإله تهبط عليه عبر دمه استشمس (لذلك
سجد للشَّمس)، عبر الحيوانات (لذلك عبد الحيوانات)، عبر المطر، والرياح، ولسحاب و.. بعد

مسجد الإنسان متعبدًا كل ما ترتبطت حياته به، ويفضله يستمر عيشه ونحر يحب ألا نومه لأنه لم يسجد للإله الواحد الأحد، لئلا الأولى لكل ما هو موجود فضلال الإنسان لم يكن على درجة كبيرة من العمق، كما قد يبدو للوهلة الأولى لقد عبد الإنسان الخلق الإلهي، وبه مخلوقات الإله كلها موجود هو بمسه أيضاً أمّا للوم الأكره يستحقه الإنسان لمعاصر الذي لا يعبد الإله الواحد إلا شكلياً، أم في واقع الحال فإنه في حسبه اليوميّة، وأفعاله يعبق الطسمة والناس الآخرين عن العيش.

يعتق أكثر سكان الهند الآن الدّيانة الهندوسيّة، ويؤمنون بوجود كثرة من الآلهة، والمعبدات، والحيوانات المقدّسة، ولكنّ الطوائف (الحكاستات) التي تمثل حواجز تفصل بين البشر، تشهد على انتهاك القانون الإلهي قانون معبده القريب، لكنّ هذا لا يعني أدّ أن الهندوسيّة بقيت هذا الزّمن المديد كله لم تتغير بيد أنّها في واقع الحال بقيت دوماً معتقد الطّور الأوّل من مسيرة ارتقاء الإنسان.

وتكمن حدود الهندوسيّة في الحضارة المسكفة للحضارة الهنديّة، وفي الحضارة هندية أو حضارة خرابا التي أدهش مستوى تقدّمها النّجني العلماء، فقد كانت هذه الأحرار، رقي إلى خمسة آلاف عام حلت وتؤكد أعمال السّتر الأثاري أنّ أسلاف الهندوس كانوا منذ ذلك الزّمن يسجدون للإله، الذي يجلس على العرش في وصيّة النيوعة محاطاً بالحيوانات من كل صوبه لكنّ هذا الإله هو نفسه الإله شفا الذي ما انكسرو يعبدون له حتى بعد ذلك بالآلاف السنين، ومدنّروهم يحلّون لحيوانات المنزلّة و لبريّة، صعدوا العنز الجبلي، والجاموس والثور، وحمار اسوحش، والنّصر، والقيس، ووحيد القسرن ويعبدون في الهند الآن البقر والتّعايب والقردة.

وعبدوا في زمن حضارة حارابا الشّجر، والنباتات، وعدت الشجرة أشفاتها شجرة مقدّسه، وما راوا يعدّونها كذلك حتى يومنا هذا ولا تزال ثمة أنهار مقدّسة حتى يومنا هذا ويؤدّي فيها الآن الاغتسال الطّقسي كما كان يؤدّي منذ خمسة آلاف عام، قبل مجيء الآريين إلى الهند.

فبعد أواسط الألف ٢ قم أخذت القبائل البدويّة الأريّة تسرّب إلى شمال هريسي هوسستان وحمل هؤلاء معهم إلى الهند دساتهم وقوانينهم، وأنّت أناشيدهم، وصلواتهم، وخرقائهم، و«معارهم المقدّسة» على وجه العموم مجموعات كبيرة الحجم، تدعى النّيدات، وهي كنف مقدّسة. وقد دوّنت العيادات على امتداد زمني لا يقلّ عن الألف عام. مثلها في هذا مثل التّوراة. ويمكننا أن نعتقد أنّ تلك العمليّة قد اكتملت في زمن بودا، في القرنين ٦-٥ ق.م.

ونتيجة لاندغام الآريين مع أسكّان المحليين، واندغام ثقافتيهما، وديانتيهما، وبسببهما وطقوسهما نشأ معطى ف جديد - ملقى على السطح حشد متنوع من الآلهة، و لعبودات، والأرواح وأنصاف الآلهة، إيطيين والشريرين، والرحيمين والقساة الصارمين وفي ذلك الوقت ظهرت الكسستات (= طوائف اجتماعية دينية معقدة) وقد شكل الكهنة البرهمن الدين كانوا يفودون المجمع، الكسستا لأعلى وتحولت ديانة المصيدات عملياً إلى الديانة البرهمنية بكن ربحاً جديدة هبت في افنر ٥٠٠ ق.م. وقد حملها تعاليم بودا والحاسيين الذين رفضوا لتقسيم الكاسستي بيد أنه على الرغم من النمو لعظيم الذي كان يحظى به بودا ، إلا أن لكاستات حافظت على وجودها في الهند حتى يومنا هذا، وخرجت البوذية إلى خارج حدود الهند وأحدثت البراهمنية تحولاً رويداً رويداً إلى الهندوسية التي تمثل حملة من التيارات، والمدارس والمجموعات، والطقوس والآلهة

وفي أوائل العصر الحديث كانت تلك العملية قد اكتملت، وبعد خمس مائة عام صارت الهندوسية إلى دين (رسمي للدولة ولكن بعد خمس مائة عام أخرى تفوقت الهندوسية في البلاد، ورجحت البوذية عنها رغم أن مبادئ البوذية لأكثر من ألف عام جعلت الهندوسية ديانة أكثر إنسانية، فساقصت أعداد المزارعين الذموية فيها، وظهر مزيج من المطلق في هلمستها

واللهندوسية ثلاثة آله رئيسيين: فيشنو، وشيفا، وبراها. وقد سار هؤلاء طريقاً معقدة على امتد آلاف السنين، طرأت عليهم خلال تبدلات جوهرية وإذا كان براهما هو الإله الرئيس عند نقطة الاتصال، فإنه تحول عند نهاية الطريق إلى لسمي الثاني. وكان براهما قد ترجع إلى اسبق المذكور منذ زمن بودا (٥٠٠ ق.م)، مع أنه كان يؤلف قبل ذلك الطرف الثالث في ثلاث براهما - فيشنو - شيفا لقد كان هؤلاء الثلاثة يكمل واحدهم الآخر. هكل منهم كان مسؤولاً عن جانب من جوانب حياة الكون فبراهما خالق العالم، وفيشنو الحافظ له، وشيفا مدمره والحقيقة أن شيفا لم يدمر العالم فقط، لكنه أعاد ببناءه أيضاً. وعلى وجه تعميم ينبغي أنظر إلى ثلاث آله الهندوس هذا على أنه من حيث الجوهر إله واحد. ولذلك رسموا الثابوت عادة كلاً واحداً - ثقف لآلهة الثلاثة كل إلى جانب الآخر، أو تظهر أجسادهم كأن واحدما يخرج من الآخر.

ولا يزال هذا الثلاث قائماً حتى يومنا هذا. بكن فيشنو وشيفا هم الإلهان الأكثر تبحهاً الآن. فالمعابد كلها مكرسة لهما. ولم يبق في الهند الآن سوى معبد واحد مكرس لبراهما ويقع هذا المعبد في بوشكار من ولاية راجاستان. ولا وجود في الهند الآن لمبادئ مستقلة خاصة بالآله براهما.

فلستُحَ لآن باختصار الطريق التي قطعها آلهة الهندوسية وقد قلنا سابقاً، إن أعمال السُر لاثاري التي جرت في مواقع حضارة حارابا السابقة على الزُمن الاري، أظهرت أن المؤمنين كانوا يسجدون لإله يشبه الإله شيفا وكان سلف شيما هذا يجلس على العرش في وصنة اليوغا، وتحيط الوحوش به، ولهم هذا مجرد مصادقة فالإله شيما؛ ماشوياني، كان نصير المصلحان، وكان شيما نفسه ربُّ اليعوس والسُك. إن لقد بقي الآلهة الذين كانوا يسجدون لهم قبل مجيء الآريين يحفظون على وجودهم، لكنهم تغيروا كثيراً.

لقد جاء الآريون إلى الهند قبل بوزا سحو الألف عام، وعلى امتداد ألف عام تألفت هيداتهم (معارفهم) ولكنَّ آلهة الآريين تغيروا كثيراً أثناء تواصلهم مع آلهة المُكَّن المحليين، واكتسبوا كثيراً من سمات هؤلاء الآلهة ولذلك فإنه يمكننا أن نقول، إنَّ آلهة الهندوس الرئيسيين قد خرجوا من النعمة و لم يدته.

والآلهة الهندوس كثير؛ مئات، بل آلاف، وهم يستوطنون مختلف المجالات على الأرض مباشرة، وفي المحيط الحوي، وفي المصاء الخارجي، وبعد الإله إيندرا إله الرئيس بين آلهة المحيط الحوي الميديين، إله الرعد، إله العاصفة والمطر. وهو إله مقابل جبار صملاق. فنكي يروي طمأه، يشرب بحيرة كاملة من لشروب المقدس (اسوما)، ولكي يشبع جوعه يلهم ثلاث مائه ثور. ومن اليديي ن إيندرا كسر حداً، ولذلك فصل السماء عن الأرض فصلاً نهائياً دائماً. وبات هو ربُّ امكان الفاصل بينهما المحيط الحوي، يرضه دائماً آلهة آخرون من المحيط الجوي. لماروت، والمامو، ورونرا.

ويعمل في الفضاء الخارجي (في السماء) آلهة آخرون. وهؤلاء آلهة نديعون، مشرقون ومتعاطفون مع للناس. ويرتبط هؤلاء بالشمس ولنجوم، وكوكب السماء ومن بين آلهة السماء هؤلاء، إله الشمس سوريا، وإلهة الصجر أوشمن، وإلهة عتمة الليل راتي، والتوامان أشفيري (ولدا الإله القديم دياوس)، ويؤدي الإلهان التوامان وظيفة المقدين الكويين، فيجوبان السماء في مركبة ويمدان يد اعون لكر إنسان يقع في حالة صعبة. كما يؤديان أيضاً مهمه المداويين الإلهيين الذين يسعدان المرضى، والمشوَّهين ولماجرين. هيميدن البصر من هدمه، بل إن لهما القدرة حتى على درئ الموت عن اساس وثمة إله شمسي آخر، هو الإله مافيتور (الموقف، المحيي) ويمثل هذا الشمس غير المرئية الشمس المحفية، شمس الليل وهناك أيضاً إله شمسي آخر، هو الإله بونان الذي يحمي القطيع، ويحافظ عليه يبراً عنه الدئاب، ويعثر على الحيوانات الضالة عنه ويهتّم هذا الإله بالشعر أيضاً ويعمل في العصر عيته الإله فيشو، الذي أحد دوره يتعاطم

ومن همُ إله الأرض، إله النار أغني فقد كُرِّست له الريفيدا ماثي شيد ولم يتجاوزهُ في هذا سوى الإله إيتدرا الذي كُرِّست الريميدا له مائتين وخمسين شيداً، وبممتلك الإله أغني ماهيات النار كلها ويرمح في مركبة ذهبية، شعره نار، ولحيته حمراء، وأسبابه من حديد يلتهم بها العباب عيونه الكثيرة لكي يرى بها مختلف الاتجاهات تلبع كالثعلبة وتحترق مركبته الذهبية حديد - أعاصير - وهي سرلك أثراً سوداء، وهناك أوصاف أخرى للإله أغني.

ويحمل الإله أغني، في الآلهة القرابين التي يحرقها الناس أثناء إقامة الطقوس. ولذلك فهو يمع دائماً في قلب لطقس. وما عدا الإله أغني هناك إله أرضي آخر، هو الإله سومأ الذي يجعل الآلهة خالدين. ولتحقيق الخلود يحتسي هؤلاء شراب السومأ. ويخلص السومأ البشر من الأمراض. وغالباً ما يدعم الإله سومأ بالقمر

ويشغل إله فاروبا مكانة خاصة بين الآلهة فهوانيه لا تسري على البشر وحدهم، بل على الآلهة كذلك. ويقوم هذا في قصر قائم في قاع المحيط ويحيط به هناك آلاف السيد ويخزن فاروبا عنده القانون المكتوب الذي تخضع به الطبيعة ويخضع له البشر كما تخضع الحياة نفسها له، فهو فوق هذا القوم يحاطب قصول لسة، ويرهر الشجر، وتتحرك أشمس، والقمر، والأجرام السماوية الأخرى. ويخضع لتأثيره طيران الطيور ومسبل الأنهار وفاروبا ليس القانون فقط، بل هو القاضي، وهو الذي ينزل لعقاب

وهكذا تحيل الآريون بناء العالم المحيط بهم، فقد قسموه في المجالات الثلاثة: المومأ إليها، ومنحوا كل مجال آلهة السائدة فيه لكن لآلهة الميسيين أخذوا يحلون المكان شيئاً شيئاً لآلهة آخرين، ولكن المسفة هيها، كما المبادئ الكونية، تشغل مكانة هامة في الهوسمية

بعد العصر لميدي، وفي زمن البراهم بات من حاناتي هو الإله الرئيس ومعنى اسم براحانتي هو رب الأولادات، أورت الكائنات. لقد صار هذا الإله أباً، وأسماً يدين لكل شيء وللآلهة كلها. فهو الذي ولد كل ما هو موجود بجهد الروحى ويرون في إله الأكبر براحانتي أصاناً، الذبحة، القرين الذي خلق العالم منه

ويشتر الآر انتشاراً واسعاً الدراسات التي تعرض البهاعاتيه وكانت هذه قد ظهرت منذ زمن قديم، في زمن بودا ولم تعترف البوذية والحنانية بالهيدات كتاباً مقدساً. وبذلك البرهسية صيغتها ومبادئها فاندعت بالاعتقادات والتصورات التقليدية للسكان المحليين ولم يلع الإله براجاباتي الشار الذي بلغه إلا لأنه أندغم بالإله المحلي نارايانا وتكون نتيجة لذلك

الإلهة بهاغاتات، ومعنى اسمه مقسم الأنصبة، السمح، ارحم. ثم نكّلوا اسمه مع اسمين إلى
واهب الخير ت، الرث، السيد ولكن هذه كلها كانت تحتصر باسم بهاغاتات

أما الإله الآخر الذي لا يسمى إلى أصل آري، فهو الإله سانكارشات إله ملك اشعابين،
وتحسيد الثعدي الكوني شمش الذي يسد اليابسة ويربط بهذا الإله آله آخرون: الأخوان
بالارامي وفاسوديما وفيما بعد اندغم الإله المحلى كريسنا بالإله فاسوديما

وقد وُحِّدَت البراهمنية هؤلاء الآلهة كلهم واحترضوا أنه كان لنارايانا أربعة أشكال
موجودة في الآن عيه وفي مو راته. وهؤلاء الآلهة الأشكال هم فاسوديما = كريسنا،
وسانكارشات = بالاراما، وبراديومنا، وأبيرودها وهكذا ذاب هؤلاء الآلهة كلهم في
شخصية الإله الأكبر بهاغاتات = نارايانا

لقد ظهرت الهندوسية نتيجة لاندغام إلهامية مع الديانات المحبة. وفي عصون ذلك
عند الإيمان بالإله بهاغاتات هو الغالب في تيار إلهاماتية لقد كان المؤمنون يكتفون بهذا
الإله حياً داتياً عميقاً وعبرت عن ذلك الشعور كلمة «بهاكتي» تعبر الإله بهاغاتات الذي
يعلوه الحب الخالص تعاهه.

وفي حوالي زمن صارت إلهاماتية إلى الميشوية، وكلمة فيشنو معناها، اندي
نسبح لكل شيء، الذي يتعلل في كل شيء، وهو مبدأ لعالم ومنتهاه، والذي يقيم في قلوب
الناس، وليس لتجليات الإله فيشنو نهاية، ونحن كائنات رابطين أن فيشنو الهندوسي خرج من
فيشنو العبد. ولحسن العبدات لم تكرر له سوى متعب صغير فيظهر فيها إله محلياً قبل
آري وعدم كان إندرا يقابل العفريت، مدله فيشنو يد العون وعلاوة على هذا صارت رأس
فيشنو شمساً. وأخيراً بات الكائن الأسمى لقد جم فيشنو الصكون كله في ذاته وهو يحمض
العالم كله في ذاته إبان المرحلة لمتدة بين هلاك عالم وولادة آخر ويحدث خلق العالم
الجديد هكذا عندما يستقيظ فيشنو تنب من سرته رهرة لوتوس: ثم يولد في الرهرة الإله
الحائق براهما، فيصنع هذا العالم الجديد

وبعد أن يخلق العالم، يدبر شؤونه فيشنو. فيمتوي هذا على عرش له شكل رهرة
لوتوس، يرق بلعس بهر المبر كالمشمس. ويقوم العرش في قصر ذهبي يحيط به وديان
حس حبرات وتلمع في أرحاء المكان كله، ألوان اللوتوس الزرقاء، والبيضاء، والحمراء
فتذكرنا بحجارة الرمرّد. ويتوضع هذا كله في أعلى عوالم الجئات السماوية هيكونتها من
هناك يرهب فيشنو كل ما يجري على الأرض، بما في ذلك سلوك الناس. ثم يجري الرزم
وتصاعف حجم الشر على الأرض ويدير نشاطه فيها متخذاً صورة إنسان، بطل، أو إله

ويدعى كل نزول من نزولات فيشنو هذه إلى الأرض، أهاثارا ويعتقدون أن عدد مثل هذه الأهاثارا، كثير، ولكن الكتب المقدسة لا تسوق سوى ١-٢٢ أو ٢٤ أهاثارا ويسجد للإله فيشنو نحو نصف المؤمنين في الهند الآن. بيد أنه يجب عيب أن نتذكر أن هذا الإله يظهر بأسماء شتى، مدده كبير وليس عبث أن احتوت «المهاهاراتا» على «شيد أسماء فيشنو لألف».

ولم يمتصر وصف الملوفا، الكونتي على السواء وحده، إذ وصفه لكتب المقدسة الهندوسية أيضاً. فلنرى يد العون للناس في تلك اللحظة الحرجة، نزل الإله فيشنو إلى الأرض في صورة سمكة هامد مانو من الهلاك، ثم خرج الجنس البشري كله من مانو ويجلون فيشنو إجلالاً خاصاً في صورة رما. فقد وصفت أعماله في الملحمة المقدسة «راماياتا» لكن الإجلال الأعظم الذي يتلقاه فيشنو يتلقاه في صورة كريشنا. ويعد كريشنا هذا مؤلف «مهاابهاثا» التي تعد جزءاً من «المهاهاراتا» وقد بح فيشنو في أن يلعق الهريمة بالثر أكثر من مرة على الأرض متخذاً صورة كريشنا. وشر حراً ظاهرة ضد العماريت وملوك الهند الأشرار. ونوه في سياق حديثنا إلى أن كلمة كريشنا معناها الأسود ولم يرسموا أي صورة لكريشنا إلا ولون بشرته قاتم وهو عادة يعرف على لزمزم وتحيط به رعبات أسرات الجمال تربطه بهن علاقات غرامية ولكن كريشنا ليس راعياً (عاشقاً) فطبع، بل قد يكون إنها - وليداً أيضاً. وغنى من لبيان أنه يظهر في صورة بطن كذلك. وبذلك يراه المؤمنون هريش إلى روحهم

قد صفت الهندوسية حسابها مع البوذية بدكاء ممت لقد أدخلتها في سبيح تعاليمها ويعتقدون أن بودا هو فيشنو في نزوله التاسع إلى الأرض والحقيقة أن الهندوسية قد تجاهلت في غضون ذلك أهم ما في البوذية - عدم إقرارها بالكاستات، وبقيت على تقسيمها المعروف للمجتمع إلى كاستات

وسنزون نزول فيشنو العشر إلى الأرض مستقبلاً وهو سوف يأتي في هذه مرة في صورة هارمن على صهوة حصان أبيض (مكالهتي). ولكن نزول فيشنو هذا لن يحصل إلا في نهاية عصرنا انقائم هذا، حيث سود اللئيم لسفلة، ويختفي البحر واليابس بالإله من قلوب البشر وعندما يصل فيشنو، فإنه يصبح النحل، ويبدأ العصر الذهبي وينظر أنشاع فيشنو حلول تلك اللحظة بمارع الصبر، لأن علامات نهاية عصرنا الماسد بادية لعيان كلها. أما إله الهندوسية الثاني شيما، فهو بدوره يستمد أصوله الأولى من حضارة الهند الضل الآرية فقد عثر على صور سبعة المياشر أثناء سير أعمال استشر لأشاري في مواقع حصار.

حارابا وسلف شيما في العصر القيدي هو الإله رودرا (الثائر، الهائج)، إله الحواشيح الأكثر شراً ويتسم هذا بالازدواجية، تماماً كما هي حال كل ما في الطبيعة فهو برس الأمر من، وهو من يشمي منها وهو حارس القططن، وهو في الوقت عينه، من يرميها بالويشة. إنه إله عضوب تصل بوبت عصبه حد احتدام الغيظ ولكثته في الوقت نفسه إله عطوف، مسموح ومعتاه ويرى بعضهم أن هذا الإله لم يكن إلهاً قديماً وعلى أي حال فإنه اندغم في آخر الأمر اندغاماً تاماً بالإله شيما

وقد برز هذا التماقض، وهذه الازدواجية في صور شيما فهو يوعي متماثل يجلس على جلد تمر فوق قمة جبل كانيلاس في ليملا وهو مستغرق في تركيز شديد، لأن قوة التفكير هي التي تدعم وجود الكون كله. وعادة ما يرسمون في وسط حسين شيما عيناً ثالثة فهذه العين تمكّنه من أن يرى ما لا يراه الناس عاديون وشيما إله حكيم وذو فراسة

يظهر الإله شيما في كل مكان في ساحات القتال ومعارق الحث، وعلى مفارق الدروب، وفي الأماكن السيئة كلها ويحمي الإله شيما على عنقه عقداً من الحماحم، وفي شعره هلالاً. ويبدية الحرب ثلاثيته ومهم بدا الأمر قريباً، إلا أن حشداً من الأرواح والعمايرت الشريرة يرافق الإله شيما وتلتف الثعابين حلقات على يديه وعقه. فهو نصيرها، ومن صماته ذو الحنجرة الزرقاء وحسب اعتقادهم أن حنجرته زرقبت بسبب لسم أسدي شريه. فقد صعد لسم من أعماق المحيط وهدد الحياة كلها لكن شيما انتلعه وأندم العالم من الهلاك.

وقد يتحوّل شيما من التأمل إلى الرقص الجموني. ولذلك فمن أحد أسمائه الكثيرة ناتاراج، أي رب الرقص وليس الرقص بالنسبة إلى شيما مجرد لهو وتسلية فبالرقص يوقظ شيما الموالم من الحياء في مداية كل عصر كوني وبالرقص يحدّد شيما إيقاع حركة الكون وفي نهاية العصر الكوني يدمر العوالم برقص شيما أيضاً. لها رقصة الموت، رقصة الدمار هتمثال شيما بالرقص يمثل قيمه جمالية ساحرة والرقص يحدّد ذاته، هو صلاؤه شفا، شكل من أشكال الخدمة الإلهية التي يؤدّيها شيما وشيما لا يرقص وحسب، إنه يبيكر بالرقص. ويعتقدون أنه ابتكر ١٠٨ من مختلص صروب الرقص: رقصات هادئة، ورقصات بطيئة، ورقصات إسجائية، ورقصات حامية، اندفاعية محيية. ولكن أشهر رقصات شيما، رقصة تاندفا، فكل شيء يخرج من الرقص، وكل شيء يدمر بالرقص. وفي الإيقاع المحتدم لرقصه يصيح شيما بقوة لسحريته مظهر الأشياء كلها في العالم وفي آخر الدورة الكونية يدمر شيما العالم الظاهري برقصه وما يمكن أن يقوله الآن، هو أن شيما يهدّد إله الموت وإله الأرض الذي يدمر كل شيء. وبعد الهلاك، والموت والدمار كل بحد

دته شكلاً موهماً من أشكال الوجود، لأنَّ هلاكه يبعثُ الوجود دوماً. فالجديد لا يولد إلا بعد أن يموت القديم إنَّ شيئا إله مبدل. وهو يحمق النصر دائماً في صراعه ضدَّ قهشينو وبراها ما قنّى معركته ضدَّ براهما مثلاً، تمكّن شيئا أن يقطع الرأس الخامس لهذا الأخير فعوب على فعلته: تحوّل إلى كائن شنيع (بهايراها) شعره أحمر مشعث وأبوابه طويلة ناتئة. مدينته هي مدينة باريس (ماراباسي حالياً). وهنا في هذه المدينة تحرّر شيئا من عقابه الذي ناله جزاء بتره رأس براهما.

ونثمة حكايات جميلة عن صدقة شيئا، فهي تهلك أحياناً وتولد من حديد أحياناً أخرى. وقد دُعيت في واحدة من تلك الولادات باسم بارفاني لقد أتجبت بارفاني من شيئا ولدين. وغاناً ما يرسمون صورة شيئا محاطاً بعائلته السعيدة وأدار شيئا مع روحه أحاديث كثيرة ساو لا فيها قوانين هذا العالم هسانت بارفاني شيئا يوماً «أين يكمن حوهرلك الحقيقي؟ وما هذا النكون الملبى بالعناشيد؟ وما ابدي يشكل بداية كل شيء؟ وما هو مركز عجلة الكون؟ وما هي تلك الحياة الهلامية التي تحترق الأشكال كلها؟ وكيف نستطيع نحن أن ندخل إليها بالكامل، خارج المكان والزمان، وحارج الأسماء والأوصاف؟ خلصني من شكوكي هذه»

فأجاب شيئا على هذه الأسئلة كلها وقد سبق إجاباته في الترتاب، حيث تسأل الرئيس، هو كيف يمكن بلوغ الحقيقة؟

وكلمة «تانترا» عندها مركبة من كلمتين: «تاتوتي» (بنشر، يوسم)، و«ترياتي» (يحرر، يطلق) والحديث يجري عن نظام «تحرير المعارف عن شرها». ويحدثون معناها على الوجه الآتي أيضاً. «هي طاقة تظهر في الوعي خلال اللحظات المصه بين ظهور السؤال واستور على إجابته له». إنَّ التانترا الهندوسية، هي تصوّرات دينية قديمة معصية عن العالم والإنسان وهي تصم أيضاً جمعاً من مختلف الشعائر الدينيّة. إضافة إلى طرّق تحرّج حارج أطر الطقوس أسينية وهذه عبارة عن تمرين معقّدة يمكن بمساعدتها تعبير الإنسان تعبيراً دماً، ولا يقتصر هذا التعبير على حسده وصب، بل يطال وعيه أيضاً ومن هنا يأتي الحديث عن اليوغ التانتريّة والواقع أن اليوغ الهندوسية كلها ليعب سوى أداء للتانترا وتكمن خصوصية ممارسات التانتريّة في كونها تعلّم استخدام الطاقة الحسية وتحويلها إلى طاقة روحية، ولتحقيق اتّقدم الرّوحي لدى الإنسان يتمّ هنا استخدام ابوسائل ولماهيات المتحة كلها ويسمى ذلك حمى من العوب والنوافض بصفيها وسيلة حارة للشحر من قيود السانسارا، وتحوّل في أثناء ذلك حو به الحياة كلها إلى ممارسة روحية

وتتجدد التانتر بصورة متواصلة، وتحسن طرائقها دائماً وتكأن شيئا يقف عند منابع تشكيل هذا النظام ويعتقدون أنَّ شيئا عاش منذ ٥-٧ آلاف عام خلت. وكان قد استخدم هذا النظام عملياً وبَدِّلَ غيره حسده الفيزيائي إلى نور ذهبي حاد ومدعى الحالة بمسها في البردية التبتية بالجسد القرصي (المتلون بالوان قوس قزح م)، وفي الداوسنة بالحسد الالماسي ويستطيع شيئا أن يظهر بجسده الحالد أمام أبرز سادة النيوخ و لتانتر، ويعلمهم.

ولا تحتوي التانتر على تمارين لكمال الروحي فقط، ففيها وصف لبناء الكون. ويتألف هذا الاحر حسب التانتر من قسمين. ظاهري ومكسور. وجزء الكون المكنون، هو محيط الوعي لإلهي الأسمى الأزلي الذي يدعى شيئا والطاقة (الشوة) الإلهية لأريسة اللا متناهية مصنع الجره أنظأهر من الكون وقد عمه وقد عى هذه القوة باسم شاكتي وليس شيئا سوى الوجه المسمى للإله. إنه صنع الإله وفي الآن عيه فإن شاكتي هي القوة التثمينية للإله. إنها الوجه الديامي الحوي للإله ودورها دور حاسم مقرر وليس لشيئا قوة الإبقاء إلا بالاتحاد مع شاكتي. إن شيئا من غير شاكتي هو مجرد جثة هامدة. وإذا استخدمنا المصطلحات المعاصرة فإن شيئا هو لبنة، وشاكتي هي التحقير. إن الصفة الإلهية في كل مكان، وشيئا - شاكتي في كل مكان.

وتعلم التانتر أن الطبيعة التي خلقت بقوة شاكتي تمتلك ثلاث خاصيات أساسية، هي لبور، والانسجام، والتوازن؛ والحيوية، والحركة، والقلق؛ والحمول، والقناسة، والمقاومة ووعي الإنسان بدوره يمتلك هذه الخاصيات، الصفات الثلاث وإذا ما كانت الغلبة للخاصية الأولى، فإن الإنسان يثمن الحقيقة ويمتلك ذخيرة إبداعية عالية وقدرات ذهنية مرموقة ويعيش متوازناً مسجماً مع ذاته، مع الآخرين، ومع الطبيعة تماماً إذا كانت الغلبة للوعي الإنساني للخاصية الثانية، فإنه يبدى حمولاً، ويعيش حالة خوف، وحمل، وخسوع، وتعلب قوى التدمير على مخلوقه. وإذا كانت الغلبة للخاصية الثالثة، فإن الإنسان يُعدُّ شموهاً، هوائياً، ومجازهاً، فيسعى بحيوته وجدلاً لامتلاك القوة والسلطة. ويهوى القناده، ويصون السمعة والنفوذ والهيبة بيد أن التانتر لا تتوقف عند حد تحليل هذه الخاصيات. إنها تعود إلى إلهي الذي يقع على الجانب الآخر لهذه الخاصيات الثلاث

وتضع الخاصيات الثلاث الموصوفة أعلاه، بداية لولادة العناصر الخمسة العظمى. هيظهر لاثير (مكن) من الصماء وتظهر النار من التضاط، والأرض من الخمول. ويتشكل من الصماء والتضاط عنصر ميق دائم الحركة، هو الهواء. ويتشكل بين التضاط والتأثير الدائي، عنصر الماء الذي يحتوي في ذاته على الحركة والخمول. وترمز هذه العناصر الخمسة

إلى مستويات الخمسة لكثافة أي ماهية من ماهيات الكون المادّة، والمادّة والوعي وهذه الكثافة هي بالنسبة للمادّة الصلابة، والسيولة والغاز، والأشعة، والأثير ومسيف الفيزيائي إلى هذا حالة أخرى، هي حالة البلازما (الحالة الرابعة للمادّة). والمقصود هنا حالة لأثير، هو عنصر المستحان. أمّا المقصود بحالة الأشعة، فهو النّار. مع أنّ لاصح هو أنّ تدرج في هذا مصادر الإشعاع كلها ومستويات لكثافة لخمسة هذه حاصرة في انطاقة أيصاً، وفي الوعي، وفي انصالات الإنسان وفي حسده. إنّ كل ما في هذا العالم هو من صنع طاقة شاكتي الإلهية الحلاقه وكل شيء على الإطلاق هو مجرد أشكال مختلفة لتجلّي شاكتي. أمّا لعناصر الخمسة، فهي عبارة من تجلّيات شاكتي اليجته

ييهت لأوروبيون الدين يطّلعون على الدّانات الهندية ومعادها وكنتها المقدّسة، لسكان المهمة التي تعطى فيها للجنس. ففي الهند نحو الثلاثين مليون تمثال للصور الذكري لسفام وثمة في محاريب لعاد مئات اللينعام. ومن الواضح أنّ هذا يساقص مع ما نعلمنا ياه آدم الحكيمه المسيحية، الكاثوليكية ولأرثوذكسية فحسب رأيهم أنّ لإنسان يولد في الحظيئة، ويخرج من العالم الإلهي من القدره والحقيقه أنّه لم يكن لدى يسوع المسيح مثل هذا التصوّر فقد رأى هذا، أنّ كل ما هو طبعي، كل ما هو من الأب، فهو جميل وبديع وهذا المبدأ عينه يسود في لديانات الهندية، ولكن ما يؤسف له أنّه لا يسود هنا إلّا في هذا الميدان. أمّا بالمعنى الواسع، أي بمعنى أنّ لناس كلهم سواء، فإنّ هذا المبدأ «لا يعص»

فانثوسية تقوم على الكسكات ويرتبط وجودها بها وهذه الكسكات تكس عملياً المجتمع الهندي المعاصر وثيقه عند حالته ابدئية الأولى، وتسمه من أنّ يتطوّر كجسم واحد. ويقسم نظام الكسكات هذا سكان الهند إلى حوالي الثلاثة آلاف مجموعة معزول بعضها عن الآخر عربة صارمة، وتطوّق حياتها ككثرة من شئى لماسر ومختلف صروب المحرّمات، وتحمل هذه طائفاً فلسفياً، كما تحمل أيضاً صديماً معيشياً صرفاً، وتدكر هذه المحرّمات من حيث تماهتها بالمحرّمات نثمودية

وتقوم المهمة الأسمى والرئيسية للهندوسية في منع أيّ تواصل بين لكسكات العليا الثقة المقدّسة والكسكات الدنيا الدنسة. أمّا يسوع المسيح الذي عدّ نفسه بن الإله الآب (وعصف أن نخاطب لإله بصفته أباً معطياً لما صلاته وأما الذي «أ» فم يأتف من التواصل مع أدنى الساقطين لو فعين في قاع المجتمع. ولكن آله الهندوسية قدّشت بالإنسان إلى جهنم هنا على الأرض منذ اللحظة التي يرى فيها لنور فكيف مسطاعوا أنّ يعلّوا هذا الظلم؟ ومن البدي رموا عليه بمسؤولية هذا الذنب؟ لقد اتقوا بالذنب على توليد نفسه هلاله قالوا للإنسان

الذي ولد لتوّه، إنه استحقّ أن يولد في كاستا وصيفة، ويعاني طوال حياته ولمكن من ارتكب هذا أثمّه؟ فجاءت إجابة الآلهة حاذقة في الحيوانات السابقة بكل شيء بسط واضح وكل ما نشأه الإقطاع الديني تقع مسؤوليته على عاتق القرن المستعبد إذ يظهر أن هذا المتباكس اعترف آثاماً في حيوانه السابق، مع أنه لا يذكر شيئاً من هذا قط، فهو لا يعرف أي شيء عن آثامه لزعمه بل لا يذكر أنه عاش أي حياء أخرى. إذن كيف يستطيع الإنسان أن يدم على إنم إذ كان لا يعرف عنه شيئاً؟ لا يحيب آلهة الهدوسية على هذا السؤال.

ولا يقع خارج الكاستات سوى التمسك. ويتبقي على كل إنسان أن يقضي الربيع الأخير من حياته تاسكاً، ويكرس الربيع الأول منها لدراسته والتعلّم. وينتهي هذا الربيع في سن السادسة عشرة. أما الربيع الثاني فيجب أن يقضيه ربّ منزل، الرواح وإنجاب الذرّة، وإعالة العائلة، وتربية الأطلال. ويبدأ الربيع الثالث من الحياة عندما يؤدّي الفرد واجبه كمواطن، ويكرس أسره ويعجبون. وعندما يحقق الفرد هذا يمكنه عندئذ أن يهجر الحياة الدنيا، فيعزل في العاية ويعيش فيها تاسكاً رهاً يظهر من كل دنس وإثم ويجب عليه لكي يحقق ذلك أن يستغرق في تأملات مباركة، ويؤدّي الفرائض الدينية، ويروّض الجسد البشري، ويستطيع الإنسان أن يعيش هذا الطور من حياته على القوت الذي يجود به مكان إقامته المجاورة. أما هو نفسه فإنه ينتقي لنفسه كوخاً في العاية ويقيم فيه، هكذا قصي على الإنسان أن يصرف الربيع الثالث من حياته في الطور الأخير من حياته. يبيع على الإنسان أن يترك الكوخ، ويحمل عصاة ويجوب الأفاق متحرراً من النجاسات كلها ما عدا عصاته وقوته الحلق، وما عدا لمصافات

لقد كرّست الهدوسية نظام العيش هذا بهوايين الكارما، وناموس الواجب الأخلاقي (الدهارما). ففي طور التّسم والدراسة كانت تأدية الواجب الأخلاقي هي غاية الحياة. وفي طور الحياة العائلية انضج كرس ربّ منزل يسعى لتحقيق الرّحاء المادي، وبناء السّلطة، والامتثال بالحبّ الحسني، ومعرفة اللذة. وفي آخر مراحل حياته يمدو هدف الإنسان هو التحرر من الواقع

الفصل الحادي عشر

كتاب

الهندوسية المقدسة وخلق العالم

يرى الهندوس أن كس مؤلف بكتب باللغة السنسكريتية أو بأي من اللغات هندية الحديثة المرتبطة بأسين والإيمان، هو كتب مقدس وتُقارن النصوص المقدسة عندهم بالآله من حيث قداستها وهذه في أسرار بعد آلهة سرلينة فيمدمون لها الزهور، ويمجدون لها بل يرفعون لها الصلوات. وتعد أعيادات أقدم للنصوص المكتوبة ثم تليها البراهمنات، هالأوبانيشادات، ولتاويل الفيدات وشرحها وصعوا مؤلفات مساعدة دعوها هداثا، أي «أحرار، أعصاب من الفيدات» وقد تضمنت هذه معلومات في قواعد اللغة، وإهامة الطقوس، والاشفاق، والأورن الشعرية، وعلم الفلك ثم وُضع فيما بعد نصوص موحدة في عدد من العلوم الأخرى وقد دعت هذه الأخيرة سوترات. وهكذا السوترات معدة لنقل التقليد الشفهي فقد حفظوها عيباً عن ظهر قلب. ولكن السوترات نفسها كانت تحتاج شروحات وتعليقات من قبل العلم (لوررو) ويكرّم الجزء لا عظم من السوترات للشعائر وطقوس. وثمة سوترات تصف القوانين الأساسية للعبادة، والواجبات أدينيه اليومية الملقدة على عاتق أعصاب، نكاسنات لعباء. وتدعى هذه في معظم الكلمات الهندوسية دهارما - سوترا ويجب على كل هندوسي أن يلتزم بهارما. وبؤدي واحدة الذي ترجمه عنه هو من التسميات لكاسنية

أما نصوص الشاسترا التعليمية، فقد وصفت بعد اسوترات برمن حلويل وتحتوي هذه على معارف في شتى الميادين. وهي معدرة ليمسوع المسيح زمنياً لقد كتبت هذه النصوص في صيغة شعرية فقط، وكان العرض من ذلك، هو تسهيل عملية حفظها عيباً. وحتى لدراسات العلمية في الهند كانت لها صيغتها لشعرية، وبعد حقبة القرون الوسطى كانت لاشاسترات لا تزال تعرض الوصايا الرئيسية للهندوسية، وقواعد السلوك، الأخلاقي إنها دهارما - شاسترا. وهكذا شاسترا «شرايع مانو» (مانو- دهارما- شاسترا)، هي الأشهر

على امتداد عرور كثيرة وكانت هذه القوانين قد سمّنت هرائص عسى الكاستات،
والمشاعات، والأفراد ولا تزال الهندوسية حتى يومنا هذا تلجأ إلى قوانين مانو بصفتها
شرائع ذات هيبة لا تُطال

وتدرج في الكتاب الهندوسي المقدس، كسب قصيدة «المهابهاراتا» الملحمية، لثمانية
عشرة، وملحمة «الرمانيات»، إضافة إلى ليونانات، وكثرة كثيرة من الأناشيد والأشعار
الدينية، والأبحاث التي تعالج مختلف قصص الديانة الهندوسية وفلسفتها وعلى وجه العموم لم
تكن «المهابهاراتا» متصلة بالهندوسية أصلاً فقد أنشئت هذه الملحمة على امتداد ألف وخميس
مائة عام ويعتقدون أن سادة أسماؤها كانت في الألف اقم وتدخ هذه القصيدة الملحمية
كتاب الهندوسية المقدس لأن البراهمان أدرجوا فيها كماً كبيراً من شئ المشاهد ذات
السامع الديني، وكانت هذه حراشات وأساطير، وبموصفاً هندوسية عن فيشتو وشيفا،
وسكانا، وكالي، وبورغا، وسواهم من الآله كما أدخلوا إليها أيضاً تعاليم السهارما
وسمى المؤلفات الفلسفية الأخرى وهكذا حوّلوا الملحمة إلى بحث تشريعي تعليمي، إلى
دهارما - شامترا

وثمة كتاب يؤلف جزءاً معكوئاً من «المهابهاراتا» يسمى «أغنية لرب»
(«بهاعاها دجيتا») وقد عدوا هذا الكتاب الأساس الفلسفي للهندوسية.
و«بهاعاها دجيتا»، أو «جيتا»، هي أغنية لرب الإله الذي يعدّ المبدأ الأسس للكون وقد
يكون هذا إله حياً ومحصناً. ونكته في الوقت عينه إله مطلق لقد خلق الإله العالم كنه
من ذاته وهو له معارف رؤوم؛ يظهر أبداً ويشارك الناس حبتهم، ويعدّ العالم المرئي
نصه شرة لهوه الإلهي. وروح كل إنسان حزينة من هذا الإله، انعكاس لكرمته
السامية ولذلك فإنّ أرواح البشر أرلية، لا نهائية ومعكولة بالسهم والإدراك. أمّا الميلاد
والموت فلبسا سوى دورين مختلفين من دوار وجود الروح والهدف الأسس للروح هو
التحرر من الآلام (من السسارا) فالمجتمع، يهدي الناس على نظام، لكساتا المخالف
لقوانين الطبيعة، يتألف من كثرة كثيرة من الأفراد لمعدّين، وتبدأ الام المرء في الهند
لحظة مولده وتستمر حتى آخر لحظات حياته وذلك من فلسفات الهند ودياناتها كلها
مشعوبة بمسألة واحدة كيف السبيل إلى الخلاص من تلك المعاناة هيدلاً من أن يعيش
الإنسان وفق قوانين الطبيعة، وفق قوانين الإله، ابتكر لنفسه قوانين أخرى وأكّد على
أنها هي القوانين الإلهية، إن الإنسان يشوّه حياته بتلك القوانين - المحرّمات، ولا يحلم إلا
بالخلاص من معادته والأمر أكثر من صعب، لأنه حتى لو تخلّص من الحياة، فإنّ

الإنسان لا يتجنب من الآلهة ، لأنها سوف تلاحقه في حياته الآتية فقد نمت الإنسان لنفسه شركاً

وترسد «الحينا» إلى طريق الخلاص من الآلام ، إنها في التركيز ، والتأمل وهمل بخبر معكران ذات ، وخدمه الدس ولكن العنصر الأهم نعتل في حب لاله حباً شديداً حالصاً من أي عرض ههذ الحب هو وحده الماد أكثر من أي شيء آخر على تنقية القلب وتوحيه فمعكر الإنسان إلى معرفه الأسمى وتحتوي «المهابهاراتا» على محلد ناسع عشر إصافه وهو مكرس لكريمشنا وحياته وأعماله ويذكر في اسباق أن كريسنا هو تجسيد فيشنو

كما سدرج في كتب الهندوسية المقدس قصيدة ملحمة أخرى ، هي «راماياتا» وكانت هذه قد أُنشئت شقياً من أزمنة الميديّة ، وفي القرنين 5 ق.م ، جمعت «المهابهاراتا» في الشطر الشمالي من وادي نهر لعانج ، و«الراماياتا» في شطره الجنوبي ، ويعد رامنا دوره واحد من تجسيدات فيشنو.

وتعد البورانات أيضاً ، نمناً من النصوص المقدسة. وهي روايات قديمة. مجموعات من الأساطير ، والخرافات ، والإرشادات الدينية. وتحتوي البورانات على كل شيء ، بدءاً من الحكايات السحرية حتى الأبحاث العلمية المتخصصة ، ومن الإرشادات الطقوسية حتى وصف دروب الحجاج ويحتوي بعض البورانات (ستهالاسورانات) التدرج الأسطوري للمعابد وسواها من الأماكن المصنفة الأخرى. وأُنشئت في القرون الوسطى كثره كتيرة من الأشعار الديية. وقد اشتهر منها ١٢ مجموعة من الأناشد المصنفة التي أنقها ٦٣ شاعراً من شعراء حويي الهند في ذلك الزمن ، وليس في النصوص المصنفة وصف تماثل ساء العالم وحلقه ، وفدائه. وأكثر النصوص شيوعاً ، هو التصوير لأنني لم يكن في الهند سوى الكاوس (١) احزاب الكوسي م. [يعمه في طلام دامن ثم ظهرت المياه من الكاوس وأنجبت هذه بنورها النار ثم خلقت طاقة الدفع الجارة بهمه ذهية بيد أن الزمن لم يكن قد ظهر بعد وعاشت البهيضة في عبه المحيط الذي لم يكن له شاطئ ولا قاع وبعد عام مظهر لواند الأول براهما من البهيضة لقد كسر براهما البهيضة الذهبية ، فانشطرت هذه إلى قسمين. تشكلت لسماء من القسم الأعلى والأرض من القسم السفلي ووضع براهما المكان الحيوي سهما وبدأ حساب الزمن منذ تلك اللحظة ويدعى براهما بالوجود بذاته ، لأنه كان موجوداً منذ الأزل ولم يخلقه آخر.

وصنع براهيماً يمد ذلك روحاً حياً وخلق إصافة إلى ذلك القصر والمعاصر الخمسة العظمى الهواء، والتار، والماء، والأرض، والأثير وبعد هذا كله خلق يراهما الآلهة، والدَّيَّحَة الأزلية وأمميات الثلاث، والكواكب، والأنهار، والبحار والحبان والبشر كعب خلق السمكلام، والفرج، والشعف، والغصب وشبناً شمساً أخذت تظهر بعدئذٍ الوحوش، ولطيور، والحشرات، وعماريت، ولثباتات، وما شابه أي كبر ما هو موجود على الأرض الآن. ما فيما يتملق بالكون كله، فإنه لا متناهٍ ويتألف من كثرة من الممالك ولكل عالم منها بدايته ووجوه، ونهايته وحياة الكون شبيهة بسلسلة متصلة من الممالك التي تظهر وتُسود ولا يشكل عالماً سوى حقيقة هزيلة من الكون.

وتتعاقد في الكون عصور سكور وعصور نشاط وسواي عصر النشاط يوماً واحداً من أيام براهيم، وهو يدعى أيضاً «كاليا» وفي بدايته كل كاليا يستيقظ براهيماً ويخلق العوالم الثلاثة السماوي، البشري، والعصري، وفي آخر عصر النشاط يقو براهيماً، وتتحوّل الممالك التي خلقها إلى خراب أما الكائنات الحية التي لم تتخلص من آلامها حتى نهاية عصر النشاط، فإن براهيماً يبتلعها

وتتألف كل كاليا من ألف من القرون العظمى (ماهايوغا) وتتألف كل ماهايوغا من أربعة عصور: كريتيا، وتريتا، ودھابارا، وكالي. وكل عصر من هذه العصور أقصر من الذي سبقه. وتتوافق أصولها والسَّمية ٤: ٢: ٣: ١ هيتمتد العصر الأول كريتيا يوعا والعصر الذهبي ١٧٢٨٠٠٠ سنة أرضية إنه حقاً عصر ذهبي فالإنسان يعيش فيه طوال ٤٠٠٠ عام وعلى امتداد هذا العصر الطويل تسود قوانين العدل والواجب ويقوم في أساس التعامل بين الناس الصدق، والاحترام، والنعاطف، والترحاب ويعيش الناس فيه مسجداً، متعمين مكتمين من كل شيء ثم يليه العصر الثاني، عصر التريتا يوعا، الذي يطول ١٢٩٦٠٠٠ سنة أرضية في هذا العصر يتوارى الصدق شيئاً فشيئاً وعلى الرغم من أن أساس علي وجه العموم يلتزمون بالواجب، إلا أن النوازع الدائية أخذت تظهر في سلوكهم وهذا ما أفضى إلى ظهور النزاعات والخلافات بين أرباب الخطاء في هذا الوقت أقل بكثير من عدد لصالحين. أما في العصر الثالث عصر الدھابارا يوعا، فإن الفضيلة في الناس أقل بمقدار الضعف ولا يطول هذا العصر سوى ٨٦٤٠٠٠ سنة أرضية. تتكون السيادة إنانها للخداع، والتراخ، والتدبر بيد أن هرباً من الناس يحافظ على نقاء سريرته ويمتلئ بعصر الرابع، عصر الكاليوغا ٤٣٢٠٠٠ سنة أرضية. إنه لعصر الأخير، عصر

الانهيار لعام، عصر الإثم، سي لا يبضى في العالم حلاله سوى ربيع العصيلة التي كانت تسم العصر الأول بطابعها فتعلب الكاستات الدنيا بين الناس. الإيقودري والخدم. وهؤلاء كما هو معروف عن مثل هذه الكاستات، مناقشون دخالون فقدوا كرامتهم ونمروا في التراعات والخصومة وهم لا شئ فاعسون يعيشون في مدن مليئة باللصوص واحتلن والنصابين. واقتلن. نساؤهم شقيقات قدرات يتسلطن على الرجال وينصن كثيراً من الأطفال. في هذا العصر بصمهد الحصان لمو طين وتغير المبيعة طباعها. تتوالى الكوارث الطبيعية واحدة إثر الأخرى وتقع حروب مدمرة تعقبها مواسم جفاف فيعاني الناس معاناة شديدة ولا أمل لهم بالخلص. ويانتظارهم نهاية مريعة. نهاية لعصر الأخير، التي سوف نعددها علامات مريه مائة عام من الحفاف تظهر بعدها في السماء ثنائي شمووس تمتص رطوبة الأرض كلها في لحظات. وتبدأ النار تلتهم كل شيء على الأرض، يد تحمها الريح من مكان لآخر ولن تكفي النار بحرق هذا العالم بل سوف تلتهم العالم السطلي أيضاً فتجتمع بعد ذلك غيوم سوداء كثيفة، نذكر أشكالها بأشكال الفيلة، نكر خراطيمها صواعق وسوف تتفجر هذه الأخيرة في لحظة واحدة. فسطي الشايب التي سيتواصل انهمارها على العالم حول اثني عشر عاماً. فيغطي الماء نحتة كل شيء ثم ينهي براهما امسألة كلها، إذ يظهر عائم فوق سطح الماء، في رهه لوتوس، فيبتلع رياح واليوم ويبتلع كل ما كان قد خلقه يوماً، بما في ذلك الآلهة والبشر ثم يستغرق في نوم عميق لكي يرباح. ولن يستيقظ قبل لحظة العلى التالي الحد يد

ووهق الحسادات بهدوسية إنا نميش الآن في النصف لأول مر الكاليوغا فقد مصب من هذا العصر سنة آلاف عام. لأن الكاليوغا بدأت في منتصف ليلة ١٧ إلى ١٨ شباط من العام ٣١٠٢ ق.م. حسب التقويم الأوروبي.

ولم يكن لوحة العالم الموصوفة هذا خلقه. وتدميره ليست اللوحة الوحيدة، فمرى في واحدة من الأساطير، لعيدية مثلاً، أن إبه الكون قد ظهر من البيض الكونية استهية التي تعد رمزاً للنار. وأخذ شكل الإنسان الأول بوروشا وكلمة «بوروشا» نفسها تعني. إنسان، وسرمان ما شمر بوروشا نفسه إلى قسمين. أنش وذكر ثم طهر لهما أناء من إناث ودكور، وظهرت لبشرية وبعد ذلك صنع بوروشا وزوجته قيراح الحيوانات والمخلوقات الحيه الأخرى كلها

وتقول الأساطير الأحداث عهداً، إن بر هما خلق العالم وأشأ نظام الحكاستاب بنفسه
ولذلك عدو. هذا النظام أبدياً ومقدرٌ لئزمنة كلها.
وفي أساطير هندوسية أخرى يُسبب خلق العالم من مانو. ومانو هو مثله نوح لتوراتي،
عاش الطوفان الكونتي وبجا منه فقد صنع فلكاً وصنع فيه الصنديقين السبعة، لعظام، وبيدور
التيانات كلها أمّا الحيوانات فقد جعلها مانو بعد الطوفان.

ومن المصيد أن تقول بعض الكميات الأخرى عن فلسفة الهندوسية فقد تطوّر هدم
تطوّراً معياراً بعدما تطوّر لفلسفة الأوروبية. أي عرمني وجهات النظر المسبقة السابقة لقد
كان الذي جرى في الهند يشبه ما جرى في أوروبا إبان العصور لوسطى عندما لم يسمح
المفكرّون لأنفسهم بأكثر من تعليل مزلّمات لقدماء أعلاميون وأرسطو، وهيراقلطس
والتعليق عليها؛ فقد عدّوه صحيحة بالمطلق ولا عيب فيها ولم تعبر الهند عن الفرسطوية بعد.
وليس هذا سوى نتيجة للتقسيم الكاسي للمجتمع لأن الشريان أرتيس الذي يعدى عقل الأمة
معلق بحكام ولرمس صويل

فليس في الهند الآن مدرسة فلسفية واحدة نعارض الهندوسية، بل يسعى كل منها
جهده لتعلل صحة موضوعاتها الأساسية فقد بدأت الفلسفة عندما فكر الإنسان لأول مرة
ببناء العالم المحيط به، وإمكانية التي يشغلها هو نفسه في هذا البناء ولذلك قبل الفلسفة
كانت حاصرة في أناشيد الرجعيد المتأخرة، والأوباشادات، والكتب المقدسة الأخرى التي
ظهرت بعد ذلك ولكن هذه الفلسفة لم تقتصر أيّ بقدر للرؤى الموجودة تجاه العالم المحيط
وإنما تضمنت تعليلاً لها. لقد كان الفلاسفة الحد يرعون في ترسيخ الرؤى التي طوّرها
أسلافهم وحسب ومع الالتزام بعقل هذه المبادئ يصب كثراً التعمول على التطوّر التدرسي
للمجتمع.

وتعدّ السوترات مصدر النظم لفلسفية الهندية كلها وقد رأى الصلاصمه مهمتهم
الأساسية في التفتيق على مصوص السوترات وغالباً ما صيغت تلك التفتيقات في معادلات،
وحوارات وكانت تلك المحادلات في حشها واقعاً إذ كانوا يعدّون لها إعداداً معيقاً،
ومالبأ ما كانت تدور بحصور الملك وحاشسه بيد أنه كان معزماً أن يُطبق في تلك
المحادلات أيّ حكمه ثورية وكان كل شيء يعرض إلى تأكيد ما هو معروف منذ زمن.
وبذلك ليس غريباً أن صهرت مدارس الفلسفة كلها في وقت واحد وكانت تتطوّر في
تفاعل وثيق مع بعضها بعضاً. لقد كان فلاسفة المدارس كلها يحلّون احقاسق،
ولموضوعات التي كانوا يتلقونها أثناء رؤيا، نتيجة لبلوغ الحقيقة ببصيرة داخلية. وكانوا

يؤكدون على أنَّ البصيرة الروحية لأخيتة كالشُعاع الذي يصيب المكس الداخلي فيحمله مرثياً وواضحاً والهدف الرئيس في الفلسفة كما في الدين. هو التحرُّر من الآلام، وتحديد الطريق اسي تقود إلى ذلك التحرُّر

ومع بداية التاريخ الميلادي تقريباً، كانت قد تشكلت سبب مدرّس فلسفية رئيسة في الهند لكن جذورها كلها تفوص عميقاً في التاريخ القديم، في فلسفة الفيداب ولوحة لعالم اليراهمنيّة. ولم تكن تلك امدارس الفلسفة تعارض بعضها الآخر من حيث الاستنتاجات والخلاصات، وكل ما في الأمر أنَّ كلاً منها كان يعالج مسئلة ومعضلاته لخاصة كما كان لكل مدرسه ونظام فلسفي حمل نشاطه الخاص به، يزرعه بمعارفه وما نشر الفصول أنَّ لنظام الفلسفية السنته تفرّعت على ثلاثة أرواح يدرسونها هكذا، أروجا. سادكها - يوغا، ونيايا - فايشيشيكا، وشيدات - ميمانسا

لقد تأسست مدرسة سادكها الفلسفية على نظام فلسفي أكثر تعقيداً وعمقاً وكلمة «سادكها» معناها «تعبّر»، «التقدير». وقد استخدم بودا الموضوعات الأساس لهذا النظام الفلسفي أمّا مؤسس هذه المدرسة فهو كانبلا أسبي عاش في القرن لاقم. وحسب تعاليمه أنَّ كل شيء قائم على مبدئين مستقلين المبدأ الأول، هو الطبيعة المتغيرة أبداً، لو حدة أبداً؛ والمبدأ الثاني، هو كثرة من الأرواح المردية وتقع الطبيعة في حالة وصوح كما في حالة عموض وفي حالة العموض يعيش الطبيعة حالة توارب تقوى الثلاث التي تتألف منها، فتقيم القوة الأولى الثوري، والسكون، والانسجام وتحدث الثانية الانفعال، والولع، والحيوية وتبعث الثالثة الحمول، وليلاده، والامبالاة وهذه القوى الثلاث متحيطة أبداً فهي تتركب من تى مختلطة وتنتج لتتوَّع اللانهائي للعالم المرتي. وعندما يبدأ عصر كوبي جديد، تختل توارب هذه القوى لتتلاصق ويظهر من لطيفة خمسة وعشرون عنصراً (يوغا)، هي عناصر الوجود، بدءاً من الادراك وإحساس بالذات، ونهاية بالعناصر لفيزيائية، الهواء، والنار، والماء، والأرض، والأثير.

إنَّ ما يثير المصو في هذا النظام الفلسفي، هو إدخال ومناهد للعمليات ككها لا عمل له وحسب هيزياء الجريشات المعاصرة، وميكانيكا الكم، إنَّ كل عمل له رصد للعمليات تعضي إلى تغيير النظام، ولكن المراهب المسعى لا عمل له، إنه مبدأ خالد مهم يتغير عن الحس، والفكر، وعن أجهزة الحسية ومشاعريه. ونسكن كل من ضرورة لوجود هذا المراقبة نعم، وهو ليس عاطلاً عن العمل في كل حياة بعينها بل يبحرط في دوره لمسور (مسئلة اولادات المتكررة)، فيحدث نتيجة لذلك تداخل الإدراك مع النفس لمد وصعت هذه

المدرسة الفلسفية نفسها مهمات كان حلها أمراً حيوياً بالنسبة لعصور البشرية كلها تحرير الإنسان من الجهل، وترويض الأهواء، وتصهير الحسد، وتنمية الفكر وكان يجب أن يساعد هذا كله في نهاية المطاف على بلوغ الحقيقة.

تقوم مدرسة اليوغا لفلسفية على نص (لومعاسوترا، وكثرة من التعليقات على هذا النص وتبلي هذه المدرسة لفلسفة بدوها سوية مع مدرسة سادكها التي تحدثنا عنها قبل قليل. وهذا يعني في الواقع العملي أن الأساس النظري لليوغا يتكوّن من نظام سادكها الفلسفي. وحسب نظام اليوغا إنّه لا يمكن فهم العالم إلّا بمساعدة تسارين بمسببة فريديولوجية معينة. فطريقة بلوغ الكمال هذه، هي التي تسمح بإعادة تحويل العمليات النفسية (لأفكار، الامعالات، الأحاسيس) وتجاوز كل ما هو طارئ ولتحقيق ذلك يمتدح المدرسة طريقاً تتألف من ثماني مراحل. هي الامتناع عن العنف، والكذب، والشهيق للغير بالأذى، وترك العداوة والكراهة، والامتناع عن اللعير، والامتناع عن السرقة، وعدم إقامة علاقات مع الفاسدين الذين فقدوا كرامتهم. هذا كله يشكل المرحلة الأولى من الطريق. وتدرج في المرحلة الثانية تأدية فروع تطهير الجسد، و لامعالات، والأفكار وهي تفترض قراءة الكتب المقدسة، والتمكّن المتواصل بما هو إلهي. وتفصي المرحلة الثالثة تنظيم شؤون الجسد، وإيمان اتحاد الوصيات، لصحيفة للاستغراق في حالة التركيز وتفصي المرحلة الرابعة بالتحكم بالثقب وطاقه الجسم وتفرض المرحلة الخامسة تجريد أجهزة الشعور عن موضوعاتها. أمّا المرحلة السادسة، فهي صرف الامتناع عن كل شيء وتركيز الوعي والمرحلة السابعة، هي الاستغراق، أمّا المرحلة الثامنة فهي إدخال الوعي في حالة خاصه وهذه الحالة الأخيرة، هي الحالة التي تتوقف فيها العمليات النفسية كلها ويدخل امرء فيها حالة العبيسة، الطوبى. إن املاك مر حل إدراك الحقيقة الثماني هذه، يسمح بفضل الروح عن المادّة وامتلاك قدره على التسلّل ابوحساني إلى عمق الحقيقة

وترى مدرسة نيايا الفلسفية، فكما المدرس الأخرى، أن غاية حياة الإنسانية هي الانعتاق. وتتميز هذه لمدرسة عن المدارس الأخرى بأن أنبأها يبرون بصورة خاصة أهمية حالة التأمل بالنسبة لوعي الواقع، لتحقيقي وتملي الأهمية الأولى في هذا السياق للمنطق وقوانسه ووفق هذه الفلسفة أن لمعزفة أرمدة أنواع من المصادر البسيطة المستقلة. وهذه المصادر هي الاصطباع والاستدلال المسند على الإظهار؛ والتنشيه، أو بمعنى آخر تحديد صلة الكلمة بالموضوع (الشيء) استشهد لأول مره. ثم القرية اللطيفة لقد تطرّبت هذه المدرسة الفلسفية

ونحوّلت في آخر المطاف إلى مطلق عندما ظهر في القرن ١٢م. بحث غابرييلا «تاتانشيتناماي»

وتطوّرت داخل أطر مدرسة فايشيشيكا، الثعالم المكرّسه للوجود وأبرزوا وفق هذه ثعاليهم سبعة أنواع للوجود وخوهره، هي: الماهيات، وكيماياتها، وحركتها، والعالم، ولخاص، واحوهر الدألي. وتعّد هذه المدرسة الفلسفية قريبة جداً من مدرسة نيابا فلا يجمعهم فقط التوجه الفلسفي المشترك، بل والاتفاق في انطلق وفي نظرية المعرفة. وبذلك كان طبيعياً أن تدعم المدرستان في آخر المطاف وتشكلان مدرسة واحدة. ففي القرون ٧-٥م، وحدت المدرسان جهودهما في الصرع صد البوذية

أما مدرسة فيدانبا (= نهاية لفيادبا)، انفسمية، فهي تستند إلى بصوص الأوبانشادات «بهاغافادجيتا» و«بهاغافاتا - بورانا»، و«براهما - بورا» وقد توّمت بحث سمية فيدانبا نفسها، هذا رس فلسفية متماثلة تماماً، خاصت فيما بينها معادلات طويلة. ولم يكن يجمع بينهما سوى الأساس الديني الذي اسندت إليه كل منها، والعمل على حل المسألة الفلسفية عينها. كيف سواحق الانسان مع المطلق، وما الذي يمثله المبدأ المطلق والعالم المحيط بالإنسان، وكيف يمكن التعلّص من العودة ثانية إلى هذا العالم وكانت أشهر مدارس الفيديانبا قد رسمت اللوحة للألفية للعالم. مبدأ كل شيء هو الإله الواحد (براهمن). فهو إله قريب، ورب (إيسهارا) وما عدا الإله الواحد ليس ثمة شيء. ثمة فقط العالم، المرثى الذي صنعه الإله بقوّته السحرية (مايبي)، التي تنبعث منه. وليس أمام الذي يدرّكه الإنسان سوى عالم وهمي. أما أمام الحقيقي، أمام الواقعي، فهو ابراهمن، الذي لا يدرّكه سوى الفلاسفة والحكماء. ولكن إدراكهم له ليس ذهبياً، لأنه لا يتحدّد بالكلمات. فروح الإنسان في العالم المعتاد (اوهمي)، سس جوهرها الحقيقي، الإلهي ولا بعيد روح الإنسان إلى الاتحاد مع الآله. الكسب المصدرة، الكسب المعرفة براهمن، سوى انفاقها الحقيقي

وعالحت مدرسة ميمانسا فلسفية الدور الميّر الذي يؤدّبه الملقس فقد اهتمت بمفكر هذه المدرسة أن اطقس أكثر همّية بالنسبة لوعي لعقيقة من التفكير المنطقي. وتستند المدرسة إلى الاعتراف بانوهار المطلق لصدات. وما يثير الفصول أن هؤلاء الفلاسفة رأوا أن الميادات لم تصدر عن إله أو عن إنسان، بل عن مصدر ما لا شخصية له. ولذلك فهي عصبية على أي خطأ ممكن. ولكن ما هو هذا المصدر إذ لم يكن بشرياً ولا إلهياً؟ إن ملقس الشبيحة هو الطقس الأساس في بهوسوية. فالتشبيحة هي المادّات التي تخلق الكون،

وهي التي تعد خلقه مرة بعد مرة وتملؤه كما تملأ الساعة، وتروّده بالطلاقة الكامنة وبالنعبة للمرد العادي فإنّ الذبيحة هي التي تمنح حياته البائسة معنى سامياً ولحكن يجب أن تلتزم شعائر لطمس التراماً صارماً بمرائض التقليد المهدس، وكما سبق ويؤسف أن هذه المدرسة الفلسفية أو بمعنى أدق، المدرسة الدينية - الفلسفية قد امتنعت عن الإله استعساً تاماً ولا يعبقها هذا عن الانحرط في الهندوسية، نتي يجير كس شيء: إيمان بآله واحد، والإيمان بكثرة من الآلهة أو عدم الإيمان بأي له كان مع أن هذه الحالة، الأخيرة يستدل فيها بالإلهية مبدأ توأم ما ولكن لماذا لا يسعى هذا المبدأ التوأم إليها، لا سيما أن المعارف كلها على الإطلاق صدرت عنه على أي حال إن طرح الأسئلة المنطقية في الهندوسية أمر لا طائل منه ولأن، بما أنه ليس ثقة إله، فقد فرص على الإنسان أن يسجد لشيعة، وفي هذا يتلخص واحب لإسنان، تدينية فرائض التقليد المقدس للعالم دون نقصان أو روغان، ونشر هذه المدرسة، اهتماماً أيضاً لأنها لم تعترف بانتقال الروح، فقد عدت أن الهدف الأساس للحياة، هو تحقيق النجاحات في هذا العالم، و لولادة من جديد في لسماء، ويصرف النظر من أن ميماسا لم تعترف بتكرار مرآت العيش على الأرض، إلا أنها نجحت في أن تنحصر في الهندوسية

أما المدرسة الدينية - لسمسية تشارفاكي فهي لم تتوقف عند حدود عدم الاعتراف بوجود إله، بل رأت أيضاً أنه ليس ثمّة أي ضرورة على الإطلاق لإقامة أي طقوس كانت كما رفضت هذه المدرسة الفلسفية الكتب المقدسة كلها ومع ذلك كله أدرجوه في الهندوسية

الجنة وجهنم في الهندوسية

يرتبط حرق حث الموتى في لهد بعبادة إله النار أعني هاغني وحده الذي يمتلك «طريق الأبناء»، طريق الأموات. وهو الذي يحدد السر والإثم والشر في كل متوفى. ويجري التسميم وفق مبدأ في غاية البساطة. يتحول الجسد إلى رماد وينتقل إلى هذا الأخير كل ما هو أثم وناقص. بينما تحمل النار الروح إلى العالم الآخر فتظهر أرواح بالنار وتعود لتتحد مع أهابها لسابق في العالم الآخر. وهناك يستصنف الأسلاف الروح بصرح وحسب. وفي ذلك العالم تتحقق الأمسيات كلها وتسير الحياة عبر تحقيق مباحج جديدة

ولكن تعاليم الهندوسية تقول، إنه إلى جانب هذه الجنة التي يعيش كلهم فيها دون استثناء سعيد مغبوط (لأن الأثام كلها بقيت على الأرض)، ثمة حنة أخرى، وبكلمة أدق، حنة إله آخر، حنة الإله، بيدرا. أما الحنة التي وصفها لها فهي حنة الإله ياما. كما تتحدث الككتب المقدسة عن تنويعات أخرى للجنة ولكنها كلها في آخر الأمر مستقرات للأموات. ولم يكن الوصول إلى هناك بالأمر الصعب، لأنهم سم سروا في الحنة مكافأة، على السر والتقوى في الحياة الدنيا لقد تصورا لجنة راوية النعيم التي يعصى إليها كل ميت، لأن النار (أعني) تظهره من الآثام والذنس.

ولكن مع سر الرمن تسدلت تصوراتهم عن العالم الآخر والحياة الأخرى. فلم يعد الإنسان ليرضى بأن يجد نفسه بعد الموت في مكان عينه مع هزاه الآخرين، مع أن وجوده داك كان في الحنة لقد أخذ لإسنان يسترق النظر بحسد واضح إلى الأماكن التي يقيم فيها آله وعيه فقد ظهرت تصورات جديدة عن «عالم الأسلاف» فلم يعد هذا «ممكة الأسلاف» بحياة النعيم التي يعيشونها، بل تحول إلى التقيص تماما إلى جهنم وبمكسا الأ نحر لهذا التقيير الجذري في تصوراتهم عن أماكن حياة الأس بعد الموت وبكر مع هذه التبايات كلها، فإنه ثمة متعلق مهم هنا هن المعروف أن الناس قادرون على أن يحملوا من

أيّ مضاعف يقيمون فيه جهنماً وهكذا ظهر مفهوم جهنم في تصورات الهندوس القدماء لكل أهواله وآلامه، وإهاناته، وانتهاكاته وشاحه بيد أنه من البدهي أن يكون التصور لأول من وجود الحة وغياب جهنم، هو التصور الأصح (بل قد يكون الأصح على الإطلاق) من تصوراتهم الرهبان عن جهنم وحسب بعض التصورات أن جهنم موحدة لكي يتسنى للأسماء أن يتصهروا من آثامهم فيحصون فيها لمختلف صروب الألام؛ يضعون البظلام والنعس في مراحل يغلي الريت فيها، أما من كان يتعامل مع الحيوانات بوحشية فيرمى لوحش مخبئة لمرقه إرباً (والحقيقة أنهم يتابعون العيش بعد ذلك) وكما أن الحنات كثيرة كذلك الهنومات كثيرة أيضاً ومختلفة وفي كل منها نقيته الخاصة للتعذيب. فلن يقتل برامس مثلاً، شفة جهنم خاصة بمعدة بأقصى مستويات لرعب، قاعدتها، أي أرضها نار منوهجة، وسمها مرجل محمى. وهناك سادح جهنمية أخرى فمن يقتل بحشرات على سبيل المثال، يقع في جهنم يصيبه خدمها بالحرمان من النوم ومن يتزوج فتاة من خارج كاستته، فإن عقاباً رهيباً ينتظره. عليه أن يصادق في جهنمه أشكالاً من الحديد المحمى حتى الاحمرار. وثمة جهنم خاص للقادة الذين ينتمون إلى المراتب العليا، فمن تسبب منهم في نشوب حرب أو نزاع، أو صدام على خلمية دسنة، فسوف يرمى به في نهر مليء بالنقادرات التي تقرز النفس

ومن الوجهة المنطوية، أعدت جهنم لكي ينال كل حرد ما فعل، أي لكي تتحقق اعدالة. ومن الواضح أن العلم عاجز عن الاستمرار بغير عدالة ومن المهم جداً لكيفية التي يتحقق بها قانون العدالة، إن حياتنا اليومية تظهر أن قانون العدالة يتوقف عن عمله في فترات معينة من الزمن. ولذلك يقولون، وفي قولهم كثير من الحقيقة، إنه لا وجود للعدالة، لا وجود للحقيقة ولندحض هذا. يريدون من اتساع الفاصل الزمني فالمسيحيون والمسلمون يحملون هذا الفاص (زمن الإحمال، ولتكمال) بطول الحياة نفسها ما يحصل في عصون ذلك، هو أن الإنسان بأثم حياته كلها، لكنه لم ينل أي عقاب جراء آثامه ولا يعني هذا أي شيء، لأنه سوف يقضى عقابه بعد موته

أما المعتقدات الديهية الهنديّة فهنا لا تجمع محصلة زمن حرد واحدة بل أزمنة حيوات كثيرة تعيشها الروح عيها على لأرض، إلى أن يتخلص الفرد في نهاية المطاف من دوامة تعاقب الحيوات الزمنية، وسحر نهائياً من استنصارا (= توالد الروح)، وحسب هذا النظام لا يتلقى الإنسان عقابه على آثامه في جهنم، بل في الحياة الزمنية الدورية هي نظم

نزوح أرواح جهنم من على الأرض، ولا يعاقب الأثم في جهنم الأسسورية، وإنما في الحياة الواقعية إن كور جهنم تقع على لارض لو أمر يشه لخميفة. ولمكن من غير مفهوم لماذا إدن تيصب الثعالم في السماء. في العالم الآخر، في حياة الأخرى. إنه لأمر يدهش نفسه، لأنه إذا كان الإنسان قد نال عقابه على آثامه الأرضية في جهنم، فلماذا يرسل ثانية إلى جهنم الأرضية، لماذا يولد من جديد ليكرر حياته الرئسة، يبدو واضحاً أن هذه التصورات عن جهنم العالم الآخر، قد تشككت قبل أن يبتكر البرهمي تقسيمهم الحادق للمجتمع إلى كثرة من الكاساتات وكان ذلك ضرورياً بالنسبة إليهم لكي يتمكنوا من إدارة المجتمع وقد كُند تاريخ الهند على امتداد ألف عام بأنهم بحوا في هذا، مع أن لشعب يدفع من ذلك بحراً من الآلام والشؤون الروحي والتفسي، وهكذا يتعارض وجود جهنم في الهندوسية تعارضاً مبدئياً مع نظرية انتقال (سروح م) الروح، أي مع قانون الكارما، بالسالي مع الحيسان الكبرى التي مسند عليها، الهندوسية (والديانات الهندية الأخرى).

ولكن ثمة تناقض آخر مرتبط بنظرية نروح الأروح فهي تعارض عادة الأسلاف التي بها قوة خاصة في الهند فإذا كان الإنسان لا يتأخر طويلاً في العالم الآخر، بل سرعان ما يعود إلى الأرض ليعيش حياته لتورئة التالية، فكيف نحدد إدن من سلف من وتطلق فرائض تحلل الأسلاف كلها من أن السلف لا يعود إلى الأرض في صورة إنسان بعد الموت مباشرة ولا بعد مرور زمن ما، فهو مقيم بدأ في العالم الآخر فيأخذ في الأول حاسة روح بلا حسد، ثم بعد أن يكتسب حسداً «دقيقاً» يتخذ لنفسه مكاناً في حنة ذلك العالم ويقابل هناك أقاربه الذين سيصوه إلى ذلك العالم والحميمة أنه ليس هو من يثبت لنفسه الحسد «للفيق»، وإنما يحدث ذلك بفصل التزام دريته التي بقيت على الأرض بتأدية طقوس معينة في الوقت المناسب والممكن النام أما إذا لم تؤد تلك الطقوس فإن المستحق من غير جسد، روحاً لا ممتقر لها. وقد يعود عدنيو إلى الأرض في صورة روح ويتحول إلى عدو للناس إلى روح شرير أفعاله على الأرض شريرة ولذلك فإن لتأدية الطقوس (ليكونوا يثنا) في وقته المحدد أهمية مبدئية

لقد كانت عبادة الأجداد في الهند ولا تزال ذات أهمية كبيرة لا من الوجهة الدينية و لأخلاقية وحسب، بل من الوجهة الأهلية والتشريعية كذلك فإذا ما تقاعس الأس عن تأدية طقوس تكريم الأسلاف، يفقد حقه في تركبة أسلافه. وليس ثمة من حيدر هنا عبادة

الأسلاف هذه تجمع الأحياء و الأموات في كل واحد ولكن ليس بهذا كله أي ممرى إلا إذا
نقى لأسلاف الموتى هناك في العالم الآخر بقاء أبدياً ولم يرجعوا إلى الأرض من جديد
ليكمزوا عن آثامهم التي ارتكبوها في حيواتهم الأرضية السابقة ووفق عبادة لأسلاف، أن
الأموات من هؤلاء يتساوون مع الآلهة ولذلك فإنهم يتوفرون على إمكانات حقيقيّة لحماية
أحفادهم الذين على الأرض، وصون عائلاتهم وموطنهم.
وتضم الهندوسية دين جساتها تعاليم الشارهاكيين الإلحادية التي ترفض رفضاً مطلقاً
وجود الآلهة، ولا تقر أي ملقوس أو كتب مقدسة.

الفصل الثالث عشر

ديانة السيخ

يتلخص جوهر الديانة السيخية في اسكلمات الآتية: «الإله واحد وأزلي، موجود في كل شيء»، وفي الوقت نفسه خالق كل ما هو موجود. لا يعرف الخوف ولا العداء وهو موجود خارج الزمن وخارج سلاسل الموت ويدرك برحمة عروء

لقد أسس هذه الديانة الجديدة الغورو نانك وقد ولد هذا في العام ١٤٦٩م. في قرية صغيرة، نبح في غربي البنجاب، تدعى راي بهوي دي تالواندي. ومنذ صغره كان نانك معلماً مبعرة. تعلم للغة البنجابية ثم التحق بمدرسة إسلامية تعلم فيها اللغة الفارسية التي كانت وقتئذ اللغة الرسمية للدولة في الهند وما كان يتعلمه السامد الآخرون في سنوات، استوعبه نانك في أسابيع معدودة ولما بلغ العاشرة من عمره كان نانك قد صاغ تعاليمه، وأعلنها وقد حدث هذا في الوقت الذي كان يجب أن يزدي لمتى فيه الطقوس الهندوسية الذي يمنحه حق حمل الشريط المقدس الذي كان ميزة الكهنة لعلب في الهندوسية وكانت تلك مراسم يوماً مراسيم حسائية. لكن الفتى رفض الشريط وأعلن أن الولاء للإله يكمن في الإيمان الدّخى لنميق أما الطقوس، بما فيها طقس تقليد الشريط فليس لها أي صلة بالإيمان بالإله لقد نجح مؤسس الدين الجديد وهو في العاشرة من عمره أن يحدد جوهر العلاقة مع الإله بحدوداً صحيحة فالإيمان بالإله وحدهما دالسة إليه حباً أساس، كل الناس بصرف النظر عن الانتماء الكاسمي والانتماء الديني لقد أدرك نالك أن الناس كلهم سواسية أمام الله الأعضاء والعقراء، والهندوس، والمسلمون. وترسخت قناعته بموقفه هذا خلال مناقشاته وأحاديثه مع الهندوس ومع مسلمين.

ولكن أي تعاليم وأي ديس لا يظهران من امراغ، وعينه لم يكن ظهور التعاليم السيخية في لنجاب مجرد معاهدة، فهناك بدلات ساعدت الشروط الحفراية على انتشار أفكار نظرية جديدة، لأن بيارات دينة متنوعة حرت وبحاطط في ذلك الإقليم وعبر بوابة البنجاب تسلل الغزاة إلى الهند، وسرّيت الأفكار الجديدة.

يقع إقليم البنجاب (ومعنى التسمية باللغة الفارسية: الأنهار الخمسة، أي روافد نهر الهندوس الخمسة)، عند ملتقى خطي آسيا مع الشرق الأوسط ويحتمي من جهة شمال - شرقي الهند بجبال الهمالايا، ومن الجنوب بالمحيط، ومن الشرق بمرتفعات جليّة وعرة، ومن الغرب بصحراء تار وقد تسلّل الغرباء إلى الهند عبر البنجاب لذلك ولذلك لم يكن سكان الإقليم الأصليون يقرّون أسلحتهم لحظة واحدة

ففي أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول ق م دخل الآريون إلى الهند عبر البنجاب، ثمّ تبعهم الساكيون، فالكوشات وسواهم من شعوب بلدان الشرقين لاندس والأوسط، وفيما بعد عبر المسكان الهون الصين، ومنذ القرن ٧م - حد الإسلام بتوحيدها كلها بتعلل إلى إقليم حوبي آسيا عبر البنجاب، وبات يمكن القول، إن البنجاب وحد نفسه نقطة التقاء ديارين الهنديّة وإسلام. ولذلك كان من الطبيعي أن تشأ هذه تعاليم متكاملة متوافقة لم تضع أيّاً من الدينتين في مواجهته مع الديانة الأخرى.

لقد ظهرت لدينه السنيّة في زمن كانت الهند تعيش فيه طوراً عصياً من تاريخها. ففي القرن ١٥م، كانت تحكم سلطنة، لها، وهي من أكبر دول آسيا في حقبة العصور الوسطى، كثرة من السلالات التي كانت تزيج واحدتها الأخرى. وكان لإسلام هو، الدين الرسمي للدولة بيد أن أكثر سكان الهند كانوا من معتنقي لدينه الهندوسية. وكان كل من الديانتين يفرّج هرطقات، فالهندوسية أبطلت حركة بهاكتي الدينية - الإصلاحية وقد قام في صلب هذه التمايم موضوع عن حبّ لإله يصحّ له لوحده. ولم تكن هناك حاجة لوسطاء: براهمين، بلوغ ذلك الحب، فالتواصل مع الإله، هو شأن خاصّ بالمؤمن عيه، ولتحقيق مثل هذا التواص لم تكن هناك ضرورة لإقامة أي شعائر أو مراسم أمّ لإسلام فقد أنجب الصوفيّة ولكن الصوفيين طردوا من الهند والبلدان الإسلامية الأخرى، هجأوا و مستقروا في شمال غربي هندوستان ونجحوا في تأسيس دولتهم هناك ولكنهم بلغوا ذبى في نهاية المطاف، على الرغم من مقاومته التي واجههم بملاطين بها

ويكمن جوهر التمايم الصوفيّة في أنه ينبغي بالضرورة أن تكون الغاية الأممية للإنسان، هي التواصل مع الإله والاتحاد به ولعلّ ذلك محب معروف عن العام والعيش حياة زهد وتقشّف وهذا ما يجب أن يمهّد السبيل له الاستعراق في التفكير بالإله، وإنشاء الانتهالات، وترديد اسم الإله ويجب أن يقود الشيوخ أنفسهم عملية تكرار الذاب هذه ومن بواضح أن هذه الفلسفة أعلنت، معمر أحد طرق الحق

والحقيقة أن الصوفيين دعوا من حيث الجوهر، إلى ما دعا إليه البهاكسي: تعميم حب والأخوة بين البشر على اختلاف انتماءاتهم وإمكاناتهم. وعيٌ عن لبين أن مثل هذه الدعوة لم يكن لها إلا أن تثير عطاءً كبيراً في مجتمع يقوم على مبدأ الانقسام إلى كاستات.

لقد كان النبي ناناك شغفياً يملؤها احساس. وكان يصاب في كثير من الأحيان بنوبات ذهول، فينشد الأناشيد ويصيح بالأعاني التي كان يرتجلها في اللحظة عيناها وكان في أغانيه وأناشيدته يمدح الإله، ويمرر من وجدته له. وخدم ناناك لمدة سنوات موطفاً في عاصمة البنجاب وفي أحد الأيام ولد الرّحمن من جديد فبعد استحمامه الممتد في النهر غاص ناناك في الماء ولم يخرج فظنّ جميعهم أنه عرق. ولكنه ظهر في المدينة بعد ثلاثة أيام. بعد أنه لم يكن يشبه ناناك السابق. كانت عيناها مشغاة ببريق عريب، وحول راسه نأرجح هالة من صياء. لقد كان ينبعث من حمده بهاء إلهي. وبقي ناناك صامماً عدّة أيام لم يطق خلالها بكلمة واحدة. ثم نطق بالكلمات الأولى الآتية: «لا للهندوس ولا للمسلمين ينبغي على الإنسان أن يعمل ويتقاسم ثمار عمله مع الآخرين» وهكذا سرعان ما صار ناناك نبياً فترك العمل في القصر وحذّ يحوط الأماكن المقدسة الهندوسية والإسلامية على السواء فزار الأماكن التي دارت فيها أحداث «المهاباراتا» و«الرامايانا» ولا تزال تتجمع في هذه الأماكن حتى في أيامنا هذه عشرات ومئات آلاف الحجاج كما زار ناناك المكان الذي حدثت فيه صهوة سودا في لتبت وحجج إلى الأماكن الإسلامية المقدسة، فزار مكة، ومدسة وعاد عبر بمباد، وكابل، وبيشاور، ومولتن، وسعيد پور

لقد ارتحل ناناك حوالي الثلاثين عاماً ويات معلماً معروفاً (غورو) تواجد إليه التلاميذ من شتى البلدان ونشؤ في السباقي أن كلمته «سيح» تعني «تدليم» وأحيراً استقر ناناك على الضفة اليمنى لنهر رافى، وهو أحد روافد نهر الهندوس. وأسّس هنا مدينة حصن لأعلى (كورتاربور). وكان النبي يرتدي ثياب هلاج، ويحرب الأرض مع روحته وأولاده. كما كان تلاميذه يفعلون الشيء نفسه. وهكذا تأسّست لطائفة السبحية الأولى. وقد كان أفرادها كلهم يتقاسمون ثمار عصهم فيما بينهم وكان يدعى إلى «مائدة الغورو» أي ضيف كان بصرف، لتظفر من انتمائه الكاسي ووضعته الاحتبسي ولم يكن مثل هذا الأمر مألوفاً عند الهندوس. فقد عدّ هؤلاء أن مجرد سقوط صلّ شخص ينتمي إلى كاستا دنيا على طعام شخص ينتمي إلى كاستا عليا إنما رهيب لا كفارة له!

ولكنَّ المسيحَ حافظوا على تقليدهم هذا طوال خمس مائة عام: لدى كل طائفة، وعند كل مكان من الأماكن المسيحية المقدسة الكبرى، ثمة مواثِد يقدمون الطعام عليها لكل واحد سواء كان من أهل الدُّر، أو عريساً حارس سبيل، سيجياً أو من أتباع ديانة أخرى.

ومثله مثل يسوع المسيح، رأى ذلك أنَّ الأهمَّ في مسألة الإيمان موجود في روح الإنسان. لقد قال المسيح: مملكة الله موجودة في داخلكم. وقال بانيك لا يتعدَّد الدُّس باختلاف مستوى الكاستا، ولا حتى باختلاف الانتماء الديني. إنَّه يتعدَّد بحالة الإنسان الروحية ولم يوافق ناناك يوماً على أنَّ تحقيق اسماء ممكن بتأديه طقس الأعتسال في مياه تُنهر مقدس ومن المعروف أنَّ نظام الكاستات الهندوسي يقوم على معاصيم التُّمُّهَر وعلى وجه العموم كان أسّي سداك ضدَّ كل المراسم لدينيّة، ورأى أنَّه ينبغي على الإنسان أن يتواصل مع الإله وحياً لوجه دون وسطاء وهذا ما راه المسيح أيضاً.

وبم يعرف المسيح خلال تاريخهم كله سوى عشرة غورو. وقد بشر هؤلاء بالتعليم وكل منهم يسلم الرأية لخليفته وفي القرن ١٧م. أدخل الغورو الأخير (هافيد سيبغ) إصلاحات على الثعاليق وأخرى تغيرات على تنظيم الطائفة. فقبل ذلك كانت السُّلطة في الطائفة بيد الغورو ولكن استاء من العام ١٦٩٩م، انتقلت السُّلطة إليها من الغورو إلى «أخوية الأنبياء» (هالسيه) وكان ينتمي إلى «أخوية الأنبياء» أكثر الأعضاء عميرة على الدين، المستعوبون لأنَّ يصحوا بحياتهم في سبيل الطائفة. وكان هؤلاء يُنتخبون انتخاباً، ولذلك لم يُعيّن الغورو العاشر خليفة له، فانصبت سلسله الغورو والأحياء لقد نقل هافيد سيبغ السُّلطة إلى «أخوية الأنبياء»، الهالسيه ودخل هو نفسه قوامها.

في عهد الغورو الخامس ثمَّ عرض تعاليم السُّيخ كلها في كتابهم المقدس «أدي هراته» (الكتاب البدئي) ثمَّ تكامل الكتاب في عهود الغورو الآخرين فأدخبا إليه الأناشيد المقدسة التي نشأها لغورو كلهم ودخلته ضمّاً أنشد كثير من الهياكتي والصوفيين. وقد دُوّن الكتاب لغة البنجاب، إلاَّ أنَّه بصمّن إصافات بلغات شعوب الهند الأخرى.

ويعد أن انتقلت السُّلطة من لغورو إلى «أخوية الأنبياء»، اكتسبت قراراتهم هوّة القانون إذا ما اتُّخذت بوجود الكتاب المقدس «أدي هراته» فقد كان مثل تلك القرارات مقدساً وصانعت الطائفة كلها تتخبط الأكثر عميرة، ويماناً، وبقاءً من أعصائها لمصوية «أخوية الأنبياء» ومع أنَّ قرارات هؤلاء كانت ملزمةً بجمعهم، إلاَّ أنَّ

القرارات التي كان يُتخذها اجتماع الأعضاء مكلهم، وكانت هي لقرارات الأكثر أهمية لقد كان الاجتماع العام لأعضاء لطائفة يُعَيِّن أعضاء لجنة الحمسة وكان من حقّه عمله وما يذكر في هذا، لمناق أن العدد ٥/ عند السيخ عدد مقدّم لقد كانت حياء الطائفة منظمة وفق قواعد ومعايير مدروسة. وكان طمس الشكريس في عضويّة الطائفة، يشبه إلى حدّ ما طمس المعموديّة عند المسيحيين. فعندما كان يضم أحدهم إلى الطائفة، كان يضاف إلى اسمه لقب السيخ العسكري (أسد)، ويضاف إلى اسم الأنتى لقب لبوة («كاور»). لقد كان على أعضاء الطائفة أن يلتزموا بمجموعة قو عد سلوك خاصّة حملت اسم «الكا - K الخمسة». كان على كل عضو من أعضاء الهاسيه أن يحمل معه حنجر (كيريان) هذه هي «K» الأولى وسوراً حديدياً (كار) وهذه هي «K» الثانية وشرو لأ حديقاً قصير (ككتشعا). وهذه هي «K» الثالثة وكان عليهم أن يخلقوا شعر رؤوسهم ولحاهم (ككش) وهي «K» رابعة شنت الشعر تحت العمامة بمشط (كاهما). وهي «K» الخامسة ولا يرال السيخ يسمون بهذه القواعد حتى يومنا هذا، ولحمية أن فريماً من سيخ لا يخلق اليوم شعر رأسه، بينما يفرق الآخر يخلعه وقد دعا الأوائل أنفسهم كيشدهاري، أي «حاملي الشعر»؛ بينما يدعى الآخرون ساهاد جدكاري. وحرم على أعضاء طائفة السيخ شرب الخمرة، والتدخين، وتعاطي المخدرات والانتماء إلى الطائفة طوعي وعن سابق وعي.

وترفض النديانة المسيحية تعدد الآلهة التي تُصنّف به الهندوسيّة فالإله عند السيخ واحد أحد مع أن له أسماء كثيرة، الله، وشيما، وهيشنو وبراها هليس للإله اسم خاص به وحده وحسب تصورات السيخ، الإله يقع في حائنين طاهرّة وباطنيّة. ويتحوّل الإله إلى الحالة الظاهرية كمي يتسنى للإنسان أن يدركه ولكنّ الإله نفسه باطنيّ دوماً. ولا يظهر إلاّ عبر أعماله والإله الباطني إله صكلي القدرة، وأرلي، مع أن العالم اندي حظه متغيّر وإلى روال إنّه موجود في الحاضر وموجود في الماضي، وسوف يكون موجوداً في المستقبل. وهو موجود من غير بداية، حازح الزّمن، خالد ولم يلد أحد. ويحيى السيخ أحدهم الآخر بالكلمات الشّبيهة. «حقاً خالد». وخلافاً لآله الهندوس، فإنّ إله السيخ لا يقدّ وجهاً طاهراً فصّ ولذلك يرفض السيخ رفضاً قاطعاً تصوير الإله في صورة إنسان.

وتقرّ تعاليم السيخ كما تعاليم البوذية والهندوسيّة، أن الإنسان يمرّ عمر سلسلة لا متناهية من الولادات. وتعلّق هذه السلسلة بأفضل الفرد لمعي وأعماله التي أتى بها في

حياته الدُّنيا لكنْ هذه السلسلة عند السَّيِّح أقصر منها عند البوذيين والهندوس. فالسَّيِّح يعتقدون بأنَّ كلَّ سيَّحٍ مؤمن يستطيع أن يقطع هذه السلسلة وينال ابتهاقه الروحي والمادي الكامل بمعنى آخر، يمكنه أن يقترب من الإله إلى الحدِّ الأقصى. وكلَّ سيَّحٍ مؤمن يرى أنَّ أسْمَى أهداف حياته، هو إدراك الإله. ولا يمكن أن ندرك الإله إدراكاً تاماً إلاَّ عبر الاستمرار المطلق فيه، إلاَّ عبر التَّلاشي هبته وإذا ما حصل هذا فنحنُ سبعة الولادات سوفف. وكان ناسك قد صاغ الموضوع الأساس لإيمان السَّيِّح بالإله هكذا: «يجب أن تكون الآلهة في قلب الإنسان، وهذا هو الأمر رئيس» وهذا ما قال به المسيح مرراً وتكراراً.

ولكنْ كيف لمُعيِّل ي إدراك الإله؟ إنَّه الاستعراق. وإذا ما نجح المؤمن في تحقيقه، فإنَّه يستطيع عندئذ أن يسمع الإله كموسيقى ساحرة «صامتة» وهذا لا يحتاج هو الروحي بعبه. ويساعد على إدراك الإله تكرار ذكر اسمه مرَّات كثيرة ولإله اسم، كثيرة مع أنَّه واحد. بيد أنَّ الأسماء الأساس منها مرتبطة بكلمة «حقيقة» ويسعد السَّيِّح المتقدم على إدراك الإله، مرشده الإلهي. الغورو. فهو حامل الحقيقة الأسْمَى، و معلومة التي تصل إليه من لدن الإله. وليس من قبيل المصادفة أن بدغم بعض التَّصوُّص لمقدَّسة الغورو بالإله نفسه. ولصكَّ صوت الإله يؤدِّي دور الغورو في غالب الأحيان. إلاَّ أنَّ لغورو هو حسب المهم احتاد له، مرشد روحي. ويؤمن السَّيِّح بوجود الكارما، قانون الأسباب والنتائج. فمصير الإنسان يتحدَّد بما بآتبه من أفعال لأن، وما أتد منها في تحسُّناته الماضية. ويجب على كلِّ إنسان أن يؤدِّي واحده (دهارما). وواجب كلِّ إنسان، هو أن يحيا حياة مليئة بالحياة والنشاط والعمل المنعز. عليه أن يؤدِّي واجبه ككرب مرل ومن الميِّد أن نذكر في هذا الشَّان، أنَّ رؤية السَّيِّح هذه معطى ثمارها في الحياة الواقعية. مع أنَّ عددهم قليل سبباً، إلاَّ أنَّهم يشغلون مكانة مرموقة في البلاد.

ولكنْ يمكن الإنسان من إدراك الإله والاتحاد به، عليه أن يسير في صديق حبِّ الإله، والإيمان به، والإخلاص له. إنَّ عليه أن يعبس التفكير في أعمال الإله وعبي عن اليأس أنَّه ينبغي على الإنسان أن يبلغ هذا كله لكي يتخصَّص من صوبه، والعبس الأساسية الأثقل وطأة خمسة. وهي: الغضب، والغطرسة، والمُنع، والمولع، والتَّعسك بمفانم الدُّنْي.

ولكنْ التَّعاليم السَّيِّحية لا ترى في ترك الحياء الدُّنيا خدمة للإله. فلرُهد والتَّعسك ليسا ضروريين، وليس هذا وحسب، وأنَّما يخالفان قوانين الصُّمية، فو دين الإله ولا يحتاج

الإنسان إلى وسطاء، كهمه لكي يتو صل مع الإله. فالتواصل يخلق من القلب، من الإله مباشرة.

وعلى ضوء ما تقدم تبدو أهمية رفض نظام الكاستات بالنسبة لديانة السبيح واضحة جداً وكيف يمكن تبرير وجود الكاستات إذا كنت تؤمن بإله واحد عادل فاعلم أمام الإله مواسية وفق المنظور المسيحي ولديهم فهم لا يقرّون نظام التقسيم الكاستي للمجتمع أم فاعلم يتفق بإقامة الخدمة الإلهية، فقد كان الغور الأول نادك قد كرس مبدأ حضور السبيح كلهم مواظب الغور والخدمة في إسماء الأناشيد الإلهية وكرس الغور الثالث أمر داسي تقليد إقامة الولائم الجماعية وكان أعضاء العشيرة يحسون صفاً واحداً، ويساهلون من يد إلى يد ككاساً مليئة ماء.

كما انعمكم رفض السبيح للكاستات في شكل بقاء معادهم: لكل معبد أربعة مداحل، وهو عدد مهمات. ويرمز هذا إلى انفتاح الديانة المسيحية على أعضاء لكاستات كلهم

ويؤدّي كتاب (أدي هرائته) الدور الرئيسي في معاد السبيح وفي كل صباح على مرّ الزمن يضعون هذا الكتاب على مقعد خاص، حيث يبقى هناك حتى المساء وفي المساء يطلقون الكتاب ويحرقونه بالوقار عيه إلى النكار الذي سيحرقه ويقرأ هذا كتاب دوماً، ولكن في المعابد فقط، ومثلها مثل الديانات والمعتقدات لديانة الأخرى كلها، تتوّج ديانة السبيح على كثرة من الحركات والمجموعات، لكننا لن نوقف إلا عند جماعة ليها نبي وتتألف هذه من أعضاء حوية خاصة يرتدون ملابس راية رضاء - صمراء اللون ولا يحافون الموت، ولديهم هم مصطلحون شرسون غير هيايين مدججون بالسلاح دوماً ولا يخافون أن يقتلوا يحملون بالاحترام، وأنس تحفهم، فإذا ما بدرت عند أي إشارة تعبّر عن لاستهائه بهم، فإنت قد تحسّر حياتك بسبب ذلك. ويضع هؤلاء على عماماتهم العالية حلقات معدنية حوافها حادة كالشفرة ويلمون هذه الحلقة عند الضرورة على إصبع ويقدمونها بطريقة تجعلها قادرة على اختراق إرأس. ويعيش هؤلاء أسبيح حياة تشرف: ليس لهم عائلة أو عمل يعيشون على الصدقات التي يلقونها ليس بدافع الإحسان فقط، بل بدافع الخوف منهم أيضاً

من المعروف أن كل تعاليم دينية تتراجع مع تقدم الرّس عن مصادرها، ثبوتية وينسحب هذا على معتقدات السبيح أيضاً وفي طور معي يظهر المصلحون الذين دعاؤهم إعاده العالم إلى صورتها البدئية الأولى، وتتميتها من الربادات والسمرات التي أدمجت عيها وفي أوائل القرن 19م ظهر مثل هؤلاء عند السبيح، وتسمى تلك الحركة حركة المذهب الصّرم، ويمس أدق

حركة «حاملي اسم الإله»، ويدا توحياً «لدفه أكثر» حركة «الوحيد بين الذين يحمون اسم الإله بحق» ويحاول هؤلاء إعادة سيح اليوم إلى البساطة التي دعا إليها يوماً هناك مؤسس الديانة السيخية. وبذلك لا يرتدي هؤلاء سوى الثياب البيضاء، وعمامة ذات زاوية حادة غير منمقة. وهؤلاء مسالمون، يرفضون العنف، ولا يحيون الضعف الزائد، ويسموا سريعي الغضب. ضف إلى هذا أنهم نباتيون ولا يشربون الخمر قط. وللهؤلاء السيخ سلالتهم الخاصة من الغورو الأحياء، وهم لا يعتقدون بأن سلسلة الغورو الأحياء قد انقطعت عند موت الغورو لمانشر، بل هي متواصلة. وينقل غوروهـم رسالته إلى حليفته بالوراثة ولا يعقد سيح هذه الحركة قرانهم إلا على أرض السيخ المقدسة النحاف، وليس في أي مكان آخر.

ويبلغ عدد أفراد طائفة السبح في الهند اليوم نحو ١٧ مليون نسمة. ويشتغلون بالرتبة الرابعة في البلاد من حيث عدد السكان، بعد الهندوس، والمسلمين، والمسيحيين.

الباب الثاني

البوذية

الهند قبل بوذا

يبرز العلماء سبعة عصور تاريخية في تاريخ الهند يمتدُّ الأوَّل منها على مسافة زمنية تقدَّر بأربعين ألف عام وينتهي هذا العصر بحضارة حارابا وهي عصر الثقافة البرونزية. وهو العصر القرب من ثقافة وادي سرائدين (الثقافة السومرية): وقد انتهى هذا العصر في أواسط الألف ٢ ق.م. ويدعى بالعصر قبل القيدي لأنَّ العصر القيدي يلي بعده مباشرة.

ويُسَمَّى أعمال السُّر الأثري التي جرت في عشرينيات القرن العشرين في شعالي الهند في وادي نهر الغانج، أنَّ حضارة حارابا كانت على درجة عالية من التقدُّم والبرقي.

فقد كشفت الحفريات الأثرية التي جرت في ثل موهنجو-دارو (=بل الأموات)، عن أطلال واحدة من أقدم المدن على وجه الأرض منازلتها مؤلفة من طابقين، مبنية من الآجر، شوارعها صيَّقة متقابلة في زوايا قائمة ونبتت روابيا المارل مستديرة لتسهيل حركة البقل والسير ومدَّت تحت الأرض على امتداد الشوارع أساليب من لغزار تَأَلَّف منها نظام الاقنية. واحتوت المارل على حجر حاصه بالاستحمام كما بيت في المدينة حمامات عامة مروَّدة بأنظمة لتسخين الهواء. وأسفرت الحفريات أيضاً عن العثور على كسره من المصنوعات البرونزية، والحلي، والأواني الطينية التي صنعت على دولاب الفخار وكانت هذه مبنية بالزحزحات ومشوية في أعز ن حصة وعثر كذلك على دمي آلية للأطصال

واكتشفت عند نهر الإيبد (انسس) من أخرى مماثلة وقد دعت التحصارة التي كانت تنتمي إليها هذه المدن بحضارة الأيبد وعثر هنا على آثار مكتوبة لأنَّ هرامتها لا تزال عصية حتى الآن. وهذه لأكثر عبارة عن نصوص مكتوبة على أحنام رافقتها حبر حيوانات. لقد سبق هذه الحضارة المصرية والسومرية مباشرة.

لقد هلكت الحضارة الإنسانية هذه في وحدتها ويبدو أنَّ كوارث طبيعيَّة أودت بها ويعتقد المتخصصون أنَّ المكان كان في أوائل الألف ٢ ق.م. مركزاً لهيئة جيَّارة لم

سكن قادرة على أن تهدم مدن ضمتي الإيبد وحسب، بل كانت قادرة على أن تغير مجرى
النهر ونظام فيضانه

في أواسط الألف أقيم اجتاحت الهند من الشمال قبائل آريين ويعد إلهيم
الأنهار أسيرة هو مؤسس الأصل لهذه القبائل فمن هناك انتشروا إلى الهند، وفارس
وسهل روسب ويعد السلاف أحصداً مباشريين للآريين، وهو ما تؤكد الوحدة اللغوية.
وقد دفع الآريون بالسكان المحليين إلى جنوب هندوستان وجنوب سيلاب وأطلق العنة
على أنفسهم اسم السلاء (- الآريين)، ليميزوا أنفسهم عن السكان المحليين ذوي
الشرة السوداء. وكتب الآريون وتحدثوا بالسانسكريتية، وهي لغة قريبة من اللغة
الأوروبية.

كان الآريون قوماً رعاة، وحافظوا طويلاً على لصفوس سرعوية لسوية قديم كانوا
حافظون على النار مشتعلة دوماً في الخيمة، ويؤدون لشعائر ذات الصلة باستخدام الحليب
في الطعم، ويقدمون الجباد قربان، و أما الزراعة فقد تعلموها على أيدي السكان
المحليين

لقد حمل الآريون معهم إلى الهند كتابهم المقدس الفيدات (= المعارف). ولا يرى
اختصاصيون أي صلة مباشرة بين كلمة «فيدات» وبين الكلمة الروسية «فيدا» (= «عرف، علم» م)، وبسبب هذا على الكلمات الأخرى يصادف كلمة «إله» مثلاً تكتب
بالسانسكريتية «بهدا»، بينما تكتب باللغة الرونية القديمة المربية من السانسكريتية
«باغا» ولعل اسم إله النار أغني شبيه بلفظ كلمة «أوعون» (= نار م)، كذلك لعل اسم
إله الريح هيمو شبيه بلفظ كلمة «فييات» (= يهب م)، ويشبه لفظ اسم إله العاصف
براجاب، لعل اسم إله بيرون، و ولم يحكر أسلاف وحدهم لادين عاشوا العصر
الفيدي في تاريخهم، بل ثمة شعوب أخرى كثيرة عرفت هذا العصر ففي ميثولوجيات
كثير من شعوب أوروبا وآسيا (الإعريق، والفرس و...) شخصيات شبيهة بالشخصيات
الميدية.

والفيدات الأساسية أربع فييدات. أوتميدا (= كتاب الأناشيد)، وماهيدا (مجموعة
الشعائر والأغنيات)، وياجورفيدا (صحيح صلوات تؤدي أثناء تقديم الذبائح)، وأتارفيدا
(مجموعه الأغاني والتعاليم) وتعد أحدث عهداً من شقيقاتها الثلاث (السابقات) وتسمى
الأغاني والصلوات التي ترفع للألهة مانترات

ولا تُنقل المعارف الفيديّة عبر الميّدات فقط، وإنّما عبر اسراهمنات أيضاً واسراهمنات هي مجموعات من المعلومات عن الشّعائر والقواعد ولصّقوم، دُونت وأُلحقت بالفيّدات. وهنالك أيضاً الإرشادات (الأوبانيشادات) التي نصّغت أقدم الرّوى ايملسفيّة الهندوسيّة وهذه بالذات هي الأساس الذي قام عليه كل التّطوّر الروحي الذي عرفته الهند بعد ذلك. وأتحدّث البراهمات والأوبانيشادات في الأرباكي وهذه الأخيرة هي الحلقة الأخيرة التي تجمع الجانب الشّعيري للدين الذي عرضته البراهمات، مع الفلسفة التي عرضتها الأوبانيشادات أمّا المانتترات فقد كتبها شعراء، وكتب البراهمات كهنة. وسنّف الأوبانيشادات فلاسفة، ونحن يمكننا أن نرى في هذه ثلاث دسات مختلفة جُمعت في دين واحد دين الطّبيعة (في المانتترات) ودين القانون (في البراهمات)، ودين الروح (في الأوبانيشادات)

إنّ الميّدات، واسراهمنات، والأرباكي، والأوبانيشادات، هي كتب أعطيت للنّاس عبر الوحي الإلهي وتدعى هذه كلها شروبي أي تلك التي سمّعت وهنالك أيضاً السوترات وقد وضعت هذه في صيغة موجزة ومبسّطة لتساعد على تعميم الدّين. وينتمي أكثر لسوترات، إلى أدب مجموعة سميرسي، ومعناها: الذي يمكن تذكّره وتكتب السميرتي إلى معلمي الدّيانة المعترف بمصلهم ووقارهم.

لقد كانت معرفة الميّدات في الهند القديمة إلزاميّة، كصعاب الحيوانات، والهيور، واستقبال اضيوف، وتقديم شربة ماء لعطش وتقسيم لبنائح للآلهة. فالعوالم كلّها محتمة في الميّدات وقائمة عبيد. هكذا اعتقد الهندوس في تلك الأزمنة وهذا بالصّبط ما يراه الكريشنيون في أيّامنا هذه. إنهم يردّون مع القدماء، أنّ الميّدات مصدر الأشياء والصّفات كلّها كما يعترف اليهوديون بدورهم بوقار الميّدات. وحسب اعتقادهم أنّ ثلاث هيّدات منظمّة في ثلاثة حروف الصّكلمة الصّحنة آوم.

يلج عند الآلهة الرئيسة في الميثولوجيا، تميدّه ٣٣ إلهاً. وهم يتوزعون على آلهة أرضيين، وحوثيين (-) لذين يقيمون بين السّماء والأرض، ومماويين، لكنّ الصّكلمة القديمة تذكر عدداً أكثر من الآلهة ٢٢٣، بل ٢٢٣٩ إلهاً.

وبعدّ إيسدرا الإله الأقدم والأشهر بين آلهة الميّدات وتمعّده هذه في مائتين وخمسين مشيداً. واسم إيندرا نفسه معناه القوّة والخصب، والمبدع الكوري لقد كان إيندرا إله الآريين قبلني. إنّه إله المقاتلين الأصهب الذي يمارس أعداءه الكثير. ويرمح في المركبة أو يجلس على متن فيل وإيندر هو الذي خلق الشّمس، والسّماء، والمعر، وهو

ودود تجاه قبيلته، قبيلة لآريين، يلهم شعراءها ومغنييها ولايندر قدرة على التحول إلى أي مكان أو شيء وقد وصفوا كيفية تحويله إلى نمة، بل إلى شعرة في حسد حصان، ويظهر ايندرا في الصيدات إلهاً للرعد وعلى وجه لعموم إله الآلهة في الفيدات مسعدو النوطائف، ومسؤولون عن شؤون عدد من البيئات ويقول العلماء، إن لآلهة الفديين طابعاً تركيبيّاً.

ولكن (عامة الآلهة عند الهندوس هريده من نوعها، فالإله الأكبر هو الإله الذي يوحّوهم الخطاب إليه في اللحظة المعنوية ومع ذلك نمت إله أكبر ثبت دوماً، هو الإله فارونا (وكلمة فار، معناها يحيط، ينمّي) ونمت هذا قاصياً وحارساً لقوانين، وهو من أهم النظام الكوني، لقد فصل فارونا بين السماء والأرض، ويرقب العالم بألف عينه ويحاكم البشر وينزل العقاب بهم حزاء ما اقترعوا من آثام أمّا الإله الرئيس الآخر فهو الإله ميترا، ومعنى سمه، صديق، اتفاق، وفاق. ويظهر هذا مع فارونا مؤلفين ثنائياً إلهياً، إلا أن ميترا بحسب لشمس وانهار، سما فارونا إله ليلي في غالب الأحيان ويدعى إله السماء دياوس عند الهندوس أباً وتجسد إله الأرض أديتي الأزل والالنهاية. وأثناء هذه الأخيرة هم اسنرا، ومسرا، وفارونا إصافه إلى أربعة آلهة آخرين، وثمة إلهة أخرى عاطفية جداً هي الإلهة لمجر، المتاة الوردية أوماس (أورس). ففي كل صباح تخف هذه لي موعدها لكي تعرض جمال عريها وهذه عند الإغريق إلهة الصبح أفرورا (ومعنى كلمة «أوش» أو «أور» هو «يتمد»، «ينحرق») وسوّه في السياق إلى ن الإله الإغريقي زيوس هو مثل إله السماء دياوس. ولا يقتصر التطابق هنا على وظائف الإلهين، وإنما على لفظ اسميهما فكذلك وقد سرق أحد الكهنة إله النار أغني من السماء. ومثل ذلك يكون الإنسان قد حصل على النار ومن المعروف أن دروميثيوس هو الذي حمل النار إلى الإغريق ولكن الإله سوم هو الذي يعكس غرابية الآلهة لقضاء هيو المص والمشرور الإلهي في الآن عينه. يعدونه من سيقان الثيانات ودا ما مرج هد المشرور مع الحليب، فإنه يثير ويسكر ومعنى كلمه سوما بالمسسكرينية، هو «لحم». أمّا إله فيشيو الذي عد فيما بعد واحداً من أكثر الآلهة جبروتاً، فلم تذكره الفيدات إلا كإله عادي أمثاله كثر جداً.

ولم يعرف الرمن الفهيدي بناء المعابد. ولذلك كانت انطقوس الدينية تقام تحت السماء المفتوحة مباشرة. وكان الأصبحية تحمي الإنسان طول حياته وأمام الآريون لآلهتهم ولأنهم بهيجة لقد كان الآلهة أكثر الصيوف عند الآريين، فاستقبلوهم على الرحب والسعة، وقدموا لهم الطيبات بكثرة، وعملوا على كسبهم من كل شيء. وأدوا على

شرفهم أناشيد بحيز ورقصاته وطيبوهم بالعطور، وهو ما تتميز به العبادات الهندية كلها.

لقد كانت لعبادات الديانة في العصر الفيدي شبيهة بالسحر والشعوذة فكان البراهمن (» لكهنة) يتنبؤون، كما مارسوا فنون المداواة، واستخدموا الأعشاب، والتأويذ والحجارة استخداماً واسعاً في هذا الميدان ولا تزال حتى يومنا هذا، تصادف بكهنة - أحياء العصر الفيدي في كل مكان من العالم.

وهم يقيم الآريون لأتلتهم سوى الأطعمة البسيطة، لأن مباسات خاصة، إذ كانوا عندئذ ينعمون لهم من حيواناتهم، وكان طعام الآلهة في غالب الأحيان يشبه أرغفة اليوم، أو المطائر التي تصنع من دقيق القمح أو الرز وسقوهم حليباً أو شراب السوما الذي يعتمد المتخصصون أنه كانت له خصائص محدرة.

والترم الآريون الترم ما صاروا بشعائر تقديم اقربائهم فكانوا يقدمون النار بطريقة الحك، ثم يصرمون ثلاث بيران وكانت الأتور موزعة توزيعاً صراماً مرة وإلى الأبد. يقرأ أحد الكهنة، الصلوات، والثاني يغني، بينما الثالث مهمك بإعداد طعام القربان زد إن هذا أنه كان يجب على كل رب عائلة أن يقدم القربان ثلاث مرات يومياً في منزله، وكان مراسم تقديم القربان للآلهة كانت مبسرة جداً.

لقد كانوا يحتفلون مقدوم كل فصل من فصول السنة بتقديم القربان. وكان العز هو الذبحة الأساسية في مثل تلك الاحتمالات. فيقدمون من لحمه للآلهة ويوزعون الباقي على أساس وعندما كانوا يصنعون مشروب السوما، كانوا ينحرون أحد عشر عنزاً دفعة واحدة.

وفي بعض الأحيان كان الشعب كله يشارك في تقديم الذبحة وكانت مثل هذه المناسبات تقام بأمر خاص صادر عن الملك كما كان يُعد لها إعداداً يستمر طول العام. وكان يقدم حصان ذبيحة فيها ودعيت مثل هذه الذبائح أسماقيداً لقد كان الحواد الذي وقع الخيار عليه ذبيحة يجوب البلاد كلها برفقة أربع مائة شاب وفي الطريق من مكان لآخر كانوا يفسون الحصان طقوسياً وفي اليوم المحدد كان الحصان يعود من حولته الشعرية فيقبح في قصر الملك، وكان ينبغي على الملكة أن تستلقي إلى جانب الحصان المحصر وتحصنه لقد كانت ذبحة لحصان احتفالاً شمس كبيراً يرافقه الموسيقي والرقص وشئ صروب لباريات، ومن المعروف أن المدماء كلهم ألها الشمس. ويفسرون أن الحصان في الذبيحة لموصوفة هذا كان يجسد الشمس ومن الجدير

ذكره أن الطقوس التي لها صلة با لحصان كانت شائعة عند الشعوب الهندوأوروبية الأخرى

لقد تحول الآريون إلى نمط العيش الحضري شيئاً فشيئاً و أسسوا إمارات درت بينها صراعات. لكن اجتماع كلसे الذين بقي هيدئاً وترايد في غضون ذلك قوة السور الذي كان يؤدبه الكهنة- البراهمن. وعند أوائل الألف اقم كان قد تشكل نهائياً النظام الاجتماعي- الديني الكاستي. ومع أن سمات الديانة الفيدية وإرشاداتها كانت قد انصبت وقتئذ، إلا أن المحصن ميرو هذا العصر بمصطلح البراهمنية وعلى وجه العموم لم يماهت الأنظمة الدينية في الهند بعضها مع بعض بماقياً حاداً بل كانت التعاليم الجديدة تنشأ من قلب القديمة. ولم تكن تفصل عنها انفصلاً تاماً في بعض الأحيان ويمكن القول إنها كانت تتراكم فوق المعلم القديمة ومعنى هذا أن الدراسات الفيدية كانت تتطور بجامه في ذاتها مريداً من التعاليم اسديية الفلسمية

إن عصر ابراهمنية هو قبل كل شيء العصر الذي انقسم فيه المجتمع نهائياً إلى كاستات، وقد انتهت عملية الانقسام تلك في اقرن هق.م، ووسعتها «قواتن مانوه». ومانوه هو حاكم الهند لقديمة الشبه الحرافية. وأنه لكان من الأصح الحديث عن العارفت لا عن الكاستات فالانتماء «الفئوي» و لثرتية أو الفرقة عسروا عنها كلها بمصطلح «حاني». أما مصطلح «فارنا» فإنه يستخدم للدلالة على الفئات الأربع لرئيسه التي تشكلت في أثناء عملية التطور الاجتماعي. وكانت قد تشكلت في أول الأمر ثلاث فئات البراهمن (الكهنة)، والعكشائري (لقاده العسكريين)، والمدني (الحرفيون، والتجار، والعمالون الأحرار، والفضلاء). ثم ظهرت بعد ذلك أدنى الفئات، وهي فئة لصودر واسمى إليها أسرى الحروب، والعبيد، ومجموعات القبائل المرافيسية. أي سكان البلاد الأصليون الذين لم يندمجوا مع الآريين

ولم يقتصر ظهور الكاستات على الهند وحدها فقد كانت هذه معروفة في كثير من الثقافات والحضارات القديمة في مصر، وسبل، وروما واليابان وفي العصر الإقطاعي المنكر ظهرت الكاستات في إنكلترا، وأسانبا وفريسا. لكن الكاستات في الهند لم تدثر مع الوقت ونوه في سياق الحديث إلى أن البرتغاليين هم من أدخل مصطلح «كاستا» ميدان التداول العلمي وقد عس هؤلاء بهذه لكلمة التبايات العشرية والنوعة في الجمع الهندي

ووردت حرفة في «الريفيداء» نقول، إن الكاسيات الأربع خرجت من لإنسان الأول بوروشا. ويقول الشهيد لريفيدي «بوروشاسوكتا»، إن البراهمن خرجوا من هم بوروشا، والعكستري من يديه، والفاتي من وركيه، والسودرا من قدميه وهما يعد رؤ البراهمن منشايم إلى حائق الكون براهما، وهو الإله الأعظم عند الهندوس الصدام.

ويعد أفراد الكاسيات الثلاث العليا مولودين مرتين، فعندما بلغ دكتورهم طور البلوغ، يقيمون لهم طقس التكريس في الولادة الثانية. ويمنع المكرس شارب المولود مرتين، وهي عبارة عن شريط من ثلاثة حيوط. وقد كان ذلك يمنحه حق الزواج وتأسيس عائلة خاصة به أم أفراد السودرا فلم يكن لهم سوى ولادة واحدة وحرّم عليهم إقامة علاقات وثيقة مع «المولودين مرتين»، فقد كان أفراد كاسته السودرا خدماء، وعمّال نظافة، ورثالين، وعسّالين وأشباه عبيد (عبيد لديوثية) كما كان ثمة كاستا تسمى كاست الناري، أي المحرّمين، وقد عاش هؤلاء مسيئين، معرولين في محميات محرمة أو خارج حدود المدى كما حرّم عليهم تحريماً صارماً دخول معابد الهندوس، والنوبيين، والحيثيين.

ويظهر في الطور البراهمي إله جديد خالي العيون، هو إله براهما. وليس مثل هذا إله وجود في سميدات. فهي هذه الأخيرة براهما من مبدأ كل شيء، العلة الأولى. ولكن هذا في السميدات هو على لأغلب مصطلح فسمي كثر منه اسم إله وفي الطور البراهمي صار هذا إلى إله رئيس. وقد حمى مفهوم براهما في السميدات مبدأ لاشخصية له وفي الطور لبراهمي طهر مفهوم مبدأ المستخلص آتمان ومعناه «أنا».

ومس في السميدات لوحة متنامية لخلق العالم، مع أن تصورات محدّدة عن ذلك كانت قد ظهرت من قس فقد وُصف فيها أكثر من تنويع من تنوعات خلق لعالم، من عدم منهم غير تحكيمة، أو من جسد لإنسان الأول بوروشا ذي الألف عين، أو الألف يد، أو الألف رأس تعد حراً الآلهة جسد بوروشا، فخرجت منه المازنات وتوضع العالم السفلي تحت الأرض. ويمضي كل ميت إلى هناك قطعاً نهر وأسماء على ظهر بقرة ويحكم هناك في العالم السفلي إله لأموات ياما ويحصل الإنسان في ذلك العالم على جسد جديد عصي على الأمراض، وإعاهات والآلام العيزيانية ومع ذلك يوجد في لعالم الآخر كثير من البقر، والحليب، والسمن، والعمل، وفي العصر الميدي كان موقف

الآريين من الموت سلباً. فهم لا يعملون على قطع سلسلة الآلام المتناهية، وإنما يكثرون من الصلوات لإبعاد الموت عن مسارهم. وحسب المهدات أنه ليس في العالم الآخر أي جهنم، مع أنه قيل فيها إن سيلاً من الدماء بانتظار من لا يحترم الكهنة - البراهمان. وأنت من تمتر في الصلوات على تعاليم عن الروح التي تعيش منفصلة عن لجسد ولم تظهر مثل هذه التعاليم إلا في عصر البراهمسية. وحنوى التعاليم الدينية - الفلسفية الهدية كنها تقريباً، فكرة انتقال الروح، فكرة تكرار الولادات ومعنى كلمة سانسارا (الولادة ثانية). ضلال، عبور، تعاقب ويقوم جوهر نظرية تكرار الولادات، جوهر لسانسارا، في الآسي: مع موت الإنسان لا يموت روحه. وإنما تقتل. ترح لتسكن في كائن آخر، أو في جسم مادي ما. وقد يكون الكائن إنساناً، أو حيواناً وقد يكون الجسم المادي أي موضوع كدر لكن روح الروح لا يحدث وفق رغبتها، بل وفق قوانين صارمة أهمها هو قانون الكرم ومعنى كلمة كرم: عمل، سلوك، فعل ويمكن مع شيء من التصرف أن نقول، إن الكرم هي مصير الإنسان فهي مقرره مسبقاً لكل إنسان، «معصية من فوق»، ولكن بما أن الإنسان يمتلك إرادة حرة، فإنه قادر على أن يجعل كرمه أفض أو سوءاً، «بمسرها»، أو «بمسرها» ويستطيع الإنسان أن يحقق ذلك بأعماله، بسلوكه قيل في الصلوات «إذا كان الإنسان سكيراً فسوف ينجمد في عتة» وإذا كان قاتلاً ففي كسب؛ وإذا كان نساءً ففي جرد، أما إذا كان الإنسان قد عاش بصغير، وسمى للولوج الكمال الأخلاقي، فإنه قد يولد في واحدة من ولادته براهماناً وفي الرده الفاصل بين حيايين تعيش الروح حالة حادثة تسميها التعاليم السراهمية قمرأ.

لقد أصافت التعاليم الدينية - الفلسفية التي عرهما لعصر البراهمني، إصافات جوهرية إلى الدراسات الفيدية وقد جمعت هذه على أمس د مثبات الدين في مجموعات، أوباشادات وتبرز بينها ست نظم - مدارس دينية - فلسفية كلاسيكية، أي ست تونانيشادات وهي

١- تعاليم سر وحدة اللا مشخص (براهمان) والمشخص (آتمان) - فيدانتا، ومعناه الحرفي، هو خام الصلوات.

٢- التعاليم الداعية إلى الانتر م الصارم بالشعائر - الميمامانسا وقد ظهرت هذه للميدانتا

٣- تعاليم عن مبادئ العالم. المبدأ المادي والمبدأ لروحي لقد رأوا أن المادة تجب الروح، الروح الكوي الذي يتألف من أروح البشر وحسب هذه التعاليم أن للعالم المادي

أجزاء ثلاثة مكوّنة (عواب)، هي: الجوهر، والشَّعْف، والظلام. وقام الموضوع الأساس لهذه التَّعاليم في أنَّ الحياة، هي معاناة وعلة هذه الاحسة أن روح الإنسان أسيرة الأهواء والنَّوَارِع (من اسعالم المادّي). وهذا يعني أن التَّحُص من المعاناة مشروط بالانغماس من أغلال اسعالم المادي، وتدعى هذه التَّعاليم ساسكهييا (التَّحويلات) وقد قامت هذه في صلب تعاليم بودا.

٤- تعاليم اليوغا (الاتحاد) التي تحدّد مهمتها في بهوغ الكمار وانحد الروح مع إلهه ويمكّن أن يتحقّق هذا نفسه حسب هذه التَّعاليم باعتزال العالم ومن المعروف الآن أن نظام اليوغا بات شائعاً جداً في عالمنا لمعاصر، لكن هذا لا ينسحب على التَّعاليم فلسفيّة - الدنيّة نفسها. نظام اليوغا يتألف من طرق خاصّة تقود إلى تحقيق التَّركيز، النّهت والخرج خارج العالم المحيط، إلها إحياء ذاتي وسكون تام في وصعيت بعينها، وحس التَّنصّس، ودوام الحفاظ في الذّهن على صمغ محرّدة (آوم) على سبيل المثال.

٥- تعاليم شبيهة بتعاليم الفلسفة المادّيّة؛ وتدعى فايشيشيكا، وتحوي هذه لتعاليم على نظرية بناء الوجود كله من الذرّات، جريئات متناهية في الصّغر وغير قابلة للانقسام.

٦- تعاليم نياياا الشُّبيهة بالمايشيشيك لقد قامت هذه التَّعاليم التي تتعايش بسلام في الأوباشادات، في أساس بناء نظم دينيّة - فلسفيّة جديدة ونحس نوّها سابقاً إلى أن أبوديّة سفت في قرية تعاليم السانكهييا، بينما حرحب بجانيّة من تعاليم ليوغا.

من المعروف أن المسيحيّة عمّت حاهدة على اصطهاد انبراطقة، وسعت سميّاً حيثيّاً متواصلاً لحكي فنى على قيد الحياة، صامدة، ومحافطة على سلطتها، ولحكن الأمور في الهند سارت في طريق معديرة. فالدياسة تمديد ابراهيمي لم بصطهد لتيّارات الجديدة في أي يوم من الأيام، مع أن هذه الأخيرة سكّات تبتت ككلمطور لعد كان كل معلّم يمشي تعاليمه، وطائفته، ويحدّد الآلهة الذين يجب تبجيلهم أولاً ولم يحظر لأحد أن يحرقه حيّاً بسبب ذلك، وقد أظهر أكثر من ألف عام من تاريخ الهند، أن طريق بحرية الدينيّة هذه، هي الطريق الأصحّ فالبرهمنيّة لم تمت بعد أن جمّت في ذاتها بكثرة من التَّعاليم، والعبادات، والطقّوس بل إلها لم تسع يوماً إلى لعالية ولم تأخذ ابراهيميّة إليها التَّعاليم الصّديّة فقط، بل أخذت يضا تلك التي لا تنتمي إلى

النزعة الآرية. وقد جمّع هـد كله بطريقه طبيعيّة وبات يدعى هندوسيّة ولذلك
يمكننا أن نقول، إنّ الهندوسيّة هي اتحاد كثرة من الديانات والعبادات التي يجمعها
الاعتراى بالفيادات، وتعاليم الكارما، وتعدّد الولادات (لسانسارا، نروح الأرواح)،
واساراتات

الفصل الثاني

ينابيع البوذية

تعدُّ لبوذية أول الديانات العالمية. فقد صهرت ميل المسيح بستة قرون، وبعد ستة قرون من لمسيح ظهر لإسلام كما تعدُّ البوذية الديانة الأولى من حيث أعداد أتباعها إذ يبلغ عدد هؤلاء اليوم نحو الأربع مائة مليون مؤمن، ولا يزال هذا العدد في تزايد متسارع ولكن على الرغم من أن البوذية بيانة عالمية، إلا أن فهم جوهرها يشترط الانطلاق من الخصوصية القومية للهند رمثن، وسمات تطورها. فالأريون استولوا على الهند في لآرمنة القصيمة ودعوا 'نفسهم هندوساً' (= داسمره، داررق) أما السككالحليون المبود فقد استعدو من قبل الآريين (لنسله) الذين قس أنهم حاذقون جداً في إخصاع السككالحليين (الأوبوريجين) لسلطنتهم، والمحافظة على نماء دمهم.

والمعروف في اتاريخ كقاعدة، أن الغزاة يدوبون رويد رويداً في الشعب الذي يقهرونه، ثم يقتبسون في آخر المطاف ثقافته، ولغته، وديانته، و.. أما الآريون فقد أقاموا بينهم وبين أوبوريجين الهند جداراً عارلاً، وحرّم على هؤلاء لأحيرين حتى مجرد ملامسه سادتهم ودعي المهرومون حثالة وجرموا من حق ملكية أي شيء، أي عملياً كانوا عبيداً وحسب.

ولكن عملية الانقسام هذه لم تأخذ صيغتها النهائية مباشرة هبعد بعض لوقت ثلورت بوصوح أربع كاستات في المجتمع الهوسمي وكان المبيد مليشنا (= الحثالة)، هم الكاستا الأعشر عدداً والأدنى مرتبة. لها كاستا السودر وقد انحصرت رسالتها في الحاة في خدمة الكاستات العليا دون أي تدمر أو تردّد. وكان اللترم بهذا المبدأ يتحقّق عبر أساليب عقاب مستظمة وكانت كتب الهندوس المصدسة قد محدّت العصب «إن العقاب سلطان حشر، وحاكم ماهر، ومستخدم حكيم لمواين هيه لضممانه الأفضل لكي نؤدي لكاستات الأربع واجباتها. فالعقاب هو الذي يحكم الحنس البشري ويحميه، إله يصحو عندما ينام جميعهم، إن نقاب هو العدل عيه» «يئرل بتر» وهو للمناسبة يحمل السعادة للناس، لكنّه إذا أنزل دون ترو، فإنّه يفسد كل شيء». «لو لم يؤدّ لعقاب عرصه لحلت البلبله بالعالم.

وتهبوت الحواجز كلها (بن الكاستات). لمد كانت لمقوبات في المجتمع الهندوسي فعالة جداً. الإعدام، أو بتر عضو ما من أعضاء الجسد، أو الطرد أو مصادرة الأملاك، وما إلى ذلك. ونفي عن البيان أن هذا الضرب الأخير من ضروب العقاب لم يطبق بحق السودا، لأنه لم يكن لهؤلاء أي ملكية كانت ولكنه استخدم ضد كاستة ابديتي ضد الحرفيين، والتجار، والملاحين وكان هؤلاء على درجة و حدة أعسى من السودا وقد حرموا بدورهم لحقوق كنها فكان عليهم حرثة لأرض، والاهتمام بالقطعان أو تحصين رفقهم كل حسب طريقته، وخلافاً لسودا فرض على هؤلاء تقديم القرابين، وإطهار الإحسان وقراءة الكتب المقدسة

وعلى درجة واحدة أعلى تقف كاستة الكشاتري (الجنود). وقد كان على هؤلاء حماية المجتمع وحسب قانون مانو أن السمات الأخلاقية لتي يولد هؤلاء بها، هي المجد، والإقدام، وسعة الصدر، والخلق اسيل. وكانت تقف فوق كاستة امضاتلين، كاستة البراهمان - الكهنة أو الأنبياء. وكانت هذه الكاستا هي الكاستا الأعلى. ومن مهماتها نشر التعاليم المقدسة. وحسب قانون مانو أن السمات الأخلاقية المولودة مع هؤلاء، هي الاعتدال والعصمة، والصبر والحكمة وكان التزاوج بين الكاستات محرماً تحريماً صارماً وإذا ما حدث إنجاب لأطفال من زيجات مختلطة، فإن هؤلاء يمتنون أنسى مستوى من الحيوانات. وقد دعي مثل هؤلاء تشاند الي.

لقد كانت سيادة البراهمان على المجتمع قائمة، مع أن السلطنة رسمياً كانت بيد الملك. وقد عتقدوا بأن هذا الأخير خلق على يد عكائن أعلى صمعه من أحرار الآلهة إيندرا، وإنهلا، وسوربا، وباما، ونفي وغيرهم. ولهذا كان لحديث عن الملك باستهتار محرماً ومع هذا كله سح البراهمان في وضع الملك داخل أطر صيقة فعلى الرعم من مشيئة الإلهي، إلا أنه ينبغي على الملك أن يحل أسرهمان ويطلعهم على أعماله أولاً بأول كما كان عليه أن يؤمرهم بالقوت، ويعطيهم جزءاً من العطاياات كتبها وإذا ما حصل وحاز الملك كراً ما، فقد كان عليه أن يمنح بسمه للبراهمان أما إذا ما حاز البراهمان مثل هذا الكبر فلم يكونوا مفرمين يتعامسه مع الملك. لقد حرص البراهمان على أملاكهم حرصاً شديداً وكانت الترخكات تبقى دوماً داخل كاستتهم. صب إلى هذا أنه في حال عدم وجود ورثة في الكاستات الأخرى، فإن تركة المتوفى المعني تؤول إلى البراهمان. ومهم كانت الصرورة ملحة فبئله لم يكن من حق الملك حرص أي صرائ على اسرهمان قماري القول، إن سلطنة الملك استسحبت على الكاستات ألب فقط، وكان يجب أن تستخدم تلك السلطنة لإرغام الكاستات المعنية على

تأدية التزماتها، ويؤكد المؤرخون على أن «اللا مساواة لم تأخذ مثل ذلك الطابع لحاد الصدم المتظم في أي مكان آخر كما كانت عليه الحال عند الهندوس»

أمّا قانون مانو فهو شيء ما يشبه شريعة موسى عند اليهود. هدد وصفت المصادر القديمة «القيدات»، و«قانون مانو»، عصر عروات الآريين لطبيعة الهند المبكر وسكانها الأصليين، وصماً جيداً. وهذه المصادر مثلها مثل أسفار التوراة صُنعت على مدى قرون وأيدي أجيال كثيرة. ووصفت «القيدات»، التطور المبكر من حياة الآريين على ضفة نهر الإند (= اسند)، قبل أن ينتشروا جنوباً وشرقاً. ومع تكن الحكامات و لغات الاحتماعية قد ظهرت وقتئذٍ. لقد تميز نمط عيش الآريين في هذا التطور ببساطة أخلاقيات المجتمع الأبوي. ثم تلا هذا العصر (عصر لمد ت)، عصر جديد آخر، هو عصر انتشار الآريين في شتى أرجاء الهند، وانقسام مجتمعهم إلى كساتات، وتضييع حياة الهندوس الدينية، والسياسية والاجتماعية تنظيمًا صارمًا وقد نصبت «قو بين ميو» هذه المروص كلها. ومثلها مثل التلمود، ضببطت هذه لقوانين كل حوائب حياة الهندوس الروحنة و لمبرناثة فأخذت بالحسيان المأكول، والملبس وحتى المراه (بما في ذلك طريقة تحصيل المراه) ولكن المروض احتلقت بين كاستا وأخرى. وكان محرماً أي انتهاك لتلك الوصايا. فما عدا العقاب الرمني كان ينتظر لمسته عقاب «غير زمني» فقد تكون ولادته التالية في كاستا أدنى مرتبة، أو قد يولد حيواناً، أو نباتاً أو .. وعلى وجه العموم كانت فكرة نزوح الروح معروفة لدى الشعوب كلها في التطور المبكر من تطورها. أمّا في الهند فإن هذه الفكرة لم تستحوذ على الناس وحسب، وإنما كسبتهم بحوف مربع من إمكانية استمرار مرارة العيش في الولايات المقبلة وبت عابة أفراد المجتمع كلهم، هي العمل على منادى هذا العالم وعدم الرجوع إليه أند

في العصر الميدي آمن الهندوس بكثرة من الآلهة، لكن الكهنة - اسرامين سعوا بعد ذلك رؤية أكثر عمماً. فقد تمثلوا الإله كالكون، مبدؤه لروحي: جوهر مشترك لظاهرات الطبيعة. وتوصلوا إلى فكرة لا نهائية الإله - الكون وتصوروا الإله بمس في صورة روح كوني (= ما ندعوه نحن الآن بالعقل الكوني، أو حقس الإعلام الكوني) فالروح الكوني هو بالذات مصير كل ما هو موجود في الكون. فعنه يصدر كل شيء، وإليه يرجع كل شيء. وحسب وجهة نظرهم إن روح الإنسان جزء من الروح الكوني. لقد بحث الكهنة عن طرائق لقطع سلسلة البعث وحمل لإنسان سعيداً، وتوحيد روحه مع الروح الكوني واعتقدوا أنه يمكن أن يدرك هذا إما بقتل الجسد بمختلف صروب التعذيب الفيزيائي، أو بالشم

لقد شغلت هذه المسألة جزءاً مهماً من المجتمع (بمعنى ذلك الكاسيات الدنيا). وهكذا جاء إلى المجتمع الهندي القديم إله و حد ليحلّ بدلاً من كثره من الآلهة. ولم يكن للإله الجديد اسم خاص به، وشيئاً فشيئاً أخذ يتحرّر من الإلهام الشخصي. فالريسيدياً مثلاً تمخّذ إليها واحداً يدعى «ربّ المخلوقات» أو «خالق كل شيء». ثمّ دعي فيما بعد بـ «كلمة» «مذاتي»، «أنا» أو «كلمة برهم». وقبلت كانت كلمة براهمن تعويذة شديدة الفعالية اعتقدوا أنّها قادرة على أن تحصع الآلهة لسلطانها لكنهم استخدموها بعدت لتسمية الماهية التي تمكث في السكون لأرسي. وهذا عملياً، هو حق المعطيات الكوني وهذه الماهية (الحقل) موجوده في كل مكان (الإله لتوراس الكلي الوجود)، يصدر كل شيء عنها، ويرجع كل شيء إليها. وتعدّ هذه الماهية - الحقل أعلى الأولي لكل ما هو موجود وهي التي تضمن التحوّلات الجارية فيها. ومن البديهي أن تكون هي مصدر حياة أصمّ، بما فيها الحياة العاقلة لقد قالت الكتب القديمة، إنّ العدم الواقعي لا يمثل سوى تحوّل الماهية العليا وهو متعلّق بها كلياً وليس له وجود مستقلّ عنها ويسفي على الإنسان الذي أدرك هذا واعترف به. أن يتحرّر من خوفه أمام البعث - الألم اللامتناهي، لأنّه يعني أنّه جريئة من هذا الحائق الكلي ولا يمكن أن يبقى متروكاً لألام أبدية. وقد سعى كثيرون لتحقيق هذه الأفكار وصاروا إلى شئالك، وفي عصر بودا تطوّرت حركة لشئالك في الهند تطوراً كبيراً ووقف المجتمع كله متماطلاً مع الشئالك، فقدم لهم القوت والملابس البسيطة. وكان يمكن أن يدعى الشئالك لناول «وحدة عذ» إلى مائده شخصية بيه، أو حتى إلى مائدة الملك وعلاوة إلى هذا كان الملوك أنفسهم يتسلّكون عدداً يبعون من الشيخوخة يتركون محكمهم ويمارسون الشئال في الطليعه وقد ترب الأمير ولي العهد بودا القصر وصار نامسكاً ثها حالة نادرة، لكنّها كانت حاله طبيعيه بالنسبة لهند تلك الأزمنة

فقد كانت صورة الحياة التي يعيشها الناس ترتبط بالإنعمولوحيا التي يعصفها، فبعضهم رأى أن الأمر الأساس، هو قهر الذات وقتل الجسد وكان هؤلاء يلجؤون إلى طرق مثل، الجلوس رافعي الأيدي بين أربع زيران متوجهة. كما كانوا يحملون أياً تحت أشعة الشمس الاستوائية الحارقة، وتحب وابل الأمطار. وفي الليالي القارسة وكانوا ينامون على ألواح خشبية دقّت فيها مسامير، أو على الرّماد الحار. وفي هين البين أنهم كانوا يصومون طويلاً كما كان كثير منهم يقات بالحنوز، والماء، وأوراق نباتات و سمي مثل هؤلاء الشئال بالهكادحين. ونمت من الناسك من مارس الشئال. وبحث هؤلاء عن لسكون في بطالة الروح وحمس وعضل بعض الشئال القهر الميريائي والشئال. كما كان هناك سالك

من الأصح أن ندعوهم بالحوّاسين، لأنهم كانوا يحويرون القرى ويتلقون لقوب من ممارسة مختلف ضروب الألعاب الملهوانية والتتحيم.

وعسى وجه العموم بما أن الموقف العام من التمسك كرس طليماً، فإن هؤلاء لم يواهبوا أيّ صعوبات في الحصول على القوت فقد كانوا يتحمّلون في مجموعات كبيرة (أكثر من ٥٠٠ شخص)، ويبرّلون في صواحي المدن، فيحمل السكّان القوت لهم.

ومن الجدير ذكره أنه كان بين التمسك أحياناً ممكّنون حميمون (قلّة نادرة). وكان يتجمّع حول هؤلاء مريدهم تلاميذهم وكان مثل هذه المدارس كثيراً؛ ليس عشرات، بل مئات. وقد دارت بين هذه المدارس مساجلات، كانت تتصوّر أحياناً إلى عراك وأعمال شعب ونحن سوف نبرز بين تلك المدارس، الرّئيسة منها فقط، تلك التي ترتبط بالكبوديّة.

لقد رفضت التعاليم التي طوّرها كاييلا وياتانجالي استعائر الظاهريّة التي كان السرامس مفرمين بها، كما رفضت أيضاً تقديم استبائح والقراس. وثنا نكاد نقول، إنّ هذين فتحا عهداً جديداً حلّ بدلاً من شريعة مانو. ووجه كاييلا وياتانجالي تعاليمهما إلى الكل بصرف النظر عن الأنساء لكاسي وفي تلك الظروف كان ثمة كشر من الثوريّة في طرح فكرة أن كل إنسان، بصرف النظر عن اسمائه الكاستي، يستطيع أن يحرّر روحه من كثرة النروح إلى كيانات أخرى. فعسب تعاليمهما أن روح الإنسان أداة بيد الكاش لأعلى وهي كانت موجودة بذاتها. وإذا ما وعى الإنسان روحه) هذا، فإن روحه تستطيع أن تهب لا مبالية نحاه ظاهرات الحية وبعد موت لجسد تتعلّق الروح من كل الروابط الماديّة، وتتّقل إلى الحالة البدنيّة للروح النقية. إنّها ترجع إلى الروح لكوني ويستتج مما تقدّم عرصه، إنّ روح الإنسان قادرة على أن تحقّق امتناقيها عن طريق التأمل لذاتي. ومعنى هذا أنّه ليس هناك ضرورة لنقل الجسد. أمّ فيما يتعلّق بالتأمل الذاتي فإن الحديث يدور عن حالة الوعي المتبدلة صدم. متحد حرنّاً مع الوعي الناطلي، مع حقل المعلومات البصقوبي.

كانت مهد تتوزع في زمن يوذ على عدد من لدول البارز فكانت تصوم في شمال - شرقي الهند، موطن بودا، أربع ممالك، وعدد من لجمهوريات الأرستقراطيّة. حكما كان هناك كثير من الإمارات الصغيرة التي كانت ممالك ويمثل هذه الممالك وحكمتها ارسطت إلى درجة كبيرة حياة بودا وشخاصه. وفي تلك الأشياء كان في الهند كثير من المدن الكبيرة، وكانت الحياة التجديّة والحرفيّة مزدهرة فيها. ووصف المؤرّخون المدن والحياة ابدنيّة في الهند زمن بودا على الوجه التالي (ثلاثة شوارع عريضة ونظيفة توماً، مستقيمه على الحيط وممتدّة حتى النهاية والمنازل مبنية واحدها إلى جانب الآخر ومحاطة بأشبية مصيئة، وأنفاق

من الأعمدة الطويلة والأرصفة السديعة. وعلو عى منازل المواطنين فيب انقصور كُنْها هم
حلبة وتوزع اساحات، والحدائق، واسماتين في مختلف أرجاء المدينة وتحيط بهذه الأحرة
سوارس عالية وحنادق عميمة من الجهات كلها، ونهت في أسوارها لمرصوفة بحجارة ملونة
كرقعة الشطرنج، وبوابات جبارة لها أرتجة قوية. ويقف على الأسوار منقامون حراس يحمل
سلاحهم الموت الزؤم. لقد كانت شوارع المدينة تضج بالحركة يغدو ويروح ههنا كثير من
الوافدين الأجانب، وسفراء الدول الأجنبية والتجار مع قائلهم وحيلهم وأعمالهم وكانت
تتهادى من المنازل أصوات الطمبورات، والقيثارات والفناء الجميل، لقد كان أجو ملياً
بالرؤى العصرية، وعبير الزهور وتقدمات القرايين. وفي المساءات تعج الحدائق والمتنزهات
بحشود المتترهين، ويتجمع الفتيان وامتياب في الأروقة رقصون ويمرحون،

الفصل الثالث

حياة بوذا

ولد بوذا في العام ٦٢٢ ق.م في عائلة ملكية وكانت عائلة الساكين الأرستقراطية قد هاجرت في الأرمنة القديمة، إلى سفوح الهماليا النيبالية آتية من وادي نهر إيمند وقد دعت المملكة بمملكة كابيلاهاسنو وكان المكان الذي قامت فيه مكاناً ساحراً وصبياً فقد كنت تروي السهل الخميب كنزة لا عدّها من ثخاويل واليابيع لتى كانت تتحدر من أعالي الهماليا ويمصل اردهاررعة اسرر أولاً وقيل أي شيء آخر، ازدهرت المملكة لقد رفقت حقول اسر الصقراء المكان كله مشفرة بين غابات البلسم وما ساعد على ازدهار المسكة أيضاً، أنها كانت نقطة عبور القوافل التجارية

وسمى لسوك الدين كانوا يحكمون تلك المملكة الصغيرة بالحكمة واعدل وكانت سلالة هؤلاء الملوك تنتمي إلى اسر مانو المشرع لشهير الذي وضع «قوانين مبدو» المعروفة ولم يكن مثل هذا النسب لا ينعكس على الوعي الذاتي للسلالة لقد أسس المؤرخون كبرياءهم واعتاد ادهم بأنفسهم وثقة من المؤرخين من عدّهم ملوكاً متميزين، وهذا ما دفعوا ثمنه باهظاً جداً

لقد جرى نشاط بوذا في حدود عدد من الممالك الكبيرة أو الصغيرة، وارتبطت حياته ومسير تعاليمه إلى حد كبير بملوك تلك الممالك، فمن أبنار تعاليم بوذا العيوريين نذكر عن وجه الخصوص الملك بيمبيسار ملك ماغادها وإلى شمال - عربي ماغادها كانت تقع مملكة كوشالا، وكانت مدينته شرهامستي هي المدينة الرئيسية في هذه المملكة وفي تلك الأرمنة كان الملك برسيناچيتا هو الذي يحكم المملكة، وكان هذا من أتباع بوذا الملصين ومن جهة الجنوب كانت تحادي مملكة كوشالا مملكة أخرى هي مملكة فانسا وعاصمتها كوشامبي وإلى الجنوب من هذه كانت تقع مملكة آفانتي بعاصمتها أوجايتي. وهنا في هذه المدينة ولد الشاعر العظيم كاليدياسي وغلاوة على الممالك كان ثمة عدد من الجمهوريات وقد جتمعت ثل منها في كونفسراية هرجي ودجوار هذه لكوفد رالية كانت تقوم سلالة ساكي التابعة سكيكياً لملك كوشالا، لكنهم كانت

عملياً كياناً مستقلاً تماماً وفخرت سلالة الساكبين أيضاً بأنَّ واحداً من أسلافها كان
القديس الحكيم الذي دعوه باسم هاوتما ولذلك كان القلب العائلي للسلالة، هو
هاوتما، ومعناه الذي ينتمي لى هاوتما وعليه فقد دعي بوذا في حياته باسم هاوتما وبعد
وفاة فقط باتوا يدعونه باسم ساكي، الحكيم الذي من سلالة ساكي أما كلمة بود
نفسها فإنَّ معناها، هو «ملتور»

وفي اليوم السابع بعد ولادة بوذا توفيت والدته مايا (= «طبيب»، «خال») وقد أُبررت
الحواليات الحمل الخارق الذي كانت تتمتع به مايا، والعقل الطبيعي والمرايا الأخلاقية التي
كانت تملكها أمّا والد بوذا، ابنك سونهودان، فإنَّ الحواريات تصمه بأنه كان ملك
القبور، حاكم المملكة وفق القديس. ولم يكن في بلاد اساكسين ملك واحد أكثر وقاراً
واحترماً بين طبقات المجتمع منه.

ومثله مثل المسيح ومحمد فقد تسوّوا لبودا بمستقبل عظيم، وكان أسيتا الناسك قد
أقام نبوءته تلك على أساس اثنتين وثلاثين علامة رئيسية، وشابين علامة ثانوية رآها على
حسد الملوك فقد كانت تلك العلامات مؤشراً على أنَّ لشخص أعني مختار من قبل الإله
ودعي اسفلق الموبود باسم سيرفاتاسيدارتها، أو باحثمر: سيدارتها، ومعناه «الكامل في
الأشياء كلها»، وتقول الحواريات، إنَّ الولد ورث عن أمّه جمالها الخارق، ونشأ صلياً، ودعيّاً
وحاضر البديهة، ربه حالته شفيفة والدته مهابراجاباتي، التي غدت بعد ذلك زوجة وأمه،
ووالدة أخيه وأخته غير اشقيقين. بعد نشأ وسي العهد كأي ولي عهد حر، مرفقاً راضياً.
وبما بع السادسة عشرة من عمره رُجوه وأنجب ابنه راهولا وسارت حياته هكذا حتى بلغ
التاسعة والعشرين.

في التاسعة والعشرين دعي بوذا لتأدية رسالته، وكذا دعي المسيح في الثلاثين، ومحمد
في ثمانية وأربعين، ومثلهم دعي موسى وإبراهيم. ولا يزال المؤرخون والملاسفة يحللون
الأسباب التي دفعت بوذا لتفصيل حياة استسك، والزهد على حياة اسوك حواريها، ورافضاتها،
ومسيانها و. وهم يتحدثون في غصون ذلك عن الاستكمام وما مشابه، ولكن في واقع الحال، إنَّ
هذه النقاشات كلها لا طائل منها

وقد كان بوذا ناسيونار (= روحاني)، مختاراً مع الرسالة الملقاة على كاهله وقد بدأ
يؤدّيها لأنّه لم يمكن بوسمه ألاّ يشمل ذلك. فلم يكن أمامه خيار: يؤدّي أم لا يؤدّي. لقد ولد
لكي يؤدّي رسالته.

ببلا ترك بودا القصر، ومعه خدمته تشانا، وحو دم. ولما بلغ نهر انوم في بلاد الملاي
عند مدينة كومنيارا، ردَّ خادمه ومعه الجواد والأموال إلى والده، وبقي وحيداً ثم بدل فقيراً
عابراً سبيل شابهه فثابته الملكية، وقصَّ شعره الطويل. ولم يبق لنفسه سوى معطاه الأصغر
وهكذا تحول بودا إلى رهد

ووصفت التُصوص القديمة بحرة بودا القصر استعفى صكها يلي

«لقد صر الزاهد هاوتاما راهباً ومرك بساً سابياً.

صار لزاهد هاوتاما راهباً وترك كثيرٌ من الذهب بقوداً وسانت

خروقة في السرايب والمخلدع ولا يزال ألز هد هاوتاما

شاباً فتياً أسود الشعر، فمي شبابه

السعيد، ومسه المبكرة هجر وطنه إلى ألا وطن.

وعلى الفضل من إراقة أهله، وعلى الرغم من

التموع التي ذرفوها إلا أن الراهد هاوتاما

قصَّ شعر رأسه وحلق لحيه، وأزنتى

الملايس الصفراء، ومضى من وطنه إلى ألا وطن».

وهناك نصٌ آخر يصف ما صكيف يشرح بودا بنفسه للرهبان ما حصل. فهو يقول لهم:

«وجهائي أيها الرهبان أنا الذي كنت أعيش حياة منعمة، الفكرة الثالثة:

إنسان عتي عبر عارقه حاضع بتقدم السن، عتلنا يرى بأن عيه هو الذي

لا يزال بعيداً عن سن الشيخوخة، شيخاً هرمه فإن ذلك يجعله يحس بالقلق

والخيرة، ويختلط عليه الأمر، وسمر من فكرة تصيب ما يراه على نفسه فأنا

بسوري حاضع لسلطة السن، لكني لست شيخاً بعد، فهن لي أب الخاضع

لسلطة السن والذي لم يشخ بعد إذا رأى شيخاً هرمه ألا يشعر بعدم

الانسجام مع نفسه، وألا يحس بالخيرة ولألم ولنهود؟ لقد كان الأمر محرناً

بالنسبة لي ولكني ها أنا أيها الرهبان، عندما وارت الأمر اسدثر في

الإحسان بمعلقة شباب».

لقد مكث بودا عند مدينة كوسيناغرا مبيعة أيام، ثم حثه بعدها إلى مدينة راجاغريها

ليكني بتعلم الحكمة لدى التُساك لمقيمين عبر بعيد عنها. وهناك بدأ بودا طريق التُساك

الكناحين من دنى مستوياته وبناتوا يدعونه هنا بأزاهد هاوتاما وأخذ مثله مثل جميعهم هناك يحضغ حسده لألام ممضنة لكبي يقتته ولصكته أدرك مع أوقت أن ذلك من يقره إلى الحقيقة عندئذ، تنقل إلى نسالك آخرين إلى لشأمكن، ومعرف عندهم إلى فلسفه سامهيا وكان أهم فيلسوفين في طائفة الشؤسات هذه، هما لسا همس الأرا، وأودها. وقد رأى هذان مهمتهما الرئيسة في تحقيق السيطرة على الانفصالات، وبلوغ حاة السكون الرسخ، واحتاز هاوتاما هنا هصلا تعليميا كاملا وهكدا رؤض روحه رويسا رويدا، وحررها عن القلق والأفكار، لقد علم أن يعمق السكون الروحي الرصين، فاقترحوا عليه أن يرثس المدرسة، لئكنه رفض وغادر المكان. وكان معلمو بودا ذوي هيبة ووفار وسمعة طيبة كما كانوا من أتباع اليوغا. وهذه فلسفة دعا باتالجالى بها. واليوغا هي عبارة عن صيغة مؤلّمة تطوّرت من فلسفة سامكهيا الإحاديه التي أسسها كايلا وسوف يأخذ بودا كثيرا من تعاليم هاتين الفلسفتين فيما بعد ويقيم الفرق بين الفلسفتين في الآتي أعطت اليوغا الأولية لتفنيه التأمل، فالوسائل الخارجيه المساعدة (التسك الصّرم و) كانت في المقام الأول من الأهميه بالنسبه لئها. أمّا تعاليم سامكهيا فقد كانت تعاليم نظرية أساسا. وقد صاغت نظريه تجريدية عن المعرفة الصحيحة

لقد بلغ هاوتاما محلة أورهلا الواقعة إلى الجنوب من باتنا وهما في الغابات الطرقيّة عرض هاوتاما نفسه لتعذيب ذاتي مخصص على أمل أن يبلغ صعوة العن. إلّا أن معاويلته لم تعط ثمارها فتابع طريقه لقد حرّب هاوسما كل وسائل تحقيق الصّوة، وتجاوز لحظة «لصمت» بين الوعي والوعي الساطلي جاع، وجهم تصفيه، وركز تفكيره في بقعة واحدة، ولكن عشا صدر يحاول. ومرة أوصل نفسه إلى حاة ظن معها تلاميذه الخمسة الذين كانوا يراقبونه عن بعد، أنه مات ولما لم يحقق النتيجة المرجوة، عرف هاوتاما عن هذه لوسائل وحلص إلى نتيجة مؤداها أن تعذيب النفس والتوبة لا يقصيان إلى الحقيقة وبصرمت سبع سنوات أخرى بحثا عن الطريق الصحيحة وأحيرا جاءت الصّوة المنتظرة ليلا على حين عرة بينما كان جالسا تحت شجرة تين هي تلك الليلة تحول الأمير سيدهارتها إلى «بقط»، «مشور»، إلى بودا ومنذ تلك الليلة يبدأ تاريخ البوذية

لقد ساق لنا أحد أقدم الآثار اسودمة الدهمابادا، كلمات بودا الآتية، التي قالها حينما حقق الصّوة: «لقد أكملت دوره الولادات الكثيرة دون أن أتوقف لحظة واحدة، وكسب في أثناء ذلك أبحث عن ياسي البيت (يقصد بهذا علّة تكرار الولادات). شمس لماود، لأسبة للولادات يا ياسي لست أنت، لأن مكشوف، وليس تبني بيوت بعد اليوم عتبارك

تكررت، وسقط بيتك وقع إن قلبي انني بقي حراً أطمأ الرغبات كلها، ويظهر مما قيل
 'ين يرى بودا النحاح الأهم' في التحرر من الرغبات، ومعنى هذا، التحرر من تكرار
 لولادات أنفس، أما شجرة استين تلك فقد باسدت ذات شهرة واسعة، وصارت إلى شجرة
 الصخوة وصكان ثمة شجرة تين فعلاً إلى جانب بودا غاي، وقد بعيت قائمه حتى حطمتها
 العاصمة في العام ١٨٧٦م وغني عن البيان طبعاً أن شجرة كانت محلّ محن الأحرى على
 مدى آلاف السنين وقد رعموا أنهم حملوا هرباً منها في أواسط لقرن ٣م إلى جزيرة
 سيلان وررعوه بالقرب من أنور دهانپورا ويؤكدون على أن الشجرة التي نمت هناك لا تزال
 قائمه حتى اليوم.

وثمة سرد مفصل لسيرة حياة بودا بعد الصخوة جاء في أحد مؤلفات فينايايتاكا، وهو
 مؤلفه ماهاولاخي وحسب هذا النص أن بودا أمضى بعد أن حاقته الصخوة سبعة أيام تحت
 النية حابس وساقاه تحته، «ستمسح بسطة الخلاص» وبعد أن انتهت الأيام السبعة استعاد بيته
 وبين نفسه مرة أخرى، فكل ما وصفه عن العلاقات بين الأسباب والنتائج ذات الصلة بالعبادة
 في هذا العالم، وانتقل بعد ذلك إلى طلّ شجرة أخرى، هي «شجرة راعي ماعزه» فأمضى تحتها
 سبعة أيام أخرى متفكراً ومثلما جرب الشيطان المسيح جرب بودا أيضاً وقد رفض هذا
 عروض الشيطان مؤكداً على أن هذا لأخيره يهجم الإنسان بتسعة «جفاف»، هي:
 الشهوات، والسخط، والجوع، والعطش، والطمع، والكسل والتسلل، والحس، والشك،
 ولرياء والغباء، والبحث عن لحد والغطرسه وقال بودا للشيطان: «إن حافلك التي
 لا يستطيع أن يتصر عليها البشر والآلة سوف أهدم بقوة العقل، كما تنحطم لأواسي
 المضربة. سأنجم فككري، وأرسخ قوه روحي وأمضي من مملكة اس مملكه لأكون
 تلاميذ، فرد الشيطان على ذلك قائلاً لبودا: «لقد بعيت لمسامي سبع مسو ث، خطوة
 خطوة، ولم أحد عباً وأحد أذى اليقظ المنور وكما العرب انني يدور عبثاً حول الصخرة،
 نترك بحر هاوسما». وهكذا ترب الشيطان بودا وشأنه

ثم بدأ بودا يشرهم بتعاليمه، متوجّه إلى ضواحي مدينة بيارييس حيث كان السّمّاك
 يصمون في لمترة وهناك التقى النّصّال الخمسة الذين تبعوه، وكان هؤلاء ينتظرون صعوده
 لكي يكوّنوا تلاميذه، وهما في مترة وشهيدتان استمعوا ل بودا دون رغبة في دئي الأمر،
 لكنهم ما لبثوا أن أخذوا يدركون أهميّة ما كان يقوله وكان عملة بودا الأولى، المعطة
 البيدرية، ذات أهميّة عظيمة بالنسبة للبودية كلها فتلب الموعظة «دفع بودا صحنه تعاليمه إلى
 الحركة لأوّل مرّة وتلك الموعظة قيمة عالية عند البوذيين وهاكم ترجمتها.

هناك شيطان أيها الرهيب، لا ينبغي أن يأتيهم ذلك الذي اعتزل حبة
 الدنيا، فهاهما هذان الشيطان؟ الأولك هو أن تترك نفسك للأهواء، أيها
 وضيفة مبتدلة، دنسة، وعدمة الحدوى. والثاني، هو أن تعلّب ذاتك، إنه
 غش، وضيع، وعيشي فلا تقفوا في هذين الشيطان أيها الرهبان فالكمال
 وجد طريقاً وسطاً، يفتح العينين، ويفتح العقل، ويقود إلى السكينة، والمعرفة
 والصحو، ويؤتي إلى الترفان. ولكن ما هو هذا الطريق، وسط الذي
 اكتشفه الكامل أيها الرهيب، لطريق الذي يفتح العينين، وسير العقل،
 ويقضي إلى السكينة، والمعرفة، والصحو، والترفان؟ أنه طريق سبل ذو ثنية
 أطراف، هي الإيمان الحق، والعزيمة الصادقة، والكلمة الصادقة، والعمل
 الصالح، والحيّة الصالحة، والسعي الذاتي الصادق، والفكر الصالح،
 والاستعراق الذاتي القويم. ذلكم هو الطريق الوسط الذي وجده الكامل
 أيها الرهبان، الطريق الذي يفتح العينين، والعقل، ويقود إلى السكينة،
 والمعرفة، والصحو، والترفان. هذه هي أيها الرهبان الحقيقة النبيلة عن
 الآلام، فليلاذ الآلام، والشينوخة معاناة، والمرص معاناة، والموت معاناة
 واللعاء مع من لا يحب معاناة، ومقارفة من يحب معاناة، وعدم يدغ المارب
 معاناة، قصارى القول، إن العناصر الخمسة التي تثير التمسك بالوجود هي
 جوهر المعاناة. ناكم أيها الرهبان، هي الحقيقة النبيلة عن نشوء المعاناة، إنها
 ذلك التعطش (للحياة) الذي يقود إلى المعيشة ويرافق بالفرح والشوق
 ويعثر على السعادة هنا وهناك كسوق الشهوة، ونوق الحياة، وتوق الموت.
 وهاكم أيها الرهيب، الحقيقة النبيلة عن سحق لمعانلة، إنها التحرر التام من
 هذا التوق، ومحقته، ونبله، وتركه، وطرده، وهاكم أيها الرهيب، الحقيقة
 البلية عن الطريق الذي يقود إلى قطع دابر المعاناة، إنه الطريق النبيل ذو
 الأطراف الثمانية الإيمان الحق، والعزيمة الصادقة، والكلمة الصادقة،
 والعمل الصالح، والحيّة الصالحة، والسعي الذاتي الصالح، والفكر الصالح،
 والاستعراق الذاتي القويم. هذه هي الحقيقة النبيلة عن المعاناة هكذا أيها

الرهبان، فتحت عيني على هذه المعلمين، التي لم يرها أحد من قبل، هكذا
افتتح عقلي، وفهمي، ومعرفتي، وألقيتُ في هذه الحقيقة النبيلة عن المعاناة
يجب أن تُفهم هكذا أيها الرهبان. لقد فهمت أنا هذه الحقيقة النبيلة عن
المعاناة هكذا أيها الرهبان، وقبل أن أتبين بمجلاء المعرفة الخفية، ثلاثية الأبعاد
وذات الأحد عشر طرفاً، وأفهم هذه الحقائق السبيلة الأربع، لم أع أيها
الرهبان، أنني بلغت أعلى درجات كمال المعرفة في عالم الإلهين مارا وبراهما،
خلافاً لكل الكائنات الأخرى، بمن في ذلك النسل، والبراهمن، والآلهة،
والشر. ومنذ أن أوضحت لمسي بمجلاء تام المعرفة الكاملة والفهم لتام
لهذه الحقائق الأربع السبيلة، منذئذ وأنا أعرف أيها الرهبان أنني بلغت أعلى
كمال معرفة في عالم الإلهين مارا وبراهما بين كائنات كلها، بمن في ذلك
النسل والبراهمن، والآلهة، والشر. وانكشفت لي المعرفة والفهم إن
خلاص قلبي راسخ لا مترجح، إنه ميلادي الأخير، وليس ثمة بعث آخر
(لي).

لم يكتب بوذا موعظاته هذه، ولم يكتبها تلاميذه أيضاً. فهل يمكننا أن نشق
بأصابعنا؟ يؤكد المتخصصون أن ذلك ممكن فالعارفون بتاريخ الثقافة الهندية القديمة
يؤكدون أن طريقة العرض (كثرة التكرار) والحفظ كانت تسمح بحفظ كل كلمة
وتذكرها على مدى قرون. وفي مد رس الهند نالت، كانوا يعلمون أمراً واحداً أساسياً، هو
إتقان الحفظ غيباً ولو كان الأقداد في فن الحفظ من معاصرينا هناك. لكانوا من الراسخين
نوماً سون شاك، ويكنهم على أي حال نوما عظيمة سودا هذه فيما بعد، وبشروها نتجهاين
شمالي وجنوبي. وليس ثمة تباين بين الروايتين الشمالية والجنوبية والأمر غير المعتاد بدعوة
إليها هو حساب الخصائص والسمات بالعدد. فقد قيس بوذا هذه «أطرق ذات الألفاظ
اشمانية»، وه لعاصر الخمسة، «المعرفة الثلاثية الأبعاد، وذات الأحد عشر طرفاً»، وسوى
ذلك من الأرقام الخماسية، عن المعلمين الذين أحد عنهم فلسفة سامكها وكلمه سامكها
هذه نفسها معناها «عدد» وتعد هذه الفلسفة عينها فلسفة «إحصائية» ونحن كنا قد قلنا، إن
البراهمن أقروا بوجود الروح الكوني وسعي روح كل إنسان للرجوع إلى الروح الكوني
والاندغام به لكن بوذا أنكر وجود الروح الكوني، ومركز الوجود هذا إنكار، قطب

وعُدَّ لامر كله مجرد تصور تجريدي فارغ واعتقد بأنه من شئ وجود حقيقي، لا للظواهرات الحسنة، لكن هذه غير ثابتة، متغيرة أبدأ بسبب اهتزازها إلى مخرج مشترك واحد وقد دعا بودا هـد التمسُّب «أشار التي تلتهم العالم كله». ولكمهُ بإراحته معور الارتكاز الرئيس الذي تستند إليه لوحة العالم لوحدة الروح الكوني، بقي بودا وحيداً في مواجهة خطر انهيار الوجود كله وقال «إن المركب سوف ينهار عاجلاً أم آجلاً، مثلما يجب على الموبود أن يموت فالظواهرات تحتفي واحدة إثر الأخرى، ويتحطم الماضي، والحاضر والمستقب، وكل شيء طارئ وعابر، لأن قانون الترويض فوق الكل. فالنهر يجري متسارعاً ولا يرجع، والشمس تقطع طريقها دون أن تتوقف، وستقل الإنسان من الحياة السانقة إلى الحباء الحاصرة، وليس شئ قوة يمكنها أن تميده إلى الحباء التي انصرفت في الصبح ترى مادته ما، وإد يحل المساء لا يعثر لها على أثر هما انصافه من الجري خلف سعادة وهمية؟ يسعى الآخر ضاهداً لكي يحققها في هذه الحباء، بيد أن جهوده تذهب أدراج الرياح، أنه يطرق الماء بالعصا، معتقداً أنها عدم تشق فتى هكذا دوماً فالتوت يمتلك العالم بقبضة شديدة، ولا شيء قص، لا الهواء، ولا البحار، ولا الكهوف، ولا مكان في الكون كله يجيبا عنه، ولا الثروة، ولا المجد يحميات منه؛ إن كل ما هو زمني سوف يخسو ويسدر وكلنا أمام الموت سواسية: الثري والفقير، والنبيل والوضيع، ويموت الكهول كما يموت الشباب أيضاً، ويموت من بيع أو اسقط العمر كما يموت الوليد وحتى الحيين في رحم أمه جميعهم يموت بصرف النظر عن السن ودون أي خيار إنك تسير نحو الموت مباشرة، والطريق سوف تقودنا إليه دون ريب إن جسد الإنسان، هو نتاج عناصر الصبغة الأربعة، وهو وعاء هش يتناثر أشلاء عند أول صدمة قوية ويشكك على طول الحياة كلها مصدراً للأهل والقلق، والآلام ونحل الشبحوخة حاملة معها الأمراض. يتقلب المعجور في شئحات الاحتضار كالسمكة على رماد حار إلى أن يأتي الموت أخيراً ويخلصه من آلامه والحباء بسورها كالثمرة الناضجة التي تسقط مع أول عصفه ربح؛ لذلك ينبغي علينا أن نحذر انصطاع ثبارها في كل غمضة عين، نهاماً مثلما تصمت أنعام القيثارة عندما تقطع أوتاره نحت يد العازف» وليس شئ ملجأ أو حمى سوى الترفانا «فاسرفان هي ماء الحياء الذي يروي عطش الألماني، إنها الدوية التي تبرى من الآلام كها»

بعد دورة متواصلة من أشكال الوجود التي لا عد لها، وبعد تبديل أحوال لا حصر لها بعد الجهود كلها والتأثر به والقلق والآلام اللازمة لنزوح الروح، نرمي أخيراً عن كاملنا عبء أغلال الحرفه ونحرر من كل

شكل من أشكال الوجود و لرمك والملك ويستغرق في السكينة، في مأس
عن الأحرار كلها، والالام كله و يفرق في نعيم لا ينتهك أي شيء، يفرق
في الرفانة.

إنّ بما أنّ كل وجود معاناة، فإنّ الخلاص من هذه الأخيرة يقتضي بدمير الوجود
نفسه، «بإصمائه في لفرمانه». ولهذا فإنّ المسألة الرئيسة تتلخّص في الإجابة على لسؤال التالي
كيف يعمل ذلك بالصّسط؟ لقد ألقى بودا موعظته الأولى على خمسة رهبان، ويصفهم
البوذيون الجنوبيون «بمجموعة الخمسة» بينما يصفهم، بشماليون بالدين «بوتسور المجموعة
الرائعة». ثمّ التفت إلى تعاليم بودا، إضافة إلى الرهبان الخمسة، بن أحد الحرفيين، لأثرياء،
وحداً حذوه والده، وزوجته وأصدقائه الكثر. وبدأ بات عدد طائفة بودا حوالي استس نفرأ
وكان بودا يولي اهتماماً كبيراً لبشر تعاليمه. فأخذ يرسل تلاميذه إلى مختلف الأرحاء مروداً
إياهم بالكلمات التالية: «امضوا، اذهبوا إلى كس مكان لتحملوا الخلاص إلى أساس
كثرين، من الآلام إلى لسلام، إلى الخير، خلاص وعبطة الآلهة والبشر» وأشار عليهم بالأ
بدهوا في الطريق عيتهم اثنين معاً، بل واحداً واحداً لكي تقتشر أشعالم أسرع فأسرع وهذا
ما حصل فعلاً، إذ شاعت تعاليم بودا شيوعاً واسعاً برمن قياسي. فقد كانت تلك تعاليم
مفتوحة للجميع، وم يشكل الانقسام الكاستي عائفاً في طريقها وكان بودا نفسه يحظ
دون توقف. فذهب إلى ورفيلا حيث انضم إلى طائفته ألف براهمن، وكان على رأسهم ثلاثة
أخوة من سلالة كاشيان وأمام الأتباع الحدد ألقى بودا عطلة جديدة عرض فيها لب تعاليمه،
ويحلم للمتخصصين أن يعقدوا مقارنة بين عطلة بودا هذه وعطلة لمسيح على الحبل ففيها شخص
بودا، كما فعل المسيح في عطلة الحبل، بالموضوعات المهيّجة لتعاليمه، ولذلك تدعى تلك
الموعظة «عطلة الحبل السوديّة»، لقد قال بودا في تلك الموعظة

«للّهيب يلف كل شيء أيها الرهبان فما هو هذا الكل شيء أنها
الرهبان ما الذي يلفه اللّهيب؟ العين أيها الرهبان يلفها اللّهيب، والأشياء
لمنركة يلفها اللّهيب» والانطباعات الروحيّة التي يثيرها البصر، يلفها
السّهيب» والانطباع، لشيء عن ذلك يلفه السّهيب ولكن هل هو محب أم
مؤلم، أم هو غير محب وغير مؤلم؟ فتي نار ألفت كل شيء؟ الحق أقول لكم
إنها نار الشهوة، نار السخس، نار النعمه، يشعلها الميلاد، و لشيخوخة،
والمرن، والرزيّة، والحزن، والمرض، والكرب، و لبأس والأذن والأصوات

يُثْنِيهِمَا اللَّهُبُ أَيُّهَا الرُّهْبَانُ وَالْأَنْفُ وَالرُّوَاتِحُ وَاللِّسَانُ وَالطَّعْمُ وَالْجَسَدُ
وَالْمَلَامَسَاتُ، وَالنَّسُ وَلَا نَطْبَاعُ يَلْقُهَا اللَّهُبُ (يلي ذلك الحديث نفسه
عن باقي أقسام الجسد والروح). وإذا ما ورن، المستمع الضَّلِيلُ في الكتب
والمواكب للطريق الثَّيْلَةَ، هذا كله بأنَّ عينه سوف تُسْمَمُ، وستبعت الأشياء
المُرِيَّةُ السَّامُ في نفسه أيضاً، وسرف تسْمَمُه كذلك الأحاسيس التي تنشأ من
ذلك عِبَّةٌ أم عِبَّةٌ، أم عِبَّةٌ غير عِبَّةٍ أم غير عِبَّةٍ (تتكرر بعد ذلك اسْمُ عينه
بصدد الأذن، والأنف، واللِّسان، والجسد، والروح) وحين يسْمَمُه هذا
كله لأنَّه يتحرَّر من الخوفه وغير تحرُّره من الخوف يَحْقُقُ الخلاص. وحين
يَحْقُقُ الخلاص يعني أنَّه أنقلد فيُتَّصَح له أنَّ البحث قد انتهى، والقنسيَّة
مَحَقَّقَت، وأنَّه أتى واجبه، ولا عودة له إلى هذا العام بعده.

وكان بودا قد رر من قبل مدينة راجا عريها، قبل أن يبيع انصُحوم. وقد استقبله
ملكها المحلي بيمبيسارا على الرَّحْب والسَّعة، بل حسب الروايات أنَّه عرض عليه نصف
مملكته، ومن الواضح طبعاً أنَّ بودا رفض عرض الملك. لكنَّه وعد بزيارة الملك مرة أخرى.
وها قد رَّ أوان الزيارة هبمد أورفلا ران بودا بيمبيسارا، فاعتق الملك وعدد كبير من
مواطنيه تعاليم بودا. وبقي الملك طوال حياته حامياً لبودا.
لقد أهدى الملك بيمبيسارا بودا متنزهاً كبيراً: دغلاً من القصب، وقد ارتبط بذلك
الدُّمْل كثير من أحداث حياة بودا.

وبعد راج عريها هابل بودا تلميذين جديدين، هما شاريپوتر، وملاودشالياتشا. وعندما
قابل هذان تلميذ بودا أحداً يستوصحان منه جوهر التعاليم. فآحابهما هذا قائلاً: «إنَّ أشكالك
الوجود لها علَّة، وقد أعين اكامل هذه العلَّة، وفيها نفسها هلاكها. هكذا علَّم النَّاسك
العظيم، وشرح شاريپوتر هذه الصَّيْفَة المُنسرة للتعليم على الوحة الانبي: «كن ما هو حاصع
لنشوء، خاضع للروال» فقال شاريپوترا لأشفاقيت: «إذا كانت التعاليم لا تتضمَّن شيئاً آخر
غير هذا، فأنب عثرب على الملجأ الذي لا معاندة فيه، والذي بقي آلاف مؤلَّمة من القرون
الكونية متخفياً غير مرتبين» وهكذا أدرك بود أنَّ تكمن علَّة أشكالك الوجود، أي سلسلة
الولادات كلها، وكيف يمكن سحقها.

كانت تعاليم بودا شائعة جداً، وانضمَّ إلى طائفته كثير من شذو الطبقات البسلة
الذين سكانوا سملون مكانة اجتماعية مرموقة. فأثار ذلك سخطاً كبيراً، لأنَّ المتيات

الثريات لم يمس بحسن من شروجهن، وبقيت السلالات الأرستقراطية من غير ورثة فصاح الشعب مردداً وراء رهبان بودا: «قد جاء ابناسك العظيم إلى هيريفراجا مدينة المهدهيين وحول تلاميذ سامجاي كلهم، فمن لذي يفكر أن يحوله اليوم؟».

وتلبية لرغبة والده ران بودا مره في مدسة ككايلا فاستو ومع أن كثير من الملوك كان يشرفه وفنداك أن يستقب بودا في قصره، إلا أن والده لم يكو راضين عن حاله وبم يكن سبب ذلك كبرياؤهما الملكي فقط، بل تردّي حالة مملكتهما إلى درجة مريرة فقد كانت تلك الممالك الصغيرة في الهند الوسطى، تقياً اتحاد دول ومن سبق وجودها وكانت تممو وتقوى إلى جانبها دول ككوسلا وماهاها وقد سعت هاتان إلى إقامة مملكة واحدة مشتركة وكان حكم الأول والممالك الصغيرة يدركون جيداً أن نهاية استقلالهم انية لا محالة. ولذلك كان والد بودا شديد قلق سبب هجرة ولده لشؤون الحياة الدنيا، ففي ذلك الوقت عيه كان حكام ككوسلا يصيدون على أراضي الساكين دون إذن، عاذين إيها من أملاكهم، كما نطاول أحدهم وأخذ فتاة ساكية زوجه له بالقوة وكان ذلك أمراً مهيناً بالنسبة سساكين لأن حكام ككوسلا كانوا ستمون إلى ككاسته وضيمه وقد تطورت الأحداث في هذا الاتجاه متسارعه، ففي حياة بودا نحت دولة ككوسلا في ابتلاع وطنه.

لقد ترأّس من ريادة بودا لثريه ومدينته الأم النتائج الآتية: انضم راهولا ابن بودا إلى الطائفة وقبل أخوه غير الشقيق سادا، الذي كان يحب عليه أن يتزوج كما قبل في الطائفة ولدا عم بودا أناندا ودافادانا وكان مقدراً أن يعدوا الأول منهما تلميذ بودا الحبيب (كما كان يوحا لدى المسيح)، وانثاني خائناً يهودا الأسحريوطي لقد صار أناندا رسمياً راهباً بعد عشرين عاماً من التلمذ على يد بودا لكأنه راهب بود كظله، وحفظ عنه أكثر مما حفظ جميعهم عنه ومات بودا على يد أناندا، تلميذه الحبيب وقال أناندا عن نفسه «لقد خدمت السيد ٢٥ عاماً، بالحب، والقلب، واللسن، واليدين ولم افترق عنه كما لم يفترق عنه ظله».

أما داهاداتي فقد بقي أعواماً طويلة يحسد بودا ولكن حياته لم يظهر علماً لأهيا بعد، حينما بلغ بودا السبعين من عمره، عسند طلب داهاداتي من بودا أن يحسه قائد الطائفة، أي أن يجعله عملاً وريثه، لكن بودا رفض طلبه فأحدث داهاداتي انضمامه في الطائفة، بد مطالب بمزيد من المصراة في ظروف عيش الرهبان، فطالب بالأ تكون إقامة للرهبان في القرى، بل في المدن، وألا يعيشوا إلا على الصدقات (رفض أي دعوات إلى الموائد) وألا يرتدوا سوى الأسماك وألا يقتاتوا إلا بوزق لشجر، وألا يستهلكوا اللحوم في طعمهم أو

الأسماك، والأبصيدوا من السموف وقد ضمّن داهاداتي هذا كله لميثاق الذي عدّه للصائفة. لكنّ بودا رفض هذه المطالب كلها، لأنّه على وجه العموم كان يرفض كل تطرّف في السّقشّف بيد أن فريقاً كبيراً من الرّهّمان أقرّ ميثاق داهاداتي، وانفصل عن الطائفة خمس مائة راهب، وثمّة رواية تقول، إنهم أعلنوا بدمهم وتوبتهم بعد وقت وعادوا إلى الطائفة. لكنّ رواية أخرى تقيد بأنّ داهاداتي بعثه عاد وقد أضاع عداوب لضمّر وبدو أن الرواية الأولى هي الأصحّ، لأنّ أنصار داهاداتي كدو لا يرايون موجودين في الهند حتى القرن ٧م.

وعلى أيّ حال كان يمكن لداهاداتي أن يصرف في الحال المعنيه وفق فتاوته كنّ موقفه مع الملك ييميسارا كان بالتأكيد موقفاً خصباً فمن المعروف أنّ ييميسارا اتخذ من بودا موقفاً أبويّاً، الأمر الذي لم يحب داهاداتي. فعرض أجاباشاترا ابن الملك على قتل والده والاستيلاء على العرش بيد أنّ لأن اعترف لوالده بكل شيء في لحظة ندم فقتل الابن الملك لاسه، إنّ العرش لا يساوي شكره الابن لأبيه، وتنازل له عن الملك ومع ذلك لم يترحم داهاداتي عن حسنه وبحب في التحريض على إيصال الملك الذي تنازل عن العرش إلى درجة الموت جوعاً وفي آخر المطاف بدم الابن وجاء إلى بودا طلباً للصمّح، فصمّح عنه، وقبّل في ابنته.

بعد وصفت المصادر القديمة الطّور الأوّل والطّور الآخر من سنك بود وصفاً أكثر كمالاً أمّا الطّور المنيد الذي يتوضّع بينهما فلم يبق ما منه سوى معلومات قليلة، ويميل العلماء إلى القول، إنّ تلك السّنوات مارّت على وئدة واحدة، جاب بود البلاد مبشراً بتعاليمه، مجتهداً أنصاراً حذراً ولحكناً معميون من لشك في صكو، كل شيء قد حصل الصعوبات، والخداع، والعدو، والحيانة، والمشل وفي هذا تكمن الحياة نفسها وفي فصل الأمطر ٤٤ شهر كانت الحركة تتوقّف (بما في ذلك النّجارة) هيلجاً الرّهّمان إلى اكواخهم أو سفائهم المعلقة ويدبرون حوار مهم وقد أقام هؤلاء في الأدغال ابني أهديت تقديمات للصائفة، وكان بودا نفسه يفضي حصول الأمطار في ضواحي المدن الكبرى مثل مدينة هيبوفان، وراخاغريها، وشرافاستي وكان يقع ها على مقربة من شرافاسي «دعل جيتا» الذي أهدها لبودا التاجر الثري أستهابيند الذي كان من أقناع تعديمه العيورين. لقد كان المكان هو المكان المحبّب إلى قلب بودا، وكان سكان المدن يتوحدون عليه وعلى رهبانه ليستمعوا إلى أمواظ عن التعاليم الجديدة

لقد كان نظام عيش الرّهّمان على الوئدة الثالثة: الضرة الصباحية للتمارين الروحانيّة ثم بعد ذلك يجمعون مواشيهم ويتوزعون لجمع لمسدقات نلي ذلك قيلولة الظهر، وفي المساء يأتي

المؤمنون إلى الرهبان فكما كان الرهبان وبوذا يتمون دعوات في مائدة العداة. وكانت تلك الدعوات تأتي من الأغنياء فكما من الفقراء. وكان بودا يقبلها بالدرجة عيها من الشكر والامتنان. وعندما لم يكن ثمة ما بكل كان بودا يحمل ماعونه كأي راهب آخر ويجول يجمع الحسنات.

وما يجب التنبه إليه في همد الميثاق، هو أن جمع لحسنات كان محكوماً بقواعد صارمة فالرهب لا يدخل بيتاً بطب الصفة، إلا مغطى بردائه العلوي وبطرقه إلى الأرض ولم يكن مسموحاً له أن يبقى في البيت وقتاً طويلاً وكان عليه أن ينتظر المدة مائة إلى أن يملؤوا له الماعون. وفي أثناء ذلك كان عليه ألا ينظر إلى وجه من يصدق عليه بعد ذلك كان على الراهب أن ينظري الماعون الملقى بردائه وينسحب بهدوء وصمت. وهما يملؤن بالنساء. حذروا الرهبان التحذير التالي: «أيها الرهبان، إياكم أن يظنوا في اسماء فياذا قايبتكم امراء، لا تنظروا إليها، واحذروا أن تكلموها. ولكن إذا تحدثتم إليها فضعوا في أذهانكم. انه راهب. ويحب أن يعيش في هذا العالم الآثم كزهر اللوتوس التي لا يلوئها الطين أما العجايز منهن فيجب أن تنظروا إليهن كما تنظرون إلى أمهاتكم، وإلى الأكبر منكم قليلاً كما إلى أخواتكم الكبريات، وفي الأصغر كما في أخواتكم الصغيرات» وهناك نصوص تتضمن تحذير الرهبان من النساء. ومنه على سبيل المثال النص التالي: «إذا ما توفرت فرصة مباحية، أو مكان مستور أو غاوا مناسب فإن كل امرأة مستعدة لارتكاب الإثم حتى مع مشوه إذا لم يكن هناك أجر». أو فكما في صم آخر «لأنهار صكلها تحري متبرحة والعادات صكلها تتألف من شجر والنساء صكلهن قدرات على ارتكاب الإثم، إذا ما رأين أنهن يستطعن ذلك دون عقاب»

وفي غالب الأحيان كان الرهبان يتعرضون للعوايب و تدليل على هذا، هو احداثه الثاني «محل دارة تاجر يوم رهب هتي ساحر الحسن، هزاته روحه التاجر اشباه، واعرمت بجمان عيبه في اللحظة هقات له لندا أخذت على عاتقك هذ النذر اللعين؟ ما أسعد المرأة التي تنظر إليها هذان لعنان عندنا اقتنع الراهب إحدى عييه ووضعها على كفه وقال لها انظري بأمي، هذه هي قطعة اللحم البضنة هذه طعنتها إذا كانت تعجبك والعين لثنية مثلها أيضاً قولني لي أي شيء جميل هيها؟»

لقد كان الرهبان يتكلمون بهدوء رفص عملاتهم الحسنات وما صكلوا يجمعونه منها كان يورع على التوجه الآتي. حصة فقراء، وحصة لسكواسر والحوارح، و ناس في لعداء المشتركين.

أما القاعده الأخلاقية، المسوخ الأخلاقي لتلقي الرهبان الحسنات، هائبا بعده في نفس
الثاني المأخوذ من سوثانياسي.

«هذا ما سمعته أنا. جاء السيد (أي يسوذا) يرمأ إلى ماعلما في
ديكنسلجيري، إلى قرية البراهمن الإيكانالي. وكان الوقت وقت زراعة
المرروعات، ولليبراهمان كريشيههار، دماراجي ٥٠٠ محراث مقرون. وفي الصباح
ارتقى السيد رداءه، وحمل ماعونه ومضى إلى المكان الذي كانت تجري فيه
أعمال البراهمان كريشيههارادماراجي. وحين آن وقت نوزيع الطعام، ذهب
السيد إلى هناك ووقف بعيداً. وإذا رأى البراهمان يتظر حسنة قل له أنا
بك أحرث وأزرع، ولا أكل إلا ما أحرث وأزرع وأنب أيضاً نفسك
وعليّ أن تحرث وتزرع، ويجب ألا تأكل إلا ما تحرث وتزرع وأنا كذلك
براهمان، أحرث وأزرع وأكل بعد أن أحرث وأزرع. ولكننا لا نرى عندك يا
هانولما نيراً، ولا محراثاً، ولا سكة محراث، ولا ثوراً، ولا بعلاً. عندئذ قل
السيد الإيمان يناري (لذي أزرع)، وترويض النفس هو المظهر (الذي
يحبس بذري)، وسعرة نيري، وحرثي، والتواضع مقصود حرثي، والعقل
مركبي، والتفكير سكة حرثي ونوري. وأنا نفسي الروح نظيف الجسد،
معتدل في طعامي، أنا أقول الحقيقة لكي أستحصل النطق (الكذب)، والرحمة
هي مفروسي، والجهد حيوان عملي الذي يحملني إلى النقاء، إنه يعضي بي
ولا يلتفت إلى المكان الذي ليس للألام فيه مكان تلك هي حرثي، ونوري
هي الخلود، ومن يحتر هكده، ينحدر من الألام كلها عندئذ سكب
البرهان الرز الطهو للخبيب في ماعون دعي وقلمه إلى السيد قائلاً: كل يا
هانولما نعم أنت العلاج، لأنك تحرث حرثاً ثمرته الخلود».

وعرفت طائفة بوذا قواعد سلوك وعيش مشترك محددة صيغت سلوك الرهبان، فقد
دعي أعضاء لطائفة بالفقاء (بيكشو)، لأن واحد منهم كان ملزماً عند الانضمام إلى الطائفة
الأ يملك شيئاً أكثر مما هو ضروري للعيش. و لترم عضو الطائفة سن دجا حاء صارمة أن
يكون صادقاً، نقي الروح، هدياً، لطيفاً، نزيه، ووقوراً، كما كان عليه أن يبردي رداء
مخيطاً من مزق قديمة مرمية وهرض عليه أن يلتزم باللون الأصفر (لأن بوذا هرب من حياته

الدنيا برده، أصغر) لقد كان على أعضاء الطائفة أن يحلقوا شعر رؤوسهم ولحاهم، وكس من حق كل منهم أن يكون له ثلاثة أردية (بعد الفصول)، ويساط، وماعون لجمع الحسرات، ومأبرة وكبة حيوط، وزوج من الجرابات، ومدايس، وحرم عليهم مجرد ملامسة الأشياء الثمينة

وكس كلهم يقبل في طائفة على حد سواء، بصرف النظر عن الانتماء الكسبي وامتلاك الثروة، فالمقبس الأهم واحد، اعتنق تعاليم بودا وعقد أسية على تحقيق الخلاص. لكن من انتسب للطائفة منذ زمن، كان يحظى بسمة أكبر، فالبراهمان على سبيل المثال قد يُسمح لبودا إذا كان هذا الأخير قد انصم إلى الطائفة قبله، وغني عن البيان أنهم لم يعلوا في عضوية الطائفة المرصى بأمراض معدية، أو بأمراض مستعصية، ولم يعلوا لعبد (قبل أن ينالوا حرمتهم)، ولا الموظف، والجنود الذين في خدمته أم صغار السن فقد كان قبولهم مشروطاً بموافقة والديهم وفي حال قبولهم في الطائفة يوضعون تحت إشراف مرشد إلى أن يملأوا سن الرشد. وكان ثمة فترة احتدر من بعدها أربعة أشهر يخضع لها حتى الراشدون الذي يصيرون في الطائفة وكان على كل من هؤلاء أن يختار لنفسه مرشد

كما كان ثمة طوائف للنساء أيضاً وهنّ تأسسها، بعد أن توفي والد بودا لم تستطع زوجته (خاله بودا) أن تتعزى، فجاءت معها خمس مائة امرأة من سلالة بودا وطلبت منه قبولهن في طائفة وكانت النسوة قد قصص شعر رؤوسهن وجئن إلى بودا سبراً على الأقدام، وهن في مقر الطائفة في مدينة هايشالي، توسلت بهن راهباتي بودا وقدمتا متورمتان ووجههن أضواء الحزن، أن يقبلها ومن معها من النسوة في الطائفة ولكن ذلك لم يكن أمراً معتاداً في ذلك الزمن، ولذلك عارض بودا مسألة القبول طويلاً بيد أنه في آخر المطاف وافق على قبول النساء في طائفة مستقلة شريطة بآديتهن شامة شروط. «القواعد الثماني العظمى»

١- على الراهبة أن تحني للرهب حتى لو كانت مكرسة قبله بمائة

عام، فتقوم له من مجلسها وتستقبله بالاحترام الواجب له

٢- لا تستطيع الراهبة أن تقضي الوقت الماطر في مكان ليس فيه

راهب

٣- عليها أن تطلب من طائفة الرهبان مرّين كل شهر تعانيد يوم

أوباساتها وترجّه إليه طالبة الإرشاد

٤ - عليها حين ينتهي الوقت المأطر أن تطرح عسى اجتماع الرهبان والراهبات ثلاثة أسئلة: هل رأى أحد ما شيئاً ما سيئاً بدر عهد أو هل سمع أو هل يظن شيئاً

٥ - وإذا ما خالف أباً من القواعد العظمى الثماني فيجب أن تعاقب في اجتماع الرهبان والراهبات مدة أسبوعين دنماً وتوبة ونكفيراً

٦ - من حقها أن تطلب من طائفة الرهبان والراهبات أن تتعاضد عليها بالأولاد والبنات، لكن بعد أن تتعلم حلال سنتين سنة واجبات

٧ - من يحرق يوماً في أي ظرف أن شتم الرهبان أو تعيرهم

٨ - يمكن للرأفة أن تطلب التصيحة من الراهب وليس الراهبة من

الراهبة

علاوة على الأشياء التي سمح للراهب اقتناءها، كان يمكن للراهبة أن تقس ستره وبدلة حمام. أمّا الثبرج فقد حرّم عليهنّ تحريماً قاطعاً ولم يسمح للراهبات بالعيش في الغابة، بن مرض عليهنّ أن يقمن في اسر أو القرى، وليس بمفردهنّ.

لقد كان بهذا يمانى مشكلات قصيرة في طائفته، فتتظلمها كان تنظيماً فريداً من نوعه أولاً، ثم يكن في الطائفة أي أثر شيع، الأمر الذي أعاق إدارة شؤون الطائفة ومع أن كبار الرهبان عدواً لأهم والأكثر تأثيراً، بيد أنه لم يكن لذلك أي نتائج عملية وما زاد الأمر سوءاً أن الانضمام إلى طائفة كان مفتوحاً لمن يشاء اس كان يمكن أن يجد لنفسه ملجأ هنا كل فرد من تأديه الخدمة العسكرية، أو تسديد دين أو كل من ارتكب جريمة، وكما كان الانسحاب من الطائفة حراً بدونه وهكذا كان كادر الطائفة متبدلاً غير ثابت. صف إلى هذا أن بودا كان يرسل رهبانه ليشعروا بتعاليمه في شتى أرجاء البلاد وعسماً كن هؤلاء يعودون كانوا يتحدّثون في أوساط الطائفة عن تعاليم، وروى وأنظمة أخرى اطلعوا عليها في أثناء رحلاتهم وكان من شأن ذلك كله أن يثير طائفة، ويدفعها إلى التمسك، وحياتاً إلى انصياع.

فألهامانارا مثلاً تصف لنا نزاعاً حطراً شب في الطائفة في العام التاسع من نشاط بودا التبشيري وكان النزاع قد بدأ عندما انهك أحد الرهبان ميثاق طائفة أثناء عياب المعلم فحسب اميثاق كان الرهبان ملزماً أن يقرّ بنتيه علماً ويعلم اسمه وثوبته لكن الراهب لمعني رهص أن يفقد المطلوب، هأهزت الطائفة طرده ولكن سرعان ما انتشر الصدام، لأن الراهب

المتنب كان به أنصار كثير ووصل الأمر حدَّ انعراك بين انتحاصيين على مرأى من المؤمنين
ووجه الرهبان انقادت حادثة إلى بودا نفسه:

«ارحل أبها، السيد والمعتم السامي، تنعم براحة المناس، صب اهتمامك كله وبمكيرك

كله لتعاليمك، فحسن نسا قلدرين على حل نر عاتنا، وحلقلنا من ميرنا».

ولم يجب بودا على هذا، بل قام ومضى. وفي اليوم التالي جمع الرهبان ووقف في

وسطهم وأمشب الأبيات الآتية:

«حال هو الصخب الذي أثاره ناس عديون. لا أحد يرى نفسه غيباً

عندما ينشأ النزاع في الطائفة ولا أحد يرى الآخر أعلى منه».

ثم تابع قائلاً:

«إذا لم نجد صديقاً ذكياً رفيقاً مستقيماً، ثابتاً، فعليك أن نجرب وحيداً

كذلك الذي ترك ملكته التي أضاعها كالنمل في غابة الغنسة من الأفضل

أن نجرب وحيداً، لأنه لا شراكة مع أحسن. وإذا نجرب وحيداً لا تقترف إثماً

وتبقى بلا هم، كالغيب في غابة العيلة»

وترك بودا أنصاره بعد ذلك ومضى إلى تلاميذه الذين كان يحبهم وقد وجد معهم

سكينة روحه، ولكنه سرعان ما تركهم إلى بارليانا. وأقام هناك في مقبرة معزولة يتمتع

بوحده وسكونها هكذا قضى بودا فصل الأمطار العاشر وتوجه بعد ذلك إلى جيتاهانا.

أما الرهبان المتبرِّدون فقد عاقبوا أنفسهم بأنفسهم، أو بمعنى دق، عاقبهم أنفسهم

إد هبؤو غصصهم وأمتعوا عن منحهم الحمسات ولم يعد لحديث ممكن عن أي إجلال أو

احترام فصارت طرُوف البعث مسحيلة. عندئذ جاء الرهبان إلى بودا يطلبون الصفح عما قُب

المدسين باسمهم ونهلاً، وصمخ عن الباقي

وقد وصفت لنا المصادر القصيدة كثيرة من مثل هذه التراجعات في طائفة بودا وبعد موت

هذا الأخير مثلاً، قال راهب يدعى سوبهاردا لأعصاء لتسائفة. «كفوا أيها لاهوت عن

النشكوى والشحن! إنه لحسن حظنا أن نخلصنا من الناسك العظيم لئلا أصاب بؤله هذا

يليق بكم وذلك لا يليق بكم. إننا نستطيع أن نضل الآن ما يطيب لنا. إن بعد وفاة بودا

سرعان ما تسعرت هلائمه

لقد كان مقبلاً لبودا أن يشهد سقوط مملكة سلالته لتساكية قبل وفاته برمس

طويل. والسبب الموضوعي لذلك السقوط واضح. مملكة صغيرة صغيرة عجزت عن لصمود

أمام ضغط دولة حياره ولكن المرشحين يبحثون في تلك المناسبة عن دوايح شخصية، وهو ما يرى أنه يحرف الجوهر الحقيقي ما حدث. فالعداء بين مملكة كاكابيلاديسو ومملكة كوكوسالا الجبل بدأ حينما انتزع هذا الأخير فتاة من لمملكة الساككة روعة له بالقوة فقد رأى الساككيون في ذلك هبة كبرى لهم، وأنشأوا أن الفتاة لم تكن تسمى يوماً إلى اسلاله الساككيه، وإنما هي مجرد أمة بسيطة تجمع ازهور. رد على هذا أن الساككيين حاولوا مراراً قتل وبى عهد كوكوسالا هرونشحاكي وما أن اسوى هذا على العرش حتى أحد يستند للحرب ضد الساككيين وقد أدرك الساككيون حميمه لخطر اذى يتهددهم، فطسوا من بودا أن يسوي المسألة سلمياً لكن مساعي بودا باءت بالفشل فلم تكن الكبرياء الحريجة وحدها التي تحريز ملك كوكوسالا، وإنما الضرورة الاقتصادية الملحة المتمثلة في ضم أراضي الساككيين الخصبة الغنية بعد دمرت كاكابيلاديسو عاصمة الساككيين وأبيد أكثر من مائة ألف من سكانها ومن نجا من الساككيين فر إلى نيال واسون المجورة الأخرى وعندها كانت المناسبة دائرة حاول بودا أن يوقف العزة بالمباحثات السلمية، بيد أنه شهد معيشة وقوعها بعد كان وهتد في أحد أفعال ضواحي لعاصمة مع تلمذه المصمى هسمع صخب المعرك، واصل السيف، وصرخ المجندين وأثأتهم لقد عجز بودا عن دري ما وقع فقال: (إله هدرهم)

أما حر شهور حياة بودا. فقد وصلت التفاصيل في مهابارتيانااسوتا لقد قضى آخر فصل أطار في قرية بيلوفا الواقعة على مقربة من فايشالي. قص مرض هنا مرضاً شديداً وب أن تعافى حتى قدم وذهب إلى كوشيناغرو، إلى عاصمه الملائسين. وتوقف في طريقه إلى هباب في قرية دافو، حيث لسوء حظه تناول وجبة عدا من لحم الخنزير الغني بالدهن، فأصبر ذلك كثيراً بصعته، ولما بلغ ضواحي كوسيناغرا كانت حافته الصحية قد ساءت كثيراً ولم يعد يقوى على المضي قدماً، لقد أصابه العطش فعاء تلمذه المحب للماء ليروي ظمأه القابل. ثم أعد له مضجعاً من بساط تحت الشجرة سالاً فاستلقى عليه بود وأسه نحو الشمال. فأحد التلميذ أبدا يبيكي وأخذ بودا يهدئ من روعه: «كفى يا أناسدا، لا تبتس ولا تشكو. ألم أقل لك، أنه يعني أن نمارق من نحب ومن نطيب لنا صحتهم؛ يجب أن نقدرهم يوماً، لا بد من ذلك. فكيف يمكن يا أناسدا لمن ولد، وشكل، وبسى، الأبقى، ألا يتهدد؟ إن هذا لا يمكن أن يكون أنت يا أناندا خدمت الكامل طويلاً بكل الحب والمجاهدة، لكي تعمل حيراً، نور رياء ودون ككل خدمت بقلبك، ولسانك وبديك لقد صنعت الخير يا أناسدا فحاول أن تتحرر من الإثم في أسرع وقت». وبعد ذلك رسل بودا أناندا إلى كوسيناغرا، يفعل ن بودا يحضر وفي تلك الأثناء كان سكان المدينة يناقشون شؤونهم

في مبنى المجلس، فقاموا من ثوبهم، مع روجاتهم وأولادهم ومضوا إلى سودا بائعين باكين فسجدوا للمعلم العظيم وتوسلوا الآلهة أن يبقوا على حياته وكان آتراهب سوبهارا آخر من حاطبه «آخر تلاميذ السيد» وبعدئذ خاطب بودا أتاندا بالكلمات الآتية: «لقد تحملت لكم يا ناندأ فكرة أن التعاليم فقدت معلمها، وليس من معلم بعد ولكن ينبغي ألا تنظروا إلى الأشياء هكذا يا ناندأ فالقانون والانضباط اللذين أعطيتهم لكم، سوف يكونان لمعلمين بعد موتي، ثم سأل بودا ارثمان ما إذا كان عندهم شك ما في تعاليمه فصمت جميعهم، وأدركوا أنها النهاية عندئذ تطق بودا بكلماته الأخيرة: «أيها الأبناء هذا ما أقوله لكم فإن كل ما يشأ، كونوا غيورين جداً على خلاصكم!». بعد هذه الكلمات ضد بودا وعيه وصوت.

ألقى أنورودها خطبة في الرهيمان دعاهم فيها إلى انتماسك، ومضى أسند ثابته إلى سكان المدينة وأعلن في هذه المرة موت المعلم فحرر هؤلاء حرباً عظيمة، وكرّموا المعلم أيب سبعة أيام متواصلة بالرقص، والغناء، والموسيقى، وأكليل الزهر، وحرق البخور وفي ليوم لسابع أحرق حتمس بودا في مكان مقدس يقع قرب كوسسافارا وقد حمل الجثث إلى مكان الحرق ثمانية من أشهر شخصيات المدينة. وحررت مراسم الحرق بالاحترام اللائق بالمعلم سيد العالم وورّع رماد الجثمان على محتف الأمراء والنبلأ. وبعد أن مات بودا رغب كل من مبعليه المشاهير اقتناء شيء ما من أشياءه التي تركها، ولما كان بودا قد مات بعد المائتين، فقد رأى هؤلاء أنهم أحقّ بامتلاك دحائره، وعدّوا أنفسهم ورثة الشرعيين. ولتكن الملوك ولسلالات النبيلة ألحوا على مطالبهم، فتوصلوا أخيراً إلى مساومة وزّعوا الأشياء التي تركها بودا على ثمانية آحراء، أحد كل من لدين صالوا جزءاً، ويقول المؤرخون، إن دورما حصل على الكأس التي كان بو. يقرب فيها عندما كان على قيد الحياة وبعد أن ورّعت الأشياء، وصل سميرماورياسام بيبهايمان. فأعطوه ما تبقى من المعجم الذي أحرق عليه حتمس بودا. وقد حاول هكن من حصل على شيء من أشياء بودا، أن يحتلّه فبنوا لتلك الأشياء أجرافاً من حجر وقرايب. ثم الأحرار فهي لم تن بالصبر على التناحار ابتي لا تقدر بثمن. هنخليداً لذكرى شخصته مشهورة أو حدث مشهور كانوا سنون مرتعاً ما وقد لا يكون هناك أي شيء داخل المربع المعني. وإذا ما كان هناك دحائر، فإن المكان الذي يوضع فيه يسمى دهنوعدريها: محزن اندحائر. وهكذا تكوّنت في السيمعانية كلمة «داهاما»، التي ينطقها الأوروبيون د عوبي وقد أقام ساكيو كابيلا هاستو بدورهم حرباً على وعد رماد بودا وقد اكتشف هذا البناء - الهصبه في العام ١٨٩٨م، على يدي عالم الآثار بيبي، على مقربة

من بير ما في تارسي. ففتح الباحث الجرن. وكان هناك أحجار أخرى. ولكن جرن بودا كان يتميز عنها بعشيسه وشكله. فعلى عمق ١٨ قدماً (٥٩٤سم. م) عثر على صندوق تحت صميعة حجرية كبيرة، وكان هذا عبدة عن حجر رمي ذي نوعيه عاليه شديدة الصلابة محفور على شكل صندوق. ويبدو أنه جيء به من مكان بعيد. وقد عثر في داخل الصندوق على وعاء نرير عليه النمر الثألي «هذه محمطة رفات السامي بودا من سلالة ساكي، بناء طاهر نقمة من أخوته، وأخواته، وأساتهم وروجاينهم». وعثر على إبناء من الكريستال قروب الوعاء مليء بحبيبات من الذهب على شكل نجوم وكان الإبناء مقطعي بفطاء على شكل سمكة كما كان في المكان أخص مرخرة مطعمه بالحجارة لكريمة وما يشير المصقول أن الحزن لم يمض حلال المين وخمس مائه عام ولهم لدى العلفاء ريب في أن ما عثر عليه هنا هو رفات بودا

سند يوفى بودا في الثمانين من عمره، فالعام المفترض لوفااته، هو العام ٤٧٧هـ.

تعاليم بوذا

مع ترايد معرفة الإنسان بالعدم المحيصة، كان يتبدل تصوُّره عن العلة الأولى لهذا العالم، عن بئاته، وعن أعراضه وغاياته فهي الأول لم يدرك الإنسان سوى مقاطع من العالم لحيدته، وقد رأى في كل منها إله ولكن مع ترمد عمق دراسته للعالم، أحد الإنسان نبي أن العلة الأولى لوجود كله لا يمكن أن تكون إلا ماهية واحدة، جوهراً واحداً وهذا كان يسمي أن تشمل تلك الماهية العدم كله، الكون كله، ولأنَّ العالم لن يكون نظاماً واحداً ثابتاً وبدا يكون الإنسان قد توصَّل إلى مفهوم الإله الواحد الوحيد الاوحد للكون كله وبهذا تكون قد ظهرت فكرة التوحيد. وبحسب كتابها في كتابها: «الإله، الروح، الخلود»، إلى أن التوحيد يتوافق مع لتصور المصدر عن بناء الكون. فوفق التصورات النسبية المعاصرة أن الحقل الإعلامي البيولوجي الكوني الواحد هو بالذات الذي يصمم أن تتطور فيه الحياة العاقلة، ووجود لكون كمنظومة واحد ثدت وكانت النواة قد عرست فكرة التوحيد، ففكره الإله الواحد بدقة ووضوح. أمَّا القرآن فقد جاء فيه

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا . . .﴾

(الأنبياء: ٢٢)

ولا شك أن كل باحث ذي تفكير سليم سوف يؤدِّد هذه الكلمات، بصرف النظر عن ميدان بحثه. في نظرية الشُّوء، أم في القريب الكونية، أم في لحصارات التوحيد خارج الكرة الأرضية. أم في ميدان الإيكولوجيا. وهكذا يعدُّ التحول من الاعتقاد بوجود كثير من الآلهة، إلى الاعتقاد بإله واحد حملوه جوهريَّة جعلت لإنسان أقرب إلى الحقيقة، وإلى فهم العالم الذي يعيش فيه فهماً صحيحاً، ولذلك فإنَّ أول ما ينبغي فعله عند دراسة هذه أو تلك من الديانات، ومقارنتها مع التصورات العلمية المعاصرة، هو تحديد مكانة الإله في اديانة المعنية ويعطي هذا في الآن عينه إجابة على سؤال مهم آخر. ما هو مكان الإنسان في هذا العالم هذا كان الإله واحداً، أوحد صانع كل شيء. العلة الأولى لكل شيء، فإن كل ما صمعه له

غاية محدّدة، وله الحق نفسه في العيش، في الوجود. وكان التوحيد قد تعيش رمزاً طويلاً مع العبودية والاستعباد فقد كان هذا في شريعة موسى كما في شريعة مانو لقد رتكب الإنسان إثمًا ضدّ الحقيقة، عندما عدّ جزءاً من البشر مخلوقات لم يخلقها الإله وفي واقع الحال إنّ فكرة التوحيد الحقّ تنمي اليهودية واللامساواة، وتعرّف للأحر بالحقّ في العيش كالحقّ الذي للإنسان نفسه

لقد شرّعت شريعة موسى بالتوحيد بصورة واضحة محدّدة وفي أزمنة بوذا دعوا إلى التوحيد في الهند نفسها. فهي ذلك الوقت كان قد اكتمل الانتقال من تعبد الآلهة (بسمسم)، الذي عرفه عصر القديسات، إلى الواحد (موفوتيريم). فقد صار الإله بعدد إلى ماهية كلّ الوجود دعوها «دتي»، «أنا»، أو برهما. والبراهمان، ماهية مقيمة في سكون أرضي، وهي مصدر كل شيء، وموجودة في كل شيء، وإليها يرجع كل شيء. لقد قُتِبت كهم تلك الأزمنة كثيراً من التصوّر المعاصر عن الإله الواحد ودعوه بالروح الكوني، بينما يدعو العلماء المعاصرون بالعقل الكوني، أو حقّ الإعلام الكوني. كما كان شئ تصور شبيه حدّاً بالتصور المعاصر عن كون روح كل إنسان جزءاً من الروح الكوني، وأنّ روح الإنسان تعود بعد موته الفيزيائي إلى الروح الكوني وهذا ما يقول به علماء اليوم، ولكن بمصطلحات أخرى، وتحديداً إنّ الصيغة الكلية للإنسان تعود بعد موت جسده إلى حقّ الإعلام الكوني. عدالك عن هذا أنّ العلماء اليوم يؤكّدون على أنّ الصيغة الكلية (الروح) المتبقية عن أيّ إنسان عاش على سطح الأرض في أيّ زمن كان، يمكن أن تكون مادة لإعادة صنع هذا الإنسان عيه، ولكن ليس على شاعده المادّة الآخيه. فالتألب لأمّ يبق، ولدينا لا يبق سوى أنّ تسخ منه نسخة.

ولكنّ بوذا رفض أن يصر بوجود الروح الكوني، البراهمان، الواحد، عامل استقرار البدء كله. وهو عندما أر ل العامل الأساس، فإنّه لم يبق له إلا الواح امتزج، المتبدل حتفاً، المتداعي بداته، الذي يندم داته. ولو بصيت في تعاليم بوذا بقطة الارتكاز الأساسيّة لروح الكوني، لكان رأي أنّ الميلاد ليس معابة، وإنما حلقة من حلقات النضام الواحد المتناسق للأشياء في الكون، وأنّ موت أيضاً ليس معابة، لأنّه وفق ذلك النظام عيه يعني ولادة جديدة، سعادة جديدة. بيد أنّ بوذا رمى بالروح الكوني كأيّ شيء لا لزوم له فتحوّل كل شيء عيه إلى مصدر للمعابة والألام. وحدّ قواه كلها ليعثر على وصفات للخلاص من الآلام العقلية لتي تلاحق الإنسان كل حينه وبرميه لروح الكوني يكون بوذا قد رمى في الآن ذاته بالإله لوحيد خارج العالم الذي تصوّره. ومثله مثل لابلاس لم ير أنّ تعاليمه تحتاج إلى فرضية وجود الإله الواحد. وكذلك لم يظلموا البوذيّ إذ يدعوها دين الإلحد، الدين الذي لا إله له.

والواقع أن كثيراً من أشهر المؤرخين الذين يرون أن الأمر لم يكن هكذا، قد أقرُّ بوجود الآلهة - الآلهة الشعبيين، نعم لقد أقرُّ بوذا بوجود الآلهة، لكنَّه تعامل معهم تعامله مع بلامذه كسالي، فعاملهم وفق مقاسمه، وأقرُّد لهم مكاناً بعيداً عن أن يكون لائق وعلى أيِّ حال فإنَّ العود من الاعتقاد بوجود إله واحد، بروح مكوبي و حد، من الاعتقاد بوجود كثرة من الآلهة الأثمين (الشعبيين)، بعدُ يحدِّدُ ذاتها بمكوصاً كبيراً ثانياً، إنَّ التَّصورات التي استخرجها بودا عن آلهة قُلما تتوافق مع كسمة «إله» أو «آله» فمرةً سال الملك يراسهناجيتا بوذا عما إذا كان الآلهة يعودون إلى هذا العالم أم لا، إذ كانوا يعتقدون أن قلوب نزوح الأرواح يسحب عليهم كدلتك، فأجابه بوذا قائلاً: «يعود من آلهة إلى العالم أولئك الذين شئتُ أسس لعودتهم، أي أولئك الذين ارتكبوا إثمًا ماء. فقد نُقِصَ هذا المعيار من الإنسان إلى آلهة؛ ذا ما أثمَّ لإنسان في هذه الحياة فإنه سيُبعث بالتَّأكيد إلى حياة جديدة وسوف يكرَّرُ بعنه هذا إلى أن يحقق الكمال ويرقى إلى المستوى الأعلى وتتوقَّفه سلسلة نزوح الروح. إنَّ لقد وقع الآلهة أيضاً داخل تأثر فعل قلوب نزوح الروح الذي كان بضني الناس. ومعنى هذا، أنه إذا لم يكن هؤلاء كليلي القدره، فإنَّهم ليسوا بآلهة! وهذا هو الواقع حسب بودا فالإنسان الذي يحقق الكمال في هذه الحياة - أعلى درجات الكمال، يمكن أن يبعث في الحياة لتلبية إلهاً. وهذا أمر رائع دون ريب، لكنَّ المقصود بالإله هنا معنى مغاير، فالإله هو قلوب ثابت لا يتغيَّر، صرْم للجميع، بفضلته يعمل انكون كله مسجماً متوافقاً كآليَّة ساعة ممتازة الصنع وليس الإله مكانه أو منصباً بمنح مكافأة على سلوت حسن

من الواضح إذن أن بودا ينف من الآلهة موقفاً غير لائق بهم ورأى أن الإنسان الذي يحقق الخلاص بمصل تعاسمه، يملك فوق الآلهة صف إلى هذا أن بودا لا يرى في التَّحوُّل إلى إله رغبة سامية وهذا من مفهوم أن بوذا يرى أن الآلهة حاصعون للإثم مثلهم في هذا مثل البشر وقد وضع هو نفسه لآلهة ولشعر في صف واحد معاً. وهذا مفهوم أيضاً لأنه رأى أن البشر يمكن أن يتحوَّلوا إلى آلهة ورأى بودا كدبت أن يسدرا نفسه لم يلع عضمته المعروضة إلا لأنه كان قد صنع الحجر من قبل. ومرةً زار بودا أيندرا بنصه وشرح له ماذا يعدُّ الرَّاهب أفضل من آلهة والبشر ولذلك فإنَّ كثرة الآلهة الذين يعتزُّهم بودا بوجودهم ليسوا سوى أدوات. وهو نفسه أعلى منهم على كل حال. وهذا يدهي بالتَّسبب للمعلم، لكامل خصَّة إذا كان هذا يسحب (حسب بودا) على كل رهب يعتقد تعاليم بودا. ولذلك أحرار بودا وجود كثرة من الآلهة، وأن لهم بمرافقته خلال رحلاته التبشيرية.

وهؤلاء الآله هم: براجاباتي، وآلهة الملوك الأربعة اعظام، وآلهة الموت، وآلهة السماء (توشيتا)، وآلهة السعادة اللا متناهية، والآلهة لتألقون، والعصرون، والشمسيون. والعضاء، والمصير، والهاميون وكثيرة كثيرة أخرى منهم ويمكن أن نزيد عليهم آلهة الارض، والمايات، والخشب. فتتجمع لدينا في نهاية المطاف مئات آلاف الآلهة. في زمن باتت فكرة التوحيد، الإيمان بآله واحد. وحده هي السائدة فيه ويسود فعلاً أن بودا لم يقف موقفاً حداثاً من هذه المسألة، كما لم يكن له موقف حداثي كذلك تجاه المسائل الأساسية لآخرى في ساء الكون هل الكون أزلي أم لا وهل هو مساء أم لا، هل الروح والجسد متدغمين أم متباينان، هل سوف يعيش الحكامل نفسه (بودا) بعد الموت أم لا فعندما طرحوا هذه الأسئلة عليه رد قاتلاً: إن معرفة مثل هذه الأشياء لا تمهد سبيل الخلاص.

ويرى اساحتون في بودية أن بودا لم يصح أي تبديل فسقي لتعاليمه. وكما رأينا فقد فض المسائل النظرية البحتة رفضاً قاطعاً. حمايته كانت واحدة. إقناذ الجنس البشري من الآلام، ولم ير أي أهمية لأي شيء لا يحقق هذه الغاية عملياً وقد أصاب أحد المؤلفين حين قال: إن بودا يعلم في العالم الدأخلي الذي لا يمكن دراسته بأي نظام فلسفي أو أي مفاهيم. فيالنسبة لبودا كان المحتوى، الجوهر هو الأهم، وليس الشكل، وكان الباحث المعروف في البوذية ولايرقد توصل إلى الاستنتاج الآتي «يتميز بودا تحديداً بإقصاء أي مسائل ميتافيزيقية من حيث المبدأ، وأن النظرية يتراجع في البوذية أمام العملي إلى حد يجعل أبرز سمات البوذية الحقيقية، هي اللامبالاة المطلقة تجاه كل ما هو نظري». إن الأهم في تعاليم بودا، هي الاخلاق العملية، فقد أعطى هذا المعلم الأهمية الأكبر للحياة الأخلاقية الصارمة. فبسر من أثر التمسك، حوهر نمائهم بود. وكان هو نفسه قد أصبح عنه بقوله: «الانصراف عن الآثام كلها، وعمل الخير، أي خير، وتنقية القلب، ذلكم هو قانون بودا» (دهامابادا). وكأنني به يعترف في هذه اقولة اعتراف غير مباشر، ليس بوجود الآلهة الذين يمكن أن يرتكبوا المعاصي كالإنسان، وإنما بوجود الإله الواحد المعصوم، ندرة اسدايات كلها، ومصير القانون الواحد للكون. وإلا كيف يمكننا أن نحدد بطريقة أخرى ما هو الإثم والإثم هو انتهاك القانون، القانون الواحد، قانون السامي الذي نحس به، ونتركه بوجودنا ولا يمكن أن تكون الآثام مختلفة حسب اختلاف البشر، والمجموعات، أو الطبقات لاحتماعية فالقانون واحد لجميعهم، ولذا فإن الاعتماد عنه أو انتهاكه واحد بالنسبة لكلهم فإذا كان القانون يفرض حباً القرب، فإنه لا يجبر لمختلف الناس تبعاً

لأنهم الدنيويون، أو لمكانتهم لاجتماعية أن نحسوا أكثر أو أقل. هالقانون هو القانون
بالنسبة للكل وهو نفسه الإله، ومطالبه واحدة من الجميع وعلى هذا المراد، فإن بودا
عندما يدعو الكل دون استثناء لترك الآثام كلها وصنع الخير، أي خير، فإنه بهذا لا يقدر
بوجود إله واحد أوحد وحسب، وإنما يصح أيضاً لجميع في تبعيته، في تبعيته قانونه، بما في
ذلك خلاص لإنسان

وتدور تعاليم بودا كما سلفنا، حول مسألتين اثنتين لآلام والخلص. وإذا كان
بودا يرى الخلاص في عدم «تسكاب أي إثم»، فإن هذا يعني أن الخلاص يتحقق عندما
لا ينتهك الإنسان قوانين الإله، قوانين بناء طبيعة، بل يعيش وفقها ومنسجماً معها وفي
هذا يمكن خلاص الإنسان والحنن لشري كنهه وبما أن الأمر هكذا فإنه يعدو من
الواضح لماذا عبت لبودية على الرغم من خصوصيتها القومية الساررة، ديانة عالمية
و نشرت في أشرق كنهه، ثم أخذت تستولي على الغرب أيضاً، بعد تراجع ما هو قومي
فيها «روح الروح» إلى المسق الثاني وبقي جوهر التعاليم في المقدمة لا تنتهك قوانين
الطبيعة، إنها القوانين التي يفصلها يعيش الكون، إنها قوانين الإله، وأحسن الخير إن
هذه الصنعة تلائم الشكل بصرف النظر عن الانتماء القومي ولون البشرة. صلباً أن الإله
عينه خلق البشر كلهم بعد قال بودا: «كما أن البحر عالمي، العظيم (المحيط) به طعم
واحد أيها الرهبان، هو طعم الملح، كذلك بهذه التعاليم طعم واحد فقط، هو طعم
الخلاص»

لقد صارت البودية إلى دين عبر أخلاقها العمليّة، وكان الحب هو محور الارتكاز
لأسس فيها والإله محبّه عند انضمامه إلى كنيسة البودية مكان المؤتمر. سمهد بأن يلتزم
بالوصايا الخمس الآتية

- ١- عليك ألا تقتل؛
- ٢- عليك ألا تسرق؛
- ٣- عليك ألا تعيش غير عفيف؛
- ٤- يجب عليك ألا تكتسب؛
- ٥- عليك ألا تشرب المشروبات المسكرة

ويمكن يحب ألا يكون فهم هذه الوصايا شكلياً، بل فهم عميقاً جداً ولا يمكن
للإنسان أن يتقيد بتميد هذه الوصايا إلا إذا همع أهواؤه. وبهذا يمد قلبه. وقد يتحقق

الخلاص بالحبّ «الحبُّ هو خلاص لقلب»، وقد قيل عنه، لكل لوسائل في هذه الحياة لاكتساب الفضل الديني لا قيمة لها أيها الرهبان، فخلاص القلب بالحصة العادسة عشر، من الحبّ فالحبُّ هو خلاص القلوب، بدخلها في ذاته ويشغل، ويتألق، ويفيض نوراً وكما أن ضوء النجوم كله لا يساوي الجزء السادس عشر من ضياء انقمر أيها الرهبان، إلا أن ضياء القمر يجمُّ ضوء النجوم في ذاته ويتبر، ويسطع، ويميض نوراً، كدس أيها الرهبان هبّ وسائل هذه الحياة حكماً لا قيمة لها لاكتساب المصل الديني ولا تساوي الجزء السادس عشر من نصيب الحبّ في خلاص المطلوب إنَّ لحبِّ خلاص الصوب، يضمُّها إليه، ويصيّ، ويتألق، ويفيض ضياء وكما يصعد الشمس في الحريم في آخر شهر فصل لامطار، إلى صفة السماء الصافية، وبطرر الديجور من الفضاء، ونصبي، وتتألق، وتفيض ضياء، وكما تضيء نجمة الصبح عتمة الليل في الصباح أبكر وتتألق، كذلك أيها الرهبان، كل وسائل اكتساب الفضل الديني في هذه الحياة لا تساوي الجزء السادس عشر من الحبِّ خلاص القلوب، الحبُّ خلاص القلوب، يصمُّها إليه ويصيّ، ويتألق، ويفيض نوراً». ويقول عن الحبِّ في مكان آخر «نُ من يصحّي أيها الرهبان صباحاً، وظهراً، ومساءً مائة قدر من الطعام ومن يمت صباحاً، وظهراً، ومساءً لومعة حب في القلب، فلهذا الأحمر نصح أعظم، وبذلك يحب عليكم أن تعلموا هكذا الحبِّ خلاص القلوب، وسوف نعتة، وتقويه، وسهّد له السسل، ونسويحه، ونمحه ونحفه، ونبدله بالشكل الصحيح»

إنَّ لمن يحب المزايا التالية: ينام جيداً، ويصحو جيداً لا يرى أحلاماً سيئة؛ يتعامل الناس معه تعاملًا حسناً؛ تقف الكائنات الأخرى كلها موقفاً جيداً منه، يحرسه الآلهة لا تؤديه النار، ولا يؤديه السمُّ، والسيِّف، وإذا لم يكتسب بعد ذلك شيئاً لنفسه، فإنه يمضي إلى عالم بودا (السَّماء الأعلى) وكان بودا نفسه قد جُئد أنصراً له «بإشباعهم بروح الحب». وقد قال بودا عن الذين كانوا يستمعون إلى موعظته «في أثناء هذا العرض تحرّرت قلوب الرهبان من الأهواء وجاء في تعاليم بودا أن قوّة الحب تروّض حتى الحيوانات المتوحشة وليس هذا مجرد تعبير معاري، فقد استطاع بودا أن يؤثّر على حيوان قفلاً «روح الحب» فتوقف الضل رافعاً حرمومه، وصار مندثر ألباً، وهككذ شاع بيت السمر الذي يقول «كثير هم الذين يروّضون بالعصا، والحطّاف، وسوط؛ ما لقدس العظيم فقد روّض العيل بغير عصا، بغير سلاح، وتلقّص سمعة الرقي صدّ الحيوانات الموحشة (خاصة الثعابين العمامة)، في

أنَّ الرَّاقي يَوْصَفُ عَنِ اللَّهِ بِحُبِّ الكائنات كلها الزاحفة، وذات اطَّرفين، والأربعة أطراف، وكثيرات الأرجل.

وبما أنَّ الحبَّ هو قاعده التعاليم، أساس بخلاص، إذن ينبغي بالضرورة الاهتمام بروح الحبِّ. وجاء عن هذا، في الميتسوتا سوْتَانِيَماتا ما يلي: «كم نحفظ الأمَّ لانها ابها، الوحيد حياتها، كذلك يجب بدء حبِّ لا حدود له للكائنات كلها، ينبغي إظهار حبِّ لا مثله للعالم كله لسمامي، وللوصيع، لمن يتسوى معنا، حبُّ بلا حدود، بلا عود، بلا صافسة ويجب على الإنسان أن يظهر مثل هذا الميل واقتضاً سائر، حالماً، مستصياً أو في أيِّ وضع كان. فهذه هي التي تدعى الحياة في لإله» وتتشكل الحياة في الإله من «أربعة لا تقاس، الحب، والرَّحمة، والمشاركة الودِّيَّة، و لسكينة لكنَّ الحبُّ هو مصدر هذه الثلاث الاحيرة ومعنى هذا أنَّ حبَّ القريب يُسمى من كل أعمال البرِّ الأخرى فلا يمكن أن تحسُّ محلَّه أيُّ قرابين، أو صلوات، أو شعائر وشكليات، إنَّ حبَّ القريب في البوذية يعني الكثير الكثير، إنَّه يعني أن تدوب في حبِّك له، كما قال الراهب أنورودها اندي كان يمش مع راهبين آخرين، إذ سأله ماذا وكيف يعيشون معاً: «إننا نعيش يا سيدي معاً بوقاق، بغير نزاع، بسلام وببظمر واحداً إلى الآخر بودُّ ونا أرى يا سيدي أنني راضع وسعيد يعيش مع هذين الكاهنين، لقد ظهر في داخلي يا سيدي حبُّ فعَّال (١) نحو هذين الجليلين، حبُّ ملء يدي، ولحمي، وقلبي، حبُّ عطني ومكوي. وأحياناً ما مرادوني الفكرة التالية يا سيدي ألا يمكنني أن أقمع إرادتي وأملك بإرادتي هذين الجليين، وقد سحفت إرادتي يا سيدي وأعيش بإرادتهما لأنَّه إذا كانت أحسادنا مختلفة يا سيدي، حينئذ كما أرى قلماً واحداً» وذلكم هو جوهر الحبِّ الصَّالِّ قلبك وقلب من تحب واحداً. وتلقَى بودا الإجابة عليها على السؤال عساه من الراهب الآخرين وتلك هي قاعدة لسانه البوذية، القاعدة التي تعدُّ الأساس الرئيس وتفوق من حيث الأهميَّة انقربين، والمُلقَّوس، والصلوات، وأعمال البرِّ الأخرى وإذا ما أدركت سبب هذا فإنه يمكنك تصدُّد أن تعي أنَّ البوذية لا تهتمُّ بالأخلاق ليستطه، وهواعد السلوك والعيش المشترك، بل بهذا الحبِّ الذي كلاً سبب فقد جاء في الجامابادا: «نحن نريد أن نعيش سعداء، بغير كره بين السعادين» نحن نريد أن نعيش بغير كره بين الذين يحكرونا» «أهمل الغضب بالرَّضى، وأهمل الشَّرَّ بالحبر؛ والنحن بالعطاء، والكفاء بالصدق» «واعبد، لا يهتكَّ العداء في هذا العالم، ليس بالعداوة بقهر العداء ذلك هو القانون الأروى» إذن تعلَّم البوذية أن تصنع الخير لمن يحكركم ولذلت عدت ديانة عالميَّة إلى جانب الديانة المسيحيَّة («أحبوا أعداءكم»).

وعني عن البيان، أنه ثمة تشابه بين وصايا المؤمنين الذين يمتثلون الوصية، ووصايا المسيحيين، وبكأن بدلاً عن الصيغة المسيحية المختصرة «لا تقتل» تقول الجاميكاسوت سوتانيتا: يجب ألا تقتل، ولا ترغم أحداً على قتل أي كائن حي، والأ تحبّد عندما يقتل الآخرون وإنما عليك أن تحذر من أن تسبب أي ذي للضحايا، سواء كانت قوية أو تلك التي ترتجف فرقاءً إذن حسب تعاليم بوذا لا تأثم ابدي بقتل فقط، بل من يأمر بالقتل يأثم كذلك ويشترك في لإثم أولئك الذين يشهدون القتل، أو يحرضون عليه أو بشكل غير مباشر ويحري الحديث في غصون ذلك عن قتل أي كائن حي وليس عن قتل الإنسان فقط. وبدهي تمعاً لها موقف التوذييين من الحرب، والصيد، والذباح الحيوانية فالإله هو الذي منح الحياة، وله وحده حق التصرف بها. وعندما يأخذ لإنسان هذا الحق لنفسه فإنه يركب بدمش إثمًا فاحشاً، فهو يأثم ضد الإله وضد القوانين التي تدبر شؤون الطبيعة. وبم تتف البوديه من هذا الفهم لوصية «لا تقتل» موقفاً إعلانياً فقط، وإنما كرسته في الحياة عملاً فأول رادة ملكية أصدرها الملك أسوكي بريادارشين «علب: «ها (في مملكتي) يحرم القتل وتقديم أي حيوان ذبيحة، ولا تقام أي ولائم لأن الملك بريادارشين حبيب لأله يرى في لولائم ضرراً كبيراً. ولعكس هالك كثير من الأعياد التي يحبّها حبيب الآلهة اسك بريادارشين لقد كانوا من قبل يحرقون آلاف الحيوانات لإعداد الطعم إلى مائدة حبيب الآلهة الملك بريادارشين. أما الآن، بعد صدور هذه لإرادة الملكية، فلي يحرقوا سوى ثلاثة حيوانات هاروسين وغرالا، وحتى لعزال ليس دئماً وسوف تتوقف مستقبلاً حتى من قتل هذه الحيوانات الثلاثة». وفي مرسومه الملكي الثالث عشر أعلن الملك أسحه المسمى للفظائع التي ارتكبت في مملكته من قبل

وتسعو الوصية البرقنية الأولى إلى الرأفة بالكائنات الحية فقد أعلن المرسوم انساني الذي أصدره الملك اتوصكي في كله ممكن من دولة حبيب الآلهة الملك بريادارشين، وعند حربه - أمر حبيب الآلهة الملك بريادارشين بأن يقام في كل مكان موعان من مراكز العلاجية: مركز لعلاج الناس، وآخر لعلاج الحيوانات، بحيث لا توجد عشاب تقع الناس والحيوانات، أمر بالحصول عليها وزراعتها وكذلك الأمر إذا لم يمكن ثمة حدود وثمر، أمر بإيجادها وزراعتها كما أمر بأن تزرع الأشجار وتحفر الآبار على طول الطرقات ليميد منها البشر والحيوانات؛

ومن حيث البدي كان حبّ القريب في الوصية، يجب أن يمتدح على الحيوانات أيضاً هالإنسان والحيوان خلقان في سلسلة الكون لواحدة متمثلتان في الحقوق. وليس في هذه

لعمامة ي خلقة لا لزوم لها أو أقل أهمية من الأخرى. ويحب ألا يستغل الإنسان بعض المراتب التي يمتلكها لكي يتعاضد مع الحيوانات على هواءه فالحيوانات لم تمنح للإنسان ليستعملها دون قيب، بل إن الإله صنع الإنسان كما صنع الحيوان على حد سواء. وللفريقين الأهمية عينها بالنسبة لعمل الآلية الكونية ككل.

إن هذا التأويل العربي العميق لحمل تقرب جعل البوذيين ينظرون بظرف خاص إلى الآخر، من أنبياء الديانات الأخرى، هالبوذية لا يدعو كما يدعو الإسلام مثلاً إلى رد الطلعة بلطعمه فمحمد برك القتال دفاعاً عن النفس، أي الحرب وغالباً ما «سئل» أسلمون هذه اساركة لبشر الإسلام بالحديد والنار أما البوذية فلا تصرُّ حقاً استعمال القوة في أي حال من الأحوال، ويرى كثير من المؤرخين أن هذا بالذات كان المنيب التكامرور، بسج الإسلام في إبعاد البوذية. ومع ذلك فإننا لا نملك سوى أن نمحني أمام وصية البوذية هذه فمجتمعا رأى أن الحب يجب أن يكون بالحكماء بيد أن هذا ليس حناً لقد كان صراعاً فقط، صراعاً مقدساً وخمياً، صراعاً ضد القريب وضد البعيد وإلى ما، انتهى إلى مجتمع ديمر أساس، ومثله مثل البيت الذي لا أساس له فإن ذلك المجتمع كان عاجزاً عن الوقوف طويلاً. وقد اهدر. فالصراع الفكري في مجتمعنا كان مليئاً بما ياقص التسامح، الذي مشروا به وحققوه في المجتمع البوذي. فقد أعلن المرسوم الثاني عشر الصادر عن توكي «إن حبسب الآلهة الملك بريادارشين يحترم المعاشر لدينه كلها، أحواله معها والمستمر، ووزع عليها العشاءات ويعبر عن احترام متماثل لجميعها ولكن حبسب لآلهة لا يعطي أهمية للعطاءات وإبداء لاحترام، بقدر ما يهتم لآردهار خصوصية كل معشر فاردهار خصوصيات المعاشر ادينية كلها متنوع، ولكن لأساس يجب أن يقوم في الحذر عند التحدث، في ألا تبالغ في مديح خصوصية معشر الديني ألا تحط من قدر خصوصيات المعاشر الأخرى دون أسس ثابتة، ويجب في كل ظرف مناسب أن تظهر الاحترام سدانات الأخرى ومن سلبت عكس ذلك فإنه بصر بدنه، ويعمل شرراً لسدات الأخرى. لأن من يمدح دينه دوماً ويدمّر لديانات الأخرى طناً منه أنه يرفع بذلك من شأن دينه، إنما هو يحمل له في واقع الأمر أذى كبيراً، فالاتحاد في فعل واحد، حيث يجم كل بعالم الآخر عن طيب حاصر».

وتقول ابروصية البوذية الثالثة: «يجب عليك ألا تسرق» وهذا جاء في كتاب جاميكا سوتا عن حد ما يلي «يجب على تلميذ بودا العاقل ألا يأخذ أي شيء من أي مكان، إذا لم يُعط له؛ وعليه ألا يطلب من أحد أن يحمل أي شيء، وألا يوافق أن يحمل

أحد ما شيئاً ما ليس معطى له عليه ألا يأخذ أي شيء غير معطى به، ولكن لهذه الوصية وجه آخر كتب عليه: «أنت يجب أن تعطى» فالكرم عند اليهوديين كالحب، ينف على رأس أعمال، نبر كلهم، والحقيقة أن لكهنة اليهود كانوا قد وعطوا بانكرم قبل بوذا، منذ زمن الربعميدا، فقد ورد في الجامابادا ما يلي: «لا يدخل البعلاء عالم الآلهة واحمق وحدهم لا يمجّدون الكرم، أما الحكيم فإنه يتلذذ بالكرم، وبدا يدعو سعيد في هذا لعالم». ومن المهم جداً أن يكون العطاء عن طيب خاطر وبرحابة صدر والمسيحية بمول أيضاً: إن الرب يحب لمنحاة الدين يعطون وقالت اليهودية إن من يعطي بفرح، ويعير طيب خاطر، لا يلقي سوى الأذى

ولا تطلب اليهودية من الإنسان أن يحب قريبه ويتقاسم معه رزقه وحسنه، وإنما ألا يتردد في بدل حياته فد، لتقرب إذا كان ذلك ضرورياً وجاء في الحوities أن الملك يجب أن يحظى بأربع خصال: الكرم، والود، والمجاهدة في شؤون الدولة، والإنصاف دون محاباة، لكن الكرم في المصام الأول. ومن المعروف أن لحكام اليونانيين أظهروا صغراً كبيراً دائماً همي مرسومي لاتوك بريادارشين الثالث والحادي عشر مديح للصفات الآتية. طاعة الوالدين، والكرم مع الأصدة، والأخارب، والبراهمن، والنسك، وعدم قتل الكائنات الحية، والاحكام عن دم أتباع الديانات الأخرى وقال المس في لمرسوم الثامن، إنه يستعمل في جولاته النسك، والبراهمن، والقيوخ، فيكرمهم وسورع الذهب عليهم وحسب المصادر أن كرم الملكين ابنهايساريكا وفيشيكيها كان كرمأ أسطورياً، لا ترال ذكره حة حتى يومنا هـ

وتقول الوصية اليودية الثالثة: «عيك ألا تعيش غير عفيف» ووصح الدشاميكاسوت معزى هذه بوصية على الوجه الآتي: «العاقل هو من يتمازى العيش غير العفيف، كما يصادى كومة جمر تنوئج، وإذا كان عاجراً عن أن يسلك سلوكاً عفيفاً، فعليه ألا يتناول على راحة غيره» فمعقاب انصاك قدسية الزواج ثقيل، وهو واقع حتماً حتى بعد ولادات كثيرة وقدلت الدشامابادا من هذا «رويداً رويداً» وفي الأحوال كلها هاتخلص العقل من الصدة، كما بفعل الحداد مع لمضنة. فالصدا عندما يظهر على الحديد فإنه يلتهمه شيئاً هشيناً، وكذلك الأرض تنقوده أفعاله إلى جهنم وصدا المرأة، هو سلوكها الفاسد هو سب للزاعات الآثمة في هذا العالم والعالم الآخر، «لا يحققي لأرضي الذي يتآلف مع روحه لأحر موى أربعة أشياء: الآثم، والمضاجعة بغير لذة، والمعقاب في هذه الحياة، وجهنم، إنه يقترب إنشاء، ولا يحققي معها إلا متعة بالنسة، لأنهما ميتين معاً

بالخوف، وينزل الملك به عقاباً قاسياً. ولذلك يجب على الإنسان ألا يتألف مع روجة الآخر،
وجاء في مصدر آخر: سوتائيانا ما يلي: «مَنْ يتألف مع زوجات أقاربه وأصدقائه، عوة
أو عن رضا، فهو ملعون»

وتعلن الوصية البرذنية الرابعة: «يحب عليك ألا تكذب» وعن هذا تقول
دهاميكاسوتا: «يجب ألا يمتري أحد على الآخر، لا في المحسنة ولا في الاجتماع وينبغي
الألجا أي كان إلى المكذب، والألمر عندما يكذب أحدهم، ولما يبقي نفسي أي
سرب من ضروب الكذب» وجاء في الكوكاياسوتا: «عندما يولد الإنسان تولد له في
فمه هأس يصيب بها الأحق نفسه إذ يدير حديثاً رديئاً ومن يمدح الذي يستحق الذم، أو
يذم من يستحق المدح، فإنه يقدف بلسانه ككذباً يائساً، ولا يحقق لنفسه بهن، سعده
وليس للكذب البائس الذي يحقق به أرباح بقية في لعبة الترد، أهمة؛ فالأهم بكثير
هو ذلك الكذب السائس الذي يرتكبون الإثم به ضد الآخر الصالح. ن من لا يقول
لصدق، ومن سمي أن يقر بما يكون قد فعله يمضي ككلاهف إلى جهنم؛ وسوف يكون
لوقف من هذين الوصيين بعد الموت في العالم الآخر واحد فعندما سمع أحدهم إنساناً
نقياً بريئاً واصفاً بئاً بالسوء، فإن الإثم يعود الفهمى ويقع على الأحق كلعار لرمي
في حة لريح، وثمة في هذه الوصية كلمات مثل «إنك ملزم ألا تقول عن قريبك إلا
كلاماً طيباً»، وهاكم ما قاله بودا نفسه في هذا الشأن بصدد أحد الرهبان: «إنه ترك
الافتراء، ككلام التهمة ما يسمعه ها، لا يقوله هناك كي لا يفرق بين هؤلاء، وما
يسمعه هناك، لا يقول هنا كي لا يفرق بين أولئك فهو بسوي بين لتحصين، ويرمى
بين المتحصين الوفاق عبطته، والوفاء فرحه. و لوفاق معاه وإنه يصلو أكمت التي
تصبح الوفاق ويحجم عن قول الكلام التمت يترك الكلمات القطة، فهو لا يقول إلا
كلاماً عميماً تطرب الأذن لسماعه، كلاماً محبباً يمضي إلى لقلب، كلاماً مهدياً ودنياً
يشرح له صدر الناس» ومن الوصح أن يود يصح البشر كل البشر، وليس الرهبان
وحدهم يمثل هذا الملو

وتنص الوصية البوذية الخامسة على الآتي: «عليك ألا تشرب مشروبات المسكرة»، ويقول
اندهاميكاسوتا في هذا الصدد: «على من يلتزم بهذا العابون (أي يتعاليم بودا)، ألا يشرب
مشروبات مسكرة وألا يدعو الآخرين لشربها، وألا يوفق على شربها عندما يشربها
الآخرون، لأنه يعرف أن نهاية السكر أجوب فالحمقى يشربون وهم سكارى، ويجمعون من

الأحريين مسكارى. حب درء هذا الإثم الذي يثير الحنون، ويقود إلى لرغونة، والغبي وحده يرى الأمر حسناً.

هذه هي الوصايا الخمس التي يجب على النوبي أن يترجم بها ومن لا يفعل فإنه حسب اللهامانادا، يقتلع جنوره يديه.

وتتضمن البوذية خمس وصايا أخرى للرهبان فقط. لا تأكل في غير الوقت المحدد؛ لا مشارك في لرقص، ولفناء، والموسيقى، والعروض ولا تستعمل لكاليل والعطور والحلي ولا سم على سرير عالٍ واسع؛ ولا تقبل الذهب والفضة ويصبح المؤمن بالالتزام بالوصايا الثلاث الأولى، إذا لم يمكن التراماً كاملاً، ففي أيام معينة في أقل تقدير وهذه الأيام هي في المسام الأول أيام لأويافاسها التي توافق أيام الاحاد عسدي. كما أصبح المؤمن بالتقييد بهذه الوصايا استلثت في أيام انتصاف صمر، وظهور الهلال، وكذلك في كل ثامن يوم بعد انتصاف صفر، وظهور الهلال. فالأيام المذكورة ليست ملائمة حسب الشروط الكونية، لصعته لإيمان (تظهر في الأيام المعينة شؤدات حركته لجاذبية) ولذلك ينصح الناس بعدم الإقبال على الجسم في الأيام المعينة، وعلى وجه العموم فإنه من المفضل أن يستريح الجسم من أعبائه يوماً واحداً كن أسوع وتدعي هذه الأيام «أيام الصوم» وقبل الوثقة كان يوم الصوم يسبق مباشرة يوم قريان السوما اكبير. هالفت اسودية الذبائح وزامت أيام الصوم بذلك واصبح مع الشروط غير الملائمة لمرتبطة بوجود شؤدات حركة الحادثة

في هذه الأيام المتديرة، أيام أويافاسها التي تدعى في البوذية أيام التوبة، يرتدي المؤمنون ملابس احتفالية ويمتنعون عن تادية أي أعمال، وعن المباح، الديوية فيمضون إلى الكاهن ويعطون به أنهم سوف يلتزمون ليوم بالوصايا الشامي كاملة

لقد حشر المسيح يوماً من أن من يحطى بصره، فهو حاض في الواقع العلي فالإنسان الظاهر هو من لا يأثم لا بفكره ولا بقوله، ولا بفعله وقد سميت البوذية آثام الإنسان بوصوح وفق هذه العلامة. فآثام الفكر، هي الآخرة، والحقد، والميل نحو الشك، وآثام القول، هي الكذب، والتهمية، واللغس، والآثرة التي لا طائل منها وآثام الفعل، هي القتل، والمرفقة، والعلاقات الحسية المحرمة وآثام هذه الفئات الثلاث، وهي عشرة آثام سالتهم

ولكن الدستور الأخلاقي البوذي ليس شيئاً م متحصراً لا يصلح إلا لقصع رسمي معينة. فحسب رأي المتحصين أنه «مكلوء بالحساس البشري» ويمكن هذا الدستور قد

عرض كما ملأ في سيمالوفاداسود دقها سكاي وبضبط الدستور العلاقة بين الوالدين والأساء، وبين لعلم والتلاميذ، وبين الزوج والروحة، وبين السيد و الخادم، وبين الأصدقاء، وبين المؤمنين وارهبان وهذا حدد الدستور بدقة ووصوح ككل هذه العلاقات وسواها من العلاقات الأخرى. وها نحن نسوق هنا بعض مصوص هـ الدستور فمن العلاقات بين الوالدين والأبناء، يقول النص «يجب على الابن أن يظهر احترامه لوالديه في خمسة ميادين عليه أن يقول: سوف أطعمهما كما أطمعاني: سوف أعمل من أجلهما: سوف أوصل سلاتني سأشارك في ملكية إرثي: سوف أقيم على واجبهما عندما يموتان» وعلى الوالدين أن يظهرأ دورهما حثهما لأنهما في ميادين خمسة: أن يمنعا عن قتراف الإثم، وأن يرشاه إلى العمل الصالح: أن يعلماه شيئاً ما يتبع منه في حياته أن يجدا له زوجة مناسبة: أن يتركاه له تركبة» وعن العلاقات بين السادة والعبيد نص الدستور على ما يلي «يجب على السيد أن يبدى اهتمامه بخدمه في خمسة مبادن: أن يكلفهم بأعمالهم كن حسب قدرته: أن يطعمهم ويكافئهم: أن يمنى بالمرضى منهم: أن يسبحهم الراحة وقت الضرورة، وعلى الخدم بدورهم أن يظهرأ حبهم لسيدهم في خمسة مبادن: أن يبهضو صسحاً قبل أن ينهض: أن يخلدوا ليوم بعده: أن يرضوا بما يقدمه لهم: أن يؤدوا أعمالهم جيداً: أن يقولوا هه هوأ حسناً، وتقول الخاتمة: «إن لكريم، والكلام للطيف، ولحاضنة الودية، وإنكار الذآت في الموقف تجاه الكائنات كلها في كل مكان يتطلب الأمر فيه مثل هه الموقف، هي صفات بالنسبة للعالم كالصورة بالنسبة للذوالاب ولو لم تكن هه الصفات موحودة، ما حظى الأب أو الأم بحرام أسائهما وبذلك ترى الأذكيا، يسبون الاهتمام كنه بهذه الصفات يساركونها ويمحذونها»

تقدمأاد عرض تعاليم بودا كما نذكر انباري لكريم من اللحظة الرئيسية فيها، والتي تتمثل في عدم اعتراف بودا بوجود آله واحد، ومهدته لعكرة وجود كبره من الآلهة لدين أدنى مقماً منه نفسه، ومع أن هه لشبهة مصطل بتقريباً لحظة بعتراف بودا بوجود لحيطة (ليس بمقدور أحد أن يحدّد ما هي الحيطنة، لإثم، سوى الإله الواحد الأوحد)، إلا أنه ترك أتباعه بغير صلاة: لأنه ليس هناك من ترفع اصطوات إليه، هشة كثره من لابة ادمن لا يستحقون ذلك، ولا يوجد حسب بودا، له واحد أمأ الصلاة لبودا عبه فهي وهق بعاليه أمر لا حدوى مه لقد انتقل إلى الترفنا، ولم يعد موحوداً ونحن لا يتصلى لنا سوى أن نبدى أسعد لأنه ليس لدى البوذيين من يصبرأ له ونأسف لأن بودا عدّ نفسه أسمى من الآلهة، وسلب المؤمنين مثل هه الوسيلة للإصلاح، والتوبة، وبداء الحب اللا متناهى أدنى

يتمثل في الصلاة الصادقة المرفوعة إلى خالق الكون الكلي القدرة، إلى خالق كل منّا،
 أي أسا. فكيف يمكن أن يعيش المرء دون أن يقرأ كل يوم بكل الحدا والامسا: «أبانا
 الذي». ثم يوصي بودا بأن يُصلى له، لكنّه لم ييخل على نفسه بالتمنّات. وهماكم بعض
 منها، تلك التي اندرجت في عهد الطالب الجديد بطريق القداسة شينغي على هذا أن يصول
 عن بود: «إنّه هو السامي، المقدّس، الكامل المنعوت، مالك المعرفة والسلوك الأحلاهي في
 الحياة، لكامل المثيّن، الأعظم، مروّض البشر المشرّية، معلّم الآلهة والبشر، بودا
 الرّب، فليتبارك قانون الرّب (أي قانون بودا).» والكلمات الأكثر تواضعاً من كل ما قيل
 هنا هي «معلّم الآلهة ولبشره» وقد قيل عن بودا في النصوص القديمة: «ليس له مثيل بين
 الزواحف، وثوث الساقين والأربع، ولا في عالم الأشكال، ولا في عالم الهلاميات، ولا
 بين الآلهة، ولا بين البراهمن ولا يمكن أن يمارن مميزات ابراتيكا بودا مجرد مقارنة بودا
 لكاس ولا يمكن لأي كان أن يعيس عظمته ومجده وإلا ما كان لأحد ألف رأس. وفي
 كل رأس مئة فم، وفي كل فم مائة لسان، فإن مرء كونيّاً كاملاً لا يكفيه لعمد صمات
 بود وحده...» ثم سي لنا أي شيء نقوله فالشرق هو الشرق لقد ظهر بودا ولم يبق ثمّة
 ممكن للإله الواحد

بوذا والأخلاق

فلندرس الآن بالتفصيل موضوعات بوذا الأخلاقية ووصاياه

الوصايا الخمس الأساسية

- ١ - تَبْنُ وصية الإحجام عن لُقْبَل
- ٢ - تَبْنُ وصية الإحجام عن لسرقة.
- ٣ - تَبْنُ وصية الإحجام عن لُرُتِي
- ٤ - تَبْنُ وصية الإحجام عن لكذب
- ٥ - تَبْنُ وصية الإحجام عن المشروبات المسكرة.

وصايا بوذا

- ١ - لا تقتل.
- ٢ - لا سرقة.
- ٣ - لا تزني.
- ٤ - لا تكذب.
- ٥ - لا تشبه.
- ٦ - لا تتحدث بجلالة.
- ٧ - لا تشتم.
- ٨ - لا تتناول على ملكية الغير.
- ٩ - لا تكره.
- ١٠ - فُكَّر بتقى.

الأعمال الفاضلة

- ١- اصنع الإحسان مع مَنْ يَسْتَحِقُّ
- ٢- راع وصية السلوك الأخلاقي
- ٣- ازرع التوايا الطيبة رُثًى
- ٤- اصنع المعروف مع الآخرين، واهتم بهم
- ٥- احترم وادب كبار السن، واعتن بهم
- ٦- قاسم الآخرين منافعك
- ٧- اقبل لمحبب التي يعطيها الآخرون لك.
- ٨- بشر بالتعاليم الصالحة

احذر ظلاً

- ١- هل يُعقل أنك لم تفكر يوماً بأنك خاضع لفعل الشبهوخة، وأنك عاجز عن تعديها؟
- ٢- هل من المعقول أنك لم تفكر يوماً بأنك معرض للمرض كغيرك، وأنك لا تستطيع أن تنفك ذلك؟
- ٣- أيعقل أنك لم تفكر يوماً بأنك سرور موت، وأنك عاجز عن الخلاص من الموت؟

لقد صاغ بونا في موعظته الأولى المبادئ الأساسية لتعاليمه (دينه)

لا يبحث بوذا عن الخلاص في التَّنَسُّك ولكن لا يبغي لهذا السبب أن
تظن أنه يستغرق في اللذائس ويعيش عيشة مفتحة. لقد عثر بردا على
«الطريق الوسط»

فلا الامتناع عن أكل الأسماك واللحوم، ولا التجوُّل عارية، ولا قصر شعر
الראس، ولا إطلاق الشعر منفوشة ولا ارتداء الثياب الحشنة، ولا انشؤات
بالأوساح، ولا تقديم القرابين لأعني بظهر الإنسان الذي ليس متحرِّد من
قيود الضلال

إنَّ قِراءة المِعدَّات وتقسيم استقلِعات للكهنة، ولشُبانح للآلِهة، وترويض
الحِند بلِغرُ أو البرد وكثرة الزُهد هله التي تُوَفِّي كلِّها في سبيل بلِوع
الخلود، لا تظهَر الإنسان إذا لم يكن متحرراً من الصَّلَال.

ليست الوحية، السحمية هي التي تصع الدُّنس، بل الغضب، والسُّكر،
والمنعوت، والتعصُّب، والكلب، ومديح الذات، واحتمار لأحر، والمطرسة،
والثَّواب الشُّريفة هي التي تدُّنس الإنسان.

اسمحوا لي أنْ أعلمكم الطريق الوسط، التي تمرُّ محاوِزة الشُّعْطَين معاً.
فعن طريق الآلام يخلق المؤمنُ المنهتَ الموضي في عقبه، فينتج أكلواً مختلة.
ولا يقضي فمع الذات حتى إلى معرفة الدُّنيويَّة وهي أبل بكثير جدُّ من
الضروري تتحصنُ النَّصر على، لأحلسيس!

إنَّ مَنْ يملأ قنديلَه بلِلاء لن يستطيع أنْ يبلد الظلام، ومن يحاول أنْ
يشمل قندين أنر يحطب عِص، سيمنى بالفشل.

فمهر الجسد لا فائدة منه، إنَّه يطلان وضى. وكيف يمكن لأني كل أنْ
يتحرر من أنانيَّة بوساطة حياة مائسة إذا لم يكن قد نجح في إطفاء نار
الرهبات؟

إنَّ كلَّ مريض يطل مأفاب الأنانية الذاتية باقية، وتواصل اختيارات
يجذب إلى المتع الدُّنيويَّة والمنع السماوية ولكنَّ مَنْ حيثُ فيه الأناسة
الذاتية، حرُّ من الرعيات، ولن يتمنى لا رغبات دنوبة، ولا متع سموية، ولن
مدُّسه إشباع ضروريَّاته الطَّبيعيَّة، فليأكل ويشرب حسب ما يطلُّه جسمه.

فلله يحيط بزهرة اللونوس، لكنَّه لا سبل أوراقها، ومن جهة أخرى، بـ
حساميَّة الأنواع كلها نسلب القوي. والإنسان الحساس عبد أهوانه، أم
ليبحث عن المتع فهو ساقٍ وقطُّ ولكنَّ إشباع الضرورات طُبعُة للحياة
لا بعدُ شراً. فلحفاظ عى لجسد سيماً معافى، وأحب مفروض، وإلاَّ سوف
تكون عاجزين عن تنظيم شؤون قنليل الحكمة، ولن يستطيع أنْ يحفظ
على عقلنا قوياً وحلياً.

أما قواعد دوران دولاب القانون الأعظم التي وضعها بودا فهي أيقال إنه هو من عيّن الدوران

إن إسر الدولاب هي سلوك النقي؛ والعدالة هي مماثل أطوارها؛
والحكمة إطارها؛ والتواضع والتفكير العميق هما الإبرة التي يثبت فيها
محور الحقيقة.

إن من يعي رجود المعاناة وأسبابها ووسائل معالجتها ووضح حدّها،
يعي في الآن عينه الحقائق الثبينة الأربع وهو يسير على الطريق الصحيحة.
وسوف تكون الرؤى السديدة مشاغل تبرز طريقه والنوايا الطيبة مرشده
والكلمات الصالحة منارل في طريقه. وسوف يكون مشيئة مستقيمه، لأنّ
دلت هو سلوك القويم. وسوف تحلّد نراه الوسيلة الصحيحة لكسب
مراد عيشه. وستكون الجهود الثميلة حضاراً والأفكار القويمة تنفّسه؛
وتتعبّق السكينة اثر حمله.

إنّ كل ما أحدث سوف منهز ثابته. ولذلك فإنّ كل قلقك على نفسك
ضرب من العبث. إنّه كالسراب وكل الرأي التي تنتمي إليه عابرة فهي
سوف تختفي كما يختفي الكبوس عندما يصبح النائم.
إنّ كل صاحب متحرر من الخوف فهو يعرف بصلان ساعه الأمانة كلها،
وكذلك الإمه.

معبوط من تجاوز أناليته كلها معبوط من حقق السلام؛ معبوط من وجد
الحقيقة.

للحقيقة عظيمة وحلوة الطعم؛ إنّه قاذرة على أنّ تحركك من الشرّ.
وليس في الكون خلاص آخر سوى الحقيقة.

كن مؤمناً بالحقيقة حتى لو قد تكون عاجزاً عن إدراكها؛ حتى لو
أحسست حلاوتها مراراً حتى لو أردت تصديقها في بلدي لأمر، أمس بالحقيقة.
إنّ لحقيقة تكون أعظم ما تكون عندما تكون هي نفسها. وليس بمقدور
أحد أن يغيرها أو يحسّسها. كن مؤمناً بالحقيقة وعشها.

إنَّ الأخطاء نزعك عن الطريق، والأوهام تلد المعاناة. إنَّه تسكر
كالكحول، لكنَّ تأثيرها سرعان ما يزول، وتتركك وأنت تحسُّ بالألم
والاشتزاز.

و لأننا وبلنا حلم حابر؛ أما الحقيقة فهي منمرة، وعظيمة الحقيقة زُلَّة
فليس الخلود موجوداً في أيِّ مكان، إلا في الحقيقة، لأنَّ حقيقة سبقي دوماً
إنَّا قرَّر الفرد وحيداً أنَّ يحصع للحقيقة، فقد يصعب؛ وقد يعود
الفهري إلى صريته القديمة. ولذلك كونوا معاً، وليساعد واحدكم الآخر،
ويثبت قواه.

كونوا كالأخوة: موحدين في الحب، موحدين في القداسة موحدين في
سعيكم إلى الحقيقة.

اشربوا الحقيقة، وعظمو بالتعظيم في أرجاء الكون كسهل كي تغدو
المخلوقات الحية كلها في آخر المطاف، مواطني مملكة العدالة
عيشوا حياة مقدسة من أجل أن يُقصع دمار المعاناة.
وقال بونا عن المعاناة،

أنا لا أنتظر ثواباً ولا حى ولافة أخرى في السموات، ولكني أسمى
الخير، بشر، أريد أن أعود الفهري بأولئك الذين يعمهون في نيل الضلال،
وأطرد الألم ومعاناة كلها من عالم.

ولكني من أجل هائي الألف الكل وأودهم، فإن أجرة الود والملاطفة،
لأنني أرى أن أهد سبل السعادة لكننت الحية كدها
لا تسبب للأخر ما يكمن أن يكون سبباً لمعانك.

الترم طريق الراجب: أظهر الطية لأخوتك واعتفهم من الآلام.
فليكن مسروراً من جميعهم كل من يسبب الألم والآني للمخلوقات الحية
وكل من لا رحة في قلبه يجهل.

إنَّ حب الخير للمكائنات كلها هو الدين الحقيقي، امنؤوا قلوبكم بحب
لا مثله للخير لوجود كله.

لا تدع نفسك تقلق، ولا تدع كلمة الشر تخرج من بين شفثيك ابن حياً
للخير، ودوداً، مليناً حبه ولا تصمر احتقداً بل انحط من لا يحب الخير بالوايا
الطيبة وسعة الصدر النقية من غصب وكره.

إن السمات التي تميز لدين الحقيقي، هي حب الخير، والحب، والصالح،
و لطهارة والنبل، والرحمة.

الكائنات كلها تسعى إلى السعادة ولذلك كونوا رؤوفين مع جميعهم.
فالكره لن يقطع دابر الكره يوماً في هذا العالم. والحب وحده القادر على
وضع حد له. إنه قانون قديم.

إن التسامح وقبول الآخر هما الشك الأعظم
فالراغب في تحقيق سعده لذاتية وبسبب الألم للآخر، لن يتحرر من
الكره وسوف يتخبط أكثر في شباك الكره.

فليزرع حب الخير للعالم كله وود العقل اللا متناهي من فوق ومن تحت
وفي الاتجاهات كلها، يتحرر من الكره والبغضاء.

وكما تحاطر الأم بحبتها لكي تحمي ابنها الوحيد كذلك سيفعل من
أدرك الحقيقة وينمي حب الخير اللا متناهي نحو الكائنات كلها.

ودون أن يعطي أي أفضلية، فليزرع حب الخير تجاه العالم كله، بدون
معيير، وبغير شائبة، وبغير أن يحالطه أي شعور آخر يصنع عيباً

الإنسان الرحيم، القلب محبوب من جميعهم، وصدافته تعذر تقديره عالياً
جداً، قلبه لحظات الموت ساكن مليء سعادة وفرحاً، لأن الندم لا يعدبه إنه
يشقى زهرة ثوبه التي تفتحت الآن والثمرة التي طرحتها تلك الزهرة.

لا يمكن أن يتحقق الخلود إلا بأعمال الخير المتواصلة ولا يحقق الكمال
إلا بالرحمة والرأفة، فالقلب غلب هو الضرورة الأكثر إلحاحاً.

وعبر بوذا عن موقفه من العقل على أوجه الاتي
لعقل هو بشير كل عمل؛ والعقل هو الطاقة الأعظم بين صفات
الأحاسيس لأخرى كلها فكل الصورات النسبة تستمد مبدأها من العقل

والعقل هو السِّلَف المشر لكل إدارك؛ وهو العنصر الأكثر دقة بين عناصر الطبيعة المثلثة. إن كل وعي بالأشياء يلقى مبدئه من العقل والسَّعة هي الرِّفْق تُتبع لكل من يتحدَّث ويعمل بعقل نقيّ.

«إنهم يكرهونني، إنهم لا يفهمونني، إنهم يجهلونني»؛ إن من يحسن مثل هذه الأفكار في عقله، لن يستطيع يوماً أن يتحرَّر من الأسباب التي تسبب الدمار الدَّامي.

إن من حقَّق السيطرة على ذاته هو بحق فائز أعظم من هزم ألفاً من الأعداء؛ إنّه أقوى ألف مرّة من ذلك الذي لا يزال عبد أحاسيسه الطَّبِيعِيَّة.

فالذي يطوف عقله بحثاً عن المفاخر والعظمة الظاهرية، ويعجز عن السيطرة سيطرة تامة على أحاسيسه، ويأكل طبعاً قنراً، ويتعاس، وتنقصه الخلق القويم، والشجاعة، فسوف تقطعه الجلافة و سبية كما تنسف العاصفة الشجرة اليابسة.

وكما تنفذ قطرات المطر إلى البيت الذي لا يغطيه سقف جيّد، كذلك يتفد التعتُّت، والكراه، والوهم إلى العقل الذي لا يميل نحو التأمل.

إن من لم ترطّب شهوات عقله، ولم يقهره الكره، ومن يرفض الخير والنشر معاً هذا الإنسان اليقظ لا يعرف الحرف.

إن ألقب العله في الصَّلال يتسبب للإسان بأنى اختلص بكثير من الأذى الذي يسببه له الدُّ أعدائه.

ويصعب كثيراً حماية العمل العلق الذي لا يستغنى على حال، من لصعب أن يظل تحت السيطرة؛ لكن الإنسان الحكيم يخضعه للنظم كما يسوي الخرق الماهر السهم.

فالسيطرة على العقل أمر صعب وثاقه لأن العقل مكر، متحرك زلق، يخلق في كل مكان، حيث يرحب؛ ولكن الإمساك به ونيادته عمل صالح؛ لأن العقل الخاضع للسيطرة موشد نحو السَّعة

ومن عقله غير ثابتة ولا يعرف التعاليم النبوية، وإيمانه متارجح، فإنه
لن يعرف الحكمة الكاملة يوماً

لأنه عزول بعيداً، والمتجول وحيداً، بغير حسيه والمصحح في كهف (موقع
المعرفة)، هو العقل.

إنَّ ما لا يستطيع أن يفعله الأب، ولا الأم، ولا أي شخص آخر من
الأقارب يفعله العقل بالطريقة المثلى؛ لتفوق بهذا على الإنسان
ومهما كان الأذى الذي يوجهه أحدهم للآخر، فإنَّ العقل الموحد يوجهها
أحق يمكن أن يتسبب بأذى أعظم.

إنَّ ما لا يطق في الواقع لعمله، هو فساد التمثل؛ وما ليس أتيقاً، قدرة
الحسم. والكسل فساد الأحاسيس؛ وعدم الاستقرار فساد لعقل
والإنسان اليقظ لا يعرف الخوف، لأنَّ عقله خالٍ من الرغبات الشهوانية
إنَّ الإحجام عن فعل كل شر، وإقدام على فعل كل خير، وتنمية
العقل، تلك هي تعاليم بوذا.

عظم العقل، والبحث عن الإيمان، الصلح بعزيمة صلبة، ولا تنتهك قواعد
السرك القويم، ولا تسمح أن ترتبط سعادتك بالأشياء الخارجية، بل
بعقلك أنت.

ما هي «الآلة»؟ يقول بوذا عنها ما يلي

إنَّ من يعرف طبيعة ذاته، ويفهم كيف تتحرك أحاسيسه لا يشعر على
مكان «الآلة»، وهو بهذا يحقق السكينة المطلقة. إنَّ للعالم فكرة عن «الآلة»،
ولكن ذلك يخلق تصوراً كاذباً.

وبرى بعضهم أن «الآلة» بمعنى بعد الموت، ويقول بعضهم الآخر إنها
تهلك ولكن هؤلاء وأولئك على خطأ ويستحقُّ حظهم هذا عظيم الأذى
لأنَّه إذا قال المرء إنَّ «الآلة» ثابتة، فمعنى هذا أنَّ شئراً الذي يعملون
من جسيها ثابتاً أيضاً، ويوم ما لن يكون لها وجود وليس ثمة مأثره في مثل
هذا الخلاص من الذات الآتية

ومن جهة أخرى إذا قالوا إن «الأنا» لا تفنى، فإنه ليس من الحيلة والموت
سوى شخصية واحدة، ليس مولودة ولا غريبة وإذا كنت «أنا» هؤلاء
هكذا، فإنها لا يمكن أن تصير كاملة بواسطة انصهارات «الأنا» الثابتة التي
لا تتغير لا يمكنها أن تتبدل يوماً لأن الشخصية سوف تكون عندئذ سيّله
مائلة، ولن يكون ثمة معزى في تحسين الكامل؛ ولا ضرورة في المطامح
الأخلاقية والسعي إلى الخلاص

لكننا نرى الآن علامات الفرح والحزن، فليس الثبات؟ إذا لم يكن الذي
يؤتي انصهاراتنا هو «الأنا» فإن هذه «الأنا» لا وجود لها إذن؛ والأفضل ليس
وراءها فاعل، والمعرفة ليس لها عارف، والحيلة ليس لها سيّله

والآن شبهوا، وسعوا، تتلصص الأحاسيس وموصوعاتها، يولد من
انصهارها الشعور، ويفضي هنا إلى التذكّر. وكما تشعل أشعة الشمس النار
بواسطة المرأة المقفرة، كذلك يولد من المعرفة لمصطرة عن الإحساس
والموصوع ذلك السيّد الذي تدعونه أنتم: الذات، فالهبة تخرج من البهرة
ولكن البهرة ليس نتج وليس كلاهما واحداً، ومع هذا فإنهم ليسا
متغايرين. وهكذا هي ولادة الحيف

إن من اكتشف أن «الأنا» غير موجودة، سمح في الوقت عينه بعيد كل
رجاء، وكل التوزيع الأدبيّة

فالبقاء على الإحساس للأشياء والجنس، والشهوانية، الموروثة كلها عن
الوجودات الماضية، هو سبب الآلام وبطلان هذا العلم
اعرف عن ميل الروح إلى الطمع الذي يرتبط بأزيتك وسوءك تلبس
عندئذ حالة صفاء العقلي، التي تحصل إلى الكاملين، سلام، وامن،
والحكمة

وإذا كان الإنسان يعرف أن ذاته عزيزة عليه، فإنه يغني عليه أن يجمي
نفسه حباً. والإنسان العقل هو الذي يحافظ على بقائه في أسوأ أي من
الحفلات الثلاث

الذات هي ملجأ اللاتية. وأي شيء آخر يمكن أن يكون ملجأ لها؟ إن من يسيطر على ذاته سيطرة تامة يحظى بملجأ آمن.

لا يصنع الشر إلا بك أنت؛ فهو يولد في الذات، وفيها علة الشر؛ يخلق المعمورة كما يخلق الحجر الصلب الألماس.

فالشر لا يترف إلا بسبب اللاتية. واللاتية هي التي تدنس الإنسان. ولكن الشر لا يقطع دابر سوى الذات، لأن الإنسان لا يتطهر إلا بذاته. فالغناء والذنس مرتبطان بسات لإنسان. ولا يمكن لأحد أن يظهر الآخر.

وقال بودا عن تحير والشر

لقد قل بودا: يا أصدقائي ما هو الشر؟

القتل أيها الأصدقاء شر؛ والسرقه شر؛ والشغف شر؛ والثرثرة شر، واعتق التعاليم الباطلة شر؛ إن هذا كله يعد شرًا يا أصدقائي وما هو جنس الشر؟ يا أصدقائي؟ جنس الشر هو الرعيه أيها الأصدقاء والكره جنس الشر أيضاً

ومن الأفضل أن يبقى فعل الشر غير مفعول. لأن عمل الشر يعائب الإنسان بعد إتيانه ولكن من الأفضل أن يؤتى فعل الخير، لأن تحقيقه لا يقضي إلى الندم.

لا تفكر بالشر بلا مبالاة، وتقول: «إنه لا يقترب مني» فقطرة من المساقطة سوف تملأ التورق بالتأكيد بالطريقة عينها بملأ الأحرق نفسه بالشر.

فكما يعتمد التاجر الطريق الخطرة إذا كان حوسه ضعيفاً وماله كثير، أو كما يعتمد السم من يجب الحيلة كذلك ينبغي على الإنسان أن يحذر الشر. وليس ثمة مكان في السماء أو في وسط المحيط، أو في كهف جبلي يمكن أن يقي الإنسان من نتائج أعمال الشر.

إن أفعال المخلوقات الحية كلها تغدو فاسدة بسبب عشرة عيوب؛ وإذا ما نجحت في أن تتجاوز هذه العيوب العشرة، فسوف تغلو أعمالك صالحة. ثمة ثلاثة عيوب للجسد وأربعة عيوب للحيه، وثلاثة عيوب للعقل

وعيوب المحسد هي القتل، والمسرقة والرُّنْيُ وعيوب اللُّسان الكذب،
والثُّمَّة، وإهانة الغير، وشُرثرة الفارغة؛ وعيوب العقل هي البخل،
والكره، والضلال.

وأنا أوصيكم أن تتلافوا العيوب العشرة

١- لا تفتنوا ولا توقروا بالحيلة.

٢- لا سرقوا ولا نسلبوا لآخر؛ بل ساعدوا كل إنسان كي يكون ميسرًا
نمار عنه.

٣ ابتعلوا عن القُدوراته وعيشوا حياة عفيفة

٤- لا تكذبوا بل كونوا صادقين قوروا احقبقة بعقلانية وشجاعة
وفلب محبة.

٥- لا تحتلقوا إشاعات كذبة ولا تركدوها ولا تتعلموا بل الفتوا النظر
إلى الخواص لإيجابية في القريب، لكي يكون بمقدوركم حايث من الأعداء.

٦- لا تستموا بل تحدثوا بتواضع ووقار.

٧- لا تهدروا الوقت بالهدر؛ فإما أن تتحدثوا ضمن الموضوع أو
اصمتوا

٨- لا تطاولوا على الغريب ولا تحسدوه بل افرحوا لاحتاحات
الآخرين.

٩- نقروا قلوبكم من الحقد والكره حتى عي 'مناكم؛ وعاملو بطيب
مع الكائنات الحية كلهم.

١٠ حرروا عقولكم من العمه وجاهدوا لمعرفة الحقيقة، حاسبه منها
نكون معرفته ضرورية، لكي لا نصبحوا ضحية الشك وبتضليل

إذا ما اقترف الإنسان إثمًا فليمتنع عن اقترافه مرة أخرى؛ وليتعد عن
الاستمتاع به؛ فنتيجة الشر هي المعاناة.

فيتصر الإنسان على العضب بالحُب، فهزم الشر بالخير، والشح
بالكرم، والكذب بالصق.

إذا ما تحدث الإنسان أو عمل بنوايا شريرة فإن المعاناة سوف تلاحقه
كما يلاحق الوشم الثور الذي يجر العربة
معالوا لتحقيق من نواياه ألا يفعل الشر؟ إننا لن نجي إلا ما
زرعه

إن الأثم يظن أن الإثم حلو الطعم كالعسل. فالأحق الذي يدرك حقيقته
هو حكيم، في هذا في أقل تقدير. ولكن الأحق الذي يعد نفسه حكماً هو
أحق حقيقي.
وقال بوذا عن الرهبان:

ذو من عزف عن الشر، ومن تجاوز العيوب، وكان برّاً وعاش في هذا
العالم بعقل، إن هذا يدعى راهباً حقاً.
والكذّاب لا يغدو مسلماً إذ ما قص شعر رأسه. إذ كيف يمكن أن يكون
راهباً من قلّوه الرهبات واجشع؟
إن من هزم الشر، الصغير منه والكبير، هزيمة نعمة يدعى راهباً لأنه
تجاوز الشر.

إن الصمت لا يجعل الوضع الجاهل حكماً ولكن لتعقل الذي يزد
الأمور في الميراثه فيقبل أبلّيد مها ويتعلّى السيء هو حكيم بحق.
ولذلك فإن الرّاهب ليس من يطلب الحسنة من لأحرين فقط، لأن
من يتبع شكليات وحدها لا يصير راهباً.
فلا تكن أيها الرّاهب واثقاً من نفسك فبأن تتأكد من أنك اطفأت
في نفسك، مرغبات الشهوانية فالذين الأعظم هو طعماء الرغبة الآفة.
وليكن سلوكك بطريقة تجعل نورك ينير إلى الأمم، لكي تستطيع أنت
التي أصأت العالم وكرمت حياتك للذين والانضباط السيئ أن نلتزم
بمواعد الوفاء وتكون مبدلاً ومحباً ورجياً تجاه معلميك والأكبر منك.
إن الرّهب الذي ينظر إلى المرأة ويلاصقها بصفتها امرأة ينهك اليمين
الذي أقسمه ولا يعود مشايخاً.

وبذا ما نأثي لك أن تتحدث إلى امرأ، فليكن، ولكن بقلب نقي، وتل
سنتك وبين نفسك. «أنا راهب، وسوف أعش في هذا العالم الآثم نقياً
كرهرة اللوتوس التي لا يلوثها الطين، الذي تنمو فيه.

إذا كانت المرأة كبيرة في السن فعلملها كم لو كانت والديك، وإذا
كانت شابة عاملها كما لو كانت أختك، وإذا كانت فتية، انظر إليها كما لو
كانت ابنتك.

إن قوة الرعية عند الناس عظيمة، وينبغي الحذر منها؛ ولذلك عاهد
نفسك على أن تكون صلباً غيوراً واستخدم مهام الحكمة الخلق.
أيها الراهب حصن رأسك بخوذة الفكر الصالح وبعميعة لا تفلت أحـم
نفسك من رعبات خمس

فالرغبة تلد قلب الرجل، عندما يفتنه حال امرأة، وعقله يُظلم
إنه من الأفضل لك بكثير أن نسمل عييك بمخيط من حصى الاحرار،
من أن تحس في نفسك نوايا شهوانية دنسة أو أن تنظر إلى حسد امرأة
برغبة شهوانية

إن صلاح هو بجم الجسد والصلاح هو الإحجام في الكلام؛ والصلاح
هو ردع العقل؛ والصلاح هو الإحجام في كل شيء. إن الراهب المقسط في
كل شيء متحرر من الأحزان كلها.

إن من ليس به «أنا» وهذا لي» في كل ما يحس العقل والجسد، ومن
لا يأسف على ما لا يملكه، فهو يدعى راهباً بحق.

إن لراهب الذي اعزل في مقر مفرد، وهذا عقبه ووصى النعمانية
بوصوح، يعيش سبعة تفرق سبعة البشر

عليك مزمناً بطريقه وكاملاً في سلوكه؛ مليئاً بسعادته، وبذا يصعب جداً
للأحزان.

وكما بطرح «يسير» دهره الدن، كذلك يجب عليكم أن ترموا الرغبات
والبعض.

إنَّ الرُّاهِبَ الذي يتحوَّل إلى تعاليم بودا شأنه ينير هذا العالم كما ينير القمر ليلة ظلمه.

وكما يجرح المنجل ابيد التي لا تمسك به بإتقانه كذلك حيلة الرُّهْد التي لا تمارس ممارسة صحيحة تقود لإسناد إلى جهنم.

كيف يجب أن يكون الواعظ؟ عن هذا يقول بودا

عندما أرحل ولا يعود بإمكانني أن أرتدكم بالأحاديث النِّيئة، ختاروا من عدادكم أفراداً من عائلات صالحة، مسورين جيداً، لكي يعظروا بالحقيقة بدلاً عني.

وليريد هؤلاء ربيُّ بودا، وليحطبوا في مشوى بودا، ويشغلوا المنبر أسدي كان بودا يعظ من فوقه

ثيف بودا هي أعلى درجات باطلة الخائش، والتسليم، ومشواه الرحمة وحبُّ الكائنات كلها والمنبر الذي كاد يعظ من فوقه، هو بهم القانون الصالح في تجلياته المعطاة.

ينبغي على الواعظ أن يتحدث عن الحقيقة بعقل ثابت لا يكتس. عليه أن يمتلك قوَّة الإقناع التي تحلّوه في لعنة، ويكون مخلصاً لعبهوت غيورا عليها. يجب على الواعظ أن يلتزم بالحقيقة الملائمة عليه أن يكون صلباً في مواقفه وأن يتعد عن الغرور، ومبحث عن صحة العظمة ويتعد عن الأرحن الخفيف اللا أخلاقي. وإذا ما حله الإغراء، فإن عليه أن يفكر ببودا، وسوف يخرج عندئذ متصراً.

ومن واجبات الواعظ أن يستقبل على الرُّحْب والسَّعة كل من يأتي إليه ليستمع إلى التعاليم، ويجب ألا يثير وعظه الإحساس بالخيف لدى أحد. ويجب على الواعظ ألا يميل إلى تسقط عيوب الآخرين أو يشتم سواء من السعة الآخرين، فليس من اللائق به أن يغلف في الكلام، أو يستعمل الصَّيغ الخفية ويجب عليه ألا يذكر أسماء التلاميذ الآخرين بهدف تسميتهم أو دم تسميتهم.

فمن المهم أن يكون الو عظم مليئاً بالحياة والأمل المشرفة والأ يتزعزع
إيمانه وثقته في حتمية النجاة.
ويجب ألا تسعد الأراغب العبدانية، والأ ينخل جدالاً لكم يظهر نفوق
إمكاناته، وإنما ينبغي عليه أن يكون هادئاً وراضياً
يجب ألا يكن في قلبه أحسيس عداية، والأ تحذو نفسه من الرحة
بأن كانت كلها.

وإلى أن يصفي الناس لصوت الحقيقة عب على الو عظم أن يتعلم
عيقاً إلى قلوبهم، وعندما يأخذون بالإصغاء بانشه وحشة إلى ما يقوله، عليه
أن يدرك أنهم على مشرف الصخرة.

اعتنقوا قانون الحقيقة الصانع، حافظوا عليه، اقرووه وأعيدو قراءته،
انهموه وانتشروا فهمه، عظموا به للكائنات كلها في شتى أرجاء الكون.
ليس بوحاً شحيحة ولا تقيته الأراء الباصرة، إنه يعمل على أن ينقل
معارف بود الكمنة إلى كل من لديه لاستعداد والرغبة لميونه، فقتدوا به
وكونوا مثله، قلده وأخذوا حذوه في كرمه مع الحقيقة.

اجمعوا حولكم من يجب أن يحكم كلمات، بقانون الصلحة التي تبث
السكنة في النفس؛ حرّضوا قبلي الإيمان على أن يقبوا الحقيقة، امسكوا
سريهم درحاً ومته، شجّوهم، وجهوهم واصعدوا بهم أعلى فأعلى إلى أن
محلوا أنفسهم وجهاً لوحه أمام الحقيقة، ويروا روعتها وعظمتها وعجدها
اللا متاهي

سو استمع الإنسان إلى قول واحد بعث السكنة في قلبه، لكن أصبح له
بكثير من ألف كلمة لا نفع مهة.

لفصل السادس

كثرة من «البوذا»

لقد حاول بوذا أن يبعد الإله أو حد من هذا العالم، لكنه محر عن معرفة مصاصه فيه. فعاليمة لم تسمح له بذلك. وحسب تعاليم بوذا أن المسور، المكامل يجب أن يبلغ الرفها في آخر حياته. ويجب أن ينتهي وجوده عند هذا الحد، بهذا الشكل أو دكد. ولدست يجب أن يوجه الجميع بعد موت بوذا. لقانون الذي رأه. أدركه لحظه الصلوة. وفي آخر حياته قال بوذا عن هذ القانون.

«أنا لأن يا أناندا شيخ عجوز، كهل أكر نبي اسنود لي ٨٠ عاماً .
عشوا يا أناندا بطريقة يكون واحدكم فيها قنديل نفسه، منجاً نفسه
لا تقتنوا قناديل أخرى سوى قناديل القانون، لا تتخذوا ملجأ آخر سوى
ملجأ القانون».

لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو هذا القانون، من صاعه. من أنشأه؟ فبوذا نفسه لم يفهم هذا لقانون، لم يدركه إلا لحظة حاجته المصحة إذن فاقانون ثابت مستقر ولنبي تنفيذ بالضرورة. ما مؤلف هذا لقانون. منبتن هذ القانون فليس له وجود لقد انتزع بوذا من حارطة العالم الموحدة التي لا تتحرراً، قلبها الروح الكسوبي، الأمر اسدي سلبها هاعنته. «مماستها ومفهوم روح الإنسان فيها إن بود لم يستطع أن يرمى وجود روح الإنسان على وجه العموم، لكنه رهم ن يكون شبه روح ثابتة أرليه لا تتغير محتتمه تصماً ومحصلة عن جسمه فالروح بالنسبة لبوذا في كتله من العناصر المستتمة متبلة أندأ ويظهر هذا بجلأ في الحوار الآتي نطرح لميليد، بانها مؤلاً عمماً إذا كان الإنسان يرمى بعد الموت كما كان في الحياة الدنيا أم أنه يبطل. وقد طرح لسؤال في ملبسدا وأجاب عليه دغاسينا. فأكد أن الإنسان بعد موت لا يبقى كم هو، لكنه لا يصير إلى آخر وقال «أيها الملك العظيم، إذا ما أشعل حدهم القنديل مثلاً، فهل يبقى القنديل مشتعلاً طول الليل؟» «نعم أيها السيد، يصكر أن يبقى القنديل مشتعلاً طول الليل»، «ولكن أيها الملك العظيم، هل الشعلة في القرم لأول من الليل هي نفسها في القرم الثاني؟» «كلاً أيها السيد» «وهل لشعلة في القرم

الثاني هي نفسها في «الثالث»؛ «كلا أيها السيد»، وهل كان القديس غير القديس في الترم الأول والثاني، ثم في الثاني والثالث أيها الملك العظيم؟ «كلا أيها السيد»، لقد كان المصوم سمعت من القديس عليه طوال الليل». وهكذا تصام أيها الملك العظيم. تتعقب أشكال عناصر النوح واحد إثر الآخر يظهر أحدهما هيمس الآخر من غير بداية ونهاية يعقب واحد الآخر مباشرة لا هكذا عيه. ولا كالأخر تقترب كلها من التكوين الأخير للصيغيات، وكان يودا نفسه قد وصح هذا التبدل على مثال قيار الماء (كما فعل هيراقليطس)، أو على مثل لشعلة وقد ساق لئلا التالي عندما تهرست كيماهوتامي، شعلت شمعداناً في السير وعندما رأته شعله استمعدن تلتهب حياً وتحبوا حيناً حر قائلاً: «هكذا تظهر الكائنات الحية وتغير، ولكن أسير يلقون السرفانا لا يظهرون بعد ذلك أدماً» ثم يروى أن يودا نفسه ظهر لها وأكد صدق ما قالت. ويسوق لنا نص آخر (تهيريجاتها) قصة الرؤية بانانتشارا عن بوعها الخلاص، وفي حتام انقصه قالت بانانتشارا، «حيث أخذت قديلاً وهبت إلى الدبر فرأيت سريري واسلقت عليه، وأخذت إبره انرعت بها فتيله. فتحررت روجي مثلاً بطف القليل»

وهما تسترب من عمق مغزى مفهوم «نرفانا» فالنص الشائع، هو أن السرفانا يعني «بلا وجود». لعدم وحسب، بيد أن مغزى هذا المفهوم أكثر عمقاً بكثير، فسير مثل «انطفأ القديس» ينطق بكلمة بالي هكذا باديي سيف نيبا، وكلمة نيبانا هذه تنطق في صيغتها المنسكريته نرفانا وتتألف هذه الكلمة من المائدة «نيس» (من) التي تتحول قبل الحرف لصوتني، ب «نر»، ومن الحد «ها» «يفخ»، «مصف»، ومن الملاحته «ا» وبذا يكون المعنى «نحر في كلمة نرفانا، هو «الممخ»، «المص»، «المحمد». وتتردد هذه الكلمة كثيراً بهذا المعنى في النصوص البوذية ولكن كلمة نرفانا هذه تسحب على إحداد نار الأرضية. ومعنى هذا أن السرفانا لا تعني مجرد العدم وحسب، هو في تعاليم يودا من ينح في ترويض أهونه، فقد أدرك وهو على الأرض حالة لمسيكه المعبوطه، ي لنرفانا فالقديس بحق اسرفان قبل الموت وقد كانت تهيريجتهيرا سامكربتيا عن تلك الحالة «أنا لا أرغب في الموت ولا أرغب في الحياة أما أنتظر ساعة كعامل ينتظر أجره» لا لا أرشد الموت ولا أريد الحياة، أما أنتظر ساعتى كعامل بلوعي «المسك»، والحقيقة أن وصف حابه النرفانا ورد أيضاً في «دراسات البراهميه» (هيل يودا) فالنرفانا بالنسبة للبوذيين هي قبل كل شيء، حاله من «الطهر» وانعدام الآلام، فالرهب المتحول حاموكهادانا حاطب شارسورا بالكلمات الآتية: «غالباً ما يقولون يا أح شاربيوترا نرفانا نرفانا! ولكن ما هي النرفانا؟ فأجاب شاربيوتر: «قمع الأهواء، قمع الآثام، التخلص من لعمه، هذا ما تسميه النرفانا أيها الأخ» وتوصف طريق بلوع السرفانا في

الحامداً هكذا «إذا كنت قد تآثر بعد ، إذا كنت قد غدت بحارس المتصدع ، هانت بعت لثرفانا ، ولن تدير بعد ذلك أحداث حمقاء» وجاء في المصدر السوي الآخر سوتانياتا : «إن من قضى على أهوائه ، وتحرر من القصور ، وتجاوز طرق الرغبات كلها ، وسمل على نفسه سيطرة تامة وبلغ اسرفانا ، وكان ثالث لروح ، فإنه يسير على الطريق الصحيحة في هذا العالم» ويتضح من هذا كله أنه ثمة خلاص في هذه الحياة والحقيقة أن اليهودية لا تفرد وحدها بهذا القرار ، فالنظم الفلسفية الهندية الأخرى تلج مدورها على أن «الخلاص لا يتحقق إلا بمعارف معينة لا يمكن فقدانها بعد اكتسابها» زد إلى هذا أن بودا أدرج في تعاليمه عن هذه المسألة ، ما كان موجوداً قبله في جيفاموكتي اسرافان. إن من حقق الخلاص في حياته الدنيا لن يفتده بعد ذلك بدأً فلي يأتي بعد بأفعال قد تؤثر على مستقبله بل لن يأتي بأي أفعال لا هالحة ولا طالحة. ومن تنتهي دورة حياته بالموت ، فقد تصادى البعث من جديد وبمعنى آخر إن «من حقق الخلاص يموت ولا يصحو ثانية» وهذا ما يوضحه الحوار الذي ساقه سوتاسانا. فمره كان بودا في الآلة ، إذ مات فيها أحد الشيوخ يعرفونها كابا وكان هذا معلّم ديميسا. وكان هذا الأخير أعمى حاداً في معرفة ما إذا كان معلّمه قد حقق البرهان أم لا فقال بودا «ألم تكن حياة النقاء التي عاشها يعرفونها كاب مجرد عبث لا طائل منه؟ هل بلغ الثرفانا ، أم أنه لا وجود لسكانده بعد؟ هل جاهد الثرب بودا . لقد قمع في هذا العالم توق الاسم والصورة ، قمع ثمار مار من الذي أقام فيه طويلاً لقد تجاوز الميلاد والموت دون أن يترك لهما أثراً» وعن كونه لن يبعث ثانية ، يمكننا أن نعبر بكلمات أخرى. لم يبق أي أثر لسكانده. وجاء في نص آخر ، إنه عندما وصع العصور الكهل غودهمكا حديثاً بحاله ، قال بودا معلّم على ذلك «لقد اضل عودهمكا إلى البرهانا باستنصاره على عبث بئة الموت ، ولم يكتسب الانبعاث من جديد ، لقد اجتثت جذر البعث». وحسب أنصهرس اليهودية إن حالة الميت «لذي حقق الخلاص اللهو من الانبعاث ، هي لثرفان لكامة (بارنرفانا)

وحيث لمهارسيباناسوتا عن موت بودا. ومن أن رجل بودا عن هذا العالم اختبر اسمه بتعبير: اسرفان الكامة (بارنرفانا) بمعنى آخر إن لثرفانا مستويين المستوى الأول ، هو الخلاص في الحياة الدنيا . أي الثرفانا. والمستوى الثاني ، هو الخلاص من أولادات المتتالية بعد الموت ، وهو البرهانا الكاملة. وعني عن البيان أن مستوى الخلاص الثاني مستعين بغير المستوى الأول. إذ الخاتمة المطلقة لعالم بود ، هي الموت ، وليس ثمة بعث قط ، انطواء الحياة نهائياً.

ويستنتج من هذا كله أنه لا شيء بعد الموت البتة ولكن هذا العدم منوط بتحقيق
 احلاص، الخلاص من انبعاثات حديدة ويبدو واضحاً أن غاية تعاليم بوذا، هي تهدئة شكل
 لأفكار الباقية في انفس عن الولادات السابقة، وتحطيم ماهية التفكير العقلي، وكس
 «ترعبات، كي يبقى الموت الأبدي بعد بلوغه اسرفاد الأولى يعني الإنسان أن ذلك ممكن،
 ويقتنع بأن ولادته هذه هي لولادة الأخيرة وأنه سيبلى الترفانا الكاملة بعد الموت ولكن على
 الرغم من أن حالة الترفانا الأولى لا تبقى على أي أهصكر، أو أهواء، أو أي انفعالات نفسية،
 إلا أننا نستطيع القول بصعوبة هائلة، أن السرفانا الأولى هي بالنسبة للإنسان علّة لمعاداة فريدة
 من نوعها، «عالم لا مثيل له، خالٍ من الأحرار، ملجأ أرلي لا يعرفون فيه الألم. مكان
 ترسمه المصادر البوذية بألوان راضية». وقد قاد هذا التصور في زمن لاحق إلى نشوء صورة الحنة
 لقد فهم بوذا نفسه ترفانه فهماً حقيقاً محدداً، الانطفاء بعد الموت ونهاية الانماتات
 كنها، والحقيقة أن هذا «التصور عن السرفانا لم يكن تصوراً مستكراً فقد عرفه أسلاف
 بوذا، كما عرفه معاصروه (البراهمر، والجانييون وسواهم من أطوائف الأحرار)

لقد كانت المهمة لأساس لتعاليم بود، هي التحرير العملي لأفكار عدد ممكن من
 الناس، إيقانهم وكانت هذه المسألة قد عولجت في تعاليم بود، معالجة مفصلة. فصريق النر
 تتوزع على درجات، ولديها الحق هو الدرجة الأولى على طريق البهر والدرجات الخمس التالية
 هي العزيمه الصادقة، والكأمة الصادقة، والعمل الصالح، والحياة الصالحة، والسعي
 الصابق. ومن الواضح أن هذه اسرجات تصمّن الوصايا الخمس التي سبق الحديث عنها، وتلي
 هذه الدرجات درجات أخريات. لفكر لمويم و لتأمل الصحيح. وبما أن لبودية لا تترف
 بوجود إله، فليس لديها صلوات، والحقيقة أنه ثمة بعض صغ اعتناق الدين، هي عبارة عن
 مدّ نح وتمجيد لبود نفسه وللطائفة التي أسسها وقد استعيص عن الصوات إلى حد ما،
 بالاستعراق في التأمل بيد أنه كان من الضروري تعلم تقنية هذا الاستعراق. وعلى مدى
 طويل، وبذلك لم يكن الاستعراق بما هو استغرق عميق، لم يكن متاح للمؤمنين، فمعرفته
 ممارسته كانت بمثابة يد الزهان فقط، لكن هؤلاء كانوا قلة، ولذلك فإن المشكلة لم
 تجد حلاً كاملاً عبر هذه الطريقة بمعنى آخر بقي أكثر المؤمنين عاجراً عن ممارسة التأمل.
 ونشير في السياق إلى أنه عندما أنصكر على البودية وجود صلوات فيها، فهذا بهد
 حاسا الحقيقة بعض المحانة ثمة صلاة واحدة على أي حال فهي صلاة، أو كما يدعونها
 صمة الصلاة المقدسة. وهي «أوم ماسي نادمي هوم» أي «نعم أنت جوهرة في اللوتس آمين».
 وقد كتب مؤرخ البودية عن هذه الصلاة يقول: «إن هذه الصلاة، هي الصلاة البرحية تقريباً،

التي يعرفها الإنسان العادي في التثبيت ومغفوليا عن البوذية وهم لمقاصع استنة هي أول ما يتعمق به الطالب، وآخر ما ينطق به المحضر. كتب يتعمق به لسائر في الطريق، والراعي مع قطيعه، والمرءة وهي تزني أعمال المرء، والرهب في شكل ملو، تأملته، أي عندما لا يعمل شيئاً هي في ابوقب نمسه لهدف العسكري وصيحة النصر. وبممكننا أن نرى هذه الصلاة في معبد اللاما كلها، مكتوبة في غالب الأحيان بلئسسكريسة إنلها حاصرة في كل مكان سيمطر فيه لئلا مائبة ويهكسونها أيضاً على الرايات، وحمون أوراق الكتب، وعلى الصنوبر، والأشجار، وأجدران «هليس هناك صلاة تكتب أو تتلا أكثر من هدم وبالعون كثير» في تمجيدها بصمتها نستوعب السدين كله في كلماتها، وتحتوي على الحكمة كلها، هوس يؤوئونها تأويلاً صوفياً» ونحن لا يسعنا إلا أن نعبر عن حزن لحرمان شعب من نعمة الكلام التي يأتي كل شيء للانسان عبرها فالحقيقة إنل في البدء كان الكلمة، ومن المفيد أن نتذكر الآن مرامير دود وسليمان، وصلوات محمد الموقفة، وكل شعار الإبحل إن هذا جعلت بحسب الأسف لأن ابودية سلت نفسها الكلمة ولكن لا عرامة في هذا فقد سلت البودة نفسها الإله، والإله كان الكلمة»

لقد أعد نظام الاسعراق في التأمل الذي كان يجب أن يحل بدلاً من الصلوات، إعداداً دقيقاً مفصلاً. فقد أبررت أربعة مستويات من الاستغراق الديني، ويجب أن تحري العملية في مكان هادي متعرد، فيجلس الراهب وسافاه مضمومتان مثيتان، «حسده مستقيم، ووجهه معاص بهالة من التفكير النشط» فالراهب يبحث عن «قصة التركيب»، مكثفاً روحه في نقطة واحدة وللمثال بسوقون ما حصل لراهب الذي اراد أن يستغرق في التأمل إذ جلس هذا، على ضفة نهر ششراهاتي وأخذ يراقب ظهور أمواج الريد واحتقائها وقد رأى الراهب في هذا، مثلاً لظهور حسد الإنسان واستاراه. فأتخذ هذه العكسة «نقطة تركيز» وفي مثل هذه حالة من الاستغراق في الفكره بدأت روح الراهب تمتلئ شيئاً فشيئاً بلصماء وأخذت الأهواء سلاش، بيد أن الروح لا تزال تابعة للتجديق في «نقطة التمسك» ومبر المحاكمه العقليه أما عندما تتحرر الروح من المحاكمه العقليه والتجديق، وتبلغ درجة الثقة، فعندئذ تبدأ الدرجة الثانية من الاستغراق، فتتحقق حينئذ الصلوة وإلهام وإد يحتفي الإلهام، ولسعادة، والألم تبدأ الدرجة الثالثة من الاستغراق، وعسى الدرجة الربعة يتوقف التمسك، وبعد الإنسان لا مبالياً تجاه كل شيء وفي هذه الحاة من لتغير يكتسب الإنسان إمكانية استقاء المعلومات من حقل الإعلام الكوني (إذا حار لنا أن نستخدم لمصطلحات المعاصرة) وبسطيع أن يعموس إلى الماضي ويرى ما فيه وإلى مستقبل ويرى ما يحمل وتري ابودية أن لراهب

الذي يحقق الدرجة الرابعة من الاستغراق بمسح قرساً من النهرها، ثم اعتصموا بعد ذلك أن الإنسان عندما يحقق درجة الاستغراق لرابعة، يولد من جديد في إحدى السموات.

لقد وصفت غبطة الاستغراق في العصور كلها بدهشة واضحة حتى التهيراتاتها وصمها الكهل بهواها هكذا «عصا يصف هريم الرعد في السماء، وملاً تيارات المطر الطريق الكوميه كها، ويترك لراهب صمعه لحاله الاستغراق في الكهف الجيلي، فليس ثمة متعة تقرب هذه بالنسبة إليه وفي الليل، وحيداً في الغابة، والمطر يههم، ولوحوش ترأر يسلم لراهب روحه للاستغراق في الكهف ليس هناك متعة أعظم من هذه بالنسبة إليه،

ووصف بود تمارين التضرع التي تزداد لهدف الاستغراق، أنها بديعة وغنية بالفرح والحبو وكن بوداً قد قتبس عنصر الاستغراق هذا، وأشباه أخرى كثيرة عن تعاليم البوعا. وحسب تعاليم بودا أن للرب أربع درجات، أربع طرق، الأولى هي السرودوبينا، وهي أولئك الذين «ملقوا البحر»، وصعدوا أقدامهم على طريق لير وهي أدنى درجات التشيع وللبوع هذه الدرجة ثمة تقليل مما يحبهم. ثلاثة نص مشي في مدب بودا، وحاتمه بعهد صارم موضوع بدقة مساهية. وأحر أحوال المهدي «أرغب أن أعيش وفق اوصي، محبوباً، نبيلاً، ثابتاً، كاملاً، بصياً، طاهر، حراً، بما يرفع من شأن المتقنين، والذين لا يقتصرون عهدهم، ويقضي إلى الاستغراق (في عمق الذات)، ومن يبلغ الدرجة الدنيا من التريعتق من الولادب في اسوالم السقي في الحضيض. وعالم الأشباح، وعالم الحيوانات) ويضمن أنه حقق الخلاص، لكنه لم يبلغ بعد مستوى البر الذي يؤهله لقصع سلسلة الاتبعات. فيه أن يولد سبع مرآت أخرى قبل أن يبلغ النرفانا ويحقق الدرجة الثانية من السر من قطع دابر الرعبات، والكرو والغواية في نفسه («حتى أقن أتر») ومثل هذا الإنسان لن يوجد في هذا العالم سوى مرة واحدة بعد ذلك وتعني لدرجة الثالثة من البر أن الإنسان الذي يبلغه لن يعود مرة أخرى إلى الحياة الدنيا، لكن عليه ان يولد مرة أخرى في العالم الآخر، عالم الآله ومن هنا تمتد أمامه الطريق إلى لرهت ويمضك لأي بودي كان أن يحقق درجات البر الثلاث هذه، ما كان سلوكه متواضعاً مع ما هو مطلوبه أم لا، الدرجة الأعلى من البر، الدرجة الرابعة، فلا يستطيع تحصيلها سوى لراهب، هؤلاء البيرة (الأرهت) «ناجون من الخوف والكربة»، حسب قول بود نفسه

وعلاوة على هذا يقسم البوديون الشماليون مستويات البر إلى ثلاث طبقات (١) التلمد، وانغلام، والمستمع (٢) البودا لنفسه (٣) البودا المقبل ويتمي بى طبقة السلاميد، المؤمنو كلهم وكان اعص القديم بالي، قد جاء على دكر البودا نفسه بيد أن التصوص لا تأتي

على ذكر هؤلاء إلا نادراً جداً وهؤلاء البوذا هم المؤمنون الذين انعكسوا المعرفة بقواهم الذاتية، والمقصود هنا هو المعرفة الضرورية ببنوع الترفانا. ولا يشجع هؤلاء ممارفهم ولا يمشرون بها، بل يبقونها لأنفسهم، ولذلك دعوهم «بوذا لأنفسهم» وقالت النصوص عن البوذا لسمه، إنه يستطيع بلوغ الترفانا لأعلى، لكنه عاجز عن الكشف عن هذه المعارف لغيره، تماماً كما الأحرس الذي يستطيع أن يرى حياً مهماً، بيد أنه يعجز عن شرحه للآخرين، أو «كانتو حش الذي يدخل المدينة فيقدم له أحد وجهائها ضيافة، وعند ما يعود إلى القاعة لا يستطيع أن يعطي شركائه هناك هبة من المأكولات التي أكل منها، لأنه لم يعتد على مثلها» أم طلبة البراءة الثالثة فهي لبودهيستما مع الوقت يغدو هؤلاء بوذا. ويمكن القول عن بوذا نفسه أنه قبل أن يأتيه صحوة العقل في البراءة والثلاثين من عمره، كان بودهيستاف وقد يؤند لبودهيستافاً مرة أخرى في صورة حيوان، إلا أنه يبقى دائماً على درجة البراءة. ولا يفترق أي أتم في ي ولادته من ولادته المتعدية

وفوق الكائنات كلها يقف متعالياً لا يظال، بود البراءة، السامي، النصحى، المشرى، أو لكامل الصخرة ويبدأ كل نص بودي بكلمات بوذا التالية «المجد للسامي، البراءة، المتكامل النصحى»

ولكن بوذا الذي تحدثنا عنه، ليس البود الوحيد الذي ظهر على الأرض، فبعد أن تمصرم مقامات رتبة معينة تدعى كالكنا، سوف يهتد العالم كله، ثم يلي ذلك بحث جديد وقد يظهر بوذا في هذا العصر لكنه قد لا يظهر أيضاً ويدعى العصور التي ليس فيها بوذا «كالكناات الحالية»، أو «بوذا كالكنا». وقد يظهر في عصر واحد من العصور غير الحالية، أكثر من بوذا، حتى الخمسة بوذا. ويدعى مثل هذا العصر لعني بالبوذا، «العصر لكوسي المهارك» والبوذا الذي يعيش في رمتنا هذا، هو البوذا الرابع. ولكن من المعروف أنه يجب أن يظهر بود حر هو البود الخامس، نطلقوا على هذا الأخير اسمهم مايتريا، أو ميتيا بلغه بالي وسيتي البوذيون أمالاً ككسرة على هذا البوذا أحاسن الذي يجب أن يظهر في رمتنا هذا وهو موجود في وقتنا الراهن، ولكنة بصفة من لم سمع الصخرة بعد ولذلك لا يزال معرر بودهيستافا وهكذا فالعملية الحساسة هنا هكذا: بما أنه انصرم كك لا عدته من العصور، فف فيها عصور «غير حالية»، فهذا يعني أنه كان فيها معكم لا عدته من البوذا الذين حققوا الصخرة والبود الخامس في هذا العصر، بوذا ميتيا، سوف يظهر بعد ثلاثة آلاف سنة وهناك سمعة وعشرون بوذا أسماؤهم معروفة وثمة ملفات كامله عن حياة أربعة وعشرين منهم، دونت سير حياتهم شعراً بوذاهامسا ودحت هذه لبودافامسا هامون البوذيون الجنوبيين أما لبوذيون

الشماليون فلديهم عددٌ كبير من البودا، لكنَّ الأهمَّ بينهم هم المسيحية، الأخيرون (بمن هيهم بودانا)، ويدعى هؤلاء لبودا «بودا لصورة البشرية» ثلاثة منهم في العصر لذهبي، واثنان في الصخري، وواحد في الحديدي (هو بودانا الآن) وللروية الجنوبية عملياً، انصُور عينه عن هؤلاء البودا المسعة ولكنَّ اسوديين الشماليين يضيفون إلى هؤلاء خمسة بودا آخرين غير ماديين، ويدعونهم «بودا الاستدلال العقلي». ثمَّ أقرَّت طائفة ابوذيين الشماليين فيما بعد أنَّ لكنَّ بودا يظهر على الأرض في صورة بشرية، مثيل في عالم اللاشعور وليس بهذا الأخير اسم أو صورة وبودا الزمني ليس سوى انعكاس لاستاق بودا السماوي، والبودا السماويون هم آله عملياً وليس لهم والدان، لكنَّ كلاً منهم يصنع باستاقه ولداً له على الأرض، ويبقى على هذا أن يتبع تنفيذ القانون الصالح على الأرض، وهكذا تكتمل الحلقة؛ بعد أن بود السماء بدلاً من الآلهة، ولكنَّ مرةً أخرى لا يؤتى على ذكر من صنع تلك القو بين الصالحة التي ينبغي مراقبتها تنفيذها هالقانون هو القانون، ويجب أن يكون واحداً في الأرمنة كلها، وله مؤلفه آسي وصنعه صانعه، خالق هذا العالم. أمَّا البودا فإنهم يظهرون بين وقت وآخر وقد تمرُّ قرون لا يظهر فيها أيُّ بودا، ولذلك فإنهم لا يمكن أن يكونوا هم من وضع هذا القانون الواحد الموحد، مستقر هؤلاء عابرون، طارئون، رد إلى هذا، أنهم عاجزون عن متابعة تنفيذ القانون على الأرض، لأنهم ليسوا موحدين في أرض دوماً ونحن كمَّا قد رأينا أنَّ ساع بودا يمتقرون لي وجود الإله الواحد، ويحاولون تعويض هذا النقص بإدخال بودا السماء في موازاة بودا الأرض، ولكنَّ ما اسداعي هذا لتعقيد كله إذا كان ممكن أن ندعو الأشياء بأسمائها، فتدعو الإله إلهاً، وليبودا بود ههناك إله وههناك رسول، اسه الروحي إذا جاز لنا القول فصعوبة بودا تتلخص في كونه أدرك القانون الصالح في العالم، ولدي صنعه الآلهة ولكنَّ الفرحة جعل بودا ينسى صانع هذا القانون، ونسى وجوده بمسه ويعلم أنَّه هو لأكثر نكساء من الآلهة والناس ولدت حاول أرباع بودا تجاور السهوة فأفموا في السماء بودا سموياً بدلاً من الإله الواحد ولعنهم فشلوا في جعله بودا آلياً، وبغير هذا لا يمكن أن يكون إلهاً ونشوء في السيف إلى أن البوذيين الشماليين حاولوا أن يدللو هذه الصعوبة أيضاً، هراًوا أنَّه لم يكن شمة انصاع رسمي بين البودا الخمسة وأنَّ مصدرهم كان واحداً هو بود الموحود أيداً، بود السماوي الذي دعوه بودا البدني، وبهذا يكون هؤلاء قد اهتموا كثيراً من فكرة التوحيد التي تقوم على وجود بودا البني بدلاً من الإله الواحد.

التلاميذ والطائفة

لقد انتفى بودا تلاميذه من شُرُوح المجتمع كلها، من الحكاسيات كلها ولم يعرف بالانقسام الكاسني في هذا المبدأ (الديني) وقد جاء عن هذا في النص لبوذي ما يلي: «مَنْ يصير راهباً من الحكاسيات الأربع، وباراً، يكون قد قمع العرور، ويات ضاملاً، ورمى عن كاهله العبه اندي العاء التمسك بالعالم على كاهل الإنسان لمد حق هذا عاقبه، وقطع كل صبه له بالوجود وحقق الخلاص عبر كمال المعرفة، وعلا فوق الكل عبر القانون فقط، عبر القانون جديداً، عبر القانون الواحد لجميعهم، عبر القانون الذي معبه الإله الواحد للعالم كله ومَنْ يستطيع سوى الإله الواحد أن يصح قانوناً واحداً فأني إنسان مهما كان متميزاً أو شبه له، سوف بصوغ إرشادات حسب اعتقاده، وحسب هممه بجوهر الأشياء. إن القوانين البشرية تعكس كقصد، مصاح جماعات معبئة من الناس علاوة على هذا أن مثل هذه القوانين تكون عادلة، ومافدة خلال مقمّل رمتي محدد، ثم تستبدل بها قوانين أخرى. ولذلك فإن الحديث عن قانون مطلق ملزم لجميعهم في الأرمته كلها، ممكن فقط إذا كان هذا قانون وضعه صانع العالم، خالق الكون، إله لواء. هقانون الإله يعني «لا تقتل!» في أي حال من الأحوال، وبناء على أي أمر صادر عن أي كاه فالقتل (أو الأمر بالقتل، أو التحريض على القتل) إثم، القتل أي قتل، انتهك لقانون الإله الواحد أما القانون لبشري فإنه «كعريشة، مركبة» هيقمر ما يقتل الإنسان عن البشر الآخرين، أو بقدر ما يسمح في تنظيم عمليات القتل، بقدر ما يحظى بالاحترام والتمحيّد والأوسمة والحقيقة أن مثل هذه المكافآت لا تسمح لقضاء أي قتل، بن فقط بقضاء القتل الذي للسلطات مصححة به. ولذلك فإن انتهاك القانون البشري بعد حريمة، وليس إثمًا هلالعمال صيها (انقل مثلاً) قد تمنح الإنسان وساماً، وقد يدفع حياته ثمناً لها. ويرتبط الأمر كله بالقوانين لنافذة في الممكن المعنى، في البلد المعنى، وفي الزمن المعنى ويكرّ انسانو الإنبي لا يميل هذا بحد من لأحوال فهو واحد في الأرمته كلها، وللشعوب كلها: لا تقتل: بهي قاطع عن قتل في تعاليم موسى، و المسيح، ومحمد، وبودا ولذلك فإن هذه التعاليم (انديات) تعيش

الآن، وسوف تبقى إلى الأبد، لأنها تقوم على القانون الإلهي الواحد. فحي مكان ما يمكن
بحريم أكل لحم الخنزير، ولكن يمكن السماح به في مكان آخر، ويمكن أن يمرض
الصوم يوماً في الأسبوع أو في العشرة أيام، ويمكن موافقته مع أكثر الأيام صعباً وحق
الشروط الكونية وأخيراً يمكن أن يمرض الصوم شهراً واحداً في السنة هذه كلها
خصائص محلية اشتركتها خصوصيات المناخ، ونمط العيش، وأخيراً حالة الفرد المعنى
والعمل الذي يؤديه في الوقت المعنى ومن المعروف على سبيل المثال أن محمداً أعفى المؤمن
من الصيام إذا كان مريضاً، أو على سفر، أو - وما يجري هنا - هو ملازمة هذا الجانب من
القانون مع ظروف حياة الناس انطلاقاً من قاعدة واحدة وحيدة: حمل حياة مثل هؤلاء أقص.
أما هنا يتعلق بمبادئ الإله الواحد (لا تقتل على سبيل المثال)، فمن يعرف أنه واحد
بشعوب كلها وفيه. لا رمة كلها وعليه. كان يود على حق عندما قال يستطيع الإنسان
أن يبدل عبر القانون وحده والحقيقة كان يجب أن يضيف: عبر القانون الذي منحه الإله
الواحد، ولا فقدت كلمة «قانون» مفراً المطلق وما رفضه سكاكيات عند قبول الأعضاء
الجدد في الطائفة، أو في الرهبة، سوى دليل على أن يودا أحسن فهم روح القانون الإلهي
الذي يساوي بين الناس كلهم. والبودية عيبها، بصفتها ديناً سوف تعيش إلى الأبد لأنها
صاغت القانون لإلهي صياغة صحيحة، وعلمت الناس كيفية الالتزام به. أما مواقع الخل
الموجودة فيها فإنها على الرغم من أنها تبدو للوهلة الأولى متمردة، إلا أنها متراجع. في الواقع
الحلقة فالإنسان المعادي لا يشعل بها. وبالمقابل فإن هذا الدرس يقود الإنسان المعادي على
الطريقة الصحيحة التي تصمي. في الإله الواحد، عبر لسلوك التقويم، والعيش المشترك،
وعبر حب قريب. وفي واقع الحال، لا يهتم الإنسان المعادي كثيراً لما يسمى به الإله الواحد،
خالق القانون. أنه يهتم أكثر بالحوار باللب وكثير يود قد يحدث عن هذا مراراً وقد جاء
في الدهاميانا «لا يتحول حد إلى بر همان لأنه يحدث شعرة فقط، أو لأنه ينتمي إلى عائلة
بببب فالصالح، والعدل، و عادل وحده المعبود، وحده البراهمان» وجاء في مكان آخر:
«أما بيمعك شعرك المبدول يها الأحمق، وما في ثيابك من جلود الماعز أنت دس من
الداخل. لكنك تغلف نفسك من الخارج» وقال يودا أيضاً: «أما لا أدعو أحداً براهماً
حسب مشيئة، أو حسب ولدته، ههما تعاخر في حديثه وهما كان ثرياً فالعقير الذي
تحرر من الرهبات، هو البراهمان عندي» وتشغل الحج التي تصد موضوعه يكون البراهمان
من حيث المنشأ أفضل من الآخرين، أبواباً كاملة في الريبياكا. كما فتحدثت عن الموضوع
عنه مصادر أخرى أيضاً فقد ورد في السوتابيات مثلاً «لا أكل الأسماك، ولا الثعالب، ولا

امشى حافياً، ولا التومزورا (= الوقوف على الرأس)، ولا جدل الشعر، ولا قدرة الحسد، والجلود الطرية، ولا تكريم النار، ولا عهود السدم، ولا الأناشيد، ولا التقديمات، ولا الدبائح صدارة على تطهير الإنسان، إذا لم يتجاوز الشك، أو كما قال سودا في مكان آخر: «ليس عبر الولادة يحقق الإيمان الخلاص، ولا غيرها يصير براهماً، بل بغدو حالصاً بأعماله، وبراهمياً بأعماله»

وقال المسيح

«اطلب الإحسان، لا القرايين».

وقبل المسيح قال بودا

«قاتلوني هو قانون الإحسان للجميع».

ثم شرح قوله هذا على الوجه الآتي

«بأن تعاليمي نقيّة تماماً، فإنها لا تعتر من وجود أي فرق بين الوجهه

والإيذاء، بين الأغنياء والفقراء».

وقال في مكان آخر.

«مثلما الأبهار الكبرى كالصنخ، ويسوتها، وأنشربا عاني، وسارغو تفقد

أسماءها الأولى عندما تبلغ المحيط وتنقى اسماً واحداً، هو المحيط العظيم،

كذلك أيها الرهبان تترك الكاستات الأربع: الكشاتري، وبراهمن،

والفيشياس، والسودر، وطنها إلى الوجود الخارج الأوطد إذا اتبعت قانون

لسامي الكامل وظلمه، وتفقد أسمائها السابقة وسلاسلها القديمة وتنقى

اسماً واحداً فقط، هو أنسك انين التحقوا باین ساكي»

لقد كان تلاميذ بودا يمشون في مختلف شرائح المجتمع فأبادوا وبسادانا حكاماً من

سلالة لساكيبين كما كان نوروبها من النبلاء أيضاً وكدر، شارينوترا، وماودهايايانا من

البراهمن. وكان مع هؤلاء في المريق عيه الاويالي، وهؤلاء من انحلاص الدين عدواً في الهند

دنى درجات السلم الاجتماعي، بل كان في المريق أيضاً قاطع الصريق أنغويمالا وقد قال

تلميذ بودا الآخر مستهزئاً سونييتا عن بضعه «خرجت من سلالة وصيفة، فقيراً ومعدماً،

وكانت مهنتي وصيفة كذلك، فقد كنت أكنس لزهور (الدُّبلة) من معابد لقد كنت

محلّ احتقار الناس، وكان ينظر إليّ من علي، وأشتتم دوماً وكنت أنحني بمسوح أمام

كثيرين» وقال بودا لسونييت «بالحماس المقدس وحياة العفة، ترويض النفس وإخضاع

لذات، بهذا يغدو المرء برهماً أعلى من درجات البراهميين، ولكن بين تلاميذ بودا (طباخ كلاب) (سياهيرا شماياكا)، وصياد سمك (سوسم)، وزاعي (باندا) كما كانت راهبات صائمة النساء يتبعن إلى أصول متدنية هيمالا كانت ابنة بفي وكانت مابالي فيما مضى نساء، أما بورما فقد كانت ابنة أمة من رتبته وكانت تشابا ابنة صياد وكثيرات أخريات خرجن من عائلات فقيرة. ولا شك إطلاقاً في أن صائمة بودا لم تعرف أي شكل من أشكال التمييز بين أعصبتها على أساس الانتماء الاجتماعي

لقد أراد كثير من المؤرخين أن يري في الشخصيات الدينية شخصيات ثورية، سياسية أو ما شابهه فأنهموا المسيح في أنه لم يكن على الأرض مملكة انعدالة بين الناس، وإنما وعدهم بمملكة لانقة في السماء وحسب رأي هؤلاء أنه كان امراً جيداً لو أن المسيح أخذ على عاتقه مهمة بناء مجتمع يعود العدل الاجتماعي هما على الأرض. ولكن المسيح قال «ما لله لله، وما لقصر لقصر»، وعرف عن الحلط بين المسائلين وقال «إن مملكتي ليست من هذا العالم» وهذا ما فعله من قبل بودا. فقد أدرك أن الجميع سواسية أمام الإله وبالمسألة لم يتركسوا أنفسهم لطريق الحق، طريق البر، في طائفته لم يكن ثمة تباين اجتماعي فالامر المهم هنا تمثل في تحقيق مآثر على طريق بلوغ النور. ولذلك يجب ألا تتألم لأن بودا لم يعمل على إلغاء الكاستات في المجتمع الهندي فهو لم يكن ثائراً اجتماعياً على أي حال، فقد دعي للرحل لتأدية رسالة أخرى، وقد أذاعها كل بودا يرى أن بلوغ الحالة الداخلية للعالم (البهر)، أمر غير ممكن بأي نظام فلسفي، أو أي معارف، أو أي أساطير وأن الوسيلة الأساس لبلوغ هذه الحالة هي الأخلاق، الأخلاق اعمية وهذا ما ميزه تمييزاً مبدئياً عن فلاسفة تلك المدرسة عندها، مدرسه سامكهيا، الذين علموا، إن الأعمال الصالحة تعميق الإنسان عن إدراك المعرفة لصحيحة، ولا تمهد له السبيل للوعاء. وهذا ما يبين كيف يمكن للفيلسوف أن يقلب الأمور رأساً على عقب فكل فلسفة دور استثناء ينبغي عليها في آخر المصاف، أن تصود الإنسان في الأخلاق، لتقومه، وتزجده إلى طريقها. وتعمله قصص وإذا لم تحل الفلسفة الإنسان فضيل، فهي ليست علماً حقيقياً، ليست فلسفة حقيقية. والمقصود بالحقيقية هنا، أنها يجب أن تعكس بشكل صحيح صورة العالم الموحدة، وتظهر للإنسان كيف يجب عليه أن يمتلك سلوكاً صحيحاً، لكي لا تعارض نتائج تصرفاته مع هوائين الطبيعة. فو بين الإله ولكن بودا نفسه قد عد أن ذلك لفلسفة يعبس لدواء لم يبحث عن الخلاص، وأورد سوناسانا على لسان بودا أنه من الصعب اختيار الفلسفة الصحيحة من بين الفلسفات الكثرة الموحدة فبعضهم يختار هذه، وآخر ينص

تلك وكن الإنسان الدخلي لا يمسى وجهة نظر قلمية، ولا بفضل نظاماً فلسفياً بعينه، ولا يقول: «كن شيء واضح لي وضوحاً كاملاً»

ويعتقد بودا أن الوداعة هي الأساس على طريق أسير وقال في هذا الشأن: «هكذا أيها الرهبان، فالرهبان الآخر وديع تماماً، وهادئ تماماً، ومسالماً تماماً إلى أن تصل مسامحة كلمات فظله وإذ ما وصلت الكلمات لعتة مسامحة فإنه ينسحب عليه أيها الرهبان، أن يبدى الوداعة ويحافظ على هدوئه، ويقدم نفسه مسالماً فإنا لا ندعو الرهبان وديعاً إذا كنت وداعته لا تظهر إلا عندما يتوسل ملابس، أو طعاماً، أو فراشاً، أو دواء إذا ما كان مريضاً لماذا؟ لأن مثل هذا الرهبان ليس يكون وديعاً وليس يظهر وداعة إذا ما منعوا عنه الملابس، والطعام، والفراش والسواء إذا كان مريضاً وليكن أيها الرهبان أدعو الرهبان وديعاً إذ ما أظهر وداعته احتراماً للملأى، رفقاً رأيت عالياً، وبذلك يسمي عليكم أن تأخذوا دلحسان أيها الرهبان أننا مسبقى ودعاء، ويظهر بوداعة لأننا بجر الصابون، مرفعه عالياً جداً، ونحترمه».

ما فيما يتعلق بالطائفة، فإن العيش المشترك لعدد كبير من الناس كان يقضي بوضع نظام محدد، وهو عد سلوك معينة ولكن هذا وحده لم يكن يكفي فقد كان الأمر الأساس هو التمسك في الاهتمام بتسمية الجانب الروحي لأعضاء الطائفة، وترسيخ رؤية صحيحة وبشرها بينهم. ولم يكن هذا كله بالأمر اليسير لا سيما أن تربية الطائفة عالياً ما كنت تتغير فبعض الرهبان كان يمرتد بمبركة من بودا ومعضي ليستمر معاليمة في الهدى، وحارجهما وكان كثير من هؤلاء لا يرجع، بل يستمر بعيداً أو على مقربة، ويستمر مدرسته الخاصة به. أمّا الرهبان الذين كانوا يعودون إلى طائفة بودا، فيا بكثرة ما رأوا وسمعوا على امتداد الأرض الهدية المترامية، وحرج حدودها وكانت لديهم رغبة في التحدث عما رأوا وسمعوا وكان أعضاء الطائفة يتساقطون كل كلمة يقولها هؤلاء وعسى عن الديار أن كلماتهم تلك لم تكن تعكس تعاليم بودا وحده بل كثيراً مما كان يتعارض معها تعارضاً مباشراً وهكذا أحدثت تظهر شتى التباينات (على خلفية فكرية)، التي كانت نزول أحياء إلى انقسام الطائفة، أو تراجعها (لو مؤقتاً) عن تعاليم معلمها بودا، وبحر لا شك لحصة في ن بودا قد تجاوز على مدى عشرات السنين، زمناً عديدة مع طائفته لا سيما أن الشك في نظمهم للطائفة لم يكن فعالاً فبعض عجز موسى عن قتاده شعبه الذي ساء خلفه، وذلك لأنهم فضّلوا عبادة النور الذهبي على عبادة الإله الواحد، امتشق سيمه ومع ن موسى كان يمتلك فن التأثير على الجمهور بمختلف الوسائل، إلا أنه وجد نفسه مرغماً على تجريد سيمه

والأضلاع لعمل آسي انتدبه الإله له ولكن بودا سلك طريقاً معييره ويبدو كأنه كان يفضل أن تنتظم لأمر في الطائفة من تلقاء نفسها، والأكبر يكف بمكسب أن يفسر سلوكه في آخر حياته عندما طُلب إليه تلميذه المفصل أناساً أن يعلن آخر التعليمات في المشاعة، فأجاب بودا قائلاً:

«أما الذي تطلبه مني طائفة الرهبان بعد الآن يا أناساً؟ لقد أعلنت القانون يا أناساً، ولم أسقط شيئاً أو أخفي شيئاً منه؛ لم ينس الكامل شيئاً يتعلق بالقانون، وهو معلّمكم وإذا ما فكّر أحدهم يا أناساً وقل في نفسه: أريد أن أتود طائفة الرهبان، أو يجب على طائفة الرهبان أن تخضع لي، فليصبر هو التعليمات المطلوبة يا أناساً ولكن الكامل لا يفكر يا أناساً بأنه يجب أن يعقد طائفة الرهبان، أو بأن تخضع طائفة الرهبان له فلسافاً، يجب على الكامل يا أناساً أن يصدر تعليمات لطائفة الرهبان؟ أنا الآن شيخ مسنّ يا أناساً، كهن أنهكته السنون بلى من العمر عتياً عمري الآن ثمانون عاماً.. عيشوا أتم يا أناساً، بحيث تكونون لأنفسكم مشاعين، ملاذات لا تبحثوا عن مشاعل أخرى سوى مشاعل لقانون ولا عن ملاذات أخرى سوى ملاذات لقانون».

ولكن سلوك بودا هذا سلوك غريب حقاً حتى من وجهة الأحلافية لم يكن بودا محضاً في سلوكه هذا، لقد كان لزاماً عليه أن يهتم بمسقبل الطائفة ويؤسس تنظيمها على أسس صحيحة، فلماذا لم يفعل؟ ربما سمعه من ذلك كماله الذي كان المحيطون به يدكرونها به كل دقيقة وربما كان من الصنف عليه أن يرى أحداً آخر يعتلى عرشه؟ ولذلك ليس غريباً أن تنهار طائفته بودا بعد وفاته مباشرة رد إلى هذا أن تأتبر الحدث استجب على الهند كلها سرعان ما أحدث تعاليم بودا نفوس في عالم السيبان. حق يجب أن يكون الفائدة إيديولوجياً وحيثاً عملياً.

والحقيقة أننا لسنا منصفين تماماً عندما نقول هذا عن بودا فقبل موته أعطى بودا تعليماته للطائفة وهذا تلخصت هذه في أنه يجب على الرهبان ألا يتادي أحدهم الآخر بكلمة «أح»، بل بما يتوافق وسيله فقد بات على الأكبر سناً حسب التعليمات الجديدة أن يتادي الأصغر سناً باسم عائله، أو يناديه بكلمة «أح»، وبات على الأصغر سناً أن يتادي الأكبر بكلمات مثل «الحيل» أو «السيد».

وهاكم إحصائيات انقسام طائفة بوذا قبل بداية القرن ٣ ق م ، بعد وفاة بوذا خرجت من طائفة ثمانتي عشرة مدرسة تفرقت ، وأسست هذه أديرتها (ووضعت موشيمها) ونحن مؤمنين سابقاً إلى أن أوساط الرهبان لم يعرف أي شكل من الترانسيه مع أن بعض الرهبان حقق بعض البروز ، ولكنهم بقية في عصبية الطائفة «الكهول» ، «الشيوخ» . ومن حيث اللقب كان هؤلاء كالأخبار في المسيحية . ولكن من حيث اللقب فقط ، وليس حسب واقع لأشياء هي الواضح لم يكن هؤلاء إداريين بطائفة . ولم تكن لهم أي سلطة لقد كان لقب «شيخ» لقباً شرفياً فقط . فتميزهم الذي كان يستند على كبر السن ، وتجربة حياتية ورهبانية كبيرة ، لم تكن له أي قوة قانونية ، ولم يرسحه ميثاق اسنير طائفة الرهبان كاتب هي المرحع القانوني الأعلى . ومن الواضح أن هذا البناء التنظيمي لم يكن البناء الأكثر فعالية لتنظيم العيش المشترك للجماعات المنسوبة

ولم بدأ عمية وضع قواعد العيش المشترك وسعيها إلا بعد وفاة بوذا مباشرة بعد الانتهاء من مراسم حرق رفاته في كوشينغارا . والحقيقة أنه لم يكن شبه (مستكافه لأي تأخير ، لأن فريقاً من الرهبان كان قد شطط كثيراً في معارضته . وهذا ما شهد به كميات الرهبان سويهدارا التي سبقتها قبل قليل . وقد تولّى زمام المبادرة لرأب ما هاكاشيان فاقترح على الرهبان اجتماعين هناك اختيار لجنة لوضع القانون (دهارما ، دهاقا) ، ونظام الانضباط (فيمايا) فوافق الرهبان على ذلك الاقتراح الذي جاء في الوقت المناسب وعهدوا إلى مامكاسيان تشكيل تلك اللجنة فاختار ٤١٩ أرهاناً ، ثم ألحقوا أسداً باللجنة (لأنه كان على وشك أن يصبح أرهاناً) ثم قرأ الاجتماع عدم لبطائفة قوام اللجنة وكان على اللجنة أن تبدأ أعمالها خلال عدة أشهر في صواحي مدينه راجامعريها وبحذر وقت عمل أسعه مع بدء فصل الأمطار ويهدف خلق منح عمل ملائم للجنة ، مع لرهبان من التواجد في المدينه وضواحيها خلال الوقت المعني وبني الملك أماناشاترو تكريماً سجنه بقاء مستقوفاً قرب عاصمته على حين وبيهارا . وفي الشهر الثاني من موسم الأمطار جرى افتتاح اجتماع اللجنة الذي ستمر عمله سبعة أشهر وخلال ذلك الوقت حجج كاشيانا بمساعدة أوساكي في مراجعة قواعد الانضباط كلها ووضعها في سياق منطقي ثم رسم بمساعدة أناندا قواعد القانون وتمس النصوص البوديه أنه جرى في ذلك الوقت وضع بعض قوانينايتاكا وسوتانياتكا وليس لدى المتخصصين المعاصرين أدنى شك في هذا لقد باب ذلك بدهاءافسا «المانور وبطام الانضباط» ، الهامدة التي قامت عليها الكنيسة البوديه ويعتقدون أن نصه كتب بعهة ماغدها وقد سددت كل قوانين الكنيسة البوديه بعد ذلك على هذين لكتابين .

ولكن القسوس الذي وضعته النجبة لم يعتمد من المشاعة كلها فهبات ما يشهد على أن الراهب بورانا الداكشينا غيري قد جاء إلى راجاغريها إثر انفصام الاجتماع. وقد حاطبه الشيوخ بقولهم «أيها الأخ بورا، لقد أقر الشيوخ القانون ونظم لاصطاط. فاقبل بهذا القانون، لكن بورانا عد الأمر تطاولاً على حرمة الشخصنة وعمر عن ذلك بعونه «لقد أقر أسيوخ أيها الأخوة قانوناً ونظام بضام حيدرين. لكنني أهمل أن أتمسك بما سمعته بنفسي من الرب وتعلمته منه». وكان بورا على رأس خمس مائة راهب حازوا معه ولم يكن بين سي الشيوخ قاعدة قانونية يلزمون بها بورانا على الالتزام بالميثاق الجديد. فقد كان ينبغي أن توضع مثل هذه القاعدة في حياء بوذا.

وبعد مائة عام دعي المجمع اليهودي الثاني لاجتماع وكان على عرش معانده في تلك الأثناء الملك أشوب. ومميراً به عن الملك أشوب يرياد رشن يدعى هذا الملك «باشوك الأسود، وتمثل الداعي إلى عقد المجمع اليهودي الثاني في ارتكاب هرس من الرهبان عشرة اثم. وكان بين هذه الأخيرة بعض احبح البسيطة فقد أوصى بوذا الرُهبان على سبيل المثال، ألا يجمعوا أي ذخيرة لهم ولكن رهبان فايشالي انتهكوا هذه البوصية وحررو الملح في هرس. وكان الانتهاك الثاني الذي اقترفه رهاش هبشالي هو أنهم باتوا يتناولون وجبتين في اليوم وليس وجبة واحدة. وتمسكت الآتام الأخرى في أن هؤلاء احدوا يشربون خمرة التعليل ويقولون صدقت من الصصة ولذهب. فقد كان المؤمنون يرمون تصدماتهم من الفصة والذهب في قدر مهي بالماء كان الرهبان يصعبونه في المعبد يوم الأعياد لهذا العرض وتميد الضموص أبصاراً أن الرهبان هم الذين كانوا يطسبون من المؤمنين أن يشرعوا بالذهب. رد إلى هذا أن لصوص المتاحرة يقول، إن هيم لدير كان لديه قدر خاص للتقدمات التي من الذهب الخالص. وفي أيام انتصاف القمر كان يرسل هذا القدر مع الكاهن إلى المدينة ليجمع به الضدمات المصنعة والذهبية و...

لقد استنكر الجيل ياشاس ذلك السلوك إذ اطلع عليه عبد ريلته لسير. ورفض حصنة الذهب التي قدمها الرُهبان له هاجس هؤلاء بالإهانة، وشرعوا يجادلون ياشاس أنه بسلوكه هذا يحقر المؤمنين الذين يقدمون هذه التقدمات من قلب صاف فاج وزعم الرُهبان أنهم أئب يدافعون عن شرف المؤمنين الذي أهانه دساس، وأرغموا هذا الأخير على أن يقدم اعتذاره لهم. فتطوّر النزاع حتى بلغ درجة العليين، وانتهى إلى اجتماع المجمع البوذي الذي شارك في أعماله سبع مائة راهب ولكن أهمية المجمع كانت معلية، ولم يقر لإحداث أي تغييرات في الشواين والقواعد

وفي العام ٢٤٥٥ ق.م التأم المجمع البوذي الثالث. وقد كان ذلك هو العام الثامن عشر من عهد الملك آشوك برياد ر شين هسي عهد هذا الملك صارت البوذية إلى ديانة رسمية مدولة ونحو سقنا سابقاً بصوص مراسيم هذا الملك التي تميزت بتسامحه مع الديانات الأخرى. وقبل التأم المجمع الثالث بخميس سنوات أنشأ آشوك مؤسسه خاصة لموظفي الديانة (دهرماماترا) وقد كان وظيفة هؤلاء متابعة ذلك القطاع من النظام لعدم في الدولة اندي كان يعمل بالمشؤون الدينية وعرض الملك في مرسومه الخامس، التوأحيات التي ينبغي أن تصطلع بها تلك المؤسسة وأبدي الملك كرمًا هائلاً تجاه العالمين في المبدن الديني ورماني الدبر وهذا ما حصره في كمبر من العناصر الغربية عن البوذية كعب وأخلاقيات واستقر رها في الأسرة هسي كمبر من الأديرة لم يكن ثمة أي انصاها، حتى الرهان أنفسهم لم يؤدوا طقس الاعتراف في أيام لأوباسستها وقد حاول قيم الدبر المركزي حدهم أن يصع حداً للصليب ويدفع الأمور نحو الأفضل لكن جهوده باءت بالفشل. عندئذ ترك لدير واعزل في صحراء وراء الصمة الأخرى لنهر الغنج فتدحلق الملك في الأمر، ودعى المجمع البوذي الثالث إلى الاجتماع. وقد أسفر ذلك الاجتماع عن طرد الرهان الذين لم تكن لديهم مجرد فكرة عن البوذية (٦٠٠٠ راهب) وكان قد شارك في أعمال مجمع نفاهاه احترامهم القيم ماودعاليبوترا. اسي أعاده الملك من عرثه في الصحراء إلى لدير. ووضع الدين شاركووا في المجمع الثالث وثيقه حاصه، هي لكانهاقنها، التي أعطي فيها تأويل للمذهب البوذي الذي كان يعتقه ماودعاليبوترا وأنصاره وقد دخلت هذه الوثيقة في أسبدهاماييتاكا القانون لحنوبي ولا يزال لسينغاليريون يعتقدون هذا المذهب البوذي حتى يوم هذا

ومند انعقاد المجمع لبوذي الثالث بدأت حركة التبشير البوذية في البلدان الأخرى. فسي ذلك الوقت أرسل مسرون إلى كمبر وكابو عتال، وأملكه لإعريميه اياكترية، وبلدن سمعج الهملاب، وغربي نديكس والهند الصينية كما لم تخرج سيال من لحطة فقد توجه إليها ماهانبرا ابن الملك آشوك لقد وصعت البوذية بحسب مبيها تحقيق مهمة علمية نصبت في إسرائيل شعوب آسيا غير المتحصرة في الثقافة الهندية وإحازاتها ولسيلان دور متميز في تريخ البوذية فقد بقيت البوذية تحافظها على صيغتها الثقية. أما في الهند نفسها فقد دخلت البوذية طور لسمفوص، وحصعت في التبت والبلدان الشمالية لأخرى لعملية إفساد حقيقة

وانعقد المجمع لبوذي لرابع في عهد الملك الهندي السيكثي كابيشكا اسي وكان يسير في القرن اقم دولة مترامية الأطراف وكان جزء كبير من الهند يدحر قوم تلك

الدولة و مشتهر الملك كانيشكا بأعماله عند البوذيين الشماليين، كما كان الملك آشوك قد اشتهر عند البوذيين الجنوبيين. والحقيقة أن الملك كانيشكا كان قد أنجب في السنوات الأولى من عهده موقفاً معدياً للبودية، بل أنه تحول بعد ذلك إلى بودي عيور فجعل كشمير العاصمة الأولى، مركزاً للبودية وحسب الحواريات لصيتاً أن الملك كان يدرس المصادر البودية المقدسة في الساعات القليلة التي كان يتحرر فيها من أعمال الحكم. وكان مرشده في تأويل تلك المصادر، الشيخ بارشيك و كان هذا يرأس مدرسة للبوذيين ويسى الملك كانيشكا كنزاً من المعابد المودنة ونفس على النقود صورة بودا وأهتم الملك بتنظيم شعبه وكان طبيبه هونشاك، أحد أشهر الأطباء الهنود وقد وصلت مؤلفات هذا لطبيب في العلوم الطبية حتى أيامنا هذه كما عثر في قصر الملك أشاغر الشهيد أشاغوشا، الذي كتب (حيث بودا) (بودهاتشريتا) ولا يزال هذا المصدر موجود حتى الآن

وفي سياق اهتمامه بشعابه واجتماع وأخلاقه، لم يكن مقدور الملك كانيشكا أن يرى النثرات التي كانت موجودة بين قادة البوذية فقد ولدت تلك النثرات الخصومة و لتطاحن داخل الطوائف نفسها ولتحسن الأحوال قرر الملك أن يدعو المجمع الرابع إلى الانعقاد وقد التأم هذا وحررت أعماله في أحد أديرة كشمير القائمة على مقربة من حالاندارا ورأس أعمال المجمع المطبق كان بارشميكا وفاسوميترا وكان من المهمات التي وضعها المجمع أمامه إعلاء النظر في الكتب المقدسة البوذية، ووضع قانون جديد. وبحر لا تعرف حتى الآن إلى أي حد كانت تلك التغييرات مدنية وحديثة وليس لدينا كذلك معلومات عن سير أعمال المجمع وبني لعة وضع القانون الجديد ويؤكد المتخصصون أن اللة لم تكن له باسي وعلاوة على القانون الجديد وضع أعضاء المجمع تعليقات وشروحات على ثلاثه أجزاء من التريبيتاكا. وفي رواية الملك كانيشكا أن لصوص المعينة نُتشت على صفائح نحاسية، ووضعت في صندوق حجري بنوا هوقة حراً مهولاً (مرتفعاً تذكارياً) ولكن المجمع لم يسه، بل وفق، فلم ينجح البوذيين في توحيد صفوفهم بل الذي حصل هو العكس، إذ تواصل انقسام الكنيسة البوذية ولكن بوتائر أسرع ففي حوالي العام ١٩١م أنشأ ناعارجونا طائفة - مدرسة دخل التاريخ تحت اسم ماهيانا (السفينة الكبيرة) وسرعان ما اكتسبت هذه المدرسة أعداداً كبيرة من الأتباع في الشمال وقد كان ذلك نمواً عالمياً في الكنيسة البوذية، أما أولئك البوهيوس الذين لم ينبعوا ناعارجونا فقد دعوا أنفسهم تباع هيمايايا (السفينة الصغيرة)، وجاء

نشوء هياتين السميتين من الآتي: لقد وضع أتباع لماهايانا أمامهم هدف الانبعاث بوديساتفا بمعنى آخر، أعلنوا عن رغبتهم في بلوغ «مرقبة كبيرة» (وبذلك «السمنية الكسرة»). أما هينايانا فقد كثفوا بجهود أكثر تو صعباً لتحقيق خلاص أنفسهم وحسب، أي «يعربية صغيرة» («السمنية الصغيرة») و لتحقيق أن هؤلاء وضعوا لأنفسهم الهدف عينه ليسى وضعه بودا لأتباعه. ونحن إذا ما حاكمنا الأمور محاكمة شكيية هنا نستطيع أن نردد مع مؤرخي الدين، أن أتباع الهينايانا هم أتباع البوذية الحقيقية تلك السودية التي حاصت إلى الوجود بفضل بودا وكان محور ارتكاز هذه تعاليم، هو الخلاص من الآلام، لا يجب على كل إنسان أن ينفذ نفسه تحليداً وغنى عن البيان أن بودا لم يهتم بإنقاذ نفسه فقط، بل بإنقاذ الآخرين كلهم أيضاً. ومن أجل هذا نفسه طور بود تعاليمه وبنشر بها في همد وخارج الهند ومع ذلك فالحديث لا يجرى في تعاليم بودا إلا عن إنقاذ الذات والخصية إن الأخلاق البوذية اسمامية، بدعوتها لحب القريب، والصنح عن الأعداء، والصحة ساسس في سبيل حير الآخرين، تعوض فرد بنة لتعاليم الموما إليها (خلاص النفس) فمن حيث الجوهر لم يعجب الناس يوماً بالشخصيات التي تظلم بالاهتمام بمظهرها وخلاص روحها فمثل هؤلاء قد تحترم فيهم قوة الإرادة، والمشار، والتصميم على بلوغ الغاية، ... لكنك لا ترعب في أن تحب مثل هؤلاء على الرغم من أنهم لا يتسبون بالأدي لأحد، ولا يقترفون أي شر ضد أحد «شعور «اللا أرغب» تجاه هؤلاء يأتي من مكان ما من الخرخ، من اللاوعي، من حمل الإعلام الكوسى، من الإله وسبب هذا الشعور، هو أن أي إنسان على الأرض أو أي كائن حي في الكون لا يوجد نفسه ولا يعيش لنفسه، وليس وحده مستقلاً عن الآخرين وليس الاستقلالية الفبريائية المفهوم، خاصة بالنسبة للزهد الناسك، سوى خداع لا ذات فمن الممكن أن تقتات بالعسل والحدود السرية والحشائش، والأت تشرب إلى مياه الأنهر، وقد تستطيع أن تستمع عن نبي حنك أشهراً وسنو تد ولكنك قد لا تعي أنك تت مستقلاً عن الآخرين، معرولاً عنهم. فهي أي حال من الاحول لا يستطيع الإنسان أن يعزل نفسه عن الناس الآخرين. يمعن عن ذلك الجوهر البشري نفسه، الذي يتكون من أفراد مستقمس كما من حلايا مستقلة فلكل خلية من خلايا الجسم البشري الوظيفة الخاصة التي تحتص بها هي وحدها في المحافظة على استمرار حياة جسم الإنسان كله. ومن أجل هذا جدت خلايا الجسم البشري مختلف بعضها عن بعض، لأن لكل منها وظيفة مختلفة وكذلك الاسال المراد الواحد هو يعم سوى خلية في جسم البشرية الموحد، بل إذا شئتم في المادة الحية

كلها، على الأرض وفي الكون (حسب مصصحات ف. فردانسكي) وبذلك نحن لا نريد أن نحبط ذلك الذي يضره مستقيماً في علاقاته كلها، لكنّه لا يهتّم إلا لحلاص نفسه وحسب، فهو يمكننا أن نتحيّل المسيح ساعياً لحلاص روحه فقط، وهل يمكننا أن نتحيّل معصداً، وإبراهيم، وموسى، وبولس الرسول وسواهم من عظماء الجنس البشري محصورين في هذا الدور وحده لقد اهتمّ عمالقة الروح هؤلاء بالناس كلهم، ولم يهتموا بأنفسهم فالمسيح لم يذهب إلى الصالحين، بل إلى الخاطئين، فقد كان هؤلاء يحتاجونه كما يحتاج الرعوى الضالّ لقد ذهب إلى العشّارين الذين كان الجميع يحتقرهم، وذهب إلى الزانيات وأعادهنّ إلى طريق الحقّ. فالشاة الضالّة أعى مائة مرة من تلك التي مع القصب! لقد كان المسيح محقاً. د. وعد أسوأ الخطاة و لحرمين نبردوس السّماء ولكنّ فقط في حاي ولدو ولادة جديدة إذن يجب أن يتبدّل لعالم الدّاهلي بالإنسان هملبه أن يعي مكانه، وعديه وجوده، ويتوب توبة صادقة ويقف على صريق الحق، لطريق التي تعود إلى إلهه. وليس عبثاً أن قيل «إنّ مملكة السّماء في داخلكم» وهكذا حسب المسيح يمكن لأيّ إنسان أن يحقق الخلاص مهما كان ماضيه شاماً. أمّا بودا، فقد هبم الناس إلى زهاد ومؤمنين، ومنح الرّهسان وجوداً غير طبيعي على حساب المؤمنين. علاوة إلى هذا أن راهد بودا عندما نجد نفسه في وضع مميّز فإنه يستصعب أن يكرّم كل اهتمامه لروحه والعمل على خلاصها. وحسب قوانين البوذية فإنّ أيّ مؤمن لا يستطيع يوماً أن يسخ تلك الفضة من اكتمال لروحي التي يبلغها الرّاهب. وليس عبثاً أن وضع بودا لرّاهب فوق الآلهة، وليس فوق الآلهة العاديين فقط، بل فوق الإله إيندرا نفسه وسحقنا سابماً. بل أن بودا صعد إلى إيندرا في السّماء وأد ر معه نقاشات كان بودا فيها أكثر من ندي إيندرا وبعد بودا صعد لرّاهب ماود عباياتي إلى إيندرا ولكي يري الآله مدى جبروته هو السّماء، عرش إيندرا، بإصبع من أصابع قدمه إنّ كل شيء هنا باقلوب وليس فهم لأمر عسيراً فالكون، بما في ذلك الإيمان بصمته جزء من الكون، صبح وفق خطة موحّدة، وفق منهج واحد، وفق ساعة واحدة. وهو نظام عظيم التّعقيد لم يأت أي شيء فيه مصدفة وهذا يعني أن كل شيء يحدث وفق قوانين وضعت مرة واحدة فقط ويمكن أن ندعو تلك القوانين، قوانين الطّبيعة أو تسميها تسمية ما أخرى، بيد أنّها في الأحوال كلها، ليست قوانين بشريّة ولكن باستطاعة الإنسان أن يكتشفها، أن يدرك آخرتها منها، أن يرى نتائجها وعندما يسبح النّاس في هذا، (وكان الإله قد خلق الإنسان ومحبته عسصر الإنسان)، فإنهم يعفرون بأنفسهم، ويظنون أنّهم ملوك الطّبيعة.

ويعتمد هؤلاء في عصبون ذلك أنه بما أنهم موجودون بإمكاناتهم العنقرية، فليس هناك ضرورة لوجود الإله. فالرأغب البوذي رعرع أركان السماء بإصبع قدمه، والمالم لاسلاس أعلن أن نظريته عن بناء الكون لا تحتاج فرصية وحوود إله إن غطرسة الإنسان وعمله لا حدود لهما

ويمكن مياعة ما سبق عر منه ها مياعة موخره على استشكل التالي. بما أن لهذا الكون هلته الأولى، مدهاء وقوانينه التي سبیره، وبما أن لكون منطومة موحدة، فإنه لا يمكن للإنسان ألا يرى نفسه بأنه مجرد جريته متناهية في الصغر، معرطة في هذه الآتية العنقرية المعقدة. ولذلك ليس بمصدوره أن يكون موجوداً بذاته، كما لا يمكنه أن يهتم بخلص نفسه وحسب، بل هو معكوم بأن يهتم بخلص الجميع، لأن وحووده مرتبط بوجود هذا الجميع. ولذلك فإن الدعوة إلى خلاص النفس ونفي وحوود من الكون الموحد الإله الواحد ياقض منطق الأشياء.

أما تيار البوذية الثاني (الماهايانا)، فإنه حسب المتخصصين يقف بعيداً جداً عن تعاليم بوذا الأولى فقد كتب هؤلاء على رابتهم المرفوعة على «المنفعة الكبيرة» دمو، لا لإنقاذ الذات فقط، بل العمل على إنقاذ الآخرين أيضاً والحقيقة أن ابتعاد هذا التيار عن البوذية الأم لا يمتصر على هذا الموقف فقط، فالبوديون الشماليون أدخلوا تبدلات مبدئية على الموقف من الطموس، والصلوات، والأيقونات وما إلى ذلك. ونحر لا ينبغي لنا أن نقوم مثل هذه الحال إلا من زاوية وحيدة ما الذي يعطيه هذا للناس فالانطلاق في هذا الشأن يجب أن يكون من المدد التالي «ما يخلق لاسنان من أحس السبب، بل السبب من أجل الاسم» وهذا يعني ما يجب أن يؤخذ به، هو معزى، جوهر ما يجري، وليس القيود الشكالية التي وضعها الرؤساء الروحيون. لقد مبحث البوذية الشمالية («السببية الكبيرة»)، الدبابة اسودية آلهة وقورين معترمين، وقد تأسس هذا أسرار محكراً في كتاب «إرشادات لكمال معرفة» ويمدو أن رعيم هذا التيار ناغارحود، هو مر، وصع هذا المؤسس. وفيما بعد أدخل على هذه الإرشادات مزيد ومريد من الإصلاحات الحديثة ويلحق البوديون الشماليون أسس الأول «للإرشادات» بالكتب الأسسه، لقانونيه وتأسف النص من اثنين وثلاثين فصلاً كتبت شرأ باللعه السسكريتية في صيغه حوار بين بوذا بسمه وشريپوترا وسويهووتي.

لم يكن للبوذية كما رأيت، مركز قيادي واحد معده كما كانت الحال في المسيحية ولم يظهر من هذا المركز إلا في امقر ١٢م لدى البوذية لشمالية، وتحديداً

في البيت، ففي الوقت المعني كانت البوذية قد ولدت هنا ولادة جديدة وتحولت إلى الصوفية والسحر، وباتت تدعى يوغانشارا، وكان أرياسانغا، الكاينولسامبي قد أسس هذا الاتجاه البوذي منذ القرن ٥م وقد جاءت هذه التعاليم الجديدة مركبة من التعاليم الهندسية والدينية الماهايانية، وتعاليم اليوغا البرهمنية، فقد تلامت هنا تعاليم اليوغا التي جرى تطويرها في عادة شيفا وتأسس في إصار هذه التعاليم الجديدة تعاليم مترابطة متناسقة عن المعبر وقد عُرِضت هذه في مؤلفات خاصة دعيت باناننرا. وهنا في هذه المؤلفات مولحت شتى المسائل، خاصة: كيف يمكن تحقيق قوى خارقة وكيف يمكن استئجار هذه القوى للحصول على ما تريد، وصيغت لهذا الغرض صيغة صوفية مختصرة (دهاراني)، وحلقات مسحونة (ماندالا)، وحجب (مورا) كما كان للاعتدال الصوفي وسوى هذا من الطقوس دور مهم، وكانت المرة تؤدي في هذا كله دوراً بارزاً، لقد ظنوا أن أصبح لسحرنة تعطي إمكانية لتحقيق سلطة على الآلهة، والرياح، والمطر، وكانت لهذه لصنع - الثاويد السحرية قوة السماء من الأمراض، وبراء النفس من لسغة الثعالب، والسقم، والكواكب الشريرة وما إلى ذلك وبعد مرور نحو الست مئة عام أنشأ نيار لبوذية هذا رعاية له في التبت (ما يشبه منصب «النانا») ويعتقد أن هذا لم يحصل قبل العام ١٢٦٠م لقد انتشرت البوذية من الهند لاجو الشمال فقط، بل إلى البلدان الأخرى أيضاً: إلى الصين، ومنغوليا، ونيبال، واليابان لكن لبوذية في الصين لم يكن لها مركز قيادي، وكانت حال الرهبان هنا شبيهة بحالهم في الهند. عاشوا في أوسر مبعثرة في مختلف أرجاء البلاد، وكانت البوذية قد دخلت إلى الصين في العام ٦١م وسرعان ما تحولت في القرن ٤م إلى ديانة رسمية للدولة. والحقيقة أن هذا الوصف لم يستمر طويلاً. بعد صبرام عدة قرون لاقت لبوذية في الصين مقاومة شديدة من قبل أنصار تعاليم كونفوشيوس. وفي العام ١٢٦١م انتقلت السلطة في الصين إلى سلالة منغولية الأمر الذي انعكس إيجاباً على أوضاع البوذية هناك ففي ذلك الوقت كانت البوذية في الصين قد انصهرت إلى تيارين كبيرين، من كنيسيتين بوديتين: إحداهما كنيسة المويستين، وكلمة «قوة» هي ما تحولت إليه كلمة بوذا نفسها. وحملت الكنيسة الثانية اسم لام أو على الأصح، لاما، ومعنى هذه الكلمة النسيبة، هو «الأعلى» وقد انتقلت هاتان مدرستان من التبت إلى الصين (عبر منغوليا) ويتركز الثنائين بين المدرستين - الكنيسيتين في طقوس لسانه وهما متميزتان دميماً كبيراً من حيث طاهر لتعظيم الموقع الذي تشغله كل منهما في الدولة. فالمويستيون ليس لهم كهنة قادي. وكل دير

فانتم بداته وكان رئيس الديار الأتات أو اتييم، يخاص معاملة موقّف من الدرجة الثانية عشرة. وهكذا حُدّ وضعه في الدولة أمّا اللامات فقد شكلوا فئة مغلقة تتكامل الدولة بكمياتها من كل شيء. وفي بعض الأقاليم كان اللاما يجمع بين السلطنة الروحية والسلطة الزمنية لقد انتشرت اللامانية في الصين في اساطي المناحة للتيت ومنعوليا أمّا في اساطي الوسطى فالأديرة اللامانية قليلة العدد. وثمة في الأقاليم الحدودية المذكورة مجموعة من الأديرة اللامانية الشهيرة التي يزورها الحجاج منذ زمن بعيد

ومع مرور الزمن تبسّل نظام القبول في الملائمة البوذية تدلّاً متدياً وكما رأينا، فقد كان الانتماء بى البوذية في بادئ عهدها حراً تماماً، وكذلك الانسحاب منها وكثراً قد قلنا إن تلك الحرية لم تؤدّ إلى أي شيء ذي فائدة هتاحتها كانت الموضى، والاستعداد. والتراجع التكامل عن معاليم بودا إضافة إلى مختلف صروب إساءه مستخدم اسماليم وتحفل النصوص البوذية بكثير من الأوصاف البديعة لمختلف الأمثلة التي تبين الحاسب الآخر لهذه الحرية فقد ساهت أسنوص من مثلاً، لمعطيت الآتية: في مدينة راجاعريها شاعت شهرة اسدعو أويالى، زعيم زمرة الأتراب العنيفة عشر. لكن والديه كسا فلقين في محنتهما عن حياة هائلة يسيرة حالية من الهموم بولدهما فاذا ما صار كتيباً، فكر ابوالد ن، قد يعاني من ألم في أصابعه، وإذا ما صار عدداً فسوف يذله صدره، وإذا ما صار نسحاً فسوف تتأذى عيناه وهكذا استعرض الوالد ن مختلف لمن وثوقاً عند كثره سهولة، ألا وهى مهنة راهب بوذي ولم يكن اعتقادهم هذا بعيد عن واقع الأشياء، فهذه المهنة ستكون حياة سهما ملائمة جداً، سيام تحت سقف وشطاء ويأكل جيداً.

وقد أعجب الابن أيتما عجاب باختيار والديه، فهو لم يكن يحب العمل على أي حال. وباقتش الفسكرة مع أترابه، ومضى جميعهم فريقاً واحداً ودخلوا أبطائمه البوبية دون أي عاء ولكن الخلافات صهرت مند ايوم الأول. فمند الصباح ليابكر أحمد الفقيس يطلبون بطعام صيبه وشرح لهم ابرههان، أنه ينبغي عليهم أن يمارسوا في الصنح النمازين الروحية ويدرسوا تعاليم بودا، وبعد تلك يحملوا قدورهم ويحولوا على المؤمنين يطلبون منهم الحساب وإذا ما أحسن الآخرون لهم، يمكنهم عسند أن يأكلوا فأحذ المتيان عى دست بانصبيان والشعب ولما سمع بودا بالأمر أعطى تعليمات بعدم قبول الأعضاء الحدد في لبر قبل تمام العشرين من العمر، لأن المتيان ليسوا مؤهلين قبل بلوغ سن الرشد لا روحياً ولا فسرانياً للصر على مساهب حياء البرهبة وهكذا أقر من ذلك الوقت عدم قبول أحد راهباً قبل أن يكون قد اتم العشرين من العمر

لقد كانت مسألة العصوية إذن قد طرحت نفسها بإيجاح شديد، خاصة بعد وفاة بودا، حيث كان في الأديرة اليهودية آلاف من الرهبان الذين لم يسمعوا يوماً بعاليم بودا الحقيقية. لقد كانت غاية هؤلاء واحدة: الإثراء السريع على حساب المؤمنين، ولعيش حياة هائلة أرادوا أن يفهموها امتنعوا متواصلاً في التأمل. وكان يمكن دخول الديار منذ سن الخامسة عشرة، ويمكن ليس بصفة راهب، بل بصفة مستمع. وهناك كان المستجد يحضر خضوعاً تاماً لسيطرة أحد الرهبان الأكبر سناً المرشد ولم يقل لرهبان في صفوفهم المجرمين، أو المدينين، أو الملاحين، الأتقان، أو الجيود والأمر عليه بأسسه للمشوهين والحاملين أمراضاً معدية وفُرس الاقترام بشعائر طقوس التكريس في الرهينة. وكان طقس التكريس هذا ينقسم إلى تسويتين، إلى درجتَي تكريس. وقد دُعيت الدرجة الأولى «خروجاً»، «رحلاً» (برافراجيا) والمقصود هنا هو الخروج من الحياة المدنية وقد يكون خروجاً من طائفة أخرى. لقد قالوا عن الذين كانوا يصوون في عصوية الأخوية الرهسانية: «لأنه يخرج من الوطن إلى اللا وطن» ولذلك دعوه برافراجيتا، أي «الخارج»، «ذلك الذي رحل». وعملياً كان كل من يرتدي رد أصفر، ويصغر شعر رأسه ويحلق شعر بخته، ويرد أمام راهب مكرس ثلاث مرّات وهو في وضعه استعير عن الاحترام والتبجيل تعبير: «أنوذ بك»، يصير إلى «خارج» أما من كان يأتي من التبوية من ديانة أخرى، فقد كان ينبغي عليه بالتأكيد أن يجتاز مرحلة تجريبه وإعداد مدتها أربعة أشهر. ومع أنه ثمة نصوص أوردت مثل هذه المعلومات، إلا أن نصوصاً أخرى لم تشر إليها وتقول النصوص إن مرحلة التحريية كانت ملغاة بالنسبة لمن أراد أن ينتمي إلى الطائفة من سلالة بودا. وقد قال بودا في هذا الشأن: «إني أرحب أقربى هذه المسرة» لقد كان ينتسب الحفيد إلى عضوية الرهنة أو درجة مستمع يختار لنفسه مرشدين من بين الرهبان ليقوداه إلى رحاب تعاليم بودا.

أما درجة التكريس الثانية التي دُعيت «السوغ» (أو سامباد)، فقد كانت تجري في احتمالية أكبر، ومراسم أكثر فخامة. لقد كان كل شيء يجري في اجتماع الطائفة الذي كان سمي ألا يحصره أقل من عشر أعصائه الذين لهم كمال الأهلية. فيقدم المرشح للمعضوة إلى الاجتماع، ويطلب مرشده من الأعضاء قوله في الطائفة لأنه يستحق أن يكون عضواً فيها ثم تعطى الكلمة للمرشح نفسه. وكان هذا يجب أن يرتدي رداءاً يغطي جسمه وكتفه الأيمن (كتفه الأيمن يجب أن يكون عارياً). فيؤدي أمام الحضور إنشاءة تعبر عن احترامه العميق ويجلس أرضاً وفي وصعية لاحترام تلك كان المرشح يطلب ثلاث مرّات

قبوله عضواً في الطائفة. وكان عليه في كل مرة أن يرفع يده فوق رأسه ساماً كنيته بمصنوع إلى بعض بعد ذلك فكان رئيس الجلسة يأخذ من المرشح عهداً بالآتي يصول سوى الحميمة ولا شيء سوى الحميمة، ثم يطرح عليه أسئلة فكان يجب على المرشح أن يجيب عليها بدقة ووضوح. وكانت تلك أسئلة من قبيل «هل في حشدك دماء؟ هل تعاني من البرص، أو السلّ الرئوي؟ هل أنت مدين؟ هل تخدم لدى الملك؟ هل وافق والدك على ما تفعل؟ هل بلغت العشرين من عمرك؟ هل تملك ضروريات حياتك الجديدة من ملابس وقدر الحسنة؟ ما اسمك؟ من هو مرشدك؟» وإذا ما سار الحديث وانتهى على ما يرام كان رئيس الجلسة يخاطب الحضور بالكلمات التالية (يكرّرها ثلاث مرات) «أيها الطائفة السامية اصمعي! إن تلميذ التحليل (يدكر اسم المرشد) هذا (يدكر اسم المرشح) طلب الأوباسامبادا، ولا شيء يمنع قبوله، فلديه قدر الحسنة، وديه ملابس، هذا (فلان) يطلب الأوباسامبادا من الطائفة، وإذا كانت الطائفة رغبة، فلتصمعي (فلان) ومرشده بها، دكم هو العرص أيها الطائفة السامية، اصمعي من من الأجلاء يوافق على منح الأوباسامبادا للتلميذ (فلان) ومرشده (فلان) فليصمت، ومن لا يوافق فليتكلم، وإذا ما صمت جميعهم فإن الرئيس يعلن الآتي «إن طائفة تم على (فلان) ومرشده (فلان) بالأوباسامبادا، ولذلك فهي تصمت، وهكذا، إنني أقبل» وبعد ذلك كان يحدد ابوقت وفق طول الظل، وبمجد الفصل واليوم ثم يثت قوام الطائفة. ويخبرون المرشح بمصادر الأمور الأربعة، وتحديداً: كيف ينبغي عليه أن يحصل الأشياء الضرورية لعيشه واقتصود بهذا: القوت، وكيف ينبغي استجاذاءه، والملابس من القطع البالية التي يجدها مرمية هنا وهناك، والمصجع عند حذور الأشجار والبول كدواء، وقد سمح للرهب أن يقبل من المؤمنين التقديمات التي تحسن شروط عيشه. وقد تكون هذه ملابس كتانية، أو هطية، أو حريرية، أو صوفية، أو قنبية ومن المأكولات حبيب البقر الطارح، ولزيت الثباني، والعسل، والبصير وخبز ابرص وأخير للراهب أن يقيم في دير أو منزل، أو كوخ كما كان من حقه أن يقتل دعوات من تناول وحية افداء، عند المؤمنين في المنزل، إن لم تكن «مصادر الأمور الأربعة» سوى المتطلبات الضرورية التي تحدّد الشكك الصّارم لعيش الرهبان وبعد هذا يعلمون الرأهب الجديد على «أربعة أشياء» يجب تركها، وهي الاتصال الحسي (حس مع الحيوانات)، والاسبلاء عموه حسى على الحشيشة، وقس أي ككائن حي، حتى الدهان «أشمل» والابتعد عن التفاحر بسمو الكمان البشرى الذي حقه، فقد حرّم عليه حتى أنطق بقول مثل «يعجبني العيش في لمارل التحلية» وعند هذا يحدث ككبت فتنتهي

طقوس التكريس، طقوس البلوغ، (أوباسامادا) وقد أكد المتخصصون الذين حضروا هذه الرسم، أنها كثير مشهدة احتفالية رائعة، وبترك انطباعاً مؤثراً.

إن مراسم التكريس لبي وصفها هنا يتميز بها البوذيون، الجوبييون أما الكنيسة البوذية الشمالية فإنها تطلق درحة تكريس ثالثة. وتقام مراسم هذه الدرجة في العام السابع أو التاسع من حياة الرهبان وتسميهم في أثناء ذلك خلاصة حياة الرهبان وسلوكه إبان الفترة المصرفة وإذا ما بين أنه ارتكب أي شعوة تحالف أي من أوصالها الأربع الرئيسة، أو أن وجوده في الطائفة لا يتوافق ومبادئها، فإنها لا تتردد في الاتحاد قرار بطرده من صفوفها طرداً دائماً ووقت معلوم. لقد كان لكل رهبان كامل بحرية في أن يترك حياة الرهبنة وقتما يشاء، كما كان له الحق في أن يقول هذا بصمت أو يعلنه بحضور شهود وبحر كثر قد يؤمن سابقاً إلى أن سهولة الانضمام إلى الطائفة والخروج منها قد أسهلّت استعمالاً سيئاً، به تحولت الطائفة إلى ما يشبه المخابأ فهدد عهد الملك ييميسارا كاتب الطائفة بحظي بالحصانة ولذلك لم يكن غريباً أن سمي إلى الدبر كل من يريد أن يتخلص من الخدمة العسكرية أو يتفادى عقاباً يستحقه بسبب سرقة أتاها أو أي إثم آخر أهرقه. كما جاء إلى الدبر عدد غير قليل ممن مضى بهم الفقر، والحياة في الدبر فكانت بالنسبة لهؤلاء أكثر ملاءمة ويؤكد المتخصصون أن هذا الأمر لا يزال قائماً حتى يومنا هذا في البلدان الجوبية (سبلان مثلاً) وهذا الأمر ممكن فقط عند البوذيين الجوبيين بسبب مرونة مواضعهم ومبادئها وحتى وقتنا هذا يمكن للرهبان هناك في أي وقت مناسب له (ألت إليه تركته، أو وقع في عرام فتاة أو...) أن يخرج دون أي عائق من صفوف الطائفة وبسهولة عينها يمكن أن يعود ثانية أما لبودية الثمالية فتحرم مثل هذا السلوك بعد لدرجة الثالثة من التكريس.

لقد كانت ربحات أولئك الذين يتخلطون في صفوف الطائفة تلقى تلقائياً وتمدو روحه الرهبان روحه سابقة مع كل ما مترتب على ذلك من نتائج، كما حرم على الرهبان أن يكون له ملكية الخاصة، ولذلك كان يفقد حقّه في كل ما كان يملكه قبل أن يصبح راهباً. وحرم عليه في هذا السياق عنه أن يكتسب أي أملاك، وإذا لوحظ أنه ينهك هذا التحريم، فإنه يسعي عليه أن يعلن اسمه وموته ويتنازل عن تقوده للطائفة وكانت النفود تعطى بعد ذلك لخدام أسير، أو لأي مؤمن ليسير بها بطائفة ريب زيتون، أو ريبا ثباتيا، أو عسلاً ولم يكن المذنب يعطى من هذا شيئاً. أمّا إذا ما رفض المؤمن أن يلبس طيب الطائفة بشراء المطلوب، فكأنوا يرحونه أن يحمل النفود المعنية ويرميها في أي مكان. وإذا ما رفض أن يؤذي هذا

أيضاً، عندئذ تودع النقود لدى الزاهد الأكثر وفاراً واحتراماً لدى الطائفة، ويطلب منه أن يدهن تلك النقود في مكان لا يصل إليه فيه أحد في أي يوم. ونحن حكنا قد أشرنا إلى أن الرهبان أخذوا مع الرمز بتهككون في كل مكان، تحريم تلقي النقود ولا مرال هذا الانتهاك قائماً حتى يومنا هذا

فهي وقتنا هذا تعد الأديرة البوذية في سلاسل حكم في الهند الصينية ثرية جداً ومع ذلك لا تراى تحفظ على تقلب طلب الإحسان. وهو عند رهبانها طقس يومي. أما في التبت ومغوليا فالأمر مختلف. إذ نابت طلب الإحسان أمراً يأدر الحصول عملياً ولا يجوز طلباً لحسابها سوى اللامات المحدد الذين أكثرهم من العرب. ويؤكد شهود اعيان أن أكثر الذين يحررون طالبين الحسمات هم من الرهبان الجشعين، الذين يركبون الحيوانات ويرافقهم تلاميذهم في بجوابهم. ويلجأ هؤلاء إلى مختلف أساليب الاستدعاء ويتوسلون المؤمنين منحهم نقود ورؤوس من الحيوانات المنزلية وما يحصل للبودية هو نفسه تقريباً الذي يحصل للمسيحية. تراجع نام عن المصير البشري للدين وهذا ما يثمف الإنسان به بمصرف الأسطر عن اسمائه اديني. ليعود والثراء عنده الأولوية الأولى.

لقد عرفت البوذية الأولى قيود صارمة على ملابس الرهبان وماكلهم. فلم يسمح للزاهد أن يمتني أكثر من ثوب واحد، وكان يجب أن يتألف هذا من ثلاثة أقسام وحرام القسم الأول: الملابس الداخلية. وهذه عبارة عن سترة من نوع معين حلت محل القميص وكان الزاهد يرتديها على أجسد العري مباشرة. والقسم الثاني، هو زي الرهبة بمسه الذي كان عبارة عن سترة مميّزة تصل حتى الركبتين وتشد بالحزام. أما القسم الثالث، فهو المشلح. وكان هذا عبارة عن رداء شبه المعطف، يرميه الزاهد عبر كتفه لايصر ليعطي رجليه ثباتاً أكيد. وينتفى العكس لأبى وحرماً من الصبر في غضون ذلك عازبين. والحقبة لم يكن محرماً ارتداؤه على الكتفين معاً وقد نوهنا سابقاً إلى أن ثوب الملابس يجب أن يكون أصفر، ملهياً ككادي كان يرتديه بودا يوم تركه قصره الملكي ولا يزال زي الرهبة يحافظ على لونه هذا عند البوذيين الحويين أم لا. الزنبيين - اللاما الشماليين هم أنهم يرتدون معطاً يميل لونه إلى الاحمرار وثمة طائفة تدعى ذوي القبع الحمراء وكل احراء ملابس هؤلاء من اللون البنفسجي و القرمزي - الأحمر أما الشيبوسيتيون في الصين فبهم يرتدون كيمف أثمق لهم لثكنهم يميلون عانساً إلى اللون الرمادي وما تحب الإشارة إليه، أن الشروط المناخية تختلف اختلافاً بيناً من بلد بودي لآخر مغولي وسيلان على سبيل المثال. وتختلف تماماً بهذا ملابس الرهبان أيضاً. فهي لاداك

حيث لمساخ مسيد البرودة، يرتدي رهبان الطبقة الدنيا سراويل ويرتدي لثاماً في القبيات ومعولاً عدداً من الملابس الدُخْلِيَّة بعضها فوق بعض. وعندما يشارك هؤلاء في الواكبات بعضهم من مقامات دسة سامية، فإنهم يرتدون خريجات واسعة منموجة لكن الرُهبان في البلدان الجنوبية، الحارة لا يفتعلون عادةً أي حذاء، ولا يصنعون على رؤوسهم أي غطاء أما في الشمال فيعتلون الجرم أو الأحذية وبعد القُبعة من الصروريات حتى لا غنى عنها، بسبب برودة المناخ، ولأن ألوانها المختلفة تميز درجات رجال اسير هياوان القبيات والملايس (التلون الأصفر) يتميز رجال الدين في البودية لشماله أو اللامائية، على صورتها التي أقرها تسزويها في القرن 15م، إنهم «دوو لقبعات لصقراء». أما تعاليم ابودية المسايقة التي حافظت على درجة كبيرة من أصالتها عند البوذيين الجنوبيين، فقد أطلق على أتباعها لقب «دوي القبعات الحمراء»

وعينوا لتسلم الملابس التي كان يتمنق المؤمن بها على الرُهبان، راحاً حزناً لكن توزيع اللبسة لم يكن متولداً به، إذ كان يجري مباشرة وإذا ما توفي أحد الرُهبان فإن ملاسسه وقدر الحسنة كانت تؤول إلى الرأهب الذي كان يمتني به. وإذا ما ترك الرأهب المتوفي أي أشياء أخرى كانت تصم إلى ملكية الكنيسة كلها وكانت صيعة هذا الفعل تسمى نقل الملكية إلى طائفة الحاصرين والفاتيين في جهات الكون الأربع»

وكان قدر حسنة الرأهب يبدو على الشئكل التالي قدر كبير بعض الشيء، شئكله مستدير، قدعه بيضوي وله فتحة في الأعلى وعالياً ما كان القدر حديداً، ولكن كان ثمة قدر صينية وأخرى خشبية وكان يغطي مادة من الخارج بقشرة زرقاء أو سوداء. لقد كان الرأهب يحمل قدره هذا بيده لكن هذا التقليد تبدل عند اللامائيس فلم يكن هؤلاء يحملون قدر كبيراً، لأنهم عالياً ما كانوا يعرفون من طلب لحسنة، لكنهم كانوا دائماً يحملون قدر خشباً يعلقونه بالحزام، ومنه يأكلون. وفي معوليت يحمل اللامات معهم رمرمية مبيدة بالماء ولكنهم لا يشربون منها مباشرة، بل يسكبون ماءها في أكهم ويشربون. ولم يكن هذا مجرد إزواء عطش، بقدر ما كان ضرباً من ضروب التطهر.

لقد كان الالتزام بموعد النظافة في المشاعة صارماً جداً. فحرص على الرُهبان هضم شعر رؤوسهم وحلاقة شعر لحاهم مرتين كل شهر (يوم ينصف القمر، ويوم يظهر الهلال) وأخذت القواعد بالحسبان تأدية التدابير الصعبة كلها: تنظيف الأسنان، وتقليم الأظفار، وما س ذلك. وبعد زمن طويل توقفت رهبان الشمال عن حلق شعر لحاهم.

وكان يصمى من الأشياء الضرورية في أمة الرهبان، فيه كان يصمى ليه لتي يشريها، وبه كان يتقد حياة كثرة لا عد لها من الأحياء الصغيرة التي كان يمكن لولا المصنف أن يتلعاها مع الماء الذي يشربه كما كان على الرهبان أن يحمل معه إبرة للخياصة، وهكذا فكان يجب أن تتألف مقتنيات الرهبان من ثلاثة أقسام: الملابس والحزام، وقدر الحسبات، والصمى والقنعة. هذا ما كان في الركن القديم ثم أُجيز له فيه بعد أن يحمل عصا ولا يرتدي لوديون الحوييون قنعة عادة ولكن سمح لهم بحمل مظلة يتقون بها أشعة الشمس ابحارقة، لا سيما أنهم حلقو الرؤوس ويحمل اللامات معهم صولجان الصلاة وفي ثناء تأدسه صلواتهم بدورون هذا الصولجان في مختلف الاتجاهات كما يحملون جرب، وطبلاً من الجصاحم النشرون، ودعاً صمراً وستحة، وحجاباً، وكتيباً وعندما يطلبون الحسنة يتعجرون في بوق من عظم قصة بشرية كما تبدلت العصا عند اللامات تبدلاً كبيراً، وتغير عرصها فصا اشعاع صارت إلى عصا الإشارة، وهي عصا تنتهي بحرية ثلاثية أو حلقة على شكل ورفه وعلى الحرية حواتم تصدر أصواتاً أثناء الحركة وليس الغرض من الأصوات الإعلان عن حركة الرهبان، بل مرله عن صحب العالم المحيط كما يحب أن تبه أصوات عصا الإشارة الكائنات الصغرى لكي لا يطؤها الرهبان.

من المعروف أن بودا لم يشجع على أن تراكم الرهبان أرقاً كثيرة في لأبيرة، ويقضون فيها حياة مائكة مكمية. ولم يكن بودا محظناً إذ رأى أنه يسقي على لرهبان أن يكون في الطريق دائماً، لكي يشر التعاليم باسم حلاص البشر وحين رأيت إلى أي درجة من الانحطاط هبط رهبان دير العاصمة عندما امتنعوا عن تدية أبسط واجباتهم وكان بودا قد رى أنه يجب على الرهبان أن يقيموا معترين في العابات والكهوف والواقع أن هذه الأماكن كانت على مقربة من المراكز السكانية، وإلا كيف كان يحصل لرهبان على قوتهم، ولكن في الوقت نفسه، أجب لرهبان أن يزوروا المدن وأسرى في زيارات مجدده لجمع الحسبات فقط، أم الأديرة المريحة المدة لإقامة متب أو آلاف الرهبان، فلم يمكن لها في زمن بودا وجود فقد كان على كل رهبان أن يهتم بنفسه لكي يكون له نصف قوت رأسه فهي الرهبان الأكلوا من الأشجار، أو حضروا لحضر وكسوها بالأعشاب. ولم يكن لهم في أثناء ذلك أن يتصوروا أي مساعدة من المؤمنين لقد كان الرهبان يعيشون منمردبين، والحقيقة أنه كان مسموحاً لهم أن يتجمعوا في جماعات صغيرة وفي مراسم الأمطار كان الرهبان يتجمعون ويعيشون حياة لاستقرار وكان

المؤمنون يتبرعون ببناء مساكن لهم في مثل هذه الفصول، مساكن جماعية (فيهارا). وقد حاول الرهبان أن يؤمّسوها بها جواً مريحاً داخلياً ونشرب السيق إلى أنه كانت توجد هنا حمامات دافئة، وممرات مسقوفة للتنزه (لقد كان هطول الأمطار يستمرُّ هنا أشهراً) وهكذا شيئاً فشيئاً أخذ الرهبان يعتادون على الإقامة في هذه الأماكن وقتاً مافتي يطول ويطول. وقد كان هذا هو الطريق الذي قاد مبشرة إلى تأميم الأديرة. وكان الرهبان قد تركوا منذ زمن طويل بقلند ساول وجية واحدة في اليوم. فقد هيلوا الآن لأنفسهم نمط عيش لا تميّز هذه العيود رد إلى هذا أن مشروبات الرُوحية أخذت مكانها على مؤنّدهم، وقد مهدّ لسبيل إلى هذا عياب الرقابة في الأديرة اللامائية، وعدم وجود الموائد المشتركة، وشيوع عادة أن يأكل كل رهبان بمفرده كما كان لكل راهب اقتصاده المستقل أيضاً.

لقد نُوّها سابقاً إلى أنه كان ينبغي على الرُهبان أن يتركوا كبرياءهم خارجاً قبل أن ينضموا إلى طائفة البوذية. وكان هذا واحداً من شروط اعتناق البوذية. وعلى وجه العموم تعد الكبرياء في الديانت كلها شيئاً كبيراً لكن ما يجب هو، هو أنه إذا كان المسيح ومحمد لم يقررا إثم الكبرياء، فإن بود سلك سلوكاً مغايراً تماماً ومحبباً مثلاً كان يصكر دوماً أنه ليس سوى رسول لله، وأن رسالته هي نقل تعاليم الله إلى الناس، أي اتصال القرآن إليهم، وبعد ذلك هم وشأنهم. أمّا بودا فقد وضع نفسه فوق مقام كل إله ولكن الإله له قاص. ومع ذلك وضع بودا وصيته للمؤمن العادي لا تتأخر سمواً الكمال البشري الذي يبعثه وبما أن التصوُّص البوذية القديمة كانت توضع موسوعاتها الأساسية بالأمثلة فقد سافت المثال السألي ليس هذه الوصية

عندما قصى الرهبان هضام الأمطار مرة في أرض فربعي على صمّ نهر فالغو مودا، انتشرت مجاعة قاسية ومن الواضح أن هذا انصعب على الرهبان أيضاً فاهتزع الرهبان المحتشون إن يخدموا لدى المؤمنين ليحصلوا على لقمة العيش لكن اقتراحهم رفض وأخذ باقتراح آخر مؤداه أن يسمح الرهبان واحدهم لآخر أمام المؤمنين مدبرين في أثناء ذلك تموقعهم الحارق. ويسلو أن العلاحين الحائمين قد استجابوا، وأطعموا رهبانهم هؤلاء جيّداً. لأنهم كانوا يمتلكون الكمال البشري الأسنى وبعد أن انقضت فصل الأمطار عاد الرهبان إلى طائفتهم، من بودا، فظهرت وحناتهم حمراء منصوخة حلقاً لرملائهم الرهبان الآخرين وقد كان عليهم أن يعترفوا كيف نحبوا في ترتيب شؤون معيشتهم ولتصادي تكرار مثل هذه السابقة وحد بود نفسه مضطراً لإدخال هذه الوصية لا تساجر

بكمالك البشري لأسسه، بيد أن اوصية ثم تردع الرهبان إلا بعض الوقت، أما بؤذيو الشمال اللامائيون فبنهم دون وارع من ضمير بصورون الأمر ككنهم تحت وصاية لأهة مباشرة وهذا ما يقدم لهم مساعدة هائلة لمصاعفة مدخولهم ولكن اللامات في الشمال لا يكتفون بالأدعاء أنهم وسطاء بين لأهة والناس، فهم يصرسون المداواة، والشبؤ، وطرد مختلف صروب الارواح الشريرة، هالبودية المناخرة أحدثت عن الشيفائية إيمانها بوجود الأرواح وقد كتب المتخصصون عن هذا ما يلي «كل رزية تقع داخل البيت أو خارجه يتهم فيها شيطان ما، ولا يستطيع أحد أن يحدد أي شيطان فعل هذا، سوى اللاما لأن كل شيء مكتوب في كنبه» ولا أحد يملك القدرة على إحراج الشيطان الشرير سوى هذا اللاما نفسه ولكن الأمر يتطلب بذل جهود مضنية، بمعنى آخر يجب بذل مزيد من المال» كما يتوغلر اللاما المعاصرون على مصادر دخل أخرى فهم يرسمون الأيقونات، ويكتبون الكتب، ويصنعون السحاح والحطب، ومضلف صروب الحرر البزق. كتب يعمسون في الزراعة وتربية الحيوانات، ويصنعون الأحذية، ويحيطون الملابس، وما إلى ذلك. وليس لهذا كله أي عرص آخر سوى تحصيل مزيد من الأموال، والقيم المادية الأخرى. ويعد هذا بحد ذاته تر جعاً كاملاً عن جوهر الرهينة. ومن البدهي أنه يجب على الرهبان أن يعملوا، ولكن يجب عليهم أن يبتعدوا عن روح الحشع والطمع. والسعي إلى مراكمة الأرباح. وإلا أي طريق بر هذه التي يمشيرون فيها رداً إلى هذا، أن الذي حدثما إنسان (بودا) وضع نفسه فوق كل الآلة، إنه هراء تام

لقد كان رهبان رمن بودا مشرعون بقراء القانون ونظام الانضباط عند شروى الشمس ويتصون سعادت المصباح كنها بالصراة، و نقاش، والتخيل وكاست حياتهم العملية التومة تجري عى سوء هذا المانون. فبعد جولته جمع الحسنات، وتناول وجبة اعداء، وانعصاء وقت الصيوثة، تكون الرهبان يجلسون حتى وثت متأخر من الليل يد رسون مصانون، ويمارسون الاستمراق الدأتي أو ينصنور إلى روعة الليل، نصب نام (انصنم لنبله). وكان المؤمنون ينمون الطائفة أو ادير بين وقت وآخر طلباً لسمكينة أو لصيحة

أما ههما بخص لأبيرة النسائية فدنه لا وجود لها الآن عند البوديين بجسوبيين. وليس في آلامنا هذه من مرشحات لدحول بدمر سوى كسمرات السن، أو الأرامل المسنات، اللواتي ليس لهن أساء، وإلا قبلن قعليهن أن يمصصن شعر رؤوسهن ويرتدين رداء بيص، ويقمن على مقبرة من سبر، أو داخل الدير في صوامع خاصه بهن وتجمع هؤلاء

الحجرات للدير، وتزدي أعمال لطافة فيه، وتأتين بالماء للرهبان، ويؤذين مختلف صروب الأعمال الصغيرة، ومن حق لراهبه أن تترك الدير في أي وقت تشاء. وإذا ما لوحظ خلل ما فن رئاسة الدير تطلب منه ذلك، وهذا هو المعمول به عند اليهوديين الشماليين ماً في الصين نفسها، وفي بلدان الهيمالايا والتبت، فلا تزال الأديرة النسائية قائمة.

في زمن بود كانت طقوس العبادة في الطائفة محدودة جداً إذ لم يكن الرهبان يحتمون سوى مرتين في الشهر للاحتفال بأيام الأوبفاستها، يوم ظهور الهلال، ويوم «بصاف القمر». وكان حضور الرهبان لهدى الاحتفالات إلزامياً فقد كان هؤلاء يتوافدون من شتى الأرجاء إلى المكان المحدد وفي الوقت المحدد ولم يكن يستثنى من الحضور حتى المرضى إذ كانوا يحملونهم إلى مكان الماء، أو كان اللقاء يجري عند مصبح المريض منهم مرضاً شديداً وكان مكان أسقاء يضاء بالمشاعل فيما يجلس الرهبان على مقعد صغيرة. ولم يكن قوام المحتمعين يتألف إلا من الرهبان المكرمين وهب كان يُقرأ الكتاب المقدس براتيموشكا. فيفتح رئيس الجلسة الاجتماع بالكلمات الآتية «أنا لسانى، المقدس، سكمل الصلوة: أصغى إلي أيتها الطائفة!» اليوم هو اليوم الخامس عشر من الشهر، يوم الأوبفاستها وإذا رغبت الطائفة فلنؤد طموس الأوبفاستها ولنقرأ براتيموشكا بصوت مسموع ولتعلنوا «نتم أيتها الأحلاء ما إذا كنتم طاهرين من لإثم» وسأبدأ أنا أقرأ براتيموشكا». فتجبه الطائفة بصوت واحد: «سوف نستمع بانباء ومن القلب» «من أقمرب إثمنا فليعلن عنه، ومن لم يعمل فليصمت ومن من الرهبان الذين سئلوا ثلاث مرّات، لا يعلن عن إثم ارتكبه، سيكون مديباً بالكذب المقصود والكذب المقصود أعلنه السامى عقبه كإذاء على طريق لحلاص ولذلك فليعلن كل راهب عن إثم يعرف أنه ارتكبه ويرغب في أن يتحرر من عنه فالاعتراف يحصى له راحة النفس» وبعد ذلك يسأل كل راهب عدداً من الأسئلة ولنكر كثيراً من هذا تعبر الآن، إلا في سيلان حيث يجري كل شيء، أو تقريباً كل شيء، هكذا بالصبح.

ويحتفل الرهبان مرة كل عام بعيد الدعوة (برافار با) ويسعى هذا العيد باسم خر أيضاً: الاستدعاء ويحتفل بهذا العيد في آخر موسم الأمطار وبدا موسم التحول. وهذه أيضاً بحري الأعراش اعلني ثلاثم لمرتكبة وكان يشارك في اللقاءات الاحتفالات هذه، رهبان لمنطقة المعسة دون استثناء وهنا كان يسأل كل راهب زملاؤه بالبحاج عمداً إذا كان قد

ارتكب أي إثم بحق أي منهم. وفي غصن ذلك كان الراهب يرسم معطمه على كتفه الأسير، ويحس على الأرض رافعاً يديه، ضاماً راحتيه بعضهما إلى بعض مرتداً ثلاث مرات، «أدعو إحتوي، والطارقة» هل تعرفون عني شيئاً، أو سمعتم شيئاً، أو هل لديكم أي شكوك حولي، قولوا لي أيها الأجلاء ما ذا كان لديكم شيء من هذا، رحمة بي، وإذا لم تعرفوني فإني سأعلن بدمي وتوسبي، ولمكن هذه الاعتراقات العنقية تحولت مع الزمن إلى اعتراقات شكلية صرف. وإذا ما وقعت صدامات، أو انتهاكات للميثاق، فقد كانت تسوى مسبقاً في دائرة ضيقة

وفي زمن بودا نفسه كانت الطُمرُوس تنهي عند هذا ولكن عبادة الذخائر وسجيل الأماكن المقدسة أحداً يظهران في وقت مبكر جداً. وكانت المنابر ينيباناسوتا قد حُبرّت، أن بودا نفسه أشار إلى أناندا بأربعة أماكن يجب أن تحظى لدى كل مؤمن ينتمي إلى عائلته مساحة بالاحترام، وبمعدن جديرة بأن تزار، وتؤثر في القلب، المكان الأول، هو المكان الذي ولد فيه بودا، والمكان الثاني، هو المكان الذي أدرك فيه بودا صحوة العقل، وأدار للمرة الأولى عجلة القانون الأكثر براعة (أي المكان الذي ألقى فيه موعظته الأولى)، والمكان الرابع، هو المكان الذي دخل فيه بودا النيرفانا وقال بودا، إن ردة هذه الأماكن الأربعة واجب على لرهبان والراهبات، والمؤمنين، والمؤمنات ووعد الدين بموتون بقلب نقي وهم في الطريق إلى الحج، إلى تلك الأماكن، بالبحث من جديد على الجانب الآخر للموت، في السماء

لقد حلت البوذية المتأخرة الذخائر تحيلاً كبيراً فعظمي ناب بودا مثلاً، بهجد، لا يصاحي وأُسست فيه مؤلفات خاصة وأخذوا يمتنعون فيما بعد أيقونات مأخوذة عن تماثيل بودا وصاغت البوذية الشمالية إلى الأيقونات صوراً بربكها بودها وبيا تيودها ومختلف، ليوهيسانص كم شيدت معابد مهولة فخمة، ومصلبات صغيرة على الطرقات، ومفارق لدروب، أو في سهوب، وشيدت أيضاً أبراج للصلاة أنجبتها الأحرار، وسوا علاوة على ذلك كله جذراً حفرها عليها الدُعاء، نفسه، «أوم ماني بادمي هوم»

ويثير الفضول في هذا السياق ابتكار لا مائي صُرف باسم: طواحين الصلاة فبما أنه يجب ترديد لصلاة أكبر عدد ممكن من المرات، لذلك صارت الصلاة إلى تكرار آلي وهذه الآلية عبارة عن بنية تذكرنا بشكل النهرمين أو الأسطوانة، ملينه بقصاصات ورقية كتب عليها «عية»، وصلوات وقد تكتب هذه النصوص على سطح الأسطوانة وقد اعتقدوا أن تلاوة الصلاة أو تدويرها أمر سواء ولذلك فطاحونة الصلاة، هي مسرع آلي

لتزويد الصلاة. وثمة كم كبير من هذه الطواحي في متاحف أوروبا. ونحن لم نسق هذه الواقعة لكي نشير دهشة لقارئ، بل لكي نبين إلى أي حد يمكن الابتعاد عن الجوهر نفسه وكان المسيح قد علم توجهه إلى الآب بأفكارك فالصلاة إذن، هي تواصل شخصي بين الإنسان والإله وجهاً لوجه فأنشاء تآديته الصلاة بصدق وإيمان بتحول الإنسان، ويعترع أن يتكلم مع الأفضل، أن يتوب عن آثامه وسدم على ارتكابها إن الصلاة فعل تملأ، وتحوّل نحو لشيء فمن أي آلات يمكن أن يجري الحديث هـ نعم، لم نترك يوماً صلوات بكته ترك إرشادات نداء على عمل الخير والإيمان بغير فعل، هو إيمان ميت ولنكن أن تحمل أكثر وسائل لتواصل مع الإله قد مة مجرد آله، طاحونه، فهذا كمن، بطاوع على الدين.

الباب الثالث

الكريشناية

مفهوم الممالك الهندية الكريشائية على لإيمان بالإله كريشنا، وأسوانين التي تضمّنتها الميديات وهي أقدم الآثار الهندية المكتوبة، فعلى أساس القوانين الفيديّة التي دوّنت منذ 5000 عام، جرى تطوير حضارة عاشت على كل أراضي الهند المعاصرة، وجنوب شرقي آسيا، وبكستان، وأفغانستان، وسواها من بلدان آسيا الأخرى ويرى الكريشائيون المعاصرون في هذه الحضارة، حضارة مثاليّة، وبصم الدراسات الكريشائية المعاصرة ميزت الحدود الميادية على النحو الآتي

«أراضي مترامية كانت تحت سيطرته مبراطور واحد، وخصص له حكام الدويلات والإمارات القائمة على هذه الأراضي كلهم. لقد أقرّ لحكام السابغور سلطة الإمبراطور، وأدّوا له لائوات وخدمات، أو حصصاً لقوّته العسكرية. لقد عمل الإمبراطور على إشاعة الأمن ولسلام في أراضي إمبراطوريته، وسعى لكي يعيش الشعب في سرور وبخوذة وكان اتصل هؤلاء الأباطرة ملوكاً «هوباء» ورجالاً ذوي إيمان ديني عميق، يسجدون للرب الأعلى، وينمقّون في العلوم الروحيّة، وعماه ما كان المؤجلون راضين عنهم طول فترة حكمهم وبعد وفاة الإمبراطور أو أحد المسؤولين، فكان العرش يؤوّل إلى ابنه الأكبر

تربطه أن يوافق الزوراء على هذا الاختصار ومحصل مسئلتهم الرفيع، ومعارفهم الروحية لعميقة، وكان هؤلاء الورثة عادة، أشخاصاً شرفاء، صالحين. إذن، لقد استند الساء الاجتماعي للمجتمع الفيدى على سلطة الدولة القوية التي كانت تتركز من أيدي سوك شرفاء ملتزمين بالتر ما صدر ما للمبادئ الدينية، ولم يسمحوا لأي كان أن ينتهك قوانين الإله لقد عاش الناس بسلام وسعادة في ذلك المجتمع القائم على القيم الروحية السامية وبسبب حياة المجتمع ككله وفق إرشادات المبادئ، وهي كتب مقدسة عرست فيها المعارف التي منحها الإله فصمه وكان البراهمان الإبرار هم مرشدو المجتمع لروحيو، الذين علموا لأخريين كلهم تطبيق قوانين الإله وكان لملوك بمسهم ينمون إرشادات العباء أسر همان، ولذلك كان كلهم راصياً عن حكمهم».

لقد سقنا هذا المقطع من كتيب معروف جداً في روسيا هذه الأهم هالكريشنثيون يضعون هدفاً أمهم الآن، هو إحصاء لحصارة الفيدية، أي إحصاء ذلك المجتمع الذي تكون السلطة الزمنية حاصبه فيه براهمان، أي للمرشدين الروحيين وقد قيل عن هذا لآسي: «ثم يكن است يتخذ أي قرارات قبل أن يتشاور مع البراهمان الذين كانوا يوجهون نشاطه وفق مبادئ الكتب المقدسة وكان الأساس التشريعي لذلك المجتمع، هو «المانو-سامهيتا»، وهو الكتاب الذي حُمت هذه قوانين مانو، الأب الأول للنفس البشرية وعلى هذا وسواه من الكتب المقدسة الأخرى، وضع البراهمان مبادئ إدارة المجتمع، وكان الملك يطبق تلك المبادئ مع يتوافق والزمان، والمكان، والمعطيات القائمة على الأرض، كتب كان لمصر المثلهم رتده في هذا كله».

لقد كان نظام تلقى المعارف عند البراهمان معروفاً في الهند، وفي الشرق على وجه العموم من المعلم إلى التلميذ الذي سيقدر بدوره معلماً ينقل معارفه لتلاميذه هكذا كان ينقل الفكر (نقول) الفيدى وبحق الكمال الروحي.

وحسب اعتقاد مطري الكريشنايئة سيوم أن المجتمع الفيدى بدأ يتدعى أثر حلول قرن كالي الذي يمشيه البشره الآن ولا تستخدم كلمة «قرن» هنا بمعناها التقليدية، فالقرن يطول حسب المفهوم الفيدى عدة آلاف من السنين. إذن مع حلول قرن كالي أخذ المجتمع الفيدى يفقد بقاءه وسيطرته على المجتمع شيئاً شيئاً وبدأ تدعى

البراهمان أنتمسهم أيضاً، ففرق المجتمع كله في الأثام والعبوب واهترأت السلطة الملكية وتواهمل انحلال الثقافة، لمديدة حتى ندانة عصر البُناريح، تحدثت فسمطت الإمبراطورية الهندية الموحدة. وألحق مختلف أقاليمها بدول العراة، همد أسست الشعوب التركية على أرض الهند إمبراطورية المعمول العظماء. واستمرت مسطرة هؤلاء عدة شرون.

وفي أرمته السيطرة المبعوليّة همد ظهرت كلمة «هنسوس» وقد اشتقت من كلمة «سهندو»، التي دعا المحتلون بها سكان البلاد الأصليين ثمّ بات مكان الهند كلهم يدعون فيما بعد هندوساً، ويرى أتباع الكريشنايّة، أنّ الهندوس هم فقط أولئك الذين يلتزمون مبادئ الثقافة الفيدية فالهندوسية هي دين الفيدات. وبعد المغول استولى الإنكسبر على الهند، إذ وجد هؤلاء فيها اليد اعامة ابرخيمة، والمواد الأولية اللارمة لصناعهم. وفي زمن السططرة التركية على الهند، انتشر الإسلام فيها، كما شرع الإنكسبر يشرون فيها دينهم: المسيحية وهكذا فقدت الثقافة الفيدية تأثيرها في المجتمع الهندي، تصرياً، بيد أنّها لم تندر واستمرت بكل معرف الفيدات من المعلم إلى التلميذ وكان نظام نقل المعرفة قد ظهر مند فجر خلق العالم، عندما وضع الإله كريشنا المعارف الفيدية في قلب براهما وكان براهما هو الكائن الحيّ الأوّل الذي خلق في العالم وكان انه نرادا هو تلميذه لذي نقل المعارف الإلهية إليه. وكان لهذا بدوره تلميذه شريلا فياسا الذي صاغ هذه المعارف في صيغة الفيدات، الأمر الذي جعلها في متناول أيدي الناس كلهم. بمن فيهم هؤلاء الذين يعيشون في زمن همد، وهو الزمن «الأكثر كثافة في تاريخ اسشريعة ككله» (قرن كالي)

ثمّ نقل فاسادفا المعارف الفيدية إلى مادهماشار، الميسوس اعظم البنا وقد بشر هذا بمعانيم الفيدات في كل أرجاء الهند، وكان له آلاف التلاميذ ونسبه في الهند الآن مئات الملايين ممن يؤمنون بالجواب الروحية للثقافة الفيدية ويلتزمون مبادئها.

وشاعت، لكريشنايّة شيوعاً واسعاً في العالم بفضل إنشاء الجمعية الدولية لعرفة كريشنا وقد أدت دوراً استثنائياً في هذا الشأن، كتب شريلا براهيودا التي يقارب عددها المائة كتاب وهذه الكتب عبارة عن ترجمة للأدب الفيدى إلى لغة الانكليزية. مزودة بشروحات وتعليقات مسهبة على بعض الموضوعات الفيدية وبعد شريلا براهيودا مثلاً ما يمكن أن يعمل الإنسان للمهم روحياً فهي

الثاسعة والسُّتين من العمر وصل شريلا إلى نيويورك وليس منه سوى عشرة دولارات وصندوق فيه محبّات «شريما» بهاراتام». وخلال عشر سنوات حال شريلا الصكرة الأرضية خمس عشرة مرّة، وأسس الجمعية الدولية لمعرفة كريسنا، وافتتح أكثر من مائة مركز لمعرفة كريسنا في تسعة وأربعين بلداً من بلدان العالم، ومنح السيمة الروحانية لألاف التلاميذ، وعرف الملايين بمبادئ الأدب الفيدي. وفي العام ١٩٧١م زار شريلا روسيا وخرج إلى النور إبان حياته أكثر من مائة محلّة من مؤلّفات الأدب الفيدي. وصكّت الموسوعة البريطانية تقول: إنّ هذا «أقار دهشة عالم العلماء كله».

ومعنى كلمة «فيدا» هو «معرفة». والفيدات هي من حيث الأساس أناشيد كس يؤدّيها الكهنة مجيهاً للآلهة وتألّف «فيدا المدائح (الريح-فيدا)» من ١٠١٧ شيداً جمعت في تسعة كتب. وكُرّس الحكمُ الأكبر من أشعارها لتمجيد إله النار أعني، والإله يندرا له المطر والسماء. وشمّة «فيدا» هي «فيدا تقديم الذبائح» حتوت على تعليمات تأدية فطس تقديم الأصاحي للآلهة وقد دعيّت هذه «ياحور-فيدا» وهناك أيضاً «ساما-فيدا» («فيدا إنشاد الأغاني»). وتألّف هذه من ١٥٤٩ بيتاً من الشّعْر، تقف على أكثرها في «لريغ-فيدا» ضمن سياق آخر. وتمجّد «السما-فيدا» على وجه الخصوص، مشروب السوما السماوي أمّا «الأتهار-فيدا»، فهي تحتوي على مختلف لأعاني والطُفوس وقد أعدّ قسم كبير منها لمدائح الأمراء.

وقد كتب ماسمادرونا دوسا عوسفمي يقول: «هناك أربع فيدات تشجّع على تلبية الرغبات الماديّة عبر السجود لأنصاف الآلهة. هالدين يرغبون أن يستمتوا بممارسه الجنس مثلاً. يسجدون لإله اسمو ثا يندرا، أمّ هالدين يرغبون في أن تكون لهم ذريّة صالحة، فعليه أن يتعبّدوا للوالدين الأولين العظيمين برادوكاباتا. ومن يسعى لتحقيق النّجاح في مساعيه، يجب أن يتعبّد الإلهة دورغا، ومن يرغب في امتلاك بقوة. عليه أن يسجد لإله النار أغني وعلى المعاعي لتحصين الثروة أن يتعبّد فيسا. ومن يريد جسداً قوياً، عليه أن يتعبّد الأرض. ولكنّ الأدب الفيدي في أحوال كلها، لا يتحدث عن أنصاف الآلهة بصفتهم ثمة الحيّلة، بل بصفتهم منفذين للإرادة عليها معوحيين سبعة لإدارة شؤون يكون فالمليّة لا تفعل شيئاً من تلقاء ذاتها، فعليه كل طاهر من طاهراتها تقف شخصيّة ما هي يندرا يورّع هطول الأمطار، وقارونا يسيّر البيئة المعرفيّة لكنّ ما تسفي الإشارة إليه. هو أن أيّاً من هؤلاء الآلهة، وعددهم

ثلاثة وثلاثين مبيوفاً، لا يصاهي الإله الأعلى، بهاغا، فاما، الحقيقة العليا المطلقة (أوم
ثات سات)

إنَّ نِصاف الآلهة هؤلاء لهموا سوى منمدين لإرادة الإله الأعلى، فالإله كريشنا يؤكّد
في «بهاغافاد-غيتا» مثلاً، إنَّ كلَّ لُعم التي يمسحها أنصاف الآلهة، هي في واقع الأمر «نلك
لي أعطيتها أنا وحدي»

وعلاوة على لميدات الأربع المذكورة، يحتوي الأدب الفيدي على «المهابهاراتا»
(تاريخ هند)، واليورانات الشامي عشرة وتعدُّ الأوبانيشادات جزءاً من لفيداب، وهناك
كتب مستقنة حرى فيه تعميم نظري للمعارف اليميدية كلها، وقد خصص هذا
الكتاب للفلاسفة، إنَّه كتاب «هنداماسوترا» الكلمة الأخيرة للميدات وقد جاء في
«الفيدانتا-سوترا»، ما هو المراهمن، الحقيقة المطلقة «نُ الحقيقة المطلقة هي ذلك
الشيء الذي يثبت منه كل شيء، ثمَّ جاء اشرح التفسير لهذه المعولة في «شارياماد-
بهاغافادا» وقيل إنَّه يجب أن يمتلك بحقيقته المطلقة وعياً، إدراكاً، إنَّها «ممدسة
بذاتها»

ويشكل علم الروح الأساس الفلسفي للكريشنائية ويرى الكريشناتيون إنَّ
التفسير الأوفى لمكانة الإنسان في هذا العالم قد تتضمنته الفيداب تحديداً هروح الإنسان
لا يولد ولا يموت، ولذلك فإنَّ دراسة الروح عن طريق التجربة، في المختبرات، أمر غير
ممكين، لأن المعرفة النفسية عاجزة عن تفسير ما هو منسجم فوق اعالم المادي وليس
المعرفة المطلقة متاحة إلا للإله نفسه، وتقول «بهاغافادا-غيتا» «سلب أعدت الروح لسكي
تنتشر من جسم الطفل إلى جسم اشباب، ثمَّ إلى جسم الكها، فإنَّها بعد الموت مسرح
لتسكن جسداً جديداً ولا تحير هذه التبدلات الاسمان العفلا» بعد قامت «الكريشنائية»
على فكرة روح الروح هذه، هذا لروح الذي يجري وفق قانون الكارما ويكب قلباً
لدى وصفا للبدنات الشرقية الأخرى، إنَّ قانون الكارما يعني، إنَّ كل فعل يقوم به
لإنسان في العالم المادي، تنتج عنه نتائج معينة وسوف يحيي الإنسان في المستقبل ثمار
أعماله الصالحة والطالحة

أمَّا فكرة روح الروح، فإنَّ نقصة ضعفها تكمن في أنَّ الإنسان لا يتذكر أي شيء
من المرات التي عاشها سابقاً والعرض من المصكره عنها، هو تحقيق المقرب الكامل عمَّ
اقتربه الانسان من ائام، وكل من يعرف أنَّ هذا لا يحصى في حلال حياه واحد لا نقلقى
الإنسان وراء أفعاله الشريرة، أو ثواب أفعاله الصالحة في حياته عيها وذا ما امد وجود

الإنسان خارج إطار حياة زمينة واحدة، وخرج إلى رحاب آلاف أسرّات، قبلُ المسألة برمتها تسقط: من يستطيع أن يتتبع ما يحدث للروح خلال الزمن المعنى قصي المسيحية يتلقّى الإنسان جزء أفعاله بعد نهاية حياته (الواحدة الوحيدة)، ويقع الأمر عند حلوله في لحام لأحر مباشرة ويرى كثيرون أن فكرة روح الروح بهست فكرة منطقية لأن الإنسان لا يتذكر أيّاً من وجوده الكثرة لسبقه وهذا يعني أنه لا يتذكر أيّ إثم من الأثام التي اقترعها في أيّ وجود من وجوداته، وهو لا يعاني في هذا السبق أي شكل من أشكال تأنيب الضمير ولن يعمل بالتالي في سبيل أن يكفر عن آثامه، التي اقترعها فكيف يمكن إذن أن تعمل لية الكمال الروحي عند الإنسان وهي الآلية التي لا عمل لقانون الكرامة بغيرها؟ وكيف أمكن لفكرة بزوح الروح بمسها أن تظهر من السدي أنها تشأ من فراغ، ولم تتكرر متكرراً تملأ صرماً لكي نعلل أو نسر وجود العدة، يؤكد أن تحفيق هذه الأخيرة في صورة قانون الكرامة أمر مضمون. وكانت فكرة روح الروح قد ظهرت عندما رصد الناس كيف كانت روح من عاش سابقاً تظهر سماتها في مولود جديد ونحن كئنا قد عالحن هذه المسألة معانجه وأقية في كتابنا: «الإله، والروح والحلوة» وواضح الأمر أن روح الإنسان يمكن أن تأخذ لذاته، إحد اثبات أرواح أخرى، ولكن هذا لا يحدث إلا في حالات خاصة غالباً في حالة الأزمات النفسية لسي تتعيب بها حالات الشدة و...

ولكنّ التكمير عن أيّ إثم مقترف أمر مسنح في إطار فكرة نروح الروح هذه استي تقوم في صلب الكريشنة وقد كتب الإبيولوجي الكريشنتي الروسي شربلاهر، مكشاً سو مي (لا يمكن أن يلغى الفعل الصالح الفسّ الطّح . لأنّ للأول آثاراً إيجابية وللثاني آثاراً سلبية ولا ساً لتفادي آثار الأعمال السيئة من امتلاك مهار البكمير عن الأثام ولكن المبادئ العليا للفاسمة القيدية ترصص النتائج الإيجابية والسلبية لأفعالنا على حد سواء، لأن هذه وتلت تيمياً في العالم المادي. وهذا يحد ذاته شرراً. لأنه طالما بقي الكائن الحي في هذا الفهم، فسوف تواصل «الامة المادية»

وينتج عن هذا أن الحياة بمسها شرراً، ويجب أن يبتذل كل جهد ممكن لوضع حد للحياة المادية، ينبغي تحقيق الاعتناق بحد أن هذا لا يعني وضع نهاية للحياة صوة (فحياة الروح نوصل في هذه الحال أيضاً. في أسس أحريش) فهذا الامتاق يجب أن يحصل بشكل طبيعي، إذ يقع في نهاية سلسلة الولادات المتكررة

لقد رأى المسيح أنه يحب مساعدة كل إنسان ليصبح أفضل، وتعليم الناس أن يحب بعضهم بعضاً، وبهذا يستأصل الشر. فهذا ما قاب كل يسار بشر بشر بالخير، حين الشر يستبد بالخير، ولكن مفكرى العكريشناتية يرون أن الناس عاجزين عن تحقيق هذه المهمة، ولذلك يجب بدل كل جهد للتحرر من الحياة، من تلك الآلام التي سببها الحياة وقد كتب سوامي في هذا السياق يقول «يولد الإنسان لكي يدرك علم الروح ويعرف كيف تدخل دورة ولادات، وحيات المتكررة لتجني في أقاتها ثمر أفعالها التي قامت بها في الماضي، والإنسان لما قل سوف يعي عاجلاً أم آجلاً أنه بات رهس ليل، والموت، ولشيخوخة والأمراض وهو يحاول فهم سبب آلامه لكن أسثر عاجزين عن حل هذه المعضلات، بل لا يحاولون ذلك صلاة».

يبد أنه يصعب علينا أن نوافق على هذا، فليس في هذا لعالم أي مصادفة وليس وجود الحياة مصادفة أيضاً، وليست مهمة الإنسان هي تصحيح ما خلقه الإله، بل الالتزام بقوانينه. ووفق هذه القوانين يجب على الإنسان أن يولد، ويحب، ويحبب، ويحب الناس، ويمد يد آمون بقرين وأن لا ترتكب الإثم، يعني أن لا تنتهك قوانين الطبيعة، ولا معنى أن تتهرأ من المعصاة القديمة وإذا ما ارتكب الإنسان خطأ، فإن مهمته أن يعود ثانية إلى طريق الحق. في الطريق الذي حذبها الخالق وعيه كيف يمكن أن يُعد الإثم والتكفير عن الإثم شرراً، استنداً فقط إلى كونهما مظهرين من مظاهر الحياة عينها، فلو كانت الحياة شرراً لم خلقها الإله. ولذلك فإن اعتناق عكريشناتية كما وردت في النصوص التي سبقت هنا، لا يؤدي إلى كمال الإنسان والمجتمع.

إن الحياة بمعناها بالنسبة للعكريشناتيين مجرد وهم (مابا). فقد كتب سوامي يقول «عندما يمع في لعالم المادى المصنوع من التراب، والماء، والناد، والهواء، وفضل، والادراك، والباضل، فإن الكائن الحي يلقى نفسه تحت ملحة مختلف أشكال الوهم الذي يسمى داسنسكريتية ميا، فالديا، أي الوهم يعطي الروح الأزلية بازعامة ربها على الاندغام بالحسد المادى، ولعالم المادى» ثم يقول في ذلك «وإذ تقع تحت سلطة مابا، فإن العكاش الحي يمس وضعه ليدني حاد ما أزلت للإله، وفي سعيه لتلبية ضرورات الحسد المادى والأحاسيس المادى ينحني على ذاته بالآلام في مختلف أشكال الحياة».

وهذا نحن مرة أخرى أمام الآلام لتخلص منها يجب أن نتخلص من الحياة نفسها إن الرمال الحقيقية لأي دين تقوم في جعل حياة الإنسان أفضل، وليس في السعي لوضع

جداً لسلسلة الولادات بهدف التخلُّص من الآلام بل على وجه العموم، لماذا ينبغي أنْ
نتهرب من الآلام، لماذا يجب أنْ نخافها؟ فالآلام تشكل الجزء الرئيس من الحياة،
أساسها وبعبارة الآلام لا يمكن أنْ يتحقَّق الكمال الذي، ما هي مدرسة خدمة الإله
كريشنا؟

لكي تقدِّم حياة الإنسان أكثر سعادة، وليعى شيئاً هشيناً جوهر علاقته مع الربِّ
الأعلى ويكتسب تجربة مباشرة في التواصل معه، يجب على الإنسان «أنْ يردِّد اسم الإله
المقدس مجرد ترديد عادي، لأنْ الأصوات المتسامية للاسم المقدس تظهر الروح» يجب تكرار
الطُّق بما تراهاري كريشنا، وتتألف هذه من أسماء إله الوارده في الميديات: هاري كريشنا،
هاري كريشنا، كريشنا كريشنا، هاري هاري / هاري رام، هاري رام، رام رام، هاري
هاري

وتكرار ترديد هذه المانترا يحقق الإنسان حالة الاستمراق في التأمُّل. «إنْ أصوات
الاسم المقدس أصوات متعددة بالنسبة للروح ويمكن مقارنة تكرار المانترا سكاه الطفل
الذي يدعو أمه، لأننا نحن، النفوس الرؤ حية نصلُّ طريقاً في معاهل العالم المادي وبحاج
لحماية والدنا والدنا وكلمة هري مشتقة من كلمة هارا، وهي اسم الطاقة اسامي للربِّ.
وكريشنا هو اسم الرب الذي يشير إلى طبيعته لكلية الاستقطاب، أمّا اسم رام فهو يعني أنْ
الربُّ هو المستمتع الأعظم في العالمين الروحي والمادي».

أمّا كريشنا فهو حائق لكون الوحيد الذي يصلِّي جميعهم له المسيحيون
والمسلمون، والبوذيون واليهود، والداوسيون وكان شريلاً براهويلاً قد قال ما يلي عن
كريشنا

« إننا نستطيع أنْ نتذكَّر كريشنا عندما نشرب الماء، لأنْ كريشنا هو طعم
الماء. وهي الصباح أيضاً عندما نظهر خضوط الصبح الأولى، يمكننا أنْ ندكر
بكريشنا، لأنْ ضوء الشمس يعكس ضياء جسده وفي المساء عندما نظهر القمر
ندكر بكريشنا، لأنْ ضوء القمر انعكس لنور الشمس، وإد نسمع صوتاً
ندكر بكريشنا، لأنْ الصوت هو كريشنا حتى الجهره ندكرنا بكريشنا الذي
يدعونه هوفيندا لمانح السعادة للسمر ومن السهل جداً أنْ نتذكَّر كريشنا في
الضربة: أنه هو يقو عن مصمه إنه رانحة الأرض الطيبة، ورهور الربيع، هي
كريشنا أيضاً كما ندكرنا به الريح، والرع، والبرق والمؤمن عاجز عن أنْ
يمسى بكريشنا لو لحظة واحدة، بكل شيء هنا يدكر به!

ويسمى الكريشنائيون المؤمنون بالأوهيياء أو المحصنين. ويعيش هؤلاء في المعابد الكريشائية أو حارجها. ويوجد في العالم الآن أكثر من ثلاث مائة مركز كبير من مراكز معرفة كريشند، كما يوجد كذلك كثير من المعابد. ولهؤلاء شعار رئيس واحد: عش ببساطة، وهكر بتسام. ويقص الأوهيياء من الرجال شعر رؤوسهم قصير، أو يخلقونه خالفاً، ويتركون ضميمة واحدة طويلة في مؤخرة الرأس. وتعد هذه الضميمة العلامة الملزمة لسراهم والأوهيياء الذين يلتزمون بالآثورات القيدية ويرتدي الرجال الكريشنائيون قميصاً بسيطاً ودهوتي. قطعة قماش طويلة عرضها متر واحد، تلف حول الورك والمفاصل بطريقة حائسة. وترتدي النساء اربية ألوانها فاتحة

ويؤدي الكريشائيون في معابدهم أناشيد وتراتيل معينة. وفي معابدهم يقدمون للاله ست وجبات يومياً. مختلف أصناف الطعام، والمربطات والحلوى. وفي كل مرة يشدون أناشيد ويرتجون التراتيل. وبعد ذلك يبدأ النكاح إقامة المراسم التي تسمى أروتيكا ولا يزال هذه حتى الآن تمام كما كانت منذ مئات السنين. وفي غضون ذلك يقدمون للرب مصابيح يتنيل من القطن الأبيض المشبع بالزيت، كما يحرقون له البخور، ويقدمون الزهور والماء، والمراوح المصنوعة من ريش الطاووس وريش الياق. وأخيراً يعلن بصوت القوقعة عن ختم المراسم.

ويجتمع الأمناء الذين يقيمون في المعبد، وقت الخدمة الصباحية والمسائية في هيكل المعبد ويؤمنون ترانيل خاصة ثم يتشدون ترتيلة هاري كريشنا وبعد الخدمة الصباحية يمارس كل منهم مفردة تمايز التأمل بمساعدة المسحة وتشمه مسحاتهم (حاسا) المسحات لمسحية، وفي كل سبعة مائة ونعالي حرارته وهما حكم العملي لحماية لذلك مع كل حبة يرتل الأمير مرة واحدة ترتيلة هاري كريشنا وعليه أن يعمل هذا ست عشرة دورة كل ترتيلة ويستغرق هذا منه ساعتين من الوقت. ويصعد بكرار التراتيل الأمير على تركيز ذهني على الرب وتميحه حبه له وبعد هذه التمارين يستمع الأمناء إلى محاضرة ثم يتناولون طعام الإفطار يأكلون الصغام الذي قدم للرب أثناء إقامة المراسم الصباحية وتتألف الوجبة من حبوب، وحبوز الهند، والحليب وزيت الزيتون، والفواكه، وبخار فالامب، الكريشنائيون أساس نباتيون لا يأكلون اللحوم وهم يرون أنه ليس من حق البشر قتل حيوانات وكل جسادها إنها وصية القيد

وتتألف وجبة الغداء عادة من اسر، والخضار المطبوخة، والحب، وفي ثم الإنحاد يقيمون ولائم تكسر. يقدمون أثناءها للصوب والامباء لتقيم في المسد عشرة أصناف كحد

أدنى. وفي المساء تلقى عليهم محاضرة ثانية في فلسفة إدراك كرمشما وفي المديد يقيم الرجال
و لنساء كل على حدة. ومنهم مثل الرهبان أعطى هؤلاء عيماً بالعيش حياة العذرة والعفة.
كما يعيش الأماء خارج المديد أيضاً. وهم يعملون لكي يعبوا أنفسهم وعائلاتهم. ويقدمون
جراً مما يكسبون للمعبد. وثمة من الأماء من يحول مبره إلى معبد. وغالباً تُحد نوو
العائلات من الأماء في مشاعات راعية، ويررعون الأرض، ويمدّمون ثمار عملهم قرياناً لسرب
الأعلى. كما يوزعون من المؤن التي ينتجونها على الجيران الذين يعيشون في المكان وهناك
الآن كثرة كثيرة من مثل هذه المشاعات في شتى البلدان. ولا ريب في أن الإنسان يستطيع أن
يحقق السلام والسكينة إذا عمل وعاش مع الآخرين الذين يقاسمونهم رزاه وقتعاعته.

الباب الرابع

تعاليم جديدة (الأخلاق الحيّة)

لفصل الأول

تعاليم جديدة عن الإله

يُعدُّ الله في الديانات الغربية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، العلة الأولى لكل شيء. ما في لديانات الشرقية، بما في ذلك التعاليم الجديدة، فإنَّ تصوراتهم عن العلة الأولى بكل ما في الكون، وعن يوحه كل شيء فيه، تتمايز تمايزاً مبدئياً. فمبدأ أقسم لأنسة وقع لانقسامها إلى علة أوسى والهة وتد عن اعلة الأولى في الشرق «ذلك» أو «ذاك» وقبل أن يوحده الكون كان هناك الدالك، سكبت هناك الإمكانيَّة الكامنة لتحول الكون. وقبل أن تظهر لقوايين اسكونيَّه، كان هناك الدالك، كانت الحطَّة حتى ظهرت تلك الصوابين وهما ولا تصف الديانات الشرقيَّة «الدالك» بأنَّه كلي القدرة، يرى كل شيء، ويعرف كل شيء، وما إلى ذلك. فلم يكن لهذا المبدأ الأعلى أي اسم، أو تعريف، أو جواب، أو صفات، والإنسان عاجز عن تحديد صفات الدالك. ولا يستطيع أن يقول إنَّه مخلوق على صورة الدالك ومثاله. ولكنَّ بعض النظم الفلسفيَّة أُصلق على لذلك اسم بر همان، ودر براهمان، والمجهول اعظيم، والعلة التي لا علة لها، والمطلق.

وصكما قلنا في صكتاسا والإله والروح، والخلود إنَّ الكون تشكّل إثر ادمحار عظيم وهو موجود في زمن محدد، ثمَّ يهلك نتيجة بقصصه وتحوُّله في لحظة واحدة. وبعد زمن ما، يتشكّل مر هذه النقطة إثر انفجارها ككون جديد وهكذا دواليك. إذن، يولد الحسّون ترة وينشر ترة أخرى. أمّا الدالك فهو موجود يوماً وحسب الكتب المقدّسة الشرقيَّة أنّه مع حلول البهّل الحكومي، وعندما يتجمّع الكون كله في نقطة واحدة لا يبقى سوى (لدي يحتوي على كل شيء، وغير محتوي في أي شيء، الدالك فالدالك لا يستطيع أن يندثر في أي طرف من اطروف. وهما بعد عندما يتشكّل سكون حديد في صغار عظيم حديد، فإنَّ كل شيء يتشكّل من هذا الدالك. ولذلك فإنَّ الدالك موحد في كل شيء في المادّة وفي الحركة، وفي القوانين. وفي العقل وفي كل شيء، ولكنَّ اذالك يبقى دائماً بالنسبة للإنسان احيية، المجهول لعظيم.

ويطبق الآلهة هابون اندك في الحياة وحسب المصطلحات الهندوسية أن هذه لقوة التقيديّة، أو الإله التقيدي في نظام كوكبنا نحن، هو الإله يشمارو (لقوة الخالقة). نظام كوكبنا يقع كاملاً تحت عاية هذا الإله. القوة هو يصنعه، ويديره، ثم في آخر المطاف يدمره ولكن نظام من أنظمة الكواكب الأخرى إلهه إيشماروه، وحسب المصطلحات الغربية أن إيشماروه، هو اللوغوس. لكن لهذا الإشفارو - اللوغوس ثلاثة وجود: مراهما (الخالق)، وهيشنو (الحافظ)، وشيما (المدمر) ولكن البوديه حلاًفاً للهندوسية لا يعرف بإشمارو أنها. فالبودية ترى أن شكل إنسان يعبر لطريق عينها التي يعبرها إيشفارو وهو حضع للقوانين الكونية عنها التي يخضع الإنسان لها ويلعب الإنسان في أعقاب ريشانه خلال زمن تجسّد به الكثيرة، الحاة نفسها التي يلعبها إيشمارو ويستنتج من هذا. إمّا أن هناك كثرة من الآلهة، أو ليس ثمة أي إله والأرجح هنا للمرصية الأولى يوجد كثير من الآلهة لكن جميع هؤلاء يخضع للقوانين التي وضعها لبدأ الأعلى وعند تدمير المعمورة، يهلك الآلهة الصرديون كلهم، ولا يبقى سوى الداك ومعنى أدق أن هؤلاء لا يهلكون، وإنما ينتقمون من حالة العدم. ووفق أو من النالك يعودون إلى الواقع من جديد لكي يخلقوا كوناً جديداً أكثر كملاً

وفي الفلسفة الغربية نفسها تصوّر مشابهة عن استحالة إدراك الإله. بل حتى التوراة نفسها تؤكد أنه لا يمكن رؤية الإله.

وإذا ما أحرنا مقاربة بين تصوّر الديانات الشرقية عن الإله وتصور الديانات الغربية عنه، فإننا نستطيع أن نقول بشيء من الاستدال. إن لالإله في الديانات الشرقية تقويم شرعي (الداك)، وتقيدي (لقوة الخالقة). وتخضع السلطة التيميدية في غضون ذلك للسلطة التشريعية. أمّا في الديانات الغربية فإن الإله هو الذي يخلق القوانين وهو الذي يسندها. فهل ثمة ضرورة لإثبات صحة هذه الرؤية وتلك؟ إن الأمر الرئيس في هذا المساق، هو أن كلاً من القصّورين الشرقي والغربي يقرّ بوجود إله واحد أحد للكون كله أمّ تفاصيل نشاطاته وتنظيمها فهي أمر ليس له أهميّة، وليس الإنسان مؤهلاً للحكم فيها ولذلك فإننا نستعرب إذ نقرا، أن التصوّر عن الإله في الديانات الشرقية أكثر كملاً فعلماء القديز الكونية والميرياء المصكيّة، بل كل مصكرين المعارفين بصوابين يهوتن وكيلر لا يمهون كيف يمكن لكل نظام كوكبي أن يدار من قبل لوعوسه، قانونه، قوته الخالقة. فهذا الأمر مسعيل من حيث المبدأ لأن كل ما في الكون يجب أن يخضع للوغوسات - القوانين عيها لمعظهر مفهوم القوى الخالقة وكثرتها، أي كثرة الآلهة

أسماء، سهر في الهندوسية منذ القدم، قبل زمن طويل من إنشاء التوراة والقرآن، وهما القوانين التي توجه عمل لكون وذلك هباً مقدرة هذه المفاهيم من القوى الخافقة، عن كثرة القوى الخافقة، مفهوم الإله الواحد لحائق الصانع في البوذية، والمسيحية والإسلام ليس في مصلحة تلك القوى هالمشرقة تتقدم وتتطور، وتصوراتها عن العالم المحيط، والمنة الأولى تتغير ولا تعد صليدة جامده وبرى من الملائم أن سوف هنا ما جاء لدى كليروفسكي عندما أجرى مقاربه بين رمز الإيمان المسيحي و لتصورات الشرقيه عن الاله

«كان المالك لكل شيء يتحدث عن المعطى الأول الأساس (لذلك) من جهة، لكنه في الوقت نفسه، هو خالق السماء والأرض وهو بالتالي القوة الخافقة، أو اللوعوس، بعد أن كل لوعوس هو نتيج لعملية ارتقاء، وليس العلة الأولى والآلهة الأفراد، و اللوعوسات كتيرون كثرة المظم اشمسية، وربما أكثر، ويسبب تلاهوتيون لمسيحيون لى لوعوسا، الذي صنع تصامنا الشمسي هذا، صناعه الكون كله، وهذا ليس صحيحاً بالتأكيد، لأنه لا يتوافق وقوانين الآتقاء».

ونحن لا نستطيع أن نقول في هذا الصدد سوى شيء واحد، هو أنه من العريب أن يصدر هذا في القرن ٢٠م عن مثقف مهم مثل كليروفسكي

لمد كتبت ي ب. ملافاسكيا عن تقسيم الإله الواحد إلى ائدال والالهة الفرديين ما يلي «إن الإله يطلق يجب أن يكون غير مشروط، ولا يمكن أن يترك في الوقت نفسه كله فعال وحائق وحده حي دون أن سقط هذا المثل الأعلى من هزده هالائه الذي يظهر في الزمان والمكان، وليس هذان سوى شكين لكك الذي هو كل شيء على الإطلاق. سول ن مثل هذ الإله لا يمكن أن يكون سوى جزئية معثرة من لكل (الدائ) وقد فهم اقدماء هذا أفضل فهم، إلى درجة أن شخصيه معدلة ييباً هكأرسلو لأحص إن عملا دوروب كدلتق المباشر لم يكن ليليق بالله أبدأ. وعلم أفلاطون و لملاسفه الآخرون الشيء عينه. لا يمكن أن يسترب الاله في عمل لخلق اشتراكاً مباشراً وهذا ما كد عليه القديس القديم أيضاً، إن الطبيعة هتياد يؤدي عمله بعينه على أساس مبادئ الإيجاب، فيحسب وحتوي تلك الاشياء الضيالة التي تسبق من الطبيعة في الوقت لدي نعيه الطبيعة نفسها، وتؤدي عملها وفق هوائس ذلك الذي ظهرها

إذن في سعيها بتأكيد تصورات القدماء من الإله، لحثت به بلافاصل على
معطيات قدماء الإغريق، مع أنه كان من المناسب أكثر لو ساقَت تلك التَّصَوُّرات في سياق
العلم المعاصر وبوضوح لما ظهرت الموازنة بين القوانين الكونية والإله، وهو ما كتب عنه
أ. إ. كليروفسكي

«لقد نسب العالم العربي كل الصفات الممكنة إلى المبدأ، فخلق بذلك أسطورة،
خلق إلهاً لم يكن له وجود في أي وقت، وليس له وجود الآن فتوجهه إلى
الإله بالصلوات والتوسلات، ويتسميته لهذا الإله بـ«مُتَخَيِّلُ الحُبِّ» والرحمة،
والشفقة، والحكمة، والعارف بكل شيء، وسوى ذلك من التسميات، يكون
العالم العربي قد دفع صلواته وتوسلاته من حيث الجوهر إلى مبدأ، أو
قانون، لأن الإله بصفته كائناً روحياً لا وجود له، أما فكرة اللا مدرك
المعظم، فإن العرب لا يعرفها. وإذا ادَّعى إله، ولا مدرك العظيم بالقوة
الخالقة، ولا إله لصدري، فإن المسححة لم تنشئ بذلك عبدة دينية عليا،
رد إلى هذا أنهم أدخلت العالم العربي في حصر مأساة لا عد لها، إذ ساقَت
تصويره الديني إلى طريق الساطل، لمد وجهته إلى الإله المسيحي، الذي عدّه
بالحليم لكنيسة المسيحية الحب نفسه، والرحمة والإحسان، اتهامات لا عد
بها بالعلم، والفساد، لأن المؤمن المسيحي لا يدرك أن الضرورات التي
يتلقاها ليست من الإله، وإنما من فعل القوى الكونية»

وحسب النظم الجديدة أن موقف الإنسان تجاه العلة الأولى، اللا مدرك لعظم، يجب
أن يطلق من كون هذا الموقف لا يتطلب وجود عمائد، أو معابد، أو ملهوس، فالإنسان يجب
أن يعرف أن هناك قوى كونية خلقة (ويسبح المسبح منها)، وإن هذه القوى مجتمعة تؤلف
تراثية سماوية هي التي توحي الكون، وتحسباً بظلمت الشمس. إن النظم الجديدة تقيد
اهتمام الإنسان بالنظام الشمسي، لأن ثمة قوى خلقة أخرى تؤنئ عملها في أجواء الكون
الأخرى. أما نظام الشمس فإن القوى الخالقة التي صنعتها، هي ذلك الإله الواحد الذي بين
يديه مصير نظام الشمس، وكل ما في داخله، ويجب ألا تذهب صلواتنا وتوسلاتنا إلى بعد
منه»

ومن الهدى أننا لا نتفق مع مثل هذا التزعم فهو في زمننا هذا يمثل خطأ خارجاً عن
تسلسل المنطق العلمي فحقن المعطيات لنيولونجي، العقل الكوني، مخترق امتداد الكون
كله، ولا يقتصر على نظم كوكب واحد منفرد ولقوانين الكونية وحده للكون شكله،

ويعد الإنسان حرماً من هذا الكون. ولذلك لا يجوز أن نقصد الإله الواحد الأحد في إطار نظام كوكب واحد. ونغى عن البيان أن مثل هذه الأنظمة لا عدُّته في لكون. ههل هذا يعنى أن عدد الآلهة لا عدُّته أيضاً؟

وانطلاقاً من هذا المعطى، لم يكن غريباً ألا يرى يودا فيهم آلهة أصلاً، وباح بصمت وجود ذلك فقط وقد كتب رما شاراكاً عن هذا يقول: «لم ينف يودا وجود انداك، سكَّته قبل به دون براهين، كتحقيق بديهية أساسية علاوة إلى هذا أنه نوه في نظامه بوضوح إلى البراهمن، أو البراهمن الأعلى أي براهما في ماهية العدم والأل تجلّي، وبحسب كنا قد أشرنا إلى أن يودا احتفظ لنفسه بمكانة الإله الفردي ولذلك يرى كثير من اللاهوتيين والفلاسفة الغربيين في البوذية ديانة إحادية والأمر هكذا فعلاً من حيث الفهم الصحيح لحوهر المسائل المطروحة، وإلا ماذا يمكن أن يعنى الإله (براهمن) في ماهية لعدم، اللاتجلّي؟ فمحمّد والمسيح تُعدا على أن لله يتجلّى في كل شيء، في كل شيء على لإطلاق، وفي مكان فرد مثلاً

ن، في أعلى القمة يقف لطلق، ذات، اللامدرك اعظيم، المبدأ والمستهى لكل شيء. ولن يكون هذا مفهوماً للبأس في أي وقت، فجوهره محبوب عنهم ولكن السالك لا يوجه العالم بطريقة مباشرة، إن من يوجه العالم هو قوى الكون الخلقة وتؤلف هذه مجتمعة، تراتبيةً سماويةً إذ هم، وللك الآلهة الوحيسون، المريدون الذين لهم في لكون وجود وليس هؤلاء في واقع الأمر سوى بشر نحوا في احتياز حقة ارتقاء بلغوا في نهايتهم مستوى سامياً ومهم يود، والمسيح، ومحمّد ولكن هؤلاء كثر جداً، فمتهم على سبيل المثال يليما ريرينج وأحرون ويقف على رأس التراتبية السماوية لذلك الوحد ويعد أعضاء التراتبية السماوية كلهم أبناء الإله، وعقدي العالم بعد بلع هؤلاء درجة أوصاف الآلهة

ويقف كل حر (معلم) من لأخبار على درجة معينة من سلم الترتبية (سلم يعقوب) لكن أحداً لا يعرف من على الدرجة الأعلى ومن على الدرجة الأدنى فالشعر عرجون من حيث اسد عن معرفة ذلك ولدت فإن الجدال حول من من الأخبار عسى من لأحر، هو جدال عقيم لا طائل منه وتصنع التعاليم الجديدة المؤمسين كلهم في شروط متماثلة وقد قبل في هذا الشأن ما يلي: إن لتعاليم المديد، تمنح اسرمة الحكامة للإنسان المتنور، الآن وفي المستقبل، إذا ما رأى ثمة ضروره لتحويل أي مبدأ مجرد بدلاً من إله، أن يحه إف في المطلق الذي يتضمن كل شيء ولا يتصممه أي شيء أو في الروح الارلي، أو في

المادة لأزليته، أو في القلب الكوني، أو في العمق الكوني، قصارى الصور، في أي شيء يريد

ويوجد ملايين الأحبار من مختلف درجات البساطة، والقوة والسلطان، وهؤلاء هم الذين يديرون شؤون الكون وليس الإله. كما يرى المسيحيون ولو حذر سا أن يستلهم مفردات اللعبة المعاصرة لفت، إن كل ما في لعالم الذي مصدره ذلك، المجهول العظيم، مبنية وفق مبدأ الإدارة الذاتية، لكن دور القادة - الأحبار هو الذي يقرر كل شيء وقد قيل في هذا الصدد ما يلي

«عندما يجمع عرق حديد، فالذي يجمعه هو الحبر، وعندما ينشئ درحة جديدة للجسم البشري، فإن النسي هو الحبر وعندما تبنى على بضائع الحياة درجة عينيها المعنطيس الكوني، فإن الحبر على رأسها. فليس هي الحياة ضاهره تخلو سرتها من حبر وتقدر ما تكون لمرحة قوية بقدر ما يكون الحبر قويا»

وهكذا تستبدل التعاليم الجديدة بمفهوم الإله، مفهوم المعلم الحبر. ولكن يجب على أتباع التعاليم أن يمتنعوا عن تقديم الأصاحي للأحبار والصلاة لهم، إنما يحب عليهم أن يعترفوا بانثر نسبة ومحكوا الأحبار كأخوة أكبر مثلاً

وقد يصير الرئيس الروحي الأرضي إلى حبر فقد قلب «أعني - يوعا» ليصير لكل معلم على الأرض، فهذا المعلم الزمني هو الذي يملككم بتراتبية القوى «تسعي الأ» يكون لتلميذ مسعياً و معلم مسعياً ومطلوب في عمود ذلك وعي الراسية وتوافق لأفعال. ودمج الإرادة الحرة معترف المعلم وعادة ما تقع النقول الضعيف في حيرة. فعني عن البيان طبعاً، أن الشروط وأصوب ساقص الحرية بمعناها العظ المتبدل ولكن وعي لمقص، والشاغل يشكك أن الأهميه العظيمة للمعلم ما يقبل بعهم المعلم سيكون بمذبة عور التوايات الأولى لعملية لارتقاء. ولا ينبغي أن يدخل في مفهوم معلم مقدسات أرضية فهو من سيقدم فصل بصائح الحياة وسوف تشمل هذه لحيوية، المعرفة، والإبداع، واللا محدودية» (دعني - يوعا)

وما نحن قد وصلنا إلى أهم المسائل لسنئية في الديانات كلها، وفي النظم الفلسفية كلها وهذه المسألة قد بطرحها أي إنسان كان و لسؤال هو كيف يمكن أن يوجد الشر في العالم الذي خلقه ويوجهه الإله أعارف بكل شيء والقادر على كل شيء؟ والإله هو أساساً كيد إله الحبر. وفي لعالم القديم أقرؤا وجود إلهين، إله الحبر وإله الشر وقدموا القر بين

لكليهما. أما البوراء فقد أعطيت للمسألة حلاً معياراً ينفصل الشيطان عن الإله الواحد (إله
لحير)، وكان الشيطان من قبل ملائكة، لكنّه عصى أمر الربّ وبحسب في حرّ الخلف أن
يهرم

ولكنّ كيف تتعامل الممالك الجديدة مع هذه المسألة؟ حسب هذه التعاليم أن
العلّة الأولى (لأنه الواحد)، تدعى منذ الأزل، أي إنّهُ سأل من قطبين، من مبادئ
مبدأ لحير ومبدأ الشرّ وبذلك ليس ثمة ضرورة للبحث عن إجابة للسؤال كيف ومضى
وبماذا ظهر لشرّ على الأرض. فالمبدأ موجودان (السالب والموجب) منذ الأزل. ولذلك فإنّ
كل شيء في الكون مزدوج، ثانوي. أي يتألف من موجب وسالب، من خير وشرّ
وينسحب هذا على الإنسان أيضاً وتزعم التعاليم الجديدة، أنّه «كم يوحد اسهاتى
واللانهائي، والكامن والملحّ والحادث الإيجابي والتأبد، كذلك توجد القوة والعجز،
والعقل والعمه، والدفء والبرد، والمور والظلام، والخير والشرّ وما إلى ذلك ولكن هذه
المتعاكسات كلها ليست متعاكسات إلّا في تصوّرنا نحن، لأنّ كل ما يصدر عن العلّة
الأولى ليس خيراً وشرّاً، وعقلاً وعمهاً، وقوّة وعجزاً؛ إلّا أنّه يتحول إلى هذه المفاهيم تبعاً
لرعبتنا، ووفق مطامعنا وتجاذباتنا. إلّا أنّه يمكن القول، إنّهُ ثمة بين الأقطاب، بين
الخير والشرّ، والمور والظلام، والعقل والعمه رابطة حرّة للكائن العقل، هي التي تحدّد
طريق الكائن المعنى»

ومن الواضح أنّه يصعب كثيراً ألا نوافق على هذا لأنّ الجزء الماديّ من الكون
قائم على وحدته المتناقضات وقواجهها، صراعتها، وبذلك فإنّ الإرادة الحرّة للإنسان
تجبره أن يحتار بين الخير والشرّ، والمور والظلام وليس ممكناً من الوجهة المنطقية
بتجزيّل أن لقوى الظلام قوى الشرّ اسطيم نفسه، البر تمية بمسها التي لقوى المور،
قوى الخير

كم تأثير الاهتمام أيضاً كثرة من الكائنات التي نرغم للمعالم الجديدة لها
تتف لأنّ في معسكر قوى الشرّ وتتألف هذه من شتى أنواع النوحوش المبيحة المشبه
العاقة التي لها أهمية كونية متدنية فالعالمات لكوبي والنارى ممكوبين بأرواح
السيئات التي تؤدي عملاً معقداً وكبيراً في مختلف بيئات الطبيعة وهذه لأرواح هي
الأفرايم، والسلفي، واللاوسيمي (=روح الهواء والماء) والسماذل وقد اشتهرت هذه في
هياكل الحوريات، والساحرات، والدومو، وعفاريت العاصف، وعفاريت المياه، و
وتعيش هذه الكائنات بالقرب من الإنسان، بل سكنت في ركن من ركنه ولكن

الإنسان فقد صلته معها بسبب عدم إيمانه وعجزه عن التواصل، وعدم قدرته على فهم جوهر المسألة كلها وهذا، ما دفع تلك الكائنات إلى الاعتماد عنه، وخسر مساندتها. ولكن هل فقدت تلك الكائنات شيئاً بسبب ذلك؟ إن كل ما في الكون يسير على طريق الارتقاء وبما أن صلات الإنسان معها أحدثت تقطع رويداً رويداً، لذلك تقلص تأثيره على عملية ارتقيتها. ولكن الصور التالي لارتقاء هذه الكائنات، هو صيرورتها إلى، لحالة الإنسانية.

وعلى مستوى أعلى من التطور، تقع قوى الشر لعاقلة هذه منظمة في تراتبيتها وتؤلف ممماً مقصورة سوداء باتباعها وطفوسها

افصل الثاني

نزوح الأرواح حسب التعاليم الجديدة

نُعدّ نزوح الروح (التجسّد ثانية)، التّقصُّص، واحداً من أهمّ أسس المبادئ والمعتقدات الشرقية كلها، فهد القانون سهّل كثيراً إعطاء تفسير منطقي لكثير من المسائل المبدئية في حياة الإنسان فالإنسان (الطفل الصغير) على سبيل المثال يصاب بمرض خطير ويموت، فأين النسل الذي يجب أن يكون على الأرض وفي الحكون كله؟ ولكن إذا اعتقدت نزوح اروح، فإنه من السهل أن ترى أن المرض في هذه الحياة، هو جراء الآثام التي اركبت في الحوات السابقة وبكلمات أخرى، ما تزرعه نجيته وبجنيته حتماً، وإن لم تجبه فوراً خلال حياة واحدة إدر ليس ثمة من يعاقب الإنسان من فوق في حيواته إنه يعاقب نفسه بنفسه بالأعمال التي يأتينا

هالإنسان يمتلك إرادة، وحق الاختيار، ويمكن لقول إنه هو الذي يصنع مصيره ولكن فعل من أفعال الإنسان آثار محددة بنقطة، تجرّ عليه العقاب أو تكافئه بالثواب، ونتيجة هذا يتواصل سير ارتقاء الإنسان وإد يأسي الفرد ما أفعالاً خيره ببله، فانه يتقدّم على مريق الكمال، يرتقي إلى درجة أعلى على سبيل التقدّم

يبدأ ال طريق الكمال التام شجدة لتعميد، وطويلة جدا فحسب التعاليم الشرقية، بما فيها تعاليم الاحلاق احيّة إنه ينبغي على الإنسان في تقدّمه من حياة لأخرى أن يعبر كل المراحل التي عبرتها البشرية خلال تاريخه كله ويتأقّل للإنسان خلال حيواته امتعاضه أن يعدو كل شيء (بدءاً من لوصيح البائس حتى الملك، ومن الرجل حتى المرأة) ونتيجة لتكرار التجسّد مرّات كثيرة يكتسب الإنسان ياتدرّج تحربة، ويبلغ الكمال المطلق ومهد هذه اللحظة لا تعدّه حاجة لعودة إلى لأرض ويتابع تأدية عمله، ولكن في إهاب غير هيريائي، فيتحوّل إلى شمه إله ويعمارس مع أمثاله من أنساء الآخرين تأثيراً على سير ااربعاء الآخرين الذين لم يسعوا درجة الكمال بعد ان الانسان الذي يقطع خلال حيوات كثيرة

طريق الارتقاء كله منحاح وسلج درجة الكمال المطلق يصير إلى معلّم يؤلّف هؤلاء المعلمون حسب التعاليم الجديدة، المقصود به التبعاض العظيمة إنهم أحوة البشرية الذين يوجهون ارتقاءها في السجى الضرورى

وبعلل لنا تعاليم الروح كثيراً مما هو غير مفهوم أو مما يصعب فهمه من وقائع الحياة اليومية التي تصادفنا مثلاً، لماذا يشأ عند والدين صبيين ربيها أولادهما تربية صحيحة، أنشاء فاسدون؟ فعلى ضوء ما دون الروح يبدو مثل هذا الأمر طبيعياً، لأن الأمر اهم لا يتعلّق بهما لوانه الآن، بل بمهمة الحيواف التي عشناها الطمل من قبل، وطسعة النتائج التي حصص عليها بكلمات أخرى نحن ننتظر العدل انطلافاً من حياة واحدة ستما يحري تحقيقه على امتد اد رمي أطول بكثير كم حياة يعيش الإنسان على الأرض؟

سوف تكون إجابتنا على هذا السؤال مقطوعاً من «كؤوس الشر» الرسالة (١٧)، «... حب على لإنسان أن يحقق على كل كوككب، به فيها كوككبها، سبع دورات صفرى في سبعة أعراق، وسبع مسة هروج. ومع ذلك هابنتي لكي أوجهك إلى لطريق الصحيحة، أقول إن حياة واحدة في كل عرق من الأعراق الأساسية تساوي سبع حيوات في كل من الأعراق السبعة لتسعة والأربعين، أو $7 \times 7 \times 7 = 343$ ، وضاف إليها سبعاً آخر، وعلاوة على هذا عدداً من الحيواف في كل فرع وفريع عرقي، بحيث نحصل في النتيجة على ٧٧٧ مرة يجسّد الإنسان فيها في كل محطة أو كوككب. ويمارس مدأ التسريع والإبطاء تأثيره بطريقة تفضي إلى إبعاد الأجيال الدنيا كلها والإبقاء فقط على الجيل الأسمى لكي يحقق الدورة الصغرى، لأخيرة ولا يستوجب الأمر كله حلاًفاً بسبع ملايين من المئين التي يقضيها الإنسان على كوككب واحد. ولذلك قلنا أخذ فقط مليوناً واحداً من المئين، وهو المليون لدي خمسة تجميعاً واعتمده عليكم اليوم، ونعمده نحن كبره بكاملة لإهامة الاسمان على أرضنا في هذه الدورة العكيرة، فإذا أجزنا أن متوسط أمد الحياة الواحد مائة عام، يتكون الناتج أن لعدد لواحده أمد في حلال أرمه حيواته كلها على كوككبنا (في هذه الدورة الكبرى) ٧٧٧٠ عام فقط، وفي أجيالات اساتية ٩٧٢٣٠٠ عام ألا نتر هذا اعدد كثيراً جداً، بهام المعهورين جداً من أنصار تعاليم نزوح لروح المعاصرين الذين لا يتذكرون في أحسن الأحوال سوى بعض من وجوداتهم السابقة؟

وانتم إذا أردتم إجراء أي حسابات، فتذكرو أنكم لم تحسب هذا سوى متوسط احيوات مسؤولة والواعية فلم نقل أي شيء عن حماقات الطبيعة الخدح والمرضى عقلياً، وصوت امواليد والأطفال في حقبة السنوات المسيح الأولى، عدّالك عن لاستشاءات التي

لا أستطيع أن تحدث عنها وتذكروا أيضاً أن متوسط أمد حياة الإنسان يتزايد كثيراً تبعاً للدورة العظمى وأنا على لرعم من أنني كان يحب علي أن أمسك من البوح بمعلومات عن كثير من المسائل، إلا أنني رأيت أن لو احب يدعوني لإطلاعكم عليها، إذ رئيساً تمحص أحدكم من حل مسألة ما من هذه المسائل بمفرده حاولوا إذن أن تجدوا حلاً لمعضلة ٧٧٧ تحسبوا.

ومن حيث المبدأ، إن كل إنسان يواصل ارتقاءه في كل حياة جديدة بدءاً من مستوى الذي حققه في الحياة السابقة. إذن فهو في تقدم دائم نحو القمة، ولكن سرعة التقدم تختلف من شخص لآخر وفي البره العاصنة بين حياة أرضيه وأخرى يقع للإنسان في حاله انحلال الجسد على أعلى مستويات العقائيه، ويقع في الدقاتشيا (وفق المصطلحات الهدوسيه)، أو في لحته، وفق لمصطلحات لسيجه ويسعى على الانتصار أن يغير كثرة من التجسيدات لكي يكشف عن مختلف جوانب الوعي، ويظهر على وجه أكمل القوة، والجمال، والعظمة الكامنة فيه هكذا تعلم الأعني - يوغا.

والآن، وفق أي تناوع تحدث عملته لتجسده قبل ولادة الجسده للإنسان على الأرض يهبط «جسده الباقي» الذي تخلص من حياة سابقة نتيجة لموت، إلى المقام العقلي الأدنى، بعد أن كان يتكوّن من مادة تنتمي إلى المقام العقلي الأعلى. ثم يبدأ يبني هذا بمساعدة اكثرت اعليا جسداً عقلياً (جسد الفكر)، محيطاً بعمه بمادة المقام العنسي. وبوساطة هذا الجسد العقلي سوف يبدأ هذا الإنسان المولود من جديد يفكر. وبعد أن يبني الجسد العقلي يهبط مع الإنسان المعني إلى المقام الكوني. وهذا يعني جسد كوني بالطريقة عينها، من مادة المقام الكوني. وهذا هو جسد الرضات بعسه وبوساطة هذا الجسد سوف يعبر الإنسان المولود من جديد عن انفعالاته، وهوائه ورغباته وبعد ذلك يبني الصنو الأثري ويصنع هد من مادة المقام الفبريائي، وهو بسجة طبق الأرض من الجسد الفبريائي للإنسان الذي سيولد بعدئذ، وربما كان مر الأصح أن يدعى هد الصنو بالموودح الأحسل، لأنه موجود قبل الإنسان الذي يجب أن يولد على صورته ومثاله فالجسد لميريائي للموود ثانيه يكرر، يصور الجسد المعزيمي للصنو الأثري. وبعد أطوار الخلق كلها هذه تأتي لحضة ميلاد الإنسان بعسه.

ومن المهم جداً في هذا اسباق، تحديد العائلة التي سيولد لإنسان فيها في حياته التالي وإن كان هذا قد بلغ في حياته السابقة درجة الوعي العليا، فيترك له حق اختيار العائلة التي سيولد فيها أما الذين لم يحققوا سوى درجة أدنى من الوعي، ولذين لا يؤمنون بالخلود،

ولا يعترفون بنزوح اسروح، فإن القوى العليا، أرباب اككرما هم الذين يقررون أين يولدون. ولكن قرر هؤلاء لا يمكن أن يكون تسميها هو حق فرارهم يجب أن يولد الإنسان الذي لم يبلغ سوى درجة ضعيفة من التطور، في شروط تتوافق توافقاً صارماً مع لأعمال التي أتاه في حياته السابقة وهكذا فإن قانون الأسباب واستائج، قانون الكارما، هو الذي يتطم كل شيء

هم هو دور الوالدين في هذه العملية الطويلة لولادة الإنسان الجديد، انتماء لا شك أنه دور شديد الأهمية، فهما اللذان يمحان صفرهما الحسد القسرياتي، حسد الأعمال، ولا يأخذ الطفل عن والده سوى السمات الفيزيائية التي يتميز بها العرق والقومية التي ولد الطفل فيهما أم ما تصي فيحمله مولود من حديد إلى هذه الحياة معه يحمل معه كل ما أتاه من أعمال في حيوانه الكثيرة العايمة وما استحقه عليها إذن إن سعى كل إنسان مولود في الأرض من حديد، سواء كان ولداً أو بنتاً، ليس إلا نتيجة لما جمعه في حياته السابقة. وخلال حياته الجديدة يجب على المتجسد من حديد أن يملأ كأسه حتى الثمائم، أي يجب أن تتواصل عملية ارتقائه نحو الكمال ويصعد درجة أو عدة درجات نحو القمة وحسب الثيوصوفية التي تستند إليها تعليم الأخلاق لحيه أنه ثمة أكثر من مستوى لتقدم البشر وسمي إلى المستوى الأعلى من هذه المستويات، ككل من أنهى طريق تحسباته وحقق أسس درجات الكمال هؤلاء لا حاجة لهم بعد الآن لأن يعيدوا كرات التجسد، لأنهم سأنوا أشباه آلهة والحققة أنهم بدعوبهم باسم آخر: نصير، أو معلم، الحكمة، ويجمع هؤلاء كلهم في المصورة لبهاء اعظم، ويفودون معاً أرباء الحسن البشري. وما يجب قوله، هو إن هؤلاء ليسوا معرومين إمكانيه التجسد في حيوات أرضيه جديدة. ولكن إذا ما فعلوا ذلك إنما يفعلوه بملء إرادتهم. ولعرض وحيد، هو العمل على تسريع ارتقاء الجنس البشري.

ويقع الناس أسيرين وعوا ضرورة الكمال، ويصنعون مستقبلهم عن سابق قصد ومعرفة، على اندرجة القل الأحيحة من سلم الكمال. هؤلاء يسعون لتسريع عملية ارتقائهم، وذلك لا يصرفون بين حياتين أرضيتين وقتاً طويلاً في الغبطة، على مستويات الواقع السامة (مع أنهم استحقوا ذلك)، ثم ينعمسون مباشرة في حياة ثانية بعد انتهاء الأولى دون أن يصنعوا، وقبلاً وتعافى الحيوان لدى هؤلاء سريع، في درجة أنهم لا يدركون إهابهم المكوني والمغلي. ويدعى مثل هؤلاء المتطورين حداً، اساعون إلى تحقيق الكمال الذاتي: والدين في الطريق ويطور كل منهم نفسه تحت إشراف معلم هو الذي يحمار لتلميذه أعبائه التي يجب أن يولد فيهم، وشروط الحياة التي سيميشها

أما الذين يسلطون ويرمون سلم الكمال بإيقاع أبطأ فهم يعملون على درجة أدنى من زملائهم لمبايعة. وقد يمتد الوقت عندهم بين تجسيد وآخر مئات، وربما آلاف السنين. فلا يمتنع هؤلاء أن يتجسّدوا سوى مرتين أو أكثر في كل عرق فرعي. ويبدو الناس في هذا كله إيجابيين جداً. إنهم يعملون على تحقيق أهداف عليا، ويمتلكون مثلاً مسامحة، ويذركون جوهر وحدة الحياة في الكون، كما يدركون وحدة الجنس البشري كله أيضاً.

ويقع على مستوى أدنى من التقدّم أولئك الذين لا تتعدى اهتماماتهم حدود دولتهم، وقومهم، وعائلتهم ولا يعرف مثل هؤلاء لا المخيلة ولا المبادرة وتسير عملية تحسّدهم بسلم شديد فهم يتحصّدون مرّات كثيرة في كل عرق فرعي.

أما المستوى الأدنى من التطوّر، لمستوى الخامس، هسبي إليه أولئك الذين لم يحققوا أيّ معدّم. وهؤلاء هم الذين يحجرون عن صبط أهوائهم الجامحة وسرويس طبيعتهم الفظة. ولا يزال مستوى التصرّف الذهني هؤلاء في حله جينييه ولدست حين حركه ارتقائهم بطيئه إلى الحدّ الأقصى.

لقد نوهنا سابقاً إلى أنّ كل إنسان يجب أن يمرّ في حيواته الأرضية الكثيرة في التحاللات كلها وعليه عسى وجه الخصوص أن يعيش حالة الرّحل وحالة المرأة وتزكّد الثيو صوف في هذا السباق، إنّ الإنسان لا يبقى في الحقل نفسه أكثر من سبع حيوات. ولصكّن هذا الامد لا يمكّن أن يمكّن أقلّ من ثلاث حيوات متتالية. إذ في مئات التّجسّدات يولد الإنسان رجلاً عدّه مرّات على التوالي. ثمّ مثلاً تماماً امراه.

كما شاغ شيوخاً واستأبّصوا الذي مؤداه أنّ الإنسان قد يتجمّد في حيوان أو نبات. وسكّن مثل الرّغم يتعارض مع التّعاليم الحقيقيّة لأعني يوع، التي تزكّد على أنّ الإنسان لا يتجمّد إلاّ إنساناً والحقيقة أنّه حسب هذه التّعاليم أنّ الممالك الدّنيا في الطّبيعة (الحيوانات والنّبتات) تتجسّد كذلك. وهاكم يبدأ «كل ما هو موجود فهو يعيش، وكل ما يعيش له جسم وروح، ولكلّ كل جسم دائم الموت، وكل روح دائمة الولادة (تتجسّد)» ويرون في هذا السبيل أنّه يتّبع لانس روح فردية حاصّة به تتلوّر نحو الكمال محققة بذلك صانع السيرة كلها، هيئ التّجسّدات والحيوات لها روح نوعها ولذلك بعد أن يموت الجسد الميريائي للفتات أو سموان يعود هذا إلى روح نوعه والغرض من ذلك، هو الاستراة من الخيرة للحيوات الآتية.

لند وصفا هذا بالتّجسّصين أصوار عملية التّجسّد نفسها قبل أن يولد الإنسان إلى حياه أرضية جديدة فكيف يحدث إذن العملية لتعاضده. التّخلّص من الجسد؟ حسب تعاليم

لا غني - يوماً أن العملية تحدث على الوجه الآتي عندما يضع ما ندعوه بحس موباً تعادى أرواح
 لجسد الفيزيائي ويخرج أعضو الأثيرى مفصلاً عنه ، وهذا الأخير هو الصلب الأم الذي صنع
 وحقه الحسد الفيزيائي. وثمة من الناس من هو هادر على رؤية الصمو الأثيري في الأيام الأولى
 متى تلمي الذهن وحسبونه روح المتوفى أو شبحه ولكن هـ في واقع الأمر ليس إلا الظل
 المسالم للحسد الفيزيائي. ولا يلبث هذا الظل أن يتلاشى في الهواء دون أن يترك أثراً. وبعد ذلك
 يصل الإنسان إلى العالم الكوني غير المنظور وإذ يكتسب الإنسان جسداً كوسياً يحس
 بمسبه في العالم الكوني إحساساً واقعياً ، تماماً كما كان يحس بنفسه في العالم الفيزيائي
 عندما كان له حسد فيزيائي. ولكن خلافاً للعالم الفيزيائي لا يستطيع الإنسان في العالم
 الكوني أن يحقق رغباته (التي يحس بها كما في العالم الفيزيائي) ، لأنه لا يمتلك أداة تحقيق
 الرغبات. الحسد الفيزيائي ومن الواضح طبعاً أن تحديث يدور عن رغبات الطبيعة الفيزيائية
 وليس الحرمان من تلبية الرغبات الفيزيائية سوى جهنم نفسها ، ولذلك من الأفضل أن تترك
 هذه لرعات خارجاً عند الولوج إلى العالم الكوني وهذا معصور لاحتصر أن يفعله ؛ عليه أن
 يترك نمطه على الرغبات التي يمكن تحقيقها في عالم عقلي أكثر سموً والحقائق أن
 وجود الإنسان في العالم الكوني يعد وجوداً عابراً ، مؤقتاً يمضي الإنسان بعده إلى العالم
 العنسي فأمد وجود الإنسان في العالم الكوني مرتبط به نفسه (بمآثره) ، وقد يكون وجوده
 فيه معروفاً من تلمة رغباته الفيزيائية ، أسوأ من وجوده في جهنم نفسها ، وقد يطول هذا
 أياماً ، وسنين ، ومئات السنين ، وربما آلاف السنين. إنه فعل قانون السبب والنتيجة ، قانون
 الثواب والعقاب ، ينال الإنسان ثماراً لقاء ما فعل في الحيات السابقة

وعندما يرمي الإنسان عنه أخيراً الحسد الكوني ، يهبط إلى أدنى معامات العالم
 العقلي. ومرة أخرى يرتبط وضعه بمستوى تطوره الروحي. فالحسد الكوني لا يبادر الإنسان
 فوراً ، ولا يتركه نهائياً فقد يتأخر بعض الوقت استجابة للانفعالات العاطفية التي يعانيها
 آثار المتوفى حرماً عليه والمتوفى نفسه قد يساهم في تأخير رحيل لجسد الكوني بأسسه
 على مغادرة الحياة الدنيا وغالباً ما يرى بعضهم في تحلي «الفشورة» المرعبة ، ظهور أرواح
 المتوفى. «وتحدثون» إليها في أحيان كثيرة خلال حساسات استحضار لأرواح لكانهم في واقع
 الحال عاجزون عن قول أي شيء عن العالم الآخر ، وليس لديهم أي معلومات إلا عن الحياة
 التي عاشها المعني على الأرض.

أما روح الميت بمسها قبلها بكون في هذا الوقت بعيداً ولا يشارك في نسالي استحضار
 الأرواح ومع الوقت تتناثر المشغور التي يرميها الموهي. كلما يرمي عنه أيضاً القشرة الدنية

التي تتألف من مادّة المقام العقلي الأسمى، أي الجثّة وهذا أيضاً يكتسب جسداً، لكن رمي هذا الأخير غير ممكن، ويدعى هذا الجسد بالجسد الدائم وهو يبقى وعاء الجوهر الحقيقي للإنسان. ويمكن أن يدعى روحاً أو إدراكاً. وتدعوه تعاليم الاغني - يوغا بالبدن الخامس. ولكن هذا الجسد الدائم روح الإنسان، لا يُعدّ نهائياً غير قابل للتجسّد. ههنا هذا الجسد الدائم نصيم روحاً، «أنا» لهي اكتسبت قشرة أخرى من ثقب لاسمى وهذه القشرة الجديدة هي وعينا. وإذا أراد الإنسان هبّله بسطوعه في تطوّره اللاحق أن يرمي هذه القشرة أيضاً لجسد أسائهم. وعدتد لا يبقى سوى نوعي فقط

ويطلق كل من القشور البشرية إشعاعات بشكل الآور وهذه الأخيرة عبارة عن صرّب من ضروب الملائس. ويقدر ما يكون التطور، نروحي للإنسان أعلى، بقدر ما تكون آور أكثر وأعلى من حيث تنوع الإشعاعات وتعدّ آور الإنسان مؤشراً على تطوّره الروحي.

وصفا تمايز العوالم الثلاثة: الميريائي والكوني، والعقلي، كذلك تمايز سواع العفل الثلاثة الأدنى (الغريزة)، والأوسط (البصيرة)، والعقل الأعلى (القشرة على نصاد البصيرة) وهذه الأنواع الثلاثة متماثل بعضها مع بعض وغالب ما ينتقل واحدها إلى الآخر ويمكن القول، أنّ العفل العريري، هو عقل الماضي (عقل الحيوانات، والمتوحشين)، وعقل البصيرة، هو عقل الحاضر، والعقل التأهّد البصيرة، هو عقل المستقبل.

ونقطة في معضله روح الروح سؤال شديد الأهمية، هو إذا كان الإنسان يعيش حيوب كثيرة ليحقق الكمال أدائي، وير حكم اتجريه، فلماذا إذن لا يتذكّر شيئاً سوى أحد ث حدة و حدة و حدة؟ ويصنّر هذا على الوجه الآتي، إنّ أحد أعضاء الجسد الميريائي: الدماغ، هو حامل اسوعي وفي حالته الجديدة لا يستطيع هذا أن يعرف شيئاً عن الحيوانات السابقة ويكسر معلومات الحيات السابقة لا تتدثر مع موت الجسم الميريائي ولعنا في كلّ مرة، بل تنقر متعمدة في لجسد أسائهم. وقد جاء في التعاليم أن هذه المعلومات موحودة خلال حياة الإنسان في الجسم الميريائي، داخل «مكأس» تقع قرب قلبه بيد أنّها لا تصل من هناك إلى الدماغ وهكذا يسقط التفافص، إذ بما أنّ لجسد أسائهم للإنسان جسم معلومات حيوته السابقة كلها حتى للحظة التي يلعب لإنسان فيها للحكم المطلق، ورميه ولكن هذه المعلومات لن يكون لها وقتي أي لزوم بالإنسان، ويثير الاهتمام في هذا السياق وصف طريقة نقل المعلومات عبر القشور كلها إلى الجسم الدائم في أثناء حياته في الجسم البشري. سيؤكّد شكل انطباعات الحياة لخارجية التي تنقلها بواسطة أجهزة إدراكنا عبر لجسد الميريائي لنوعي: الدماغ تتوجه في صيغة منحواب إلى سيد القشور كلها أماما فيسجل

حامل وعي الحسد، الكوني، جسد الأحاسيس والانفعالات، ما تلقاه الحسد لفيزيائي سواء كان سراً أم غير سار، ويرسله إلى الأبعد، إلى الجسد العقلي. وبعد أن يستغل حامل وعي الحسد العقلي شعور الحسد الكوني، يرسله إلى الجسد الدائم وهنا في هذا الأخير يولد القرار الذي نُقل عائداً إلى الوعي الفيزيائي بصيغة إجابة على السؤال المعطى، لكي يتحدد على هديها اعتماد هذا الفعل أو ذلك وتتواصل هذه المراسلات من الوعي لفيزيائي إلى الحسد الدائم وبالعكس، خلال حياة الإنسان دون توقف، هذا ما يؤدي لوعي وظائفه منه.

وسشير في سياق حديثنا هذا إلى أن «أصبي - يوما» يقول: إن الأطفال يذكرون في أعوامهم الأولى كثيراً من أحداث حيواتهم السابقة. «يمتصون أن نلاحظ لدى الأطفال نظرات عريضة سريعة إنهم باستأكد يرون شيئاً ما مبهماً. وعلى أي حال فهم يقولون شيئاً ما عن حريق وعن نجوم، وعن أصواء وعني عن السيار أن لريبات يرون في هذا مرضاً أو هراء، ولكن الانتباه يجب أن يتركز على هؤلاء الأطفال بالذات، ومن المعروف أن لأطفال الصغار السن يستعملون رؤية الصور الكونية بسهولة ويسر زد إلى هذا أن المرهمين منهم على وجه الخصوص يرون الأنوار الفضائية ومن الأحدث مراقبة مثل هذه الكائنات الحية عن كثب منذ الأيام الأولى، ويكسبوا على ثقة أنه وضعت فيهم إمكانيات الأصبي - يوما، ولذا ما هأت لهم بيئة تقية، فإنهم سيصمّون مثلاً للإمكانات».

قانون الكارما

لقد كان الإيمان يشعر دوماً بالحاجة إلى العدالة. ولذلك يجلب الناس في الغرب الإلهة تمسييس، ويجلوا في الشرق كارما. وتعد كارما بمعنى مرادفاً للعناية الإلهية. وكانت ي. بلافاتسكايا قد كتبت تقول «ليس لتمسييس أي صفات» فهذه الإلهة مطلقة، قطعية ومبرمة، بها كاللبداء، لكنك نحن أفراداً وأمعاً نطبقه ونعطيه الدفعات التي توجهه. فكارما - تمسييس هي التي خلقت الشُّمُوبَ و لمشر، ولكن بما أن هؤلاء قد حققوا وانتهى لأمر، فابهم هم الذين يصمون بها إلهة متسطة، أو ملاكاً بكاف،

وكما أنه لس للإله صفات شخصية (إنه قانون)، كذلك فكارما - تمسييس لا صفات لها. فاعطيه المبدأ، فبنون الأسباب والنتائج، هي فاعطيه قطعية ومبرمة لا راد لها. ليس حكيماً من يظن أن بإمكانه أن يسترعي الإلهة باقر بين وصلوات، أو من يعتقد أن عجزها يمكن أن يحيد هيد شعرة عن الطريق التي اختطتها. فلا رجعة عن الطرق التي تحري عليها. ولكننا نحن الذين ننسج هذه الدروب، لأننا بأنفسنا أفراداً وجماعات نجعلها إن كارما - تمسييس تحرس الصالحين وترعاهم في هذه حياة والحيوات المقبلة، وتماقت الأشرار حتى قبل تحسد هم السانع. في الحقيقة إلى أن يكفرو تمام عن الأثام التي رتكوها كسها لأن مطلب كارما الوحيد الذي لا يتسأل، هو الاستعانة لمطلق في عالم المادة، مطلب هو موجود في عالم الروح وعليه تست الكارما هي التي تعاقب وبكاف، بل نحن أنفسنا نشب أنفسنا أو نعاقبها، فالأمر كله مرتبط بما إذا كنا نعمل مع الطبيعة. وفي الطبيعة، وبوساطة الطبيعة، حاصعين لقوانين التي يرتبط بها هذا الانسجام، أم لا ننتهكها»

ومراعاة الإنسان لقوانين الانسجام، هو بين الطبيعة و تكون، مماثل لإقامة علاقات أخوية مع الناس الآخرين (وأحب قريبك كنفسك). «لو لم يفكر الإنسان بأن ينسب بالأذى لأخيه الإنسان، لما كان لكارما - تمسييس دريعة لكي تظهر، ولا سلاح تستخدمه فالوجود الدائم بينا لمختلف عناصر الصراع، والموجهة، وانقسام الشُّمُوب، والقتال والمحتماق ولاهراد إلى قايين وهابيل، إلى ذئاب وحملان، هو النسب الرئيس «لمرقد لعناية الإلهية»

إنما نصب بذهول أمام حماية أعمالنا، وألعدار الحياة التي لا نرغب في حلها ولكن حقاً ليس هناك حدث واحد في حيواتنا، ولا يوم تاعس واحد، أو رزية، إلا ويمكن تتبعها رجوعاً ورجوعاً إلى تصرّفاتنا نحن في هذه الحياة أو بحيوات الأخرى وإدراكنا تلك أحد قوس الانسجام، أو «هوايس الحياة»، فإن عليه أن يكون مستعداً ليفرق في القوس التي صنعها نفسه... فالإنسان هو منقذ نفسه وهو مدمّر نفسه (ي. بلاها تسكوب).

إذا كنا نعرف القانون جيداً ونفهمه جيداً، فهذا نستطيع أن نلزم معه، أي أن لا ننتهكه. أم إذا كنا عاجزين عن فهم القانون، فهذا سرى في كل ما يحدث سلسلة من الأحداث الماثرة التي تتوافق توافقاً صليماً مع مدنى العدالة والمجازاة وإذا ما تحدثنا عن العدالة على المستوى الكونى، فإن فاعليه قانون الكارما هي التي تحقّقها.

أما أفعالنا الجديدة فإنها تدعو إلى أن تستبدل بالندم والتوبة عن الأعمال السيئة بأدنى أعمال خيرة عن كل فعل سيئ وقد قيل عن هذا ما يبيّن «ما من أدرك حماقته، فإن عليه أن يعطىها بعقلانية حقيقيه ويمكن استنقاذ الحماقة بالتعاون العقلاني» و لحقيقة أن كلمة «كارما» نفسها تعني باللغة السنسكريتية «يؤدي عملاً» ولا تلحق للسلمة الشرقية بمفهوم لكارما نتائج عملياً فقط، إنما العمل نفسه كذلك، وبذلك فإنه يمكن القول، إننا نخلق كارمانا بصورة متواصلة، لأننا لا نكف لحظة واحدة عن فعل شيء ما.

فرتقاء الإنسان يحري وفق قوانين محددة، وأهمها قانون روح الروح، وقانون الكارما، ويسمي معرفة هدى القانونيين معرفة دقيقة: «أليس من الأفضل أن تجعل رتقناك وعياً، بدل أن تنصّب أبى الأمام تحت صريات موط لكارما».

وليس الارتقاء هو أي تطور يأتيه الإنسان، إنه فقط ذلك التطور الذي يحري نحو الأفضل، نحو بلوغ الكمال، نحو تحقيق الاستجمام مع أفعالنا لحيط كله أمّا الحركة نحو الأسفل وانتهاك الاستجمام وانتهاك القوانين الكونية فهي ليست سوى حركة تمهيم، وتدرس أفعالنا الجديدة معنى الارتقاء في سياق صرع المادي والروحي داخل الإنسان ويرون أن انخاية من الارتقاء هي لتفكير مه وروحنته وبكلمات أخرى، إن انخاية من الارتقاء، هي تحويل المدة من حالتها الدنيا إلى حالة سامية ويقوم الصرع بين المادي والروحي في الإنسان، في معني المادة انخاملة المشوشة الحثّة، لانتزاع الحالة السامية للمادة وتدميرها، أي تدمير ما حقيقته الروح تحديداً وقد ألفت القوى أفعالها على عاتق الإنسان إنحار مهمة تحويل المادة وروحنتها

وتصوم علاقة التدسب بين المادة (الميريثي) والروح في الحياة ابشيرية في الآتي. تخرج «أنا» الإنسان من مصدر حياة. لأوّل وهي تتوفّر على حالة روحية عالية بيد أنها لا تتوفّر على أيّ وعي. فلا يمكن للوعي أن يتطوّر إلا في المادة وتغرق «أنا» الإنسان في المادة باثّة الروح فيها بوساطة وعيها. ولكنّ تصوّر لوعي في الإنسان غير ممكن إلا على قاعدة مادّية، ولذلك سوف يتوافق بالضرورة بخمسة الحاله الروحانيّة وهكذا يقف الإنسان في حياته أمام مشكلة غير سهلة. عليه أن يثبت نوعيه الروح في المادة وأن يفعل ما في وسعه ليرتقي بحالته الروحانيّة. وعندما يرجع في آخر حياته إلى المصدر البدنيّ عنه أن يكون حاملاً معه حاله روحيه وعيها يسغي عليه أن يعود من حيث أتى. فهذه مسيرته مقلّي يشكّل دائره. ويقاس إن الإنسان يحقّق دوره كاملاً

وقد فصلنا في عمليه روحه المادة هذه، والجهد الذي يبذله الإنسان لإنجاح الوعي والروح، فإن المخطط (الهندسي) يملو على الصورة الآتية لرسم دائرة (هي دورة حياة الإنسان كاملاً) ثم تقسمها بمستقيمين عمودي وأفقي إلى أربعة أقسام متساوية أوّل ربع من طريقه، من دورة حياته لكامله. يُدخل الإنسان أعمق ما عمق في قلب المادة. بها مرحلة الطفولة والمرحلة. وفي هذا الملوّز لا وجود للكارما، لأنّ الإنسان بصرف غير وعي (أو تقريباً) غير وعي. ولذلك لا يمكن في الحساب العام أن يكون مسؤولاً عن بصرفاته. ولا تبدأ انكارها إلا منذ اللحظة التي تبرز فيها في الإنسان، الروح والمادة. إنها لحظة التحول من لربع الأوّل إلى الربع الثاني، من «الصورة الرعاء» إلى الحية الواعيه وعندما يعبر بصرف الدائرة، يصل إلى النقطة التي لا وجود للكارما بعدها (كما هي الحال في الطفولة) وعدم وجود انكارها. هذا سببه أن الإنسان يكون قد بلغ خلال ما مضى من حياته مستوى من التطوّر الروحي يؤهله لأن يحجم عن سابق وعي عن التصرفات التي يمكن أن تحلق ككارم سلبية سيئة وضعه حضور واسع في الديانات والفلسفات الشرقيّة لصورة الكارما الموصوفة هنا وقيلاً ما يشار إليها بالدوران الدوري بلأرض حول الشمس وفي مثل هذه المقارنة تتمثل لحظتها الانقلاب لشتوي والصيفي مع بداية طريق الإنسان ومستمها. كما يتماثل المستقيم لذي يصل بين هاتين النقطتين مع مستقيم الدور الكماله الذي يصل بين مقطع حياه الإنسان ابدى يحدث حاله الاربعاء، ومستمها الذي يتوقف لارتقاء فيه. ويستخدم مثل هذا التصوّر (في صورة دوائر) لتحليل ارتقاء بشريه كلها. وفيما يتعلّق بالبشريه كلها فإنها تنهي الآن لربع الأوّل من دورة حياتها الكماله، أي إنها بدأت بلوّ حركة ارتقاءها وحسب المخطط العام يجب عليها أن تبدأ الآن روحه المادّة، غير تطوير وعيها إلى الأمام

«ما تقدم الإنسان على الكوكب، فإن المعلم يمتد في «مخاس الشروق» (الرسالة ١٧)، على الوجه الآتي: «وهكذا لنمنا

الحلقة الأولى الصكاش الأثري، صكاشين بغير عمل لكتنه على درجة عالية من الروحانية وفي كل عرق، أو عرق هرعي، أو عريق من أعراق الاربعاء الثاليم، يتطور الإنسان العتيد محبوساً أكثر فأكثر في الجسد، أو في كائن متحسد؛ ليكسر أحواله لأثيرية تبقى هي أبعاليه. ومثله مثل الحيوان والنبات فإنه ينمي جسداً وحشياً ينو فوق ويد ثمة المحيط بكله الحلفة الشبيه. يبقى الإنسان أثرياً وبأحجم عملاقة، لكتنه يزداد تصكشياً في الجسد، أي يقدو بسبب أكثر فيريانيه. إلا أنه أهل عقلائية منه روحانية، لأن ارتقاء العقل عملنة أكثر بطناً وصعوبة من ارتقاء البنية الفيريائية، فلا يمكن سعتن أن يرتقي بالسرعة التي يرتقي فيها الجسد.

الحلقة الثالثة. للإنسان لأن جسد محدّد تماماً أو مكثف، في الأول في صورة قرد عملاق، أكثر عقلانية (أو الأصح: أكثر فعلنة)، منه روحانية. لأنه بلغ على المنحنى المسحر النقطة التي استفسنت فيها روحانيته خلف مطلقته الناشئة وفي النصف الأخير من هذه الحلقة تنافس جسده العملاق، وسحسن أنسجته؛ ويعدو الإنسان بعمه كائناً أكثر عقلاناً، مع أنه لا يزال قرداً أكثر منه إنساناً.

الحلقة الرابعة يحضق لمقبل في هذه الحلقة تقدماً كبيراً جداً وتكتسب لأحاسس البكماء كلامنا البشري، وأبداء من لعرق الرابع يطرأ تحسّ على اللغة وتتضاعف معرفة الظهيرات الفيريائية»

لقد ند، الإنسان ينشئ الكارما منذ اسعظة التي رجع فيها الميران لصالح المادة على الروح ففي هذا الوقت كان الإنسان قد فقد نهائياً مؤهلاته العليا وفي هذا الوقت عيشه وقع انفصال المنصبر الذكري والأنثوي، ونتيجة لذلك تحول الإنسان من جوهر موحد إلى روح شائية وكان هذا كله قد وقع في منتصف العرق الثالث من دورتنا هدم

وبحن بحب علينا أن نطرح بالتفصيل في مسأله تصنيف الإنسان فقبل أن تنقسم ماهيته كان الإنسان يمتلك لمصيرين، الإيجابي والسلبي معاً (الذكوري والأنثوي)، وقد أطلقت المصصحات المصيبة على هذا الكائن اسم: أندروجينوس. وتتميز هذا بكمال تنظيمه الروحي ووحده جوهره الدأحي، ولم يعرف أي شيء عن المساعي الأثرية الجامحة فهي رسائلها المؤرحة في ٥ أيار من العام ١٩٣٤م. كتبت ليلنا ريريج تقول: «إن للثاليم من الأروح الشائية أساس، وكانت نضع حداً لرمز الأندروجينوس فرموز الأندروجينوس بهدف ككلها إلى التويه بضرورة

وجود عنصرين في النظام انكوني، في تحليلاته كلها، من أجل الحياة والتوازن، ولكن كل اجراءات التي تحدث عن القرائن بين الأرواح قائمة على حقيقة عطشى، لأن وحدة انصيرين واندغامهما أرسبا في القديس البتلي. ومع التمايز يقع انفصال العنصرين، ويطلق هذان في مجالات متباينة. ويعب على المقاديس لمرسى في العنصرين أن يؤخدهما من حديد على اعتماد أيونات الصيرورات وتحولات التطهير وهذه هي الخاتمة العطشى أو تاج لنظام انكوني،

إن ما تدعوه التعاليم لجديدة انفصال: العنصرين (الذكرى والأنثوي)، موجود في التعاليم الدينية الأخرى، لكن له فيها وصفاً آخر فقد جاء في التوراة: «لقد أرس الرب على آدم مناماً قصيراً، ولما نام أخذ الرب صلواً من أصلع آدم وخلق حواء منه، وجاء عن هذا في التلمود: «كان الرجل والمرأة في البدء جسداً واحداً ووجهين، عندئذ شطر الرب جسدهما إلى اثنين ومنح كل منهما عموداً عقرياً»

ومنذ لحظة ظهور العنصرين المنفصلين، الذكرى والأنثوي، أخذت تنشأ اكارما البشرية. ومنذئذ أحدث اعادة تعمق في الجوهر البشري على الروح، وفقد الإنسان بهائياً مؤهلاته الروحية العليا، وبسبب في السياق إلى أن الحطية الأصلية التي ارتكبها آدم وحواء وقب في هذه اللحظة من تاريخ اجنس البشري؛ ووقتئذ طرد الإنسان من الجنة

وحسب التعاليم الجديدة أن الإنسان خسر كثيراً جداً من جراء الانفصال إلى عنصرين، ذكرى ومثوى لقد فقد وحدته، وقدرته الحيرة على المقاومة، وفيليتيه للحياة، التي كان ملكها من قبل؛ وغداً غير متوازن وغير نيب، وغير راض وأخذ وعيه لقصوره يعضه، هذا كله دفع لإنسان إلى الاتحاد مع عنصره المفقود

فبعد انفصال عنصرين تدل الإنسان نحو الأسو، إذ وحته نشاطه كله لتلبية حاجات طبيعته الجديدة، ورصاء رعبانه وأهوائه المسجدة، فظهرت فيه رغبة الاستيلاء والتملك. لقد دمت الأبنية في الإنسان بالمعيار الكامل، وعرف اشتر بتمامه ومسد للخصب التي أدرك الإنسان فيها اشتر، بدأ ينتج اكارما، وسوف يتواصل إنشاء الإنسان للكارما لي أن يمي أن هذا كله ليس سوى سرب لي يئانه منه إلا لألام واحيات؛ وإن العدو حلف هذا السراب هو مصدر اكارما السيئة السلبية، فالسعي نحو العنصر المعاكس يجب أن يتراجع أمام السعي نحو تحقيق الكمال الذاتي

بانتهاه اسورة الحكامة يمر الإنسان والشرية كلها عصوراً من الارتقاء وأخرى من التدهور وتتعاقد من خلال ذلك أطوار الصعود والاندثار ودكم هو الغزى لفلسفي

لفصل ما يجري في هذا العالم، فلكي تتوحد مع أن تتفصل، ولكي تجد يجب أن تفقد، ولكي تلح الكمال يجب أن تمي التقص هي أطوار التداعي يمتصل الإنسان عن مصدر الحياة الأول، عن المطلق وفي أطوار الارتفاع يمتزج منه. وعبر هذه وتلك من الأطوار يميز الإنسان في حيوانه الكثيرة طرقاً طويلة تمتد بين شبه الحيوان في بدايتها، وشبه الإله في نهايتها

ويتكوّن الإنسان من ثلاثة عناصر: حيواني، وبشري، وإلهي - بشري يوافقها لجسد، والنفس، والروح. ويمكننا تبايناً لهذا أن نميز ثلاثة عصور مديدة في حياة الجنس البشري يمتدّ من خلالها ملايين السنين.

لنعصر الأول، هي طريق الإنسان البدائي بصفاته كلها، وغلبة الحالة الحيوانية في بداياتها وتباينها الوعي الإنساني في آخرها

لنعصر الثاني، وهي الطريق البشرية، إذ تنامي في الإنسان الإدراك والعقل، والنفس. ونحن نميز الآن نهاية هذا العصر أمّا العصر الثالث، عصر الإلهي - لبشري، فلا يزال في المجهول. ولا يبدأ بالتأسس بالإنسان قبل أن يقر هذا الأخير بمنشئه الإلهي. وعندئذ يضع الإنسان نصب عينيه غاية بلوغ الحالة الإلهية. لكن تحقيق هذه الغاية يقتضي منه بلوغاً على مستويات الوعي، وأسمى مستويات الروحانية

لقد مررنا سابقاً إلى أن عظه تقدّم البشريه تسير بفضل القوانين الكونية، والافانون الرئيس بينها، هو قانون نزوح الروح، ثم قانون الكارما (قانون الأسباب و لتتائج)، وبحق هؤلاء القديسين إخوة البشرية هذه الكائنات السمية هي التي تحمل عبء لعناية بكل منّا وهي التي تحدّد لنا زمن التّجسّد في حياة جديدة وشروطه، وهي التي بوقف وعينا، وتعلّمنا أن نميز بين الخير والشرّ

وما ينبغي أن نأخذ بالحسبان، هو أنّه ثمّة عدّة أنواع للكارما الصّريّة، والكارما الحميدة، والصّريّة: ونشتمّة، وسوى ذلك من أنواعها لكنّها تشكّل كلها في عملية ساعل مديدة تجري بين جماعات بشرية أعدادها متباينة وهاكم بيان ذلك في هذا المقطع من «أصفي - يوغا»، «لم يحدث ألا تهجّع الأورا القديمة التي للتّجسّدات السابقة لا سيما عندما يصحب الكارما أتباعاً غير محبّين، ولكن عندما ينتهي كل لقاء، تحلّ لحظة من الارتياح، تصمّ كإعادة ما للغير. وما لا يقص عن نصف اللّقاءات الزمنية يصدر عن التّجسّدات السابقة، ونحن يمكننا أن نتخيّل كيف تتلاصق الحلقات الصّغرى تحت ضغط التوتر الكهربائي العالي

ويشقي تطبيق الكارما بصورة وسعة مركبات معقدة، فكأنها قراسة ثلاثئة وبلائة ولكن خبر لك أن تكون ممن ساهمون لا ممن يتلقون، لأن كل دفع يهيئ أساساً، بينما التأني يمكن أن يعيد الارتباط من جديد.

إن الإنسان هو من يصنع كارماه لأنه يملك حرية الإرادة، وحق الاختيار والخصيصة إن الإنسان دائماً أمام خيار بين «الأنا» الأعلى وطبيعته الدنيا ومثل الإنسان في هذا مثل المؤثر المصاطبي يتراوح بين انقطبين، وفي غضون ذلك تتجمع أفعاله، وتصرفاته، وحتى أفكاره كلها وتنشئ في الحوائط ذات الصلة نتائج متكافئة. وهذه هي بالصيغ عملية إنشاء الكارما التي تحدد حياة الإنسان المقبلة.

ولكي يستطيع الإنسان أن يختار طريقه بصواب، ويهدي تصرفاته بما يتوافق والقوانين الكونية، يجب عليه أولاً أن يعرف هذه القوانين. فالتقص في المعرفة والفيض في الشك هما سبب كثير من الأخطاء التي يرتكبها الإنسان، وهذه الأخيرة هي التي تستدعي سوء كارما سيئة ويصنع الإنسان الكارما في ثلاثة عوالم في الآن نفسه: في العالم الميريائي، والكوني، والعقلي، أي بمصرفاته، ورشابه، وأفكاره ويجب أن يهود هذا لواقع إلى أفكار محزنة، ولحسن الترتيب، تقول: «ولتحقيقه أن الكارما ليست مصيغه إلا أن يفرق في البطالة، ولكن لمسكك المندفع الصاعقي، ينحدر من عبء الماضي، وكلحمد السماوي، يدفع، لكنه لا يكرر طريقته وهكذا، حتى إذا كنت تحمل كارما تقية، فقد تظهر انعقاد مقيده، وورد هناك أيضاً «في كل حياة يستطيع الإنسان أن يطمئن ذلك الجزء من الكارما القديمة، الذي يتركه في تحسده المعني، ومن اسدهي أنه يبدأ في اللحظة عينها كارما جديدة، ويمكن مع وعي وحس وتفكير بقي بمسكه أن يتجاوز الكارما التي راكمها بصورة أسرع، وسوف تكون الكارما الجديدة التي يصنعها ذات نوعية أسما، رد إلى هذا أن لكارما القديمة لن تشكل مصدر خوف أساسي فيه، لأن التفكير النقي، والأورا النقية يرتكبان للصناعات، لتكسبة بطريقة معادية تماماً ويشكك رئيس يمكن للإنسان أن يخرج من حلقة الكارما التي بدت كأنها مسعورة، لكن المقصود هنا طبعاً الكارما الأرضية التي تقيده إلى الأرض، لأن الكارما لا يمكن أن تتوقف طالما يوجد الوعي، والفكر إن الكارما التي تسرع القوانين الكونية سوف تتسامى في كفيئتها إلى ما لا نهاية، منحرفة في حلقات جديد خارجة منها، وهكذا دوايك»

ويستفاد مما قيل، أن الإنسان قادر على تجاوز كراماه إذا ما سعى بقوة للويع الكمال الروحي، وتطوير قواه الروحية، وتوجيه هذه لقوى مصلها لخير لقررب، ولتعددة الارتقاء ولا

يخدم الإنسان في ثناء ذلك كاركما اسبيته وحسب، بل يحرر البشرية كلها من نتائج كاركما سيئة

وما الذي يحدث للكارما عند انتقال الإنسان من العالم الميرياني إلى العالم الكوني؟ في هذه الحال تتوقف كاركما لأفعال، لأنها مرتبطة بالعالم الفيزيائي. وتبقى كاركما كربعات المرتبطة بالعالم الكوني، وكارما الأفكار المرتبطة بالعالم العقلي. وثمة مستويات شتى للعالم الكوني. ونقدر ما يكون المستوى أعلى بقدر ما يكون أقرب إلى المطلق، ولكن إلى أي مستوى يصل لإنسان انساني، فإن الأمر متعلق بدرجة تطوره الروحي. فمن كان في حياته يبقى نصباً تاماً وحيود العوالم غير المادية، فإنه محكوم عليه أن يمسه في ظلمات العالم الكوني. وفي الحال عندما نحسن في الحياة الجديدة وهو لا يستطيع أن يغير وعده، ويرفع من مستوى تطوره الروحي، إلا في الحياة الأرضية، ويعارض هذا نماءً مع التصور الشئني جداً. الذي يزعم أن الإنسان عندما يصل إلى ادالم الآخر يكشف له كل شيء، ويرى ويعرف كل شيء. فهناك فقط يستطيع أن يعرف ما الذي سعى إليه في حياته الزمنية.

ونحن قلنا سابقاً، إن هوى النور، لقوى السامية هي التي توجه عملية الارتقاء. بيد أنها لا تتدخل قط. في كاركما الإنسان ولكونها غالباً ما تأخذ على عاتقها كاركما الأخطاء الشرية، ضلال البشر وحرائمهم وبهذه الطريقة تعتق، لقوى السامية الحسنة لشري من الكاركما السيئة وحسب التعاليم أن لميح كن واحد من هؤلاء الذين كفروا عن أشم البشر. فمن وقت لآخر يظهر مثل هؤلاء المخلصين في عالمنا ويدفون ارتقاء البشرية إلى الأمام. ويقول «أسي - يوغ» عن المخلصين: «للتعاليم عن المخلصين ملحقات في الوجود كله. حقاً، نكم يمكن أن نؤثر ونصرف عبر الأيومات، يمكن أن تأخذ كاركما الآخرين على عاتقك عبر الوعي. لاحظوا كيف أمكن في ظلّ لخبرات لضئيمه تحمل ألم الآخرين، بد تعلق الأمر بعيان الأعصاب. وهكذا تماماً يمكن أن تأخذ على عاتقك كاركما الآخرين ويمكن في آخر الأمر تحمل كاركما الجماعة: بهذا لن تكون تسمية محض مجرد معتقد خرافي. لكل ما في الأمر أنه يجب وعي أهمية قبول تحمل وزر الآخر»

وتشير التعاليم إلى ثلاثة ظروف قادرة على أن تثقل الكاركما كثير. وهي: لعروف عن المعنى والارتياح في أن الصلة مع الترتيبية يمكن أن تسبب الأذى، و لشهر من تكليف دي شأن

ويؤلف الدين حقوا حالة أشباه الآلهة تراتبة معينة. ولذلك يدعى كل منهم حبر (ابرش)، وهو واحد ممن يوجهون ارتقاء البشرية.

وتتنبأ نعاليم أعني - يوع بحلول عصر جديد للنار سوف يحول لأرض ويصهرها من لنمايات، لكونية وينذر بحلول هذا التغير انهيار الشعوب وانحلالها اللد ان يسبقان لحظة لتغير مباشرة، وهو ما كان قد تنبأ به الكتاب الهندوسي المقدس «فيشنو بورانا»: سرف يكون الملوك المعاصرون الذين يحكمون في الأرض ملوك الروح الحلف والأحلاق لمطة، مسممين في العكس والشر وسوف يقتلون النساء والأطفال والبقرة، ويستولون على ملاك رعاياهم؛ وسيتكون سلبهم مقصد، وحدتهم قصيره، وثلة رغباتهم بنير جدوى. وإذا سخالط معهم الناس من مختلف البلدان، فإنهم يحذون حذوهم. وسوف تنافس الثروات وأعمال السر يوماً بعد يوم، إلى أن يمرى النسم كله في اسداد. الثروة وحدها ستحدد المكانة والثروة وحدها سوف تكون مصدر الاحترام والوفاء؛ وستكون الأهواء الوسيد الوحيدة للنجاح في العلوى القضائية؛ ولن تكون النساء سوى موضوع لتلبية الرغبة الجنسية. وسيكون لمظهر الخارجي هو الفارق الوحيد بين مختلف مستويات الحياة، وسيتحول الغنى إلى وسيلة عامه ليعيش، ويصير المتعفف ذريعة للتبعية، ويحل التهديد. والتصلب في الرئي محل المعرفة؛ ويدعى اكرم إحساناً ونمذ الشرط طاهراً. ويحل التوافق الثنائي محل الزوج. هكذا سوف يجري في الكالي - يوغا الاسلال بدأب إلى أن يقرب احسن الشرى من لحظة دمره. وعندما تدنو لحظة نهاية الكالي - يوغا قريبه جداً، ينزل إلى الأرض جزء ذلك الكائن الإلبي الموجود بقوة طبيعته الروحانية لذاتية. الموهوب ثمانية مؤهلات حارقة فيعيد العدالة إلى الأرض، ويصحو عقول الذين يكومون على قيد الحياة في أحر الكالي - يوعا، وتعدو بقيه شمسافه كالكرستان.

وحسب النعاليم أن الإنسان لا يصنع كاربم حسنة عندما لا يأتي فعلاً سيئاً، بل عندما يفعل الخير لصانع الآخرين. فليس مهماً ما فعلنا، إنما المهم لتوافع. واسواعث والأفكار التي وقفت وراء فعلنا. إن المساعدة التي نضيمها للآخر يمرض الشاء والحمد، لا تصنع كاربماً حسنة وكانت «انبهاغافاد-حب» قد قالت عن هذا: «كل تصرف تصرفه من أجل نفسك، يرد تأثيره إيتب نصيبك. وإذا كان هذا تصرفاً حسناً، فتنتجه حسنة لك، وإذا كان سيئاً فذلك ستحصل على نتائج رديئة، لكن أي فعل يصلة لا من أجل نفسك بل من أجل الآخر، فهما كانت نتائجهما لن يرد تأثيره إليك، وإذا ما ساعد الإنسان قريبه، فإنه بذلك ساعد نفسه.

قدّم العون إلى حيث تصل يدك، إلى حيث يخلق فكرتك. وهكذا يبقى أبوب المستقبل. هكذا يدرك أن كل سادة سلبت منك سوف تمضي إلى المستقبل. يجب أن نعتاد على أن تعاونا يأتي بكل ما هو ضروري إذا لم نجف اليد التي تمسك بالينوع لأن القلب لدافق

بالموتنة. هو قلنا وهذا ممكننا الآن أن نخلو في الزمن الذي مثل انقضت بالنسبة لمن لا يعرف لكنه لأمع رايه بالنسبة لمن يدركه.

يبقى على الإنسان أن يعرض لكي يتضح وعيه، كي يستطيع أن يفهم القوانين الكونية المعطاة في هذا العالم، ويحدد مكانه فيه. ولكن فهم هذه القوانين وحده لا يكفي، إنما يجب أن يكون الالتزام بها صارماً. وتبعاً لهذه القوانين الروحية، يجب ألا تكون غاية المرء، فانيته الشخصية، بل خدمة الخير العام. وإذا ما نجح الإنسان في هذا، فإنه يعود سيّد مصيره، وقادراً على تحقيق ارتقائه النوعي، ولن تصنع تصرفاته كارماً رديئة. وإذا يبلغ المرء هذه الحالة، فإنه ينتقل إلى طور إله الإنسان. وعن هذا يقول «نور على الطريق»: «كس امرء لنفسه طريق وحقيقة وحياة» فعندما يبلغ الإنسان هذا المستوى من الكمال الروحي، يغدو دوراً أمام أولئك المعاهدين في الظلام، وحقيقة ومطابقاً للآخرين. وحين يتحقق هذا، قدّم «يدي الإنسان سلطاناً النجوم» وسوف يرى عبر الأرض، ويفهم لغة الطيور و لوحش ويلقي هكاز السماء والأرض، عندما ستحدث هاتان إله (إيمرسون).

سوف الآن عند مسألة ميدانية أخرى أين تقع الإنسان في البرهة الماصلة بين جسد وأخر، وكيف يرتبط هذا بكارما؟ لقد ورد في «كأس اشترق» (الرسالة ١٩)، أن «كل من لم يفرق في حماة هدارة الآثام التي لا متصرة لها، ولم يعدش الحيوانات، يمضي إلى ديمانشيا (الجنة)» أمّا عن كرامها هؤلاء الرديئة، فقد قيل في الرسالة عنها: «يتوحد عليهم أن يكفروا عن آثامهم، الإرادية واللاإرادية، فيما بعد أمّا لأن فهم مثابون يابون نتائج الأسباب التي أتوها هم» ثم تشرح الرسالة معنى مفهوم ديمانشيا (الجنة)

من السهوي أنها حاة حاة، إذا صبح القول، من الأمانية لتدبيره. لتي تجبي «الأث» فيها ثوب نكرانها ماتها على الأرض إنها غارقة غرقاً كلياً في غبطة كل إحسانها، وبو زعها وأفكارها الذنية الأرضية، وتجمع هنا ثمار أعمالها الفاصلة الجديرة، فلا يعكس صمو غبطتها أي ألم، أو كدر، أو ظل حزن؛ لأن هذه الحالة هي حالة المايا المتواصلة. وبما أن إدراكها الواعي لدتها على الأرض، ليس أكثر من حلم لحظه عابرة، فإن هذا الإحساس لن يكون في ديمانشيا إلا كالحلم، لكنه أقوى بمائة مرة إنه قوي من حيث الجوهر إلى درجة أن «الأث» المعبوسة تكون عاجزة عن أن ترى عبر هذا لحجب أي شيء من النبؤس والمعاناة. وأحزن اسي ريماني منها الذين أحببتهم على الأرض. فهي تعيش حلماً حلواً مع الذين أحببتهم أرخلو من قبل؟ أم ما رالوا على الأرض؟ إنها تراهم على مقربة منها، سمعاً، مفيوطين، أرباء كرائي الحلم نفسه، اسي لا حسد له»

الباب الخامس

الكونفوشيوسية

الصين قبل كونفوشيوس

إذا ما قارنا بين الهند والصين، فلا بد لنا من أن نقر بالفرق بين رؤيتهما للعالم. ففلسفة الهند العالم كن دائم لتطوع إلى لسماء، إلى الآلهة، إلى الروح الكوني. وكان يرفع هادته إلى السماء حتماً، وقد أسكن في هذه الأخيرة كثرة من الآلهة (يقال إن عددهم هناك لا يقل عن ٣٢٠ مليون إله) ومن المعروف أن البوذية مرتبطة بالسماء هانعات المرء في هذه القشرة الحسية أو تلك، وتحقيق إمكانية قطع سلسلة الآلام الأبديّة، تلهم هي المعصية التي عملت على حلها الددبت والمدارس الفلسفية الهندية. فقد حاول كلها تعليم الإنسان كيف يتبع سلوكاً يصفي في آخر المطاف إلى قطع هذه السلسلة وبلوغ السكينة المرحوة: اسرفات ولم تذهب أحلامهم إلى أبعد من دب، فلم يكر هؤلاء الناس بالجنة السماوية، ولا بالعالم الآخر وزوعة العيش فيه. وإنما فكروا ونسولوا الآلهة والإله مئة واحدة فقط. أن يقطع حيط الآلام ويمح الفرصة السانحة لولوج العدم، الترفاقا.

أما الشعب الصيني فقد نظر إلى مسائل حياته من زاوية مغايرة كثيراً. فقد رأى الصينيون أن الحياة لم تمنح للإنسان عبثاً. فهي حياة و حدة منعج لكي تعاش على أحسن وجه، وأفضل كناية وقد سخرها كل مواهبهم وكفاءاتهم لتعليم هذه الحياة الرمزية تنظيماً أكثر سداداً، وأكثر إنصافاً، وأكثر عقلانية. وعلى وجه الخصوص، أكثر عضلية. فقد رأى العلماء أن العقلانية هي التي تقوم في صلب لتعلم الفلسفية والدينية الصينية، وليس الصوفية، والباطنية وما إلى ذلك.

لقد أقر الصينيون بأن بدايه البدايات، ومصدر كل ما هو موجود على الأرض يقع هناك. في السماء ولم يختلصوا أي شيء بخصوص ما يجري في السماء على وجه الخصوص، وكم من الآلهة هناك، وكيف تجري علافهم، ولم يشأ الصينيون أي أساطير عن طريقة عيش الآلهة والصراع بينهم. ولم يهتصو بهم إلى ما دون منزل الرأهب البوذي إنهم بشكل مسالمة أدركوا أن أسماء تحمل بداية البدايات كلها. وفيها مفتاح حياتهم الرمزية. ومع عدم معرفتهم بتية بداية البدايات إلا أن الصينيين أدوا لها أدباً

الاحترام، وسجدوا بها، واهتدوا بهديها ويمكن القول إن السماء كانت بالنسبة للصينيين هي الإله، هي المشترك، الكلّي الأسمى. المجرد، البارد، الصّارم. اللامائي تحام الإنسان. هلمّنا بالنسبة للصينيين ليست الإله ارحوم الرؤوف المحبّة عند المسيحيين. ولكنها في الوقت نفسه ليست شريرة، وبهتت طبيّة. إنها اناموس، القانون الذي يجب احترامه بدقّة والبرم، لأنّ الحياة على الأرض ترتبط به ولم يكن متعارفاً عليه لدى الصينيين أن يتحدّثوا عن حبّ الممّاء. لقد اعترضوا به بداية البدايات وحسب، فحضعوا لسلطانها، وحشوا استهلاك قابوتها

ولذلك. عملياً ليس لدى الصينيين ميثولوجيا. أمّا لأبصال استولوجيون الذين رفعهم الصينيون قديماً إلى السماء فما لبثوا أن أعادوهم شيئاً فشيئاً إلى الأرض، ولم يمودوا ميثولوجيين. وفي الوقت نفسه جلّ الصينيين أولئك الذين تصرّفوا بحكمة وعدل، ووفق قوايين السماء عند القدم (قبل أن يظهر بودا في الهند)، لم يتأسّس المجتمع الصيني على القرابين، والتصورات الصوفيّة عن الآلهة والمعدّات، ولا على الدين بانغري الذي يفهمه فيه الأوروبيون، بل على الأخلاق، على معايير السلوك التي يجب أن يلتزم الصيني بها في شتّى الحالات ونرى أنّه من الأفضل أن ندعى تلك المعيير طقوساً، فكل ما في المجتمع بُني وفق مبدأ العماليّة، والملاءمة، والمائدة. والسّماة التقنيّة الصينية حينها لم تشكّلها الدين بصفه دينا، بل شكلتها هذه الأخلاق الطقسيّة الصوريّة وغني عن لبيان أنّه في مثل هكذا حالة لا يمكن أن يكون لرجال الدين أيّ دور معيّن أو ذي أهميّة خاصّة فقد تلخّص دور الكهنة هنا في تأدية الأعمال التي تهتمّ الحياة الرمنيّة، والاهتمام بالبرام لشعب بالمعايير الأخلاقيّة. ولذلك فإنّ الكهنة بالمعنى الأوروبي لم يكن له وجود في الصين. فواجبات الكهنة أثناء تأدية الخدمة الدنيّة على شرف السّماء، وأهمّ الآلهة، والأرواح الأسلاف. كان يؤدّيها العلماء، وهم الفئة المميّزة في المجتمع الصيني

ولم ترس أسس هذا البناء الاجتماعي في الصين في زمن يتجاوز الألف ق م. ففي هذا العصر ولدت الحضارة، لإبيّة المدينة الطابع. وفي هذا الوقت تقريباً استولى الآريون على الهند. وما بشر انفصول، إن إرث الآريين وإرث الإيتيين كان متماثلاً عملياً فحين هؤلاء اردهر الإنسان أكثره من الآلهة والمعبودات، وكذلك الأرواح. وقدّم الصينيون واليهود إلى هؤلاء قرابين دموية، بما فيها القرابين البشريّة ومن البديهي أنّه كان لليهود آلهتهم وللصينيين آلهتهم. بيد أنّ الوضع من حيث مبدأ كان متشابهاً ثمّ بعدئذٍ سارت عملية التطوّر في كل من البلدين في طريق مغايرة تماماً

فهي الصنم أخذ يبرز من بين كثرة من الآلهة، إله واحد هو الإله شاندي. ولكن هذا مكان الهأ هريداً فهو لم يكن الإله الأعلى هتمد. إنما مكان إضافة إلى ذلك لحداً آخر في المؤسس بلشعب للصيني، النسب الأول الطوطم. وهنا بالصنم يقع مفرق الطريقين الكبيرتين اللتين سار المجتمع الهندي على إحداهما، والصيني على الأخرى. هتمد الصينيين غداً إله صلماً مؤسساً إذ نزل إلى الأرض الصينية وأنه منشأ الشعب الصيني. ولذلك ليس أحترم ابوالدين، والجدين، والأسلاف عند الصينيين مجرد قاعدة من قواعد الأخلاق، بل هو موقف تجاه الإله وهذا ما يمتنع إله مجتمع المعاصر وهو من حيث الجوهر محور الارتكار الرئيس الذي يستند إليه كل مجتمع. ويبين لنا مثال الصين أن آلاف الصينيين عجزت عن كسر محور الارتكار هذا وهذا يعني أن المجتمع الصيني نجح في الحفاظ على استقراره ومن المعروف أن تاريخ الصين عرف انتقاصات، وثورات، وتعاقد سلالات، كما خضعت الصين للاحتلال الأجنبي، إلا أن هذا كله لم يحدث أي تغيير في جوهر نية المجتمع الصيني، أو في هيكله. من فصل هذا الهيكل مكان المجتمع الصيني بنهم وتنازع طريقه من حديد وحتى عواصف الشيوعية لم يكسر هذا الهيكل، وبمصله يمتص الصينيون قدماً يحمل ثابة وثقة بالمستقبل. وبفضل هذا الهيكل لن تعرف الصين بيريسكوبيكات عبثية لا بقودها قيصراً ولن يعرف حركات إفلاس للشعب كالتي يعيشها مجتمعنا الروسي الآن. ولكن يجب ألا نعتقد أن هذا الهيكل يعد شيئاً ما يشبه التقيد الذي يقيد تقدم المجتمع إنه كهيكل برج أستبكتنا (برج التليفزيون في موسكو م). يسمح للبرج بدائرة واسعة من الحركة، لكنه لا يسمح له بالسقوط. ومن يحدد التثوية به هو أن هذا الهيكل يجبر للشعب حق الانتصاصة، والثورة، إذا ما أحجم رعم البلاد عن تفيد واحصاته بترامة ولذلك كان حاملو هذا النظام ورضائته من جانب الثقلين دوماً. وسرعان ما كدست السلالة تعقب الأخرى، وسرعان ما كان المجتمع يضاف من أرمه ويمود من جديد إلى حالته سلباً معاهي وعلى من يحول بين روسيا اليوم أن يعرف التاريخ، ويمى أن لكل شعب، لكل إثوس هيكله الذي بمصله يعيش وطالب يحتفظ هذا الهيكل بقوة وطافته فإن الشعب لا يحشى أي تغييرات أو أزمات داخلية ولكن إذا ما سقط الهيكل فإن كل شيء انتهى. فيتدعى كل شيء دون أي أسباب واضحة، ولا فائدة من لاسعانة بأي تجربة قومية كانت، أو أي نموذج من نماذج البناء الاجتماعي. ولكن كما يحدث ديار البلاد على حين غرة، فإنها تستطيع على حين غرة أن تهوى من لركم بيد أن هذا لا يحدث إلا إذا عادت واكتسبت هيكله من جديد، واستعادت روحها إذا صبح لشعب، وسوف يكون من المعيد جداً أن يتذكر هذا، الذين أخذوا الآن على عاتقهم مسؤولية

التهوض بروسيا من لركم، بل بمعنى أدق، من المميد و عرفوا هذا فالإنسان لا يتذكر إلا ما يعرفه

هكذا، منذ القدم قوي في المجتمع الصيني مبدأ انعقائيتها، مبدأ الواهمية الذي تجلّى في المبالغة في عبادة الأسلاف حسب رأي الأوروبيين. وكانت عبادة الأسلاف هذه بالذات، هي التي باتت قاعدة المنظومة الدينية الصينية ويدعو المزرّحون لعصر الذي تحدث عنه، عصر شان - إين، والحصارة التي كانت قائمة وقتذاك، حضارة لإين. ويتزمن هذا، العصر تقرباً مع بدء حقبة كتابة السورة، أي في الألف آق م، وفيما يتعلّق بالحكام - الفان، فقد عدوا منذ ذلك الوقت الممّكين الأرسمين للإله شاندي، الذي كان كما أشرنا المُلْك المُرْس بلشعب الصيني. وعلى هذا النحو كان أصلاف الصينيين بمرتبة إلهة، وكان النواصل منهم مستمرّاً، ومهمّاً جدّاً، بل كان العنصر الأهم لوجود الصينيين.

وكان هذا يتواص مع لأصلاف وعسى رأسهم شاسي، بسم عن طريق التجسيم وقد تراقق طقس استجيم بطقس تقديم القرابين وكان العرض من استجيم محدداً وواضحاً. تزويد الأسلاف بالمعلومات عن أحفادهم، من أهم لحظات حياتهم؛ وتلقّي الإرشادات والنصائح منهم. وكان ذلك كله بحري على ألوحه الآتي: يؤدّي دور حامل المعلومات عظم لوح كبير، أو درع سلحفاة فقد كانت المعلومات تحمل للحامل المعني بطريقة محدّدة على شكل تجويفات ونصوص مؤلفة من عدد من الرموز التصويرية. وكانت معلومات تُصاغ على شكل أسئلة إجاباتها «نعم» - «لا»، ولكي يظهر الإجابة كان العظم أو الدرع يكوى في تجويف منقوعة برونزية محمّاء. فظهر المعلومات الجديدة في صورة صدوع على لوحة الأخرى وليست تقنية التجسيم هي المهمة بالنسبة سا. وإنّ المهم هو أنّ النجمين لم يكون من المشعوذين القرويين الوحيدة، بل أشخاص متعلّمين، مثقّفون، ذوو مواهب ومزهارات، ويديرون شؤون البلاد. وكانوا علاوة على هذا كله يتقنون الكتابة التصويرية التي عدت الأساس الذي قامت عليه الهيروغليفية. وهذا لم يكن التجسيم شأناً هزلياً بقدر ما كان شأناً حكومياً لقد كان هناك نظام كامل من الممرشرات المدوّنة كما كان في ذلك النظام مقاييس موضوعية للتقرير الحسناني

في عام ٢٧ أتم انتهى عصر شان - إين. ولكن النظام نفسه لم ينتثر، إنما طرأ عليه بعض التغيّرات بالاتجاه الجيّد. فالمسألة، هي أنّ الشعوب المجاورة اتحدت ودمّرت دولة إين واستقرّت على امتداد حوض نهر حوانجي سلاله جديدة، هي سلاله تشنحوو. وقسمت هذه السلاله عن السلاله السابقة كل شيء تقريباً عبادة الإله لسلف شاندي، وممارسة التسحيم،

و ولكنها أرسبت في المجتمع حديدتها أيضاً فقد كانت عبادة لسماء متقدمة عند المستعمرين وفي طور لاحق أراجحت عبادة السماء عبادة الإله شاسي، وانتقل هذا لأحرر إلى فئة الأسلاف المؤثرين. وبات المحكمات برؤوس نسيهم إلى السماء لا إلى شاندي وقد بقي حكم الصين أبناء السماء حتى القرن ٢٠م وكما نوهنا سابقاً، فإن عبادة السماء لم تحمل طابعاً صوفياً، بل طابعاً معنوياً - أخلاقياً لم كانت السماء معاقب لمسيئين وبكاهي المحسنين. وألقى النظام على ملك بالتزامات محدّدة صارمه، وهو ما لم يحصل في أي بلد من بلدان العالم، في أي عصر تاريخي كان ويعدّ هذا واحداً من الشروط التي بفضلها كان الصينيون دائماً مجتمعاً راسخاً وقوياً فالصين لم تعرف هزل ولن تعرف في أي يوم الحلات التي كان النحاكم يؤلّه فيها حتى آخر لحظة من حياته، وبعد موته يخرج من قبره ويلوث بالقساوير، وينقل عليه.

لقد غدّ لحكم كلهم أساء اسماء، ومع ذلك فكان يحب على كل حاكم، لكي يحق له حكم الشعب، أن تكون له «دي» أن يتحلّى بالمضيئة والعفة وكانت لهذه «الدي» امكتونة صيغة معدّسة وإد ما همد «لحاكمكم» «الدي» فإنّه لا يفقد السماء، إنّما يفقد الشعب وذلك هو الرادع الأقوى. وكانت السماء بالنميمة للصينيين هي الفضل والمنفعة. والعدل والمضيئة. وهكذا أبرز المبدأ لعللاني إلى المقام الأول على مستوى أرحب بكثير ممّا كانت عليه لحال في عهد السلالة السابقة، سلالة الإينيين لقد دعا الحكام أنفسهم بأبناء اسماء، والبلاد التي كانوا يحكمونها أرض لسماء فالسماء فوق الأرض كلها واحدة. وهذا يعني أن أرض السماء كلها واحدة كذلك أمّا ما تبقى ممّا لم يندرج في تلك اللحظة في أرض السماء، فهو كله محرّد تفاصيل الأطراف المبرئة لمي مكاتب تسعى بهذا اسشكل أو ذاك إلى أرض لسماء، والتي عدّ أبناء السماء أنفسهم مسؤولين عنها. وبما أن المقصود بأرض لسماء هو لعالم كله، فإنّ مركزها، أي الصين، دعست بالدولة المركز.

أحدث عبادة الأسلاف تتطور في عهد السلالة الجديدة، وبدأ تأثيرها يعكس على تربية المجتمع. فلم تعد لأهميّة الآن لواجهه وجود اصلب نصبتها، بل لجمعية من كان لاصلب الممي، إلى أي عائله ينتمي، وإلى أي حدّ كان همد قريباً من السلالة الحاكمة فقد كان ضمة حدول دقيق للمراتب. وتراجع مستوى إفلاتهم للأسلاف بالشؤون الأرضية، لكن ما كان مستظراً منهم في ذلك لعالم كان كثيراً جداً لقد اعتقد الصينيون أن للإنسان سمسين، نفس مانيه تمضي مع المتوفى إلى داخل الأرض ونفس سماوية تمضي بعد وفاة الشخص، في السماء لتشغل هناك مكانة تتوافق بدقة مع مرتبة هذه النفس، مع مرتبة هذا لشخص وكان الدين

تتوفر لديهم الوسائل (الحصان و الارستقراطية) ييسرون على املاكهم ايراحلين معاند منزلية، لكن شكل شيء داخل هذه المعبد كان يحضر بصراحة لنظام واحد، لجدول المراتب. فقدر ما كانت مرتبة السلف المعني عابيه، بقدر ما كان يُسمح بوضع ألواح تحمل اسمه في معبد، فهي معبد الحاكم كان عدد الألواح سبعة، وفي معبد حاكم المقاطعة خمسة، وفي معبد الأرستقراطي ثلاثة. وهناك تقصم آخر حصل في عهد سلالة تشو بالمقارنة مع عهد سلاله إين، وهو أنهم منعوا أن يذفن مع الميت اناص حياء المييد، والخدم وما شابه ممن يمكن أن يحتاج المعني إلى خدماتهم في العالم الآخر

أما في ميدان الإنتاج فقد كان املاحون هم مطعمو الشعب الصيني كله. وكان المحصول هو الهبم الأتلي لهؤلاء، ولذلك توحّمت عبادتهم نحو الأرض. وكانت الصلة مع الأرض تحققها النساء الشامانات لقد كانت كهيات الأرض الأم هؤلاء يقفن عاريات تحت أشعة الشمس الحارقة ساعات طويلة يوسكن هطول المطر ولم تكن الشامانة تهتم إلا بأسحابة تومسلاتها. وإذا ما أحضمت الأم الأرض عن إرسال المطر في فترة الجفاف، كانوا يعرفون الشامانة وهي حية، أو بكلمات أخرى، كانوا يقدمونها قرباناً لاله الحفص.

لقد كان في كل قرية مذبج على شرف روح الأرض (شي) وعلى هذا المذبج كانوا يقدمون القرابين على أمل جمع محصول أفضل. وفيما بعد دث الارستقراطيون ييسون مذابح شي، بل حتى الحكام أنفسهم كانوا يبنونها ثم عدا هذا المذبج رمزاً للسلطة. وعُد استيلاء الأعداء عليه بصرأ ناجز لهم. أما أسرى العدو فقد قدموا قربان على هذه المذابح ولم تكن الأعمال الزراعية تبدأ في الصين إلا بعد أن حمرث احكام بنصه التلم الأول في فصل الربيع. وكان هذا التلم يمتد علو مقربة من مذبج الشمس شيء ومثلهم مثل الشعوب الأخرى، كان الصينيون يقيمون احتفالات خريفية احتفاء بحتي المحاصيل وفي فصل نفسه كانت تقام الأعراس، و.

نصيح لما إذن أنه قام في الصين بقاء إداري زمني روحي شديد التعقيد وإذ كانت السلطة الروحية لدى المسلمين قد أحدثت على عاتقها في انطور الأول من قيامها، مهمات السلطة الرسمية ووظائفها كلها، فإن الأمر في الصين سار في الاتجاه العكسي. كانت السلطة الرمزية (الحكم وموظفو الإدارة) هي التي تنهص بمهمات السلطة الروحية. وما سهل الأمر أن تأدية وظائف السلطة الروحية في الصين السعود للسماء والأرض، وإقامة طقوس هباتيهما، لم تكن تتطلب صرف كثير من الوقت أو الجهد، أو وجود خدم متخصصين في الخدمة الروحية. وبهذا اشكل تكون قد مشأت في الصين سلطه ومنية ذات صبغة روحية.

فقد كان الحاكم وموظفوه مسؤولين عن حسن سير النظام في أرض السماء أمام السماء نفسها، وقد رأوا أن واجبه الأساس يتلخص في تحقيق هذه المهمة ولم يكن ذلك يقتضي بناء كثرة من المعابد المكرسة لمختلف الآلهة والقديسين. بالنسبة لم تكن هناك حاجة لكفاية جيش من مختلف المراتب الكهنوتية والصيني لم يلتزم بالمعيار الأخلاقية خوفاً من إله، إنما لأن رعاياه هنا على الأرض كان يرتبط بالتزامه هذا فقد كان الالتزام غير المشروط بقواعد الأخلاق السماوية، هو الصبر الوحيد الذي عول عليه المواطن الصيني ليضمن لنفسه عيشاً طيباً أو ليحقق مستقبلاً وميضاً مرموقاً، ونحظى باحترام الآخرين. ولذلك لم يتأت للأخلاق الشيوعية (وهي أخلاق رائدة) في الصين أن تلمح الشعب بالوسط والسكك الحديدية والصينيين عرش هذه الأخلاق آلاف الصينيين، وكنهم عاشوا في ظل نظام لم يكن يسمح لنفسه الحاكمة بالفساد والاحتلال، إذ التزم جميعهم من لقاعدة إلى القمة بتحقيق متطلبات هذا القانون الأخلاقي.

لقد شاعت في أوساط الشعب الصيني كثرة من العبادات المحلية والمعتقدات الخرافية، ونشطت حركة الشامان، والعرافين، والمجنّس كما كان الإيمان بوجود لقوى الخارقة حقيقياً. ولكن نظام الدولة الذي ندرج فيه النظام الديني، كان شديد الواقعية. ولم يكن منه ممكن للصوفية، ومختلف الانتماءات الدينية الأخرى التي يمكن أن تقضي إلى التوتر الاجتماعي. وفي لأن عيشه كان الدين في الصين القديمة شأناً من شؤون الدولة الخطيرة، وكان كل شيء يجري في هذا الميدان بمنتهى الجدّ والهدف. ولذلك لم يكن الموصف من الطقوس الدينية كما هي الحال عند المسيحيين. ففي الصين كانت علاقة الشخص، المعني مع الإله - السماء تتراوح إلى المقام الثاني. بينما يقوم كل شيء عند المسيحيين على هذه العلاقة الشخصية. وكان الشأن الرئيس في كل طقس عند الصينيين يتمثل في فهم الأهمية السياسية لطقس الردى فكما هي حالهم في كل شأن كان هؤلاء مواطنين أولاً وقبل كل شيء. هكذا أنشأهم النظام الذي نحن بصدد، على امتداد قرون كثيرة.

ومن المفيد أن نقول بعض الكلمات عن الفلسفة الصينية القديمة لقد كان محور الأساس الذي قامت عليه هذه الفلسفة، هو تقسيم الكل ما هو موحود إلى مبدئين متعاكسين: المبدأ الإيجابي (يان)، والمبدأ الأنثوي (يوان). وبعد المبدأ الإيجابي، يرتبط بالشمس وكان مصدراً، ومناطق وقوي. بينما يرتبط المبدأ الأنثوي بالقمر، وكل مظلم، وكدر وضعيف ولكن المبدئين حسب هذه الفلسفة كانا مترابطين ومتفاعلين باستخدام تام وكل ما هو موحود ليس سوى ثمرة هذا التفاعل. وكانت نظرية يان - يوان هذه قد ظهرت في حوالي

لقرن اقيم ثم اكتملتها بعد وقت نظرية اوسين وقد قامت هذه الأخيرة على تمويرهم عن تعامل العناصر الخمسة الأولى، الماهيات الخمس البدئية وتداخل بعضها مع بعض. وهذه العناصر، هي النار، والماء، والأرض، والمعدن، والخشب. ولدت مؤرخو الفلسفة الانتباه إلى أن تعاليم زرادشت احتوت بدورها فكرة مبدأى لكون المتعاكسين. النور والظلام. وعرفوا في الوقت نفسه تصوراً عن السمات الأساسية النقية، الماهيات السبعة البدئية. النار، والماء، والأرض، والمعدن، والنبات. والمطيع. ولم تكن مسألة القطعان في الصين مسألة مهمة، ولذلك كان من البدهي أن يسمط هذا العنصر. وهكذا تتضح لنا صلات الفلسفات بعضها ببعض. وتعدّ الزرادشتية هي الحلّة الأولى بين هذه العلمعات. ولكنّ المفكر الفلسفي لصيني لم يراوح في مكانه فقد تطوّر تفكيره وصاغ نظريات صوفية، وميتافيزيقية وسوى ذلك من النظريات الفلسفية

لفصل الثاني

الكونفوشيوسية

إن الأفكار العظيمة التي تدعها الشخصيات الصّدة لا يمكن أبداً أن تثبت في أرض حواء بل على الضد من هذا تماماً، إذ عندما تحلّ فيك تجد أن تلك الأفكار كانت معدّة جاهزة حتى قبل أن يظهر مؤلفها إلى الوجود. وهنا بالضبط مربط الفرس، فالإنسان العظيم مرسل من أجل أن يضع في لحظة لمعطى لتاريخي الخطير، تلك الآلية الجاهزة في السياق الصحيح. ويبدو ساً أحياناً أن ما فعله هؤلاء سيبعداً. فالطورية النسبية مثلاً كانت تقريباً جاهرة قبل أن افشترى. ولتكن هذه «التقريباً» التي بطن الآن أنها كانت طافية على السطح، لم يجمع أحد في انصاطها، لم يصل إلى ذهن أحد. فالمسألة هي أن الأفكار لا تصنع داخل المح، إنما تأتي إليه إنها خلق في الهواء ونحن نلتقطها بإدر كنا كما يلتقط جهاز ايراديو موجات الإرسال. لكن جهاز الاستقبال هذا يجب أن يكون من نوعية فائقة الجودة. ومعنى هذا أن المرة يجب أن يمتلك ذهنًا، وأخلاقاً سامية، و..

لقد ولد كونفوشيوس في رمنه، ودّي عمله، عمل الأفكار التي وردت إلى رأسه. ولد كور - تسري في العام ٥٥١ ق.م، وعاش ٧٠ عاماً وقد كان ذلك العصر عصر تنقل المجتمع الصيني من المعايير الآبوية - العشيرة إلى نظام السلطة المركزية لحكم الممالك المستقلة، الذين كانوا يعمدون الآن على جهاز من الموظفين الذين لا يهتمون إلى الفئات العليا من المجتمع فالعمل في هذا الجهاز لم يعد يقتضي الانتماء إلى فئة الوجهاء كما كانت عهه لحال سابقاً، بل امتلاك المؤهلات الصحيحة بصمان تأدية المهمة الملقاة على عاتق المرئى عسى أكمل وجهه. وعني عن البيان أن الانتقال من بنى إدارية إلى أخرى لا ينجز دفعة واحدة وفي وقت محدد فاجتهد حاء يحطم القديم حاملاً وجهاً صارياً وأنياباً حادة فطمت على اسطح المحسوبة، ولجشع، وانتهاك القوانين، وانطباعان، والخيانة ورأى كثيرون في ذلك الانهيار نهاية الكون فقادروا مراراً وتكراراً ما يقع أمام أعينهم بالحال المثالية التي كانت سائدة في الماضي حين كان الحاكم الحكيم الطيب يقود البلاد وفق إرادة السماء. وكان كل شيء هادئ وعلى ما يرام. وأفكر مقارنة الحاضر بالماضي هذه، هي التي عزّزها كونفوشيوس وأبرزها فعلى

أساس من هذه المعاكسة أشأ كوفوشويوس مثاله عن الإنسان الكامل (تسريون - تسري). اسمونج الذي يجب أن يقتدي المواطنين به. وحسب رؤية كوفوشويوس أن هذا المواطن المثالي يجب أن يتحلّى بميزتين هما الأهم الإنسانية، وإحساس بالواجب ونحن نتخيل لسمّة الأولى بصورة محدّدة تماماً. حبّ البشر، والرأفة، والاستعداد للتعاون مع الآخر. ولكن كوفوشويوس أعطى لهذا المصطلح (جين) تأويلاً واسعاً جداً، فالإنسانية شملت عنده التواضع، والعدل، وصيقل النفس، والوقار، ونكران الذات، وحب الناس، ومباهيم أخرى كثيرة من هذا القبيل. من هذين مجموع المثل التي كان يتحلّى بها الأقدمون وحبهم أمّا هيم بحسب الشعور بالواجب، فلم يكن ثمة ترتيب صارم. فكما كان هذا المفهوم بصورة عريضة جداً، وكان الإنسان نفسه مسؤولاً عن محتواه الأخلاقي. لقد عدّ لإحساس بالواجب التزاماً أخلاقياً يحرصه المرء على نفسه بنفسه، ولا يحرصه عليه أحد آخر. ورأوا أن المواطن المثالي (تسريون - تسري أسبي)، يسترشد في أثناء ذلك بالمعرفة والمبادئ السامية، وليس بالمحاسب على أيّ حال من الأحوال. وكان كوفوشويوس نفسه قد عمّ هكذا: «الإنسان الشريف يهتم بالواجب، ولا يقفّر لخصيس إلا بالمكسب» وانطوى الإحساس بالواجب على اسمي لاكتساب المعرفة، وواجب التعلّم، وإدرات حكمة القدماء وعلاوة على سمات المواطن المثالي المتقّب هذه، صاغ كوفوشويوس سمات أخرى: منها الإحلاص، وانواضع (تشجيج)، والوقار، ومراعاة لرأسم والطّقوس (مي). وقد ترك لنا كوفوشويوس مجموعة أقوال دوّنت في كتاب لونيوي. ووصف المواطن المحترم في هذه المجموعة بأنّه إنسان شريف ومتواضع، ومستقيم، وحرّي، يرى كل شيء وبهم شكل شيء، يخط في حديثه، حذر في عمله. والتسريون - تسري الحميمي لا مبالٍ حيال الطعام، والثروة، ومباهج الدنيا، والمنفعة المادية. وعليه أن يحسن سوية الأمور عندما لا يكون واثق مما حوله، ويفكر في تصرفاته عندما يكون عاضباً، ويهتم بالأمان في مشروعه الناجح. وعنده في أثناء ذلك أن يتعاشى الرضا في سنّ الشبّاب، ونثرعات في سنّ النضوج، والشّع في سنّ الشيخوخة وعلى هذه الصورة فإنّه يجب على المواطن المحترم أن يكرّس نفسه لخدمة المثل العليا، والناس، والبحث عن الحقيقة. ورأى كوفوشويوس أن مثل هذا الإنسان لا ما أدرك الحقيقة صباحاً «منكهة أن يموت مطمئناً في المساء»

ولكن هل يمكن للمرء أن يعمد هكذا فعلاً؟ لا شك في أنّه كان مثلاً تأملياً، جمعاً ما للأخلاقيات السامية. بيد أن العياء صمّحت هذا المثل وجعلته أكثر قلبية للاستمرار، حمته وأهناً، والأهم من هذا فكّه إلهامياً للموطن. وشبهناً خشناً تراجعت حدة العواصف.

وتصاغررت النزاع الاجتماعية، وأخذ المجتمع الصيني يسعى إلى الاستمرار وصعدت هيئة
 نعيم ككونفوشيوس وزاد احترام المجتمع له وبات اعتناقها مدعاة لمخبر. وقد انسحب هذا
 أول ما انسحب على ممثلي الفئات الاجتماعية الثمينة العلماء - الموظفين، و لروقرطين -
 الإداريين الذين ياتوا يديرون الإمبراطورية الصينية، وكان العصر المعني طويلاً جداً، إذ امتد
 خمس مائه عام (من القرن ٢٢٢ ق م حتى ٢٠٦م). وبعد نهاية هذا العصر كانت الإمبراطورية
 الصينية قد باتت كونفوشيوسية بالكامل. باتت تعاليمه تحدم لدى الدولة، وعني عن البيان
 دور شك أن المواطنين لم يتحولوا كلهم إلى مثال السلوك الصالح فهذا أمر غير واقعي.
 ولكن المجتمع ككل اتخذ موقفاً إيجابياً من هذا المثال. وريداً نشأت وتفتت المعايير
 ذات الصلة، والتمدد الأصل لسلوك كل مواطن. وقد ارتبطت هذه المعايير بالمكانة التي
 يشغلها المواطن في أبنانية الاجتماعية فجميع في ذلك الوقت عينه صياغة دقيقة قانون
 اللماقات الصيني، وجرى صلبه ونظمه بصرامة شديدة. وهو ما يعرف اليوم بالشكل
 الصيني. لقد وضعت قواعد سلوك دقيقة لأحوال الحياة اليومية كلها. وكانت مجموعة
 قواعد السلوك الظاهرية (اليتسزي) إلزامية للمواطنين كلهم على طول أكثر من ألفي عام.
 وكلما كانت المرتبة الاجتماعية أعلى، كلما زادت صرامة الالتزام بتطبيق هذه القواعد.
 فعلى تطبيق مجموعة هذه القواعد تأسست الإمبراطورية الصينية نفسها، بجهازها
 البيروقراطي الحبار

وتم بصفتهم كونفوشيوس بصياغة قواعد السلوك ومتطلباتها لكل شخصية بل صاغ
 المثل الأعلى للمجتمع الذي يجب أن تعيش فيه اشخصية المسية لقد قال كونفوشيوس
 «فليسك الأب أباً، والابن ابناً، والحاكم حاكماً، والموظف موظفاً، ورأى أن تركيبة
 المجتمع يجب أن تكون راسخة، وعلى جميعهم احترامها، وعلى كل أن يعرف حقوقه
 وواجبه ويؤدي ما عليه تأديته. ويجب أن تتألف تركيبة الدولة هذه من طبقتين على الطبقة
 العليا أن تفكر وتقود، وعلى الدنيا أن تعمل ونحضر، وقد رأى كونفوشيوس وأنصاره أن
 هذا النظام الاجتماعي هو وحده النظام الممكن، والأبدي، والواقعي. وقد كانوا على حق
 ولقد كانوا على حق مرتين. عندما رأوا أن الانقسام إلى طبقة عليا وطبقة دنيا يجب ألا يرتبط
 بالثروة، والثروة، و لقرب من القصر الإمبراطوري، وبما يجب حسب كونفوشيوس،
 أن يحصل الانقسام حسب درجة قرب الشخصية السنية من مثال المواطن الشريف الموصوف
 أعلاه. وعلى هذا الشكل يكون المجتمع مجتمعاً شفافاً من تحت إلى فوق. وهكذا من مثلك
 مماره، وينجلي بالمصائل يستطيع أن يجرى إلى السمع ويكون سنداً للدولة، بتأديته واحبه

بأمانة ونزاهة ونحصرني في هذا السياق مسألة دقشتها روسي في القرن الماضي هل ينبغي أن يسمح للمئات الشبعة الدبيب بالتعلم في المجتمع الصيني حسمت هذه المسألة ببساطة منذ ألفي عام فقد سكان واصعاً وقتهم، إله كي لا ينعط المجتمع ويتداعى يجب أن يُضخ فيه دم حديد سليم، يمنح المجتمع قوى جديدة، وطلاقة جديدة، ومعارف جديدة، واستقامة تخرج منه كل ما يعين عمله بصورة طبيعیه ويجب أن تحلو منظمة نقل الدم هذه من الصبامات، والحواحر، والمواثيق: يجب أن تكون لمرصة متاحة دائماً للموهوب، الشريف، المعارف، لكي يصعد إلى فوق ويقدم مزيداً من الفائدة للمجتمع، لشعبه وإذا كان المجتمع شامعاً فإن تيار المعارف الشرفاء المندفع من تحت، سوف يكس منه الرسوة، والفساد، والتسبي، والسعي لتحقيق المنافع الشخصية على حساب المصلحة العامة ومجتمع القريب العهد لم يكن مجتمعاً شفافاً، حرّاً فالشرحة العليا كانت محبوبة عن الفئات الدنيا يحجز مظلم وقد منع هذا الحاحر انتقال الدماء الطارحة المعافاة، في المجتمع، ولذلك لم يكن انهياره مستغرباً أما في المجتمع الصيني فقد كانت بهوية المجتمع تتحقق منذ ألفي عام وحملت رايات الكونفوشيوسية شعار «اشعب أولاً، والمعبودات ثانياً، والحاكم ثالثاً» وعندما شعر تلميذ كونفوشيوس سيو، منصب الوزير وفرض صرائب كبيرة أعلى كونفوشيوس بالصوت العلي: «ليس هذا تلميذي!»

ويعد مطلب احترام كبار السنّ عنصراً مهماً في تعاليم كونفوشيوس. ومن الأكبر سناً: الوالد، والموظف، والحاكم، ومن في حكمهم. هالعكس بالنسبة للأصغر شخصية يحرم الاعتراض على ما يصدر عنها. وقد قال كونفوشيوس إن الدولة عاقلة كبيرة، والعائلة دولة صغيرة وأسست تعاليم كونفوشيوس إسهاباً خاصاً في دراسة موضوعه احترام الابن لوالديه (سباو) هذا كونفوشيوس أن هذا الاحترام هو أس موقف الإنساني، ومعنى هذا أنه يسمى على كل ابن أن يوقر والده ويرتفع هذا الالتزام إلى ثلاثة أضعافه بالنسبة للشخص المتعلم، المتقف، الإنساني الذي يتحلّى بالإحساس بواجب المواطنة. وإن الأبناء ملزمون بخدمة والديهم وفق قواعد «لي»، ودفنهم وتقديم القرابين لهم (حسب قواعد «سي»). وقواعد سي هذه تعني الآتي يجب على الابن أن يعتني بوالديه طول حياته، وبممل كل شيء من أجلهم وأجل صحتهم، ويوقرهما في الأحوال كلها، وإذا ما كان الوالد غير فاضل، فيجب على الابن أن يحاول توبيخه إلى صديق لحق، لكن عليه أن يعمل هذا معاضاً على اللباقة والاحترام، فيحاول تحقيق غرضه بالحسنى، والتوسل، والإقناع و انطلاقاً من هذه القواعد كان على الابن ألا يشهد ضد والده، ويسبون إلى

مكونو شيبوس قوله ليست الاستقامة واشترّف في أن تعدد بوالدك، إنما في أن تتسوّى عليه حتى لو كان «سرق ككشاً»

وقد أعصت قواعد احترام الوالدين في الصين ثمارها فهدت معيار حياة لمجتمع الذي فصلها صدر مستقراً أو منقسماً. أمّا ما يمكن أن يؤدي إليه انتهاك هذه القواعد، فإننا نراه عند كل خطوة بحطوها في بلادنا روسيا التي سحقت في هدم كل ما يحمل المجتمع صلباً. ودا ما عدنا، في الصين، فإنّ موقف الأبناء السليم تجاه والديهم مهدّ أسبيل لتعوية لحمة لعائلة، وحتى إلى ازدهارها كما يركّذ المؤرّخون. ففي المجتمع عدت العائلة لبّ لمجتمع ووضعت مصلحة العائلة فوق مصلحة المجتمع. لقد نشأت في المجتمع شروط ومواقف تجاه العائلة جعلتها كبيرة ولا تتجزأ ومعنى هذا أن الأبناء كانوا يبقون ليعيش مع والديهم حتى بعد أن يتزوجوا ونشأ كثرة من العائلات الكبيرة ثم تتفصل إلا بعد وفاة الأب. وكانت معايير الانقسام على الوجه الآتي. يشغل الابن الأكبر مكان ربّ لعائلة، وهو الذي كان ينال التّصيب الأكبر من التركة فله حؤول منزل العائلة ومعبد الأسلاف أمّا باقي الأرزاق فقد كان يوزّع على الأبناء الآخرين بالتساوي. وهكذا كانت العائلة الكبيرة تتداعى، ولكن تداعيتها لم يكن كلياً. فمعبد الأسلاف بقي واحداً لجميعهم، وكان هذا، يميّز لدى الأخ الأكبر. وهو الذي كان يوحد العائلة في كل واحد. ومع أن بنه العائلة بجزّات، إلا أن فروعها بقيت متمسكة وحدها بالآخر. وغالب ما كانت هذه العشيرة العائلة الكبيرة تسمى قريه بكاملها. ومن الملائم أن نؤكد مرّة أخرى على أن بناء مثل هذه العائلات الكبيرة أراسخة العميقة عادة. بات ممكناً بحصص بناء القاعدة الاخلاقيّة الضرورية لشيئونها. احترام الأسلاف، واحترام الأكبر سناً، واحترام الوالدين، والشّطيّ بشي لفصائل والإحساس بالواجب

لقد كانت البطون العائليّة تقرر كثيراً من شؤونها الإداريّة والتشريعيّة نفسها وكان هذا صريحاً من صروب الإدارة العائليّة- القروية فقد اتّحد أعضاء البطون العائليّة كلهم في تعاونيه واحدة. وكان ثمة دور شك من هم أعلى ومن هم أدنى. لكن كلهم كان يعمل بسخي تكون أحوال العشيرة العائليّة التي ينتمي إليها أفضل، فمصالح الجماعة، لعشيرة أولاً، ومصالح افراد ثانياً. وكان معبد الأسلاف هو المركز لروحي والإداري للعشيرة العائليّة فلم يجتمعوا هنا للاحتفال بالأعياد المشتركة فقط، بل لمناقشة شؤون حياة الجماعة كلها أيضاً. ويمكن كل شيء يقرّر هنا في هذه المظاهرات. ولم يكن لأي فرد من افراد الجماعة حقّ «البيت» عندما كان يجري تقرير مصيره الشخصي من نظام التربية كان مسياً منذ ابدائه على أن يمتد إلى مدى من صغره على كور العاطفي والخاص أقل أهمية مما هو اجتماعي عام

لقد أعيد كونيوشيوس أنه لا يشتر شئاً ممعه، أو وفق اعتقاده، إنما هو ينقل للأحفاد التقاليد لنسبته التي كرّسها الحكماء الصلحاء العظام ولكن هذه الكلمات تحمل الحقيقة كما تحمل كذباً مقدساً، فكونيوشيوس قدم مساهمات شخصية كبيرة، وأعطى فهمه الخاص لتقدم المجتمع، لكنه أضاعه بتقاليد الأسلاف ولم تحسر تعاليمه شيئاً عندما نسبها كاملة إلى الحكماء القدماء، إنما ربحنا من هذا كثيراً وعلى وجه المموم لم يعمل كونيوشيوس سوى الحميصة، لأنه فعلاً لم يدخل في تعاليمه أي شيء غريب الجنس يمكن أن يتعارض مع تعاليم الصلحاء ولم يقتصر اهتمام كونيوشيوس وأبصاره على ليعيه بمصادر الحكمة، لقديمة المدونة، بل عملوا على أن تكون تلك المصادر بسيرة المهيم، وفي عملهم على هذه المصادر، همّ هؤلاء بتبسيط الصوء حاصلة على أحنه النظام الكونيوشيوسي لنساء المجتمع التي كانت كاملة هناك، ولم يكتف هؤلاء بإبرار تلك الإرهاضات، إنما عملوا على تطويرها أيضاً. فقد أكمل الكونيوشيوسيون مثلاً وحزروا حولية تشونسيو، وكتاب لروايات التاريخية شونسيو، وكتاب أعالي سيمسرين... وقد شككت هذه المصادر معين حكمة تهلّت منه أحيال كثيرة من الصينيين، وفي الوقت نفسه كانت لأجيال تحمّ أصول الكونيوشيوسية أنفسهم.

قد نشأ بطباع مما أوردناه هنا عن الصين، أن الكونيوشيوسية كانت الاتجاه الفلسفي الوحيد فيها إنان الحصة المصيبة، بيد أن الأمر ليس كذلك إنما الواقع هو أن الكونيوشيوسية كانت الفلسفة الغالبة في المجتمع الصيني وقتئذٍ والحقيقة أنها لم تكن فلسفة وحسب فهي القرون 5 أقدم، كانت تتطور إلى جانب الكونيوشيوسية، متافسة معها، أنظمتها فلسفية أخرى مختلفة ويذكر من هذه الفلسفات على وجه الخصوص، فلسفة اسابوبين الليجيين. فقد كن هؤلاء من أنصار القانون المكتوب، الذي رأوا أنه يجب تصيقه تحت التهديد بالعقاب لجسدي وحسب رأيهم أن النظام في المجتمع يجب أن يدغمه نظام طاعة يعتمد على العصا وقد وضع السيجون خطة مماثلة لإدارة المجتمع يصوغ الحكماء - المصلحون القوانين، فيصدرها الحاكم، ويجب أن يكون شئ جهاز من الموظفين يديره وزراء، مهمتهم تطبيق القوانين - الأوامر الصادرة وينبغي على السلطة التنفيذية أن تكون صارمة بما يكفي لتطبيق القوانين. ومن الواضح أن حطه الليجيين صحيحة من حيث الشكل، بل هي مطبقة الآن فعلاً ولكن ما يثير الصول، هو أن نظام الليجيين خلا تماماً من حضور السماء فيه، وهي حسب الصينيين المعيار المطلق للعدالة والمضيئه فلم يصر فيه سوى العقلانية التي بلغت إذا صحّ الصول، حد الاستهتار فما هي الميادين التي وقف فيها نظام الليجيين في مواجهة

الكوموشويسية؟ لقد حل نظام الليجيين حلولاً تاماً من الروح، روح الأخلاق السامية، الروح التي يعجز المجتمع عن تعيش بدونها، حينها كما خلا هذا النظام من تواصل الأزمنة، فليس ثمة صلة فيه بين الماضي، والحاضر، والمستقبل. لقد كانت روح المجتمع، ولأمة، ولسبب مهنة في نظام الليجيين، ولذلك لم تصب الليجية إلا نجاحاً محسوداً، وفي الأماكن التي كان يحكم فيها أمراء محبون، إذ كانت تبرز في سلوك يسلكونه أملاً أبلي والواجب فلم يكن الحديث عنهما ممكناً في النظام الليجي. فمهمة هؤلاء الأمراء كانت و حدة الحفاظ على استقلالهم وإحضار مزيد من الأملاك الخاصة لسلطانهم.

ومهما بدا الأمر غريباً، إلا أن النظام السلبي ما لبث أن طرح ثماراً يحايية فهي عربي، الصين أخذت إحدى لإمارات تقوى على حسب حبرها، وقد نحت إماره سين هذه في نهاية المطاف في الاستيلاء على أراضي الصين كلها في القرن اقوم. لقد نشر مؤسس السلالة سين إين حواسي، انحط الإداريه التي وصعها الليجيون. وحسب هذه لحظه كان ينبغي أن تمتد إرادات الإمبراطور دون أي تسوية. ومن حسب السلطه المركزيه حساباً لأي شيء، فسلبت الناس كل شيء لأنها كانت بحاجة شديدة إلى مورد لبث، سور الصين العظيم، وبناء مجمع القصور الملكي في العاصمة، وأشياء كثيرة أخرى. هذا حكمهم ومولموه لم يلقوا بالاً لكون الناس البسطاء باتوا لا يسكنون شروى بقبر. بد كانوا على عجلة من أمرهم لحمل الصين بكراً عظيماً بأي ض كان، وحمايتها من العالم الآخر كله سور حيار ولكن السهام بالغ كثيراً في شد الوتر فانكسرت القوس. فقد انجبر المجتمع بانتعاسة شعبية، أودت بالسلالة لسيمية، وانهارت معها الليجية أيضاً. فأعقبتها سلالة جديدة، هي لسلالة احييه. وبدأ أن الطريق حاليه أمام الكوموشويسية التي استقبلت بهدوء وسكينة على النظام الإداري - لبيروقراطي الحبار الذي كان قد تشكل. وفي عهد الإمبراطور الخاني أو دي صارت الكوموشويسية إلى إيديولوجيا رسميه للدولة ويمكن أن نقول بغير مبالغه، إن تلك كرس متعلفناً كبيراً في تاريخ الكوموشويسية والصين كلها.

ولكن النظام القسيمي الذي كان مدعواً لصمن استقرار المجتمع وتحقيق تقدمه، كان مدعواً في الوقت نفسه لكي ينتج شيئاً ما أكثر مما هو متوفر فيه، بيد أنه بقي حتى للعبة نظاماً فلسفياً وحسب لقد كان على النظام المنكف أن يدخل إليه قوانين صارمة يبنى أن يمد بغير تردد أو بسوية. وقد مجت الكوموشويسية في صميمها المنكفية أن ضمن استقرار المجتمع فعلاً، لكنّها في غضون ذلك فرصت على الحاكم تحصيل شروط

معيته؛ كان على الحاكم أن يتحلّى بالمصيلة السماوية السامية «دي» التي مرّ بنا لحديث عنها فقد كان ذلك شيئاً ما من هيبيل، التمييز الإلهي الذي تمنح السماء به حق إدارة لسداد، ولكي ياب الحاكم مثل هذا التفويض كان عليه أن يكون فاضلاً بالمعنى العربي للكلمة وعلى هذه الصورة لم تتحوّل الكونفوشيوسية إلى خدام للحاكم، بل نحتت في أن تحدّد له مكاناً في نظامها، وعلى الرغم من أن هذا النظام كان قد صار إلى نظام رسمي، حكومي، إلا أنه «قرّ للشعب حقه في الثورة على الحاكم» الذي قد يعقد حق التفويض استمائي، ويستمد من هذا أن الثورة كان يمكن أن تشب إذا ما شأت ظروف معينة، ويؤد على مثل هذه الحالة في اللغة الصينية بكلمة «غي-مين» وربما كانت هذه هي الحالة لوحيدة في تاريخ البشرية لسي سرور فيها النظام الحاكم في داخله لنما يمكن أن يتفجر في أي لحظة يحيد فيها لحاكم عن الحق، ويؤدي بالنظام كله و لحقيقته أنه من لأصوب ألا نستعمل هنا كلمة «بمجره»، بل بكلمة يصحّح، يقوم، لأن الحديث لا يجري عن الانتفاضة وحسب، إنما عن تغيير السلطة بالمعنى. لقد قضى هذا النظام بوجود حاكم هو أشبه بالوجه الآلي يصحّح خطأ سر المحتمل دائماً بما يتوافق والنظام، ولم يترك النظام أي فرصة لحدوث قمزات حادة يمكن أن يحرّج عن الحطّ العام، ولو حدثت فإنها لا يمكن أن تكون طويلاً.

ومن المسائل التي كانت لها أهمية استثنائية مسألة أعداد الكوادر العسكرية، العلماء - الموظفين، فالمهمات التي ألقب على عاتق هؤلاء كانت بحسب كبيرة جداً، لأن الأمر لم يقتصر على إدارة المال، إنما التعليم والتربية أيضاً ويحجب أن اعترف بأن الإداريين الكونفوشيوسيين قد أدوا هذه المهمات بنجاح كبير وهذا ما تركه النتائج فقد كان كل مواطن كونفوشيوسياً أولاً وقبل كل شيء، ثم بعد ذلك صينياً وفي طور ما من أطوار حياته يمكن يمكن للمواطن لصيني أن يعنى أي ديانة أو فلسفة أخرى، لكنه كان دائماً يسلك سلوكاً كونفوشيوسياً.

لقد كانت تربية المواطن تبدأ لحظة ولادته ففي العائلة كان الصيني يعمم عبدة الأسلاف ومعايير السباو. ويعتاد على الانتماء بالصّارم باللبقات، لا في العائلة فقط، إنما بين الناس كذلك. ومن كان من الوالدين يملك الإمكانيّة، كان معلّم أبنائه القراءة والكتابة. وكان الأطفال يدرسون أيضاً لمؤلفات الكونفوشيوسية الكلاسيكية وشاع كثير من موضوعات لتعاليم في صيغة مقولات شفهية لذلك كانت هذه المقولات في متناول لديد لا يعرفون القراءة والكتابة وقد تضمنت مغزى القانون العظيم فقد كانت تمتدّ أفق واسعة أمام الذين يتعمّون القراءة والكتابة. فالمواطن المتعلّم المثقّف مؤهل لأن يقرأ، ويفهم، ويؤوّل

الحكمة التي تطوي عليها الكتب المقدسة، كانت له مكانة عالية جداً في المجتمع لقد كان مثل هؤلاء هم حاملو المعارف، وبهم كان يرتبط التعليم في البلاد كما ترتبط إدارتها ولذلك كانت هذه الشريحة من المواطنين المؤهلين تشغل أعلى مكانة، المكانة التي لم يشعها في المجتمع الأوروبي سوى رجال من طبقة النبلاء. وتعد هذه السمة الحומרية، هي السمة الأكثر إيجابية التي يميز المجتمع الصيني بها

وحسب رؤيتنا المعاصرة كان التعليم في الصين أحادي الجانب، ركز على العلوم الإنسانية وحسب أما ما كان يتعلق بالعلوم الطبيعية، فقد عدّ علماً ليس يدي أهمية ولم يهره أحد اهتمام. وهذا ما ينبغي أن يتذكره أولئك الذين يرون أن كل فرد من أفراد المجتمع الصيني القديم الذي انتكر البارود، كان مستكراً وماهر في كل شيء ولكن هذا ليس صحيحاً أبداً. فالعلم لم تتضمن سوى مواد العلوم الإنسانية واقتصرت متعلقاته على معرفة النصوص القديمة، وتحليل مقولات الحكماء، ثم في نهاية المطاف كتابة المؤلفات وكان المطلوب أن تتوفر في هذه الأخيرة القدرة على عرض حكمة القدماء والتعليق عليها (وكان لهذا المطلق لأهمية خاصة) لقد شئت الصين المعارف يوماً فهي التي كانت تفتح الطريق نحو لأعلى، وتوفر فرصة للانتماء الوطني وأملالك السلطة والثروة. ولكن تعلم القراءة والكتابة في الصين لم يكن بالأمر اليسير. إذ كان ينمي أن تحفظ عنه آلاف من البرونزيات وبعد ذلك يمكنك أن تبدأ محاولة فكّ عهد النصوص القديمة. وهناك ذلك يستغرق سنوات وعيه لم يكن الفقراء قادرين على أن ينفقوا على تعليم أبنائهم ولكن المثان الموهوبين بمن فيهم الممرء علماً ما كانوا يحققون نجاحاً: كان عمل نبرشائماً جداً في الصين.

لقد كان نظام إعداد الموظفين المتخفّس في الصين نظاماً فعالاً إلى درجة كبيرة فقد كان التّقدم في درجات الخدمة بحري على قاعدة المساواة، وكان هذا تحري علنية أمام جميعهم ولذلك لم تكن المناصب المهمة في المجتمع تشغل من قبل أبناء الوجهاء والمنتخبين، بل كان يشغلها يوماً أشخاص مؤهلون وذوو كفاءات. فمير الأمم يمكن أن شمس اليوم أعلى المناصب، إذ ما كان موهوباً ونجح في تحصيل المستوى التعليمي المطلوب. أما المحسوبية فلا يمكن للحديث عنها. لقد كان التّقدم في المناصب الوظيفية من نصيب ذوي الكفاءات فقط، أما ما تبقى فقد كانوا يتساقطون أثناء الامتحانات. وكان يشارك في المستوى لأول من الامتحانات (وهو أدبي درجاتها سيوتسي)، خريجو المدارس وكان كل راغب يحضر إلى مركز الامتحان في درس القوانين نفسه خارج المدارس لقد كان كل راغب يحضر إلى مركز الامتحان في

ابوقت محدّد. وهنا كان هؤلاء يحضرون للامتحان ويتقدّمون إليه تحت مراقبة صارمة من قبل موظّفين حكوميين متخصصين. كما كانت الامتحانات نفسها تجري بطريقة متكررة لقد كان يوضع كل متقدم في حجرة خاصّة به، ويسقى فيها دون أيّ كتب أو موادّ أخرى، طول يومين أو ثلاثة أيّام يجب عليه أن يؤلّف خلالها مقبلة، ملحميّة عن حدث ما من أحداث التاريخ القديم، إضافة إلى بحث في موضوع محرّد. وكانت شروط الامتحان معدّة بطريقة لا تفرّز، بل المستوى الأدبي من الامتحانات أكثر من ٢-٢٢ من الممتحنين (وسمّي الدور الثاني تسريويحيين) وكانت أسئلة هذا الامتحان يصعبها تقريبا، لكن المتطلّبات كانت أكثر صعوبة بكثير ولذلك لم يكثر بحتاره سوى عند قليل جداً.

وفي كل عامين أو ثلاثة أعوام كانت تجري المسابقة الثالثة (تسزبنشي) في العاصمة. وكان سابع هذه الامتحانات كبار موظّفي الدولة، وأحيانا، لإمبراطور نفسه. فبها بالصّبط كان مصدر الكوادر الذين كانت تحتاحهم اسوة وكل من كان يجتاز الدور الثالث كان يبدأ خدمته في مناصب الدولة العليا. وهكذا تحقق له الارضاء الوطني. ويات الإجلال، والمجد، والشروة يتمناول ليد. ويكفّ هذا. ككله تحقّق بشرف، وليس بالمحمويّة بالخلاء لم يشغل في المجتمع إلا المكان الذي هو مؤهل له، المكان الذي أعدّ نفسه له سنوات، ويدل الجهد المضني لتحصيله والمجتمع نال بدوره أشخاصا مؤهلين حقاً لشغل مواقع المهمة فيه

كما قدّر المجتمع تقديرا عالياً أولئك الذين لم يتجاوزوا الدور الثاني من الامتحانات. فاستخدموا في اوظائف لحكوميّة الأدنى مرتبة، لكن أهمّيّتها كانت مكسرة. فكل مناصب مناصب الدولة كانت له أهمّيّته. وكان عمل كل موظف ظاهراً للعيان، وفي أيّ لحظة كان يمكن أن يحلّ بدلاً منه موظف آخر أكثر اجتهداً، وتاهلاً، وتجا. وفي دورهم الإداري المحلي، أدّى هؤلاء الموظفون دوراً بالغ الأهمّيّة، في الحسد، السياسي، كما في الحياة العمسيّة للبادرة. ونجدد الإشارة كذلك إلى أنّ الذي اجسار الدور الامتصاصي الأول كان له تقديره أيضاً فهو واحد من بين ثلاثين متقدماً تقريبا. ولذلك كان هذا بدوره بنال مكانته المناسب في جهاز إدارة الدولة (على مستوى أدنى، لكنّه شديد الأهمّيّة).

ويرى المؤرّحون (باستثناء المؤرّخين الماركسيين)، أنّ الصين لم تعرف الطبقات بصمتها. ولكن إذا دعونا كل المؤلّفين - المؤهلين طبعا، فإننا نستطيع أن نقول بثقة إنّ هذه الصيغة كانت الطبقة الأكثر تميّزاً، مع أنّه من المتعارف عليه أنّ تدعى بقوّة شيئي. وكانت هذه دوماً فئة معافاة، ومؤهّلة لسادة أعمالها. ولكنّها لم تستطع أن تقال أكاين العام، لأنّ ما

كان مطلوباً منها كان كثيراً جداً، وكل من هكس ميهو 'و تنوى كان سسبدل به آخر على قعدة المسابقات عينها ولصكن مبدأ الشفاهة لم يكس يسمح بالصعود إلى فوق قسطاً، إنما كان يرغم أولئك الذين وصلوا إلى فوق أن يعملوا بأقصى طاقة ممكنة، وأن يكونوا مثلاً للفضيلة، والعدل، والرقة. إن لم تكن فئة الموظفين فئة راعدة مائة لا حركة فيها، بل كانت فئة في حركة دائمة نحو الأعلى ونحو الأسفل. ولذلك كانت هذه المنة دائماً في حالة حركة وقد كان ذلك لصاح لمجتمع كله إذ كان يؤدي وظائفه فيه المواطنون الأكثر صلاة، وتأهيلاً، واستقامة.

وبين تاريخ مختلف البلدان وأعصور، أنه عندما تضعف السلطة المركزية يتنامى الفساد وينتشر بسرعة قيسية ويعمق الفساد دوره الأرمة ويزيدها تضاماً وليس ثمة سوى مخرج واحد من الدائرة المفرغة تقوية السلطة المركزية وهذا ما أظهره تدرج الصين أبصاً وعلينا أن نقر بأنقية الفصل للصينيين في حسم هذه المسألة. ففسي أرمة الملائل ولاضربايات كانت فئة المثقفين المؤهلين (شينشي) تضر دائماً عدداً كافياً من الشخصيات التي كانت تقف سداً مبعاً ضد الفساد الإداري. فلم يحسب هؤلاء أي حساب للمحاطر الشخصية التي كانت تحقيق بكل منهم، ويدلوا كل جهد ممكن لإعادة المجتمع إلى طريق الاستقامة وقد دعا المؤرخون الصينيون أولئك المواطنين الشجعان بالموظفين الشرفاء، والحمية أن الكونفوشيوسيين وقموا غير مرة يدافعون عن مصالح الشعب والسولة في زمنة القاهل. وهد ما رزع لهم سمعه طيبة في المجتمع. وعلى من يرغب في أن يفهم الثقافة، والادب، والموسيقا الصينية، أن يتدكر هذا دائماً فأنطال الروايات في الأدب لأوروبي هم الأرسقراطيون والنبلاء - الفرسان ورجال الدين، والملوك وصايط الممارث اشائنة وما إلى ذلك. في الأدب الصيني فيشغل البطل العالم - الموظف المكابة الأولى، فهو بالذات الذي كان يمثل مثل الاجتماعي الأعلى في الصين القديمة.

وللشك (اللباقات الخمسة) دور مهم جداً في الكونفوشيوسية. فقد كانت مراعاة كل اللباقات وبماصيل آداب السلوك، وضبط كل التصرفات، وترتيب بهدام، والحركات، والحدود والخروج والترين، مسألة وجبة وضرورية وقد عد الانترام بها معيار النعمة والوقار وعني عن العيب أن جبر من التزم بهذا كله هم حاملوه، عاروه العساء - الموظفون

وبعد في الختام إلى مسألتنا الرئيسية كيف كان موقف الكونفوشيوسية من الدين؟ لا شك أنه يصعب كثيراً أن نجيب عن هذا السؤال في سياق عذر فمن الوجهة الشككية كل

صفات لدين حاضرة هنا: الإله الأعلى، السماء، وفرصه في المصيلة، والعفة، و السمو الأخلاقي. وهو نفسه الذي تقررته اسبانات الأخرى، ولحسن بلعة مختلفه. أما عياب الصوفيه عند الصينيين، أو غلبها تقرباً، وعندهم أمة عفاة أحمدت بمعالقتها في سبيل اسلام الاجتماعي، وأنهم ليسوا لبوس اللباقات. ومشوا مشية واحدة، هبأن هذا كله ليس سوى خصوصيات هذا الشعب، سمات طريق التثمم التي اختاروها ويرى مؤرخو تاريخ لأديان أن الكونفوشيوسية ديانة، لكنّها ديانة وفق المعايير الصينية فمن قال إن العفة الملازمة للدين هي وجود أعداد لا عدّها من رجال الدين المتسلطين، المكتفين، المتحجرين في الزمان. وعدد كثير من المعابد والأديرة و... إن هذا كله بهس ضرورياً للدين أبدأ، وليس ضرورياً لأي حال من الأحوال للاتصال مع الإله. لقد أثبت الصينيون أن لا لزوم لرحبان الدين، والمعابد، والملقوس لكي يكون الشعب متديناً. إنما المهم هو أن تنمي مجتمعك على قوانين المصيلة، والعدل، والاستقامة، والنصحية في سبيل القرب، والإله، وأسماء.

الباب السادس

الدَّأُوسِيَّة

لقد كانت الكونفوشيوسية هي الديانة الرئيسية. لنظام الاجتماعي الأساس في الصين. بيد أنها لم تكن انظام الوحيد فيها، فمعاليم كونفوشيوس لم تنطرق إلى الأسئلة التي أقلقّت الإنسان على مرّ العصور في كل مكان من لدنيا؛ هل لروح خالدة، وهل نعمة حياة أخرى، وما الذي يحدث للإنسان بعد الموت .. وكان كونفوشيوس قد قال في هذا الصدد «نحن لا نعرف كنهه الحياة، فأنتى بنا أن نعرف كنه الموت»

ومع ذلك كانت شائعة في أوساط لشعب دوماً تصوّرات محدّدة عن الأرواح، وإحياء الأحرى. بيد أن عقلانية اصينية أوقفت منذ مثل هذه لرؤى، فلم تتحوّل إلى رؤى رشيّة في المجتمع. وبعدُ الفيلسوف لاو-تسي أيّ الدّأوسية. وكان هذا معاصرُ لكونفوشيوس. وعلى امتداد تاريخ الصين كنه، حتى يومنا هذا، كانت الدّأوسية تتصوّر في موازاة الكونفوشيوسية ولكن هذه الأخيرة كانت دائماً تشغل المكانة الأولى في الدولة أمّا الدّأوسية فلم نسح إلى هذا في أيّ يوم من الأيام ومع ذلك أثبتت أنها قادرة أن تستمرّ على قيد الحياة

لقد كان للشعالييم الفلسفية - الدينية الدّأوسية تأثير كبير جداً على الثقافة الصينية كنها، ثمّ تجاوزت حدود الصين إلى ثقافة بلدان آسيا الأخرى فسام، وكوريا، واليابان.

فمدرسة إيريس اليابانية مثلاً تكوَّنت من مركَّب تعاليم الأساوسيين والشاماليم البوذية الائمة من هند وتقوم أفكار الداوسية في أساس القنون القتالية المعروفة في الشرق الأقصى، مثل لكونفو، والتيمسري - شيواو و وعلى هذه الأفكار نفسها تأسست أفكار مدَّ آمد العمر، مل قدم عليها أيضاً الطلُّ القلبيدي الصيني عى وجه العموم وترتبط الداوسية بكثير من العلوم الناطقة علم التَّحيم، والسِّمياء، وعلم الفراسة، والسُّحر.

وعر صت امس معالم الداوسية في كتاب لاوتسزي «كتاب الطريق والعبطة» (داو دي تسزين) ويشمل هذا الكتاب في الداوسية لمكتب بمصها التي يشغلها كتاب العهد الحدي في المسيحية والصرا في الإسلام.

لقد عاش لاوتسزي وأبدع في القرن اقم وقد كان ذلك لعصر عصر مميراً في تاريخ البشرية ففي العام الذي ترك فيه لاوتسزي الصين وتوجَّه غرباً نحو الهند، ولد بود وفي هذا الوقت نفسه كان فيثاغورس يبدع في دول امس الإغريقية في إصاليا وقبل ذلك بمليل ظهرت أيد عات رزاشت اعظيم، في المكان الذي تقاطعت فيه دروب حضارات الصين، والهند والبحر المتوسط. وفي العصر نفسه شاعت مواعد أنساء السراء، وحكمة حكماء الكلدانيين. وبعد قليل ظهرت إبداعات سقراط في الغرب، وموتسري في الشرق وقد بشر هذا الأخير بنحب الكلي الشامل الذي دحس الديانات والتعاليم الحقَّ كلها ضف إلى هؤلاء ضلهم كونموشوس معاصر لاوتسري. لقد كانت تلك لحظة ساصعة في تاريخ الحسن البشري، نعرص فيها هذا الأخير «لصدمة باميونارية» (= روحية) تلقاها من العقل لكوني (حسب قول ل. ن عوميواف) فهي وقت تريخي هصير خرجت إلى الوجود الأفكار الاساسية القادرة على جرَّ ابشرية وراعها وقد حدثت تلك الأفكار عملياً كل سير العملية التاريخية اللاحقة. وهامت في صلب مختلف السابات التي نشأت بعد ذلك.

ونحن لا نعرف عن مؤسَّس الداوسية إلا النذر اليسير. وكمة لاو - نسري تعني «الفيلسوف القديم» كما يمكن ترجمته بمعنى «الطفل لقديم». كلنا يعرف عن الأطلال الجديس الذين يدعونهم لذكائهم الشَّديد «المعاهرة». ويبدو أن لاو - تسري كان طفلاً من هذا النمط أمَّا اللُّب الحقيقي لهذا الفيلسوف فهو، «لي»، واسمه (زي) واستخدم إضافة إلى هذا اسماً مستعاراً، هو «هكويان».

وبمصر صور أن لاو - سمري ولد في حوالي العام ٦٠٤ اقم. وقد عاش والنداء في قرية كيكوكورين من دائرة لي في مقاطعة كوك التابعة لمملكة سو التي كانت تقع غير بعد عن موقع مدينه بكين لأن. وليس معروفاً عمل و لذي لاو-تسري فالرجل حمل لقب لي اتسناد

لأنه، واختار لقب ولده هاكويدين اسماً مستعاراً به ومع لا ريب فيه أن لاو-تسزي مال مسطاً حيداً من التسميم وهد ما يشهد عليه وقع وجوده موظفاً في جهر الدولة (كان ناظر المكتبة الحكومية-الأرشيف) وكتب لاو-تسري عن نفسه قائلاً: «كثير من الناس يملك ثروات، وأنا لا أملك شيئاً، كأنني أضعت كل شيء»، وقال أيضاً «أنا وزَّع الحسنات في خوف عظيم»، لقد كانت الوظيفة التي بشملها توفر له الموارد الضرورية للنش.

سكن لاو-تسري متروجاً، وكان ابنه سو يعمل في القوات المسلحة، وهي المهمة التي كان الوالد يرفضها على طول الخط.

وبعده ناظر المكتبة الإمبراطورية توقرت لـ لاو-تسري فرصة لا تقدر بشئ لنسب معرفه، فالكبة كانت أكبر معرن للكتب في الصين كلها. ويتضح من كتابه «كتاب الطريق ولعبة» أن لاو-تسري لم يكن راضياً عن الحكمة العملية لشعبه، لا سيما وقد توقرت له إمكانية دراستها بالكامل وفتح الخدمة لدى الإمبراطور عيني هذا الفيلسوف على أن أسس سياسة عمل قدر وكتاب هذه الحقيقة مصفوفة في تلك الأرملة أيضاً، بل في الأرملة كلها.

لقد ترك لاو-تسري لعمل الحكومي وهو في سنّ السُّخج وقد مرّر قراره هذا بعدم رضاه عن سير الشؤون الاجتماعية والسياسية. فاعتزل وحيداً في كهف-الأمرا الذي كان قريباً بالنسبة للصين. وعلى وجه العموم لم يكن لاو-تسري صديقاً في أشياء كثيرة. وفي معتزله كرّس لاو-تسري حياته للتأمل والتفكير وخلال السنوات التي صرّحها في الكهف فكر في أسس الدأوسية وصاغها في كتابه الذي أشرنا إليه أعلاه: «كتاب الطريق والعبطة» لقد كتب لاو-تسري في هذا الكتاب يقول: «عندما تتكلم الأعمال سجاح باهر، وينسب اكتسب اسم طيب حقيقة واقعة، فإن الاعتزال يعدو أفضل تصرف وهذا هو الدأو السماوي بعينه».

وفي آخر المطاف عزم لاو-تسري على أن يغادر الصين، ويترك بلاد الدراسة عبر الحدود العربية (إلى الهند). ويرى بعض المستشرقين في هذا رمزاً يدل على صدق كتاب لاو-تسري بالغريب.

وتزد أكثر المعلومات يقيناً عن لاو-تسري في كتاب «مذكرات داريجن»، الذي وضعه المؤرخ الصيني الأكبر صيم-تسيان (١٤٥-٨٦٠ ق.م) وجاء فيه: «يظن بعضهم أن لاو-تسري عاش ١٦٠ عاماً، ويضخّ آخرون أنه عاش ٢٠٠ عام، بفضل حياة لبر التي عاشها وفق لدو. وعن المظهر الخارجي لـ لاو-تسري كتب صيم-تسيان هكذا: «كان لاو-تسزي طويل القامة، وجهه

أسمر اللون، حاحياه حملان، أدناه طوليان، حبيبه هريص، أسناته متباعدة وجهيله، فمه
مرثع العنكل وشفته غليظتان وقبيحتان»

وتختلف تعاليم لاو-تسري (- الداوسية) اختلافاً مبدئياً عن تعاليم كونفوشيوس.
والواقع أنه كان ينبغي أن تحتلما، لأن كلا منهما عالج موضوعات مختلفة، ومبادئ مختلفة
موضوع تعاليم كونفوشيوس، هو الآلام الدنيوية أما الموضوع الأساس عند لاو-تسري، فهو
أمعاء الروح المشرقة وبينما توجهت تعاليم كونفوشيوس نحو جعل حياة الجماعة، حياة
المجتمع أفضل، فإن تعاليم لاو-تسري كعب تعاليم سقراط، قلبت بمعاكساتها الدائمة
المدلول الابدئي المليم، وهزت ثوابت التفكير المعتاد المتبدل. لقد سعى لاو-تسري إلى حرج
التفكير لبشري خارج حدود المدلول المعتاد، وفتح المدى الكوني أمامه. ولذلك لا ينبغي أن
نعاكس هذا بذاك، إنما علينا أن نبي أن كلا منهما يكمل الآخر

ومع ذلك فإنه لا صير من أن نتوقف قليلاً عند معاكسه لاو تسري وكونفوشيوس؛
لأن معاصرهما فعلو هذا منذ آلاف السنين، بل لأن هذه الوقفة تقدم لك فرصة لفهم جوهر
تعاليم لاو-تسري فهما أفضل

ثمه فضة مثل في الكتاب الصيني القديم «ربيع لسيّد ليوي وخريفه»، تقول «فقد
أحد سكان ممبكة تسزين قومه، لكنه لم يبحث عنها، وغال سلوكه هذا هكذا» امرء
من تسزين أضاع وامرء من تسزين وجد . فما الفرق؟

وإذا سمع كونفوشيوس هذا قال «فقط يجب حذف كلمة «من تسزين»؛ وعندئذ
يستقيم الأمر» ولكن عندما سمع لاو-تسري هذا عنه قال: «يجب أن تحذف أيضاً كلمة
امرء، وعندئذ يستقيم الأمر» «يبقى كونفوشيوس دائماً على مستوى البشري العام، فهذا
بأنسبة إليه هو المستوى الأعلى الممكن، حيث حتى أكثر مفاهيم الجين تجريباً وسمواً
تعكس بهيروغليف رمزه المفاحي الإنسان» (كلمة جين معناه الرحمة) ولكن لاو-تسري
يذهب في المسألة إلى الأعماق، فيرتفع، إلى المستوى الذي تجاوز الإنسان نحو
الكوني وفي هذه الحال فإن كل شيء نسبي من الوجهة العملية، فيندغم الاكتساب بالمقدان.
ولذلك قال لاو-تسري: «أيتها ليلته عليك تستقر السعادة أيتها السعادة أنت تقص على أسية».

وهذا ينقل إلينا مختلف المصادر الصينية القديمة معلومات عن لقاء حري بين
كونفوشيوس و لاو-تسري هيروي لنا غي هون مثلاً أن كونفوشيوس أحس بالخزي وكان
مشتباً بعد لقائه مع لاو-تسري، لأنه قابل فكراً على مستوى «على (ويجب أن تأخذ بالحسبان
أن غي هون كان داوسياً)

ولكن كونيوشوس اعترف لأحد تلامذته قائلاً: «لقد أدركت أن فكره كالطير يحلق في الأعالي. فصنعت من بلاغتي سهماً لأرمي الطير به، ولكني لم أدركه، فضاعت بذلك مجده. إن فكره كالآيل تماماً، كأنه الوعل في الأدغال. فأرسلت بلاغتي كلاب مطاردة لتطارده الأيل و الوعل، لكنها فشلت في إدراكه، ولم تصب سوى المرح إن فكره كالسمكة في بحر عميق. فصنعت من بلاغتي سمكة لأصمده هذه السمكة، لكني لم أصطد شيئاً، وتداخلت الصنارة في بعضها فهدأ. إنني لا أستطيع مطاردة تنين يحلق وراء النجم ويتجول في السماء الأعظم. لقد أدركت أن لا تسري هو كهذا التين! فقشرت فمي دهشة، ولم أستطع إطباق شفتي، وفجأة سقط لساني، وتعكرت روحي. ولم أعرف أين بمكت...»

أما في كتاب صميم تسيان «منكرات تاريخية»، فقد جاء عن اللقاء ما يلي: «عندما مر كونيوشوس في سبو، زار لاوتسزي لكي يسمع رأيه بمسألة الملوكوس. فقل لاوتسزي له. لاحظ أن الدين علموا الشئ قد ماتوا وبلت عظامهم، لكن كلهم لا يزال على قيد الحياة حتى الآن. فعندما تساعد الظروف الحكيم، فإنه سيركب مركبة، أما عندما يعاكسه فإنه سيمشي على قدميه حاملاً أفعاله على رأسه ممسكاً أطرافها بيديه. وقد سمعت أن التاجر الخبير يحمي بضاعته كأنه لا يتوفر على شيء منها. والأمر عينه تماماً، عندما يتجلى الحكيم بأخلاق سامية، فإن حارجه لا يوحى بذلك أرم حكمتك ومعها كس ضرب من ضروب الأهواء؛ وأبق عى حبك لكل ما هو جميل مع ميل نحو الحساسية المرفهة، لأنه لا تقع من هذا كله بالنسبة إليك. وهذا ما أقوله لك، وأكثر من هذا لن أقول»

وبعد اللقاء قال كونيوشوس لتلميذه حسب ما ورد عند تشحو تسزي: «... في إدراك الطريق كنت كاللودة داخل إريق مليء بالخيل. لو لم يرع المعلم العلماء لك أدركت الوحدة العظمى للسماء والأرض. ونسي من النار أن تشحو تسزي قد كثف الألوان كثير، لأن كونيوشوس لا يسمح مثل هذا اللون ومع ذلك فإن الصورة التي رسمت لكل من الميلسوهين في هذا اللقاء، هي واحدة تقريباً في كل مصدر: يستوي لاوتسزي الجبل بيباض الشئب، على لقمه، وأمامه يصعب كونيوشوس الأكثر شدة. وليس هذا مجرد عُمُر، أو مشهد من مشاهد الحياة اليومية، إنما هذا رمز سيّد أكبر، وسيّد أصغر وضيع. وكان على هذا الرمز أن يعكس هرم القيم المسمية

لقد كان كونيوشوس يعمل للمجتمع، أما لاوتسزي فقد وصف هذا المجتمع بأنه جمع من «البقر المقدس» ورأى الدولة والرحمة من زاوية مغيرة تماماً

إنَّ أَسْ أَسْ حسب لاو-تسزي، هو الروح، الأم الأولى لوجود فلاو-تسزي يتحوَّل في رحاب خارجيَّة ووجوده كله ساح نحو ما هو غير معتاد وقد تأمَّل في الموت عبر صلته التي لا تنفصم عراها مع الحياة ووضع القدم فوق كل وجود وبينما يسعى كونيوسنيوس إلى تعبير حياة المجتمع نحو الأحسن، في تعاليمه، فإنَّ لاو-تسزي كان بعيداً تماماً عن إبقاء أيِّ مواضع، فلم يكن عنده سوى ثلاثة تلاميذ، ولكنَّ وُحداً منهم فقط كان عالماً وُحداً من معلِّمه المعرفة التي تتجاوز الشُّعور وقد قامت هذه المعرفة في أنَّ الإنسان كان قادراً على أن يرى ويسمع كل ما في هذا العالم «بغير عيون وأذنين»، وأنَّه «غرق روحياً في اللاشيء» ونحن كما قد بينا في كتابنا «الإله، والروح، والخلود» إنَّه تحدث في أثناء ذلك مراجعته مباشرة للمعلومات عبر مصادرها مع حمل الإعلام الكوني. فتعاليم لاو-تسزي لم تكن معدة للخبث فقط، بل للجنة النخبة، أي لأوتلك الذين كانوا مؤهلين لإدراك الغبطة واكتساب نماذج البصيرة، ولتويع الحكمة الأبدية، وليس الشُّيُوَّة

إنَّ لاو-تسزي يرى الأشياء بمقاييس مضاعفة وهو يرى أنَّه لا يرى ما على الأرض سوى الظلال، أمَّا الموضوعات نفسها فنحن لا نراها ونشير في السياق إلى أنَّ مقارنات حلل مفهوم الظلَّ في السياق نفسه فقد عدَّ أنَّه يمكن مقارنة الإنسان بأجالس في كهف قرب نار حيث لا يستطيع أن يرى سوى صلال لمارَّة فقط وليس هذا في واقع الأمر سوى تقليص لأبعاد المحسوس الثلاثة إلى بعدين. وعلى هذا التوالى نُهم لاو-تسزي كونيوسنيوس بأنَّه يحاول أن يحكمكم على الحذاء عندما لا يرى أمامه سوى أثره على الأرض

فتعاليم لاو-تسزي (الد وسية)، هي تعاليم فلسفيَّة عميقة تلائم جوهر العقيدة، وبناء العالم، ويمكن الإنسان فيه لشد رأي هذا الفيلسوف في العالم المحيط به وحدة لا تتحرَّأ، تسير وفق قوانين ثابتة وكن على يقين بأنَّ كل ما في هذا الكون لوحد العظيم مترايب، بعضه مع بعض ومتماثل بعضه مع بعض. وعلى التوالى نفسه جاء بناء المعمورة، والدولة، وحسم الإنساني فجوهر الأشياء كلها واحد، لأنَّ قوانين الكون قطعيَّة، مائة في أيِّ نقطة منه وعليه فليس شئاً أهميَّة للزمان، أو مكان معيَّن في المكان الكوني. وبذلك يجب على البراءة الحكيم الذي أدرك هذه القوانين لو إيراكاً حزناً، أن يسلك سلوكاً متماثلاً في كل مكان وزمان. ولهذا السبب فإنَّ تعاليم الحكيم لاو-تسزي لا تشجع، إنَّما معاصرة. بل تقديمية أبداً واحكمكم بأنفسكم: منذ القرنين وخمس مائة عام خلت أدرك لاو-تسزي أنَّ تراكم البشر في المدن عمل مهلك بالنسبة للجسم البشري وراى أنَّه يجب تقسيم التجمُّعات لبشرية أبهولة (المدن) إلى حايا صغيرة، ويجب ألا تستعمل في أماكن سكنى الناس أي حيل

تتنبه هالإنسان لا يمكن أن يعيش سعيداً إلا في شروط طبيعية بكرة نقيه، إذ في مثل هذه الشروط فقط يمكن أن تعبر حياته منسجمة مع الطبيعة، وعندئذ سيعود طعام الإنسان طويلاً، وحياته هادئة، وملابسه بدية بحق وتظهر أخلاق أساس وعاداتهم من الكره والنف وبعيون سعداء مشرقين كما في لزمس لقديم ولن يكون للأسلحة دور في مثل هذه لقرى سوى إبعاد انغواية لاستعمالها ونحن لن نقول إلى أي حد يبدو هذا واقعياً باساسة لمجتمع المعاصر، فالإحابة واضحة وما يبعث في النفس الأسى أنه إذا ما عبرت البشرية إلى حضرة حديد، شوافق قوسها مع قوانين الطبيعة، فإن ذلك لن يكون إلا عصر هزات وسكوارث عالية عميقة وبعضها واقف لأن على عتبة الساب تهدم طبقة الأوزون، والموز المناهي لمكتسب (اليدر)

لقد أدرك لاوتسري أن ارتقاء الجنس البشري لن يعصى إلى تصدّم حميمي، بل على الصّد من ذلك، سيدفع الإنسان بعيداً عن التّواؤم مع الطبيعة وقد عرف أن فرع التطور هذا، فرع مسدود أمام تقدّم البشريّة فنحن ملأنا الفخّر إذ شطربنا أدرة وأوعنا عميقاً في علم الوراثة، لكننا نقف الآن حائرين لا نعرف كيف نتحو من اكتشافاتنا. وكان لاوتسري قد رأى أن لافق مسدود أمام مثل هذا لارتقاء ودعا إلى العيش في معشر مغلقة، لأنّ انقشام يقتلع الإنسان من لجته ويقتف به بي دوامة لزمن اسي تملبه السعادة الحقيقية بل السلاح الذي صنعه الإنسان لا يحمل سوى الموت والمعاناة وهذا بدوره يحمل الإنسان بلا روح فتقدنو بحاحانه في نتيجة الحساب وهماً شبه يهبط وفي حالة العداة اتي أحطنا وجودنا فيها هذه. نحن عاجزون عن تربيته طفالنا بروح حب لمريب، أي عاجزون عن جعلهم سعداء وإد نقبل في الحروب الكبيرة والصغيرة أعداداً كبيرة من الناس لأبرياء، فإنّ نمحز عن اكتسب السكينة لروحية. كم تقتل المدن الكبرى مواطنينا وهم أحياء، إذ نعمل منهم مدمني مخدرات، ومدمني كحول، ولصوص نحن نشتر «بالخير بالقيضات»، وبتناسى أن هد. مجرد هراء نذرع أنفسنا به وفي هذا لخداع تجري حياة أجيال بكاملها «فمر جل كنور الأرض تهدم حساب، ومن أحل درر البحار بمكر صفوها، ومن أجل نزاع وثرثرة نولك أحسادنا، أما السلوك المستقيم فإنه يقوم في ن ولا يكون الحكيم طمّعا كلما أعطى الآخرين أكثر، كلما نال أكثر، وكلما بدل للآخرين أكثر، كلما اكتسب أكثر» (لاوتسري «داو دي تسرين» «مكتب الطريق والمطة»)

دب فيما تقوم طريق الإنسان القويمة؟ إنها الطريق ابقانور، الداو دعاها كوفوشيويس بالطريق ابدئي، البده: فيما دعاها بان ميون بانكوبه. وليس الداو وحيداً

واحد في الكون اللا متناهي وحسب، وبما هو أوحده في نوعه كذلك. وبدأ بالداو «انتشار» لعالم. أي ارتقاؤه في الزمان والمكان فحسب لاو - تسزي إن الداو أحدث في بدء الزمان، لحدود في الفراغ، وبورها حدود الفراغ أحدثت الزمان والمكان. ثم أحدث الزمن والمكان التأثير البدئي (يوان تسى)، الذي انقسم فيما بعد إلى مبادئ كونيتين اثنتين (عنصرين) لين وبان وأحب هذان العنصران «سُماء» والأرض، والإنسان. ويعتقد أنجب هذا الثالوث حشد الأشباه، والكائنات، والظواهر. وقد قال لاو - تسزي «واحد أحب اثنين، واثنان أحب ثلاثة، والثلاثة أنجبوا عشرة آلاف شيء» ويرى لاو - تسزي إن وجود الداو سابق على وجود الرب الأعلى، إنه «يعيش منذ الأزل، ولا عنه لوجوده».

لقد هنا في كتاب «الإله، والروح، والخود»، أن مبدأ كل شيء في الكون، هو الحقل الإعلامي البيولوجي، ففيه تكمن خطة بناء الكون وتطويرة وكان لاو - تسزي قد رأى أيضاً أنه في البدء عندما لم يكن شيء مكس ولا زمان بعد، كان هناك الداو اللا متناهي وحده. وقد كان ذلك هراعاً خالياً من كل شكل، ونحن نستطيع أن نمول، إن الداو هو هذا الحقل الإعلامي عيه، الذي يحترق الكون كله ويخلق لوجود من عدم. وينقسم البناء الكوني في الفلسفة الداوسية إلى خمسة أصوار في الطور الأول أُصْلِب الخطة التي صُكَّنها فكانت رابعة «على تحوم لعدم والأشكال» ويدعى الطور الأول طور «الانقلاب العظيم»، لحظة الدفاع الأول الذي تلاه طور «البداية العظمى» ففي تلك اللحظة ظهرت سحابة التأثير الكوني لمتناقلة تمام التمثل (سحابة برات تسى) وتتوافق تصورات لاو - تسزي هذه تمام التوافق مع تصورات هيزياء الكون المعاصرة عن ارتقاء الكون بعد الانفجار الأكبر وجاء في «مذكرات عن أجيال الأرباب والملوك»، أن «العندة العظمى تبدأ عند أول ظهور التسي البدئي»، وفي «لكاوس» (الخراب الكوني) المتماثل الظاهر لتوه، تتحرك مع الداو آلاف مؤلفة من لأشياء والكائنات المندمجة في شكل واحد،

وتحري في الأطوار الأخرى التالية عملية تشكيل الكون. ولكن كل شيء يجري فيها وفق الخطة المرسدة في الحقل الإعلامي للداو هيبدأ بكون يتجسم رويد رويد، خارجاً من الكاوس فيكتسب أشكاله ومكانه، ووطنه. ويتلقى التأثير الكوني في نشاء ذلك نوعاً متبايناً. ويقع في هذا الطور انشطار الموجب والسالب والإيجابي والسلبي، والخير والشر. وعن هذا كتب فيلسوف معاصر يقول: «كما العمليات التي تجري في حوص مائي معكر، حيث يترسب ويتباعد شيئاً شيئاً الماء والطين المتخالطان في كتلة مدمثة واحدة، كذلك عمليات بشوء الكون ترفع إلى مجالات الكون العليا شكل نوراني، ودقيق،

وتنقي، وترسب إلى تحت كل هاتم، وثقيل، وفض، وقدر. فتولد السماء والأرض، ومع ظهورهما يتشطر الأثير الكوني كله إلى اثنين مكتسب علاقة مختلفة الإيجابي والسلبي، ولبور وظلام، وذاكر والمؤنث، ولبين والصلب، وما إلى ذلك وينبغي ألا نظن أن هذا العدد، هو مجرد تقسيم ذهني وثمره إنشاءات فكرية تحريرية، أو رمزية حدائية في «إين ومان» ليس مجرد تناقص، تدفق الأثير النوراني و لقاتم عرقنوات الحسم الإنساني وتحالطا بمعابر مختلفة فخلقاً لرجل والمرأة؛ وفي مختلف فصول السنة، وفي لحظات شتى من حركة النظام الكوني الدائبة، ساد الأثير في الكون باتجاهات مختلفة، إن ظهور الكوسموس (=النظام الكوني) يعنى «شيء» الدأو، تحسيمه وهكذا صهر الحسم الأعظم للكون، الذي ينبض في داخله بعضاً متواصلاً، متممداً أحياناً، ومنكمشاً أحياناً أخرى، نوعان من الأثير إين ومان. ولذلك لم يعد الدأو خصّة، إمكانيّة كامنة، إنما تحول إلى واقع محسّم. إن الدأو هو القانون الكوني لقد عدّ لاو - تسزي إنه ليس ثمة مكان في الكون لا وجود للدأو فيه ونحن نضيف أن هذا ممكن بفصل البناء المتماثل للكون أمّا عن حقل الإعلام (الدأو)، فقد كتب لاو - تسزي يقول «وأنت تظهر إليه لا تلحظه، وأنت تستمع إليه لا تسمعه، وتلمسه فلا تحسّ به» ولذلك فإننا لا نرتاب في وجود الحقل الإعلامي، أي العقل الكوني. وعنه كتب سيما تصين يقول: «يجري الينبوع العظيم للدرج من السماء والسماء لا تتغير، وكذلك الدرب لا يسير يصباً، وعن هذا نفسه كتب أوغسطين المقبول يقول: «أفي مكان آخر يجري الينبوع الذي منه يتدفق إلينا الوجود والحياة؟ كلا، هات تصمعا يا رب!».

ويقول أو - تسزي: «إن الدأو هو الذي بمصله يجري التوجّه إلى الجذر، والعودة إلى البداية» وكتب ليميلسوف حان فيه - تسزي يقول «بتفرس الحكيم في فراغاته المكشوفة ويستخدم دورانه الدائري فسدما يدور الدأو مع العالم فإنه يصنع حيوات طويلة الأمد، ويؤرّر التحاحات لمديدة» لقد ماثلوا أسواراً بالشمس، التي عدّها الدأو سيون بمثابة مركز كوني يسبحه الدأو ويقل بجمه إلى العالم الأرضي وتحت تأثير هذا: تبص تحدث على الأرض السبلات، ويظهر المصول.

وحسب أساوسية، إن انشطار النور والظلام، و «الإين واليان»، والموجب والسالب كان أمراً ضرورياً لكي تتحقق لحركته («إين أحياناً، ومان أحياناً أخرى») وبعد حين ظهرت مسألة بلوغ الكمال ولتحقيق الكمال ظهر الإنسان في العالم ولذلك فهو «يمتلك مشاعر اللا مرئي، واللا مسموع، وما لا يقاس، وما لا يلمس».

فكيف يؤدي الإنسان مهمته إذن؟ وكيف يتلقى المعلومات من حقل الإعلام الداوي؟
 لقد جاء في كتاب القديم «غوان - تسري»: في السماء، الداو في الشمس وفي الإنسان هو
 في القلب. وتساءل هيلسوف القرن ٢٠م ميون - تسزي قائلاً «بأي صورة يعي الناس الداو؟»
 ويحيب «بمسعدة القلب». ويقول سون - تسري في مكان آخر «لا يمكن بقلب ألا يعرف
 الداو». وعن هذا عنه ينحنت العلم الحديث، لكنه يحقق مؤكداً على أن صلة الإنسان
 للإعلام مع حقل الإعلام الكوني، أي مع العقل الكوني، تتحقق عبر اللاوعي، عبر لاوعي
 الإنسان. وحسب تعاليم الداو إن قلب الإنسان يجمع بين الحركة ولسكون، بين لامتلاء
 بالاحساس والتطهر ابتدائي منه حتى درجة «الخلو» التام. ولقب قادر على أن «يشطر» إلى
 ميدانين متناقضين، ونداو الخاصيات نفسها، وهو ثابت لا يتغير ويؤدي الداو في الفراغ محيطاً
 بالوجود كله والداو واحد وحيد، لكنه بلد الكثرة. فهي قصه للراهد تسو غو - تسري
 وصف لزيارة قام بها اسبحران الخلد ن خان شجوب - سي، وليوي دون - بين للزاهد لقد
 سأل اهيلسوف الداوسي عما يفعله في الحمال؟ فأجاب الداوسي قائلاً «إن العاية الوحيدة
 لإقامتي هنا، هي أن أربي الداو في ذاتي»

- فسأل الصيقلان: «وأين يقع هذا الداو؟»

- «الداو هالها»، وأشار تساو إلى السماء.

- «وأين السماء؟» سأله صيما مرة أخرى، فتأخر تساو إلى قلبه دون أن يحيب.

- فأبسم له شجولي وقال: «القلب هو السماء، والسماء هي الداو. لقد بصدت إلى

جوهر الأشياء،

ويستفاد من تعاليم الداوسيين، إن تواصل الإنسان مع الداو لا يجري عبر قوة الإرادة أو
 الإدراك الفكري، بل على الضد من هذا، إذ يحدث الاستعراق في عمق الوجود الآخر في
 لحظة الاعتناق من رؤية العالم اللادي في لحظة تجرد فلق الأهواء والتركيز على الواحد
 وهذا هو التأمل بعينه إن تحقيق تبدل المعلومات مع الداو بالعقل، أمر مستحيل؛ لأن عملية
 التبادل هذه لا تنتمي إلى التحررة الحسية. فهي قسر لبعادة طبيعية يعطيها نتائج عكسية
 وقد أسفر الاستشفاء، لروحي عن إمكانيات لا متناهية لإنشاء الناس. ووهو المعنى
 الحصري للكلمة، ثم بكن اللجوء إلى التأمل إرغامياً هنا؛ إذ كان الأمر المهم، هو أن تدفع
 عن الهموم والمحاوف الصعبة التي تصنيك، وتترك قاربك للأمواج وهذا هو في حقيقة الأمر
 جوهر التأمل. فأشكال التأمل شتى ولكنه في الأحوال كلها طريق التور الداخلي، وتوصل
 مع المنهم العظيم الذي يقسم خارج إمكانات أجهزة الحس البشري، أي خارج حدود العالم

المادي وغني عن البيان أن الداوسيين، هم فيهم لاو - تمزي قد مارسو تمرير الاستعراق في لتأمل هالتأمل لا يحرر من العالم المادي وحسب، بل في أثنائه تستغرق الأشكال، أي هولوغرامات الإنسان في أبعاد مغادرة، في حق الإعلام الحكومي. وفي القرن ٢٠م وصف الحر الداوسي لي - تمزي دامة تمسكه وبهايته على لشخص التالي.

ها قد مرت ثلاث سنوات منذ أن أقمت على خدمة منملي وصدقي، وقد طردت فيها من قلبي التفكير بالحق والباطل، وحرمت عني شمتي التحدث بالنافع والضار. وحيث فقط ستحقيت نظرة معلمي، وانصرفت خمس سنوات، فولدت في قلبي أفكار أخرى جديدة عن الحق والباطل، وبعثت أحدث بطريقه جديدة عن النافع والضار. وحيث فقط استحققت انضمام معلمي ثم انصرفت سبع سنوات، فأطلقت لقلبي حريته ولم أعد أفكر بالحق والباطل، وأطلقت شفتي الحرية ولم أعد أتحدث عن النافع والضار. وحيث فقط دعاني المعلم وأجلسني إلى جانبه على الحصر ومرت تسع سنوات. هنت مهما أكرهت قلبي على التمسك، ومهما أكرهت شفتي على الحديث، لم أعد أرى ما هو حق بالسنة لي وما هو باطل، ما هو نافع وما هو ضار؛ كما لم أر ما هو حق بالنسبة للآخر وما هو باطل، ما هو نافع له وما هو ضار؛ ولم أعد أرى أن المعلم هو مرشدي، وإن ذلك الشخص هو صديقي. لم أعد أفترق الداخلي عن الخارجي، وعندئذ بدا لي كأن أحاسيسي اندمجت في كل واحد. تمثلت الرؤية مع السمع، وسمع مع الشم، والشم مع الطعم. تمسكيري تراجع، وجمدي تحرر، واتحدت عظامي مع عضلاتي في كتلة واحدة. فقدت الإحساس بما يتركز حسدي عليه، وما تطؤه قدماي، وتمعاً للريح أخذت أتحرك شرقاً وغرباً ومتلي مثل ورقة شجر و هشة ناعمة، وأخيراً لم أعد أضي ما إذا كانت الريح هي التي أسرحنتني أم إذا أسرحبت الريح.

لقد كان الداوسيون هم يقيم من أن القلب البشري كان قد 'حس إحساساً مباشراً' بحركة الداو عند هجر لبشرية فعدتم أعلن الداو عن نفسه بصورة غير مباشرة، عبر رتل طويل من الأحداث، والظواهر، والآيات. لقد كان ذلك العصر من الزمن الماص مثلاً أعلى لتخير، والحكمة، والطبيعية. وقد قامت هذه الأخيرة في أن سلوك الإنسان سار وفق قانون الداو، بما يتوافق وقوانين الطبيعة، والجعل لكوني وهذا لا يمكن قوله عن سلوك الإنسان في العصور التالية، فما بالك بعصرنا نحن، إن فلاسفة الصين القدماء بحثوا عن «الزمن الذي كان الداو فيه في العالم» وقالوا عن لأزمة الرديئة «عندما حل زمن السدحار الداو (الدرب)» وليس المقصود هنا الداو نفسه بالتأكيد، إنما تأثيره على الإنسان. فالداو

نفسه، الدرب نفسه بالمعنى الصارم لهذا المفهوم، حاصر في كل مكان وفي كل زمان. إلا أننا لأن نحسنه دائماً. وكان فيلسوف معاصر قد قال في هذا الصدد «لقد بات من المأثر أكثر فأكثر أن يتمثل الإنسان قلبه في تياره، وتبعاً لهذا يغيب الخبر في العالم أقل فأقل، والظلمع تتصّب أكثر فأكثر»

وعلى هذه الصورة تعدّ تعاليم الداو، الحقيقة الأكثر باطنية والتي لا يمكن دراكها. ولكن بفلسفة الداو سيون وأوسهم لاو - تسري نفسه، يعالجون المسائل العملية في جوهر الداو، وتحديداً مسألة كيف يظهر اداو نفسه في العالم المرنّي وبكلمات أخرى كيف يُظهر المطلق نفسه في ظاهرات العالم المحيط بنا وتحلّي الداو هذا يعني باللغة الصينية دي وعلى هذه الصورة يحلّون الداو هو المعطى أولاً، والذي هو المعطى ثانياً ولكن الأول والثاني ينتهيان معاً إلى درجتين مختلفتين في مستويات تحلّي المطلق. وإذا ما سقنا مقارنة مع الفلسفة الإغريقية القديمة فإن لداو، هو اللوغوس، والذي، هو الإيدوس (- الصورة، المظهر الخارجي، م) وبالطبع فإن الذي كما اداو، ينتمي إلى العالم الروحي، لكن هذه الروحانيّة هبطت الآن إلى العالم المادي، إلى عالم الأشياء وإذا ما عبرنا بطريقة أكثر أرضية، فإننا نقول: إن الذي هي بدرجة معينة «شيء لنا» وكان شارحو تعاليم لاو - تسري القسمة قد وضعوا هذا المعنى عينه في مفهوم الذي ونحن يمكننا أن نقول تبعاً للمعنى الحقيقي لتعاليم لاو - تسري، عن دي هو معلومات وطاقة الخطّة الحكمة في حمل الإعلام الكوني، إنه تمدد الكون، «الحركة، الحتمية» للعالم، وفي الوقت نفسه، ليس الذي حالة مادية، إلا أنه الكامل الذي يمنح إمكانية لكل تحسّم مادي وما يدل على أن التحديث يجري في اداي عن الكون، عن إمكانية الحكمة هو كتابه كلمة دي في صورة هيروغليف هالبروغليف دي يعكس هذا المفهوم في صورة، يبدو فيها من غير المرسوم فرخ نبات ما، ومعنى هذا، إلى الذي رمز للماء، والأرضاء، والاتصال من حالة كيمون «الشيء» لداته. إلى حالة «الشيء» للعالم. وهذا هو رمز الحروج من الظلام إلى عالم المثلثات. ولو أتاحت الفرصة للهنود، تقدماء لتأوا، إلى لكلام يجري عن عالم المايا، عالم الأوهام.

ولمست فكرة أسماء هذه من سمات المدارس الفلسفية لصينية القديمة وحدها ففي واحد من أقدم الكتب الهندية، يدعى العالم اداي يعيش فيه «الزروع لعظيم». وكان لمسيح قد ردّد مراراً مثاله عن الزرع والحصاد، قائماً بذلك انتشار أفكار تعاليمه.

وكما شاعت في الديانات الهندية القديمة فكرة الروح الكوني، كذلك تحدثت

التعاليم الفلسفية الدينية الصينية القديمة عن البذرة الرُوحية الكونية

وإذا كانت روحانية الداو، هي اسنرة، فإن الدّي هي البينة التي ستمو عليها مع الوقت بدور جديدة فداو والدّي هما بمثابة شحنة انماء القبل وكمونه وقد جاء في «كتاب التحولات» القديم، أن أعظم دي السّماء و الأرض يدعى حياة. كما نرصد حضور هذه الفكرة في مقولات الداوسيين المتأخرة أيضاً

ولكن التشابه بين التعاليم الصينية والداو والتعاليم الهندية لا ستهي عند هذا الحدّ هجن نقف عند الداوسيين على ما يشبه الكارما ويحدث هؤلاء عن إمكانية سراكم طاقة الدّي وفي غضون ذلك يتمل الإنسان إلى مستوى نوعي جديد وقد جاء عن لصرق بين الدّي والكارما ما يلي: «إن نتائج الدّي تظهر أساساً هنا والآن، بهما ترتبط الكارما بنظرية السزوح الكوبي، ونتائجها لا تظهر في هذه الحياة عادة، بل في ولادات لاحقة».

ولأنّ آنا الآوان لكي نتحول لى المسألة الأهم، إلى مسألة لأكثر مبدئية في الديانات كلها، والنظم الفلسفية كلها وهي من أين يأتي المبدأ السلبى، من أي قوى الظلام في العالم الذي خلقه ويديره إله واحد أوحد. من الواضح أن الإله في الداوسية. هو الداو ويستفاد من دراسة تعاليم الداوسيين أن الداو يمكن أن يعلن عن نفسه في قوى النور وفي قوى الظلام التي تصدر من أصل واحد، هو الواحد العظيم وهي التسمية الأصح للإله. ويجب ألاّ يثير هذا استعجاب أحد. فهذه حاضرة في التوراة، وفي الإنجيل فلتذكر معاً موعظة الجبل التي قال المسيح فيها: «تشرق الشمس على الأبرار والأشرار على حدّ سواء». وحسب التوراة أنهم كانوا يصلحون الصرايين للإله الواحد، وإله الشر (جدي الخلاص) وهذه الفكرة التي نرصد حضورها في تعاليم الفيلسوف وديانات شتى القارات، هي فكرة عميقة جدّ وتو فق وبناء العالم. الموجب والسالب «يعملان» معاً، في الآن عينه. يكمل أحدهما الآخر وهما محرك تطوّر البشرية. والكون كله

ومن الواضح أنه من الصعب جدّ قبول هذا كله، إذ يبدو وكأنه تبرير للشر ولذلك يبدو أن أكثر المؤلفين لقد من أدغم طاقة الدّي كلها بقوى النور، بحركة لأشر لصرق بين ورأوا أن «الحياة هي حياة الدّي» (تشعوان - تسري) وقال لاو - تسري نفسه عن الداو، إنه مصدر الخير للوجود كله.

في ترجمته إلى اللغة الروسية حمل كتاب لاو - تسري العنوان «كتاب الطريق والعبطة». الطريق، هي الداو أمّا العبطة، فهي الدّي والمطلق هو الدّي يتمتع العبطة، الحسب لعالم وقد اعتقد القدماء أن بعض الأشعاص وخطصهم. وهراهم، وحتى دويهم تنال طافه اسّي الرّوحية احبّة ويخلق وجود الدّي داخل الإنسان فيه شتى الميراث لأخلاقية ولذلك يمكن القول إن الدّي هو الفضيلة

ولكن معاكسة الخير والشر هي حسب تعاليم لاو - تمسري أمر ليس له معنى، فكل من هذين المهومين يطورى على تمييزه، أي أن الحير يحمل في داخله جنين لشر وأسس مسيح وقد ورد في الإنجيل. ولا يمكن فصل الخير عن الشر، كما لا يمكن فصل النهار عن الليل، هاتمان يتكوّن من الإيجابي والسلبي، وبكس وجود الإيجابي من غير السلبي أمر غير ممكن، وفي تحليلنا «التقسيم العظيم»، أي علم الذي يعيش فيه، يحتوي العنصر البشري بأن عند حله الأمثل، على جريئة من العنصر المظلم أين؛ ويحتوي هذا الأخير لحظة بضوئه الأقصى على نواة يان. فالأشياء تبلغ حدّها ثم تنقلب إلى ضدها وإذا ما بات الجمال بمثابة الكل فإنه يمدد جاذبيته، ويبدو مبتدلاً، والحير الذي يقر جميعهم به ويرفع إلى منصة الشرف، يولد شرّاً مقابلاً.

وتترتب على هذا نتائج عملية بعيدة المدى فلا تحاول أن تثبت الحير على مصّة لشر، ولا تسعى من هورت إلى جمع الناس سعداء كلهم، لأن «حيوط المعاهد والناسي داخل الكبة، متداخل بعضها مع بعض، والفصل بينها ليس ممكناً» إن استئصال الشر مستحيل، لأنه يثقي طريقه بإهداب آخر، عبر عملية إنشاء الحير، ونحن لا نرى ضرورة لمبوق أي مثل لهذا، لأن نظرية البشرية كلها بمنزلة هذا المثل فتعاليم المسيح رائعة، ولكن عندما رهنا آباء الكنيسة إلى مصّة الشرف، كم من الآلام طهر، وكم من لسماء سال هناسم المسيح حذعوا، وقتلوا، ونهوا. وايتزو المؤمنين إيماناً صادقاً وهذا ما حصل للتعاليم الأخرى أيضاً. وقد قال لاو - تمسري: «كيفما يكون الساء، يكون الصدى، هتقدر ما يكوّن ساء الخير قوياً، بقدر ما تزداد ضراوة الشرّ ولذلك لا تقسم العالم إلى خير وشر، إلى صالح وطالح. لأن فرض الأحكام على الآخرين أمر معصوف بالعاطر «لا تدينوا كي لا تدينوا» (الإنجيل)، وهذا ما قاله لاو - تمسري أيضاً، ولعن بكلمات أخرى همد رأى أن الإنسان الحكيم يجب ألا يشارك في مثل هذا اللهو؛ يعطيم أحدهم وتحقير آخر. لأنه لهو خطر من حيث جوهره وحيّة الحكيم كامنة في داخله هو فهو يعلم بصمت، «من القلب إلى القلب». وقد كان المسيح حكيماً من هذا الطراز. فلم يدع إلى حروب مع الشر، إنما بطريقة عيشه، بوجوده نفسه جعل الناس أكثر إشرافاً، وأكثر طيبة ليس الحكيم المستغرق في تفكيره متسلطاً لا يفعل شيئاً. فالفكر يتصف بالناحية ولذلك فإن الحكيم الماكث في تمكير الماكث خارج الفعل يصنع الخير ولكنه يصنعه بطريقة أكثر فعالية من أولئك الذين يحاولون أن يغيروا العالم علانية، ويجعلون الناس سعداء بالمف «فمن القلب إلى القلب» تواصل بودا مع تلاميذه. ولحظة تحول بودا إلى الرهاسا ههمه تلميذه

صكاسانا معبر صكلام، وقبل الزهرة وانتسم ويعترضون أن تعاليم يودية جديدة قد ولدت في تلك اللحظة، هي تعاليم إيزيس (تشان).

لقد تحدثنا قبل قليل عن صلة الإنسان بالحقنل الإعلامي، الساو. ويقدر ما تكون أخلاق الشخص المعني سامية، بقدر ما تكون هذه الصلة أفضل لأن الرؤية الدخيلة لمل هذا الشخص ليست معكرو بانام الرغبات والأهواء وقلته صاف كمرآة المياه التي لا تهرها الرياح ولذلك فإن هذه المرآة تعكس كل شيء بدقة وصق ودون تحريم إن لمل هذا الإنسان السامي الأخلاق قدرة عى أن يملك ما لا يستطيع أحد امتلاكه وأن يدرك ما لا يدرك فليس يسه وبين حقنل الإعلام الكونى، الساو حجاب، إنه قادر على أن ينزل سلم الزمن إلى العالم ابثي حينما لم يكن الاسم الأرنى قد نطق به بعد والاسم لأرنى، هو اسم لطريق الأندى، اسم الإله أننا نتحدث دوماً عن المعنومات، ومن الضروري جداً لنعل هذه لأحية، امتلاك كلمة مفتاحية، اسماً ومن المعروف أن أسماء الآهة في الديانات كلها كانت أسماء سرية مصفونة عالميحيون يصلون فانل «ليقدس اسمك». ويقول الصوفيون، إن الإنسان إذ عرف الاسم يحظى بالسلطان حتى في المجال الخارق. أما الساو فبه يتلقى اسماً عندما يتحول من حالة لهدئية الأولى، حالة العدم ولحراب، إلى حالة الكوسموس (النظام) وانداء من تلك اللحظة ينقل إلى «التقسيم العظيم». ومن تلك اللحظة مات اسم الساو رأسخاً رسوخاً أندياً. وقد هال لاوتسزي: «الذي لم يكن له اسم، عدا سدا السموات ولأرض، ودكتما به اسماً صار أم الأشياء كلها» ثم يقول «انرصين أبدأ يبصر الحرير اصعب المثال»، أما «عد الأهواء، فلا يرى سوى المحدود المتاهي، ومعنى هذا أن ما يتلماه هذا الأخير من حصن الإعلام من المعرفة محدود جداً قلا تمت في مرة قلبه الكدرة سوى حصوط المكنون لمهوصكة ومعارفه مقصورة على ما هو موجود في الواقع الذي أخرج له الاسم إلى الحياة، أي عى أشياء العالم المحيط وظاهراته إن المعرفة السامية لا تمنع لأي مكان ولا تدرب إلا بالنولوح إلى عمق سر من الأسرار. فقد قال الملق على تعاليم لاوتسزي (القرن آق.م)، «شيخ من صفا النهر الأصمر». «إن عبده سر من الأسرار مفا، أنه شة سماء في السماء ولا يعطي المعرفة الحقيقية سوى التمد إلى خارج المحالات القصوى هالحكمات غير مؤهلة لنقل لتجربة اللاشعورية. أما هذه الأخيرة نصها، فهي لوسيلة الوحيدة لقربه جواهر الأشياء. وليست الكلمات والمصاهيم مؤهلة لنقل المعرمة لأن هذه الأخيرة خارج ما هو عقلي ولا يمكن للإنسان أن يأمل بأن يعي ما هو موجود، وما هو غير موجود، إلا د. بعد إلى السماء الشدية، إلى المحالات الخفية،

إن بلوغ السر من الأسرار يقتضي بذل جهد معين وعن هذا قيل: «لقد مات طريقك، واحتطت مع الرماد» وهي دعوة لتدمير الذات والخصوع إن الدأو كالكاء، بمعنى لكي يشمل أدنى مكان في هذا العالم ولكي يدغم الإنسان بالدأو، عليه أن يحذو حذوه وكن المسيح قد دعا، بن الخضوع أيضاً، إذ قال «من يريد منكم أن يرتفع عليه أن يصبر خادماً لكم».

وبحدث الاستعراق في أمداء الدأو عندما تتبدل حالة الوعي، وهو ما كتبنا عنه في كتاب «الإله والروح، والجلود»، والحدث يجري من حالة التأمل وسواها من إحالات النفسية «المختارة» الأخرى فهي مثل هذه لحالة يحدث الدخول إلى المجال الواقع خارج المجال الأقصى. ويرفع هذه الحالة شكل الساقصات التي يتميز الواقع بها. في غضون ذلك يتحول الإنسان إلى مصم أصمى وبكيفية معاصرة. ولا بأس بالقول، إنه ينقب إلى مستويات أعلى لذلك الإشعاع لسمعي التدقيق، الذي يراه الجوابون الخارقون، بمن فيهم الدأوسيون النصيبون واليوغيون الهنود. وكن تشون يان (عصر مين) شارح تعاليم لائوسزي قد وصف الاستعراق في التأمل، الذي بات كتاب لائوسزي رائد.

لقد قلب نضال المساواة نفسها، فبلا لا أشمر بالمسوة، ولا أحسن فكره اندثارها. والسياسة من الخارج لا يمكنها أن تتفد من الداخل، وبما أنها لا تصد، فلا حاجة لجذب أصلاً. لقد انتشرت تلقائياً، ولا تخرج إلى الخارج بل نبض صامته. وفي اللحظة التي استغرق فيها في سكوني، تدو هذه الأضواء عاجزة عن إسقاط روحى، أو إفلاق نفسي، أو تمزيق قلبي، أو تشييت سبي، أو بئذير بذوري. وما أن يتوقف الإسقاط، والإفلاق، والتمزيق، والتشييت. واستبذير، حتى ينبج نور طبيعتي. وعندما ولد النور في داخل مسكيتي، عنده فقط نمككت من أن أدرك ما وراء حدوده، وأتقن بقوانينه المكتوبة، وأنفذ إلى عمق لحنه، وأهبط من وعائه. فقط عندما تغوص إلى فاع لماعون، يمكن أن تدعو ذلك تحقيق لانسجام. وعندما يصل المرء إلى تلك الدرجة من تدريب الجسم بحيث يعدو هذا سادساً كالأرض لا يلتزحزح، حينئذ فقط يمكن القول، أنه جمع حييات غماره، ثم يصف مشن يان بعد ذلك عملية الاستعراق على مستويات جديدة ويقول، إنه في أثناء ذلك نولد في «لطمه بمادج مشرقة بالكاد يمكن تمييزها» ويظهر حساس مشوش يتبدل لدأو وسشاً رؤيه اويليد ائدي لا يرى. إن ما يحصل إد هو تحميم مادي لكيمات لائوسزي حين قال «أنا لا أدري أين من هو» ثم يفتني شعور «الأنا». وأخيراً يقع انزوان النام في الدأو.

لقد رأى الدأوسيون أن لرحمة وحدها القدرة على قطع سلسلة الشرّ اسلاً متناهية. ولا يمكن لأي شيء آخر أن يفعل هذا ونحن كنا قد أشرنا إلى أن كونوشويس عد الرحمة

أسمى صفات الرحل النبيل. وقال، إنَّ الرحمة هي «حمة الآخرين» إنَّه الاجتهاد في أن «لا يصنع للآخرين ما لا تريد لنفسك»

ويدرس الداوسيون رحمة السَّماء والأرض، ولو كُما مكانهم لقلنا، رحمة التوازن الطبيعية للمالْم المحبب لنا همد الصينيين أنْ لسماء هي الإله، وهي قلبه كما عدَّ لصييون القدماء الأرض حية أيضاً إنَّها شرايين السماء ومُحمت السماء والأرض إدراكاً وإرادة ولكن رحمة السَّماء والأرض (الإله) رحمة هريفة، تطلو فوق لكل، وبسببها نمبهما بأساوي لا على الإيمان وحده مع أنه الأعلى، إنما على أوجود كله، على العظيم والصنيل، لصاقاً حتى الشجر والعشب، وأزواحف، والحشرات كأنَّهما على ايجانب، لأحر للعبر والشُر، وبسبب كأنَّهما» وحسب لأنَّ أساو إلى جانب الصالحين دوماً، ففي بعض الأحيان تبدو رحمتها السامية لا إنسانية، سد أن هذا مجرد ظهر فقط. وهكذا ينبغي على الإنسان أن يكون، فدا ما أدرك أسمى درجات اكمال الروحي، نغدو رصيناً، بعيداً عن الأهواء، ويسمح للعائلة العليا أن تتحقق» ويجب على الإنسان أن يحاول أن يسلك مثل هذا السبوك كذلك. فالمسيح لم يرفض أحدٌ. وحاول أن يساعد كل من أسي إله وقال، لا تأتي الطبيب إلى المعافى، بل إلى المريض وداوى أرواح الناس. وداوسيون أيضاً يدعون الإتمسان إلى الاقضاء بالسَّماء والأرض في منح رحمتها أي يسعونه لكي يصير خالداً. ولكنهم يحتلمون هنا مع المسيح احتلافاً مبدئياً فهم يرون أنه ينبغي على المرء أن يكون رصيناً، بعيداً عن الأهواء في علاقته مع الأقارب (الصبيان والأنصار). فلا يجب عليه أن يرحم. بل أن يترك الفرصة للإله الأعلى كي يتجلى، كي يظهر الرحمة العليا وقد كتبت تشو بان عن هد ما يلي: «السَّماء والأرض عالسان عواً متاهياً ووسعتان اتساعاً متاهياً». وتوزع برحمتها وعطفها على الوجود كله، ويظهر هذا في أنَّهما تسان، وتريبان ويتكبران إلى حدِّ اكمال آلهاً مؤلفة من مخلوقاتهم، وفي هد تقوم رحمتها. إنَّ السَّماء والأرض نمويا الوجود كله، وكل ما هو موجود يحس برحمتها وبما أنَّها لا أشكال لها ولا آثار، فإنَّ هذه البركة ستمي إلى العبطة العليا، التي لا تشارك الرحمة العليا، التي ليست رحمة وهذه هي بالضبط الرحمة المتناهية؟ فبمصل «لا رحمتها» بقيت السَّماء والأرض موجودتين هذا الأمد الطويل كله.. إنَّ المرء الكامل الحكمة الذي يعمل على تحسين كماله، محاكياً السَّماء «لا رحمة»، لا يصر شيئاً سوى أنه يغير نفسه وحده، ولكن عندما يتحدثون عن «مائة عشيرة»، فإنَّ هذا ليس سوى جسد واحد، إله هو عيسه، وليس الآخرون إله قلب الملائكة. فكر الملك. قلب الشعب فتبطله بحول الجسد، وبسببها يحافظ على القانون وهذه هي الرحمة بعينها، فهي العسكون والاحتجاج، وعدم

طهار الراقية يحنو الكامل الحكمة جدو الرحمة العليا للسماء والأرض، هذه الرحمة لسي
«لا نراه» وهكذا يسعى لكمال نفسه».

تعدُّ مشكله الرحمة ممثلةً مبدئية في تبيان الاختلافات بين ديانات الشرق والغرب،
وبذلك نرى أنه من الضروري أن نعالجها بالتفصيل. ولقد مرَّ مرةً أخرى في تمثول بان «صكيف
بمكن للمرء الساعي إلى كمال نفسه ألا يحكي الأرض والسماء»^{١٩} والذي يطوّر نفسه
بمساعدة لمرآة، يكتسب جماله وعموضه ليست به حاحة لأن يطمع بالمجد، أو بالصريق.
فما أن يبلغ الخواء حدّه حتى تحدث حركة ما. وعندما يبدأ هذه الحركة تريق الجمال، يبدأ
إحساسك بمكنون ما يجري يتزايد وهذا ما لا يمكن التعبير عنه ولدت حين روعة أن تدرك
ذاك. ومكون اللقاء مع ذاتك، وسر لتكرار في داخل ذاتك إلى درجة النسيان الكلي،
وعزل ذاتك في أقصى وسط الطريق الأقصى، ورائك الواحدة الحقيقية الأزلية، هذه كلها
التي بنفصلها نسمد بحقيقة السماء، لئى أفضل من الحسائر التي لا حصر لها أو ليست هذه
هي تلك النلا إنسانية التي يعدو فيها الحكيم الكامل الساعي إلى تحمس كماله، شبيهاً
بالسماء والأرض، أوليس هذا، هو قانون الفراخ الخفي المكنون؟ إن رحمة السماء والأرض
بكن في لا رحمتها كم هو مكنون في عظمتها لئلا مشاهية هذا السر، كم هو مكنون
رسوحوه النلا محدود».

وعن هذا نفسه يقول شيخ صناف النهر الأصفر (القرن ١٣م): «كثيرة هي الهموم التي
نؤدي الروح، وكثير هو الكلام الذي يؤدي الحسد. فعندما يصرح أشعثان ويطلق اللسان
على هواه، فإن أسية والرؤية واقعتن لا محالة، أليس من لأفض أن تستغرق في التركيز على
الفصيلة للأحلية وتتهتم بإنسان بدرة الروح وتعشق النرانا تسي وتقل من الكلام؟».

وهذا كم نرى بميز الفلسفة الشرقية عن الفلسفة الغربية، وديانات الشرق من ديانات
الغرب المسيحية والإسلام يهتمان بالمجتمع كله، بأفراد الطائفة كلهم دون استثناء. فالشاه
الضالة بالنسبة إليهما أغلى من تلك التي تصير على الطريق الصحيح. وسنحو الابن الضال
استقبلاً حافلاً من قبل والده لئلا عاد أخيراً إلى الحق. فلإنسان أهمته في هاتين الديانتين
لأنه بعد جرم من المجتمع، من الطائفة، من الجماعة ولا يجوز أن يترك حائماً، وعارياً، وبلا
رجاء، لئلا قال المسيح إن هبوسه، قبول تعاليمه، يعني طعام الجائع، وإكساء الساري،
ومواساة المريض. وفي هذا يقوم جوهر تعاليمه. وإذا أرادت المسيحية المعاصرة أن يكون لها
مستقبل، فإنه ينبغي عليها أن تدرك هذا، لا أن تهتم بدخلها المالي فقط، ولكن كيف تعمل
الديانات الشرقية مع هذه المشكلة؟ لقد أحسا على هذا لسؤال قبل قليل؟ ولكننا نكرّر.

لا يغير المرة الكامل الحكمة الساعى إلى تحسين نفسه، سوى نفسه وحده فقط. أليس من لأفضل التركيز على العبطه الداخليه، و لاهتمام بإنبات البدره الروحانيه، وتثقيف النفس. ونحن نجيب، لا، ليس هذا هو الأفضل، لأن اجتماع كله، و لمشرية كلها كائن حي واحد، و جزء من الكائن الحي الذي يملأ الأرض فاجتمع ليس مجرد كم من لمو صنين، أو من أفراد، كل منهم قائم بذاته مستقل عن الآخرين، إنه كائن حي لا يمكن للإصبع، أو لساق، أو أي عضو آخر أن يعيش فيه ويتمصرف على هواه إن الإنسان يولد فرداً، له مواهبه، وقدراته، ومؤهلاته، وميوله، ومساعيه، بيد أنه بعد في هذا كله جزءاً من نظام مجتمع، ولذلك فإنه ملزم أن يعمل لخير المجتمع فالشخصية لا وجود لها خارج المجتمع. والشخصية الحقّة تظهر بصفها شخصية حسب موقعها من الآخرين، من المجتمع كله، فقد سار المسيح إلى صليب من أجل المجتمع، من أجل اناس يميناً أنه كان كامل الحكمة، ولكن لا يمكن تحيُّله وقد صبر اهتمامه على التركيز اساني، وإنبات البدره الروحانيه واسروح. لماذا إنبات الروح وتربيتها إذا كانت لن تسخر لحلاص القريب، ورفض شأن المجتمع كله؟ وما الفائدة من أن تقضي حياتك كلها متأملاً على قمم ابحال وفي الكهوف إذا كنت لن تقدم شيئاً للآخرين؟ وعليه يبدو من الواضح لماذا أحنب الديانات والتعاليم الشرقيه تلقى مرساً من الانتشار في الغرب فالمجتمع الغربي ينشغل إلى كثرة من الافرد الذين تعذبهم الوحدة في تلك الأدغال الحجرية فالكائن الحي سقيم، ولا يمكن لبعض حلاص منفردة أن تكون سعيدة ولذلك نراها تبحث عن خلاصها في فردانية الشرق، في الانفصال عن الواقع، في النسيان.

إن ما قلناه هنا لا يمثل رهناً لبيانات الشرق، فالحديث يجري عن محور أرميكارها الذي يميزها عن ديانات العرب. بيد أن هذا لا يعني أن أحاديثها تختلف في شيء عن أحاديث المسيحيه والإسلام فهي مقدّمته التي كتبها لترجمه كتاب لاوتسرى في اللغة الروسيه في العام ١٩١٣م، كتب ليف نوستوي يقول «إن أسس تعاليم لاوتسرى هو نفسه واحد، كأسس التعاليم الدينيه الحقّة العظمى الأخرى كلها وهو التالي يعني المرة نفسه أولاً بصفته شخصية حسية، ممتصّة عن كل ما عداها وتريد بحير لها وحدها فقط. ولكن قبل أن يمدّ أراء نفسه بيقتر، أو إيقان، أو مآرياً و كاترين، فإنه يعني ذاته أيضاً بصفته روحاً غير حسد، مثله مثل الروح الذي يعيش في كل كائن ومسيح الحياه والخير في العالم كله ويمكن للإنسان أن يحيا إما بشخصه الحسمة الممتصّة عن العالم، والتي لا تريد الخير إلا لذاتها، أو بروحه اللا جسدي الذي يعيش فيه ويتمنى الخير للعالم كله. إن الإنسان قادر على أن يعيش لحسده أو لروحه فمعش أيهما لإنسان لحمدك، والعيش للجمد بلية لأن الحسد

يماني، ويسقم، ويموت. وعش أنها الإنسان لروحك والعيش للروح حير، لأنَّ الروح لا تعاني، ولا تسقم، ولا تموت.

وبذلك كي لا تكون حياة الإنسان بلية بل حمراً، فإنه يحب عليه أنْ نعلم العيش لا لجسده. بما لروحه. وهذا ما يعلم به لاو-تسري. إنه يعلم الانتقال من حياة الجسد إلى حياة الروح وهو يدعو تعاليمه طريقاً، سبيلاً، لأنَّ تعاليمه كلها ترشد إلى هذا المعبد؛ ومن هنا حمت تعاليمه كلها اسم. «كتاب الطريق والعبطة» وتقوم هذه لطريق حسب تعاليم لاو-تسري، في ألا تفعل شيئاً مما يريد الجسد، أو افعل لحد الأذى منه. كي لا تخمد ما تريده الروح. ولا تفرق عمل الأعمال الجسدية، ودمع إمكانيه أنْ تظهر في روح الإنسان قوة لسماء (هكذا يسمي لاو-تسري الإله)، التي تعيش في كل شيء.

وبذا مكان المترحم قد نقل هذه الفكرة بدقة، فإنْ ما يثير الاهتمام. هو أنها غالباً ما تنعكس بصورة عريضة مقصودة، ولحسبها تمثل في الأحوال كلها أسَّ التعاليم كلها.

وهذه الفكرة لا تشبه وحسب، وإنما هي عينها الفكرة التي وردت في رسالة يوحنا لثانية ونقوم في صلب تعاليم المسيحية. فحسب لاو-تسري أن الداء هو الطريق الوحيد التي يتحد الإنسان بوساطتها مع الإله. أما الداء فلا يحقق إلا بالإحجام عن كل ما لا لزوم له، عن ما هو جسدي. وهذا ما عكسته التعاليم التي جاءت في رساله يوحنا الأولى فحسب تعاليم يوحنا أن المحبة هي وسيلة الاتحاد مع الإله والمحبة كالداو، لا تتحقق إلا بالإحجام عن كل ما هو جسدي، ونأتي. وكما أن المقصود بكلمه داو، وفق تعاليم لاو-تسري هي طريق الاتحاد مع السماء والسماء نفسها. كذلك فإن المقصود بكلمة محبة في تعاليم يوحنا، هي لمحبة نفسها والإله بداته (الإله محبة) ويقوم جوهر هذه لتعاليم وتلك في إن الإنسان قادر على أن يمي نفسه منفرداً ومحدداً، عابر وأبدياً، جسداً وروحاً، حيواناً وإلهاً، وحسب لاو-تسري إنه ثمة طريق واحدة حددها بكلمه داو، تنصوي في دتها على مفهوم النقطة السامية ويدرك هذا بالسحني بصفة يرفها الناس كلهم إدس، جوهر تعاليم لاو-تسري هو عيه الإحجام عن كل ما هو جسدي، وعبر العنصر لروحي الإلهي لدى يشكل أسَّ حياة الإنسان.

من الواضح أن تولستوى لم ينطلق في مقارنه بين الداوسية والمسيحية، لا من المعايير الأخلاقية دون أن يخسرط في تحليل الأسس الفلسفية لتعاليم الداوسيين، وفيما يتعلق بالأخلاق، فإنها كالأخلاق الساعية من الديانات العالمية الأخرى، لا تناقض من حيث مبدأ الأخلاق المسيحية

وهكذا رأى لاوتيمزي، أنَّ الإنسان الحكمم يجب أن يتعامل كما تتعامل العنقاء والأرض للسان تيمان مليارات الكائنات ومعانها اسوت واعتايه وعلى لإنسان أن يفعل انشيء عيبه إذ كان يريد بخير لنفسه. هُتمة في الكون شايون هو شايون ثواب الأعمال لصالحه التي يصنعها الإنسان بتمان.

ويقول لاوتيمزي، إنَّ مهم لرعايات يهلك الروح، ووفرة اشروات تضني الجسد. وجاء في الإنجيل، «لا تكثر كنوزاً على الأرض، حيث يفنيها العثُّ والصدأ، ويقتب اللصوص ويسرقون»، ومن الصعب أن يدخل ثري ملكوب الرباه وقد علم لاوتيمزي ضرورة أن يعرف المرء القسط، فقال «عارف القسط غني» وعن هذا قال شارح تعاليم لاوتيمزي «في السبت تبدأ الشمس تميل نحو الغروب، وإذا يكتمل القمر يبدأ متفقص، وبلازهار يستبدل للديول، وبالسعداء الأسى بكلمات أخرى، إنَّ لكل ما في العالم يتحول مع الوقت إلى نقيصه.

ويشير تعاليم لاوتيمزي بوصف إلى السكينة السليمة لتعامل الإنسان مع جسده، وقد عبّر شجيين عن هذا بقوله: «يجب على الإنسان أن يحرص على حمده لا أن يحبه». فقدم يرمعون الصوات إلى الداو، يصاعشون أعمال الحير، ويصنعون الفضائل، ويزرعون البدره الروحانية ويستون الروح، والروح يصنع الخبوء السحري. وبدا يقنون النفس ولكن أولئك الذين يتعطشون إلى الحد والاحلال، ويثقلون بنزتهم الروحانية وهكمرهم لكي يكسوا الثروات، ويحشون أحسادهم بالطيبات وهذا لعمرى حوهر حب الحسد، هؤلاء لا يجمع بينهم وبين الداو شيء».

ويشير الاهتمام رأي الداوسيين بصدد المصير، وعن هذا قال شايون (العم ١٠٠م)، «إذ كان اصغر مكتوباً بصنمك، وأنت اعتيت بسبعيك وكذلك، هيك بعد أن تعتيت بموت. وإذ كانت الصعة مكتوبة لصنمك، وأنت نجحت بمواهيبت ومؤهلانتك أن تبلغ أوجاهه، هيك أنت الذي حققت أوجاهه، سوف تُحصى هالقمة والمصير ليسا بقاديرين على احتواء الثروه والوجاهه اللتين اكتسبتا بالقنرات والمواهب والحماظ عليهما. فهما كذلك عون الذي له سعة مجوده»

وفيما يخص الأخلاق البشرية، فقد كانت هذه دوماً في لارمة كلها على أدنى مستوى. وهذا ما قرأ عنه في استوراة والقران والمصادر الهدية وهناك أيضاً يجري الحديث عن العصر الذهبي للبشرية حينما كان كل شيء مختلفاً، حينما كان كل شيء على اسحاط مع القوانين الإلهية، مع قوانين الطبيعة، وحسب انوراه إنَّ هذا كان في انحصه قبل أن يحالف آدم وجواه وصية الرب ويأكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر كما تنوّه المصادر الصمبية القديمة يدورها إلى عصر الانسجام

في آرمئة الداو العظيم كان الأطفال يجلس في العائلات، وكان يمكن أن نرصد في البلاد لصديق، والاخلاص والامانة، و ارحمة، و لعدل والواحد. ولكن عندما دخل الداو العظيم دور الشهرة وخرج من حيز الاستخدام، وتكالب الشر على الحياة، عندئذ ظهرت الرحمة، وامل، والواحد لكي ينقوا الداو من حل إلى جيل، وظهر الإجلال البتوي، وعناية الوالدين من أجل أن يرعى الطرفين أحدهما الآخر، وظهرت الرعاية المخصصة، وبعد ذلك يسلب الإنسان الحفيظة المطلقة، وليست الأخلاق البشرية مؤهلة لتأخذ مكانها وقد كتب «اشيخ» يقول إن الداو وحده القادر على مسح الممارسات الأخلاقية الحقيقية فهي حضور الداو يتلشى الإحلال البسوي وعناية الوالدين، وبحثفي الرحمة، والعدالة، والواحد كما يختفي ضوء لنجوم وضوء القمر عندما يظهر نور الشمس، وتعبير دقيق، فإن هذه لا تختفي، بما تكتسب مغر ه الحقيقى العميق، فالأخلاق البشرية، هي في واقع الحال نسخة لنفس البشرية، وبديل عن الأحاسيس الطبيعية والتواصل مع الحقيقة، وقد دعا لاوتسري إلى رمى الحكمة المفضلة الباطلة والمعرفة السطحية السائسة، لأنهم صاحتا عن مسح الإنسان السعادة ويقول هيلسوف معاصر، إن لاوتسري يدعو إلى «الامساع عن الساطع الذي يلمت النظر، لكنه سطحي» فلا يرى جوهر، والالتفات إلى الجوهر الأبدى والطبيعية المجردة غير المبركشة. ولم يلمح لاوتسري سوى ثلاثة مطالب، لكنها أشد من كثرة منها رمي الحكمة البشرية كلها، ورمي الأخلاق المبتدئة، والعزوف عن ككل حين الطمع، أي تدمير كل دافع بشري يحرص على الماعلية، لقد تلمس لاوتسري بدقة دوافع التقدم البشري الثلاثة الماعلة في أبعاد وجوده الثلاثة: التعطش لتحقيق البهجة المادية، وهو أبدي سشط عملية الإنتاج؛ والتراكم وتطوير التقنيات والتعطش للمعرفة، الذي يفضي إلى ظهور العلوم، ثم في آخر المطاف إلى التوسع لكوني البشرية، وأخيراً المقولات الأخلاقية المقبولات الإيديولوجية التي تدرج هناك حيث سبب ما هقد النفع البشرية أو حب المعرفة فاعليتهما» وشجعنا دعوة لاوتسري إلى العزوف عن المعرفة المبتدئة إلى أن نتذكر كلمات التوراة «من ترداد معرفته ترداد أجزائه» إن المعرفة الحق لا تززع في الإنسان سوى الالتفات إلى علّة لعالم البدئية، أي إلى الداو.

«إن الداو يخلق الحياة أولاً على فعل الخير، ويخلق الموت لكي يخيف الشر فموت هو ما يخافه الإنسان (ويكن الحسم والرحال لأبرار وكذلك ساس البهجة الباطلة، سيان بالنسبة إليهم خوف الموت وهرج الحياة، ومع ذلك يسلكون سلوكاً متبايناً فالساعي وراء البهجة الباطلة يحاف أن يموت، ولكنه لا يستطيع أن يؤمن بالسوا، ويميل دوماً إلى الأعمال الحمقاء فكيف

يمكنه أن ينتجو من الموت؟ أم الرجل البار هو يؤمن بالداو خوف من الموت، ويلتزم بالتعاليم لأنه متوائم مع الحياة (تشنجان) ومن المفيد أن نذكر على أن الإيمان بالدين والتوصي معه، والسعي ب عمل، لخبر يمكن أن تمنح الإنسان الحياة الأبدية. وهذا ما نقول به استورا أيضاً

هناصلح هو الشرط الضروري لكي تنمر بذرة الحق. وعن هذا كتب تشنجان يقول «النشبة البذرة بالماء في السند الصغير، والعسم الذي يحسن الماء بالماء، وأعمال الخير بالتنوع وإذا ما احتج ثلاثتهم فإن السند راسخ قوى وممتلئ بالماء. ولكن إذا لم يكن القلب بارعاً في الحمر، ففسدت لن يكون هناك سم يحسن الماء، فمترك هذا المكان ويمضي في سبيله وإذا لم نراكم أعمال لخير، فإن اسمائنا تجميع في المكان ويحتمل الماء»

ويتألف «كتاب الطريق والعبط» من خمسة آلاف كلمة. وقد كرست لدراسته ثلاثة آلاف كتب، عمل كلها على تأويل «كتاب» لاو تسري، ويكسنا لم سبق هنا سوى بعض ما قاله أشهر لعلمين على الكتاب وشارحيه. وها نحن نسوق أيضاً بعض آيات «كتاب» لاو- تسري، لكي نعطي القارئ تصوراً عن صيغة الكتاب وأسلوبه وخصائصه.

الآية ٢: تهذيب الذات

فقط ينبغي على كل من في أرض السماء (= الصين، م) أن يترك

أن البدع بدع، ولكنه بات الآن شراً!

فقط يجب أن يعني أن الخير هو خير، ولكنه لم يعد الآن خيراً!

لأن ما هو موجود وما هو غير موجود يلد أحدهما لآخر

فالعسير والعسير يشكل أحدهما الآخر

والطويل مع القصير يعطي كل منهما الآخر الجسد

والعالي مع المنخفض يتمدد كل منهما نحو الآخر.

والصوت واللحن بعضهما مع بعض يتوافقان.

و«القبل» و«البعد» يلي كل منهما الآخر.

ولذلك يبدع الحكيم في تبطله إرشادات صامتة

ينشئ أفواجاً من الأشياء، ولا يرفضه.

ينجب، ولكنه لا يهلك

يبدع، ولكنه لا يتفترق.

مآثره تزايد ولكنه لا يحيا عليها
وجا أنه لا يحيا عليه فإتها لا تبارحه

الآية ٣ تهدئة الشعب

إذا لم تعظم الحكماء، فلن ينشب الصراع في أوساط الشعب؛
وإذا لم تحرص على ما حصلت عليه بالعناء فلن يكون في الشعب لصرص.
وإذا لم يكن ثمة ما يُرغب به، فلن تهيج قلوب الناس.
وهناك دواء الحكيم اللجج.
احمل قلوبهم خاوية
واملا بطوبهم
وخفف من غلوائهم
وصلب بنتهم.

لكي يبقى الناس دوماً بغير معرفة، وبغير رغبات، ولكي
لا يبرؤ حتى العارف منهم عسى الفعل، ازرع الشغل، عدك يبر أكل منهم.
الآية ٨. بلل طبيحتك

الحير الأسمى كلاله يحمل النفع لآلاف مؤلفة من الكائنات
ولا ينافس أحداً. اختر القسمة التي يحترما جميعهم،
تقرب من لماو. أقم في المساكن الطيبة، واملا قبك من المايح
الصلحة وتواصل مع الناس الصالحين، وقل لصق
والصلاح، وحقق الإدارة الصالحة ومم القدرات الطيبة
وكن فعلاً بما ينفع الزم... ولكن فقط لا تتنافس مع أحد
فتفلى الحزن!

الآية ١٠: القدرة على الإنجاز

إذا شحكت روحك السماوية وروحك الزمنية،
وحصتهما معاً، فهل تستطيع أن تبقي عليهما؟
وإذا ما سقت روح النسي إلى حدود الرقة، فهل تقدر أن تعود رضيعاً؟
وإذا ما غسلت الرؤية الصوفية وطهرتها أيمكنك أن تربل عشارتها؟

إذا أحست نس، وأست تدبر، المملكة، أيمكنك أن تمكث متعللاً؟
وانت تفح بوابع السماء وتعلقها، أيعقدوك أن تلتزم الأوتة؟
وإذا ما تبينت الحدود الأربعة عن كتب، فهل تستطيع أن تحفظ بجهلك؟

أنحى وضاعفا!

أن تجب ولا تسقط، وتجر ولا تمخر، وتكبر ولا تترأس،
فهذا هو ما يدعى بالفضة المكنة!

الآية ١٦، العودة إلى الأصل

أبلغ أطرف الحواء، احتشد في السكون والسكنة.
فهب تُخنق متواقة آلاف مؤلفة من الأشياء، وأنا أرق رجوعه.
ها هي الأشياء تنمو، وكل منها يرجع مرة أخرى إلى جذوره.
والعرة إلى الجذور طمائية، وفي الطمانينة اكتسب مصر جديد، وفي
اكتساب المصير الجديد حلول وفي إدراك الخلود صحوة. ومن لا يعي السرمية
يصنع الشرور عليها، أما من يعي، لأزل فإنه يستوعبه في داخل ذاته.
ومن استوعبه بات زيه، والمريه رب، وارتب، هو السماء
والسماء هي الطريق، والطريق أبدية. حتى إذا استر الجسد فانت لن
تهلك!

الآية ١٨، انتصاغر الديوي

عسما دخل الداء العظيم طور الاعطاط، ظهرت الرحمة، والعبادة
والواجب، وعندما طعت الحكمة واعارف إلى السطح ظهرت الكذبة
الكري، وعندما سد النزاع بين الأقارب ظهر «الإجلال السوي» وعناية
الوالدين، وعندما بدأت الموصى والاضطرابات في البلاد ظهرت «الرحمة
المحصنة».

الآية ٢٠ المعلق القديس

تخلّ عن سعة العلم، فتختفي الأحزان!
 «النعم» والكلاء، هل تقف واحداً بعيداً عن الأخرى؟
 والخير والشر، هل يختلفان كثيراً؟
 ما يخافه الناس لا يمكنك ألا تخاف منه، ولكن وا أسفاه،
 ثم هم يعملون عن الصحة!
 الناس فرحون وشر مباليين، كأنهم ذاهبون إلى وليمة قربان خيرة،
 كأنهم ينتزّهون في يوم ربيعي جميل،
 فقط أنا وحدي، بحيرة لا تتماوج، أنا كالرضيع الذي لم يفد طعماً معه.
 أه كم تعبته وبيهاً لي أن لا رجعة..
 سس لديهم بضع في كل شيء. وأنا وحدي فقط كما لو أنني فقست
 كل شيء. فأنا أيضاً لذب أحرق فيه خراباً!
 كل شيء جلبي لأهل الباطل، وأنا وحدي جاهل؛ فلأهل الباطل شأن في
 كل شيء، وأنا وحدي لا مبال..
 عريض بلا حدود كما البحر، وكالرياح لا أعرف الحواجز..
 لكل من الناس مهرة، وأنا وحدي فقط بليد كاللتوحش.
 أنا وحدي فقط لا أشبه الآخرين، لأنني حريص على مطعمي

الآية ٢١: خوء القلب

إهاب العبطة شديدة مرهون بدصريق فقط، والطرس معد أن
 تشيئات الكاد نيبهه بالكاد تومض.. ولكن في الظلام الدامس، في
 الوميض أشكال، صور، في الوميض، في الظلام الدامس أشياء، في
 الديجور الحالك تكمن البسور وتلك بذور عميقة الحفيدة، بها
 اليقين.

منذ الأزل وحتى اليوم ذلك الاسم حاضر لا يفارقه
 لكي يصير أب كل شيء، ومن أين لي أن أعرف كيف يبدو أب كل
 شيء؟ يفصله هو

الآية ٣٢ فائدة الموضوع

من يتحفي يسم، والمتحوس يستقيم والعمن يتلى، والقديم يجلد
ومن لديه القليل يكسب، والطامع بالكثير يرتاب لأن الحكيم الذي رُكِبَ
على الواحد الوحيد هو مقيس لهذا العالم
لا يقدّم نفسه ولذلك فهو شهير، ولذلك فهو معترف به، هو نفسه
لا يهجم ولذلك له مآثر، ولا يعثر بنفسه ولذلك أمده طويلاً.
ليس في العالم من يستطيع أن يقهره، لأنه لا يشارك في صراع.

فالقول المأثور القديم «إلا ما احتجب منكم ليس حوضاً لكلام فارح إذن حقاً يحمل

معه حكمة

لقد عرف تاريخ الصين أطواراً دأى الداوسيون فيها دوراً مهماً في حياة البلاد
السياسية، وكانت تلك أدوار الأزمات التي عاشتها السلطة المركزية، وساد خلالها الاستياء
الشعبي في كل مكان. ويعرف تاريخ انتفاضة «الأربطة الصفراء» التي قادها الداوسيون.
فخلال وقت قصير أنشأ الساحر الداوسي تشحان تشيوي طائفة كبيرة منظمة عسكرياً
ومستعدة لاتخاذ أي تدابير كبت ضد الحكومة المركزية. لقد كانت تلك نهاية امسلالة
الخانوية، إذ احتشد حينئذ البلايا كلها معاً الأزمات السياسية، والكوارث الطبيعية،
والأوبئة، فبدأت القلاقل، ودعا الداوسيون إلى الإطاحة بالسلطة المركزية وصرخوا بدلاً منها
بملكه العدل الأعظم، فأعلن قائد طائفة الداوسيين تشحان تشيوي أن العام المائة والأربعة
والثمانين سيحكمون في الصين عام «السما الصفراء» وهو الطور الذي يحمل في عالم أسعاده
ولرخاء، ويضع حداً نهائياً لعصر «السما الرقواء»، السلالة الحاكمة التي عُبّ مصر الشر
والظلم) لقد عقد أنصار «السما الصمر» أربطة صمراء حول رؤوسهم. ولذلك دخلت
الانتفاضة لتاريخ تحت اسم. انتفاضة «الأربطة الصفراء»

ولكن المظنة استبقت الأحداث ودمرت الانتفاضة. وقد قتل قائد الداوسيين أثناء
الأحداث، وهرّ من بقي معهم على قيد الحياة، شرياً وكانت تشتمل هذا في الأقايم الحدودية
طائفة داوسية أخرى برعامة تشحان سو. وقد تحول لإقليم إلى ما يشبه أسوله الداوسية
لستمّة، لأن السلطة المركزية انهارت، وامتدّ الطور الفاصل بين السطتين وقتاً طويلاً بعض
لشيء. رافزون ٢٠٦م).

لقد قامت دولة لداوسيين هذه وبنيت على مبدأ الشيوعرا طيا فقسّمت إلى أربع وعشرين طائفة منبئة. وهام على رأس كل منها أضعف. وكانت سيطرة الأساقفة هذه وراثية. لقد كانت السلطة في كل طائفة بأيدي المرشدين الدوسيين. وكان يقف على رأس الدولة بطرسك، وسلطته كانت وراثية أيضاً وبعد اعام ١٩٤٩م (بعد الثورة الشيوعية الصينية م)، انتقل حكر بابوات سلالة التشجانيين هذه إلى تايوان.

الباب السابع

التوراة والقرآن

(التوراة = بيبس، كلمة إغريقية معناها «كتاب»). ولكن أسليو (= التوراة)، ليس مجرد كتب وحسب، بل هو كتاب الكتب فالتوراة كتاب هو معروف، تتألف من حوالي ٨٠ كتاباً قديماً بداهة أصغر هذه الكتب تتألف من عدة صفحات وتتألف التوراة نفسها من جزأين العهد القديم، والعهد الجديد ومن حيث الحجم يشكّل العهد القديم حوالي ثلاثة أرباع التوراة كلها وقد وضع بكتب العهد القديم عدد من المؤلفين على امتداد ألف وخمسمائة عام أما العهد الجديد فهو يتضمن عالم يسوع المسيح. وقد وصفت كتبه خلال زمن قصير نسبياً

وبعد مئة سنة من ميلاد المسيح جاء النبي محمد (ص) باقرآن وقد تأسس القرآن بالكامل على المادة التوراتية وتعاليم العهد القديم هي أساس اليهودية، وهي ديانة اليهود ولا تعترف هذه بقدسية تعاليم العهد الجديد والفرّج. ويرى أن الإله الأعظم «سل حقائقه الكبرى عبر الأنبياء إلى شعبه المختار اليهود، وهي حقائق أزلية لا تتغير ولا تتبدل. ولكن تعاليم العهد الجديد تعيد النظر في كثير من تعاليم العهد القديم. فتعاليم العهد الجديد سوّجه إلى البشر ككلهم بصرف النظر عن انتمائهم القومي. ومع هذا يزلّف لعهد جديد مع العهد القديم كلاً واحداً موحداً فقد قال المسيح: «ما حثت لأنقض العهد بل لأتممه». ولذلك نصور ديانة

المسيحيين على كتاب التوراة بجرأته، ولكنْ اذهب المميجي البروتستانتى بشكل استثناء
في هذا التعميم، فهو لا يقرُّ لهذا القديم

وبحسب التوراة بعض الاختلاف في كل مكان عند اليهود والكاثوليك،
والأرثوذكس، والبروتستانت. وتكمن المسألة هنا في أنه تم اختيار جزء محدود من مجس
الرويات التوراتية واعتمد بصفته الكتاب القانوني المعترف به. وعُدَّت الكتب الأخرى التي لم
تدخل قوائم الأسماء القانونية كتباً غير قانونية وثمة ضرب آخر من هذه الكتب، يسمى
بـ«الكتب المنحولة» (= أبوكريف). وكلمة أبوكريف تعني «مكبر» «سري»، وهذه
الكتب لم تستخدم إلا سراً، لأنها كانت كتباً متنوعة، ولم يكتمل تقنين أسماء العهد
لقديم إلا في حوالي ٩٠-١٠٠ م. على يد الأكاديمية اللاهوتية اليهودية والسيدريون (=
المحكمة الدينية اليهودية العليا)، اللذين شكلا مؤسسة واحدة كان مركزها مدينة يافا
المسطية. وقد أقرَّت لليهودية والمسيحية كتاب العهد القديم القانوني هذا. أما الكتب التي
لم تدخل السور، القانونية، فإن مواضع الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت منها
مختلفة. فالبروتستانت لا يعترفون بها أصلاً، كما لا يعترفون بالعهد القديم كله، وتقيم
الكاثوليك والأرثوذكس مصادر التي لم تدخل التوراة، «لانونية» إلى. «سفر غير قانونية»،
وأسماء منحولة وينشرون في منشوراتهم الكنسية الكتب القانونية والكتب غير القانونية.
أما الكتب المنحولة فلا ينشرونها، ولم تكن أسماء العهد لقديم وحدها التي خصصت
للقنين، فأسفار العهد الجديد قُنت أيضاً (في الجمع الكنسي لذي عقد في عام ٢٦٤ م).
لقد تضمنت كتب العهد الجديد ٢٧ كتاباً قانونياً ولا يحتوي العهد لجديد على كتب غير
قانونية، بيد أنه ثمة عشرات من الكتب المنحولة فيه

أما القرآن فهو يمثل عملاً موحداً. كتاب واحد وحيد أرسل إلى الناس عبر اسمي
محمد ونؤمن القرآن بالإله عيه الذي يؤمن به العهدان القديم والجديد فقد ردَّ محمد في
القرآن مرَّات كثيرة، أن الإله الذي أرسله هو إله إبراهيم والإله عيه الذي أنبأوه هم نوح،
وموسى، ويسوع المسيح.

وهكذا صارت أجزاء الكل الواحد الثلاثة العهد القديم، والعهد الجديد، والقرآن.
إلى أصول، إلى منابع لبيانات ثلاث، هي اليهودية (لعهد القديم)، والمسيحية (العهد لقديم
والعهد لجديد)، والاسلام (العهد القديم، والعهد لجديد، والقرآن) ومع أوقت التحقت بهذه
المصادر الثلاثة الأولى موضوعات جديدة أخصت إلى تغيير الأسس الأولى لكل من البيانات
الثلاث، وما يجدر ذكره أن التغيرات كانت مسبقة وفي الجوهر والبيانات الثلاث موجودة

الآن في وضعها الجديد هذا. أليس من المأزقات أن تكون السبي محمد الآن رسول إله متميز بدعوه الله، بينما أعلى هو نفسه غير مرء أنه رسول الإله عينه الذي بشر به إبراهيم، وموسى، وسوع المسيح، فالله ليس سوى الشعوبية العربية بكلمة للوهيم (إله العهد القديم) ألا نثير الاسمراء أن يصدر القرآن في القرن الماضي دون أن ترد فيه كلمة الله إلا سادراً، وأن تحل في لتوراة كلمة الإله، أو اربُّ محل كلمة إلهه (إلهوهم).

وينظر المسيحيون إلى القرآن بصفتة صرياً من ضروب الهرطقة التي لا تستحق الاهتمام، وأنه لا صلة له بالتوراة من قريب أو بعيد ويتجاهل هؤلاء تماماً أن محمداً رأى غاية رسالته تبشير الناس (العرب) بقوانين الإله الواحد، إله إبراهيم، أي الإله عينه الذي معه المسيحيون وألوهود الآن.

في الأول دُون العهد القديم باللغة اليهودية القديمة، ما عدا بعض أجزائه الصغيرة التي دُوِّت باللغة الآرامية وفي وقت مبكر جداً ترجم إلى اللغة الإغريقية. ودعي بضه لإعريقى هذا بترجمة السبعونية، لأنه ناء على طلب ملك مصر بطليموس فيلادلف قام بترجمة نص العهد القديم إلى الإغريقية اثنا وسعون مترجماً يهودياً حائو. من بطون إسرائيل الاثني عشر (سنة من كل بطن) وهكذا نقل نص العهد القديم إلى اللغة الإغريقية القديمة ثم ترجم هيرونيم المغبوط التوراة كلها (العهد القديم والعهد الجديد) إلى اللغة اللاتينية في أواخر القرن الميلادي السادس وبذلك باتت التوراة بمتناول جميعهم وتحولت إلى كتاب شعبي ولذلك دعيت «فولغاتا» (= شعبية) وحظي هذا النص بوزر الاحترام نفسه الذي حظي به النص اليهودي الأصل، والتُرجمه السبعونية.

ولم يترجم التوراة إلى لغات العالم كلها (١٥٩ لغة)، إلا منذ وقت قريب نسبياً فهي لم تترجم إلى اللغة الروسية مثلاً إلا في القرن الماضي (١٩م). وكانت الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الأرثوذكسية هما اللتان وقت بحرم صر ترجمه التوراة إلى اللغات لشعبية وبحب أن يعترف بعصل كيريل وميخوديا اللذين ترجمه التوراة إلى لغة السلافية منذ القرن ٩م وعملاً على أن تؤدى الخدمة الإلهية في الكنائس بلغة يفهمها الحاضرون جميعهم وما بشر الدهول أن لخدمة الإلهية تقدم الآن في المعابد الأرثوذكسية باللغة السلافية القديمة التي لا يفهمها الحاضرون أكثر مما يفهمون اللغة الإغريقية أو اللاتينية. فالرعاة الأرثوذكس يرون أن أفضل طريق للوصول إلى قلوب الناس بمت عصر الإهم السام.

عند قرامتك للتوراة بلاحمد أن النص ينقسم إلى هصول (أصحاحات م)، وآيات مرفمة. وهذا ما سهّل كثيراً العمل على النص ففي مصر ١٣م قسم الحكارديدل ستيخان ليعتقون

النص التوراتي إلى إصحاحات. وفي القرن ١٦م، قسم الطبايع الباريسي روبرت ستهيل الإصحاحات إلى آيات ورؤسها. وقد اعترف بهذا لتقييم كل من اليهودية والمسيحية ويدرج في العهد القديم ٣٩ سفرًا قديميًا، نصف ما مر به الشعب اليهودي خلال ألفي عام من تاريخه قبل الميلاد: الأحداث التاريخية، والعداات والأحلاق، والبشرى المدببة، والجدية، والأخلاقية، والفني مختلف المناسبات، والتأمل الفلسفي في الحياة وعاية الإنسان، وما إلى ذلك مما يُصنف الإنسان به بعض النظر عن العصر التاريخي: الصدق والكذب، والعدل والعدو، والبطولة والحب، والشرف والخيانة ونحن عندما نقرأ العهد القديم فإننا نتعصن الكوميديا (التراجيديا) البشرية كلها على امتداد مئات السنين مكررة مشهداً مشهداً ويوماً ويوماً ومع أن هذا كله ارتبط في العهد القديم بالشعب اليهودي، إلا أنه نوهز لما الفرصة لكي يرى شعباً حري خالفت اليهود أو عادتهم عداً مرأً وعلى الرغم من أن العهد القديم كونه مؤلفون يهود، إلا أن فيه كثيراً من النقد المرير لليهود، بيد أن النص لم يخلُ من روح البطولة الوطنية التي وضعت اليهود فوق الشعوب الأخرى. ولكن ما يجب أن نتذكره دوماً، هو متى وقع دس كله، وفي أي طرف مريحي. عندما كان اليهود تحت سلطة حكام الشعوب الأخرى.

ولكن ما يهمنا من ذلك كله هو ما يحسن التوراة تورا، أي كتاباً مقدساً، وعلى وجه التحديد، الإرشادات الأخلاقية التي نحتويها. فتمة من لا يهتم لتفاصيل التاريخ القديم غير أن الفهم الدقيق لجوهر التوراة. وهذه الإرشادات أمر غير ممكن من دون معرفة الحالة المحددة، والظرف التاريخي الذي كتبت التعليمات هيهما، فللمن طابعه على كل ما كتب في تاريخ البشرية وإذا أردنا أن نعي مفرى ما قيل، فعلياً أن نعرف من قال ذلك، ومتى، وفي أي مناسبة ولذلك يجب علينا قبل أن نحلل جوهر ما احتواء كتاب العهد القديم، أن نحدد المجري التاريخي ويربط إليه كل سطر من أسفار العهد القديم وهكدا فقط نمكن أن نتظر نأويلاً صحيحاً لما قيل في كل سفر من هذه الأسفار حول هذا الداعية أو ذلك.

من حيث المفرى يتألف كتاب العهد القديم من ثلاثة أجزاء كبيرة يحتوي الأول منها، وهو الجزء الرئيس، على كل شروط العهد القديم مع الإله، إنها أسفار موسى الخمسة ولثنى أسفار الأنبياء، والثالث «الكتب» وفي اليهودية يدعى العهد القديم كله «تاناخ»، وهي كلمة مؤلفة من الأحرف، لأولى للكلمات تورا (الكتب الخمسة)، ونبييم («الأنبياء»)، وحسوبيم أو كسوبيم («الكتب»)

وتحمل الدراسات المسيحية من مجموعة الأسفار لتوراتية «التاريخية». مجموعة مستقلة وهذه هي سفر القصة، و سمار الملوك الأربعة وسفر أخبار الأيام الأول والثاني، وسفر عزرا ونحميا، فلهذه الأسفار مغزى تاريخي

كما ينقسمون الأنبياء إلى أنبياء كبار وأنبياء صغار والكبار هم أشعيا، وأرميا، وحرقييل، ودانيال، والصغار أشعيا عشر، هم هوشع، ويوثيل، وعاموس، وعوزيا، و... وتحتوي مجموعة الأسفار التي يدعونها «كتباً»، على مادة متنوعة نوعاً كبيراً ههنا أبحاث فلسفية (الجامعة، وأيوب)، وأما شيد لصلالة (المزامير)، وشيد الأشناد ملحمه شعرية غنائية شهوانية أمّا أسفار العهد القديم الخمسة الأولى، أي أسفار موسى، فهي تحتوي على تاريخ شعب إسرائيل، وعلى الشرائع نفسها (الناموس) وأسفار موسى الخمسة هذه (التوراة) تشكل أساس الديانة اليهودية

ويعد شعب إسرائيل ممداه إلى إبراهيم (أبرام)، واسم إسرائيل نفسه هو سم يعقوب ثاني أسماء إبراهيم (كدا في النص الأصلي، ولكن يعقوب هو الابن الثاني لإسحق ابن إبراهيم وليس ابن إبراهيم نفسه م) ومعنى اسم إسرائيل، «الذي صارع الإله» وكان يعقوب (حفيد إبراهيم م). قد تسمى اسمه الجديد هذا بعد أن صارع الإله في حلم، وحصاد إسرائيل - يعقوب، هم الذين جاؤوا إلى مصر ثم أخرجهم موسى منها، وروية العهد القديم كلها عن هؤلاء اليهود بالذات ويكنى كانت هناك قبائل يهودية أخرى غيرهم لم تأت عبر مصر وهذا ما يجب أن نضعه في الحسبان، ونشير في السياق إلى أن كلمة «يهودي» نفسها تعني الواعد فاليهود كانوا قوماً بداءة رجالاً، ولذلك كان من الطبيعي أن يبالغوا مثل هذه السمة

إبراهيم (أبرام)

لقد سُنَّ علم التاريخ المعاصر أنْ تطوَّر المصمِّع الشَّري ليس مرسماً سطور الصُّورولوجي (وسائل الإنتاج) وحدها، فهو يرتبط أيضاً بالتأثيرات الخارجية التي مدفع به بين وقت وآخر، وهذا دُعيت هذه بالصدمات الباسيونديَّة (- الروحانية، م.) وقد اشتقَّ المصطلح من الكلمة لإيصاليَّة باسيو - Passio، التي تعني التولع لشَّديد، الحماس الخارق، وجوهر الأمر هذا، هو أنَّ الصدمة الخارجية التي تصيب المجتمع كله، أنَّه تتيه عبر أشخاص آخر د باسيوندي. ومن الواضح دون شكَّ أنَّ الصدمة الباسيونديَّة ليست فعلاً فيزيائياً، إنما هي صدمة إعلاميَّة. يسهف سيل للمعلومات من الخارج، فيتحوَّل الشَّخص الذي نصدَّ لتسيل إليه، إلى الباسيونار، حامل هذا التولع الشَّديد، التولع ابحامح فلا يعود هذا ملك نفسه، بل يتصرف بما يتوافق وهذه المعلومات، بما يتوافق وم قدر له دون أنْ يشفق عى حياته (بالعسى المباشر للصكمة) وهماكم ما كتبه المؤرِّخ لـن غومليوف عن الباسيونار: يرتبط شكل الإينوس دائماً بوجود بعض لأفراد الذين لديهم التَّزعة الدَّاحية الضروريَّة للعمل ابحاف الذي يرتبط دائماً بتبدُّل المحيط. الاجتماعي أو الطَّبيعي. وفي غصون ذلك غالباً ما يكون لهدف المرسوم وهمياً أو متخيَّلاً لكنَّ تحقيقه بعدُ دائمة للفرء المعني أغلى من حياته نفسها ومن السَّهي أنْ تكون مثل هذه الظاهرة البادرة. ظاهرة خارجة من معايير سلوك الشَّوع، لأنَّنا أضع اصوصف هنا يتعارض مع غريزة الحفاظ على الذات، غريزة حبِّ البقاء، فهو دائلي ينحسُّ بسمة معكوسة وقد يحسبون مرتبطاً بوجود مؤهلات ممرضة (سوخ، موهية)، كما قد يحسبون مرتبطاً بمؤهلات متوسطة، فهذا ما ظهره استملايَّة بين باهى دوافع السلوك الموصوفة في علم النفس ولم يصف أحد حتى الآن هذه البمة أو يحللها ولكنَّها هي بالدات التي نصوص في صلب لحنق المتصافي (اللا اناسي)، حيث مصالح الجماعة، حتى إذا لم تكون مدركة إدر كُ صحيحاً، تلعب على الشَّغف بالعيش والاهتمام بابحاف الدُّرَّة. إنَّ الشَّخصيات التي تملك مثل هذه البمة تحقق إذا ما لاف ظروفاً ملائمة، أعمالاً تكسر بمحمها حمول البقاء وتشتج بتوسات

جديدة

وهكذا يُضخ أن الشخص الذي هُدر به أن يُغدو ياسيونار ليس سوى مُنمذ لإرادة خارجيَّة تدرج في معيومات تتنقل عبره. وهو يُمثِّل العمل الذي عهد به إليه حتى منتهاه، على الرغم من أن ذلك يهدد حياته بالخطر وليس ثمة من يستطيع أن يوقف مثل هذا الـياسيونار. فهو لا يضحي بنفسه لأنه يتجاوز غريزة حبِّ الحياة بطولها بادرة، بل لأنه لا يحسُّ هذه البرزّة أصلاً. هاليسيونار يحسُّ شيئاً واحداً فقط، هو أنه عهد إليه بالمُدممة الـياسوناريَّة.

وفي عالم الآحين لا تؤثر المدممة الـياسوناريَّة على شخص واحد محتار فقط بل يمتدُّ تأثيره الإعلامي - الحماسي لتشمل شخصيَّات أخرى، ولكن بدرجة أقل. وترتبط نتيجة التأثير الـياسوناري على الممنوع بدرجة التحمل الأوَّل للـياسوناريَّة، بقوة الـياسيونار الأوَّل بين هذه مجموعة من الـياسيونار

أمّا أعظم الـياسيونار الذين عرفهم التَّاريخ البشري، فهم يسوع المسيح، ومحمَّد ودونال. كما ينتمي إلى هذه الفئة أيضاً، إبراهيم، وموسى وآخرون ومن الـياسيونار الأقل قدرة، سابلور، وإسكندر المقدوني، ولوسيوس كورنيليوس سولاً (وصحافته، يوميوس، ولوكولا، وكراسوس، و...، ويان غوم، وجان دارك و...

ولا شك في أن إبراهيم ينتمي إلى الخمسة الأوائل من الـياسيونار فهو الأب الأوَّل لـسبلانات العالمة الثلاث لليهوديَّة، والمسيحيَّة والإسلام. ولكي نفهم الأحداث التاريخيَّة، والحياة الشخصيّة للـياسيونار ونصيرُفاتهم فهما صحيحاً، ينبغي أن نرى بدقَّة الأمر الرئيس من قبل هذا. يصرِّف الـياسونار وفق المعلومات التي تأتيه من الخارج، وأنه لا يهتمُّ فص لرحلته الشخصيّة أو حياته الشخصيّة والحفاظ عليها (إذا كان ذلك يتعارض مع هذه المعلومات)

وقد تأتي المعلومات إلى الـياسونار بصرق مختلفة، أصواتاً يسميها، أو حلماء يراه وهو سائم، أو رؤيا معيَّه نحن عليه. ولكن في الأحوال كلها تمتد المعلومات - في وعي الإنسان آتية من حقل الإعلام لكوبي، من العقل لكوبي، من الإله، همتلكه وتصير إلى ابراند الأوحد لما سعله

عليتتبع لأن حياة الـياسيونار الأوَّل وشامله، إذ تمتد في الشخصيّة. نتي وقعت عند منابع ثلاث دياناب، إنَّه إبراهيم قد ولد إبراهيم في العام ٢١٨ ق.م. تقريباً وهو ينتمي وفق خطِّ مباشر إلى شيت ابن دم الذي ولد بعد مقتل هابيل.

لقد عاشت عائلة إبراهيم مع عائلات الفسلة الأخرى في مدينة أور الكلدانيَّة لكنَّ ترحل رب العائلة قادم من أور هذه قاصداً أرض الكنعانيين. بيد أنهم لم يصلوا إلا إلى حرَّان حيث استقروا فيها وبعد أن مات نارج تابع إبراهيم مع العائلة طريقهم ويقول سفر «التكوين» المورابي من ذلك لحدث:

﴿وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيدُ. فَأَجْمَعُ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأَعْظِمَ اسْمَكَ وَتَكُونُ بَرَكَاتٍ.﴾

(تكوين ١٢ . ١-٢)

ثم جاء في الإصحاح عيه

﴿فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطُ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنُ خُمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً نَما خَرَجَ مِنْ حَارَانَ ﴿فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَى ابْنَةَ مَرَاتِهِ وَلُوطاً ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مُقْنَنَاتِهِمَا الَّتِي أَقْتَنَا وَالنَّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كِنَعَانَ فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كِنَعَانَ ﴿وَجَدَ أَبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانٍ ضَعِيفٍ إِلَى بَلُوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ لَكِنَعَانِيِّينَ حَبِيشٌ فِي الْأَرْضِ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: لِيَسْئَلْكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ فَبَيْسَ مُنَاكَ مَذْهَبُهَا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ.﴾

(تكوين: ١٢ . ٤-٧)

ولم يكن إبراهيم وسرة قد أنجبا أولاداً ولأن سررة كانت قد باتت مسنة ، فقد فقد إبراهيم الأمل في الإنجاب لذلك تلمق معها على أن يلجأ إلى العرف الشرقي القديم الذي كان شائعاً حيناً في ذلك العصر إذا ولدت لخاصة أو الجدرية أو أمه الروجة ولداً من لروح على ركبتى الزوج ، حين المولود بعد أن شريعاً للزوج والروجة ووفق هذا التقليد أنجبت حانمه سارة المصرية هاجر ، من إبراهيم ابنه إسماعيل. ولكن هاجر تماحرت بهد على سارة كثيراً وعيرتها بعتمها ، غير أن سارة نصحتها أنحيت بعد ذلك وتعادياً للفرغات تقرر إسماعيل بين المرأتين. فتركت هاجر وابنها إسماعيل عائلة إبراهيم. ولعكن إبراهيم لم يتركهم ليبراحها مصيرهما ، فقد التقى ابنه وقالت التورة عن إسماعيل

﴿وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الْفُلَامِ فَكَثُرَ وَسَكَنَ فِي تَبْرُوكَ وَكَانَ يُقْمُو زَامِي قَوْسٍ.﴾
﴿وَسَكَنَ فِي بَرْيَةِ فَارَانَ وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ بَصْرَ.﴾

(تكوين ٢١ . ٢٠-٢١)

وحرح من إسماعيل ابن إبراهيم شعب قبيلة العرب لإسماعيليين التي ينتمي إليها النبي محمد الذي رسل إليه القرآن عبره وكان محمد قد كثر في القرآن غير مرة ، أن إبه هو إبه إبراهيم الواحد لأحد الذي يحضه لسلطانه كل ما في الأرض والسما.

ومع مرور الزمن انفصل إبراهيم وتوابعه عن عائلته وبامه ، لأن
 ﴿وَمَ تَحْتَمِلُهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا إِنْ كُنْتَ أُمَّلَكُمَا كَثِيرَةً فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ
 يَسْكُنَا مَعًا﴾.

(تكوين ١٣ : ٦)

﴿أَبْرَاهِمَ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَلَوْطَ سَكَنَ فِي مَدَنِ الدَّائِرَةِ وَتَقَلَّ حَيَاتُهُ لَيْسَ
 سَوَامٍ﴾

(تكوين ١٣ : ١٢)

وبعد أن انفصل لوط وعبد الرب الإله إبراهيم بالأرض التي باب اليهود سمعونه «أرض الميعاد»
 ﴿لَئِنْ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي مَنَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيَهَا وَلَسْتُكَ إِلَى الْآبِدِ. ﴿وَأَجْعَلُ
 نَسْلَكَ كَثْرًا فِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَغْدُ ثَرِبَ الْأَرْضِ فَسُكَّ أَيْضًا
 يَغْدُ. ﴿فَمَ امْنِي فِي الْأَرْضِ طَوْلَهَا وَعَرَضَ لَأَنِّي لَكَ أُعْطِيَهَا ﴿فَقَالَ أَبْرَاهِمُ حَيَاتُهُ
 وَأَتَى وَأَقَامَ جَدُّ بَطْطَانَةٍ مَرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَيَتَى هُنَاكَ مَدَّحًا لِرَبِّ.﴾

(تكوين ١٣ : ١٥-١٨)

وكان عهد الرب مع إبراهيم هو الآتي
 ﴿فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَاهِمَ وَبَيْتًا قَائِلًا. لَسْتُكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ
 مِنْ شَهْرٍ وَصَرَ إِلَى الشَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرَ الْفَرَاتِ)

(تكوين ١٥ : ١٨)

وحسب العهد كان على إبراهيم وذريته من الذكور إقامة منفس الخصال
 ﴿وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي مَنَنْتَ وَلَسْتُكَ مِنْ بَنِيكَ فِي
 أَجْيَالِهِمْ. ﴿هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْمِطُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمِنْ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ.
 يُحَنَّنُ بَيْنَكُمْ كُلِّ ذَكَرٍ ﴿فَتَحْنَلُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَيْكُمْ فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهِدِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 ﴿إِنَّ تَفْهِيَةَ إِيَّاهُ يُحَنَّنُ بَيْنَكُمْ كُلِّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ وَلَيْدَ الْبَيْتِ وَالْمِيتَاعِ يَفْهِي مِنْ
 كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. ﴿يُحَنَّنُ حَتَّى دَانَا وَلَيْدَ بَيْتِكَ وَالْمِيتَاعِ يَفْهِي فَيَكُونُ
 عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهِدًا أَبَدِيًا ﴿وَأَمَّا الذَّكَرُ الْأَعْلَفُ الَّذِي لَا يُحَنَّنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ
 فَتَقَطُّعُ بَنُكَ لِنَفْسٍ مِنْ شَرِّهَا إِنَّهُ هَذَا نَكْتُ عَهْدِي)

(تكوين ١٧ : ٩-١٤)

لعد عارض برهيم رواج ابنه إسحق بحكمانيّة معارضة صارمة فأرسل خادمه إلى قبيلة يهودنة حمل إليه منها ابنتها رفقة التي ستقدو زوجة إسحق. وكانت هذه هي المسألة المبدئية الثالثة - الأولى أرض الميعاد التي وعد الرب نفسه اليهود بها إذا ما حافظوا على عهده معهم (لذلك ظهر مصطلح «العهد القديم»)

- الثانية الالتزام بالحثان حسب عهد الرب.

- الثالثة تحريم الریجات المحتلصة

وقد اعتمدت الديانات الثلاثة، اليهودية، والمسيحية، والإسلام اتفاق إبراهيم مع الرب ولكن هذا العهد القديم تحدّد بظهور العهد الجديد وبعد ست مائة عام ظهر القرآن، همتل عهد آخر متجدّد مع الرب الإله.

وكان الأمر لجوهري الأساس في العهد الثلاثة، هو الإقرار بوجود إله واحد خالق كل شيء، وواضع القوانين التي يحري كل شيء على الأرض وفي الكون وقتها والاعتراف بوجود إله واحد للكون كله، يعني الاعتراف بالقوانين التي أنشئ الكون وقتها وبما فيه الإنسان والحضوع لهذه القوانين وإذا ما أقر المرء بالخالق الواحد، فليدّ الوحد، فعليه بالضرورة أن يعترف بأن هذا الخالق قد خلق الناس كلهم، ومنعهم الحق عينه في الحب، وإن في خلقه لهم الماية عينها ومن هنا جاءت وصية، لا تقتل؛ ووصية لا تسرق؛ وبإفي قواعد العيش المشترك الأخرى. لكنّ حديثنا عن هذا سوف يأتي لاحقاً. أمّا الآن فإنه من المهم أن نعي أن الإيمان بالإله الواحد يعني تلقائياً الاعتراف بقو عد السلوك هذه التي إذا ما تقيّد المرء بها فإنه لن يتقص من حقوق الآخرين شيئاً لقد عقد إبراهيم العهد مع الإله، فاعترف به واحداً أوحده، وبذل كل جهد ممكن لكي تكون قبيلته وشعبه مخلصين لدست العهد - الاتفاق.

ولكن كثيراً من باقدي التوراه رأى في وعد الإله لإبراهيم (وشعبه) بأرض الميعاد، وهذا معلوم أنه فقد عدّ هؤلاء إبه من الغريب أن يتعهد الإله الواحد لشعب واحد بمنحه أرضاً يملكها شعب آخر ألم يحتل إبراهيم نفسه وعد أرض الميعاد؟ ومما لا شب فيه أنه صكانت لإبراهيم صلة بالعمل الكسوي، بحقل الإعلام الكسوي، بالاله. فقد صكان هذا ناسيونار ويضمي لو يدكرنا حدثاً واحداً من حياة هذه اشخصية كي لا يرتاب بفساد في هذا والواقعة معروفة جيداً استعداداً لتقسيم بنه الحبيب الوحيد ادي أنجبته له زوجته سارة في آخر عمره قرياً للرب (ومع ذلك لم يعمل، أمّا الإعرقي أعامتمون فقد عمل وراحت ابغيبيا صحة الغناء الإنساني م) لقد كان إسحق وريثه الوحيد، وبه وحده سوف تتواصل السرية وتحيّا وقد انتطره إبراهيم طويلاً (أليس إسماعيل ابنه من صلبه أيضاً؟)، وكبر على نفسه بأنه سوف يكون له ابن، ووكد الابن فعلاً ولم يكن لدى إبراهيم شك في أن ذلك حصر بإرامه الرب، ولذلك لم يتردّد في تقديم ابنه هذا قرياً له وتقول التوراه عن هذا

﴿فَلَمَّا أَتَيْنَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللَّهُ يَكُنْ هَذَا إِبْرَاهِيمُ فَنُذِّخُ وَرَثَتَكَ
الْحَطَبَ وَرَبُّهُ سَخَّاقٌ ابْنُهُ وَوَعَدَهُ عَلَى النُّذُخِ فَوْقَ الْحَطَبِ ۖ ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ
يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِينَ لِيُذْنِخَ ابْنَهُ ۖ فَدَادَهُ مَلَكٌ رَبُّهُ مِنَ السَّمَاءِ ۖ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ هَكَذَا ۖ فَقَالَ لَا تُنَدِّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَقْعُدْ بِهِ شَيْئًا لَأَكُنِّي
الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَشِيتُ اللَّهَ فَلَمْ تُعْصِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَلَيَّ﴾

(تكوين ٢٢ : ٩ - ١٢)

ثم قال

﴿وَيَذَّابِرْكُ فِي تَمْلِكِ جَمِيعِ أُمَمِ الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي﴾

(تكوين ٢٢ : ١٨)

بقينا إلى إبراهيم كان ماسونار وكان يتلقى المعلومات من القتل الكوني، نحن إلىه،
ثم ينقلها إلى الآخرين، أي بعد إذ عثا عليهم

ما فيما يتعلق بالأرض الموعودة التي وعد الإله شعب إبراهيم بها، فإنه ليس شدة تناقض
هنا لأن إبراهيم كان يعلم أنه إذا ما التزم باسمه، قبيله، شعبه بتسديد العهد، أي إذا ما آمنوا
بالإله الواحد ونفذوا وصاياه، فإن العيش لصبيحي على أراض حثالة سوف يكون مضموناً لهم
(لكن أرض كنعان كانت تعج بسكناها الكنعانيين، هي تلك الأرض لم تكن أراضي
الدولة مسكونة كلها كما هي الحال اليوم لذلك كان إبراهيم يسكن مع عشيرته ويشغل
الأرض بعير عائق، ومن غير أن يثير أي سخط لدى أولئك اثنين فكانوا يشغلون الأراضي
المجاورة، هكذا كانت الظروف، وهكذا كانت الأحوال، فليذكر كيف انصهر
إبراهيم وبن أخيه ببعض دون صعوبات

﴿فَقَالَ أَبْرَامُ لُوطُ لَا تَكُنْ مُخَاصِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ لَأَنَّا
نَحْنُ أَخَوَانِ ۖ أَلَيْسَتْ كُلُّ الْأَرْضِ أَمَانَةً ۚ اعْتَزَلْ عَنِّي ۖ إِنِّي ذَهَبْتُ شِمَالاً فَأَنَا
بِيَمِينِكَ وَإِنِّي بِيَمِينِكَ فَأَنَا شِمَالاً ۖ فَارْهَقْ لُوطُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَاخِرَةِ الْأُرْدُنَّ أَنَّ
جَنَّتَيْهَا سَوِيَّ قَبْلَمَا أَحْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ كَجَنَّةِ الرَّبِّ كَأَرْضِ بَعْرَ ۖ حِينَمَا
تَجِيءُ ۖ إِي سَوُغَرَ ۖ فَاخْتَارَ لُوطُ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَاخِرَةِ الْأُرْدُنَّ وَارْتَحَلَ لُوطُ شَرْقاً ۖ
فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ مِنَ الْآخَرِ ۖ أَبْرَامُ سَكَنَ فِي آرْصِ كَتَّانَ وَلُوطُ سَكَنَ فِي سَدُومَ
الدَّائِرَةِ وَمَقَلْ حِينَمَا إِلَى سَدُومَ﴾

(تكوين ١٣ : ٨ - ١٢)

كم ترون إد، نمد شعل كل من إبراهيم ولوط الأرض من دون عنف ومواجهات. همد همد كما كنت لقبائل تعمل في تلك الأرمنه تشغل لأراضي الحالية.

وعلى هذه الصورة، فإن عهد إبراهيم مع الإله لم يكن سوى وعد أمره (الناس كلهم) بأن يلتزم بالقوانين السارية في لعالم، وفي الكون، وأن ينمي سلوكه تحه الناس الآخرين، وتجاه العالم الحي وغير الحي المحيط به بما لا يتعارض وهذه القوانين، بما لا يتعارض والعقل الكوني والرب الإله إن كل المؤلعات المتجمعة في التوراة الواحدة، تشكل كلاً موحد، لأن بها كلها معور ارتكار وحد، هو لهد مع الإله على أساس الإنعاس به وحده، والسلوك بما يوافق وهذا أنوع. ولكن مرور الزمن بكل القواعد التي شكلت تصلم العلاقات بين الناس، همدت هذه أكثر إسانية. وفي هذا السياق بمسه تجد العهد، وهدت مقتضيانه بفرص على الناس أن يكونوا أكثر محبة بعضهم تجاه بعض، وأكثر طيبة ورحمة. بيد أن الأمر أنريقي، المبدأ الأساس في العهد لم يتغير الإيمان بالرب الإله لوحد، وبالمبدأ الواحد للكون، وحالقه الواحد.

ولكن التصورات الشائعة عن مجسد الرب الإله في صورة إسماع، تسيبت بأدى كبير لفهم التوراة والقرآن فهماً صحيحاً. همد زعموا أن الإله شيخ طيب متج، يستوي على سحابة وقدماء الحاهيات تدليان إلى تحت، ويميق مثل هذه التصورات البسائية الكثيرين عن العثور في اشوراة على ما هو فيها حق، أي حرية هرون راكمها شعوب وصمت فيها فكرها، وحسها، ولهاماتها، ويغل اسرؤستدت عميقاً في هذا الضلال إلى حد رفضهم العهد القديم حمة وتقصيلاً، وعدهم إياه غير ذي أهمية لديهم. حقاً إنه أعمى يقود أعمى.

بعد موت سرة ترواح إبراهيم نساء كثيرات، كما كان عنده كثير من الجوارى وقد أسجب كثيراً من الأبناء من هؤلاء وأولئك فأعطى أبناء الجوارى هبات وأرسمهم إلى الأرض اشرقية. وأعطى كل أملاكه وأوراقه لأبيه البكر الذي أنجبته سارة، أي إسحق دلب هو اقلانور (أي قانون هذا، قانون الإله، أم قانون العقل الكوني؟) ومات إبراهيم عن مائة وخمسة وسبعين عاماً ودفعه ولداه إسحق وإسماعيل.

وكان لإسماعيل اثنتا عشر ولداً، حرحت منهم اثنتا عشرة قبيلة وسوف يحكون لنا لقاء مع الشعب الإسماعيلي عند دراستنا للقرآن. ومات إسماعيل عن مائة وسبعة وثلاثين عاماً وقد عاش الإسماعيليون

(وَسَكَتُوا بَنَ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الْبَيْتِ أَنَا مَضَرُ حَيْثُمَا تَجِيءُ تَحْوُ أَشُورَ أَسَامَ جَمِيعَ حَوَيْتِهِ مُرَّةً.)

(تكوين ٢٥: ١٨)

أما يسحق فقد أنجب توأمين عيسو ويعقوب، وكان عيسو سيّاد وحوش، بينما كان يعقوب «امراً يعيش في الخيام». وكان عيسو هو الورث الشرعي لبوالده إسحق، لأنه ولد أولاً. ولكنه تبارك عن حق البكرية ليعقوب مقابل صحن من عسيدة العدس، عندما عاد إلى السيار جائعاً في أحد الأيام. غير أن يعقوب انتزع بركة والده بلخديفة قبيل وفاة هذا الأخير ففي آخر أيامه فقد إسحق مصره، فعاهه يعقوب مدعياً أنه عيسو، إذ ارتدى حله ما عجز لبحاكي جسده حسد عيسو الكنف الشعر. وقد أهضى ذلك إلى نشوء عداوة مريرة بين الشقيقين ولم يكن يعقوب يعرف أنه مدّنب، فقد هرب. أما عيسو فقد ذهب إلى إسماعيل وتزوج أخته.

لقد أنجب يعقوب اثني عشر ولداً، ومنهم خرجت قبائل الشعب اليهودي الاثنا عشرة. وكان يوسف أحب أبناء يعقوب إلى قلبه. ولد لك لم يكن أخوة هذا الأخير يحبونه. وعندما سمعت لهم أول فرصة تخلّصوا منه باعوه لفاطمة تشارئة كانت بفسد أرض مصر، وقالو لوالدهم مرّفته وحوش لبرية.

وفي مصر بيع يوسف إلى أحد وجهاء قصر المرعون. وبعد أن مرّ بتجارب ومعاناة كثيرة، بات يوسف في آخر المطاف اناظر الأكسير في أرض مصر.

لقد فسر يوسف حلم الفرعون وسبباً له بأن البلاد سوف تعرف سبع سنوات وهيرة الحيرات تعقبها سبع سنوات مجاف. فمهد إليه المرعون جمع الأقماح في أمسين الطينة وخزنها استعدداً للسنين القاحلة. وعندما حلت سنوات المجاعة جاء أخوة يوسف إلى مصر بشراء لتمح فمرّهم بمسه واجتمعت قبيلة يعقوب بعد ذلك في مصر وهكذا جاء ليهود إلى مصر. وفي مصر عاش يعقوب سبعة عشر عاماً ومات، فدفنوه في أرض كنعان. وبعد خمسين عاماً مات يوسف أيضاً وقد قال قبيل موته، إن الإله سيخرج الشعب اليهودي من مصر ويعيده إلى أرض كنعان.

ثم تطوّرت الأحداث بعد ذلك على لوجه الآتي: رحل يوسف محبوب فرعون إلى الدار الآخرة وبات المرعة يحشون تكافؤ العرباء في دولتهم، فأخذوا يضيقون على اليهود إلى درجة أنهم شرعو يقتلون مواليدهم. وألمى إيهود أنفسهم أمام واحد من خيرين. إما أن يتحولوا إلى عبيد، أو أن يخلّصوا من ذلك السجن لطوعي. وقد تبيّن أن الخيار الثاني لم يكن سهلاً. ولعصر موسى جعله ممكناً وأخرج الشعب ليهودي من عبودية المصريين.

لفصل الثاني

موسى

لقد وصفنا الأحداث التي عرصها هنا، وفق كتاب التوراة الأول، بحدبداً وحق حربها الأول. العهد القديم، وهو الكتاب الذي يدمى مسعر لتكوين وجاء وصف تحرير اليهود من عبودية مصر وخروجهم منها، فيما تبقي من كتب موسى لخمسة، ونحن سوف يقتضي أثر هذا الوصف. ولكننا نسو قبل كل شيء، ب أن مهمتنا لا تقوم في عرض ما تحتويه التوراة فبى ثمة ضرورة لذلك. لأن أن كان يمكنه أن يقرأ النص التوراتي نفسه. إنما مهمتنا تقوم في تقديم تحليل مقارن لموضوعات العهد القديم، و العهد الجديد، والقرآن، ومقارنتها مع البجاءات العلمية. و لوصول إلى النتائج التي تحدد مكانة استوراة والقرآن في العالم المعاصر في حياة كل منا. وهذا يحسن العلم المعاصر وموقف نائجه من فكره الإله، فانب ألفينا اصواء على هذه المشكلة في كتابنا: «الإله، وأروح، والحلوة»، الذي يمسك أن يعدّ الجزء الأول من كتابنا هذا. ولذلك سوف يكون من الأفضل لو قرأ القارئ كتابنا المذكور أولاً. فعندئذ لن تتأثر استعرا به شتى المعجزات الموصوفة في التوراة، أو ظهور الأصوات، أو الرؤيا، أو لقاء الربّ الإله نفسه فهذا كله لا يتعارض مع العلم. إنما يجب تأويله تأويلاً صحيحاً

لقد كان موسى هو الناسيونار القوي الثاني وليس للعهد القديم معنى من غير موسى كما من غير إبراهيم. فموسى جعل من اليهود العبيد شعباً منظمًا ومزمتُ بآله و حد. هو إله إبراهيم

في مصر ولد لإحدى العائلات اليهودية مولود وحسب أمر الصرعون فكان يجب أن يُقتل المولود استذكور من اليهود ولدت أحقت لأم مولودها حتى الشهر الثالث من عمره، وبعد ذلك بات الأمر محسوفاً بالمعاطر عندئذ وضعت، لأم طفلها في سعة وحملته إلى حور مياحه هانت، عرفت الأم أن به الصرعون حسب أن تسحمت فيه وما رأت هذه الفصل البهي أمرت خادماتها أن تأخذ به وكانت تحت موسى فراقب ما يجري من وراء الدغل، فجاء وعرض والدتها مرسعة للطفل ودعي الطفل باسم موسى. ومعناه «المتأخوذ من الماء»

بوجوده في قصر المرعون تلقى موسى تعليمًا ممتازًا وتربية رقيه ومع بلوغه لأربعين من عمره اضطر إلى الفرار من مصر خوفاً من عقاب كان يمكن أن ينزل به لأنه قتل مصرياً كان يصرب يهودياً لقد لحقاً موسى إلى شبه جزيرة العرب، إلى أرض مديان وهناك أقام عند لكاهن يترو، فتزوج بنته صمورة وصار يرعى له عمه وعلى امتداد أربعين عاماً عاشها موسى في الصحراء كتسب حبرة كبيرة ومعارف كثيرة أفاد منها إلهاده كبرى عندما قاد شعبه من مصر عبر الصحراء إلى أرض الميعاد

وفي أحد الأيام وقع لموسى الآتي

﴿وَأَمَّا مُوسَى فَكَذَّيَّعٌ يَرْعَى حَتَّى يَمُوتَ حَبِيبٌ كَلْبِيٌّ بِذِيْنَ قَسَايَ النَّفْسِ إِلَى رِوَا
الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيَّيْنِ ۖ وَظَهَرَ لَهُ فَلَاحُ الرَّبِّ بِهَيْبَةٍ نَارٍ مِنْ وَسْطِ
عَلْيَةٍ فَتَطَرَّقَ وَإِذَا الْعَلْيَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعَلْيَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ ۖ فَقَالَ مُوسَى أَيْهَلُ
الآنَ لَأَنْظُرَ هَذَا ۖ لَأَنْظُرَ الْعَظِيمَ ۖ بَعْدَ لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَةُ؟ ۖ فَجَاءَ رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَا
يَنْتَظِرُ فَأَدَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلْيَةِ وَقَالَ مُوسَى مُوسَى فَقَالَ هَسْتُمْ ۖ فَقَالَ
لَا تَقْرُبْ إِلَى هَهْكَ ۖ اخْلُجْ جِذَائِكَ مِنْ رِجْلِكَ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ
أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ ۖ ثُمَّ قَالَ أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ ۖ لَهُ إِبْرَاهِيمُ وَلَهُ إِسْحَاقُ وَلَهُ يَعْقُوبُ ۖ فَعَطَى
مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ ۖ إِنَّ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ ۖ فَقَالَ اسْرُبْ ۖ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ
شَعْبِي لَدَى فِى يَصْرَ وَسَجَعْتُ صَرَاحَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسْحَرِيهِمْ ۖ إِنِّي عَلِمْتُ لَوَجَاعَهُمْ
ۖ فَسَرَلْتُ بِأَيْدِيهِمُ مِنَ الْأَرْضِ وَأَصْبَحْتُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضِ جَدِّيَّةِ
وَوَاسِعَةٍ إِلَى أَرْضِ تَقْرِيسَ لَبَاءَ وَعَسَلًا إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ
وَالْحِزِّيِّينَ وَالْحَوِثِيِّينَ وَالْفِزْيِيِّينَ ۖ وَالْآنَ هُوَذَا صَرَاحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ
وَرَأَيْتُ أَيْضًا الصُّيُفَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْبَصَرِيُّونَ﴾

(خروج ٣: ١-٩)

قد تلقى موسى الأمر ولم يمد يده لمعه، لقد صار إلى ياسينوار فأخذ زوجته وأبناءه ومضى يؤذي الرسالة التي أُلقيت تأديبها على عاتقه. وفي مصر ساعده أخوه هارون على إبحار مهمته الشاقة هذه وفي هذا الصدد قيل:

﴿فَتَكْسَهُ وَتَمْسَحُ الْكَلِمَاتُ فِي قَمِيهِ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَكْ وَنَحْ مَبِي وَأَهْمُكُنَا مَانَا
لُصْنَان.﴾

(خروج ١٥: ١٤)

لكن المزعون لم يطلق ليهود من مصر. فصرى موسى المصريين بعشر رزايا أنزلها بهم الإله. وقيل لنية الأحيوة أمر موسى اليهود بأن تتحرر كل عائلة منهم حملاً وتشويه وتأكله مع فطيرة وأعشاب حارة. وألاً تكسر في أثناء ذلك عظام الحمل كما أمرهم أن نملوا عشت مدرتهم وعضائهما بدماء الحملان لقد كانت تلك هي ليلة خروج ليهود من مصر. فالليلة العاشرة، لتي أنزلها إله موسى بالمصريين تمثت في قتل ملاك الرب لأبكار المصريين كلهم، ولم يمتصر القتل على أنكار العشر منهم، بس طلال أنكار حيواتهم كذلك. أما المنازل التي كانت مطلية بالدماء، فقد كان الملوك سجاورها وهكذا اصطر المزعون بعد البلية (المجزرة م) العاشرة إلى أن يسمح لليهود بمعادرة مصر وكان ذلك اليوم هو يوم التخلص من البلاء، يوم الاستحياء، يوم (تجاوز)، وهو عصره يوم الصبح (وهذا هو المعنى الحركي للكلمة، فصح) فالحدث يجري عن تجاوز الملوك القتل منازل لليهود والمرور بحاسنها فقط دون أي يؤذيها. ومنذ ذلك اليوم واليهود يحتفلون بعيد الصبح هذا طمعية الذكرى بتحرور الحملان ويضربونها ويكلونها مع الفطير ويتواصل. لاحتفال بهذا العيد عندهم سبعة أيام.

عندما قاد موسى اليهود عبر الصحراء كان يتوجب عليه أن يعطيهم اشرايع التي تنظم حياتهم التي تثيرت لأن تعيراً جوهرياً قدّم له حموه النصيحة الآتية:

﴿إِنَّمَا أَسْمِعُ بِأَصَوْتِي فَأُنَصِتُ فَانصَحْ لِقَوْلِي اللَّهِ مَعًا. كُنْ أَتَتْ لَشَنْبَ أَمَامَ اللَّهِ وَقَدْ أَنْتَ ادْعَاؤِي إِلَى اللَّهِ وَعَلَيْهِمُ الْفَرَائِضُ وَالشَّرَائِعُ وَعَرَفَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ وَالْعَسَ الَّذِي يَعْمَلُونَهُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ مِنْ جِهَةِ الشَّعْبِ نَوِي قُدْرَهُ حَاقِقِينَ اللَّهَ أَمَنَاءُ مُبْضِعِينَ الرِّشْوَةَ وَتَقِيمُهُمْ عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ الْوَقْفِ وَرُؤَسَاءُ بَنَاتِ وَرُؤَسَاءُ خَمَاسِينَ وَرُؤَسَاءَ عَشَرَاتٍ فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلِّ حِينٍ وَيَكُونُ أَنْ كَسَ ادْعَاؤِي الْكِبْرَةَ يَحْبِسُونَ بِهِ إِلَيْكَ وَكُلَّ لِدْعَاؤِي الصَّغِيرَةَ يَنْصَرُونَ خَمَ فِيهِ. وَخَفَّ عَنْ نَفْسِكَ فُهُمْ يَحْبِسُونَ مَعَكَ. بِنَ فَعَلْتَ مَعَهُ الْأَمْرَ وَأَوْصَاكَ اللَّهُ تَسْتَطِيعُ الْيَهَامَ وَكُنْ هَذَا الشَّعْبُ أَيْضاً يَأْتِي إِلَى مَكَانِهِ بِالسَّلَامِ. فَصَمِعَ مُوسَى بِأَصَوْتِ خَبِيهِ وَقَالَ كُلُّ مَا قَالُوا.﴾

(خروج ١٨ - ١٩ - ٢١)

في أشهر الثالث بعد خروجهم من مصر وصل اليهود إلى صحراء سيناء، وألما أنفسهم قبالة جبل سيناء فصعد موسى إلى الجبل لكي يتو صل مع الإله وفيه واحد من تلك اللقاءات

«قال الرب لموسى - سأتى إليك في سحابة كثيفة لصكى يسمع الشعب كليم أبحث معك هيثق لك إلى الأبد. وتغن موسى كلام اشعب إلى الرب» كلامه الذى تعهد فيه بالالتزام بالوصايا التي يوصي الرب بها كلها. وأخذ الشعب يستعد على مدى يومين للقاء الرب فظهر على الجبل الذي لم يسمح إلا لموسى بالصعود إليه

﴿وَكَانَ جَبَلُ سِيْنَاءَ كُلُّهُ يُدَحُّنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَصَعِدَ سُحَابُهُ كَسُحَابِ الْآثُونِ وَارْتَجَفَ كُلُّ لُجْنِلٍ جَدًّا ۖ فَكَانَ صَوْتُ الْهَوَىٰ بِزُبَانٍ اشْتِدَادًا جَدًّا ۖ وَمُوسَى يَتَكَلَّمُ وَاللَّهُ يُجِيبُهُ بِصَوْتٍ ۙ﴾

(خروج ١٩، ١٨-١٩)

﴿لَمَّا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ۖ أَنَا لَرَّبِّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ بَصْرَ مِنْ بَيْتِ الْمُمُورِيَّةِ ۖ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهٌ آخَرُ أَدَمِي ۖ لَا تَصْنَعُ لَكَ تَنْتَالًا مَقْشُورًا وَلَا صُورَةً مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ ۖ لِأَرْضِ ۖ لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا لِأَنَّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِنَّهُ غَيُورٌ أَتَقَبَّدُ لِدُثُوبِ الْآبَاءِ فِي لُبْنَاءٍ فِي الْجَبَلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مَنَاجِيزِي ۖ وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى الْأَوَامِرِ مِنْ مُجِيبِي وَحَافِظِي وَصَايَايَ ۖ لَا تَقْطِنُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهُكَ بَاطِلًا لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يَبْرِي مَنْ تَقَطَّقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا ۖ أَذْكُرُ يَوْمَ السَّبْعِ لِقْدَسُهُ ۖ سَبْعَ أَيَّامٍ فَعَلْتُ وَصَنَعْتُ جَمِيعَ عَمَلِكَ ۖ وَأَنَا يَوْمَ السَّابِعِ لِفِيهِ سَبَّحْتُ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ ۖ لَا تَصْنَعُ عَمَلًا مِمَّا أَتَيْتَ وَابْتَنَيْتَ وَهَيْئَتَكَ وَأَمْرَكَ وَبَهْيَتَكَ وَتَزْيِيكَ الَّذِي نَاجَلَ آبَاؤُكَ ۖ لِأَنَّ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ صَنَعْتُ لَرَّبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالنَّخْرِ وَكُلِّ مَا فِيهَا وَاسْتَفْرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لِتِلْكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْعِ وَقَدَسَهُ ۖ أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأَمْرَكَ لِبَطُونِ أَيَّامِكَ عَلَى الْأَرْضِ إِنِّي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ ۖ لَا تَقْتُلْ ۖ لَا تَزْنِ ۖ لَا تَسْرِقْ ۖ لَا تَتَّخِذَ عَنَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ ۖ لَا تَشْهَدْ بَيْنَ قَرِيبَيْنِ ۖ لَا تَشْهَدْ امْرَأَةً قَرِيبَكَ وَلَا عَيْنَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا نَوْرَهُ وَلَا جَمَارَهُ وَلَا شَيْئًا مِمَّا يَقْرِيكَ ۙ﴾

(خروج ٢٠، ١٧-١٨)

تلكم كانت الوصايا العشر الشهيرة، التي تشكل القاموس الأخلاقي للإنسانى لاي مجتمع كان، إلا، أريد أن يبقى مجتمعاً بشرياً

وعلاوة على هذه الوصايا حمل موسى إلى شعبه من عند الإله قانوناً مديناً حثائياً مكملًا
نظم به العلاقات داخل المجتمع، وها نحن نسوق أشهر ثلث الرئسية لهذا القانون. وسوف نعمل في
حينه على مقارنتها بشرائع العهد الجديد وشرائع القرآن. وهاكم هذه الشرائع، الوصايا.
(شُكِرْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا هَيْسْتُ مَبْنِيَّ تَحْدُمُ وَهِيَ السَّابِقَةُ تَخْرُجُ خَرًّا مَجْنَنًا)

(خروج ٢١ : ٢)

﴿مَنْ مَرَبَ إِنْسَانًا فَكَاتُ يُقْتَلُ قَتْلًا. وَلَكِنْ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ بَلْ أَوْفَعَ اللَّهُ
فِي يَدِهِ قَاتَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرَبُ إِلَيْهِ﴾

(خروج ٢١ : ١٢-١٣)

﴿وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا. وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ أَوْ وَجَدَ فِي
يَدِهِ يُقْتَلُ قَتْلًا. وَمَنْ ضَمَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا﴾

(خروج ٢١ : ١٢-١٧)

﴿وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ بِأَلَمَةٍ تَخْتِ يَدُهُ يُتَّقَمُ مَقْدَمًا.

(خروج ٢١ : ٢٠)

﴿وَعَيْنَانِ يَعْمِي وَسَنًا يَمِينٌ وَيَدَا يَمِينٍ وَرَجُلًا بِرَجُلٍ. وَكَتَبًا يَكْفِي وَخَرْجًا يَخْرُجُ
وَرَهْنًا يَرْصُلُ.﴾

(خروج ٢١ : ٢٤-٢٥)

﴿وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مَعَهُ لَا يُعَوِّضُ. إِنْ كَانَ مُسْتَأْجَرًا أَتَى بِأُجْرَتِهِ. وَإِذَا
رَوَدَّ رَجُلٌ غُلَامًا لَمْ يَحْطَبْ وَضَطَجَعَ مَعَهَا يَتَهَوَّهَا بِنَفْسِهِ رُوحَةً. إِنْ أَبَى
أَبُوهُ أَنْ يُطْعِمَهُ إِيَّاهُ يَزِنُ لَهُ بَضَّةُ كَضَرِ الْعَذَارَى. لَا تُبْعَ سَجِيرَةٌ تَمِيشُ﴾

(خروج ٢٢ : ١٥-١٨)

﴿مَنْ ذَبَحَ لِلْإِلَهِ غَيْرَ الرِّبِّ وَحْدَهُ يَهْلِكُ. وَلَا تَضْطَهَدِ الْغَرِيبَ وَلَا تُضَاقِقْهُ
لَأَنْكُمْ كُنْتُمْ غَرِيبًا فِي أَرْضِ مِصْرَ. لَا تُسَبِّحْ إِلَى أَرْفَلَةٍ مَا وَلَا يَنْتَعِمُ.﴾

(خروج ٢٢ : ٢٠-٢٢)

﴿لَا تَقْبَلْ خُبْرًا كَذِبًا وَلَا تَضَعْ يَدَكَ مَعَ الْمُسَافِقِ يَتَكَوَّنُ شَهِيدٌ ظَلَمَ. لَا
تَتَّبِعِ الْكَثِيرِينَ إِلَى قَتْلِ الشَّرِّ وَلَا تُجِبْ فِي دَعْوَى مَاثِلًا وَرَاءَ الْكَثِيرِينَ لِلتَّخْرِيفِ﴾

(خروج ٢٣ : ١-٢)

﴿لَا تَحْرُفْ حَقَّ فِتْهِكَ فِي دَعْوَاهُ﴾ ۖ إِنِّي أَخْشَى الْكَذِبَ وَلَا أَتَقَبَّلُ
النَّصِيحَةَ، وَأَبْشَرُ لِلْأَمِيِّ لَا أَسْرُ الْمُدْبِئِ. ۖ وَلَا تَأْخُذْ رِشْوَةً لَّأَنَّ الرِّشْوَةَ تُغَيِّبُ
لِقَابِيهِمْ وَتُعَوِّجُ كَلَامَ الْإِبْرَارِ ۝

(خروج: ٢٣ - ٦-٨)

﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَعِيدُنِي فِي السَّنَةِ. ۖ نَحْفَظُ عِيدَ الْقَطِيرِ. نَأْكُلُ قَطِيرًا سَبْعَةَ
أَيَّامٍ كَمَا أَمَرْتَنِي فِي وَقْتِ شَهْرِ أَيْيَبٍ لِأَنَّهُ فِيهِ خَرَجْتَ مِنْ مِصْرَ وَلَا يَظْهَرُوا
أَعْيَافِي فَرِيقِينَ. ۖ وَعِيدُ الْحَصَادِ يُبْكَرُ غَلَاتِكَ الَّتِي تَزْرَعُ فِي الْحَقْلِ. وَعِيدُ الْجَمْعِ
فِي بَهَائِمِ السَّنَةِ عِنْدَمَا تَجْمَعُ غَلَاتِكَ مِنْ الْحَقْلِ ۝

(خروج ٢٣ ١٤-١٦)

وهناك ما قيل عن الفصح:

﴿هَذِهِ مَوَاسِمُ رَبِّهِ الْحَقْلُ الْمُقَدَّسُ إِنِّي تُسَدُّونَ بِهِ فِي أَوْقَاتِهَا ۖ فِي
الشَّهْرِ الْأَوَّلِ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ يَذْنُ الْعِشَاءُ يَنْصَحُ لِلرَّبِّ ۖ وَفِي الْيَوْمِ
الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ عِيدُ الْقَطِيرِ لِلرَّبِّ. سَبْعَةَ يَوْمٍ تَأْكُلُونَ قَطِيرًا. ۖ فِي
الْيَوْمِ الْأَوَّلِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ عَمَلًا مَا مِنْ الشُّغْلِ لَا تَعْمَلُوا. ۖ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ
تَقْرَبُونَ وَقُودَ لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ عَمَلًا مَا مِنْ الشُّغْلِ
لَا تَعْمَلُوا ۝

(لاويين ٢٣ ٤-٨)

ولم تسمع الشريعة تناول لحوم الحيوانات كلها

﴿وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَمَارُونَ ۖ قُولَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: هَذِهِ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي
تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ. ۖ كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفُ وَنَقَسَهُ ظِلْفَانِ
وَيَجْتَرُ مِنَ الْبَهَائِمِ فَيَبَاهُ تَأْكُلُونَهُ ۖ إِلَّا هَذِهِ فَلَا تَأْكُلُونَهَا مِنْهَا يَجْتَرُ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ -
الْحَقْلُ لِأَنَّهُ يَجْتَرُ لِكَيْ لَا يَشُقَّ ظِلْفًا فَهُوَ نَجَسٌ لَكُمْ ۖ وَالْوَبَرُ لِأَنَّهُ يَجْتَرُ لِكَيْ
لَا يَشُقَّ ظِلْفًا فَهُوَ نَجَسٌ لَكُمْ ۖ وَالْأَرْبُ لِأَنَّهُ يَجْتَرُ لِكَيْ لَا يَشُقَّ ظِلْفًا فَهُوَ نَجَسٌ
لَكُمْ ۖ وَنَحْزِيرُ لِأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفًا وَيَنْقَسُهُ ظِلْفَيْنِ لِكَيْ لَا يَجْتَرُ فَهُوَ نَجَسٌ لَكُمْ ۖ مِنْ
لَحْمِهَا لَا تَأْكُلُوا وَجَنَّتِهَا لَا تَلْبَسُوا إِنَّمَا نَجَسَةٌ لَكُمْ. ۖ وَهَذِهِ تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ مَا
فِي الْمِيَاهِ: كُلُّ مَا لَهُ رِغَابٌ وَخَرْنَفٌ فِي الْمِيَاهِ فِي الْبَحَارِ وَفِي الْأَنْهَارِ فَيَبَاهُ

تَأْكُلُونَ. ﴿لَيْسَ كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زُعَافٌ وَحَرَشَفٌ فِي لِحَابٍ وَفِي الْأَنْهَارِ مِنْ كَرٍ
 دَيْبٍ فِي الْمِيَاهِ وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي أَمْيَاهِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ ﴿وَمَكْرُوهٌ يُكْرَهُ لَكُمْ
 مِنْ لَحْمِهِ لَا تَأْكُلُوا وَجِلْتُهُ تَكْرَهُونَ. ﴿كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زُعَافٌ وَحَرَشَفٌ فِي الْمِيَاهِ
 فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ ﴿وَمِنْهُ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ لَا تُلْزَكُ إِلَّا مَكْرُوهَةٌ الشُّرُ وَالْأَنْوُ
 وَالْعُقَابُ ﴿وَزُجْجَاةٌ وَالْبَاقِي عَلَى أَجْنَابِهِ ﴿وَكُلُّ غُرَابٍ عَلَى أَجْنَابِهِ ﴿وَاللَّعْنَةُ
 وَالطَّلِيمُ وَالسَّافُ وَالْأَسَا عَلَى أَجْنَابِهِ ﴿وَالسُّيُومُ وَالْقَوَاصُ وَالْكُرْكِيُّ وَالْبَجَعُ وَالْقَوُ
 وَالرَّحْمُ وَاللَّلَقُ وَالْبُهْدُ عَلَى أَجْنَابِهِ وَالْهَنْدُ وَالْحُشَاةُ ﴿وَكُلُّ دَيْبٍ الطُّيْرِ
 النَّاسِي عَلَى أَرْبَعٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ ۝﴾

(لاويين ١١ ٢٠-٢١)

﴿كُلُّ إِنْسَانٍ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ قَدْ سَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. دُسَّ عَلَيْهِ
 ﴿وَإِذَا رَتَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ فَبَدَّ رَتَى مَعَ مَرَأَةٍ قَرِيْبَةٍ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّائِي وَالرَّائِيَةُ
 ﴿وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ أَبَاهُ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا
 دُسُّمَا عَلَيْهِمَا. ﴿وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَتَبَةٍ فَإِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ قَتَلَا
 فَاحْتَبَا دُسُّمَا عَلَيْهِمَا. ﴿وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَعَ امْرَأَةٌ فَقَدْ قَتَلَا
 كِلَاهُمَا رَجُلًا إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دُسُّمَا عَلَيْهِمَا. ﴿وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمُّهَا
 فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ بِالنَّارِ يَحْرَقُونَهُ وَإِنَّمَا لَكِي لَا يَكُونُ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ. ﴿وَإِذَا جَعَلَ
 رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ وَلِبَهِيمَتُهُ تُمَيِّتُونَهَا. ﴿وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى
 بَهِيمَةٍ لِيَزَايَنَهَا فَبَهِيمَةُ الْمَرْأَةِ وَلِبَهِيمَتُهُ تُمَيِّتُهَا. دُسُّمَا عَلَيْهِمَا. ﴿وَإِذَا أَخَذَ
 رَجُلٌ أُخْتَهُ بِذَاتِ أَبِيهِ أَوْ بِذَاتِ أُمِّهِ وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ فَذَلِكَ فَسَادٌ
 يُقْتَلَانِ أَمَامَ أَهْلِهِنَّ بَنِي شَجَبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ ﴿وَإِذَا
 اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ مَرَأَةٍ طَامَسَتْ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا غَرَى يَتَّبِعُهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَتَّبِعُ
 نَوْمًا يُقْطَعَانِ كِلَاهُمَا مِنْ شَجَبِهِمَا. ﴿عَوْرَةُ أَحْمَرُ أَمَّا أَوْ أَحْمَرُ أَبْيَضُ لَا تَكْشِفُهَا.
 إِنَّهُ قَدْ غَرَى قَرِيْبَتَهُ. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا. ﴿وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ عَمِيَ فَقَدْ
 كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِي. يَحْمِلَانِ ذَنْبَهُمَا يَمُوتَانِ عَقِيمَيْنِ. ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةَ أَخِيهِ
 فَذَلِكَ نَجَاسَةٌ قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَكُونَانِ عَقِيمَيْنِ ۝﴾

(لاويين ٢٠ ٩-١٨)

(وَإِذَا كَانَ فِي رَجَبٍ أَوْ أَمْرًا جَلًّا أَوْ كَاتِمَةً فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَ.
ذَمُّهُ عَلَيْهِ)

(لاويين ٢٠ : ٢٧)

﴿وَلَمَّا نَزَلَ مِنْكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلَا تَقْلُبُوهُ ۖ كَالْوُطْنِ يَسْكُنُ يَكُونُ لَكُمْ الْغَرِيبُ النَّازِلُ مِنْكُمْ وَتُجِيبُهُ كَتِفِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضٍ بَصَرَ أَتِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ ۖ لَا تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ لَا فِي الْغَنَاسِ وَلَا فِي الْوِزْنِ وَلَا فِي الْأَكْمَلِ ۖ يِزَانُ حَقٌّ وَوِزْنَاتُ حَقٌّ وَإِفْهَ حَقٌّ وَهَيْهَ حَقٌّ تَكُونُ لَكُمْ أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ أَبَدِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضٍ بَصَرَ.﴾

(لاويين ١٩ : ٣٣-٣٦)

﴿وَعِنْدَمَا تَحْمَدُونَ حصيدَ رُصُكُمْ لَا تُكْمَلُ زَوَايَا حَقِّكَ فِي لُحْصَادِهِ وَقَدْ ظَنَنْتُمْ لَا تَلْغَطُ ۖ وَوَكْرَمُكَ لَا تُعْلَهُ وَيَتَنَازَرُ كَرْمُكَ لَا تَلْغَطُ بِلَيْسِكَيْنِ وَلَغَرِيبٍ تَتْرَكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. ۖ لَا تَسْرِقُوا وَلَا تَكْذِبُوا وَلَا تَقْدُرُوا أَخَذَكُمْ بِصَاحِبِهِ. ۖ وَلَا تَحْلِفُوا بِاسْمِي لَتَكْذِبَ فَتَدُلُّوا اسْمَ إِلَهِكَ. أَنَا الرَّبُّ.﴾

(لاويين ١٩ : ٩-١٣)

(لَا تُنْفِمُ وَلَا تُحَقِّدُ عَلَى بُنَاءِ شَعْبِكَ مِنْ لُحِبِّ قَرِيبِكَ كَتِفِكَ أَنَا الرَّبُّ.)

(لاويين ١٩ : ١٨)

لقد أوصى الإله اليهود على لسان موسى أن يحفظوا العهد ويتقيدوا بأوصايا التي أوصوا بها وهم ما كان يجب أن يكون ضماناً لعيش لشعب حياة هائلة

﴿لَكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الْأَوْصَايَا ۖ وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرِئَاسِي وَكَرِهْتُمْ أَلْفُسَكُمْ أَحْكَامِي مِمَّا قِيلَ كُلُّ وَصَايَايَ بَلْ تَكْتُمُونَ بِيْنَايَ ۖ بِإِيَّايَ أَفْعَلُ هَذِهِ بِكُمْ: أَسْلَمْتُ عَلَيْكُمْ رَحْمًا وَسَلًا وَحَسْبِيَ شُعْبِي الْعَيْنِينَ وَتَلَفْتُ النَّفْسَ وَتَزْرَعُونَ بِطَلًا زَرْعَكُمْ فَيَأْكُلُهُ أَعْدَاؤُكُمْ ۖ وَأَجْعَلُ وَجْهِي صَدِّكُمْ فَتَهْرَبُونَ أَسَامَ أَعْسَابِكُمْ وَيَسْلُطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُكُمْ وَتَهْرَبُونَ وَلَيْسَ مِنْ يَطْرُدْكُمْ ۖ﴾

(لاويين ٢٦ : ١٤-١٧)

﴿أَحْبِبُّ عَلَيْكُمْ سَهْدًا يُنْقِذُ نَفْسَ الْيَهُودِ فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدِينَتِكُمْ وَأُرْسِلَ فِي وَسْطِكُمُ الْيَهُودُ فَتَدْفَعُونَ بِيَدِ الْغَنِيِّ.﴾

(لاويين ٢٦ : ٢٥)

﴿وَأَخْرِبَ مُرْكَبَاتِكُمْ وَأَقْلَعَ شَمْسَاتِكُمْ وَأَلْقَى جُحُشَكُمْ عَلَى جُنُودِ أَصْنَابِكُمْ
وَبَرَدَكُمْ تَقْسِي. وَأَصْبَرُ مُدُنُكُمْ خَرِبَةً وَتَقَابِسُكُمْ مُوحِقَةً وَلَا أَشْتَمُ رَائِحَةَ
سُرُورِكُمْ وَأَوَاحِشُ الْأَرْضِ فَيَمْلُؤُحِشُ بِهَا أَغْدَاؤُكُمْ السَّاكِنُونَ فِيهَا وَأَذْرِيكُمْ
بَيْنَ الْأُمَمِ وَأَجْرُدُ رِءَاءَكُمْ السَّيْفُ فَتَصِيرُ أَرْضُكُمْ مُوحِقَةً وَمُدُنُكُمْ تُصِيرُ خَرِبَةً﴾
(لاويين ٢٦، ٣١-٣٣)

بنصه شريعة الإله إلى لشعب اليهودي، أدى موسى مهمة شديدة لتقيد وإدارة حشود من الناس في صحراء مترامية، كانوا يتدحرون يوماً بسبب أو يغير سبب، هي يحد ذاتها مسأله في عايه الصعوبه فتارة تقص في المون وأخرى تقص في مياه الشرب، وقائلة أشتر الأمرار ومرة يثرون لأن آلهتهم انتفعت منهم ولذلك ليس عبثاً أن شكاً موسى نفسه للرب الإله قائلاً بهم قد يرجعوني بالحجارة فلم يكن من السهل أبداً إخضاع تلك لحشود الدائمة التذمر الي أعلنت لموسى غير مرة، إنها كدست تفضل لو بقيت في مصر وعلى الرغم من أنهم رأوا وسمعوا كيف تواصل موسى مع الإله على جبل سيناء، إلا أنهم ألحوا على هارون حتى سحبت لهم عملاً يسحبون له فقد عاب موسى أربعين يوماً قصاصها صائماً على جبل سيناء ولدى عودته سمع أناشيد انصالية بسند تمجيداً للإله الجديد وقد اضطره ذلك إلى المجيء لاتخاذ إجراءت صارمه وبغال مصر الخروج عن ذلك

﴿وَقَفَّ مُوسَى فِي بَابِ الْمُحَلَّةِ وَقَالَ: مَنْ لِلرَّبِّ إِبْرِي! فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ
بَنِي لَؤْيَ. فَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: ضَمُّوا كُلَّ وَاحِدٍ سِنِيَةً
عَلَى فَخِذِهِ وَهُمْ وَأَرْجِعُوا مِنْ بَابِ إِبْرِي بِلَدِي فِي الْمُحَلَّةِ وَاقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ أَخَاهُ
وَكُلَّ وَاحِدٍ صَاحِبِيهِ وَكُلَّ وَاحِدٍ قَرِينِهِ. أَفْعَلْ يَسُو لَؤْيَ بِحَسَبِ حَوْلِ مُوسَى
وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ﴾

(خروج ٣٢ ٢٦-٢٨)

وخطوه خطوه حول موسى الحشود استدمره المشقة، في مجبج معظم يصف بصمات
اشريعة والنساء انراسي كلها

﴿وَأَحَدُ مُوسَى الْخَيْمَةِ وَتَصِمَهَا لَهُ خَارِجَ الْمُحَلَّةِ بَيْدًا عَنِ الْمُحَلَّةِ وَدَعَاها
خَيْمَةُ الْاجْتِمَاعِ فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ يَخْرُجُ إِلَى خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ أَيْ
خَارِجَ الْمُحَلَّةِ وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ إِنَّا خَرَجَ مُوسَى إِلَى الْخَيْمَةِ يَقُومُونَ
وَيَقُولُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمِهِ وَيَنْظُرُونَ وراءَ مُوسَى حَتَّى يَدْخُلَ الْخَيْمَةَ.

وَكَانَ عَشُودُ الشَّعَابِ إِذَا دَخَلَ مُوسَى الْخَيْمَةَ يَنْزِلُ وَيَقِفُ عِنْدَ بَابِ الْخَيْمَةِ
وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مَعَ مُوسَى

(خروج ٣٣ ٩-٧)

وعند جبل سيناء أقام اليهود معسكراً لهم طول عام كامل وخلال تلك الأيام نرى
موسى معيداً - سكينيا محمولاً، صنعه من الحجارة الكريمة، والذهب، والفضة،
والنحاس، والأقمشة الثمينة التي ربطت على أعمدته وكان المعبد يتألف من ثلاثة أقسام:
الفناء، والهيكل، وقوس الأقداس.

وكان الشعب يدخل إلى الفناء ليؤدي الصلوات. وفيه في السماء مكان يقوم المذبح ومعملة
النحاسية ألف القسم الثاني، أي الهيكل فم يكن يدخه سوى الكهنة فقط وكانت تقوم فيه
مائة عليها اثنا عشر رنغيفاً، وشمعدان ذهبي يسبع شمعات أو قنديل بسبعة مصباح، ومحراب
للشعور وكان هذا المحراب بمثابة مذبح يحرق الكهنة البخور عليه وثقة حجاب في احبر
الهيكل فضلل القسم الثالث خمس الأقداس من عن القسمين الآخرين. ولم يكن يسمح إلا
للأخريين، أي لرئيس الكهنة بدخوله. وكان هذا يحدث مرة واحدة كل عام ويقوم بها في
خمس الأقداس تابوت العهد، عهد الرب الإله ودعي التابوت باسم آخر، هو كينفوت. وقد كان
هذا عبارة عن صندوق مصنوع من الخشب، ومغطى من الداخل والخارج بالذهب وكان غطاء
الصندوق من الذهب الخالص وقد تعالي فوقه كيروبيمان من الذهب أصلاً.

وصبح عهد الإله في عشر وصايا دوت على ألواح العهد. وهذا أيضاً وضعت
عصا هارون، وكأس المن، ثم فيما بعد وضعت الكتب المقدسة فيه كدست. وبما أن التابوت
كان محمولاً، فقد صنعوا على كل جانب من جانبيه حلقة، ووضع في الحلقتين عيد
منهبة. وبذلك يكون للصندوق هذا شكل اليهود كما صنع لمحراب في شكل اليهود
أيضاً لقد كانت لسكينيا تصاء بالرب المقدس. وتم تعيين خدام لها الكاهن الأكبر
(هارون)، والكهنة (أبناء هارون الأربعة)، وطاقم الخدمة الديني. اللاويين (أحفاد لاوي)

ومن سيناء تحرك اليهود باتجاه أرض المسعد (أرض الكنعانيين) ولما وصوا بعد معاناة
كثيرة، إلى حلود كنعان مباشرة، أرسل موسى حواسس نحو سون الأرض ويتقصون أحوالها
وقد احتار للمهمة رجلاً من كل قبيلة وحاس هؤلاء السمرء لأرض أريمن يوماً ولدى عودتهم
إلى المعسكر أشاع عشرة منهم الدعر في قلوب اليهود. إذ قالوا: «إن الشعب ندي يعيش في
الأرض شعب جبار، ومدنه عظيمة وحصونها قوية ولا قوة لنا على محاربة مثل هذا الشعب،
إنه أقوى منا. لقد رأينا هبال جبابرة عمالقة لسنا نحن أممهم إلا كالحراد».

ونار اليهود مرة أخرى على موسى وهارون، وقدوا لهما
 ﴿وَمَاذَا أُنَىٰ بِمَا الرَّبُّ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَرْضِ لِيَسْقُطَ بِاسْتِغْفَارٍ تَحِيرُ بِسَاوَاتِنَا
 وَأَهْلَانَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَّنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَىٰ مِصْرَ؟ ۖ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَكُمْ
 زَيْمًا وَنَرْجِعُ إِلَىٰ مِصْرَ﴾

(عدد: ١٤ : ٤)

ووصل الأمر إلى درجة أن موسى وهارون.
 ﴿قَسَطَ مُوسَىٰ وَهَارُونُ عَلَىٰ وَجْهِهِمَا أَمَامَ كُلِّ مَعْشَرٍ جَمَاعَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ
 (عدد ١٤ : ٥)

لقد أراد لعمري أن يقتلهم رحماً بالحجارة ويختار قادة حريين يوم يذاهع عن موسى
 وهارون موسى يشوع بن نون وكالب، اللذين مكانتا في عداد الحواسب الذين جاسوا أرض
 كنعان فقد قال هذان الحصص من أرض الميعاد الأرض حسنة جداً.
 وفي اللحظة الحرجة ظهرت كلمة الرب في صورة سحابة وقامت فوق السكيني أمام
 الشعب كله. وقال الرب مستاء:

﴿وَحَتَّىٰ مَتَىٰ أَغْفِرُ بِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُكَذِّمَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذْمُرَ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَكَبَّرُونَ عَلَيَّ ۖ فَقُلْ لَهُمْ: حَيُّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ لِأَقْمَلَنْ بِكُمْ
 كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُنْفِي ۖ بَنِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثُوكُمْ جَمِيعُ الْمُعْذِرِينَ بِكُمْ حَسَبَ
 عَذَابِكُمْ مِنْ ابْنِ هَضْرَيْنَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذْمُرُونَ عَلَيَّ. ۖ لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ
 الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لِأَسْكِنَكُمْ فِيهَا. مَا عَذَابُ كَالِبِ بْنِ يَفْغَةَ وَيَشُرْعُ بْنُ نُونٍ. ۖ وَأَمَّا
 أَطْفَالُكُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأَدْخِلُهُمْ فِيهِمْ قُلُوبًا فِي الْأَرْضِ الَّتِي
 احْتَرَمْتُمُوهَا. ۖ فَجُثُوكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هَذَا الْقَفْرِ ۖ وَبُكُوكُمْ يَكُونُونَ رَعَاةً فِي الْقَفْرِ
 أَنْ يَجِيعَ سَنَةً وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتَ جُثُوكُمْ فِي الْقَفْرِ ۖ كَعَمَلِ الْإِنْسَانِ الَّتِي
 تَجْسَسُ فِيهَا الْأَرْضُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَلْسَنُ يَوْمًا. تَحْمِلُونَ لَكُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
 فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَابِي.﴾

(عدد ١٤ : ٢٧-٣٤)

ولكن الحشد لم يستوعب هذه الكلمات وهم لتوه وصعد إلى قمة جبل حيث يقيم
 الملائكة والكهنة وهناك مئبوا بهزيمة قاسية وقصوا بعد تلك الأحداث أربعين عاماً

يَتَقَلُّونَ فِي صَحْرَاءٍ شَبِيهِ حَرِيرٍ، الْعَرَبِ. وَلَكِنْ نَعُدُّ أَنْ أَعْقَبَ الْحِصْنَ الَّذِي وَجَدَ فِي مِصْرٍ حَيْلَ جَدِيدٍ، دَخَلَ الْيَهُودَ أَرْضَ الْكَسَّانِيِّينَ تَحْتَ قِيَادَةِ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ. أَمَّا مُوسَى فَظَلِمَ يَرُ أَرْضَ الْمِيصَادِ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ، مِنْ عَلَى جَبَلٍ فَسْجَةٍ. وَفِي الْكِتَابِ التَّوْرَةِ فِي السَّادِسِ، كُتِبَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ وَصَفَ لَمَّا قَتَلَ مِنْ قَبْضَةِ الْيَهُودِ مَعَ أَرْضِ الْمِيصَادِ وَبَحَنَ نَوْهَا فِيمَا سَلَفَ إِلَى أَنْ كُتِبَ لِتَوْرَةِ الْخَمْسَةِ الْأُولَى. أَيُّ كُتِبَ مُوسَى تَصَمَّنَتْ الْقَانُونِ لِأَسَاسٍ. عَهْدٌ لِإِلَهِهِ لِتَقْدِيمِ مَعَ اسْتُعْبَ الْيَهُودِيِّ. لَقَدْ كَانَ مُوسَى أَلَمَعَ شَخْصِيَّةً فِي تَارِيخِ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ، وَوَاحِدًا مِنْ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الْبِشِيرَةِ الْيَسُيُودِ الْكَسَّارِ الَّذِينَ يَنْتَمُونَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا.

الفصل الثالث

داود و سليمان

حلال ست سنوات نجح الإسرائيليون في الاستيلاء على أرض الكنعانيين وكان يشوع بن نون هو قائد قواتهم خلالها فوزعت الأرض على قبائل إسرائيل الاثنتي عشرة ولكن عاليماً ما وقع الإسرائيليون تحت سيطرة أعدائهم، لأنهم لم يلتزموا بمعهدهم مع الإله ولكن أطوار الهزائم واليهودية كانت بمقبيها أطوار أقصبل تتحسن فيها أحوال ليهود عندما يحكمهم حكم منهم وكان عهدا داود وسليمان من أكثر حق تاريخ ليهود سطوعاً وقبل ذلك برز من أوساط هؤلاء أربعة عشر قدسياً، حكموا الشعب اليهودي في أرملة مختلفة، وكان هؤلاء قادة عسكريين وحكاماً في الآن عبه ومن أشهر هؤلاء القصة:

- جددون - اشتهر بأنه حصص ايهود من أعدائهم المدينيين الذين ضطهسهم سبع سنوات.

شمشون، اشتهر بقوة الجسنة الخارقة حارب الفلسطينيين بأسرة الأولى. ومعروف أنه هب مع كثره من أعدائه تحت أنصص المعد

- صموئيل، هو أحر القصة لأربعة عشر وعندما بلغ صموئيل سن الفتوة قادته والدته إلى السكينة وسلمته إلى كبير الكهنة إيليا لكي يحرم الإله وكان إيليا هذا الكاهن الأكبر وقاصي في أوق عينه وبعد أن تولى إيليا حله صموئيل قاصداً كما كان صموئيل نى لإله لوحد إذ أقنع اليهود بترك عبادة الأوثان والالتزام بوصايا الشريعة وفي تلك الحمة تحرر اليهود من سلطة الفلسطينيين لقد قاد صموئيل اشعب أربعين عاماً، ثم مسح شاول ملكاً

لقد كان شاول يسمى إلى قيمة نيامس. وخلال السنوات الأولى من حكمه حقق شاول انتصارات متتالية على الأعداء، فأحببه الشعب. ولعنه ما لبث أن تحول إلى متعطرس فتشأ الصراع بينه وبين النبي صموئيل وأخذ هذا يبحث عن مخرج من الحالة التي نشأت ومرة قبل الرب له إلى متى سيطول حرك على شاول؟ امص إلى مدة ست بحم، فقد وجدت لك

ملكاً هناك بين أبناء يسنى» فقام شاول ومضى إلى هناك حيث مسح داود ملكاً. وداود هو بن يسنى من قبيلة يهوذا.

ولما كان شاول يعانى من الكآبة دوماً، فقد أشاروا عليه بأن يستدعي داود ليرؤخ عنه بعزفه العيب على المزمار. ولم يكن شاول على علم بمسح داود ملكاً

لقد كان داود شاباً مقداماً. ففي الحرب مع الفلسطينيين انتمصر على فرسهم العملاق جيباب، فحمله شاول أحد قادة قواته ولكن شاول ما لبث أن بات يفار من داود الذي حقق معجداً كبيراً، وبحاف منه على عرشه فحرم على قتله، لكن داود نجح في تنواري عن أنظار اسك ونعم موب شاول صار داود الملك لليهودي الثاني وقد كان عهده هو العهد الذهبي للدولة اليهودية. لقد كان داود أحصل الملوك الإسرائئليين، فهو من جعل أورشليم عاصمه الدولة بعد أن أسولى عيها (من أصحابها لبيوسيين م.) وبس قيها سكييا جديدة بن إليها تابوت العهد.

ولم يكن داود عرافاً ماهراً على الرمان وحسب، إنما كان شاعراً أيضاً، ومن المعروف أنه ألف أشهد للصلاة. ولذلك لقب بمنشد المزامير ولا تزال مزاميره تُرثل في الكنائس حتى يوم هذا فمن هذه المير يتألف كثير من صوات المسيحيين.

لقد دام حكم داود أربعين عاماً، ثم مسح ابنه سليمان ملكاً من بعده، وأوصاه أن يبني في أورشليم معبداً

لقد دخل سليمان التاريخ اليهودي (ليس تاريخ اليهود فقط)، كحاكم ملك - فيلسوف وليس عبثاً أن ربطوا ملكه بلقائه مع الإله (في الحلم) وفي السماء طلب سليمان من الإله أن يهبه النصيره لحكم الشعب فأحابه الإله قائلاً: «لأنك لم تطلب مني حياة مديدة، ولا ثروة طائلة، ولا انتمصر على الأعداء، إنما طلبت النصيره لكي تحكم الشعب، فإني أعطيك حكمة لم تكن لأحد مثلب ولكن تكور. وما لم تطلبه سوف أعطيه لك. اشروة والمجد. أما إذا حققت وصاياي فإني سأمنحك حياة مديدة أيضاً»

بدأ سليمان بناء المعبد على جبل المريا، حيث طلب الاله من إبراهيم أن يقيم به لمحق ذبيحه. واستغرق بناؤه أكثر من سبع سنوت واشتغل فيه نحو ١٨٥ ألف عامس ومن حيث محيطه بانه كان لعبد يحاكي السكيتيا التي بناها موسى، لكنه كان أكبر منها وكف السكيتيا كذلك المعبد كان يتألف من ثلاثة أقسام: المذبح، و الهيكل، و قدس الأقدس من لقد جاء معبد سليمان بناء ندعاً، إذ جرى تلهيم حذرايه من اخراج

بحجر المرمر الأبيض، وملئت من الداخل بالذهب ومن الذهب أيضاً صنعت الأشياء التي تستخدم لتأدية طقوس العبادة وما يحذر ذكره أن شؤون الدولة اليهودية سارت في عهد سليمان على أفضل وجه لقد تحولت إلى دولة واسعة الثراء وجاء بناء المعبد انعكاساً لذلك الثراء. فكانت بماده ٢٠ متراً طويلاً، و ١٠,٥٤ المتر عرضاً ولكن موقعه على الضفة التي دُعيت بكتل حجرية عمودية مصقولة، حمله يبدو عظيم الحجم كأنه يعانق السماء

حكم سليمان أربعين عاماً تميز حكمه خلالها بالحكمة والبر. فذاع صيته حتى تجاوز حدود إسرائيل. وقد روت لقورا قصة ملكة سبأ التي جاءت تخضع حكمه سليمان بالغازها. وإذا أيقنت بحكمة سليمان قالت «مبارك الرب إلهك الذي بارك جنوسك على عرش الإسرائيليين» وكانت ملكة سبأ تحكم زمنش على شعب كان يعيش في أثيوبيا لقد كانت دولة السيثيين دولة غنية، تتاجر مع صومر، والهند، وبلاد ن عربي آسيا كلها بـلعطور، وابسوم، واللبان، واسحور، والذهب، والأحجار الكريمة ويروي القرآن في سورة ٢٧. إن ملكة سبأ ما دخلت قصر سليمان رفعت رداءها كي لا يبتذل، لأنها ظنّت أرض القصر حوصاً مائياً وورد في إنجيل متى أن «الملكة الجنوبية» جاءت «من أطراف الأرض لتسمع حكمه سليمان» (متى ١٢: ٤٢) والحقيقة أن سليمان بدوره أقر حكمه الملكة، وتغنى بجمال أنوثتها. ويهتت الملكة لطريقه التي كان يحق سليمان بها حكمته في الحياة اليومية. في تضييق فناء دولته فقد قسم البلاد إلى أقسام إدارية ثم بكن نطاق مع لنفسيمات العقلية الأمر الذي حدّ من فرص تنظيم المزارع وأنشأ شبكة من المؤسسات الإدارية التي ماتحت لسلطة العليا أن تدير الدولة بمعالية ومرونة. لقد استكر سليمان تر تبة أقامها في قصره كما في المجتمع بدءاً من الكتبة حتى التجار، ومن الجنود حتى قادة الجيش

ولم تتجل حكمه سليمان في سياسته الدّ حية فقط، بل في سياسته الخارجية أيضاً فقد قام علاقات دبلوماسية معبدة لبلاد وحافظ عليها مع مختلف الأراضي وأندول، حتى البعيدة منها وتحوّلت هذه إلى صلات ثقافية وتجارية معقدة. فمواقع دبلوماسية تروّج سليمان ابنة فرعون مصر وبني لها قصراً بديعاً.

ولكن تحقيق علاقات دولية تصلب تطوير وسائل الاتصال وقد أرسله سليمان هد في أسطولاً تحارباً بحرت سفنه إلى شواطئ دك أن بعيدة. وهكذا حول لشعب إيهودي البدوي إلى شعب ركب البحار وليست بدايات سليمان هذه معروفة إلا قليلاً فما اشتهر عنه

هو أمثاله، وحكمته، وبساطته الفلسفية لقد مرّ زمن طويل على عصر موسى، وتغيّر العالم نفسه، وكان يجب أن تتغيّر الأخلاق أيضاً. فحسب شريعة موسى «أحب قريستك حكمستك» أما سليمان فقد ذهب إلى أبعد من هذا، إذ قال:

(إِنْ جَاعَ عَمُوكَ فَأَطِيعْهُ خُبْرًا وَإِنْ عَطَشَ فَأَسْقِهِ مَاءً)

(أمثال ٢٥ - ٢١)

وسوف ينصرف ألم عدم آخر: فيقول يسوع المسيح «أحبب عموك» وهكذا كان لإنسان يطوّر الرحمة في نفسه خطوة خطوة ويدرك عبثية العدوان ويتناحى المهلكة كما ورت سليمان عن والده داود موهبة الشعر وهو ما سأل عليه «نشيد إنشاده» أسى استلهمه كثير من الشعراء، ولم يقدح حماسته حتى بعد مصي أكثر من ثلاثة آلاف عام على إنشائه: إنه الشعر الحميمي الذي عدّى غنائيات الحب على مدى اقرون.

وقله هم الذين يعرفون أن سليمان لم يكن شاعراً وفيلسوفاً وحسب، بل وضع مؤلفات في علوم الطبيعة، والنداءة وفلسفة سليمان معروفة لجميعهم. «باطل الأباطيل كل شيء» دأبل وبينك الروح» هذا ما شانه سليمان في سمر الجامعة وينبغي على كل امرء أن يقرّ جوهره الوعي الإنساني هذه لغزى الحياة ومكاداة الإنسان. الحكمة لا تشيح ولا يؤثّر فيها عامل الزمن وهي في الآن عينه بسيطة دائماً

لقد كتب سليمان يقول

﴿وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِلسُّؤَالِ وَالتَّفْتِيهِ بِالْحِكْمَةِ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ نُحْتُ لَسْأَلَابِ هُوَ عَنَاءُ رِيَّةٍ جَعَنَ لَلَّ لِبْنِي الْبَشَرِ لِيَعْنُوا فِيهِ. ﴿رَأَيْتُ كَسَ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلْتُ تَحْتَ الشَّمْسِ فَإِذْ الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَيْضُ الرِّيحِ ﴿الْأَعْوَجُ لَا يُعْكِسُ أَنْ يُقَرِّمَ وَالنَّقْصُ لَا يُعْكِسُ أَنْ يُجَبِّرَ. ﴿أَنَا دَجَنْتُ قَلْبِي قَائِلًا مَا أَنَا قَدْ عَظُمْتُ وَازْدَدْتُ حِكْمَةً أَكْثَرَ مِنْ كَسَ مَنْ كَانَ قَبْلِي عَلَى أُورُشَلِيمَ وَقَدْ رَأَى قَلْبِي كَثِيرًا مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ ﴿وَرَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ وَالْجَهْلِ صَعِقْتُ أَنْ هَذَا أَيْضًا قَيْضُ الرِّيحِ ﴿لَأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ أُنَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْمًا يَزِيدُ حُزْنَ﴾

(الجامعة ١ - ١٨)

﴿مَعْظَمْتُ عَمَلِي، بَنَيْتُ بِنَفْسِي بُيُوتًا عَرَسْتُ بِنَفْسِي كُرُومًا. ﴿صَوَّلْتُ لِنَفْسِي جَنَاتٍ وَقَرَّايِمْنَ وَغَرَسْتُ فِيهَا أَشْجَارًا مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ثَمَرٍ. ﴿صَوَّلْتُ لِنَفْسِي

يَرْكُ مِيَاهُ يَسْتَقِي بِهَا اسْفَارِسُ الْمُنْبَةُ الشَّجَرُ. ﴿قَبِيْتُ عَيْدًا وَجُورِي وَكَانَ لِي
وَلَدَانِ الْيَتِيمَ وَكَدَيْتُ لِي أَيْمًا قَتِيَّةً بَقَرٍ وَهَنْمِ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ التَّوْبَى كَانُوا فِي
أُورُشَلِيمَ قَتِيلِي. ﴿جَمَنْتُ لِنَفْسِي أَيْمًا فِصَّةً وَذَهَبًا وَخَصْمِيَّاتِ لُمُوكِ وَالْبُكَدَانِ
أَتَخَذْتُ لِنَفْسِي مُتَغَيِّبِينَ وَمُتَغَيِّبَاتٍ وَتَعَمَّاتٍ بَنِي الْبَشَرِ سَيِّدَةً وَسَيِّدَاتٍ. ﴿حَفِظْتُ
وَأَزْدَدْتُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا قَتِيلِي فِي أُورُشَلِيمَ وَبَنَيْتُ أَيْمًا جَنْبِي
مَعِي. ﴿وَمِنْهُمَا اسْتَقْبَلْتُ عِيَامِي نَمَ أَسْرِكُهُ عَنْهُمَا لَمْ أَمْنَعْ قَتِيلِي مِنْ كُلِّ فَرْحٍ لَأَنْ
قَتَلْتِي فَرْحَ بِكُلِّ تَعْمِي وَهَذَا كَانَ تَعْمِي بِي مِنْ كُلِّ تَعْمِي. ﴿ثُمَّ التَّقْتُ أَنَا إِيَّكَ
أَعْدِلِي الْبِي عَمَلْتُهَا يَدَايَ وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعَبْتُهُ فِي عَمَلِهِ فَلَبَّاءُ الْكَسِ بَاطِلُ
وَقَبْشُ الرِّيحِ وَلَا مَنَفْعَةُ تَحْتَ الشَّمْسِ﴾

(جمعة ٢ : ٤-١١)

وحلم سليمان مما قاله هـا إلى النتيجة الآتية. ينبغي على المرء أن يحارب ضد سر
الشباب شرائع الإله ووصاياه، ويبدع كرها ويفسدها وإد ما استعملنا مصطلحاتنا لمعاصرة
نقول: يجب على الإنسان أن يعيش وفق قوانين الكون قوانين الطبيعة ويجب أن يتوافق حقله
الحيوي. نظامه الإعلامي بواقفا تماما مع الحقل الإعلامي الواحد للكون كله.
لمد كتب سليمان يقول:

﴿مَازَكُرُ خَالِقِكَ فِي أَيَّامِ خَيَالِكَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ اسْتِرْ أَوْ تَحْيِي السَّيِّئِينَ إِذْ
تَقُولُ. لَيْسَ لِي فِيهِ سُرُورٌ. ﴿قَبْلَ مَا ظَلَمَ الشَّمْسُ وَلُتُورُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ وَتَرْجِعُ
السَّحَابُ بَعْدَ الْمَطَرِ ﴿فِي يَوْمٍ يَتَزَعَزَعُ فِيهِ حَفْظَةُ الْبَيْتِ وَتُطْلَوِي رِجَالُ الْقُوَّةِ وَتُطْلُ
الطَّوَارِخُ لِأَنَّهَا قَلَّتْ وَتُظَلَّمُ الدُّوَابُّ مِنْ اسْتِثَابِيكِ. ﴿وَتَحْلِسُ الْأَيْوَابُ فِي لِسُونِ
حِينَ يَنْخَفِضُ صَوْتُ الْمَطْحَنَةِ وَيَقُومُ لَصُوتِ الْعَصْفُورِ وَتُحْطِ كَسَ بَنَابِ الْغَنَاءِ
﴿وَأَيْضًا يَخْفُونَ مِنَ النَّالِي وَفِي الطَّرِيقِ أَسْوَالُ وَالسُّورُ يُزْهِرُ وَالْجَنْسُ يَسْتَقْبَلُ
وَالشَّهْوَةُ تَبْطُلُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ تَاهَبَ إِلَى مَبِيتِهِ الْأَبَدِيِّ وَالنَّادِبُونَ يَطُوفُونَ فِي لِسُونِ
﴿قَبْلَ مَا يَنْصَبُّ حَبْلُ الْفَضَّةِ أَوْ يَنْصَحِقُ كُورُ الْخَصْبِ أَوْ تُكْسِرُ أَنْجَرُهُ عَلَى الْعَيْنِ أَوْ
تَتَعَمَّقُ الْبُكَرَةُ عِنْدَ الْبَيْتِ. ﴿فَيَرْجِعُ الشَّرَابُ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا كَانَ وَتَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى
الَّذِي أُعْطَاهَا. ﴿بَاطِلُ الْأَبَاطِيلِ قَاتِ الْجَايِفَةُ الْكُلُّ بَاطِلٌ﴾

(الجامعة ١٢ : ٨-١)

ويقول سليمان في النهاية

﴿تَلْمِذُنْ خَتَامَ لِأَمْرِ كُلِّهِ أَتَى اللَّهَ وَاحْفَظَ وَصَايَاهُ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ
كُلُّهُ. لِأَنَّ اللَّهَ يُخَصِّرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى التَّيْمُونَةِ عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ
شَرًّا﴾

(الجامعة ١٢ ، ١٣-١٤)

إن كل شيء هنا صحيح ما عدا كلمة «أحشته» إذ يجب أن تستبدل بها كلمة
«أحب» ، وهو ما فعله يسوع المسيح

الفصل الرابع

يهودا و إسرائيل

بعد سليمان استوى على العرش ابنه رحبعام. وقد ورث هذا عن والده بولة قوة وغبية ولكن لم يرث منه حكمة رجل الدولة فحكم بالقسوة ولفس. ثم قال رحبعام لشعبه: «إذا كان أبي سليمان قد وضع السير على أعناقكم، فإني أصاعمه وإذا مكان هو قد عاشكم بالسوط، فإني سوف أعاقبكم بالعقارب» (كماست هذه هي تسمية السياط التي تحمل صمولاب معدنية). ولذلك كن من الطبيعي أن يتور صدع الجرح الأعظم من المملكة فلم يبق تحب سبطته من القبائل الاثنتي عشرة سوى قبيلتين فقط. أما القبائل العشر الأخرى فقد احتازت بربعام ملكها عليها، ويربعام هذا ينتمي إلى قبيلة أفرام. وجعل يربعام مدينة السامرة عاصمة للدولة الجديدة، التي باتت تسمى إسرائيل أما قبيلتا يهوذا وبنيامين فقد أسستا دولة يهوذا. وبات مواطنو هذه بولة يدعون يهوداً ولحقى لا يرور مواطنو دولته محسد أورشليم، أقام يربعام ملك إسرائيل، عشرين ذهبيين للعبادة في مدنتي مملكته وقال لرعبياه: «لا حاجة لكم في الذهاب إلى أورشليم فهاهما. لهما كما اللدن أحر حاكمنا من مصر» وهكذا بات الإسرائيليون يسجدون للأوثان

لقد عاشت دولتا الشعب الإسرائيلي منفصلتين على مدى قرنين ونصف انقروا و لحقيقة إن ذلك لم يكن مجرد فصلال وحسب، إنما حالة عدااء وهذا ما أصعب الدولتين و أدى في نهاية الأمر إلى سقوطهما تحت ضربات حيرانهما الأقوياء

فدولة سرائيل عاشت ٢٥٧ عاماً، ثم استولى عليها الملك الآشوري سمبصر، وسحق أعداداً كبيرة من سكانها أسرى إلى بلادهم ونقل من مملكته جماعات وثنية سكنها في الأراضي التي كانت تقوم عليها مملكة سرائيل. وتخلط هؤلاء الواهدين الحد مع ما بقي من الإسرائيلييين وشكلوا شعباً بات يدعى بالسامريين (سنة إلى مدينة السامرة)

وبعد سقوط مملكة إسرائيل عاشت مملكة يهوذا نحو مائة عام أخرى ولكن حطر الاستيلاء عليها كان مائلاً سعيان. وكان النبي أرميا أوكل من أحس بذلك، وحاول جاهداً تأخير وقوع الحدث. لقد كان أرميا ثاني أنبياء العهد القديم الكبار. واحداً من

أكثر رجالاً (منه ثقافة)، كما كان سياسياً ذا دراك عميق ودهيق. وكانت نعمة التنبؤ قد جده منذ أن كان في سنّ اشدّ، ولذلك كان أصغر الأنبياء سنّاً وفي الآونة الأولى عانى أرميا من هذه الحالة ولكن الطبيعة أعمت عليه بصوت راعد جبار، وعينين ناريتين، وحديث حماسي جذاب فما يكاد الناس يسمعون حتى يقيموا كمن وقع تحت تأثير التتويم المغناطيسي لقد كان أرميا يحذر كل يوم من خطر السبي السابلي.

﴿قَدْ صَدَّ الْأَسَدُ مِنْ غَايَتِهِ وَزَحَفَ مُهْلِكُ الْأُمَمِ خَرَجَ مِنْ مَكَابِهِ يَجْمَلُ
أَرْضَكَ خُرْباً تُحْرَبُ مُدُنُكَ فَلَا سَاكِينَ﴾

(أرميا ٤ ٧)

﴿هُؤُلَاءِ كَسَّاحِي يَصْعَدُ وَكَرَوَيْعَةُ مَرْكَبَاتِهِ أَسْرَعُ مِنَ الْقُسُورِ خَيْبُهُ، وَيَلُكُّ لَبًا
لَاثِمًا قَدْ أُخْرِجْنَا ۖ فَيَسْلِي بِنَ الشَّرِّ قَتْلِكَ يَا أُورُشَلِيمُ تَخْلُصِي إِلَى مَتْنَى ثِيَابٍ
فِي وَسْطِكَ أَفْكَارُكَ الْبَاطِلَةُ ۖ ۞ لِأَنَّ صَوْتًا يُخْبِرُ مِنْ تَانٍ وَيُنْمِعُ بِبَيْتَةٍ بَيْنَ جَبَلٍ
أَرَامٍ ۖ ۞ تُذَكِّرُوا لِلْأُمَمِ الظُّلُومِ اسْمِعُوا عَلَى أُورُشَلِيمِ الْمُحَاصِرُونَ أَتَوْنُ مِنْ
أَرْضٍ بَيِّدَةٍ فَيَطْفِقُونَ عَلَى مَدِينٍ يَهُؤُلَاءِ صَوْتُهُمْ﴾

(أرميا ٤ ١٣-١٦)

﴿سَطَرْتَ إِيَّيَ الْأَرْضِ وَإِذَا هِيَ خَرِبَةٌ وَخَايِبَةٌ وَإِلَى السَّمَاوَاتِ فَلَا نُورَ نَهَارٍ﴾

(أرميا ٤ ٢٣)

﴿بَيْنَ صَوْتِ الْفَارِسِ وَرَأْيِي انْقَرَسَ كُلُّ لَمَدِيَّةٍ هَارِبَةٍ تَخْلُوْا أَسْجَادَ بَاطِلٍ وَصَعِدُوا
عَلَى الصُّخُورِ كَمِ الْمَدِينِ مَمْرُوكَةٍ وَلَا إِنْسَانٌ سَاكِنٌ فِيهَا ۖ﴾

(أرميا ٤ ٢٩)

ولما ألقى أرميا خطبته الشهيرة في المعبد ووجه فيها اسفادات لادعة بسبوحديصّر، حكم عليه الكهنة بالموت. ولم يسع من التملّ إلا بفصل تدخل عدد من الشخصيات المنتفذة لئلا يمنع من إلقاء المواعظ. وقد جملة هذا التحريم يكتب مواعظه بمسحه كما يكتبه أنصاره أنصاً، وهذا ما ساعد على بقاءها للأجيال. ولم يكتب تلميذه النبي ياروح بأن كتب كل ما قاله أرميا من كان يلقي هذا كله أمام الناس.

لقد فعل أرميا وسعه ليعط خطبته ملك اليهودية مديقيا الذي وقف صد دمل ورأى فيها خطباً جنوبية فالخطبة كانت تقوم في التحالف مع مصر لتعادي عبودية بؤخذنصر

وَأُتِنَتْ الْأَحْدَاثُ أَنْ أَرْمِيَا مَكْدُونًا عَلَى حَقٍّ فَسَرَعَانِ مَا مَنَى الْفِرْعَوْنُ بِالْمِصْرِيِّ بِالْهَرَمَةِ، وَوَقَعَتْ الْيَهُودِيَّةُ فِي تَيْمَنَةِ بَابِلَ.

وَفِي بَادِيٍّ لِأَمْرٍ أَحْصَعَ الْمَلِكُ أَبِيبِلِي لِسُلْطَانِهِ مَلِكَ الْيَهُودِيَّةِ، لِكَيْ يَهْدِمَ الْمَلَادَ وَلِيَكُنَّ الْيَهُودُ أَهْلَهُ الْعَصِيانَ، فَجُرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عِبُودِيَّةً بَابِلِيَّةً طَالَ أَمْدُهَا وَدُمِّرَتْ أَوْرُشَلِيمُ وَنَهَبَتْ، كَمَا دُمِّرَ مَعْبِدُ سُلَيْمَانَ وَاحْرَقَ. وَهَلَكَ مَعَهُ تَابُوتُ الْعَهْدِ وَفِي الْعَامِ ٥٨٩ ق.م سَبَقَ شَعْبُ الْيَهُودِيَّةِ أَسِيرًا إِلَى بَابِلَ وَبِمِيقَاتِهَا الْأَرْضَ إِلَّا لِمَقَرَّةٍ لِعَدَمِمْ لِيُخْدَمُوا الْأَعْمَالُ الزَّرَاعِيَّةَ وَكَرُومَ الْعِنَبِ وَيَقِيَّ مَعَهُمُ النَّبِيُّ أَرْمِيَا الَّذِي دَعَا شَعْبَهُ قَبْلَ الْإِنْتِمَاضَةِ إِلَى عَدَمِ الْعَصِيانِ لِأَنَّ فِيهِ دِمَارَ الْبِلَادِ، وَالشَّعْبَ، وَأَوْرُشَلِيمَ، وَلِشُعْبَةِ لِبَابِلَ

لَقَدْ اشتهر كثيرٌ مراني أرميا على أطلال أورشليم المهتمة

﴿شَيْخُ بَيْتِ صِهْيُونِ يَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرْضِ سَاكِبِينَ يَرْقُمُونَ الْقُرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ يَتَحَنَّنُونَ بِالْمَسُوحِ تَحَنِّيَ عَذَارَى أَوْرُشَلِيمَ رُؤُوسَهُنَّ إِلَى الْأَرْضِ ۖ كَيْفَ مِنْ لَدُنَّ عَيْنَيَّ ۚ غَسَتْ أَخْشَابِي ۖ اسْكَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ كَيْدِي عَلَى سَحْقٍ بَيْتِ شَعْبِي لِأَجْلِ غَشْيَانِ الْأَطْفَالِ وَالرُّضْعِ فِي سَاحَاتِ الْقَرْيَةِ ۖ يَقُولُونَ بِالْمُهَابَةِ ۖ لَيْسَ الْخِشْيَةُ وَأَحْمَرُ؟ ۖ إِذْ يُغْشَى عَلَيْهِمْ كَجَرِيحٍ فِي سَاحَاتِ أُمِّيَّةٍ إِذْ تُسْكَبُ نَفْسُهُمْ فِي أَحْضَانِ أُمَمَاتِهِمْ ۖ يَمْنَا أَتَذْكُرُ يَمْنَا أَحْذَرُكَ؟ يَمْنَا أَتُنْبِئُكَ يَا ابْنَةَ أَوْرُشَلِيمَ؟ يَمْنَا أَفَأَسْكُ أَفَأَعْرَضْتَ عَنِّي أَيْتُهَا الْعَذْرَاءُ بَيْتِ صِهْيُونِ؟ ۖ لَأَنْ سَحَقَكَ فَطَيَّمُ كَاتِبِي ۖ مَنْ تَشْفِيكَ؟ ۖ أَتَشْفِيَاؤُكَ رَأَوْا لَكَ كَذِبًا وَتَبَاطُلًا وَلَمْ يُنْشِئُوا لِقَمِكَ لِيَرْتُوا سَنِيكَ بَلْ رَأَوْا لَكَ وَخِيًّا كَاذِبًا وَطَوَائِحَ ۖ يُصَفِّقُ عَلَيْكَ بِالْأَيْدِي كَسَ عَابِرِي لَطْرِيقٍ يَصْعِقُونَ وَيَتَحَنَّنُونَ رُؤُوسُهُمْ عَلَى بَيْتِ أَوْرُشَلِيمَ قَائِلِينَ أَهْلُهُ هِيَ لِمَدِينَةٍ لَتِي يَقُولُونَ إِنَّهَا كَمَا لَ الْجَمَالِ نَهَجَتْ كُلُّ الْأَرْضِ؟ ۖ يَفْتَحُ عَلَيْكَ أَقْوَاهُمْ كَسَ أَهْدَانِكَ يَصْفَرُونَ وَيَحْرَقُونَ الْأَشْجَانَ يَقُولُونَ هَذَا أَهْلُكَ هَذَا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي رَجَوْتَاهُ ۖ قَدْ وَجَدْتَاهُ ۖ قَدْ رَأَيْتَاهُ ۖ قَوْلُ الرَّبِّ نَ قَصْدٌ ۖ ثُمَّ قَوْلُهُ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ قَدْ أَتَى الْيَوْمَ قَدْ هَمَمَ وَلَمْ يُشْفِقْ وَأَشْفَقَ عَلَيْكَ أَعْمُو نَصَبَ صِرْنٍ أَهْدَانِكَ ۖ صَارَ قَلْبُهُمْ إِلَى لَسِيدٍ يَا سَوْرُ بَيْتِ صِهْيُونِ اسْكُبِي الدَّمَ كَثِيرًا تَهْلَا وَتَبْلَا ۖ لَا تُعْطِي ذَاتَكَ رَاحَةً ۖ لَا تَكْفُ حَذَقَهُ عَيْنُكَ ۖ قَوْلِي أَهْمِي فِي الْيَمِينِ فِي أَوَّلِ الْهَرَمِ اسْكُبِي كَهَيَاةٍ قَلْبُكَ قُبْدَةً وَجْهَ الْمَسِيَّةِ أَوْفَعِي إِلَيْهِ بِهَيْبَةٍ لِأَجْلِ نَفْسِ

أُطْلِكَ الْفَتْيَى عَلَيْهِمْ وَنَ لُجُوعٍ فِي رَأْسِ كَدٍ شَارِعٍ ۖ نَظَرُهَا رَبُّ وَتَطْمَعُ يَمَنُ
 فَعَلَتْ هَكَذَا. اناك النساءُ تُرْهَرُ أَطْفَالُ الْخَصَائَةِ؟ أَيْقُنْتُ فِي مَعْبَسِ السَّيِّدِ الْكَاهِنِ
 وَالنَّبِيِّ ۖ ۝ اهُطَجَجْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي لَشَوَارِعِ الْمَصْبِيَانِ وَاسْتَوَيْتُ. غَدَارَايَ
 وَشَتَاتِي سَمَعُوا بِالسَّيْفِ. قَدْ قَتَلْتُ فِي يَوْمِ غَضَبِكَ نَيْحَتَ وَلَمْ تُشْفِقْ.﴾

(مراثي أرميا ٢ : ١٠-٢١)

وفي مصر أنهى أرميا حياته، إذ حمله إرهابيون إلى هناك عسوة في عداد مجموعة
 المُرْهَاقَاتِ وكان هؤلاء قد قتلوا حاكمهم ماسيف وفرُّوا إلى مصر ومن مصر أرسل أرميا
 رسالته إلى الأسرى اليهود في بابل، شجَّعهم فيها على الصَّبْرِ وَتَقِيَّةً بِقَرَبِ الْعُودَةِ لقد كتب
 النُّبَيَّ إلى أبناء قومه في بابل يُوَكِّدُ لَهُمْ، إِنَّ الْأَسْرَ لِبَابِلِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَمِرَّ أَكْثَرُ مِنْ
 سَبْعِينَ عَامًا ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ عَلَى حَقٍّ. فبعد سبعين عاماً أُطْلِقَ ليهود إلى ديارهم أمَّا
 أرميا فقد قُتِلَ أَيْهَودٍ فِي مِصْرَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَهْدِنِ فِي انْتِقَادِهِمْ، وَأَتَمَّهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَى الْمَانُونِ
 وَتَرَكَّ عِبَادَةَ الْإِلَهِ

وهناك من معاصري النبي أرميا، النبي حزقيال، وهو واحد من أربعة أنبياء كبار
 عرفهم صور الأسر لبابلي. ومن الصعب جداً أَنْ تَخَيَّلَ حَيَاةَ الْيَهُودِ فِي بَابِلٍ مِنْ عَيْرِ النَّبِيِّ
 حَرْقِيَالٍ. كَمَا يَصْعَبُ أَنْ تَخَيَّلَ كِتَابَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِغَيْرِ سَوَادِهِ وَيَسْمِي حَرْقِيَالٍ أَصْلًا إِلَى
 يَهُودِ الْأَسْرِ الْبَابِلِيِّ. وَقَدْ جَاءَهُ الْمَوْهَبَةُ الْإِلَهِيَّةُ فَجَاءَهُ، إِذْ أَحْمَرُ بِالْإِلَهَامِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هَزُّ كَبِيرِهِ،
 وَبَدَّلَ وَجُودَهُ، وَدَفَعَ بِرُوحِهِ نَحْوَ الرَّبِّ الْإِلَهِ وَكَانَ حَرْقِيَالٌ بِطَبِيعَتِهِ إِنْسَانٌ شَاعِرٌ، انْشَاعِلٌ
 وَمَتَّحِمٌ لِلْعَانَةِ هَمِّي لِحَفَظَاتِ رُزَاءٍ عَالِيًا مَا كَانَ يَفْعُ فِي بَوَابِتِ مِنَ الدَّهْوَلِ وَأَحْيَانًا مَا كَانَ
 يَعْبَى بَوَابِتِ تَشْبِهَ بَوَابِتِ الصَّرْعِ وَسَوْهَ فِي السِّيَاقِ إِلَى أَنَّ حَرْقِيَالٍ كَانَ فِي سَبِيلِهِ حَرَامًا لِأَرْمِيَا
 وَحَلَاظًا لِأَرْمِيَا لَمْ يَلَقِ حَرْقِيَالٌ خَطِيئَةً عُلْيَةً، بَلْ أَدَارَ نَقْدَشَاتٍ هَادِئَةٍ كَانَتْ يَهْرُ كَيَاكِ مَحْبُتُهُ
 لَقَدْ كَانَ حَرْقِيَالٌ سَيِّئًا - كَاتِبًا صَعِبَ أَحَادِيثُهُ كُلِّهَا

فما الذي شَبَّ بِهِ حَرْقِيَالٌ؟ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ اِجْتِمَاعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ كُلِّهِ مَسْتَقْبَلًا
 أَيْحَبُ أَنْ نَبَايَغُ فِي تَقْوِيمِ الدُّورِ الَّذِي يُوَدِّيهِ الْأَمَلُ فِي حَيَاةِ الْأَسْرَى؟ لِمَ كَانَتْ رُؤْيُ حَرْقِيَالٍ
 مَعْرِقَةً فِي رَمْرِئِهَا وَإِذَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ الْآخَرُونَ قَدْ سَمِعُوا اصْوَاتَ الْإِلَهِ فِي حَالِ الْأَحْيَانِ، فَإِنَّ
 حَرْقِيَالٍ كَانَ هَرَى فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ مَا تَحْتَوِيهِ النُّبُوءَةُ وَهَنَكَ كَثُرَ مِنْ سَوَادِ حَرْقِيَالٍ لَمْ
 يُتَّفَقْ عَلَى تَأْوِيلِهِ حَتَّى الْآنَ وَلَعَلَّ لَأَكْثَرِهَا مَفْرَى وَاصْغَا وَكَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ حَيْرَتَيْنِ
 سِيَهُودِ بَابِلٍ وَجُودِهِمْ فِي الْأَسْرِ الْبَابِلِيِّ.

وأهم رؤيا من رؤى حرقياي، هي رؤياه عن العظام الحقة المبعثرة في أرجاء لأرض فقد
كان مقدرًا لها أن يبيت وتلحم وتشك من ذاتها السمت الحي المعافى ويُقرأ بصُ هذه لرؤيا
الشهيرة في يوم السبت لعظيم، في كل الكس اليهودية في العالم

﴿كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأُخْرِجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَتَرَبَّنِي فِي وَسْطِ الْبَقْعَةِ،
وَهِيَ مَلَأَةٌ عِظَامًا. ﴿وَأَمَرَنِي عَلَيْهَا وَنَ حَوْلَهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ
الْبَقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَايسَهُ جِدًّا ﴿فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا فِيهِ الْعِظَامُ؟
فَقُلْتُ: يَا سَيِّدُ الرَّبِّ أَأَنْتَ تَعْلَمُ ﴿فَقَالَ لِي: تَنْبَأُ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا.
أَتَكُنَّ الْعِظَامُ لِيَايسَهُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ ﴿هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ يَهْدُو
الْعِظَامُ. هَكَذَا أَذْخُلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. ﴿وَأَسْمَعُ عَلَيْكُمْ عَمِيًا وَأَكْسِيكُمْ
لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جُنْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ
﴿فَتَنْبَأْتُ كَمَا أَمَرْتُ وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنْبَأُ كُنَ صَوْتُ وَإِذَا زَعْشٌ فَتَقَارَبْتُ الْعِظَامَ
كُلَّ عِظَمٍ إِلَى عَظْمِهِ ﴿وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالنَّصَبِ وَاللَّحْمِ كُنَاهَا، وَبَسِطَ لَجُنْدُ
عَلَيْهَا مِنْ فَوْقَ، وَنَاسَ بِهَا رُوحٌ ﴿فَقَالَ لِي: تَنْبَأُ لِلرُّوحِ، تَنْبَأُ يَا ابْنُ آدَمَ،
وَقُلْ لِلرُّوحِ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيحِ الْآتِيَةِ وَهَبْ عَلَى
هَؤُلَاءِ فَتَحْيَوْنَ ﴿فَتَنْبَأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَخَلَّ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا
عَلَى أَعْدَابِهِمْ جِيئُ عَظْمُهُمْ جِدًّا جِدًّا ﴿ثُمَّ قَالَ لِي: يَا ابْنُ آدَمَ، هَذِهِ الْعِظَامُ
هِيَ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُومُونَ وَيَسْتَعِ عِظَمَتُكَ وَهَلْكَ رَجُوتُكَ قَرِ
انْقَطَعُ﴾

(حرقياي ٣٧ ١١-١٦)

لقد تحقق كثير مما تنبأ حرقياي به. ولكن نشاط حزقيال لم يصر على الشئ فقد
كان هذا رجلاً تقدمياً.

وهذا ما سأل عليه نظريته التي تقول، إن الأتة يحملون وير آثم والديهم وقد يسو أن
هذا لرأي يعارض معطيات الوصايا المعطاة من قبل كلها بيد أن الأمر هكذا، إذا ما أخذنا
بالحسين حرقية الشريعة. أمّا إذا رأينا أن الإنسان هو غاية الشريعة كماله وإسمائته،
فسوف يتضح لنا أن حرقياي سار على هذه الطريق إلى مدى أبعد وهنفسه في هذا السيق
قرنة جداً من فلسفة يسوع المسيح.

(٢١) لَئِنْ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْأَبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْابْنِ. يَرُؤُهُمْ
عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ ۖ فَإِنَّا رَجَعُ الشَّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ لَنَبِي
فَعَلَهُ وَحَفِظَ كُلَّ قَرَأَتِي وَقَعَلَ حَقًّا وَعَذَلًا فَحَيَاةً يَحْيَا. لَا يَمُوتُ.)

(حزقيال ١٨ - ٢٠ - ٢١)

«هذه مسرة أسرى الموت الشرير يقول لسيده الرب: ألا يرجعوه من طريقهم»

فِيهَا ٢١

(حزقيال ١٨ - ٢٣)

وهكذا برمتخت الرحمة، التي تعد حصر الزاوية في تعاليم المسيح، ترسخت أكثر
هناك (ابتداء من إبراهيم، إلى موسى عبر حزقيال)

لقد مات حزقيال مثله مثل أرميا، مقتولاً على يد أحد يهود الأسر البابليين
واضحت سنين الأسر في بابل لكنّ لحرّرين منه كانوا أناساً آخرين فسعون عاماً
من الأسر هبت فعلها، وبشأت أجيال جديدة لا تعرف شيئاً عن وطنها الأول. كما بقي
كثير من اليهود في بابل، إذ حقّق هؤلاء فيها ثروات كبيرة وفقدوا رعبتهم في العودة
ولكنّ في الوقت نفسه كان هناك من حافظ على التقاليد الشعبية وحفظ الوصايا
ولشرائع فقد عاد إلى يهودية من نسل أشان وأريمون ألب يهودي فقط. ومثل هؤلاء
موكباً نائساً، دتمسكوا بعصاة بنماصي الذي رحل إلى الأند. ولم يشاؤوا أن يروا
التغيّرات التي حصلت لقد سعوا لإعادة الشّريح إلى النوراء، فدفعوا الثمن ببطء وكان
الكاهن لعالم عزرا مثلاً سيّئاً في هذا الشأن فعزرا هذا كان سمي إلى سلاله هارون
مباشرة ورأى أنّ مستقبل اليهود كله يرتبط بمدى حفاظهم (والأصحّ باسترجاعهم) على
العبادات كلها، وعلى الإيمان التقليدي وعاد إلى العودة بشكل ما كان معمولاً به في زمن
موسى حتّى أدقّ التفاصيل فحسب رأيه أنّ هذه هي الطريق الوحيدة التي تحفظ لليهود
وجهمهم ويصص علمه خطّي عزرا بمكانة مرموقة في قصر أرتاكشيراكس ولم يعد
عزرا مع الذين عادوا إلى اليهودية، لأنّه كانت تنصه الرعية في ذلك، بل لأنّه رأى أنّ
اليهود الذين بقوا في بابل يحتاجون إليه أكثر. ولكنّ عزرا كان على علم دقيق بكل ما
كان يفعله اليهود العائدين من الأسر فقد علم أنّ بناء المعبد يسير ببطء شديد، وأنّ
الشعب لا يراعي وصايا موسى، فيعقد الزيجات المختلطة، ولا يقيم كبير ورر لعبادة الربّ
الإله لهذا حكه حفاً عزرا إلى أورشليم وقد جاء معه صلاحيات استثنائية منحها له

الإمبراطور الفارسي ارتاكسيراكس نفسه أي إنَّ العالم الشَّيْء عرر جاء . ب اليهوديَّ حاكماً أعلى وبصحيته جماعه ككبيرة من المستوطنين، وكنوز كثيرة للمعبد وهذا في أورشليم رأى عزرا أنَّ النقص ليس في حجارة بناء المعبد فقط، إنّما هناك نقص كبير في الكهنة الذين يجب أن يقوموا على الخدمة الدينيَّة فنَجح في جمع ٢٢ لاًويّاً، واستؤنمت الصلوات التَّقديديَّة في أنحاء البلاد كلها

ولكنَّ مأساة بكسرة خسفت هذا الفرح لدى أكثر أفراد لشَّعبه فقد طالب عزرا بمسخ عقود الرواح من غير اليهود و ليهوديات خلال عام واحد ولم يكن هذا مجرد طلب، بل كان مرأً سديراً عن الحاكم الأعلى. فحلَّت ليلَّة في كل عائلة تقرساً. كما حمل عرر من الدَّولة التي كانت قدومه مديناً في اليهوديَّة، مشاعة طائفيَّة دينيَّة معرولة عن باقي شعوب الإقليم وفبائله. ولم يكن هذا كله من حيث الجوهر سوى فوصويَّة، عوده إلى امور ء قرواً كثرة، الأمر الذي ترك تأثيراً كبيراً على وضع اليهود بين الشُّعوب الأخرى. ولا شك في صحَّة ما جاء في أحد الكتب لقد فرَّق عزرا شعبه عن جيّراه، وصرَّح حدود الدَّولة بالدماء فالشَّعب لا يستطيع أن يعيش معزولاً، إنّهُ يَخْتلق في غطرسنه وكتب ألكسندر مين عن عزرا فقال: «لقد حول هذا القانوني السلعي .سراويل نهائيّاً من أمة إلى ما يشبه الأخوية الدينيَّة. أو اطائفة المعلقة ويُمَدُّ نجاحه هذا واحداً من أكثر الصَّفحات سواداً في تاريخ اليهوديَّة بعد الأسر البابلي»

وهنا بالذَّات يحكم مبدأ النمسار في اليهوديَّة، الذي دعى يسوع المسيح لمحاربهه فقد أوجب الأساس الديني الأحلافي التسليم ي شريعته موسى، شيئاً ما نقيضاً له، مسجاً مشوهُاً حتى الأخلاق البشريَّة الحقيقية، كما خلق الدين الصَّحيح لقد اتخذ شكل شيء صيغه مسوَّهة. وصر حاملو هذا «اللاشيء» وأنصاره شارحين ومؤيدين متحمسين (فريسيين) ولدت لس من قبيل المصدقة أن صارت تسمية عرسي - كتر في زمن يسوع المسيح مرادفة بتسمية يهودي.

لقد عاش اليهود الذين عادوا من الأسر الساطي حوالي المائتي عام تحت سلطة ملوك فارس وبعد أن استولى الإسكندر المقدوني على الإمبراطوريَّة لمارسيَّة وخذ اليهود أنفسهم تحت سلطة الحكَّام الإغريق وكان الإسكندر نفسه قد وفَّر قدسيَّه معبد أورشليم. وقد استطاع القول إنّهُ منح لليهود حمايته ولكنَّ مملكته انصممت بعد موبه بين قتلاء حوشه الأربعة وقد آلت مصر إلى واحد منهم بطليموس، الذي لم يرحم اليهود فسار آلافاً منهم عبيداً إلى مصر

وبكسرُ أبيه بطليموس فيلادلفيا أخذ من يهود وديهم موقفاً طيباً وهو الذي أمر
بترجمه العهد القديم إلى اللغة الإغريقية، التي كانت اللغة الأكثر شيوعاً في ذلك العصر،
وهو ما ساهم بالتالي في انتشار كتاب العهد القديم.
وبعد حوالي مائة عام ألحقت اليهودية بملوك سوريا الإغريق الذين اصطهدوا اليهودية
والمؤمنين بها.

ثم حلَّ أباطرة روما محلَّ الملوك الإغريق حكاماً على اليهود وومع هؤلاء على فلسطين
واحدٌ من أحفاد صيمو، هو أنتيبار حاكماً وبعد أن مات هذه مسموماً عُيِّن ابنه هيرودوس
حاكماً مكانه. وقد دعي هيرودوس هذا بهيرودوس الكبير، وأعلن ملكاً يهودياً لقد أعاد
هيرودوس تجديد معبد وورشيم سعياً منه لكسب ودَّ اليهود واستمالتهم إلى جانبه فلم يكن
المسلم بحكم اليهودية بمصرده، إذ كان هائل يصبُّ لوالى الروماني اممثل لشخصى
للإمبرطور أمَّا الإدارة المحلية فقد بهض بها مجلس مؤلف من كبار الكهنة وشيوخ الشعب،
ودعي هذا المجلس بالمسندريون، لظنه كان تابعاً للوالى الروماني مباشرة وكانت
صلاحيات السيندريون محدودة. فلم يكن من حقّه مثلاً أن ينفذ الحكم بالإعدام إلا بعد
موافقة الوالى الروماني.

بانتظار المخلص

لقد عرف اليهود على امتداد تاريخهم أنقذهم كله كل شيء. الارتداد عن عبادة إلههم والشعول إلى عبادة الأصنام، وسير حيراهم الأقوياء، وما حمله من أسر وعبودية، عدّ ذلك عن الحروب الأهلية وشيئاً هشياً بحق ما وعدهم الربّ إلهه به فيما إذا انتهكوا عهده معهم. وعن هذا قيل «وَأَنْزَلَكُمْ فِيهِ الْأُممَ وَأَجْرَدُ وَأَرْأَكُمْ السَّيْفَ فَتَقْصِرُ أَرْضُكُمْ مُوجِشَةً وَمَدُنُكُمْ تُصِيرُ خَرِبَةً»

(لاويين ٢٦ : ٣٣)

لقد رأت الشخصيات الدينية اليهودية أنّ خلاص الشعب ووحدة يهوذا في ميطيم صلوكة تنظيم صارماً، وتحقيق البرمه بالمهد بل حاول هؤلاء أن يحملوا ضوابط الملوك «كثير صرامة، ومعايير الوعد أكثر ضيقاً». وومعوا لتحقيق حملتهم مزيداً من لوائح أنوصايا والارشادات التي يجب على كل يهودي أن يثقيد بها سقّة ومن يخالف فإن محكمة السينديون بانتظاره لتتزل به أقسى أنواع العقوبات التي قد لا يحظر له على بائ. وكان قد بدأ وضع مثل هذه لإضافات إلى شرائع موسى، منذ زمن الاسر البابلي. فقد حسن الصلحة أيهرّد من الكتاب المقدس معهم وحافظوا عليه بصرية قامة، بل درسوه بمزيد من العمق بحثاً عن الخلاص. وأعادوا هناك نسخ كثير من النصوص وملأوا الأماكن المفقودة منها بما حفظته ذاكرتهم وكان عزرا النبي هو روح ذلك العمل، والنبي عزرا هو مؤلف لسفر التوراتي «أخبار الأيام الأول والثاني»، الذي يعدّ نكمله لأسماء الملوك الأربعة همى هذا السفر كتب النبي عزرا بيد ذلك المطور من تاريخ اليهود الذي عايشه هو نفسه كتب قام بهذا العمل مع عزرا، الكتبيون الآخرون وقد ناع هؤلاء عملهم حتى بعد أن عادوا من الاسر البابلي وحدث نتائج ذلك العمل مذهلة. لقد صاع الكتبيون إضافة إلى شرائع موسى ٦١٢ وصية وقرض ٢٤٨ منها كانت أوامر واجبة، و٣٦٥ منها محرمات. ويهد تكون الشخصيات الدينية اليهودية قد استطاعت تدمج عن الحياة الواقعية، وسعت تحمير حياة اليهود في أطر عشية لا معنى لها، خلافاً لمنطق العمل ومعنى شرائع موسى، الذي علم، «أحب قريبك محباً تحب نفسك» وهبات حيث تصر من محرمات يسعي أن تتحدّد العقوبات كحد لك. ويجب أن تنقسم العقاب الإدانة.

وتتقدم هذه الأخيرة الوضائية. فتقد اعتمد كل شيء على الوثائقيات، على الإبلاغ إذن. عن أي حب للقريب كان يمكن أن يحري الحديث. لقد كان الناس يرحمون بالحجارة إذا ما اسهكوا عن غير قصد هذا المعبّر أو ذلك، أو هذا القرص أو ذلك وكنت عين الصريسين اكتبين التي لا تسهو ترصد ككل صغيرة وكبيرة وهذه العيون التي كتبت الشعب اليهودي هي التي سعى يمسح لسيح لسمها فالسيح لم يقف ضد يافوس موسى، بل ضد تلك المحرمات واليهود الكتيبة التي جعلت من لذيانه لحية حجة هامده وسعا المسيح تلك المحرمات ساحراً «أساطير المجائر». التي تناقص الوصايا اعشر وسورف من الشرائع التي وردت في أسفار موسى قد لك انعمل الذي صيّق على حياء للناس حتى مانت لا تطدق فكان يتدخل في تفاصيل العيش اليومي، واستمرت الحال هكذا عدة قرون كان الفرنسيون يكتبه خلالها يحصون على الناس أنفسهم وفي حوالي لعام ٥٥٠م وضعت تلك الوصايا والإرشادات والمحرمات كلها في قديم يهودي واحد حمل اسم التلمود. ويتألف التلمود من جزأين: الميشنا، وقد اكتمل في حوالي لعام ٢٠٠ ق.م، وبعد نحو ٥٠٠ عام الحق الحرة الثاني بالميشنا، وهو اليماراً أي «الختم» وبدلاً من أن يعد القادة اسدينيون سبين التلمود في مجتمعهم مسحو إلى استبعاد شعبيهم، وسلبه هو، وتحويله إلى عبد للمحرمات والمرائض التي احتفظوها ومن المعروف أن «تحويل الدين إلى شكلية يودى إلى الارتداد عنه، وجعل القانون معتزلاً إلى درجة المحال، بولد الحرية، وهكذا لم يبق للشعب اليهودي سوى أن ينتظر حلول الزمن الأفضل، الذي تظهر فيه شخصية ما تعيد بناء الدولة اليهودية القوية التي سبده امجاد دولة سليمان، وتحكم بحكمه وعدل وتسامح. بكن هذا كله كان محرراً أحلام لم يقص لب أن يعفّق. وكان الأنبياء بدورهم حراسي لما يحدث ولكنهم رأوا، المنقد بشكل مختلف بعض الاخلاص لم يكن هذا ملصقاً يهودياً، بل محضاً الشعب اليهودي من الآثام بعد كان النشأ أشعياء واحداً من ألمع الأنبياء الذين سشرو، بظهور محلّص الشعب اليهودي هد وكان أشعياء هذا نبياً ألعياً في أشياء كثيرة، خاصة رؤية الأحداث قبل وقوعها بسنو ت كثيرة فأشعياء الذي عاش قبل الأسر البابلي برمن طويل، تنبأ به بكن النقيص. إد قال:

«فَقَالَ إِشْعِيَاءُ لِحَرْفِيَّاشِعْ قَوْلَ رَبِّ الْجَبُودِ ﴿١﴾ هُوَذَا أَنَا فِي أَيَّامٍ يُحْمَلُ فِيهَا

كُلُّ مَا فِي بَيْتِكَ وَمَا خَزَنَةُ أَبَاؤِكَ إِلَيَّ هَذَا لِيَوْمٍ إِنِّي لَأَعْرِكَ شَيْءًا يَقُولُ الرَّبُّ.﴾

(أشعياء ٣٩ - ٦٥)

لقد قيل هذا قبل مائتي عام من الأسر البابلي. فهل كانت هذه نبوءة محفل سياسي ملهم؟ كلاً فعندما قيلت هذه الكلمات لم يكن ثمة أي أحد ث سبب بالأسر البابلي. لقد عرف أشعياء بالحدث من مصير آخر. من الإله. وهو لم يسوره شك في هذا قط. فتنته بار

الإله نفسه يحاطب لشعب غيره، تجلّت في أن الحشد الكبير الذي كان يسمعه قد أدرك مغزى كلامه بوضوح، واستمع إليه بوجار وصمت مطلق. لقد كان حديث النبي مبدوياً وحرماً والأهم من هذا كله أنه كان يقوّم الحقيقة غير عابئ بتهديد الملوك وحكام المدن وقتلهم وليس غريباً أن جاء انتقامهم منه مروّعاً فقد أمر الملك مناسي بأن يشطر أشبي بمشار الخشب فلم يستطع مناسي أن يقفر له انتقاماته اللائحة للقصر الملكي، وقضه للصغار السائد في اليهودية، وارتداد الشعب اليهودي عن شريعة موسى التي تلقاه من الإله في سيناء.

﴿أَتَوَيَّرُ عَرِفَ قَابِيهِ وَنَحَارُ مِثْلَ صَاحِبِهِ أَنَا إِسْرَائِيلُ فَلَا يَعْرِفُ. شُعْبِي لَا يَفْهَمُ. وَيَوَيَّلُ لِلْأُمَّةِ نَظَائِدَ الشَّعْبِ الْثَقِيلِ الْإِثْمُ نَسِلُ فَايِلِي لِشَرِّ أَوْلَادِ مُعْبِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ اسْتَهْأَلُوا بِقُدُوسِ إِسْرَائِيلَ ارْتُكُّوا إِلَيَّ وَرَاءُ. عَلَى مَا تَصْرِيحُونَ بِعَدَاوَتِكُمْ تَتَمَنَّاءُ كُلُّ الرُّؤَسَاءِ مِنْهُمْ وَكُلُّ الْقُلُوبِ سَقِيمٌ. مَنْ أَتَقَلَّبُ أَقْدَمُ إِلَى الرُّؤَسَاءِ لَيْسَ بِهِ صَحَّةٌ بَلْ جُرْحٌ وَأَحْيَاظُ وَضَرْبَةٌ طَرِبَةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تَلِينْ بِالزَّيْتِ. مَهْلِكُكُمْ خَرِبَةٌ. مَدُنُكُمْ مَحْرَقَةٌ بِالنَّارِ أَرْصَكُمُ تَأْكُلُهَا غَرْنَاءُ فَذَلِكُمْ وَهِيَ خَرِبَةٌ كَالْقِلَابِ الْقَرِيبِ. حَقِيقَتُ ابْنَةِ مَرْيَمَونَ كَبِطْلَةٍ فِي كَرَمِ كُذَيْمَةٍ فِي مَقَلَّةِ كَنْيَنَةٍ مُحَاصَرَةٍ. لَوْلَا أَنَّ رَبَّ الْجَنُودِ أَتَى لَنَا بَنِيَّةٌ صَغِيرَةٌ لَعَرَبٌ مِثْلُ سَنُومٍ وَشَابِيهَا عَمُورَةٌ.﴾

(أشعيا ١ - ٩٣)

وتلياً أشعيا بظهور المخلص، المسيح، ابن الإله الذي بالامه سيخلص العالم العارق في الانحطاط:

(ويأتي القادي. نبي صهيون وإلى الثائمين عن المعصية في يعقوب يقول الرب)

(أشعيا ٥٩. ٢٠)

وقد تحدث يسوع لمسيح فيما بعد عن شجرة محبي ابن الإله هذه ولكن أشعيا لم يكتب من تشبه بظهور المخلص بل أعد له الطريق أيضاً. ففلسفة النبي قريسة جداً من فلسفة المسيح. على الرغم من انقراض السعة التي فصلت بينهما. وهذا ما توحى به أقوال نبي أشعيا نفسه.

﴿رُوحُ الْمُنَادِ الرَّبُّ عَلَيَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لِأَعْصِبَ مُنْكَبِرِي الْقُلُوبِ لِأَكْذِبَ لِلْمُسْتَبْشِرِينَ بِالْعَقْدِ وَلِنُبَشِّرَ بِدِلْوَاقٍ.﴾

﴿لَأَنَادِي بِسَمَةِ مَقْبُولَةِ الرَّبِّ وَيَوْمَ نُبْعَثُ إِلَيْهَا. لِأَعْرِي كُلَّ السَّائِحِينَ.﴾

(أشعيا ٦١ - ٦٣)

ويمكن من لعريب أن يقرأ يسوع لمسيح هذه الكلمات في معبد الناصرة المحلي. وعن هذا كتب لوف في إنجيله يقول:

(فَدَفَعَ إِلَيْهِ سِفْرَ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ وَلَمَّا فَتَحَ لَسَفَرُ وَجَدَ الْمَوْضِعَ لَدَى كَنْ

(يوحنا ٤: ١٧-١٨)

مَكْتُوباً فِيهِ. «رُوحُ الرَّبِّ عَنِّي».

كما تضمنت كتب النبي زكريا نبوءات عن مجيء المخلص، المسيا. وقد كانت تلك النبوءات محددة ودقيقة إلى درجة أنها لا تزال حتى اليوم تثير لذهشة بيمينيتها. فقد وصف زكريا دخول المخلص أورشليم راكباً على أتان، وبيعه بثلاثين من القضة (بل تنبأ أيضاً بأن تلك النقود ستدفع ثمناً لأرض تشرى «من حرافه»)، وكسوف الشمس لحظة صلبه، وطعن جبهه بالحربة وعلاوة على هذا تنبأ زكريا باستيطان تلاميذ المسيا مختلف المساكن.

لقد ولد النبي زكريا في الأسر البابلي، وهناك بدأ تنبأ. ثم عاد مع اليهود الذين عادوا إلى أورشليم وشارك مشاركة نشطة في إعادة بناء المعبد.

وكان النبي دانيال قد ولد في الأسر البابلي أيضاً، وندوره تنبأ بمجيء المخلص وبمضئ مواهبه المطهرة جرى بقرسه مع فتان يهود آخرين إلى القصر الملكي ولكنه عرف معاصاه مريره بما فيها الرمي في حب الأسود. وحشد دانيال في نبوءاته تاريخ مجيء المخلص بعد «سبعين سبع»، أي بعد ٤٩٠ عاماً وهذا ما حصل.

وتنبأ بمجيء المخلص أيضاً أنبياء آخرون مثل حزقي وملاخي، فحزقي هذا إن معبد أورشليم لناسي على الرعم من صغر حجمه وهلة موجوداته، إلا أن معبده سوف يكون أعظم من الحد الذي كان لمعبد سليمان: أعظم لأن المخلص، المسيح، الذي تنتظره شعوب الأرض كلها سوف يدخل إليه ومن الواضح أن الحديث لا يجري هنا عن الشعب اليهودي وحده، إنما عن شعوب الأرض كلها. ونشير في السياق إلى أن المخلص الواحد الآتي من المشرق، فكانت تنتظره شعوب وثنية بكثرة كانت داخل قوام الإمبراطورية الرومانية.

ولم تنبأ المسي ملاخي بقرى مجيء المخلص فقط، بل تنبأ بقرى مجيء بشيره أيضاً ومهمة الشبر، هي إعداد الناس لاستقبال المخلص. ومن المعروف أن يوحنا المعمدان كان ذلك البشير. فقد عمد يسوع المسيح في نهر لأرس. أما ملاخي فلم يعقبه لدى اليهود بني طول أربع مائة عام. وبدلاً من اثترارة الإلهية جاء الكيبون، حراس كلمة الشريعة، ومبتكرو مريد من الفيود والوصايا التي أفضت في نهاية الأمر إلى هلاك الشعب اليهودي. بمعنى أن اليهود الذين كان الكتبة - القاسيون يقودونهم لم يقبلوا تعاليم المسيح، وهشلوا في أن يرتقوا إلى درجة أعسى في تقدم المجتمع البشري إلى درجة سمى في ميدان الإنسانيّة وحب الآخر، و لرحمة فقد بدأ، كأن اليهود تكلسوا داخل مئات القواعد والقيود الشكسة أبي تضاعفت أعدائها بعد صلب يسوع المسيح، إذ دعوا شهود زور لكي يبرروا حوكم الإعدام الذي أمر به.

حياة يسوع

إنَّ تعاليم يسوع المسيح تدلهم هريدة من نوعها لدرجة أنَّها تحمل البرء تتسامل كيف أمكن أن تظهر منذ ألقى علم

فهي تعاليم فريدة بتأهيتها. فيها قيل كل شيء، ولا يمكن أن يضاف إليها شيء وإذا كانت التعاليم السابقة قد اقترحت خطوات معينة لتحقيق الكمال في المجتمع والشخصية المرء، فهي تعاليم المسيح مبعب المهمة كالها بكامل حجمها، وفي صورة مكتملة

فإن حبب المعضلة نفسها؟ في جعل حياة المجتمع والفرد حياة سعيدة. وكيف يتحقق ذلك؟ لم أدرب يسوع أن تلبية المجتمع والفرد هي لدوائية التي لا أساس لها، ولا مستقبل لها، وهي في آخر لطاف وبأل وحسب. ورأى أنه إذا ما أمكن ردع هذه الدوائية، فإن هذا وحده كافٍ لجعل الإنسان سعيداً في حياته وتتخلّى لدوائية الإنسان في الحسد، واصطهاد الآخرين، والعداء، والصراع المفتوح ولكي يتخلّص الإنسان من عدوائته، يحب أن يرى روح معايرة وهذا بالذات تظهر المسألة لأساس، القانون الرئيس لتعاليم خلاص الإنسان لجنيده «أحب عدوك» لقد تمثّلت قمة الفلسفة الحبيدة، التعاليم الجنيدة في «أحبوا أعداءكم، لبها قمة لهم. أما في د حل لهم في معاصر، السلوك التي يحقق الالتزام بها حياة سعيدة للمرء وللمجتمع، هنّ نسق ككامل من استواء المترابطة، وقوانين السلوك ويعب خدمة لإله سوى خدمة الواحد من للأخر إذا لم تمّ يد النعي للقرب المحتاج، فإنك بذلك مبعب المساعدة عن ابن إله عن الإله نفسه. ولا تقوم خدمة الإله نفسها في مواصلة الصلاة، و الصوم، وتأدية مختلف ضروب الشكليات لصقوسية هالإله يرضى عن ذلك الذي يعمل الخير، ويمد يد العون لمن يحتاج المون، ويعيش شريفاً، مستقيماً، يبادل بالشرّ الخير ومعنى هذا أن «إيمانكم في أعمالكم»

لقد جاء يسوع لمسيح إلى هذا العالم لكي يعقد البشر، لكي ينقذ أسرىة كلها ولكن ممّا؟ من الخطيئة دون ريب، من الإثم الذي يعيشه النجس، البشري اسداء من دم هللتذكر أن أحد ولدي آدم قتل شقيقه عبثاً، لا لأي شيء آخر، لا شيء، كم بمعنى الشمس في رمنا هذا وكما فعلوا دائماً

إذ، إنَّ تلك، الخطيئة الأصلية التي أنحسها عدوانية الإنسان فسط، يمحس التكفير عنها الآن بد ما ترجع النَّاس عن عدوانيتهم وعادوا يتعامل واحد منهم مع الآخر بطيب وحب وعندما يحصل هد هئ المحبة هي التي سوف تحكهم العالم الجديد وليس العدوانية وانفسفس. لقد وهب يسوع مسيح حياته في سبيل تعاليمه في سبيل أن يقدم تلك التعاليم للنَّاس، وتلك هي وسيلة التكفير عن الخطيئة الأصلية، إنَّها الوسيلة التي تجعل النَّاس سعداء

كانت تعاليم يسوع هريدة في قدرتها على انغوص لى عمق المسألة، وقدرتها على طرح الحلول التي تعود إلى الحروح من احواله المستعصية فما هو الأساس الذي قامت عليه؟ من أيِّ تعاليم مبكرة أخرى بنيت؟ ومن كان ذلك الذي أنشأ تلك التعاليم؟ إنَّ الإحاسة على هذه الأسئلة تقنصي منَّا تحليل جواب يشوهد هذه التعاليم كلها، ودراصة شخصية وأصبعها.

واسم يسوع (= يسوس د لإغريقية)، هو الصيغة العرسة للاسم اليهودي يشوع، ومعناه، «خلاصه هو يهوه» والصيغة مأخوذة من كلمة أوشا أو أوسيا ومعناها «الخلاص»، وكان الاسم أكثر الأسعاء شيوعاً بين اليهود في تلك الأرمة. فقد كان الوالدان يهنجان أبناءهم هد الاسم نيمن بالثقافة اليهودي يشوع بن نور الذي استولى لهم على الأرض الموعودة كما فخر اليهود أيضاً بكاهنهم الأكبر يشوع الذي أخرجهم من الأسر اساسي

والمسيح يصبأ صيغة عربيّة للاسم اليهودي ميسيا، ومعناه النبي المسوح، أو الكاهن أو الملك المسوح

لقد ولد يسوع وعاش الثلاثين عاماً الأولى من حياته في الحليل، وكلمة حليل تعني باليهودي «ناثرة إدريه»، وألحقت هذه الكلمة بالمدن الاثنني عشرة الموحودة في دائرة قادش سنايم. وكان سليمان قد وهب هذه المنطقة لحبرام مكافأة له على حشبه الأر الذي أعصاه لسليمان بناء المعبد وقد دعا حيرام اسطقة كابل في السبعة، المثيرة للاشمزاز.

لقد تمير الحليل عن مناطق اليهودية الأخرى بحمرافيته وموقعه على الحدود الدولية هناك يعيش في مدن الحليل فسبقون، وعرب، وسواهم من الأهوام الأخرى ودعي الحليل «بالحليل الوشي» وكانت اللغة الإغريمية هما هي لغة لثفاهم بين لسكان أما اللغة اليهودية فلم يكن لها حضور هد لمد كانت له ميته تدرس في مركز التعليم التي لم يكن ينتسب إليها إلا المختارون، وحقيقة أن يسوع قد تمسكل في مثل ذلك الوسط الأممي، دت دوراً بالغ الأهمية في بسكوير رؤاه. لقد كان يسوع يتكلم الأرامية، لكه كان يعرف باليهودييه بأساكيد. وعرف الإغريمية كذلك لكننا لا نعرف حتى الآن ما إذا كان يعرف اللاتيبه أم لا

وارام (أي البلاد العالية)، هي سوريا ووادي لرافدين، وقد امتدت حدودها من منابع نهر الأردن حتى العرات وتحلّت لنزارة عن ارام (انظر تكوين ٢٤ - ١٠ - ٢٥) وقل أن نصف تعلم يسوع وحياته، دعونا نتعرف على المكس الذي كان وطنه لأم، إنه مدينة الناصرة الواقعة في حيان الحليل فلسطين كلها تنقسم جغرافياً إلى أربع مناطق صنيعة تمتد بموراة البحر المتوسط لساحل، والمطقة الحليلية، ووادي الأردن، وسلسلة جبال شرقي الأردن.

وتنقسم المنطقة الجبلية إلى قسمين كبيرين. فشككت مجموعة الجنوبية من تلك الجبال الكمسية إقليم يهودية، وشككت المجموعة الشمالية منها إقليم اجليل.

كان كاتب سيرة حياة المسيح قد وصف لناصرة هكذا وفي وسط هذه سلسلة الحليلية يتوضع فجّ كلبي يشكل مدخلاً إلى واد صغير. واد ينزل العائر الوادي يصعد الحبل في درب ترابية ضيقة صعودها قاس جداً، تحيط بها الشعاب والرهور في مكان لا شيء فيه عطيم أو طبع، ولكن كل شيء هنا رائع وهي بصورة شر مهيولة وعلى نفس، تصاعد الحبل مصبق الوادي شيئاً فشيئاً إلى أن يصل الى حدود عرص نصف هرسح (الهرسح = ١٠٠٦ م) وتنقسم أسبحة الصغار الوادي إلى مزارع ومسابين يتحول في فصل الأمطار اشتويه إلى لوحة ساحره ساكنه هائلة، ثم تتألا أنواع النباتات بالوادها السديعة وتقع غير بعيد عن الدرب الضيقة نيران تسكني منهم بسوة تس أقل جمالاً من لوحة الطبيعة، ما الثفبان الرعاة ذوو الوجنت الوردية هياك في ملايسهم الشارقة لرهية، فانيهم لاهون، حريتون ومرحون أكثر مما يمكن ان تراه هي أي مكان بحر ورويدا رويدا يتحول الوادي الى مخرج من التلال يشكل صوره هوية مرصع خامد وعندما يغوص في وهدات الخس، يرى الصائم الى ارتفاع خمس مائة قدم (لقدم = ٣٠،٤٨ سم) سطوح مسموية وشوارع مسقة لائدة شرقية صغيره وثمة في هذه البلدة كنيسة صغيرة، واسية مبد تشكك كتلة واحد، ومناره مسجد عالية، ويسوع ماء عذب نصي طافح؛ منار البلدة اصغيره مبنية من الحجر الأبيض، وسورع بيها حد في مريح شجر السين والريتون، وشجر البرتقال والرمان البيضاء والحمراء وهي الربيع على قس تقدير، يبدو كل شيء هه مرحاً جميلاً ومسالمًا؛ فاليدام يتراقص على الشجر، وترهف الحسسين الى الامام وإلى لحلف من عبر تعب وتحقق

الزراير المزرقاء الصانحة اللون، التي تعدُّ أحب الطيور هي هلسطيس، تحلق صانحات الحي فوق الحقول لمبرقشة بكثرة لا عد لها من أنواع الرهور وهذه البلدة الساحرة هي الناصرة.

أما البنت المزلتة التي نشأ فيها يسوع، فليس فيها ما هو مشترك مع ما نراه في لوحات رسامي القرون الوسطى حوثو، وفرا-أجيل «اللذين تصور أن المدراء مارب حاكسة وممها بها الإلهي فوق عرش يباح، قائم على أرضية من المورايسك السديع تحت مظلة زرقاء مدهشة، وألبعاهما ثياباً ملونة بألوان ساحرة، كحقول الصيف، وناعمة كرهور لرييح؛ ووشيا أطرافها بزخرفات من ذهب وحجارة ثمينة». ولشكر واقع الحياة كان محتماً تماماً.

لقد عاش يسوع وأمه مثلما عاش جميعهم هنا، يقول مؤرخ سيرته.

«عاش يسوع كما كان يعيش أباء الآخرين من السطاء في تلك البلدة الصغيرة، وصعد بعض أكثر سكناها الآن. ومن رأى أطلال الناصرة في قصائدهم الحميلة، وقصائدهم الحريرية أو القطنية المضمومة زبائيرهم المونة، وفوقها السترة البيضاء أو الزرقاء، ومن شاهد مرحهم الصخب وسمع صيحاتهم الرنّة وهم يتراصصون على تلال واديهم الصغير، و يلهون جماعات على منحدر تل قرب يسوع بلدهم، أن من رأى هذا كله لا يصعب عليه أن يكون نفسه صوره ما من الحياة التي عاشها يسوع عندما كان لا يزال صغيراً وأبى راقب أى طفل من أولئك الأطلال وبعده إلى منزله وشاهد موجوداته البسيطة، وطعامه الحادي الطيب المصحى، المتفاده هي المنازل كلها، وحياته العائلية الأنوية، فإنه يستطيع أن يرسم لنفسه صورة حية من تلك البيئة التي عاش يسوع فيها فلا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر بساطة من تلك المنازل التي يتضمّن الحمام على سطوحها، وتحتو عرائش، لغت صاعدة على جدرانها أرض تلك المنازل مفروشة بسط مضموعة من القماش، أو بالسجاد، وعند مدخل البيت نترك الدّاح حذاءه، وفي أسفل الباب ثمة قنديل معلق هو في الوقت نفسه مادة التزيين الوحيدة في الحجرف. وفي لجدار زور فيه حراسة حشنة مطلية شادة بألوان زاهية، توضع فيها كتب وسوى ذلك من مصيبيات العائلة، وثمة على امتداد لحداد مصبح عليه عصية مطوية بترتيب وضح، هي الأعطية التي تستخدم وقت النوم، وصا يصا توجد الأواني لصخريه التي تستعمل في الحياة اليومية، وثمة عند الباب

خواري فخارية كبيرة حمراء اللون تستخدم لتخزين الماء العذب، وللحفاظ على مرودة مائها يلقون فيها أوراقاً خضراء هي في غالب الأحيان أوراق نباتات صينية الرائحة. وعندما يحين موعد الغداء توضع في وسط الحجرة طاولة ملوثة يحملون عليها صينية كبيرة طبقاً من الرز واللحم، واللبس أو حساء من الخضار. وعلى هذا المنوال كانت تسير حياة العائلة المقدسة في الناصرة، ثم يوصل المزمّل حديثه هذا فيقول: «ولكن ذلك القصر لم يكن فقراً مدقعاً، ولم يكن فيه أي شيء مدلل؛ لقد كانت الحياة تسير بسلام، وبساطة، وكما به، وبسعادة، وهناء. وماریا كانت على أغلب العنّ مثلها مثل النسوة الأخريات نعل، وتعدّ الطعام، وتقبّلي الثمار، وتذهب كل مساءً إلى البنيوع لتسقي الماء، ولا يزال نبع الماء هذا يسمّى حتى اليوم: «نبع العذراء». أما يسوع فقد كان يلهو مع نراه، ويتعلّم، ويساعد والديه في عملهما اليومي، ويذهب في كل سبت إلى المعبد»

وقبل أن ننحوّل إلى وصف طموحة يسوع، من الضروري أن نبيّن كيف جاء يسوع إلى الناصرة، إذ من المعروف أنّه ولد في بيت لحم. فقد حدث الأمر هكذا: تنفيذاً لأمر الإمبراطور الروماني أغسطس حُرّي إحصاء لسكّان الإمبراطورية كلها وكانت اليهودية جزءاً من الإمبراطورية لكنّ عملهُ الإحصاء سارت فيها بطريقة عريضة؛ بعد كان على كل سادس من سكان هذا الإقليم أن يعود إلى المكان الذي تنتمي إليه عائته الأصل. ولم يكن هذا الإجراء صادرً في الأمر الإمبراطوري، بل صدر عن اليهود أنفسهم سعياً منهم لإحياء ذكرى قبائلهم التي كانت قد استُثرت منذ عهود ولذلك كان ينبغي على يوسف النحّار أن يسافر مع زوجته ماريّا إلى بيت لحم، موطن سلالة داود التي كان ينتميان إليها. وكانت ماريّا في آخر أيام حبسها. ولما نزلت إلى بيت لحم ومن يوسف وروحه مع هبوط الليل، فسعى للمبيت في حدة النزل، لكنهما فشلا في العثور على مكان بسبب كثرة الوفود إلى السدة. ولما لم يجدوا مكاناً في النزل أقاما في البرية، ربيعة انزل على الأعشاب الجافة وأسفل اللذين كانا يحطيان أرض البرية وهنا ولد يسوع في تلك الليلة وهناك في البرية ألقى ثرعة الدين تحدّثت الأناجيل عنهم، يوسف وماريّا ويسوع الطفل. ومزّج أصبحت بصمت «لكنّ حياض الشجر والرّسامين صب في تصوير لفظة الاحتمالية لشهد أسيلاد فتعلّوا بوصف الملائكة الذين كانوا يرهرون في المكان وكيف بطأت الكواكب حركاتها لكي يتسنى لها أن تسكب صوءه المسّاحر العذب ليضيء المكان كله نور ساطع قوي رغم الحاضرين على حبس

وحوههم بأيديهم بيد أن هذا كله كان بعيداً عن الواقع. ولم تكن تلك العظيمة المجيدة استى
رأها أولئك الرعاة البسطاء سوى رؤىة عين الإيمان»

لقد كان استعني إلى تحريف الحياء الطليعة، واستبدال المعجزة بها، والمعجزة بحديداً
لأنهم اعتقدوا يوماً أن هذه الأخيرة وحدها التي يمكن أن تؤكد وجود الإله وكل ما هو
إلهي، نغول، لقد كان مثل هذا المعنى ملازماً لطبيعة البشر يوماً وسلك تهيأ لهم أنه من غير
المعقول أن يولد مخلص البشريه دون أن يحدث هزأت أو تحولات خارقة بيد أن تلك الهزأت
كانت من إبداع مجيلتهم، ولا يزالون يبدعون حتى اليوم. ففي إجيل يعقوب النحس وصف
شديد لتعبيره لميلاد يسوع لحصه ولد يسوع توقف محور لسّموات وصفت الطير واستلقى
أعمال على الأرض وأيديهم في لأواني «ولم يستطع الذين يملؤون أن يمشوا، وعمر الذين
ملؤوا من العمل، ومن حمل شيئاً إلى فمه حجر عن حذو» واتجهت الوحوه كلها إلى قوف،
وسمع الرأوي روايته فيقول، لقد رأيت كيف وحمت العتم حانسة هرفع نراعي عصانته لكي
يسوقها لكتة حجر عن إزالتها لعد نضرب من مياه النهر وقد اسحت لماعر عليها لتشرب، فلم
تعمل وكل ما كان مندهماً إلى الأمم توقفت حرصه»

وبمن يمكنكم أن نردّد خلف مؤرخ سيرة يسوع قوله: «إن ما يلتفه الإنسان يختلف
ختلافاً كاملاً عن الأعمال التي يصنعها الإله»

لقد كان يمكنكم ألا تقم عند هذه أسئلة بالتفصيل لولا أن النزوع نحو المعجرات لم
يهلك الإيمان الحق القائم على المعارف ولا سر ل حتى يوماً هذا نشهد مثل هذا الاستبدال
الاحد بالمعجرات بدلاً من لرؤية المعرفية فالمبشرون (خاصة أولئك الذين نتمون إلى ما وراء
الحيث) يخرجون من خلودهم لكي يستعرضوا معجزة، المداواة واعين لهم يؤكدون بذلك
على صحة الذين تستدل بالإيمان المعجزة، والمعجزة تقتل الإيمان تماماً، ونشوه في أعين
الذين يمكنهم بعقولهم، ولا ينش من الإيمان الحق، من الذين لحي امدعو لعل حياة الناس
سعيدة، سوى بمع المعجزة، فيحتفي كل شيء ويختلط في محال آخر لا يتنازع أبداً مع الحياه
الواقعية، مع الهموم الحقيقية، مع السلوك اليومي للناس يُحتصر كل شيء في المعجزة
ولكن ميلاد يسوع المسيح لم يترافق بأي معجرات.

لقد شأ يسوع الصغير ونطوّر وكبير مثله مثل أي طفل من أطفال الناصرة الآخرين، لم
يقدم نفسه متميزاً عن الآخرين، ولم يميزه الآخرون في شيء نعم، لقد أظهر ممرضة هائقة
بالشرعية (العهود لتقديم) في حديثه مع كبار شارحي الشريعة عندما رار مسد وورشليم، كما
ورد في الإنجيل ولكن حتى هذه الواقعة يفد مؤونها دائماً كأنها معجزة، سيما الواقع هو أن

المتى يسوع كان يتعمى أعلم في المعبد على أيدي الحكماء. ولذلك كان كل شيء طبعاً وعادياً. ففي الثانية عشرة من العمر اعتبروها بالمتى الناصري. ي فني، فرداً راشداً. وفي هذه السن كان ينبغي على يسوع كما على أي من أتباعه الآخرين أن يعرف الشريعة كلها، وليس الشريعة وحسب. فقد كان ذلك هو نظام التربية والتعليم عندهم. ابتداءً من الخامسة من العمر كان لطفل يبدأ يتعلم الكتاب المقدس (لميكرا)، وفي العاشرة الميشا، وفي الثالثة عشرة التلمود، وفي الثامنة عشرة عليه أن يتزوج. وفي العشرين يبدأ بجمع الثروة، وفي الثلاثين القوة، وفي الأربعين الفطنة والتعمق. وحسب الإنجيل «إن الفتى يسوع كان بسيطاً، لطيفاً، مطيعاً ومتواضعاً، نذعن لوالديه. ويؤدي أعمال المنزل العادية التي توازي من هم في مثل سنه. كما كان يحب الناس كلهم. وأحياناً هؤلاء بدورهم ذلك الفتى بدئي السالم النقي»

في الثانية عشرة من عمره جاء يسوع إلى هيككل أورشليم. وكنا قد نوهمنا إلى أن هذه السن كانت سنًا حرجية، تترك كل من بلغها أن يتجه بالشريعة. لقد كان ولداً يسوع يروا معبد أورشليم سويًا في كل فصيح، ثم اضطجبت يسوع معهما وكان سكان الأهلين يحضون إلى المعبد جماعات، قرافل. وفي طريق العودة بعد أن انتهت الزيارة لاحظ ولداً يسوع عيابه عن لقائه. وعندما عاد إلى أورشليم وحده في المعبد يحاول الحكماء وعارفي الشريعة وليس في هذا أي معجزة. كما أسلمنا «هالفتي كان هناك لكي يسأل ويتعلم، لا لكي يمتحن المعلمين ويسفدهم...» لقد كان يسوع يكتسب المعارف والعلوم شيئاً فشيئاً، مثله مثل باقي أتباعه، أي إن عملية نموه كانت تسير سرها الطبيعي المعتاد بالنسبة لأي كائن بشري آخر. وحسب نواف يسوع وقف في معبد أورشليم بكل الحمص والاحترام أمام الشيوخ استكبار مثله مثل كل محب لمعرفة وكل تلميذ حبيب موهوب، وقد أثار اجتهدته ههنا المعلمين واستحق سلوكه احترامهم ومحبته. لقد كان كل صنف أو رعية في صميم نموه على الآخرين عربيين تماماً عن طبع ذلك الذي كان مد نفوه أعطاه يوديعاً، مماناً طيب القلب.

وعندما عمر يوسف وماري في آخر لطاف على يسوع في المعبد، عدلاه بكل حب وصية فليل «يا بني! ما الذي فعلته ساء بها هو والدك وأنا بحثت عنك بحز عظيم» فحابه يسوع ههنا «بماذا تبحث عني؟ ألا تعرفان أنه ينبغي علي أن أكون في بيتي؟» ومعنى هذه الإجابة أن يسوع كان يدرك أن مكاسبه هناك حيث يؤثرون الشريعة لقد كان على وعي أكيد بأن له رسالته في هذا العالم. ومع ذلك مصى مع والديه إلى أسامة «وكان مطيع لهما».

ومن المعروف أنه كان ليسوع إخوة وأخوات. ولكن من هم؟ ليس لدينا أمس لكي نرى في هؤلاء إخوة وأخوات أشقاء له وشقيقات همس لأواصح إذن أن الحديث يجري عن أولاد ييوسف نجيبهم قبل ولادة يسوع وقد يكون هؤلاء أولاد أخت والدة يسوع. ومهم كان الأمر فقد تزوج هؤلاء وتفرقوا ليعيش كل منهم في بيته ومع عائلته ولم يبق في المنزل مع يوسف وماريا سوى أخوي يسوع يهوذا ويعقوب وعلى الرغم من أن مسألة القرابة بين يسوع وأخوته لا تزال مفتوحة بانتظار الحل، إلا أن الذي لا ريب فيه، هو أنهم كانوا كلهم «أسماء ذوي سمات شخصية هائلة، وغيره حارة، وسناحه نمائل زهد اليسيين، وكثرة شديد لكل ما هو هامد، ومسيب أو غير طاهر: كما كانوا على يقين لا يتزعزع بأمن انحلال، والتزمو التزاماً دقيقاً بالتعاليم لصومسيه لبلادهم» ومن المعروف أيضاً أنهم لم يعترفوا بألوهية يسوع مباشرة. باستثناء يهوذا الأصغر سناً من الآخرين ويشير مؤرخ لسيرة إلى أنهم «كانوا يميرون بعباد صلب، وغيرة يهودية» ونقص في الحنو والرفقة والتوقير».

وكان ليسوع قريب آخر، هو يوحنا المعمدان. وهو أكبر من يسوع سنّاً بحمسة سنوات فقط (كما في نثر الأصيل، لكن الإنجيل يؤكد على أن الفرق في السن بين يوحنا المعمدان ويسوع هو خمسة أشهر فقط قد تكون غلطة مطبعية؟) ولكنهما لم يتعارفا من قبل، لأن يوحنا كان يعيش في الحنوب في مدينة بوتا في نبت والدة الكاهن.

ويقال إن يوحنا كان نبياً مرسلًا من الإله وكان هذا راهاً ناسكاً يعيش في البرية وكانت هذه البرية تمتد من أريحا ومحاول نهر الأردن حتى شاطئ البحر الميت. وعلى الرغم من أن الصبوس وهضاع الطريق كانوا رايصين بين صحور المعر الضيق بين أورشليم وأريحا، والكوسر والتماسيح كانت ترتع في الأدغال الممتدة على طول نهر الأردن، على الرغم من هذا كله كان الشعب يتوافد على يوحنا الذي لقبوه بالمعمدان.

لقد كان ذلك الزمن زمناً مختلفاً قليل عنه

«في عصر الاضطرابات والفتاقل. عندما تنهاوى الصديم متسارعاً، واجديد نماً

تظهر بعد، فكان يمكن أن نعلم نرسيين إذا ما افادوا من كل مناسبة

بالاعلان عن سخطهم، ونستطيع أن نتلمس نعلم أكثر لليسيين إذا ما أوعوا

في العروف عن الزواج والاندراج من المجتمع البشري. لقد ساد في كل مكان

استنار ذلك العصب الأنسي، الذي كان يحجب أب بقبل كآلام المخاص لولادة

المملكة الجديدة، كالظلام الحالك فيبيل بروح الفجر لقد سات العالم كهبلاً

هرماً، وبلغ حنون الدبنة الوثنية حد الإفراط الذي أثار الاستمرار. ونجح عن
 الإنحلال بالإله، فكما هو معتد دوماً، انهيل في الأخلاق وعمل الأَخلاقية
 فكما هو واضح، على أن تصب كأس الكفر حتى آخر قطرة وامتنعت الفلسفة
 أن تسرل عن كبرائها وتخدم لحقيقة، واكتنصت بارصاء قلّة قليلة من
 هوائها فسدب الجريمة في كل مكان، ولم ينج حد من الرعب والدمار اللبس
 بعنتهما في آلاف القلوب. حتى تأليب الصمير همد قبرته وباب الناس ذوي
 ضمائر مينة. لقد عم الفساد القلوب هي كل مكان، حتى أن أصحاب القلوب
 لجافة أنفسهم اعترفوا بأن مثل هذه الشرور غير مألوفة من قبل. وحس العارم
 لوثني بفسه بأن قضاء الأرملة قد حل.

لقد كان يوحنا المعمدان، السلف المباشر ليعسوع المسيح، بشير، الذي أعد له الطريق.
 في ظهوره وأعماله كان لعمدان كائن من القادم، كانت حياته الاضواء على كالهرة
 الأرضية حسنة كلها سشارة. وكان محققاً إذ دعا نفسه صوتاً صوتاً صارخاً في البرية
 (أعدوا طريق الرب).

لقد كان المطهر لحازج ليوحنا المعمدان يوحى بأنه معلم من معلم محتلم
 حتى قبل أن يدوي هذا الصوت الناطق بالعصب والسخط، فإن وجهه
 المتوهج، وشعره المسترسل، وشفتيه المرمومتين، وحرامه الحلدي،
 وملابسه المصنوعة من وبر الحمل، هذا كله يوحى فوراً بأن هذا كان
 اسماً حقيقاً يعطيه طبيعته كلها، وصلابة قوته، اسماً كإيليا، صورته
 الأصل، الذي وقف غير وحل اسم حاب الوقور ويزيل استهوانية وعرفنا عن
 المعمدان حتى بعد حشيه نصبه، هيم يكن يشرب سوى ماء لئير، ولم يأكل
 سوى الجراد وأصغر البري. لقد كان كل من يراه يسعد أن فيه قوة سلطان
 التي ينمير بها دائماً أو تلك الذين يتكروون ذاتهم ذكراً تاماً فهم شمالي على
 العزور البشري المعتاد، يقف أيضاً فوق الخوف البشري المصداق. وإذا كان لا
 يرحو سبناً من مبل المحيطين بحوم، فلي يخيمه استعدهم عنه؛ وبما أنه لا
 يتطر أي منصفة من الترف، حتى يصير قول الحق عادلاً لا تسم. لأنه يقف
 سامياً فوق معاصريه، كأنه على منصفه السلام والبقاء المشرفة، لا يحجب
 رؤيته السبسم الذي يحجب بصيرهم، ولا تغلقه الهوم الصغيرة لتي تعكر
 صمو حياتهم.

كان يوحنا المعمدان يعطى لجمهور التي كانت تواجد إليه في البرية داعياً إلى التوبة، ومبشراً بمملكة السماء. وكانت المعمودية في مياه نهر الأردن، هي رمز لتوبة وقد اقتدى المعمدان في هذا بالنبي حرقبال الذي قال:

«وَأَرْضٌ عَلَيْكُمْ مَاءٌ طَاهِرٌ فَتُطَهَّرُونَ»

(حرقبال ٣٦، ٢٥)

ويعطى يوحنا البشير بدوم المحلص الذي هو قلبه، لأنه كان موجوداً من قبله، اندي لا يسحق هو أن يحلّ رباط حداته والمحلص لن يعفد بالماء بل بالروح القدس والنار، كما قال يوحنا

أما المحلص. لسميها، فقد كان سيهم ومنه مثله الأخير جاء إلى يوحنا ليتلمس المعمودية منه وكان له من العمر حينئذ ثلاثون عاماً ولم يكن المعمدان يعرف أنه يعفد قريبه

لقد أسر شكل يسوع. نظرتة، جمال سبحانه النقي، عطمة مظهره الحارحي البادية للعيان، هذه كلها أسرت روح المعمدان. وكان يوحنا الذي مشى (المرن ٨م) هد وصف صورة يسوع المسيح على الوجه الاتي: «كان يسوع يشبه الندرء مارب، لقد كان جميلاً طويل القامة إلى حد ممت، شعره طويل فاتح اللون أجعد بعض الشيء لم تفسد يدا أمه قط، خاحساء فاتمان، وجهه مصوي فيه بعض الصفرة والسمار، عينا ملوستان ظهره محدوب قليلاً، نظرتة نعت من سامح، وبيل، وحكمة، كما وردت هذه السمات نفسها في رسالة ليسولا إلى الإمبراطور الروماني فقد جاء في الرسالة «لقد ظهر في ثمان من إنسان عظيم لعمه يدعى حرسنوس إيسوس (= المسيح يسوع م.) طويل القامة، جميل الصورة، له وجه بيل، ومن ينظر إليه يحبه ويهابه شعره متموج أقرب إلى الأبعد ولونه كلون الشد، يستدل على كتمه بعد أن ينقسم في منتصف رأسه حسب ما هو متعارف عليه في الناصرة قامته بطيخة ومستوية. ووجهه بقي ليس فيه أي بقع أو تحاعد، لكنه به حمرة لطيفة فمه وأذنه جميلان لا عيب فيهما له لحية عربية كثمة لونها كلون الجوز، لهبت صويلة، لكتها منفرجة إلى قسمين. عيابه ررقاوان صفائهما شديد، إنه مهيب محيط لحضة لعدل، وعليه منحة لحضة يعط، مريح لكتها يحافظ على وقاره لم يره أحد يبتسم، لكتهم عاليا ما يروه يكي. قامته مستقيمة، يدا وأصابع حسنة جميلة المنظر عظيم في حديثه، متواضع وبكي وهو رائع بين بني البشر» (لقد نبي للمتخصصين) رسالة ليتولا هذه منجولة وضعها للكرسي البابوي في المرن ١٢م، هذا لك من أنه من غير لمطلق أن يهتم ربح الدولة، فما باسك بالامر طور الروماني عيه.

يمثل هذه التفاصيل التي لا يهتم بها سوى الرُسامين هذه؛ يأتي استخدام الصيغة الإعرابية لاسم يسوع المسيح: «يسوس حريستوس» خارج السياق التاريخي نهائياً، لأنَّ اسم «يسوس حريستوس» لم يطبق على يسوع إلا بعد أن أحدث المسيحية انتشاراً في المدن الإغريقية على يدي بولس الرسول في أو حذر القرن الميلادي الأول ولم يكن بمقدور ليتولاً أن يستلهم هذا الاسم في زمن المسيح كما يرد في الرُسم المزعومة ولا أظن أن المؤمنين ذاهلن عن هذه المعلومة (م)

مع حضور يسوع المسيح كانت قدرة يوحد أفعاء ان قد اختفت تماماً فقد رفض عزم يسوع على أن يعتمد على يديه قائلًا له: «أنا من يحتاج ليعتمد منك، وأنت تأتي إلي؟» فأحابه يسوع «دعك من هذا لأنَّ لأنت ينبغي لنا أن نحتق كك حقيقة»

وبعد أن تلقى يسوع لممودة في نهر الأردن مصى إلى البرية وأعطى فيها أربعين يوماً فقد كانت تلك هي عادة من يصكروا أنفسهم للخدمة لإبنة، كان الشخص لعنى يتطهر من كل رحس، فيمضى تلك الأيام في الصوم والصلاة معزلاً عن الناس عزلة تامة

وعندما طهر يسوع ثانية عند نهر الأردن، لم يكن لدى المعمدان ريب في أن الذي أمامه هو المسيح وفي تلك اللحظة قال يوحنا قولته الشهيرة على مسمع من لشعب «هذا هو حمل الرب الذي سوف يخلص خطيئة العالم» في هذا التعبير يكمن لب تصورنا عن المسيح الذي «سوف يخلص خطيئة العالم كلها»، وأنه بالآلهة على الصليب سيقتد أحسن البشر من عبه الخطيئة الأصلية، ومن الأدم كلها التي غاص العالم فيها، ولكن هذه النظرية الأساسية صيغت فيما بعد فقط أم المعمدان فقد أطلقها مرة عمو الحاضر، بأمر الروح، بقوة مواهبه النبئية فلماد دعا يسوع حملاً قبل قليل سما وصفا لمظهر يسوع الناصري، لمد كان أرحمه بعينها، والمحبة بذاتها زد إلى هذا أن الحمل كان يرتبط عند اليهود بالكثير الكثير بالخرج من مصر، وبالفصح، وبذبح العذراء ومساء وقد هرا يوحنا في وجه يسوع أنه موهب يعنو هرباً، دبيعة أمماً فيما يحضر حضابا العالم، فسه رُما يكون من الأصح أن نترجم كلمات يوحنا هكذا «هذا هو حمل الرب الذي سوف يخلص خطيئة الشعب»، أي الشعب اليهودي فيخوف مثله من الانبياء الآخرين الذين سبقوه تحدثوا عن شدة وأهتّم شعبه وحسب ولم يكن يمتدوره أن يقول شيئاً عن العالم كله صفته كلاً وأحد، فمثل هذه النقلة لن تحدث إلا فيما بعد، بعد وقت طويل. عندما سيشر بولس الرسول الشعوب بصلتها بنعائهم المسيح حينئذ فقط سوف يكون بالإمكان لحدث عن العالم وعندما عاد المسيح في اليوم التالي، صباح يوحنا مرة أخرى يشعور من الرهبة والخوف «ها هو حمل الرب»

وہیما بعد عم یسوع اُن یوحنا قایع ۛ السُحن یأمر من هیرودوس اُنّیبا، همدا ما ح، ووا
 ییوحنا اِلی قصر هیرودوس، اُحد ینتمده انتصاداً لادعاً (مکان هیرودوس قد انتزع من شقیمه
 روجته هیرودیا وتروّجها، وهي ۛ الوقت نفسه ایه اُخته). وکاست هیرود یتعل کل ما
 تسطیع لکي تتعلّص من یوحنا ویبأ علی توصیتها طُبت اُبتها سألومي من الملک هیرودوس
 ر س اعصااں، الی کار حینداک ۛ السُجّ همصت علیه وهکد انتت حیاة واحد من
 اعظم اُنّیاء العهد القدیم ویشیر العهد الجدید ۛ الوقت عیه.

المسيح المعلم

لقد سبق المسيح كثير من الأنبياء الذين تنبؤوا بشفقة عن أحداث وقعت بعد مئات السنين. وقال «أنبياء الإله» هؤلاء الحقيقة لسموهم. وغالباً ما كانت هذه مرة ودفع أكثرهم حياته من ذلك وعلى الرغم من أنهم كانوا مختلفين وفرديين، إلا أن عملاً مشتركاً واحداً جمع بينهم تنبؤوا بتلك الحقيقة التي كان ينبغي عليهم حملها إلى شعبهم، باستجداد إلى شعبهم لا إلى فرد واحد آثم ناعس فقد الإيمان بنفسه، وأمل في اكتساب حياة جديدة. لقد كان أنبياء العهد القديم رجال نزيه حرموا أنفسهم من كل شيء، هضاموا وصلوا، وصلوا وصاموا ووعظوا الشعب الذي كان يتواجد عليهم في أبرار أو في ساحات المدن.

ولكن المسيح لم يكن نبياً. لقد كان أكبر من نبي، كان معلماً فقد قلب راساً على عقب كل الأسس التي كانت معروفة من أولئك الذين يحب عليهم أن يقودو شعبهم إلى حياة جديدة أفضل. وإد كان الأنبياء الذين سبقوه قد توجهوا إلى الشعب كله، إلى الحشد، فإن المسيح توجه كفاعله إلى الفرد الواحد القائم ذاته. فدخل حياته وتعرف إلى ظروف حياته لأتمه، ولم يرفضه بصمته حائطاً صالاً، بل كان مصادمه لكي يعود إلى حياة أفضل. وعندما لاموه على تواصله مع التسمية استقطات، والعشائر (جيهه الأتوات)، الذين عذبهم نقابات المجتمع، أحابهم بقوله لا يأتي الطبيب إلى الأصحاء، بل إلى المرضى وقد كان هو ذلك الطبيب، الذي أوى أرواح الناس بقطنة ورحمه فبرج الأمل في موسهم بأن كان حاملين بسططع أن يكفر عن ثامه إذا ما تغير وسار على طريق الكمال للأطلي، واسترع من روحه كل استمر الفاع فيها. ومر روحه تحديد، لأن المسيح لم يستصوب لأدنية الشكليه لاختلاف صروب الشرائع والطقوس. وانتقد بشدة كل من يقهر نفسه بالصوم، وحس يعرف أن مثل هذا المهر لأسي يمهّد سبيل استقبال الثياب الاعلامية - المولسة لبطاقة، من القضاء الكودي، من مكائن الأسس. وقد كانت قاء لإسلام هذه مفتوحة لدى المسيح إلى حدها الأقصى، إلى نهايتها الثامه. ولذلك لم يشعر هو شخصياً بالحاجة لأن يوصل نفسه بطريقة منكملة مصطنعة إلى حله الشدة النفسية، التؤثر النفسي، لكن هذا لا يعني أنه أخذ على

الآخرين مسامهم كلاً بل دعا إلى ذلك، بيد أنه هو نفسه نادراً ما لجأ إلى هذه الوسيلة فلم يعيش المسيح كأبٍ راهب متسلّك آخر، إنما عاش عيشه أي إنسان عادي، فحسب قوله هو نفسه إنّه «أكل وشرب»، لكنّه كان في ذلك مثلاً للاعتدال والتمسك لقد شارك في الماسبات الاحتفالية، ولقاءات الأصدقاء، ويروى أن أعداءه قالوا عنه «هكم هو الشخص الذي يحب أن يأكل ويشرب الشبدة».

قبل المسيح بمئات السنين وكلهم ينتظر مجيء الميسيا في شخص ملك إسرائيل قوي وحكيم وكان يجب أن يكون ذلك الملك ملكاً قوياً قبل كل شيء، لكي يحصص الشعوب لأحرى لسلاماته، ف يعيش الإسرائيليون بنعيم ورحاء على حساب الأتوات التي تقدّمها الشعوب الأخرى هذا ما كان يحلم به الشعب الإسرائيلي الذي عرف نير الإمبراطوريات الأخرى على مدى قرون، وعاش تجربة الأسر السابلي التي امتدت سبعين عاماً، وبكرّ الميسيا الذي ظهر فعلاً، حسب أمل أبناء قومه هذه فقد أرسل ليؤدّي رسالته أكثر أهميّة بكثير إقامة مملكة الإله على الأرض. لقد جاء ليقول إن مملكة الإله هذه قائمه في كل إنسان ولكي يحسّ الإنسان بها ينبغي عليه أن يغيّر نفسه من الدّاخل أولاً. أن يجدّد روحه، أن يبدّل طبيعة موقعه من الناس الآخرين. إن هذه المسألة التي حلّها المسيح كانت أكثر تعقيداً مما لا نقاس من تلك التي حلّها مختلف الفاتحين الذي قاموا بممالك جائرة، غنيّة قامت على استعباد الشعوب الأخرى. لقد كان لمسيح أوّل ببي رأى العدو الحقيقي للجسد البشري كله، ولكل فرد على حدة. إنّه عدو قابع في داخل كل مدّ. ولذلك أعطى يسوع الوصايا العشر التي فرضتها شريعته موسى أنعاده أكثر عمقاً بكثير.

وحتى يجب أن يعرف هذا كله ونأخذه بالحسبان لكي نفهم سلوك المسيح فهماً صحيحاً بعد أن تلقى ممودّة يوحنا. فهم تلك اللحظة شرع يعلم، وبدأ يكفّر عن الخطيئة الأصلية أي ارتكباها الحس البشري (بسبب عدوانيته)، يكفّر عنها باعطائهم أنوسيله، الأداء التي تمكّنهم من تصادي هذا الإثم. لقد قدّم لهم أنوسيلة التي ينبغي على كل منهم أن يحيرها على نفسه إذا أراد أن يتخلّص من هذه الخطيئة ويعيش حياة سميدة.

لقد توجه المسيح إلى أفراد معسّدين، إلى أولئك الذين كانوا يحتضون إليه، وأخذ هؤلاء يبورهم يقتربون منه، فتعلّ تعالىمه، ليهم وقد ظهر تلميذاه الأوّلان على الشّكل الآسي عندما ترك يسوع يوحنا على صفة نهر الأردن. ليمه جلسة شائان هوهف وسألهم «ما الذي تريدانه؟ فأجابا على سؤاله بسؤال «أيها الرّائي أين تقسم؟» فأجاب يسوع «اتبعني فتعرف» وكان أسراوس أحد هذين ويوحنا الإنجيلي الآخر. ولم يتأخّر أسراوس ليحكي لأخيه

سمعان عن ذلك للقاء وقد أطلق المسيح على هذا الأخيرهما بعد سم: بطرس. أنت سم سمعان ابن يونا تدعى كهفا (بطرس) الذي معناه صخرة» وهكذا، بات لدى المسيح ثلاثة تلاميذ كانوا هم قد وحدوه وكان كل منهم شخصيته تختلف عن شخصيته الآخر يوحنا ذو خيال متوقد ويميل إلى الدُّمَل؛ أما بطرس فقد كان مثابراً وحلأ في تصرفاته، ومسدفاً في أحاسيسه وقد كانا معاً صيادي أسماك مثل أندراوس. وفي اليوم الرابع على خروجه من البرية التقى المسيح فيلبس الذي من بيت صيدا، والذي كان يعرفه من قبل. ولم يكن فيلبس يحمل اسماً غريباً فقط، بل كان يعرف اللغة اليونانية معرفة جيدة. كما كان له كثير من الأصدقاء الإغريق فقال المسيح لفيلبس «اتبعني» وبات هذا الإنسان ابوديع المطيع تلميذه الرابع. وصار فيلبس من هؤلاء يبحث عن صديقه بلثانائيل حتى عثر عليه وعاد هذا التلميذ الخامس. وسوف يحمل في الأناجيل اسم برثولماوس. وهكذا قال فيلبس لصديقه برثولماوس: «لقد وجدت الذي كتب عنه موسى في أشريع، والأنبياء» ويعبر عن بعضهم بـ برثولماوس كان ينتمي إلى طبقه اجتماعية أرقى من التي ينتمي إليها التلاميذ الرسل الآخرون.

لقد كانت التأميرة لسدة الصغيرة الهادئة، التي ارتفعت على هوة بركان إلى فوق، من الإله، كانت مكاناً ملائماً للتأملات اليومية والعزلة عن الناس، والتواصل مع الآله ولكن إيصال المعارف إلى الناس، ونقل التعاليم إليهم، التعاليم المتلقاة من الآله، كانت بمصياها بضرورة اختيار مكان آخر؛ مكان تقاطع هة دروب مختلف تيارات الناس ليس ينتموا إلى مختلف شعوب، ولهم شتى العادات ولم يكن مثل ذلك المكان ممبداً عن ناصبه، وكان المسيح يعرفه بأنه مركز فلسطين الصناعي الذي يصنع بالحياه والناس. مدينة كصر الحوم وكانت بحيرة جيسارته، لؤلؤة المدينة ولم تكن بحيرة، يؤمها وحسب، إنما كانت مجرى حيرات كثيرة فمستوى الماء فيها أقل بخمس مائة قدم (انضمم - ٢٠٤٨ م) عن مستوى البحر المتوسط وكانت هذه البحيرة - لكس - وانشيتره بمقد حوالي العشرين فرسخاً (الفرسخ - ١٦ كلم) في الطول وبحو العشرة فراسخ في العرض وكان تجويف اببحيره قد صنع هنا منطقة مباحية محلية متميزة ما بحيره معاطة بشريط من الحصرة عرصه نحو نصف الفرسخ. وارتفع فوق هذا بشريط بحوالي الألف قدم منحدر تلال عاريه وفصلت بين التلال وديان مكشهره مبهمه وكان ذلك كله عبارة عن طبيعة بكر لم تمسها يد الإنسان، طبيعه بريه ووحشية، لكنها مهيبة وعظيمة وفي هذا المكان الموحس اعتزل المسيح لبشر، واجتمع مع أفكاره، وتواصل مع الإله وكان من المملوثة

يدرك قدر مثل هذا الثَّوَابِ، الذي يفتح الكثير دائماً أمامه لقد كان كمر يرى عبر عدسة التَّكْبِيرِ، ما كان يراه الآخرون منتظماً، متناسلاً، موحداً، متمثلاً، رآه هو معتقداً، مركباً، متنوعاً حاضراً لمدة الأسباب والنتائج ولذلك كان يسوع يسرُّك قيمة أحاديته مع الإله، لأنها كانت تمتح عينيه دوماً، فدعا الإله والدَّهَ ومنذ أن كان في الثَّانية عشرة من عمره أجاب و لدته في معبد أورشليم عندما وبَّخته على فعلته: «ولماذا تسعثن عني أم إنكما؟ لا تعلمان إنه ينبغي علي أن أكون في ما هو لأني؟ لقد أدرك يسوع بدقة أن مصر معارفه، وأخلاقه، وتعاليمه، هو أحد ما يمنحه هذا كله مباشرة، ولا يمكن أن يكون ذلك لأحد ما سوى الإله - الآب

وجاء في إنجيل متى أن كُفَرناحوم كانت «مدينته» (متى ١٠، ١٠). أمَّا البعيرة فقد كانت قلب المدينة، وكان يجر في مياهاها حوالي أربعة آلاف سفينة معاً، وكانت تلك السفن تتوزع على خمس الرومان القتالية، وفاندسات (= سفن قديمة م) الملوك والحكام المدبنة، والسفن التجارية، وسفن نقل الركاب، وعدد كبير من قوارب صيد الأسماك وكان أكثر تلاميذ يسوع من صيادي الأسماك ولم يكن اتصال البحيرة مع العالم بحري عبر الطرق البحرية فقط، إنما كان ثمة أربع طرق برية. الطريق التي كانت تسير مع الجهة الغربية من وادي الأردن؛ والطريق التي كانت تصل حتى حدود مدينة أريحا لأريحا؛ والطريق التي كانت تمر عاصمة الحليل لتخرج إلى لبحر المتوسط، إلى ميماء عكا؛ ثم الطريق التي كانت تمتد عبر الحسل إلى لناصر، ومنها إلى السامرة فأورشليم، لقد كانت تسير على هذه الدروب عابرة كُفَرناحوم، من مصر إلى الشام فوهل بجارية كبيرة، وبذلك كانت تتلاقى في شوارع هذه المدينة أقوام الإقليم كلها، ولعائته ودياناته كلها، ولم يكن ثمة مكان أفضل من هذا للتبشير بالأفكار الجديدة، وشهرها بأسرع وقت ممكن واحتبارها على أناس يتمنون إلى شتى الشعوب والثقافات، ولطيفات الاجتماعية، والديانات. لقد اجتمعت في كُفَرناحوم عبر ممثلاتها قارات آسيا، وأوروبا وأفريقيا ففيها عاش اليهود، والعرب، والمسيحيون، والساسوريون، والإغريق والرومان. ومن هؤلاء كلهم كانت سأل الحشود التي تستمع إلى مواعظ يسوع وعليه فإيه ينبغي علينا أن ننسى تماماً فرصة نشوء تعاليم المسيح في وسط يهودي، وأنها جاءت لليهود وحدهم، وأن مسيحياً هو يسوع اليهودي وهل يجب أن نؤكد مرة أخرى على أن الآرامية كانت لغة المسيح ولهمت ليهودية، بقينا نحن تعاليم العهد الجديد تمتد حدودها في قرية العهد القديم، أي في قرية اليهود ولكن الاختلاف بين تعاليم المهديين كالأحلاف بين الجدور والأعصان، فالإله في العهد الجديد

س محزّذ اله عضوب، حنار يحب أن تقدّم له القراميس (وإذا حتاج الامر بحب أن تقدّم به لابن ابوحيد)، وإنما هو إله أب سئاس كلهم، أب محبّ ومتهّم، لا يحسح أيّ قرايين أو شعائر شكلية، أو نظام صارم من شئى صروب الصناعات والإيمان المربرى. فحسب نعايم لمسيح أن الإله أب يعيش شكل مأهيه أب يرى في الإحسان والصدق والطاعة والمحبة أساس لوجود كله والمسيح نفسه لم يأت إلى هذا العالم لكي يملأه عواصف وقلاقل، بل لكي يوقع الأنغام الجميلة كلها على هذه القيثارة ذات الألب وتر، ويجمعها وفق هرمونيا لسماء وهذا بالضبط هو تعريف السعادة، فهذه الأحيرة لا تتحقّق إلاّ عب ما يتوافق سلوكها مع قوانين الطبيعة، قوانين الإله بيا لنبي أنحننا، وهذا هو الانسجام، الهرمونيا، لتواؤم والسعادة. وقد قام رسالة يسوع في يصال هذا إلى الناس

وفي أثناء ذلك لم يحكف يسوع سائعلم، والمواعد، لكنّه تصرّف أبحتّ وبحزم وإلى مثل هذه التصرفات يسمي طرده للبيعة والتجار من معبد أورشليم. وما يحب قوله في هذا السياق، هو أن لمعاد كانت على مرّ العصور مرسطة بالنجارة بهذا الشكل أو ذاك فعندما كانت الحشود تتوفد على المعبد في أيام الأعياد الكبيرة، كانت تسمى ففرضين تادية الأسرار الدينية، والمتاحرة. ولكن هذه الأحيرة كانت قد عليت على الأولى في أورشليم منذ زمن فرجال الدين حوّلوا المعبد إلى وكرا للتجارة وأدخلوا آلافاً من رؤوس الأغنام إلى حرم المعبد المقدس وتحول المكان المكّرس لإقامه الصلوات إلى ما يشبه حفلة اناسية، إلى سارار بعض الناس الذين كانوا يعتقدون فيه مختلف صفقتهم النجارة، وهنا اصمأ شكل لمرافقون سارامسون أعمالهم ويتبادلون شئى العملات لقد كان ذلك كله يحري على باب معبد الرب الأعمر لا أنها حقاً اسأل، ولا شيء ساسكر بساوء، والسلاة وسواصل مع إله خمأماء العيم، وثعاء الماعز، وحوار الشرار، وصراح الباعة ومشحباتهم بشئى اللغات، وصليل لموازين ورنين النعز، هذا كله جعل صلوات الحكمة وشاد انابوس لا تسمع.

لقد جاء المسيح إلى أورشليم صيحة قاهلة كبيرة عبرت كمبراحوم. ولما رأى ما يحدث في المعبد سخط سخطاً شديداً فصع سوطاً عن الحبال التي كانت مبعثرة في المكان وطرد الأغنام والثيرن وماعز من مواقعها، وطرد معها حشد التجار والباعة الذين كانوا سارامسون عملهم في المكان المقدس ثم جاء إلى الصرافين وقلب مقاعدهم ومبصدهم التي كانت تحمأ أعمدة من العملات كما صرد سعة لحمام قائلاً لهم اخبوا هذا من هنا فسخط المنصرون وصاحو به بعضب وحقق لأنه أصابهم بحسائر ووقف

المُطْرَهان في المكان - النُّعْر والبيعة من جهة، ويسوع وحده من جهة أخرى فأجاب على عويلهم بهدوء قديلاً «لا تجعلوا من بيت أبي بيت تحدة» ويبدو أن ذلك الردُّ الهادئ لأمر الحارم قد فعل فعله. لماذا؟ لأنه ثم بر أي من الحاضرين في المسيح مسيحاً، ولم يعرفوا حقّه في عمل ذلك، فليس وراء الرُّحل أي سلطة ومع ذلك قبل أحداً لم يؤده نادٍ لأن مثل هذا كان قد حدث قبل ذلك غير مرّة وبمعكسا أن تقول: إن أحداً لم يؤده لأن كلهم كان يعرف أن يسوع على حق، وهم محطّثون، بل آمنون وهذا الإثم هو عصاة صميمهم ضد كانت تلك عصية شخص ظاهر ضد كل ما هو فاسد ودسّ. ولذلك كانت صرحته صافرة، لأن الحقّ ظاهر نوعاً، والضمير الناصد عاجز دوماً، ولا يمكن للعيب أن يصمد

إمام المصيلة

أف الكهنة، والفريسيين، والكنييون، واللاويين الذين نزلهم ف رأوا وما سمعوا، فإنهم لم يدينوا يسوع مباشرة. على الرغم من أنهم كانوا ملتزمين لتزام صارماً بضبط التصرفات كلها ولكن أكثر ما أقلقهم، بل أقصّ مصيبتهم، هو السؤال التالي: بأي حقّ عمل الرُّحل هذا كله؟ من هو هذا الذي يرتدي زيّاً حليلاً ويسمى الإله أنه؟ ولذلك اصفوا بأن طلبوا منه أن يثبت صلاحياته التي يدّعيها، طلبوا منه أن يصيح معجزة.

فأجابهم يسوع قائلاً «أهملوا هذا البهكس وأنا سأرفعه في ثلاثة أيام». ولكن هذا كان أكثر مما يُحتمل. أولاً، كان كسرُ بالنسبة إليهم أن يحدث أحد عن هدم معبد أورشليم، ثانياً، ماذا يعني أن يرفعه في ثلاثة أيام؟ وسوف يحتفلون كثير حول مغري ما فانه يسوع فسرون في قوله هذا تعبيراً معازياً عن قيامته بعد ثلاثة أيام من مسه وثمة من افترض أن المسيح قصد بقوله هذا، عادة بناء الهيكل الإلهي الذي يجب أن يكون في كل مكان، ولم يقصد عادة بناء الهيكل مادياً وفي الأحوال كلها. فعل يسوع فعله وأكد أنه ليس مجرد صبي، إنما سيء آخر لقد كان يحقق تعاليمه في الواقع، دون أي تردّد أو وجل، وضاً نفسه وحيداً في مواجهة حشد من الحشمة. وفي مثل هذه الحالات تشرّ الروح كل شيء، وكانت في يسوع روح الإله فيه اليقين المطلق في صحّة ما يفعل، إنه يعمل عن أبيه! أما ضماً فخصّ نور المعبد. فقد حطّلت المفاهيم بعد ظهور تعاليم المسيح وتحوّل المعبد من معبد حجري بديع مدبّب، من معبد من صبح ابيد إلى معبد لم تبنيه يد بشر. فحسب تعاليم المسيح أن الروح الإلهي يملأ على كل المعابد المادّية، إنه روح حقّ طاهره ومعبد الإله يجب أن يكون في كل مكان ومن جل هذا ينبغي أن يكون قلباً وطاهرًا، وضميرها صابحاً

ونقياً وتعدُّ هذه الموضوعة حجر الزاوية في تعاليم العهد الجديد، إنها الأصول في تعاليم المسيح، محتاج خلاص كل منّا عسى حدة، وحلاص كلنا معاً، خلاص البشرية كلها هانسفاده لا تتحقق إلا على طريق السَّعي إلى بلوغ الكمال الدَّاعي، لِكَمال الروحي، وإسراء لِنفس من عيوب مثل الطَّمع، والحسد، واللامبالاة، وبعذوانية، وهو ما سبق الحديث عنه.

وما يذكر أنَّهم لم يسوا للمسيح كنماته من هدم المعبد الأورشليمي وعادة بنائه في ثلاثة أيَّام، عندما لَمَّموا المحكم لقصائي.

مَّا الكمال الدَّاعي هأنه يحب أن يكون له منطقته المستقل وعأيته النهائية «الحقُّ الحقُّ أقول لك إذا لم يولد الإنسان من جديد (أو من فوق)، فلن يكون بمقدوره أن يرى مملكة الإله» هذا هو ما أحاب لمسيح به الرَّاأي اسدي جاءه ليلاً وهو يرتحف من الخوف والحذر معاً ليتلقَّى منه إجابات عسى أسئلة كانت قد أمضتْه فقد سأل المُعلِّم عما يجب عساه أن يفعله، فوضع المسيح السُّؤل أمامه في صيغة أخرى وقاس: ليس السُّؤال، هو ماذا يحب أن يفعل، إنما السُّؤال هو من نكون ولكن الرَّاأي أخذ كلمات يسوع الواردة قبل قليل على حرفيتها

وبحسب شاهد الآن في أيَّامنا هذه فهما ممثلاً ليسوع المسيح، إذ يُقاس كل شيء حسب مقدمه المدنى. تحصى الأديرة، والكنايس، وشعائر الخدمة الإلهية وما شابه بالكم، بالعدد. ولكن ما هي حار لموضوعه الأساس للتعاليم. مع الإله بنفسه أن يكون في داخل كن منّا؟ كلهم يصمت، لأن هذا هو الأمر الأكثر تصديداً، وتحفيظاً، لأكثر صعوبة، ولاضعف ظهوراً إلى الخارج ولا يعطي أي نصع مدنى

وقد كذب أعظم من المعصية يقول «أو تريد أن تصلى في معبد؟ صل في داخلك، وكفى ولا وفيل كل مدنى. معدياً خلال السنوات الثلاث التي بشر أمسيح فيها وعلم صكراً في صدم دائم مع انقريسيوس - الكنتيس اليهود. ونحن كنّا نحدثنا عنهم لكثراً مسجّن هت أن هؤلاء يكدوا يهدور سست مائة هريضة تلمودية، ولد لك تكان سلوكهم، وقرأهم رجعية ومعادية للروح الشريرة، والمطلق العقلي فقد رأوا مثلاً إنه لا يحور أن يأخذ في السبب بسبلة قسح وبأصفاً حناً منها وهذا ما أتهموا به تلاميذ لمسيح فيم بعد. ورأوا بكذلك أنه لا يحور مدبدا العون للمحتاج لسي دزلت به نبئة ولا يحور مداوة المريض، لأنه السنت. وكانت روح المريسمة الشريرة هذه ترى بكل شيء وتعاقب بصرمه فحسب استراغ اليهودية كان يحقُّ لرؤساء الدين أن يحكموا بالموت رحماً بالحجارة عسى

كل يهودي يرتد عن هرائض التلمود، وهرئض الدين اليهودي. وغالباً ما استخدم الفرنسيون اليهود هذا الحق المعطى لهم قبل المسح وبعد إعدامه لكن المسيح نفسه حوكم بموجب لقانون الروماني، ولذلك أعدم صليباً. ولو كان حوكم في محكمة السندريون لأعدم رجلاً بالحجارة. وقد أنهى كثير من أتباعه حياته ممثلاً بالحجارة. فأكثر المسيحيين الأوائل لم يمتنعوا، صهيبة الوثنيين والحكام، بل ضحية هؤلاء اعريسيين اليهود بالذات

فعلى الرغم من أن اليهودية كانت تتبع الإمبراطورية الرومانية إلا أن الرومان منحوها حق إدارة شؤونها المحلية ونحن ننوّه إلى هذا لأن سنوات شطط المسيح الثلاث سارت تحت عين لعريسيين العاهرة دوماً. وحدث مرّات كثيرة أن وجد نفسه على حد السكّين، إلى أن تمكّنوا منه في آخر المطاف وسلبوه حياته

لقد قلنا سابقاً إن اليهود آخروا حملة «التطهير» في صموئيل (مأثره عزرا) بعد عودتهم من الأسر البابلي، وعزلوا أنفسهم عن باقي العالم ونشأت علاقة من نوع مختلف بينهم وبين إخوتهم بالدم السامريين. وهذه التسمية طُبقت على الشعب الذي تشكل نتيجة لتخالط اليهود المهرولين مع الأقوام الأخرى التي أرغمت على السكن في بلادهم. وعندما عرض السامريون (نسبة إلى عاصمتهم السامرة) على اليهود مساعدتهم لإعادة بناء معبد «ورشليم» بعد أن عاد هؤلاء من الأسر البابلي، رفض لليهود العرض رفضاً قاطعاً. وعلاوة على هذا عدّ اليهود السامريين قوماً من مقام أسى، وباصدوهم الكره والعداء في كل مناسبة وعدّوهم أناساً مختصرين مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج.

إنما السلبية للمسيح فلم يكن هناك فرق بين يهود، وسامريين أو ممثلي أي شعب آخر وكف أسفلنا. فقد كان الأمر الأهم حسب تعاليم المسيح محتتماً تماماً، وهو تحيداً من يكون (بالروح لا بالشكل ولا بالسلمة) وهذا ما أعلنه يسوع في حديثه المعروف مع السامرية. وحدثت تلك الأحداث، التعليمية التي نمّنت عبيرة هد وقعت على الوجه الاتي

كان لمسح عائداً مع تلاميذه من أورشليم إلى الجليل بعد الفصح وكانت السامرة على طرفتهم. وعاده ما يخطئ اليهود المديّة عند درب حابيه. لكن المسيح سار في الطريق المعتادة وحدث أن توقّف عند بئر لبشرى ولم يكن لديه ما يستقي به وما لبثت أن أمّت البئر سامرية شاباً فقال لها «أعطني لأشرب» هيّهت لمرآة إذ سمعت مثل هذا الطلّب من يهودي (هنا أحد منهم يتنازل ويطلب مثل هذا الطلّب من سامري) ثم درسهما حديث

فلسفي فقد تبين أن المرأة كانت قد تزوجت خمس مرّات من قبل، وهي تعيش الآن مع السّادس من صرّ زواج ومع ذلك وبصرف النظر عن كونها سامريّة، فإنّ يسوع لم يرفضها، ولم يوتّعها، ولم يحتقرها. إنّما شرح لها وعندما سألته هي السؤل الرئيس الذي كمن يلقى السّامريين كلهم: «من الحقّ أمام الإله ليهود أم السّامريون، ولئن نسجد وأنس في هذا الجبل، أم في اورشليم» أحبها يسوع الإحابة المعروفة لنا ينبع الأيمجد في اورشليم في السجد ولا في هذا الجبل في المعبد، من في معبد الإله الموجود لدى كل من في روحه، هناك يجب أن يسجد

فانطلقت السّامريّة من فورها بتجبر فومها بما سمعته. وما أن سمع مسكّان شكيم الخبر حتى اسدعوا نحو يسوع كما شهّر وعندما رأى يسوع ذلك السّيل البشري، التفت من تلاميذه وقال: «أنتم تقولون إنّ بقي أربعة أشهر حتى موسم الحصاد. انظروا، من هذه السّحقون كمن، صغرّب للحصاد الروحي سوف يحنون يفرح بالحصول الذي رصه أنا بحدّي ولا مني؛ أمّا أنا الذي بدرب، هبّي أفرح عندما أفكر بهذه السّعادة المقادمة».

وسرعان ما تأتّى ليسوع أن يتفّن بنفسه من أنّه لا أسباء في أوطانهم وكان هو يعرف هذا من قس، إذ قال «لا كرمه لبي في وطنه» ولما جاء من السامرة، أخبره عن نفسه ودارت أحداث المشهد المأساوي في معبد البلده. وكانت خدمة الإلهة تزدي في تلك الأزمنة على الوجه الآتي بعد الصلوات كمن يقرؤون عادة نصين من الكتاب، أحدهما من أسفار موسى الخمسة (أي من الشريعة)، والآخر من الأنبياء وكان لرعاياهم من يعمل ذلك، كمن كما يرى، لأنّه لم يكن يوحد في بلدة صغير، كالناصرة ضمن مسؤول ولذلك كمن السطاء من لرعيه سهصور بمن هذه الشاغلان وكان هؤلاء هم أعضاء لابرشة الأسر وقد كمن عددهم في لاصرة حوالي العشرة ماتي بعدهم مباشرة رئيس المعبد والحارس الذي يحرس المكتبة المقدسة ثم بعدة والكاهن

إذن لقد كان من حق أي من أبناء الرعيه أن يختار النص الذي يدرسه قراءته بعد الصلاة، بل كان يمكنه أيضاً أن يشرحه ويعلق عليه وبعد أن وصل المسبح إلى الناصرة، عصى بكتابه الماضي إلى المعبد في أول سبت تالاه وصوبه وعندما انتهت الخدمة الإلهية طلب أن يقرأ هو النص من الكتاب المقدس (أي نصين يختار) فأتى له رئيس المعبد بدست. «ما هذا حدث بعد ذلك هبّوه في إحيال لوقا

﴿وَجاءَهُ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ
يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ يُعَلِّمُ﴾ فَدَفَعَ إِلَيْهِ سَفَرُ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ وَلَمَّا فَتَحَ السَّفَرُ رَجَدَ
الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوباً فِيهِ: ﴿رُوحُ الرَّبِّ عَسَىٰ أَنْ يَكُنْ مَسْحَنِي لِأُبَشِّرَ
بِمَسَاكِينٍ أَرْسَنِي لِأَقْبِي الْفُقَرَاءَ أَنْتَرِبُ لِأَتَادِي لِلْمَآسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ
وَلِنُعْمِي بِالْبَصَرِ وَأَرْسِلَ الْمُتَنَحِّينَ فِي الْخُرْبَةِ﴾ وَأَكْرَزَ بِسَمَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةَ.
ثُمَّ طَوَى السَّفَرُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ وَجَمِيعُ تَلَمِذِهِ فِي الْمَجْمَعَ كَانَتْ
عِيُونُهُمْ سَاجِمَةً إِلَيْهِ ﴿فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ مَدَا الْفُكْتُوبِ فِي
مَسَامِعِكُمْ﴾ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَفْهَمُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ انْعَمَةِ الْخَارِجَةِ
مِنْ فِيهِ وَيَقُولُونَ: لَيْسَ هَذَا ابْنُ يُوسُفَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: عَلَىٰ كَدِ خَابِ تَقُولُونَ
لِي هَذَا التَّمَلُّ. أَيُّهَا الطَّبِيبُ احْتَغِ نَفْسَكَ كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَىٰ فِي كَفَرِيَّاخُومَ
فَاعْمَلْ ذَلِكَ هُنَا أَيْضاً فِي وَطَنِكَ؟ وَقَالَ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ فَبِي مَقْبُولاً
فِي وَطَنِهِ. ﴿وَيَا لِحَقِّ أَقْوَامُكُمْ! إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ آبَائِهِ
جِئْنَ أَحْبَبْنَ السَّمَاءَ نِسَةً ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي
الْأَرْضِ كَمَا﴾ وَلَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهَا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَّا إِلَى أَرَامِلَ إِلَى صِرْفَةِ
صَهْدَاءٍ ﴿وَبُرُصُ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي رَمَانَ أَيْبَاشَعِ النَّبِيِّ وَلَمْ يُطَهَّرْ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْمَانُ إِسْرَائِيلِي﴾. فَامْتَنَأَ عَضْباً جَمِيعُ الزُّبُنِ فِي الْمَجْمَعَ جِئْنَ
سَمِعُوا هَذَا ﴿فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ مَدِينَتِهِ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَةِ لُجْبَلِ
الَّتِي كَانَتْ مَوْبِئَهُمْ مَبِيئُهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى سَهْلٍ﴾ أَمَّا غَوْ فَحَازَ فِي
وَسَطِهِمْ وَمَتَّى ٤

(لوقا ١٦: ٢٠)

وهكذا ترك يسوع وطنه الناصرة إلى صمدوحمة. فعاءه س قدا، ثم انتقل منها مع
والدته وإخوته إلى كفرناحوم التي باتت مكان إقامتهم. ومن الناصرة انتقل إلى كفرناحوم
أقارب يسوع وكلهم ما عدا إخوته، ولكن كلاً منهم عاش مستملاً من الآخر فالحدي حصل
أن الأدي بحق أقارب المسيح عت، لأنهم لم يعترفوا به ميسياً في أي يوم لكن ما فعله في
الناصرة ثار الناس عليهم فهبوا أرافهم، وكرهوهم، ثم طردوهم. وهذا ما دفع هؤلاء
بالبعد عن المسيح أكثر فأكثر.

وفي كفرناحوم عاش المسيح بعيداً عن أهله. ولما لم يكن يمس ستاً، فقد أقام عند حماة الأخوين أندراوس ويطرس. وكان هذان يعيماً في بيت صيد ويترددان على كفرناحوم كما كان يوحنا تلميذ يسوع يقيم في كفرناحوم أيضاً. وكان هذا صياد سمك يدور.

وما أن وصل كفرناحوم حتى مضى يسوع من هوره إلى أولئك الذين كانوا يحتاجون مداوة روحية وحسدية. يقول الإنجيل إنه «جال في كل مكان فيبارك ويشفي الجميع» وهذا هو الأمر الأهم في تعاليم المسيح.

ولمست الإنشاء هنا إلى أن يسوع لم ير مهمته في أن يعبو دسكاً معتزلاً أو صوفياً ممجياً بصورة، أو زاهداً يقهر ذاته، إنه في أن يقدم العون لمن يحتاجون العون. وكانت هذه هي الوصية الأهم في تعاليم المسيح وما يلقت الأسماء كذلك أن اهتلم المسح لم يصب على بناء معابد جديدة وترميم أقدسه، فلم يجمع من الشعب تبرعات لهذا الغرض، ولم يول اهتماماً لحجارة أسس مثل هذه المعابد إنما اهتلم بالمعابد التي في الروح، في روح كل إنسان على حدة، وبدل كل جهد ممكن لإقامة معابد لأرواح هبة همن بهتم لهذا في أيامنا هذه؟

ومن السهوي أن يسوع كان يعض في المعابد اليهودية «ولم تكن المعابد في تلك الأزمنة واسمة، ولذلك كانت تنص بالمصلين دائماً؛ ولكي تعظ حشداً ينتظر صادقاً أن يعرف، ولكي يصف حكماً كان هو يعظ، لا في صبح إرشادية ميتة لا روح فيها بل بأفكار حية وكلمات متألحة، لكي يعلم كم يعلم أولئك الذين سسحومون بمق أحاسيسهم مع اللحظة التي يتحدث فيها القلب إلى القلب، من أجل هذا كله كان يحب أن تملك طائفة متجددة تعوض لك القوى التي تستهلكها الموعظه ولكن هذا ليس كل شيء فحينما كان يتحدث كان الشعب يستمع إليه مصتص صامت بكثرة من دهول ومتبعاً كل كلمة يطق بها « هكذا وصف عظمت يسوع حد كتاب سيرة حياته وعند ذلك الوقت هناك عدد تلاميذ المسيح قد صار ستة فدعا أربعة منهم إلى كفرناحوم (الأخوين أندراوس ويطرس، والأخوين يعقوب ويوحنا)، لبثوا معه ويتبعوه كم حظي مني الإبحلي ببناء متميز، فقد سكن مني هذا عشراً، حاني آتوا، ولم يكن اليهود يكتفون أي ود لهؤلاء، بل يمكن القول، إنهم كانوا يحرقونهم «الحقيقة أن حياة البصائر هؤلاء لم يكونو شرعاء، إلا قلبه منهم فعالاً ما كان الموقض الرومن يهدون بذلك العمل إلى حالة المجتمع وكان هؤلاء يستغلون صلاحيتهم وعلمتهم هذه

أسوأ: متغلال. ولذلك كسر جميعهم ينظر إليهم بنمور ويصعبهم في منزلة واحدة مع النماقطين والسافطات. وكان هذا العار يلحق حتى بالشرفاء منهم. ومثى من هؤلاء الآخرين ولكن المسيح لا يكون مسيحاً إذا انطلق من انبياء العامة اسي أهزها اليهود أشبه اختياره تلاميذه فقد قُرب مثى إليه وحمل منه رسولاً له يقرأ العالم كله اليوم إبعده لمات الكون كلها إن كان يتصح من كسر خطوة بخطوة المسيح، أنه حاء ليستد الدين سفطوا في الإثم. ففى الوسط اوثى الفاسد (ومسى لم يكن لمن هذا انفساد حضوره) نجح في أن يسكن القداة المسيحية

وسرعان ما ارفع عدد تلاميذه - رسله - بي اثني عشر تلميذاً ولم يكن اختيار هذا اعدد مصافه فهو عدد متميز له مدلولاته عند اليهود وعند الشترهين على وجه العموم. لكث الآن يصدر رسل المسيح، فما الذى عرفه عنهم؟ قبل قليل تعرفنا على أنسراوس وسمعان (بطرس) ولدي يونا وعلى يعقوب ويوحنا ولدي زندي وينتمي هؤلاء الأربعة ومعهم فيلبسوس الى بيت صيدا. أمّا مثى فهو ابن حلفى، أي شقيق يعقوب الأصغر ويهوذا شقيق يعقوب وينتمي هؤلاء الآخرون الى كفرناحوم وقانا ويرى بعضهم أن زوجة حلفى (أوكلينا) كانت الأخت الصغرى لوالدة المسيح وإذا صبح هذا يكون يعقوب الأصغر ويهوذا ابني حالة يسوع وكان برناباوس لرسول من قانا، وتوما وسمعان القانوي كما من لجبيل أيضاً وكان يهود، الأسعريوطي ابن سمعان ينتمي الى بلدة أسعريوط.

ولا يتوفر لنا القدر بمسه من المعلومات عن الرسل كلهم فثمة معصيات كثيرة عن بعضهم وأخرى شحيحة عن بعضهم الآخر، ولا نملك أي منها عن بعضهم الثالث فليس لدينا أي معصيات مثلاً، عن يعقوب الأصغر، ويهوذا، حي يعقوب، ولا عن سمعان. أمّا توما الرسول فقد كان شخصاً به طابع مريد. سادح وبسيط، جاد وطيب النفس، ومستعد دوماً ليلبس روحه في سبيل المحلص. ولكنه اشتهر بضعف إيمانه وشكّه

لقد كان يعقوب، ويوحنا، وبطرس قُرب التلاميذ إلى يسوع. وهذان يوحنا الإنجيلي ميّاد أسماك أيضاً، لكث كان يمارس هذه الحرفة على نطاق أوسع مما كان يفعله الرسل الآخرون فهو مع أخيه يعقوب ووالدهما ربي كانوا يؤخرون عمالاً للعمل معهم، وهناك بيعون أسماكهم في أسواق أورشليم. ويبدو أن هذا هو ما يمسّر مرّ خلاف إبحل يوحنا عن الإنجيل الأخرى. فوفاً كان يعرف عن المسيح بكثير مم لم يكن يعرفه التلاميذ الآخرون، خاصة عن مشاطة في اليهودية أمّا بطرس فهو خلاف يوحنا، كان رمزاً للحياة العملية ولكي يكون تصوراً عن يوحنا يحب أن يقرأ رؤاه

بمعان. وعندئذٍ سأؤكد من أنه كان يمتلك روح صقر لا روح حمامة فأنزل سماته الغيرة، وحماس، وهو ما جعل المسيح يعمل إله أكثر. وليس عبثاً أن قيل إن يوحنا كان التلميذ «الذي أحبه يسوع». بعد تميُّز يوحنا أنصاً بالعمق وقوَّة الروح، والقدرۃ المدهشة على الجمع بين «الحركة الشَّعْطية والتأمل الفكري، وبين البودعة والقوَّة، والإيمان لطلق والمصنعة، وعدم الإحساس بأيُّ خوف وكان هذا صكافٌ لكي يحمل يسوع يخبه محبةً خاصَّة.

ولكي تصف بطرس تعوق ما قاله عنه هاملتون «يصعب علينا أن نحدِّد فيما يمكننا خبرته في عبادته ثم في أعماله فقيض قلبه أعطى القوَّة والاندفاع بكل حركة من حركاته وإدَّاحاً الاشرار الصَّواري بالمعلِّم، تجنَّبت حميَّة بطرس في سماعه المجرَّد لذي جعل من صيِّد لاسماك الحليلى مفتلاً مقدماً وإدَّاع حبر قيعة المعلِّم من انقصر سبقه يوحنا الذي كان يسير أسرع من صديقه الأكبر سنّاً، ولكنَّ نفاذ صبر بطرس بجوار حبِّ يوحنا الهادي، فعمداً وقف هذا مرتكباً، اندفع بطرس من فورهِ إلى داخل انقصر الفارع هل يسوع الذي قام من أموت على شاطئ البحيرة؟ رفاقه بجمعون شاكهم ويدبرون قواربهم صوب الشاطئ، أمّا بطرس فيقصر من على صهر المارب ويدفع مع الأمواج مبتل الثياب ليرتمي على قدمي المعلِّم. وإدَّ قال يسوع: هاتوا السمك الذي اصطدتموه الآن. قبل أن يدرك الآخرون معنى الكلمات، كان بطرس قد سحب الشبكة بأسمائها الطازجة، وبوجوده كه يحيب على سؤال الخُصَّ سمعان، هل تحسني؟ قصاري الصوب. إنَّ هذا الرَّحْل كان اسرحل الذي إدَّ قصصى لأمر يعسغرق في حساس حماسي بحاء لخلق الإلهي ومجد الإله أو يبيع المسيح إلى السُّخن أو يؤدِّي آتي أعمال في معالمة ذرووف العولة، لمد توقفا بهذا التفصيل عند وصف شخصيَّة بطرس، لأنه أحد الأعمد الكبري للكنيسة المسيحيَّة وهو إلى جانب بولس الرسول، أشهر الشخصيات المسيحيَّة. وكثر بولس لم يظهر إلّا هيم بعد. ونم يكن في عدد الفريق الأوَّل الذي لُفَّه المسيح نفسه فقد، عه يسوع لخدمته وخدمة الإله بعد أن أعدم على التعلُّب واستجاب بولس (= المحدث) للدعوة. وثَّ في تعاليم المسيح نصفاً جديداً إدَّ تشرها في أوساط الوثنيين لكننا لن نتحدَّث عن هذا إلّا فيما بعد.

إنَّ لقد تعرَّفنا على امتداد الصُّفحات المتألفة على المبدئي الأساسيه لتعاليم المسيح، أي لتعاليم العهد الجديد. ودعى هذا العهد جديداً لأنه يختلف عن العهد الذي سبقه، من العهد القديم، أي عن مجموعة الشرائع المعطاة في الأسفار الخمسة فيبين

الشريعة القديمة والشريعة الحديدية بون واسع، ومع هذا هاتهما تمثلان مصطلحين رمنيين مختلفين للشريعة عينها شريعة الإله، وهي الشريعة التي يعيش وفقها الكون كله فلم يكن لموضوعات الشريعة الحديدية، العهد الجديد، أن تظهر في الزمن الذي عاش فيه موسى لأن ذلك الزمن كان زمناً مختلفاً وشروطه محتلمة، بل ناسه محتلمون أيضاً وبذلك كانت لشريعته تحديات مختلفة كذلك ثم جاء المسيح وأعصى شريعة جديدة، مؤكداً على أنه لم يأت ليغيث الشريعة القديمة بل ليكملها وقد بقي على إسمه روح الشريعة لا بحرفيتها. لقد جاء لكي يجعل الشريعة القديمة متوقفة، منلائمه مع الزمن الجديد، مع المستوى الجديد لنشوء المجتمع لقد جاء، ليعطي أخلاقاً جديدة، أي ليعبر يدت العالم جاء ليستبدل بشريعة النار والانتقام بشريعة التسامح، والرحمة، وأحبته

وإذا كنت قارئ الكريم لم تقرأ بعد أنا من معبدتي القديم والجديد، وتريد أن تتعرف إلى جوهرهما معاً، فأنا ننصحك بقراءة عدة صفحات من الإنجيل سيقنت فيها موعظه المسيح على الجبل عند بحيرة كفرناحوم عيناها، فموعظه الجبل هذه، هي خلاصة تعاليم المسيحية ولذلك نرى الله من الضروري أن نتوقف عندها فموضوعات موعظه الجبل عميقة جداً، وعرضت نابهار، ووضوح، وبروز متعمق إلى درجة تجعلنا نرى أنه من الأنسب أن نفتسها، لا أن نمرصها ونؤولها ولذلك سوف نصوص النص الإنجيلي ثم بعد ذلك نصوص عليه

﴿ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل فلما جلس تقدم إليه تلاميذه﴾
﴿فصلتهم قائلين﴾ طوبى لمنساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات.
﴿طوبى لمنحزلي لأنهم ينعززون.﴾ طوبى للودعاء لأنهم يرفعون الأذن
﴿طوبى للحياء والبعث إلى البر لأنهم يشبعون﴾ طوبى للرحفاء لأنهم
يرحمون ﴿طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله﴾ طوبى لبصائعي السلام
لأنهم أبناء الله يذخرون. ﴿طوبى للعترويين من أجل البر لأنهم ملكوت
السموات﴾ طوبى لكم إذا غيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كن كلفه ثيرة من
أجلي كافرين. ﴿فرحوا وقهّلوا لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا
طردوا الأنبياء الذين قبلكم.﴾ أنتم ملج الأرض ولكن إن فسد البطح فبئذا
يملح لا يفسح بعد شيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس. ﴿أنتم نور

الْعَالَمَ لَا يُنْكِرُ أَنْ تُخْفِيَ مَدِينَةً مَوْضُوعَةً عَلَى جَبَلٍ ۖ وَلَا يُوقِنُونَ سِرَاجًا
 وَيَضْمُونَهُ تَحْتَ أُبْيُكَيْلَ بَلْ هَلَى أَمْتَارُهُ فَيُضَيُّهُ لِحَبِيبِهِ الدِّينَ فِي الْيُسْتِ
 ۖ فَكَيْفَ يُنْزِلُكُمْ هَكَذَا قَدْ آمَنَ لِنَاسٍ لَكُمْ يَرَوْنَ أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيُجِدُّوْا أَبَاكُمْ
 الَّذِي فِي أَسْمَائِهِ ۖ لَا تُظَنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَتُعْضِدَ النَّاسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ مَا
 جِئْتُ لَأَتْلُفَ بَيْنَ بَاطِلٍ ۖ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ
 وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ
 ۖ فَمَنْ تَعَسَّ رِجْلِي مَذَى الْوَصَايَا اصْغُرْزَى وَعَلِمَ أَسَرَّ هَكَذَا يَدْعَى أَصْغَرُ فِي
 مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ۖ وَأَنْتَ مِنْ عَمِلٍ وَعَلِمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَاوَاتِ ۖ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّمَا إِنْ سَمِعْتُمْ يَرْزُقُكُمْ هَلَى الْكُتْبَةِ وَالْعَرِيسَيْنِ
 أَنْ يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ۖ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمِ لَا تَقْشَرُ وَمَنْ قَتَلَ
 يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ ۖ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَلَّ مَنْ يَغْضَبُ هَلَى أَخِيهِ
 بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَّ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْجَمْعِ
 وَمَنْ قَالَ: يَا أَهْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ ۖ فَإِنْ قَدُمْتُ قُرْبَانِكَ إِلَى
 الْمَذْبَحِ وَهَنَّاكَ تَذَكَّرْتُ أَنْ لِأَخِيكَ شَيْئًا غَلِيْلًا ۖ فَهَاتِرُنْ مَنَّا قُرْبَانِكَ قَدْ آمَنَ
 الْمَذْبَحِ وَالْذَّهَبِ أَوْ لَا اصْطَلَحَ نَعِ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَمَانٍ وَقَدِمَ قُرْبَانِكَ ۖ كُنْ
 مُرَاضِيًا بِخُصْمِكَ سَرِيحًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ يَلْقَا بِسَلْبِكَ الْخُصْمُ إِلَى
 الْقَاصِي وَيُسَلِّمَكَ لِقَاصِي إِيَّيْ لَشُرْطِي فَتَلْقَى فِي السَّجْنِ ۖ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ:
 لَا تَخْرُجْ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِّيَ الْغُلَسَ الْأَخِيرَ! ۖ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمِ
 لَا تَزُلْ ۖ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ يَبْشَتَهِيهَا فَقَدْ رَأَى
 بِهَا فِي قَلْبِهِ ۖ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْتَرِكُ وَقَلْبُهَا وَالْقَلْبُ عَنْكَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ
 لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ أَعْصَمَكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كَسَه فِي جَهَنَّمَ ۖ وَإِنْ كَانَتْ
 يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْتَرِكُ فَاقْطَعْهَا وَالْيَمْنَى عَنْكَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ أَعْصَمَكَ
 وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلَّهُ فِي جَهَنَّمَ ۖ وَقِيلَ مَنْ طَلَّقَ مَرْأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ
 طَلَاقٍ ۖ وَأَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لَعَلَّ لَهَا رِزْقًا يَجْعَلُهَا رِزْقِي
 وَمَنْ يَتَزَوَّجْ مُطْلَقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي ۖ أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمِ: لَا تَحْتَشِ بَيْنَ
 أَوْبِ لِلرَّبِّ أَتَسَاتِكَ ۖ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُحْلِفُوا الْبَيْعَ لَا بِالسَّيِّئِ لَا بِهَا

كُرْسِيِّ اللَّهِ ﴿وَلَا بِالْأَرْضِ لَأَتَّهَا مُؤْتِقًا قَدَمَيْهِ وَلَا بِأَوْرُشَلِيمَ لَأَتَّهَا مَدِينَةَ الْمَلِكِ
الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَلَا تَخِيفُ بِرَأْسِكَ لِأَتْلُ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ
سَوْدَاءَ﴾ ﴿بَلْ يَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لَا لَا وَمَا زَانَ عَلَى ذَلِكَ فَهَوَّ مِنْ أَشْرِيهِ
﴿سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قَبِيلٌ: عَيْنٌ بَيْنِي وَبَيْنَ﴾ ﴿وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَسْأَلُوا
النَّشْرَ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَخَوَّلْ لِيَ الْآخَرَ أَيْضًا﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ قُوَّتَكَ فَاتْرِكْ لَهُ إِرْدَاءَ أَهْلِهَا﴾ ﴿وَمَنْ سَخَّرَكَ بَعْلًا وَاحِدًا
فَاذْخُبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ﴾ ﴿مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرِضَ مِنْكَ قِلَابًا
تُرُدُّهُ﴾ ﴿سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ﴾ ﴿وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ:
أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا لِأَعْيَبِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ
يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ وَيَبْغِضُونَكُمْ﴾ ﴿لَكِنِّي تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ
يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْآشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْآثِرَارِ وَالظَّالِمِينَ﴾ ﴿لَأَنَّهُ
إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّوكُمْ فَدَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْمُتَسَارِعُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟
﴿وَأِنْ سَأَلْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ هَائِلٌ فَهَلْ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْمُتَسَارِعُونَ أَيْضًا
يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟﴾ ﴿فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ
كَامِلٌ﴾

(متى ٥ - ٤٨)

﴿احْتَرِّزُوا مِنْ نَ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قَدَامَ النَّاسِ لَكِنِّي يَنْظُرُكُمْ وَأَنَا فَلَيْسَ
لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ فَبَلِي فِي السَّمَاوَاتِ﴾ ﴿فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُصَوِّتُ
قُدَامَكَ بِالْبُيُوتِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الْأَزْقَةِ لَكِنِّي يَنْجِدُوا مِنْ
النَّاسِ الْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ. إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! ﴿وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ
صَدَقَةً فَلَا تُعَرِّفَ شَمَانِكَ مَا تَفْعَلُ يَبِينُكَ﴾ ﴿لَكِنِّي تَكُونُ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ
فَأَبْرَأُ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجْزِيكَ عِلَازِيَّةً﴾ ﴿وَمَنْ سَلَبَتْ قِلَابًا تَكُنْ
كَالْمُرَاتُونَ فَبِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَاجِ الشُّوَارِعِ لَكِنِّي
يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ الْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ. إِنَّهُمْ قَدْ سَوَوْفُوا أَجْرَهُمْ! ﴿وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى
صَنَعْتَ فَدَخُلْ إِلَى مَخْذَعِكَ وَأَعْلِقْ بِأَبْنِكَ وَصِرْ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ.
فَأَبْرَأُ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجْزِيكَ عِلَازِيَّةً﴾ ﴿وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لَا تُكْرِرُوا

الْكَلَامَ بِأَيْدِيهِمْ يَكْفُرُونَ إِنَّهُ يَكْفُرُ كَلَامُهُمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. ﴿فَلَا
 تَنْشَبُهُمْ بِهِمْ. لِأَنَّ أَهْلَكُمْ يَعْلَمُونَ مَا تَحْتَاجُونَ لَهُ قِيلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. ﴿فَصَلُّوا أَنْتُمْ
 هَكَذَا: أَبَاكَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. ﴿لِيَأْتِيَ مَلَكُوتُكَ لِيَتَكُنَّ
 مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. ﴿خُذْنَا كَفَافًا أَعْطِنَا الْفَرَمَ
 ﴿وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا تَغْفِرُ لِمَنْ آمَنَ بِالْمُذْنِبِينَ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَلَا تَدْخِلْنِي فِي
 تَجْرِيقِهِ بَكِنِ نَجَّتْ مِنَ الشَّرِّ لِأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الْأَبَدِ آمِينَ
 ﴿وَالَّذِي إِنْ عَمِلْتُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رِئَاسَتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَنْتُمْ أَبُوكُمْ السَّمَاوِيُّ. ﴿وَلَنْ نَمَّ
 تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ لَا يَغْفِرُ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيُّهَا زَنَاكُمْ. ﴿وَمَنْ صَنَعْتَ فَلَا تَكُونُوا
 عَائِسِينَ كَالْمُرَائِقِينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيَّرُونَ وَجُوهَهُمْ لِيَخِي يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ سَائِسِينَ. الْحَقُّ
 أَلْوَنُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوَفَوْا أَجْرَهُمْ. ﴿وَأَمَّا أَنْتَ فَمَنْ صَنَعْتَ لِهَذَا رَأْسًا
 وَغَيْلٌ وَجْهَكَ ﴿لَكِي لَا تَظْهَرِ لِلنَّاسِ صَائِمًا بَلْ لِيُحِبَّكَ لِيُحِبَّ فِي الْخَفَاءِ.
 فَأَبُوتُ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ بِحَاذِيكَ عَلَانِيَةً. ﴿لَا تَكْثُرُوا لَكُمْ كُتُوبٌ عَلَى
 الْأَرْضِ حَيْثُ يُقْبَدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُصُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. ﴿بَلْ
 اكْثُرُوا لَكُمْ كُتُوبًا فِي لِسَانٍ حَيْثُ لَا يُقْسِدُ سُوسٌ وَلَا صَدَأٌ وَحَيْثُ لَا يَنْقُصُ
 سَرِيقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ. ﴿لَئِنْ حَيْثُ يَكُونُ كَثْرَتُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.
 ﴿سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بِمِيطَةٍ فَجَسَدُكَ كَلِمَةٌ يَكُونُ نُورًا
 ﴿وَلَوْ كَانَتْ عَيْنُكَ شَرِيرَةً فَجَسَدُكَ كَلِمَةٌ يَكُونُ مَظْلِمًا فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ
 ظُلُمًا فَالظُّلَامُ كَمَ يَكُونُ! ﴿لَا يَغْفِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدُمَ سَيِّدَيْنِ لِأَنَّهُ يَأْتِي أَنْ يُبْطِلَ
 الْوَاحِدَ وَيُحِبُّ الْآخَرَ أَوْ يُلَازِمُ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرُ الْآخَرَ. لَا تَسْأَلُوا أَنْ تُحْبَبُوا
 لِلَّهِ وَالنَّاسِ. ﴿لِذَاكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَبُوا لِحُبِّبَتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَيَمُوتُ تَحْتَرِبُونَ
 وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَتَّبَسُّونَ الْإِنْسَانُ الْحَيَاةَ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدِ أَفْضَلَ مِنَ
 لِلنَّاسِ؟ ﴿أَنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: رِثْمًا لَا تَزْدُرُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَحْجُسُ. لِي
 مَخَازِنُ وَأَبُوكُمْ السَّمَاوِيُّ يَقُوْثُهُ. أَنْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنْهُمْ؟ ﴿وَمَنْ مِنْكُمْ
 إِذَا هُوَ بِغَيْرِ أَنْ يَزِيحَهُ عَلَى قَامَتِهِ يَزَاهَا وَاحِدَةً؟ ﴿وَلَمَّاذَا تَهْتَبُونَ بِالنَّاسِ؟
 تَأْمَلُوا زَنَايِقَ لِحَقِّ كَيْفَ تَنْوَلُوا لَا تَغْبِ وَلَا تَفْرُكْ. ﴿وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلَا
 سَلَامَتَانِ فِي كُلِّ مَجْبُوهٍ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةً مِنْهَا. ﴿فَلِنْ كَانَ مُدْبِهُ لِحَقْلِ

الَّذِي يُوجِدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ هَذَا فِي التُّنُورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًا
يُنَبِّسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ ﴿٣٤﴾ تَهْتَمُّوا فَاتَّقِلِينَ : ماذا تأكل أو ماذا تشرب
أو ماذا تلبس ﴿٣٥﴾ فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا سَطَّهَا الْأَمُّ لِأَنَّ آبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ يَعْلمُ أَنَّكُمْ
تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا ﴿٣٦﴾ لَكِنْ اظْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهُدَاهُ كُلُّهَا تَزَادُ
لَكُمْ ﴿٣٧﴾ مَلَا تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ لِأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ يَكْفِي أَيُّومَ شَرِّهِ ١

(متى ٦ ١-٣٤)

﴿٣٤﴾ تَهْتَمُّوا بِمَا لَا تَحْدُثُ ﴿٣٥﴾ لَا تَكُنْ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا شَدِيدُونَ لُذَاتِي
وَبِالْكَيْسِ الَّذِي بِهِ تَكُونُونَ يَكُنْ لَكُمْ. وَلِفَانِ، فَتَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ
أَخِيكَ وَأَمَّا لِحَفْظِهِ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطَعُ لَهَا؟ ﴿٣٦﴾ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ
ذَمِّمِي أَخْرَجِ الْقَدَى مِنْ عَيْنِكَ وَمَا أَخْفَضْتُ فِي عَيْنِكَ ﴿٣٧﴾ بِمَا رَأَيْتِي أَخْرَجْتُ أَوَّلًا
الْحَفْظَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَهْدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَدَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ! ﴿٣٨﴾ لَا
تَعْمَلُوا الْمَقْدَسَ لِلْكَلاَبِ وَلَا تَصْرَحُوا دُرُوكُمْ قَدَامَ الْحَنَازِيرِ لِئَلَّا تَدُوسَهَا بِأَرْجُلَيْهَا
وَتَتَلَبَّثَ قَدَمُكُمْ. ﴿٣٩﴾ اسْأَلُوا تُعْطُوا. اظْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يَفْتَحْ لَكُمْ. ﴿٤٠﴾ لِأَنَّ كَس
مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْطُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَفْرَحُ يَفْتَحْ لَهُ ﴿٤١﴾ أَمْ أَيْ إِنْسَانٍ بِكُمْ. ب.
سَأَلَ ابْنَهُ خُزْبَا يَعْنِيهِ حَجْرًا؟ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ سَأَلَهُ سَكَّةَ يَعْنِيهِ حَبَّةً؟ ﴿٤٣﴾ فَيَنْ كُنْكُمْ
وَأَنْتُمْ أَشْرَارُ فَغَرِّقُوا أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ يَنْحَرِي أَبُوكُمْ الَّذِي
فِي اسْمَاوَتْ يَهَبُ خَيْرًا مِنَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ. ﴿٤٤﴾ فَكَمْ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ
بِكُمْ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ. ﴿٤٥﴾ اذْخَبُوا مِنْ
الْبَابِ أَصْغِقْ لِأَنَّهُ وَاسِعُ الْبَابِ وَرَحِمَةُ الصَّرِيقِ تُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ
وَكثيرون هم الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ ﴿٤٦﴾ مَا أَصْغِقُ الْبَابَ وَكَثُرَتِ الطَّرِيقُ الَّذِي
يُؤَدِّي إِلَى لَحْمَاءٍ وَفَلْيَلْبَثُوا هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ ﴿٤٧﴾ احْقَرُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَتَبَةِ
لَدِينِ بِأَعْيُنِكُمْ بِشِيَابِ الْحُمَلَانِ وَلَكِنْهُمْ مِنْ دَحْلِ دُثَابٍ حَاطِعَةً ﴿٤٨﴾ مِنْ تَارِيهِمْ
تَعْرِفُونَهُمْ هَلْ يَجْتَنُّونَ مِنَ لَعْنَتِكَ عِلْمًا أَوْ مِنَ الْحَسَنَةِ يَنْبَأُ؟ ﴿٤٩﴾ هَكَذَا كُل
شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَشْمَارًا جَيِّدَةً وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئةُ فَتَصْنَعُ أَشْمَارًا رَدِيئةً ﴿٥٠﴾ لَا
تَقِيرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَلْمَارًا رَدِيئةً وَلَا شَجَرَةٌ رَدِيئةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَلْمَارًا
جَيِّدَةً. ﴿٥١﴾ كَسْ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ﴿٥٢﴾ هَذَا مِنْ

يَسَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ ۚ لَيْسَ كُلُّ مُبَقُولٍ لِي يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ
السَّمَاوَاتِ بَلْ أُنَبِّئُ بِمَا عَمِلْتُمْ إِرَادَةً مِنِّي أَنَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ ۚ كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ
لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِأَمْرِكَ فَتَنَانَا وَبِمَشِئَتِكَ أَخْرَجْنَا
فِتْيَانَهُمْ وَيَأْمُرُكَ صَنَعًا قَوِيًّا كَثِيرًا ۚ فَجِئْتَنِي أَصْرَحُ لَهُمْ: إِنِّي نَحْنُ أَهْلُكُمْ
قَطًّا! انْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ! ۚ فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَامِي هَذِهِ وَيَفْعَلُ بِهَا
أَشْبَهَهُ بِرَجُلٍ صَدِيقٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرَةِ ۚ فَتَنَزَّلَ الظُّرُورُ وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ
وَهَبَتِ الرِّيَّاحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ لِأَنَّهُ كَانَ مُرْسَأً عَلَى
الصَّخْرِ ۚ وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَامِي هَذِهِ وَلَا يَفْعَلُ بِهَا يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى
بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ ۚ فَتَنَزَّلَ امْطَرُ وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ وَهَبَتِ الرِّيَّاحُ وَصَدَمَتْ ذَلِكَ
الْبَيْتَ فَسَقَطَ وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا! ۚ فَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَامَ بَنِمَتِ
الْجُمُوعُ مِنْ تَغْيِيهِ ۚ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَذَلِكَ سُلْطَانًا وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ ۙ

وإذا ما قرأنا بإيمان موعظة المسيح على الجبل كلها، فسوف يتكوّن لدى قارئنا الشريعة القديمة التي تلقّاها موسى على جبل سيناء، تبقى كلها قائمة دون تغيير هتفتي الوصايا العشر تحتفظ بكامل وجودها وقوتها، وهي لبُ لسريعة الموسويّة كدها، ولكنّ المسيح ذهب إلى أبعد منها في تعاليمه وفي فرائضه الأخلاقية. فالأسسة إليه لم تكن واقعة الجريمة (لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، و...) وحدها المهمة، إنّما التّفكير فيها، واستوايا الشريعة التي تقود إلى أسية، والأدب وسوى ذلك من الشرور. وبذلك طلب المسيح من الإنسان ألا يعص التّشريع حتّى في أفكاره، أو في نويّه. وكم تبدو مثل هذه الأفكار متلاتمة مع رمبا هذا على الرّغم من أنّه مضى عليها الآن حوالي الألف عام. فعماء اليوم يقولون، إنّ لشكر ماديّ، بكل فكرة ما يواقعها من العمليّة المحدّدة في العلم الذي يحيط بها، صورة التفكير. وبذلك فإنّ «من حملن أفكاره، يهلكن» قد أخط في واقع الحال. وهذا ما لم يأت به شريعة موسى لقد طالب العهد الجديد الإنسان ببقاء الفكر، وصماء النية، والمسيطر على الأفكار والرغبات ولم يكن عساً قس المسيح «من نظر إلى امرأة ليشتتها، فقد رى بها في قلبه». وهكذا كان التّقياس في كلّ شيء. لأنّ ليس المهمّ هو ما يفعله المرء وحسب، إنّما أهمّ أيضاً من يكون هو نفسه. ومن الضروريّ أوّلاً وقبل كلّ شيء أن يظهر الإنسان روحه من كلّ شر، وليس هذا ممكناً إلا بمساعدة فعل اسبح هلا

يمكن أن يهزم الشر بالشر، إنما بالخير. ولذلك قيل «أحبوا أعداءكم» وعلى مدى الألفي عام اللذين انصروا بعد زمن المسيح، أنقذ الناس مِراتٍ كثيره بهذه الحقيقة؛ لقد رأوا أن الأيدي الملوحة بالدم لا تجعل العدم سعيداً، وإن لمُسْخَب، والجريمة، وسخطك اندماء لا تحقق لعيش الهائى. هالخبز وحده، القادر على وضع حد للشر، تماماً مثلما يوارى الموحب السَّلب ويحب أن تبثق هذه الوسيلة الوحيد، الخير، من روح إنسانية نقيّة فالإنسان ينبغي أن يعمل كي لا تصدر عنه، كي لا يخرج من روحه أى أفكار رديئة وكم يتوافق هذا الآن مع العضلات التي يعمل المحلّلون التفسّيون على حلّها يقول عالم معاصر «لكي تمتلك رمام روحك، يعني عليك أن تَمَيّ في داتك القدرة على حشد الفكر، القدرة على التركيز المكثري، أو بكلمات أخرى، أن تبلغ درجة السيطرة الذّئمة على داتك عليك أن تتعلّم توجيه مختلف نوع روحك بما يجعل مثال لأعلى المختار قادراً على أن يؤلّمها كلها في كل واحد ولتحقيق هذا عليك أن تجد لحملات للتفكير بصمت في عزلة عن الآخرين، حيث يسمح الجو كله بالتفكير في الموضوعات الروحية وتسمى هذه الحايه. «حالة الاستغراق في الصمت»

ونحن سوف ندرس هذه أسأله بالتفصيل في فصل آخر من هذا الكتاب. وكنتمى الآن بأن يؤكّد مرّة أخرى على أن تعاليم المسيح تقضي بضرورة السّعي إلى تحقيق الكمال الدّائى، وتنفيه الروح من الأعتكار الرديئة، وبإاء معبد الإله داخل روح الإنسان. وتلكم هي المهمّة التي وضعها المسيح أمام الإنسان منذ الألفي عام، ولا تزال قائمة حتى يومنا هذا. ومع ذلك فإنّ الإنسان لم يحقق تقدماً يد كر على طريق تحقيقها فأكثر المسيحيين يظنّ أن اعتناق المسيحيّة يعني تقبّل سرّ المعمدنة، وزيارة الكنيسة من وقت لآخر، وتأدية الصلوات أحياناً، وهذا كل شيء، وغالب ما نسميهم بردّدون، نحن مسيحيين! اقرأ بإيمان موعظه المسيح على الحمل وسوف تدرك ما يسمي على المسيحي أن يفعله لكي يعدو من تساع تعاليم المسيح حقّاً فهل يلبي متطلبات الانتماء إلى المسيحيّة الحقّة أكثّر مسيحيين ليوم؟ ليس بين متطلبات الإيمان المسيحي الحقيقي ما يفرض عدد المرأت التي يحب أن ترور فيها الحكيمه، ونؤدّي طمس الاعتراف، وبرزغ احساسات و... ولكن هناك بمقابل متطلبات إلزاميّة مبدئيّة. حرر نفسك من الحسد، والمباهاة، وعامل الآخرين بما تحب أن يعاملوك به، بالشرّ الخير، بل لا تفكّر بما هو رديء، وما إلى ذلك. والحقيقة أنّه يصعب أن يزيد شيئاً ما على القانون الأخلاقي المسيحي هذا. لكنّ الالتزام به أمر عسير أيضاً. وليس ثمة سوى قلة تستطيع أن تشعر بالسعادة لأنّها تقترب منه بعض

الشيء أم فما مضمّن المؤمنين العاديين، فقد كتب حونتان إدواردز عنهم يقول: «يجب أن نصلي من أجل أولئك الناس الصالحين الذين لا وجود للروح المسيحي الحي فيهم، لكي يحييهم الإله أو يرسل لهم الموت، يجب أن نصلي من أجلهم إذا ما كان ما نقولون عنه في أيامنا هذه صحيحاً؛ بسبب هؤلاء الصالحين ذوو الأرواح الميتة بالشئ أكثر من لأشجار العاديين. ويقودون أرواحاً أكثر إلى الهلاك وسوف يكون من لأفضل بالمسبة للجسد البشري لو مات هؤلاء كلهم». وتبدو هذه الكلمات غريبة للوهلة الأولى إذ كيف يمكن تمضيق الطالحين على الصالحين؟ وبكر إذا كان الحديث يجري على المؤمنين إيماناً شكلياً، فيبدو أن هذه الكلمات صحيحة. فمثل هؤلاء المؤمنين النلا مباليين بن يصنعوا مسيحيين حقيقيين في أي يوم من الأيام. أمّا الساقطون فقد يصبحون كذلك في أي وقت ولذلك نحن نحاول أن نلفت الانتباه إلى أس الإيمان المسيحي، إلى قاعدته، إلى لبه لكي يمكن لأي كان أن يمي أن التردد إلى الكنيسة من وقت وآخر لا يمكن أن يحل بدلاً عن الالتزام الحقيقي بمبادئ المسيح.

ولم يكر المسيح وحده اندي بشر بتعاليمه فقد حان الوقت الذي عهد به لهذه المهمة لتلاميذه - رسله فأرسلهم أرواحاً ليبشروا اليهود أولاً ومنعهم من أن يبشروا السامريين والوثنيين. وقد اقتضت مهمتهم على التبشير بقرب قيام مملكة السماء وكان ينبغي عليهم أن يترسو مواعظهم «بأعمال الحبروت»، وأعمال لبر وأمسعود «بأعمال الحبروت» مداوة الأمراض، وهو ما كانوا قد تعلموه فقد جاء في تحليل متى، أن المسيح «أعطاهم سلطة على الأرواح النجسة ليطردوها ويشفوا كل مرض وكل علة» وإذ درس المسيح رسله رؤدهم بالكلمات التالية: «لا تحملوا معكم ذهباً أو فضة، ولا نحاساً في أحزمتكم وتأخذوا محلاة لطريق، ولا نوبي، ولا حذاء، ولا عصاء لأن من يستحق أن يرزق هوته وإذ ما دخلتم أي مدينة أو قرية فاطفروا فيها من يستحق وامسكوا عنده إلى أن تخرجوا وعندما تدخلون المنزل حيّوه بقولكم: «السلام لهذا البيت» وإذا ما كان البيت يستحق فعلاً فإن سلام سيأتي. ما إذا كان لا يستحق فسيبوء سلامكم إليكم وإذا لم يستقبلوكم ولم يسمعو لكم فامسكوا، فأزيلوا عن أقدامكم عندما تخرجون من ذلك المنزل أو تلك المدينة. وما إذا أرسلكم كالحرافع بين البئانب، كسوا حكماء كالأهمل، وودعوا كالحمام فاحذروا الناس لأنهم سوف يسلموكم إلى القضاء، وسوف يصيروكم في معيدهم، ويقودونكم إلى الملوك والحكام من أجلي، وللشهادة أمامهم وأمام الوثنيين. وحسب سلموكم لا تهتموا بما ستقولونه وكيف، لأنه في تلك

لساعة سوف يُعطى لَكُمْ ما تمولونه، لأنَّه ليس أنتم من سيَتكلَّم، إنَّما روح أبيكم هو
لدى سيَتكلَّم فيكم.

وسوف يكرهكم كلهم من أجل اسمي، ومن يصمد إلى الشهادة يكون خالصاً
وعندما سيطر ديوكم في مدینہ، اهربوا إلى مدینہ حری

فلا تحافوهم، لأنَّه ليس من مکنون إلاَّ ویطهر، ویس من حقی إلاَّ ویعلم. وما أقول
بكم في الظلام قولہ في السور، ما أقوله لكم همساً، تحنُّوا به من فوق السطح ولا
تماهو فأتالي الجسد العاجزين عن قتل الروح، إنَّما خافوا من من في مقدوره أن يهلك الروح
والجسد في الحميم،

الفصل الثامن

المواجهة

لقد وقف ليهود حماة التلمود موقفاً شديداً المراء من تعاليم المسيح الجديدة فالمسيح دافع عن روح الشريعة الموسوية، عن روح القضاة الإنبي ومفراه، وحاول أن يجعل هذا المفزى أكثر عمقاً وأكثر تحديداً ولكن الفريسيين وصلوا حد العتث، حد السعيب في إنكار مرند من المحرمات الجديدة التي زعموا أنها تبتق من شريعة موسى. ويصمى أن سوق هب بعض الميثاق من تلك لتشريعات همن لإضافات التي أصافوها إلى الشريعة. تحريم احتذاء الأحذية ذات المسامير يوم السبت، وحجتهم أن المسامير تشكل ثقلاً أما الأحذية لبي ليس فيها مسامير فقد مسمح باحتذاثها. كما فضوا بأنه يمكن أن يسير لمرء بمردي حذاء، ولا يجوز له أن يسير بمردة واحدة وإنما ما حمل لمرء يوم السبت رفيف حبز فلا ضير عليه، أما إذا حمل الرضع شخصاً هباً في ذلك أيضاً وكان ثمة كثرة بكثيرة من مثل هذه المحرمات احمقاء التي لا تشر سوى سحرية دوي السامير السليم ولكن مثل هذه المحرمات لم تكن مجرد توصيات، إنما فرض واقعية قد يدفع اليهودي حياته ثم لا يستهتار بها فقد كانت المحاكم الدينية اليهودية سلطة في اتخاذ قرارات الإعدام. حباً بالحجرة لمن كانت تتأكد معالمة لمثل هذه المحرمات وهكذا كان الحماة الفيرون لمل هذا العبث يضعون حداً بحماة الموهوبين الذين لم يكن بمقدورهم التماس مع مثل هذه الموضوعات بسلا، أو حيازة وثائق البدير تكالوا ينجعون لنطق السليم فيحاصون عن غير قصد تلك المحرمات

لقد لاحق الفريسيون المسيح وتلاميذه وأنصاره في كل مكان وتحرشوا بهم في كل مرة سبحت لهم فيها فرصة هفتدا مر يسوع يوم سبت عبر حقول مروعة، قطع تلاميذه سنايل وأكلوا حبها فقال له لمريسون الدين رأوا المسند ما هم تلاميذك يفعلون في يوم السبت ما لا يجوز أن يفعل فقال لهم: ألم تقرؤوا ماذا فعل داود حينم جاع هو ومن معه؟ لم يد حل بيت الإله ويأكل حبز التقدمة لذي كان يحرم أكله عليه وعلى من معه، ولا يجوز إلا للكهنة؟ أولم تقرؤوا في الشريعة أن الكهنة ينتهكون

الإتحيل من لديه أكثر يُعطى أكثر، ومن لديه أقل يُؤخذ منه فمعنى هذه الكلمات ليس متماثلاً لكم يؤوبونها في غاب الأحياء ونحن يبقى لدينا إحساس بالعصاة لأنه بعد جدال مكفرتناحوم الذي وصفناه هنا، دار كثيرون ظهرهم للمسيح مستعدين منه ولم يقلب له طهر المجس خصوصه التقليديون المريميون والمكتبيون، وحسب، إنما اتخذ موقف الحذر منه أيضاً، كثير ممن كانوا تلاميذه هتفوا شكك عليهم فهم معمرى كلامه «إن لم تأكلوا حسد بن الشر وشربوا دمه، فلن يكون لكم حياة في داتكم» نعم لقد أحد أنصار المسيح الأقل قرباً منه يترمون بهذه الإرشادات التزاماً حرفياً، لقد غاب عن ذهن هؤلاء أن المسيح كان دوماً من أنصار الجوهر لا الشكل، من أنصار المسمى لا «عرائض الشكك» وكان معمرى تعاليمه واضحاً. أولاً «ليس بالخبر وحده يحى الإنسان، لكن بكل كلمة تخرج من فم الإله» ثانياً، الحياة الأبدية هي حياة الروح، ولا يستحقها إلا الذين يلتزمون بالحقيقة الإلهية، بتعاليم يسوع (الذي جاء ليحقق إرادة الإله، لا لإرادته هو).

وفي تحليله للجدال الذي وصفناه أيضاً، رأى أوغسطين المفسر أن قول المسيح لم يكن عصياً فهمه إلا على قسوة القلوب، ولا غرساً إلا بالنسبة لضعف الإيمان فقد عد أنه من السهي أن يكون «خير السماء» غذاء روحياً لمن يقتات به، وهو يعزّز الحياة الأبدية ولا ريب في أن تحدث إنما جرى على أنه يحب عليهم أن يقتادوا به (أي بالمسيح، بحسده ودمه) إيماناً في قلوبهم. أما التلاميذ الذي اردوا في صحة تعاليم المسيح، فقد خاطبهم بلغة أكثر ثورية. «لقد حدثهم عن الصيغة المنتظرة التي يجب أن تثبت لهم أنه قد نزل من السماء فعلاً، وأن الحديث عن جسده الذي سيعمه معه إلى السماء لا يمكن أن يكون له سوى معنى مجازي» (١١١) هذا ما كتبه أحد أشهر دارسي حياة يسوع المسيح وتعاليمه ر. ف. ه. هارزارد لقد حطب المسيح تلاميذه الذين أخذهم الشك، قائلاً: الروح يحى والحسد يقتل إن الكلام الذي قوله لكم جوهر، وروح، وحياة، لقد كان المسيح يعرف مصدر عدم فهمهم، إنه عدم الإيمان. وكان قد قال: «إن روح الإيمان نعمة من الإله، إحسان حميد يمن الإله به

بعد «أرمة» كفرناحوم خسر المسيح كثيراً من أتباعه، وبماقص عدد الحشد الذي كان يعرف به ويحبه أكثر هناك. وسأل تلاميذه بأسى «ألا تريدون أتم أن تتركوني أيضاً؟ فأجاب بطرس وإلى من نمضي يا رب؟ فأنت نفسك تباهج الحياة الأبدية ونحن معنا وعرضاً إنك قنوس إلهي»

لقد أولى الدين وصفوا حياة المسيح كلهم، هتموا كبيراً لأعمال استثناء التي
 كان يقوم بها، وكونه كان روحانياً شديد التأثير، فقد منح المسيح في شفاء أمراض لم
 يستطيع الآخرون معالجتها ولكن الأمر لاهم في هذا كله، هو الأساس الفلسفي، وقد
 قام هذا في الآتي - لصي ندأوي الحسد حب أن تدأوي روح الإنسان أولاً، حب أن تريح عن
 روحه عب الأثام، والآلام، وعذاب الصمير ولذلك ينبغي على من يرغب في أن يشفى، أن
 يندم ويتوب عن آثامه، أن يؤمن في حقيقته إلهه (حسب إيمانكم ترزفون)، وكل من
 كان يتوب ويندم على خطايا كان المسيح يقوله له «مغفرة لك خطاياك» وكان هذا
 الإعلان يثير عصب الربربيين ويستدعي إدانتهم للمسيح، فموقفهم من مغفرة الخطايا
 كان موقفاً تقليدياً لا يمكن أن يد المرء مغفرة لخطايا إلا إذا أدنى شائكر طقس تقديم
 اقتران بمسرحية الحكمة وتادية كثرة من الشكليات. أما المسيح فلم يكن يعبر مد
 ي اهتمام فقد كان بكل شيء، عنه بحري نمداً عن المعد، والكهنة، ولصوم وسوى
 ذلك من المرائص نتي لا تعد ولا تحصى حسب المسيح كان كل شيء متعلق بروح كل
 إنسان بعينه، كل إنسان بآثامه، وشوايابه، وصعته، وسروده، بقد جعل المسيح مصللات
 لبشرته كلها على روح إنسان محدّد وكان يحب أن يردّد كلمات النبي أشعيا «رحمه
 ريد، لا تقدمات، الرحمة تحديد، واستسامح، والمحبة، وليس محبة القريب فقط، بل
 محبة أعدو كذلك لقد كان المسيح يمد يد العون للأرواح الضالّة، الأثمة، أي لأرواح
 بشر حقيقيين معروفين في حياة اليومية وعندما عدلوه في هذا (في ذلك الزمان كان ثمة
 بين شاسع فصل بين الرُعاء الدينيين والفُتّاب، وبين مختلف ابداهب الدينيّة) أجابهم
 بسولة لا يساج لأصحاء إلى أطبيب، بل لمرضى، وكان هو يساعد أولئك لمرضى. لقد
 كان سلوكه معوم ككامل عامل الآب، به الضال، إذ أقام وثمة أحفاد بعودته إلى ليست
 وسامحه على تذبذبه نصيبه من ثرو العائلة وأوراقاً أخرى كثيرة لمكان رحمة الآب هذه
 أثارت، حتى ابنه الأصغر، الذي يتعكس في سلوكه الحمد البشري، وعن الأنبيّة، وعور
 لحن ويصعب جداً مداواة مثل هذه العيوب البشرية. وقد بدل المسيح بكل جهد ممكن
 لإبراء الروح منها فحاول أن يوفض في مثل هؤلاء استر الإيمان، الإيمان النابع من القلب
 والروح

وإذ تحدّث عن أهم موضوعات تعاليم المسيح التي استندت إلى لاناجيل، يحب علينا أن
 نؤو إلى «الإنجيل المختصر»، كما دما «ماء الكنيسة صلاة أنايا» فهي عدد من الجمر
 عرضت فيها ريدة تعاليم المسيح هاقروها

﴿ أَنَا أَنَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ يَتَقَدَّسُ مَلَكًا. ﴿يِيَامَا مَلَكُوتِكَ
بِتَكُنْ تَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ ﴿خَذِرْنَا كَقَافَا أَعْطَا
الْيَوْمَ ﴿وَعَفِّرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَقِيرُ نَحْنُ أَيْضًا بِمُذَيِّبِينَ إِلَيْنَا. ﴿وَلَا
تُذْخِلُنَا فِي نَجْرَةٍ لَكُنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ لِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَالْقُوَّةُ وَالْعِزَّةُ
إِلَهِي الْأَبَدِ آمِينَ ﴾

(متى: ٦: ٩-١٣)

ومن الواضح أن هذه الصلاة الرئيسية، المرفوعة إلى آيها الإله، لا تقتصر سوى
مطلب مادي واحد: خبرنا أيومي أعطنا كماف يومنا هـ وهو مطلب محدود جداً يقتصر
على خبر يوم واحد، خبر اليوم، فما خبر القدر فحمله بمسك وليس ثمة رياتاب في هذا
المطلب، إنه الخبر الضروري للمعيش يوماً واحداً وحسب وباقى المطالب التي تضمنتها
الصلاة، هي مطالب روحية كلها ويتلخص محواها في لنا نصع روحا من يدي الإله،
ونتمنى أن يسبسط إرادته على كل ما في الوجود، وعسا في الآن عسه. فنحن نريد أن
تتحد روحنا في الإله، في العنصر الكوني، وإذا استخدما مصطلحات العصر، فإنه
يمكننا أن نقول: إننا نرغب في أن تتوافق صورتنا، هووهرامانا (الهكل لإعلامي
لأننا)، توافقاً تاماً مع حق لإعلام الكوني، أن تدعم فيه تماماً. ولكن لا يكفي أن
نتمنى. وإنما يجب أن نبذل كل جهد ممكن لكي يتحقق ذلك. ولذلك فإننا نتعهد في
صلواتنا هذه بأن نترك للنزول لنا عليهم، ولا يجوز أن نحذ من معنى هذه الكلمات فهي
شديدة العمق والسعة معراها، هو أنه كما سنبعنا كل ما مع الآخرين، كذلك
سيكون موقف إله منه وهذا هو بالضبط ما يطلبه نحن بأنفسنا من الإله فربما ما حرما
على ألا نتعامل مع الآخرين بصير نقي صاح، أي بصير مسيحي، هأننا سنطلب من
الإله أن يحاربنا على ذلك فهل يعني مفرى الصلاة التي نرفعها إلى الإله؟ فحقوا لا يقوم
في مجرد بلاوتها أكثر عدد ممك من المرات، وإنما في أن نملك في حياتنا سلوكاً
يتوافق مع مقتضياتها فتعاليم المسيح ثم نعط سناس من أجل المسيح، من أجل الناس.
ومن هذا يتبين إنجيل متى:

﴿وَمَتَّى هَا أَنْ الْإِنْسَانَ فِي مَجْدِهِ وَجِيعَ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ
فَيَجِيئُهُ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. ﴿وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ
فَيَمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْبَقَرِ ﴿فَيَقِيمُ

الخراف عن يمينه ولجذاء عن اليسار ٥ ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلْمَدِينِ هُنَّ
يَوْمِيَوْمِي: تَعَالُوا يَا مَبْرُكِي أَيْسَى رُكِبُو الْمَلَكُوتَ لِنَعُدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِسَ
الْعَالَمَ ٥ لَأَتِي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُوَنِي عَطِشْتُ فَمَسَقْتُوَنِي كُنْتُ غَرِيباً
فَأَوْيْتُوَنِي. ٥ غَرِيباً فَكَسَوْتُوَنِي. مَرِيضاً فَرَزْتُوَنِي. مَحْبُوساً فَأَمَيْتُمْ
بِي. ٥ فَفَجِيبُهُ الْأَثَرُ جِيئَ يَارَبُّ مَنَى رَأَيْتَكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْتُكَ أَوْ
عَطْشَاناً فَمَقَّيْتُكَ؟ ٥ وَمَنَى رَأَيْتَكَ غَرِيباً فَأَوْيْتُكَ أَوْ مَرِيضاً فَكَسَوْتُكَ؟
٥ وَمَنَى رَأَيْتَكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْتُكَ إِنَّكَ؟ ٥ فَجِيبُ الْمَلِكِ: الْحَقُّ
أَقُولُ لَكُمْ بَنَ لَكُمْ مَمْلُكُوهُ بِأَخِي إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصْغَرِ فِيَّ فَغُتُمْ.
٥ ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلْمَدِينِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ
الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَكُمْ لِبَابِلُسَ وَمَلَايْكَتِهِ ٥ لَأَتِي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي عَطِشْتُ
فَلَمْ تُسْقُونِي ٥ كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوِيْنِي غَرِيباً فَلَمْ تَكْسُوْنِي. مَرِيضاً
وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُرُونِي ٥ جِيئَ يَارَبُّ أَيْضاً: يَارَبُّ مَنَى رَأَيْتَكَ
جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ تُخَومْكَ؟
٥ فَجِيبُهُمْ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ. بِنَا أَنْتُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَخِي هَؤُلَاءِ الْأَصْغَرِ
فَبِي نَمْ تَفْعَلُوا ٥

(متى ٢٥، ٣١-٤٥)

هو حق تعاليم المسيح إرس، أن الإله لا ينتظر من الناس أن يخدموه هو في مقام
شكبي صرف، فرائس، وشعائر، وخدمة دينية وصلوات و... بل أن يساعد بعضهم
بعضاً، إله ينتظر من الناس أن يطعموا الجائع، ويسقوا العطشان، ويؤووا الشريد،
ويساعدوا المريض، ويوروا السجين. فهي هذه الأعمال الطيبة تقوم خدمة الإله وهذه
لا تتحدد بعدد المعبود، وخدم عبادة، بل بمدى استعداد كل منا لمد يد العون لغيره
وهذه هي المهمة الرئيسية لرجال الكنيسة، إعداد كل من شيئاً فشيئاً. وخدمة
الكنسية يجب ألا تكون مجرد استعراض مهيب تتراعى تأديته بلعة كسمية قديمة
قلماً يفهم أحد منها شيئاً فالخدمة الكنسية يجب أن تكون موجهة إلى قلب كل
منا، إلى روح كل منا، كما يجب أن تكون مضمومة لجميعهم، و... تجعل من كل
من يحضرها إنساناً اهض، إنساناً أكثر طيبة، ورحمة، ومحبة: لرحمة أريد
لا تقامات.

إن نفع الإنسان، روح الإنسان عاله الداخلي هو الذي يقرر كل شيء وتفسير دلائله الصحيح هو وحده الذي يجعل منه إنساناً سليماً معافى هربائاً ونفسياً. وقد تحدث الأناجيل نفسها عن هذا. فالحالة الروحية الطيبة الصالحة للإنسان، هي تلك التي تتوافق مع حقل الإعلام الكوني، مع العن الكوني، مع روح الإله.

وفي العن المعاصر نعد لحقل الإعلامي، هو امكان لروح الإله وبهاء على ما قيل، فإن الروح الإلهي، اروح العن يعد الأساس للرئيس الذي يقرر كل شيء في الكون وفي كل مناً. وعن هذا نعلمه قيل في إنجيل متى: «ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وأخسر نفسه؟ أو أي فدية يؤذيها الإنسان عن روحه؟»

والإيمان هو علة لتأثير لأساسه على الروح وعن هذا، جاء في إنجيل مرقس: ﴿فَأَجَابَ يَسُوعُ لِيَكُنْ لَكُمْ يَدَنُ يَالُو. ٢٤ لَأَنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا نَجِبَلْ أَتَقُولُ وَأَنْصَرِحْ فِي نَهْرٍ وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَهَمَّا قَالَ يَكُونُ لَهُ. ٢٥ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كَمَ نَا تُطَلَّبُونَهُ حِينَئِذٍ تُصَلُّونَ فَأَبْنُوا أَنْ تَتَأَوُّهُ فَيَكُونُ لَكُمْ ٢٦﴾

(مرقس ١١، ٢٢-٢٤)

موفق تعاليم المسيح إن كل شيء، يحتشد في روح الإنسان. وإن الإيمان هو أساس الأسس كلها ولكن الإيمان بلا عمل هو إيمان ميت وعليه فإن أعمال الإنسان هي التي تحدد كل شيء وإد، صكانت هذه موجهة بحير: الناس، وتفسير وفق وصايا الإله. فإن ما دعاه الأبياء الأوائل بمملكة السماء، هي التي تسود في روحه وحسب المسيح إن مملكة السماء مثلها مثل الجحيم، تقع في داخلنا أيضاً وتتمثل الحالات في البطة، و لألم اروح المصن، هما الذي يمكن أن يكون أشد أماً من هذا؟ ونوه هنا إلى أنه ينبغي ألا نفهم القول عن الجحيم الذي فهماً حرفياً فالروح التي تبقى لتعيش بعد موت الجسد الفيزيائي لا يمكن أن تحترق، لأنها ليست مادة ولكنها تتألم، تعاني، وسوف تعاني دائماً إذا كانت متقلة بأعمال لا تتوافق والإرادة الإلهية، واشتراط التي سب لنا من قبل الطبيعة، الإله

وحتى يومنا هذا نمة كثر ممن ينصرون أن مملكة السماء سوف تقوم إثر نهاية العن وبعد يوم الدينونة. وعندئذ فقط سوف يثاب لإنسان عن أعماله أو يدان بها

فقد كتب م. يو. ليرمونتوف يقول: «هناك ديان رهيب، وهو ينتظره، ولكن ليرمونتوف أخطأ في قوله، إنَّ الديان ينتظر فهو في حقيقة الأمر لا ينتظر، إنما يقاضي دور توقُّف، والحكمة تعمل باستمرار ومملكة السماء تقوم لكل إنسان في وقت مختلف، لكنَّ قيامها لا يتأخَّر لحظة واحدة ولذلك عندما سئل المسيح متى تقوم مملكة السماء؟ أجاب: إنَّ مملكة لسماء أخذت تقوم فهي تقوم بالنفس لمن قبل تعاليم المسيح، وبحب قومه، وسمتع الحر للناس كلهم. يقول المسيح: إنَّ مملكة السماء كحبة الحردل التي زرعه صاحبها في حقله، وهي مع أنَّها أصغر البذور إلاَّ أنَّها عندما نموا تقود أكبر المرومات وتصير شجرة تأتي طيور السماء وأوى بين أعصانها

تقد كان افريسيون واسكتييون يلاحقون المسيح في كل مكان لكي يكتشفوا تناقض تعاليمه مع شريعة موسى والتلمود وهو م كان يعطيهم الحجَّة الضرورية لتقديمه للمحاكمة خاصة أنَّهم كانوا قد قرَّروا التخلُّص منه بأيَّ طريقة كانت ولم يكفُّوا عن نصب المكائد للإيقاع به وعلى سبيل المثال، حازوه يوماً إلى لعبد زانية أدركوها بالحرم المشهود. وحسب شريعة موسى كان يجب قتل المرأة رحماً بالحجارة ولكنَّ الزَّمن تغيَّر ولم يكن لفريسيون أنفسهم براء من الآثام، ولم تكن الشريعة بطيِّق، في واقع الأمر وسأل الفريسيون المسيح عن كيفية معاقبة الزانية حسب الشريعة فقالوا له، يا معلم! بعد شوهدت هذه المرأة وهي تربي وقد أوصانا موسى في الشريعة أنْ مثل هؤلاء يجرمن. فما تقول أنت؟

وفي هذه الحالة كان على يسوع أنْ يختار بين أمرين إمَّا الإقرار بصحَّة شريعة موسى والقضاء على النَّاسَةِ بالموت رحماً أو الاعتراف بحمل الشريعة وإيقان الرأية وهذا أنَّه ليس ثمة حيار ثالث. فأجابهم يسوع على سؤالهم بما يلي: مَنْ منكم بلا خطيئة فليكن أوَّل مَنْ يرميها بحجر عندئذ ما لبث لحشد الهائج أنْ أحد يتشكَّت أمَّا المسيح فقد واصل عمله لدي مكان يمهه ولم يمض سوى بعض الوقت حتَّى بصي وحده مع الرئية لعد كانت لمسكينه منهكه داهمه وعن هذا قال أوغسطين المبوط: «لم يبق هناك سوى لكأداء والرحمة»

«يا مراة! سال المحلص، من من اتهموك؟ لم يدك أحد؟» «لا أحد يا رسة» وأما لن
أنيك بصا. مصي ولا تأثمي بعد الآن»

وهكذا عاد القريسيون بخفي حنين أمّا المسيح فقد أظهر مرة أخرى أنّه «رحمة
أريد لا تقدّمات» فالأمر الأهمُّ في تصرّفات المسيح كانها، وفي تعاليمه كلها هو، لولاء
للرحمة، لمعن الإتيان، بخلاصه وليس الولاء لحرفيّة الشريعة، والوصيّة والمحرمات.
ومن لا يعرف كلمات المسيح لقاتلة تعالوا إليّ أيها المحتاجون وثقيلو الأثماء وأب
أريحكم. حدوا نيري على كاهنكم وتعبوا منّي لأنّي أنا ودع ومسكين القلب؛ وجدوا
سكنة أرواحكم.

الفصل التاسع

الأسبوع الأخير (أسبوع الآلام)

لقد جمَّ الأسبوع الأخير من حياة المسيح كل ما يتَّصف به لبشر على وجه العموم، ففي أوَّل الأسبوع استقبلته الحشود لدى دحوئه أورشليم مهله صاحبه مرحبه، وفي آخر الأسبوع عيه هاجب وطيب من ائوالي الروماني بيلاطس البنطي، «اصليه، اصليه»، وليس تاريخ البشريه كله سوى تكرار لهذا السياريو، يتبدل الأبطال وتبقى الحشود هي نفسها، الحشود التي لا تلمي ماذا تفعل.

لنتبَّع إذن أحداث هذا الأسبوع الأخير بالتفصيل. مع حلول الفصح (وتحديداً قبله بأيام)، كانت الحشود البشريه تتحد مع وادي الارض باتجاه أورشليم. وهناك كان على كل منهم أن يطهر نفسه من كل دنس قبل بدء العيد العظيم. وكان الواقدون يقيمون في صواحي المدينه في أكورح مؤقته يبتونها بأنفسهم.

والى أورشليم جاء أنصاً المسيح مع تلاميذه وكانت المحكمة اليهوديه العليا، السينديون، قد اتخذت قراراً سرّياً بسب يسوع حياته وكانت قد تجمعت لدى السينديون جميع قوته لأخذ مثل هذا القرار وقد قامت أقوى تلك الحجج في أن المسيح آثار الحشود، فأساء بذلك سمعة السينديون. وليس عبثاً أن ائتمى الفريسيون ثره كالجورميس بحثاً عن مختلف الذرئع، لقد انتهك المسيح لسنّت، ولم يلتزم بفريضة الصّوم، واستهتر بمعرّمات ائثلمود، وفريضة التّطاهر، و... كما كان يحسّر علانية وفي كل مكان من حطّ المدرسه للمريسيه، وحطّ لالتزام الشّكلي بشريعه موسى، على حسب روح هذه لشريعه، وتطّلع أعضاء السينديون، في الحكّام الرومان. هناك قيافا الذي كان وقتئذ رئيس المحكمة وليس لسينديون في الآن عينه، إنّه من الأفضل أن يعاين فرد واحد بدل أن يقوم الرومان لتهدئة لحشود الثائرة، الأمر الذي سيؤدّي بالعسوراء إلى رهق أرواح كثيره لقد كان المسيح شخصيه غير مرغوب فيها على المستويات كلها، ولذلك بات التّخلص منه امرً مطلوباً. ولكن كيف؟ إذا ما جرى الالتزام بالإجراءات القانونية المعمول بها، فالمسألة سوف تستغرق أشهراً

عدَّةٌ وهذ أمر غير مرغوب فيه لقد كان المطلوب هو إزاحة يسوع دون إثارة غضب. تأخر أيُّ قاتل ولكنَّ هذا الاقتراح لم يلق إجماعاً لدى أعضاء السينديريون أمَّا المسيح فقد مضى حافلاً حتفه في 'ورشليم. وكان سرُّ قرار السينديريون بقتل المسيح قد ذاع، وعلم به الشعب و المسيح نفسه. فقد كان دئمَ التَّساؤُل مع مجادلته من المريسيس 'لماذا تسعون إلى قتلتي؟' لقد رغب المسيح في أن يقصّي لأسابيعٍ لأحيرةٍ وحيداً. في عرسته يتواصل مع الإله فقط همضى خمبةً إلى مدينة أفرام التي كانت تقع على أطرف الناددة. وقلَّ من كان يعرفها وكان معه تلاميذه باتأكيد وهكذا خرج من تحت أنظر المريسيس. الأمر الذي أقض مضاجعهم. فأمسروا أمراً يقصّي نأته على كل من يعرف شيئاً عن مكان وجود المسيح، إنلأغ السينديريون ندس.

ولكنَّ ما أن مضى بعض الوقت حتى ترك المسيح وتلاميذه مدينة أفرام وتوجَّهوا إلى أورشليم للاحتمال بالصبح. وحسب الاجيل أن المسيح قال لتلاميذه في لطريق من أفرام إلى أورشليم، إنه سوف يُسلم لرؤساء الكهنة وسيعكمون عليه بلوت' وقال أيضاً إنه سوف يُصلب ويقوم في اليوم الثالث. ولكنَّ التلاميذ لم يكونو في حالة تسمح لهم بفهم ذلك كله. فهم مثلهم مثل الآخرين غيرهم كانوا ينتظرون المعزة، معزة قيام مملكة السَّماء على الأرض، لقد كانوا تواقين لرؤية المسيح ملكاً يهودياً قوياً أمراً مسيطراً. ولكنَّ كلمات المسيح هذه خيب آمالهم، ولم يشاروا أن يقبلوا هذ فقد سكنو كالتَّاس العاديين الآخرين، ينتظرون حصولهم على مختلف الامتيازات والخيرات المادَّية فوادة لرسولين يوحنا ويعقوب طلبت من المسيح أن يكون ولداها دون سواهما عن يمين المسيح وشماله في المملكة السماوية المرتقية. وكان المسيح قد أمضى ثلاث سنوات كاملة في تواصل مستمر مع تلاميذه ففهمهم السَّبعة، ومحبة الغريب، والمطاعة ثم لافى في آخر طريقه مثل هذا لطلب إنه 'لجهد التَّام' بجومر تضايجه وما يؤسف له أن تلاميذ المسيح أظهروا مثل هذا الحول في غالب الأحيان وفي هذه المرة قال المسيح لتلاميذه كهم 'إن الطَّرف الأسمى يُكتسب بالودعة الأسمى، وإن سيد الكل في المملكة السَّماوية ينبغي أن يكون عبدٌ للكل. ومن الملائم أن نذكر بأن مملكة السَّماء تقع بالنسبة للمسيح في داخل كل منّا (إذا نجحنا في أن نسماها بتحقيق الكمال الدَّاني) لقد امتدَّت طريق المسيح إلى أورشليم عبر أرسحا، المدينة الأريَّة، ومضى اسمها 'حثة إله' وفي تلك لارمنة وكانت أربحا مدسة صاخبة مع بسكَّانها وواعدين. إليها عبورٌ بتجهاً شتّى وكان أكثر سكَّانها من رجال الدين والعشاريين جبهة الضَّرائب والذوات. هذ في أربحا مكان العابرون إلى أورشليم يرتاحون قبل متابعة طريقهم، لأنَّ الطَّريق

من أريحا إلى أورشليم كانت مضيئة. فم تكن شمس الصبحاء الحارفة وحدها بانتظار العابرين، بل اعتداعات قطع الطرقات أيضاً.

وفي أريحا لم يتوقف المسيح عند الكهنة المشهورين أخفد هارون، إلف عند العشائر، وتحديداً عند كبير اعشاريين زاحي. وهنا خلا لمسيح مع نفسه فكم من مرة أعلن أن الأصحاء لا يحتاجون إلى أطبيب. إنما يحتاجه المرضى وفي كثير الأحيان تحم المسيح في شفاء، هؤلاء المرضى، ويأتوا أحسن حالاً بعد البقاء معه لقد هز اختبار المسيح لأحبي مضيئاً له، هز الرحل إلى درجة أنه قال له، «يا سيداً موفى أعطي نصيب ما أملك إلى المحتاجين، وإذا ما كنت قد طلبت أحداً ما فسأعوضه بأربعة أصعاف». هكذا كان يؤكّر لمسيح في أرواح المرضى، دافماً إناهم إلى ابثوية، ويتصرفه هذا يكون المسيح قد أعلن للشّمس أن الانتماء العرقي ليس لانتماء الرأى، أو العامل الحاسم المقرر فقال لزاحي «لأن حواء الخلاص إلى هذا البيت، لأن ابن إبراهيم أيضاً» (ابن إبراهيم بمعنى الإيمان والأعمال، لا بمعنى الانتماء العرقي)

أما الذاهبون إلى الفصح في أورشليم، فكانوا قد توقفوا قبل ذلك على أطراف امينة أو في صواحيها وكان المسيح قد توقف في بيت عنيا عند أصدقائه في ابيت السدي كان يحبّه وكانت نمش في ذلك لمرل الأحتان ماريا ومارتا وشقيقهم أليمار. وقبل ذلك ببعض الوقت كان المسيح قد أحيا أليمار من اموت؛ وهنا هم سكاّن لبيت يستقبلونه بفرح عارم. لقد حدث ذلك قبل سنة أيام من الفصح، قبل شروق شمس يوم الجمعة من الشهر الثامن لعام ٧٨٠ بعد تأسيس روما (وحسب تقويمنا المعاصر، يوافق هذا لتاريخ ٢١ آذار من العام ٢٠م) (من المسمى عليه الآن أن روما قد تأسست في العام ٧٥٣ ق م. وإذا كان المسيح قد عاش ٣٣ عاماً، فمعنى ذلك أن الحدث المشار إليه هنا لم يقع في العام ٢٠م بل في العام ٢٢م: أو عيب أن نعترف بأن المسيح ولد في العام ٣ ق م، وهو ما يحذف كل منطق م) ونتوءها إلى أن اليوم الجديد كان يبدأ مع شروق الشمس

ونهب أنصار المسيح الذين شكلوا حشداً سار حمله وتزؤو في أطراف أورشليم، أما هو فقد سكن في يوم السبت إلى الراحة. ولكن وحسنه لم تسمّر فقد ظهر مريد من القضاة الحدد الذي لم يألفوا بعد حقيقة أن العمار الذي استلقى ربة أيام في قبر قد أعيد إلى الحياة منذ وقت قريب على يد المسيح وهو يجلس معه الآن إلى مائدة العشاء. فحدث هز العكشرين بقوة، وزانت أعد د انصار المسيح لأمر الذي زاد من سحق الحرب الحاكم في أورشليم.

وهنا في بيت عنيا وقعت هيبه يد لعشاء بتليل وفعه عكسها الرّسامون استعداً إلى الثّمن الإيجلي في عدد من اللّوحات. فقد سكبت ماريا أحت أليمار على رأس المسيح ثم على

قدميه رجاجه من بطر يهسي الفاخر الثمين، ومسحتهما بحدائل شعره فأنار فعلها هذا
 فدمر الأسخريوطي لنبي قال: لماذا لم نبع هذا العطر الثمين بثلاث مائة دينار ونوزعها على
 المحتاجين؟ فقال المسيح رد على ذلك: لماذا تكبر امرأة؟ دعها، فإنها عملت لي عملاً طيباً
 خالفقراء معكم دوماً، أما أنا فلمست معكم دائماً لصد وفرت هذا العطر ليوم دفين، وهكذا
 نوه المسيح مرة أخرى إلى موته المرتقب على الصليب. وبه تلك الليلة ذهب يهوذا الأسخريوطي
 بمفرده إلى اورشليم، وجاء إلى بيت صيافا (في مقر اجتماع كبار الكهنة)، وعرض خدماته
 لإلقاء القصص على المسيح ولكن القضاة لم يكونوا يميلون إلى استعجال الأحداث ومزامنة
 محكمة يسوع مع مناسبة الفصح التي تمتلئ اورشليم خلالها بالحجاج

ومن بيت غنيا توجه يسوع وتلاميذه إلى اورشليم وكان ليوم هو يوم الأحد (مع عياب
 الشمس ينتهي يوم السبت) ويدعى يوم الأحد هذا في أيامنا هذه «أحد الشمائين» وبعد أن قطع
 الركب بعض الطريق، أرسل المسيح الرسل بطرس ويوحنا في مهمة إلى القرية المجاورة
 ليأتيه بأتان وجحش، من آثار من أي مكان كان وإذا ما سئلا، لماذا تفعلان هذا فكان
 عيهما أن يجيبا: «الرب يرسلهما» وقد قام الرسولان بمهمتهما خير قيام وعادا ومعهما
 الحيوانان، فألقى الابلان أريدتهما عليهما رمزاً للتشريف الملكي: لقد كان يحب أن يركب
 المسيح على جحش هتي، فالجحش رمز السلام ولذلك اختاره المسيح من بين الحيوانات الأخرى
 كلها وكان النبي زكريا قد كتب عن معية الميسيا

(إِسْهَجِي جَدّاً يَا أَمْنَةُ سَهْيُونُ فَتَقِي يَدَ بَنَتِ أُورُشَلِيمَ هُوَذَا مَلِكُكَ
 يَأْتِي بِإِبْنَيْ. هُوَ عَائِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدَيُّعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى جِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ أَهْرٍ
 أَقَانِ)

(زكريا ٩: ٩)

وعلى طريق موكب المسيح أخذ الناس يلعبون ملاييمهم ويفرشون بها طريقه، ورموا
 أمامه أعصان الثمن، والزيتون، أو أشجار الكستناء وفي أثناء ذلك كان الشعب يهتف
 «أعسحو، الطريق لابن داود! ملوك الآتي باسم الرب! أعسحو هي الأعالي!» هكذا
 استقبل الشعب مجيئه وتابع الموكب طريقه حتى سفوح جبل موريا، لأنه لم يكن
 مسموحاً بأحد من ذلك يتمرقق الحشد، ودخل المسيح إلى المعبد وكرّر فيه ما كان قد
 فعله منذ ثلاث سنوات حيث أدخل المعبد من الثخار والباعة ثم بدأ موعظته وسمح لاهله
 الموعظة والجدال انسحب لمسح من المعبد خلصة وأصدرل حطب أسوار المدينة تحت حرسة
 تلاميذه ولباعه يقول الإصحاح: خرج إلى خارج المدينة، إلى ست عيب مع التلاميذ الاثني

عشرة. ويرى السائحون أنهم لم يصبوا إلى بيت عينا نفسها إنما مكثوا وبتوا بينهم في العراء

وفي صباح اليوم التالي، يوم الاثنين، ظهر المسيح وتلاميذه في المعبد من جديد فقبلهم الوجهاء وبدوانية رؤساء الكهنة، والكتبة، والرأيون، وباقي ممثلي طبقات السينديون. وكان لهؤلاء صهم هدف وحيد: إبقاء الرعب في قلب النبي المسكين الجاهل الذي خرج من المدينة المحتقرة؛ الناصرة: إبقاء الرعب في قلبه أمام وفد من كبار الوجهاء ذوي السلطة الحقيقية فسألوه: «ياي سلطان تفعل هذا كله؟ ومن منحك مثل هذا سلطان؟» وقد قصدوا بذلك دخوله الاحتفالي إلى اورشليم، وإحلاله المعبد من الثمار، ومواظله عن رسالته بصفته ابن الآله ولكن الوفد المهيب لم يزحج المسيح بأستلته الآمرة، فقال لهم يحصود روعي لا مثيل له، إنه سوف يجيب على سؤالهم إذ هم أجابوا على سؤاله: «من أين جاءت معمودية يوحنا، من السماء أم من الإنسان؟» وكان يوحنا قد أقر بأن يسوع هو المسيح لخلص، ولكن محاوره لم يمتروا بيوحنا المعمدان وذلك لم يعطوا إجابة ويد: يكون المسيح قد أعصى نفسه من إجابة على سؤالهم أنصاً وتابع يعرض تعاليمه عبر الأمثال: أما للمريسيون والكتبة فقد سحوا واحمعو ليقرروا ما سعي عليهم عمله للاقتصاص منه

وفي اليوم التالي (الثلاثاء) جاء المسيح إلى المعبد مع تلاميذه مرة أخرى. وكان قد قال لتلاميذه وهم في الطريق إلى المعبد: إن التسامح مفتاح كل شيء فالطريق إلى الإيمان بالإله تمتد عبر مغفرة لخطايا وسر الصلاة المقبولة بكم في الإيمان وقال لهم بضاً، إن من لا يعرف كيف يفمر للأخرين، لن يعطى قوة، ومن لا يفمر لن يعفر له وفي بعد حاول المريسيون مرة أخرى أن يضطربوه على تناقض ما مع الشريعة فقالوا له: «قل لنا، هل تجوز تأديبه أنجباية لميصر أم لا؟ فأجابهم قائلاً: ما لكم تؤسسون أيها المراءون؟ أروني لنفوذ التي تؤدى حباية، وإد أروه واحدة سألهم: «ما هذا الرسم وهذا الحتم؟» «لقيمصر»، أجابوه فأجابهم بقوله: «استهير» إذن، أعطوا ما لقيمصر لميصر. وما للإله للإله». وسألوه: ما هي الوصية الأعظم في الشريعة؟ فعمى لهم المسيح اثنتين عدهما أعظم: «لوصا: «الرب أحبكم رباً وحده»، و«أحب قريبك كما تحب نفسك»، فحب الإله يولد حب الإنسان، حب أقرب، وتحوي هاتين الوصيتين على الوصايا الأخرى كلها وهكذا جاءت محاولات المريسيين لعشر المسيح في الرأونة، كلها بالفشل. وهذا ما جعل حقدهم على المسيح أعظم وبعد تلك المحاولات تركب المسيح المعبد إلى الأبد. وبينما كان يغادر المعبد تمت تلاميذه انتباهه مرة أخرى إلى

عظمة المعبود. أمّ بالتّسبب للمسيح فقد كان جمال المعبود الوحيد في نقاء قلوب المصلّين فيه وصلى إيمانهم

بعد ترك المسيح وتلاميذه المعبود ذهبوا إلى بيت عنيا. وفي الطريق أحد المسيح يعلّم تلاميذه ابوصوح الرّئيس في تعاليمه فقال. أن نخدم الإله يعني أن نخدم الآخر، أن تساعد الآخر في محبته، أن نتعامل معه كما لو كنت تتعامل مع نفسك، أن تكون متسامحاً ونصيح عن أخطاء الآخرين.

﴿كُلُّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْثِيهَا﴾

(لوقا ١٤ - ١١)

﴿وَلَمَّا سَأَلَهُ التَّرِيسِيُّونَ: مَنْ يَأْتِي نِكَاحُ اللَّهِ؟ أَجَبَهُمْ: لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ

اللَّهِ بِمُزَاجَاةٍ وَلَا يَقُولُونَ هُوَنًا هُوَ أَوْ هُوَنًا هُنَاكَ لِأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ

دَاخِلَكُمْ﴾

(لوقا ١٧ - ٢٠ - ٢١)

وفي آخر الأمر قال المسيح لتلاميذه: أنتم تسمون أن الفصح بعد يومين وأسن البشر سوف يسلم لكي يصلب

لقد عاد المسيح إلى بيت عنيا ومعه تلاميذه، أمّا أعداؤه المريسيون، والصدوقيون، والهيروديون، والحكماء، والكتبة، والشيوخ فقد قاصص صكبل حقدهم عليه هتاليمه كاتب تهدد وجودهم وكان قد قال في المعبد الويس لكم أيها المريسيون والكتبة، وقد أدرك هؤلاء أن ما قال حق. فمقدوا اجتماعهم من فورهم وأظهروا فيه وحدة نادرة في المسألة الرئسية. يجب أن يموت يسوع وحضر ذلك الاجماع يهودا الأسعريوملي.

ومضى يسوع يوم الأربعاء في وحده عميقة، في سحكية وصمت لقد كان يدرك ما الذي كان ينتظره، وكان يستعد روحياً في صلاته ومكينته، بالأهوال التي تنتظره. همشي تتحوّل على أطراف القرية وفوق مرتفعاتها يحدث أبه السماوي ويوم الحميس أرسل بطرس ويوحنا إلى اورشليم لكي يلما صاحب بيت حده لهما، بأنّه سوف سحتل وتلاميذه بالفصح عنه و لحقيقة أن المسيح حدّد ذلك الاحتمال قبل حلول الفصح اليهودي. ولديك كانت تلك الأمسية تخلف عن الفصح اليهودي لا توقيتها فقط، بل بحورها أيضاً، ويتظلمها كذلك. فقد كان ينبغي أن تتحوّل تلك الأمسية من احتمال أكثر سمواً

وأعرق مفرى وعرفت هذه الأهمية بالمشاء السري، التي عكسها كثير من لرؤسامين في أشهر لوحاتهم

وسميت الأهمية سرية لأن المسيح وتلاميذه جاؤوا تحت جناح الطلام إلى العلنة التي كانت جهزت بعد ملزم من موائد ومضجعات وكانت تنتظرهم مائدة معدة في «عنة كبيرة» وكان كل مصمم قد أعد لثلاثة أشخاص معاً وتوزعت المضجعات حول المائدة من جهات ثلاث. وربما لم تكن تلك المائدة قد مدت على منضدة واحدة، إنما على عدد من الموائد الصغيرة الحشبية للوثة، التي لم تكن ترتفع عن المضجعات لا قليلاً. وكان ثمة في وسط الجلسة مقعد تشريفي جلس عليه المسيح وكان الاسئلة يعد في تلك الأرملة طريفة جلوس الأحرار. كانوا يتمددون على طول جسم ويتكئون على اليد اليسرى وتبقى اليد اليمنى حرة وفي هذا السباق حائلت اللوحات الفنية شكلها الحقيقية، بما فيها لوحة «العنة» اسرى التي رسمها ليوناردو دافنشي هالواقع الحقيقي فكان مائراً تماماً لما عكسته اللوحات، وعلى وجه العموم فإن كل ما انعكس في اللوحات الصنية من مشاهد حياة يسوع المسيح مخالف لواقع الأشياء. وهذا لا يساعد أبداً على فهم جوهر تعاليمه ومع أن هذا التكذب الفني ككذب بريء، إلا أنه لا يحدم القسمة المسيحية

وقد أظهرت بدية الأهمية مدى ضعف الإنسان، هالناس الذين كان يسوع يعلمهم كل يوم على مدى ثلاث سنوات، هؤلاء الذين لم يسمعوهم وحسب، بل سفسوا معه الهواء نفسه، أحدوا يتشاجرون على الأماكن القريبة من مقعد فروح الاعتدال بالنفس وحب الذات روح شرير صانع عميق في نفس الإنسانية، وليس استئصاله بالأمر السهل ولم يعلق المسيح على مهترة تلاميذه بخصوص الأماكن الأولى بالكلام، إنما بالعمل. فخرج رداءه الخارجي وأخذ منشفة بمنطق بها، وغسل أقدام تلاميذه واحداً واحداً. والحقيقة أن مثل هذا التقليد كان معروف راسخ، ولكن لعبد هم الذين كانوا يقومون بهذا العمل، أمّا هنا فإن المعلم نفسه هو الذي أخذ على عاتقه القيام بذلك لقد أظهر لهم أن التواضع ونكران لذات من تعاليمه ثم شرح لهم مغزى ما قدمه هكذا

﴿ثُمَّ تَدْعُوْنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا وَحَسْبًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ تَعْلَمُونَ كُنْتُ
وَأَنَا السَّيِّدُ وَتَعْلَمُونَ قَدْ فَسَسْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بِحُفَّتَيْكُمْ

أَرْجُلُ بَعْضٍ لِّلَّذِي أُعْطِيَكُمْ بِئَالًا حَتَّىٰ كُنَّا صَعَتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَلَسْتُ
أَيْضًا.﴾

(يوحنا ١٣ : ١٣-١٥)

ومن حيث الجوهر فإن ما قاله المسيح وما فعله معناه أن من يؤمن بتعاليمه حق الإيمان
يجب أن يكون هو الأكثر تواضعاً، وهو الأول بين أولئك الذين تأخذون على عاتقهم أثقل
الآعباء، ويبشرون أكثر الأعمال صعبة دون أن يطلبوا مكافأة رمزية.

لقد كان المسيح يعلم أن تلميذه يهوذا الأسخريوطي سوف يحوسه. وأعلن ذلك أمام
جميعهم دون أن يسمي أحداً بعيه:

﴿لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ وَفَعَدَ وَقَالَ: الْحَقُّ أَنِحُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ
وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيَسْتُنِي.﴾

(يوحنا ١٣ : ٢١)

فيبت جميعهم وحنوا يتساءلون من منهم وإذ سأله الأسخريوطي: ألسنت أنا يا رابي.
(= يا معلم)؟ أجبه يسوع: «أنت قلت». ثم تمهل قليلاً وقال ليهوذا بصوت عالٍ: «عجل بعمل ما
تفعله، فتهض الأسخريوطي تاركاً لمائدة وعاص في الليل فقال المسيح: إن ابن البشر يسير
إلى ما كتب عنه ولكن الويل لذلك الإنسان الذي سوف يحون بن البشر، فمن الحير له لو
لم يولد قط.

وحدث في أثناء العشاء السري حدث آخر كان له أهميته أيضاً لإفخارستيا الأولى،
لقربى المقدس الأول. وقد وصف الرسول بولس هذا السر المقدس على الوجه الآتي
﴿لِئَلَّا نَبْنِي نَسَلَتْ مِنْ لَرَبِّ مَا سَلَمْتَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ لَرَبَّ يَسُوعَ فِي الْبَيْتِ الَّتِي
أَسَلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: كُلُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي لَمَكْسُورٌ
لِاجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي. كَذَلِكَ الْكَأْسُ أَيْضًا بَعْدَمَا تَشَبَّوْا قَائِلًا: هَذِهِ
الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي﴾

(الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ : ٢٣-٢٦)

و ختم لعشاء السري بإبشاد لمرافير وبعد ذلك توجه يسوع وتلاميذه إلى بستان
حشيماني. وكلمة «حشيماني» تعني «معصرة الزيتون»، وقال لمسيح لتلاميذه في المرقب إلى
هناك، إن جميعهم ستنحل عنه في هذه الليلة وقال لبطرس: سوف تتكرني خمس صباح لذلك
ثلاث مرّات. وهذا ما حصل.

وفي البستان ترك يسوع تلاميذه لكي يمرحوا ، وابتعد قليلاً مع بطرس ويعقوب ويوحنا لكي يصلي وقال لهم: «روحي حرة حتى اموت ابقوا هنا يفتلبن. لقد كان يسوع يعرف ان الذي ينتظره صلي بلهمة وعمى وبوسل الإله قاتلاً. يا أبي! بعد هذه الكأس عني إذ كان ذلك ممكناً؛ ولكن ليكن كما تريد أنت لا كما أريد أنا

ولما عاد إلى بطرس ويعقوب ويوحنا وجدهم نياماً مع أنه طلب إليهم أن ييقظوا يفتلبن فقال: «مسمعون، أنت باثم؟ ألا تستطيعون أن تبقوا ساعة واحدة يفتلبن معي؟ استمطو وصلوا لكي لا تنفوا في الصلال فالروح يقظة أما الجسد فعاجز ثم تركهم وابتعد ليصلي، وبما أنه صلاته وعاد، وجدهم نياماً أيضاً وتكررت الحال عيها في المرة الثالثة كذلك. حقاً إن الجسد لعاجز إذا كتب فيه روح ضعيفة! ولما وجدهم نياماً في المرة الثالثة قال لهم: أما زلتُم راهبين نائمين؟ طبعاً قد أتت الساعة، وها هو ابن البشر يُسلم للأشرار انهضوا ولنمض هاهنا هو الذي سيُسلم يقرى» وفي اللحظة ظهر يهوذا الأسخريوطي. فسمع صليل السيوف، ووقع أقدام معجولة، ومخب حشد يقترب. وكان يهوذا على رأس المسيرة كلها فسأله المسيح: «ها أتيت يا صديقي؟» فأجابه يهوذا: «بالأخص يا رأيي»، وقبلة وكانت تلك القبلة هي الإشارة المتفق عليها بين يهوذا والحرّاس: حدوا الذي أقبلة وكوبوا حريصين. فقال له المسيح: يهوذا أنقله تخون ابن البشر؟ ثم خاطب الحرّاس: من تطلبون؟ فأجابوا: يمسوح الناصري، فقال المسيح أنا هو

فلطم لخوف المستهم فكرز المسيح سؤاله وبعد ذلك قال: «قد ظلت لكم: أنا هو، وإذا كنتم تطالبوني أنا فأطلقوا هؤلاء إلى حال سبيلهم» ولكن بعد لحظة الخوف الأولى، نشج الحشد وواقع فحاطلهم يسوع قائلاً: «كانكم خرّجتم على قاطع طريق بالسيوف والحرب، لئلا صكت معكم في المعبد كل يوم، ولم ترهعو عليّ يد» لكن اللحظة بكم وسلطان بظلام»، وفي تلك اللحظة ترك التلاميذ معلمهم، بمن هبهم بطرس ويوحنا التينيد الحبيب.

أمر القائد الروماني بتقييد يدي يسوع وقادوه إلى بيت رئيس الكهنة ومع أن قياما هو الذي كان رئيس الكهنة في ذلك الوقت (كان نائب القاصي الروماني هو الذي يعينه)، إلا أن حماء حابيا هو سى كان الشخصية الأقوى بعداً في حرب الكهنة، وكان هذا هو رئيس الكهنة سابقاً لكنهم أر حوم ولذلك قادوا المسيح إليه ليحقق معه أولاً وهب سألوه عن تعاليمه وتلاميذه فردّ قائلاً: لقد تحدثت علناً أمام الناس، وعلمت دائماً في المعابد، والمعبد حيث يجتمع اليهود، ولم أقل أي شيء في

الخفاء، فلما تسألني؟ اسأل السامعين عما قلته لهم، فإنهم يعرفون ما قلته فصرح به أحد لمحققين قائلاً: 'هكذا تحب رئيس الكهنة؟' وقدم وصفه على وجه متجاوز يسوع الإهانة يودعة وقال يهود، إذا كنت قد قلت ما يسيء، فأرني أس السوء وإذا كنت لم أس، فلما تصريني؟

بعد هذا لتحقيق قادوا يسوع عبر الفناء إلى تحقيق آخر عند رئيس الكهنة الشرعي يوسف قايافا وما يجسر أن توفه إليه هو أن قايافا كان صدوقياً، وكذلك قايافا وقد حاولوا هنا أن يلصقوا بيسوع تهمة انتهاك الشريعة اليهودية وعدم الاكترام بها دائماً. وتأكيد ذلك أعدوا شهود زور وفي آخر المطاف تحول قايافا إلى مسعور حقيقي صاح في وجه يسوع قائلاً: «أنت هو المسيح ابن الإله؟» فاجاب المسيح بالإيجاب وعلت إجابته هذه كافية لإثبات واقعة التحديف فصاح قضاة السيسريون الحاضرون «محكوم بالموت»، ونهتلى التحقيق القضائي الثاني مع يسوع

وماكم ما قاله يمرارة عالم درس سيرة حياة يسوع المسيح «هكذا استقبل اليهود آخراً مبسّتهم الموعود، الذي انتظروه بأمن متشد طول ألفي عام، فدفعوا حراء ذلك ألفي عام أخرى من المرارة والذل»

وحسب القضاء اليهودي كان الحكم بالإعدام يعني الرجم بالحجارة حتى الموت. ولكن تصيد حكم الإعدام لم يكن من صلاحياتهم، فقد كان ذلك يصترض قراراً من نائب القاضي الروماني (الوالي م) وبمعنى أبق كان الأمر يتطلب قراراً من المحكمة القضائية (التي كانت تحكم وفق القوانين الرومانية)، وقرراً من اجتماع السينديون بكامل أعضائه ولكن الاجتماع اليالي للسينديون لم يحضره الأعضاء كلهم أما اجتماع هيئة القضاء والسينديون فقد كان ينبغي حسب القانون أن يلتئم نهائياً ومع طلوع النهار تعرض يسوع لاختلاف مصروب الإهانة والادلال

وهكذا قادوا المسيح إلى مقر حراسة الموح لروماني. وهنا صربوه بالعصي واللكمات. وعصوا عنبه بمصانة وأحدوا بصربونه ثم يسألونه هارئين «احرر من صربك أيها الميسيا؟» وهكذا بقي دس الحشد الحامل الشرر الوقح، الذي صدمته عظيمة موقف يسوع ونوقه، بقي يلهو ويهرى بمن حشد في نفسه 'فضل ما يمكن أن يكون عليه الإنسان. وهكذا تنعاس هذه التدهماء اليوم مع صموة الصموة

في حوالي الساعة السادسة صباحاً توهجت عملية تعذيب المسيح: لقد وقف الآن أمام الاجتماع الكامل لأعضاء السيسريون وصوتت الأكثرية العظمى من الحاضرين لصالح

إنزل عقوبة الموت به. ولكنَّ القانون كان يحول بينهم وبين تنفيذ الحكم، إلا بعد أن تصدر السلطات الرُّمسية قراراً مدلساً. وقد أصدرت محكمة السلطة الرُّمسية قراراً بإعدام يسوع وكان ينبغي أن يصدَّق هذا القرار الأخير لبروكوراتور (نائب القاضي م) الروماني. وبعد هذه المحاكمة، أخيراً أنهالوا على المسيح سبيل آخر من التَّهكُّم، ولهذه شارك فيه الآن الكهنة والشيوخ، صفوة الشعب.

وقد أعضاء السينديون يسوع إلى البروكوراتور بيلاطيس السطحي. مغلول أيديين مربوطاً بحبل من عنقه وكان هذا الإذلال كله قد مورس بحق شخص لم يَدن بعد. وبعد أن حقق بيلاطس مع يسوع وجده غير مذنب، وهل يمكن أن يدان شخص لأنه أعلن نفسه ملكاً يهودياً في عالم غير هذا العالم. وبذء على ذلك أصدر بيلاطس قراره الأول بتبرئة يسوع. «لا أرى أنه مذنب في شيء» ولكنَّ «عداء المسيح لم سنسلموا وأنحوا على حكمهم بالإعدام». فترسل بيلاطس يسوع، إلى مقرَّ هيرودوس حاكم الجليل، الذي كان يحتفل بالمسيح في أورشليم. فازدراه هيرودوس مع متهتكيه ومرتزقته، وسخر منه وألبسه حلَّة احتفالية نثير الصُّحك، ثمَّ رده إلى بيلاطس ومرة أخرى حقق بيلاطس مع يسوع ووجده بريئاً: «أيُّ شيء فعله هذا؟» أن لا أرى أنه فعل شيء يستحقُّ بسببه الموت؛ وهكذا أعفاه، ثمَّ أطلقه. وكان العقاب حراماً من إجراءات الإعدام. فاقترح بيلاطس الاكتفاء به ولكنَّ الدهماء المسعورة ما فتئت تصرخ: «لموت به! أطبق لب! باراس! أصلبه، أصلبه!» ولأمرهما همكنا: حسب التشديد كان بيلاطس يعمو كل عام إكراماً بمصيح، عن واحد من ثلاثة محكومين بالإعدام. فاقترح يعمو عن يسوع لكنَّ الجميع طالب بصلبه والعفو عن قتل دموي. وأذهل وقار يسوع الإلهي، وعظمته الإلهية ووداعته، بيلاطس لقد كان يسوع يقف إلى جانب بيلاطس يردائه الأرحواني الممزَّق الدمى، وعلى رأسه الأكليل الذي اعبرزت أشوكه في رأسه، فكان منهكاً حتى الرَّمق الأخير فعذَّب بيلاطس به وتنت عه صيحة لا إرادته. هذا الإنسان!

فألحمت الدهماء على صلبه حاصنة لأنه كان إنساناً فهي تسعى دأب للتخلص من كل من يتصوَّق عليها بالنسب والصيلة الإنسانية، والاجتهاد، وواصلت رعبها (أصلبه).

فأجاب بيلاطس باشمئزج ظاهر خدوه أتم و صلبوه، هيأني لا أرى فيه أيَّ دس، لقد كانوا يهكِّدون على صحته موقوفهم مستنداً إلى شريعتهم. «إن لدينا شريعة، وحسب

شريعتنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه بن الإله، ومرة أخرى يقود بيلاطس يسوع إلى مقر المحكمة ويسأله: «من أين أنت؟» لكنَّ المسيح صمت. فأتى صوته بيلاطس الذي صرح في وجهه قائلاً: «ألا تحببني أنا؟ ألا تعرف أنني أملك السلطة لصلبك، أو إطلاقك؟ ويبدو أن يسوع أحسنَّ بميل لي بيلاطس، الذي ظهر أنه لا يملك سلطة حماية العدالة و لحق. فأحابه بهدوء. «ما كان بك عليّ أيُّ سلطة لو لم تُعطى لك من فوق؟ وفي هذا الأمر يقع الإثم الأعظم على مَنْ سُلِّمَني لك». وكان بيلاطس يعرف أن يسوع على حق، وأحسنَّ بتفوقه. فمررت رعبته لإيقاده وجاء مرةً ثالثة إلى مكان المحاكمة أمام الجمع وقام بمحاوئته لأخيرة فتخاطب لحشد قائلاً: «هذا هو ملككم»، فانفجر الجمع بصرخ كالماصصة. «اصلبه». «أأصلب منكم؟» فتلقى من الحشد جمعة تقول: «ليس لما ملك سوى قيصر!»

لقد كان صراخ رؤساء الكهنة والصدوقيين يعلو على الأصوات الأخرى كلها. وكان هؤلاء مستعدين لأي شيء في سبيل أن يحلّصوا من يسوع فهاجم رؤساء الكهنة بيلاطس وصاحوا مع البهائم قائلين: «إن أصلبته فسيت صديق قيصر». وأخيراً رمى بيلاطس أسبغته خوفاً على مستقبله الوظيفي، وربما حرصاً على حياته، وخرج من اللعة كلها قائلاً: «أتأمرون بأن أتوه بما»، وغسل يديه أمام لحشد قائلاً: «لست مدنياً في سمك دم هذا الصديق، فاسظروا أنتم!» فأحابه اليهود بعويل: «دمه علينا وعلى أبنائنا». وهكذا استسلم بيلاطس ورمى يسوع لصلب.

وسارت إجراءات الصلب على الوجه الآتي: برعوا عنه رداءه العسكري الذي ألبسوه له في مقر حرس الفوج الروماني عند ما هزّوا به وجعلوه ملكاً، وعادوا له رداء الأول وصوّرت لنا اللوحات نصيةً ملبساً صخماً ملولاً. لكنَّ المنحصرين يؤكّدون أن هذا لا يوفق الواقع فلم يكن لصلب بذلك الحجم، ولا مصنوعاً بذلك الإتقان بل لم يكن المصلوب يُرفع فوق الأرض كما قلّنا، بل مكان يقف على أرض قريب. وكان مباحاً لمن يشاء أن يهكم قدر ما يريد على المحكوم، قيصريه وينقل عليه و... وهذا ما عانى منه يسوع أيضاً أمّا مكان الصلب فهو الحلجة وحمل صليب يسوع من بوابات المدينة حتى مكان الصلب شخص يدعى «سمعان القبرواني، والد الإسكندر، وروف»

وعين بيلاطس هرقة من الحدود لتسميد الحشم. لقد كانت أورشليم تعجُّ بالحجاج، فاجتمع لمناجاة المشهد كثير من الفضوليين إلى جانب أعداء يسوع اللئولين

ولكن كان هناك من كان متعاطفاً مع المسيح أيضاً، بخاصة النساء فقد تأثرن أشد التأثر للحرية التي كانت ترتكب، فطمن صدورهن وانحنى بانفعال شديد ولكن سرعان ما وضع يسوع حداً لذلك المشهد الذي يقطع القلب. فقال لهن: يا بنات اورشليم! لا تكن عليّ بل كنين على أنفسكن وأطفالكن، لأنه تأتي أيام سيمولن فيها: طوبى للمقارن والطول التي لم تلد، والصدور التي لم ترصع عندئذ سيقولون للجبّال: اسعطي علينا وللثّلال عطينا. لأنه إذا كانوا قد صنعوا هذا مع الشجرة المورقة، فما الذي سيحدث لنبضة إدن؟

وعلى الصليب من فوق، فوق رأس يسوع مباشرة ثبتت لوحة كتب عليها بالرومانية، والإغريقية، وانيهودية «الملك اليهودي». وفي الطريق إلى الطححة حمل الحوادر أرومن تلك اللوحة ولم تكن الجلعنة جبلاً كما عدوها عادة، بل مجرد مكان لتبذل أحكام الإعدام. ودعي لكون حزيناً لأنه كان عبارة عن مرتفع مستدير يشبه شكله شكل الحبن. أمّا جبل الجلجثة الصخري الذي يراه في اللوحات لسميّة كلها، فلا يشبه واقع الأشياء قط وليس مثل هذا الجبل وجود في ضواحي اورشليم ولا نعرف أين يقع بالضبط مكان الجلجثة هذا اليوم. فب هو موجود مجرد تخمينات وحسب ولا يمكن أن يعتق نقاليهم لمسيح بحق، أن يعطي أهميّة رئيسة للقرائن لمدينة لحياته وأعماله فقد علم المسيح نفسه بأن المعبد المادي ليس هو المعبد الرئيس، إنّ المعبد الذي في روحنا، في داخلنا هو المعبد الأهم. إنّ مملكة الإله في د حلكن. ولدست يبعي الأ نعطي ككبر أهميّة سّعاميل ذات الطابع المادي، وتسماعل أين؟ ومتى؟

فتمّ لحظتان درزتان مرتبطتان بحدث الإعدام أولاً، لمد كان معبراً عنه عند اروعان أن يطعن المصلوب طعنة غير فائكة في حاصرته، لكتها بمجل يموت المحكوم وتصرّامد لامة وكانو يفعلون ذلك عادة مع بدء لإعدام. ولكنت لا نعرف ماذا لم ستزموا بهذا المرف وقتئذ ثانياً في الشيعة اليهودية للإعدام صلباً كما يمذمون لمحكوم فور تعليق على الصليب رشة بييد معزوح نمادة مخدرة شديدة الفعالية. وكانو يمسون ذلك مع كل محرم بصرف النظر عن موقفهم منه فقد كان ثمة مجرمين عن يمين المسيح ويساره. وقد شرب هذان المحكوم الذي قدّم لهما أمّا المسيح فرفض ذلك المشروب، مع أنّه كان يعرف أن ذلك كان يمكن أن يخفف عنه آلام الاحتضار، لكنّه فضّل أن ينظر إلى الموت وحياً لوجه، وأن يعيش رعب تلك اللحظة من نقصان وأن تحرّع كاسه حتى آخر قطرة.

عندما رفع يسوع على الصليب وغدا حسده مستنداً إلى نقاط جراحه الأربع، وهو على تلك الحالة من الآلام المصنوعة بوجهه إلى لرب الإله موسلاً لأوثق ادين صليبه وقتشه، ولدين صليبه في الأزمنة كلها حتى يومنا هذا، فقال: «يا أبتي، اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون»

وهبيل لصليب عبر المكان حشد، وكان لكل حرية الهرء من المحكوم، وتهكمت على المسيح الغوعاء ورؤساء الكهنة، والكتبةون والشيوخ، فافترحوا عليه ساخرين أن يترى عن الصليب، ويخلص نفسه و. وتمارحوأ فيما بينهم قائلين «لقد أنقذ الآخرين، وعحر عن أنقلا نفسه المسيح ملك الإسرائيليين فلينزل الآن عن الصليب لكي ترى ونؤمن، ولم يتخلف عن مهرجان التهنئة حتى الحنود الرومان، بل والمصلوبان معه كذلك، فانتفاء احتضاره بم سمع يسوع أي كلمة خاطف أو مواساة لقد نبئ الناس مدى استعدادهم لقبول تعاليم المسيح عن محبة القريب وحمل الآخرين مسعداء. فأرشى حول معبب اسشرئة بحر من التفاف، والصراوة، والغبط، ولا يزال هذا البحر يرغى ويريد حتى الآن.

ومن لبدهي أن أقارب يسوع والمقربين منه مكانوا في مكان الإعدام؛ وألدته ماريأ، وماريأ المجدلئة، وماريأ زوجة صكليوبا والدة يعقوب، ويوسي وسابوما زوجه زبدي، وحاول هؤلاء أن يكووا على مقربة من الصليب فوقع بضره على نظر أمه التي كانت تقف إلى جانب تميمه يوحنا. فقال لها: «أيتها الأم، هذا هو ابنك» وقال ليوحنا: «هذه هي أمك» وهكذا عدا الرسول يوحنا ابناً لأم يسوع ماريأ ويقول الإنجيل: «إن التلميذ أحداها إليه،

أن الملقب أجوي في تلك الساعات فتد كان مختلفاً جداً بالنسبة لبدك الفصل من كل عام فبدلاً من الشمس الحارقة لعتادة بالنسبة لبد شهر أنام ذلك المشهر من السنة، حنت حلقة مصممة وهيل إلى «السما» اظلمت تماماً» ولكن لوقت كان وقت اسمها القمر، كما هي حال أنام المصح دائماً، ولذلك فكمسوف الشمس لا يمكن أن يحدث إطلاقاً. وقد كان مثل تلك الظاهرة لتي ليس بها تفسير طبيعي، سور في زيادة قوة الإحساس الحفي بقرب وقوع بليته. وحيث أرتب

لبد بي المسيح معلماً على الصليب ما يحارب الست ساعات. وهبيل موته بقليل قال: «الهي، الهي لك تركتني» وهي كلمات من مزموز سداود وبعد لحظات صرخ يسوع قائلاً: «عطش!» فعاده أحدهم بإسفنجة مملوءة بمزيج من ماء وحل وبيض وكان الحبود الرومان يشربون هذا المشروب عادة ولم يروض المسيح ذلك العمل الطيب، لكن ظمأه زاد أكثر ورد

منه هياج لحشد وتعالّت صغريتهم. هنّاهُ من قال: «انظر، لمر ما إذا كان طلباً سوف تأتي لهيئته؟» وقبيل لحظة موته مباشرة قال يسوع بصوت عالٍ: «يا أبتى! بين يديك أستودع روحي!» وكانت كلمته النّصر الأخيرة التي نطق بها «قد نمّ!» وهما سقطت رأسه على صدره وسُلم الروح

ولتّلعجيل بموت المصلوب اعتادوا أن يكسروا عظام ركبتيه بمطرهه كبيرة، فبرّحتي بعد ثدّ جسد، ويموت وهذا ما فعلوه مع المصلوبين الآخرين مع يسوع أمّا يسوع فقد رآوا أنّه لا ضرورة لكسر ركبتيه لأنّه كان قد تسلّم الروح، وكسر لكي ينفثوا تماماً من موته، اقترب منه أحد الجنود وطعن جنبه بسكينه وولّثوا أنثى دم وماء.

وكان من المعارف عليه تقليدياً أن يقسم الحراس ثياب المصنوع وهكذا تقاسموا ثياب المسيح أيضاً لكنّهم رموا على رذته ابعرة كي لا يمزقوه إلى قطع بعد أن تحمّصت وهاء يسوع جاء عصو السيدريون والثري اليهودي المعروف يوسف الرّامي إلى بهلاطس ليأخذ موثته على رفع جسد المسيح عن الصليب ودفعه. ولم يمنع بهلاطس لكنّه استغرب أن يكون يسوع قد مات بهذه السّريعة، وكان الكفس الذي أعدّه يوسف كفنّاً فخماً بادخاً صمّحه بمائة ليتر من مرّ وعود جاء بها نيقوديموس. وبعد أن كُفّ جثمان المسيح بهذا الكفن نُقل إلى قبر كان أعدّه الرّامي في بستانه لثمنه، فحفره في كتلة صخرية كبيرة وكان يحب بالضرورة الانتهاء من طقوس تدفن قبل بدء سبت الفصح، أي قبل عبات شمس يوم الجمعة ولذلك تمحلّوا كل شيء فغسلوا الجسد، وطوّبوه، ولوّوه بالكفن، ووضعوه في القبر الصّخري. وجرت العادة أن يُعلّق باب المبر بحجر مهول ثميل يسوب عن الأبواب الممثلة. وهذا ما فعلوه الآن وكما فعل سابقاً، فقد كان محرّماً فعل أي شيء في يوم السّبت. ولذلك حدّدت النّسوة اللّواتي كنّ يبيكين يسوع مكان القبر (ماريا المجدنيّة، وماريا أمّ يعقوب، ويوسي). وذهبن عن أن يعدن لإكمال تطييب الجسد الذي لم يكتمل بسبب صيق الوقت

أمّا أعداء يسوع فقد كبدوا يحافونه حتى بعد موته ففتحوا باب المبر لكي يحولوا دون تحقيق قيامة يسوع، وهو الأمر الذي كان قد شاخ أكثر وأكثر ولم صباح أحد الفصح الذي كانت النّسوة تتطرّنه بفناد مسر، حتّى إلى الضّر كانت المارثان في المديّة، وحملهم سالومي ويوحنا وقد حملن لطلب ولكنّ سيّئ أن

لا لروم له فحسد المسيح ليس في القبر ولما اهتمت من القبر لم يكن هناك سوى ملائكة وروى يوحنا المشهد في إنجيله على لوجه الآتي في أول يوم من أيام الأسبوع جاء ماريا المجدلية إلى القبر في الصباح الباكر، قبل أن ينقش ظلام لمحر، ورأت أن الحجر قد أزيح عن باب القبر؛ فمادت تعدو إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه، وقالت لهما: لقد حملوا الرُّبَّ من القبر، ولا تعرف أني وضعموه ههنا بطرس والتلميذ الآخر من فوزهما وجرحا صوب الصبر فكانا يعدوان معاً، لكنَّ التلميذ الآخر فكان يعدو أسرع من بطرس، فوصل إلى القبر أولاً ولما انحنى لم ير سوى الأكفان؛ لكنه لم يدخل القبر، وعلى الأثر وصل سمعان بطرس فدخل القبر مباشرة ولكنه لم ير فيه سوى الأكفان أمّا عطاء رأسه فلم يكن مع الأكفان، إنما مطوي وموصوع في مكان آخر وعدُّد دُخُل التلميذ الآخر الذي كان قد وصل من قبل إلى القبر، فرأى وأمن؛ لأنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد من الكتاب أن ينبغي له أن يقوم من الموت وهكذا عاد التلميذ إلى الديار ممّا ماريّا فقد بقيت واقفة عند القبر تتعجب، وببما هي تبكي انحنت لترى القبر فرأت هناك ملاكين في ثياب بيضاء أحدهما يجلس عند رأس القبر والآخر عند القدمين حيث كان يسوع مسجى وقد قال لها يا امرأة! لماذا تنكس؟ فقالت لقد نقبوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه. وما إن قالت هذا حتى التفتت إلى الخلف فرأت يسوع واقفاً، لكنها لم تعرفه. فقال لها يا امرأة! ماذا بكين؟ ولما كانت قد صنته الستاني، قالت له: يا سيداً! إذ كنت أنت قد أخرجته فقل لي أين وضعته، وأنت سأخذه فقال لها يسوع ماريّا! هصاحت: رأيتني! وقال لها: لا تلمسيني، لأنني لم أصعد إلى أبي بعد؛ وادهبي إلى إخواني وأخبريهن أنني سأصعد إلى أبي وبيكن. وإلهي وإلهكم.

وأصبرت لمجدلية التلاميذ بأنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا وفي ذلك المساء عيه بينما تلاميذه مجتمعون داخل أبواب مغلقة خوفاً من اليهود، دخل المسيح إليهم ووقف في وسطهم وقال: «سلاماً لكم!» وبعد أن قال هذا لهم أراهم يديه وحيده وفرح التلاميذ إذ رأوا الرب

﴿فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيُّهَا: سَلَامٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا.﴾

(يوحنا ٢٠: ٢١)

﴿وَبَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ كَانَ تَلَامِيذُهُ يُعَادُّ خَلَاوَتُومًا مَعَهُمْ. فَجَاءَ يَسُوعُ وَالْأَبْوَابُ مَغْلَقَةٌ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: سَلَامٌ لَكُمْ.﴾ لَمْ قَالَ لَتُومَا: هَاتَا

إصْبَحَكَ إِلَى هَذَا وَأَبْصَرَ يَدَيَّ وَقَامَتْ بِنْتُكَ وَخَضَعَهَا فِي جَنَاحِي وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ
مُؤْمِنٌ ﴿أَجَابَ لَوْهَا رَبِّي وَالْهَي﴾ ﴿قَالَ لَهُ يَسُوعُ﴾ لَأَنْتَ رَأَيْتَنِي بِمَا تَوَصَّا
آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا﴾

(يوحنا ٢٠ - ٢٩)

﴿بَعْدَ هَذَا أَظْهَرَ أَيْضاً يَسُوعُ نَفْسَهُ لِلتَّلَامِيذِ عَلَى بَحْرِ صَبْرِيَّةَ. طَهَرَ
هَكَذَا.﴾ كَانَ سِبْعَانُ بُطْرُسُ وَثَوَمَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْقَوَامُ وَتَثْنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا
الْجَلِيلِ وَأَيُّسُ بْنُ زَبْدَى وَابْنَانِ آخَرَانِ مِنَ تَلَامِيذِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ. ﴿قَالَ لَهُمْ سِبْعَانُ
بُطْرُسُ﴾ أَمْ أَذْهَبُ لَأَتَمَيِّدَ. قَالُوا لَهُ. تَذْهَبُ تَحْضُنْ أَيْهَا مَعَكَ. فَخَرَجُوا
وَدَخَلُوا السُّفِينَةَ لِلتَّوَصُّعِ. وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ لَمْ يُنْجِسْهُمَا شَيْئاً. ﴿وَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ
وَقَبَّ يَسُوعُ حَتَّى لِسَاظِي. وَلَكِنْ التَّلَامِيذُ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَسُوعُ.﴾ فَقَالَ
لَهُمْ يَسُوعُ يَا عُلْدُنَ الْإِنْسَانِ! أَجَبْتُمْهُ لَأَنِّي ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ أَلْقُوا
الشُّبْكَ إِلَى جَانِبِ السُّفِينَةِ الْيَمِينِ فَتَحْضُوا. فَالْتَمُوا وَلَمْ يَحْضُوا بِقُدْرَتِهِمْ أَن
يَحْضُوا مِنْ كَثَرَةِ السَّمَكِ. ﴿فَقَالَ ذَلِكَ التَّلَامِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ
إِبْطَرُسَ. هُوَ الرَّبُّ. فَلَمَّ سَمِعَ سِبْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ أَقْرَزَ يَتَوَّيُّهُ لِأَنَّهُ كَانَ
غَرِيباً وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ.﴾ وَأَمَّا التَّلَامِيذُ الْآخَرُونَ فَجَعَلُوا بِالسُّفِينَةِ لِأَنَّهُمْ
لَمْ يَكُونُوا يَعْرِيبِينَ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا نَحْوَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ وَهُمْ يَحْضُونَ شُبْكَ اسْمُكُ
﴿وَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْأَرْضِ نَظَرُوا جِزْراً مَوْضِعاً وَاسِعاً مَوْسِعاً عَلَيْهِ وَخَضَرَا.﴾
﴿قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ. قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي أَمْسَكْتُمْ لَأَن.﴾ فَخَضَعَ سِبْعَانُ
بُطْرُسُ وَجَذَبَ الشُّبْكَ إِلَى الْأَرْضِ مُتَمِثِّلاً سَمَكاً كَبِيراً وَمَثَلَا وَخَمْسِينَ.
وَمَعَ هَذِهِ السَّكْرَةِ لَمْ تَسْخَرْ شُبْكَهُ ﴿قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ﴾ هَبُوا تَغْدُوا. وَلَمْ يَحْضُرْ
أَحَدٌ مِنَ التَّلَامِيذِ أَنْ يَسْأَلَهُ مَنْ أَنتَ؟ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ. ﴿لَمَّا جَاءَ
يَسُوعُ وَآخَذَ الْخُبْزَ وَأَعْطَاهُمْ وَكَذَلِكَ السَّمَكُ.﴾ هَذِهِ مَرَّةٌ ثَابِتَةٌ أَظْهَرَ يَسُوعُ
بِتَلَامِيذِهِ بَعْدَمَا قَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ﴾

(يوحنا ٢١ - ١٤)

لقد سبقا هذه المقاطع كامنة لأن مسألة قيامة المسيح مسألة مبدئية ولا شك أن
الأناجيل هي المصدر الأصم الأهم، ووردت في الأناجيل الأخرى مساسات أخرى ظهر المسيح

ففيها بعد قيامته (لوقا ٢٤ : ٢٤) كيف تحدث بطرس في رسالته ، وكذلك بولس ، عن بعض ظهورات يسوع لأخرى بعد قيامته لكننا لن نورد هنا لأن القارئ يستطيع الاطلاع عليها دون مساء (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ ٢-٨).

الفصل العاشر

تعاليم المسيح

لقد عرضنا من حيث جوهر الأمر الموضوعات الأساسية لتعاليم المسيح وفق التسلسل الزمني لسيرة حياته ولكنَّه معزى لتلخيص السائح، وعرض المحطات الأهم في هذه التعاليم بيجاز، فهي التعاليم التي عبّرت وجه العالم على أي حال والحادثة من ذلك وضحة، لأنَّ تعاليم المسيح لحقيقته تعرّضت لتبدلات جوهرية جداً خلال الألف عام المتصرمين، ففي هذا المقطع التاريخي جرى تأويل التعاليم وفق شتى الأهواء، وقد تحدث هؤلاء كلهم باسم المسيح حقاً إنَّ المسيح كان على حق إذ حذر أنَّه سوف يظهر بعنه كثير من الرُّسل (البدعاليين) الذُّناب في حلود حملن، ولن يحرس هؤلاء قطعا بهم إنما سيهلكونها كما يفعل النّكب

لتبدأ إذن بالسؤال لأهم من هو الإله؟ وقد يبدو للوهلة الأولى أنَّ الإله حسب المسيح، هو عيه كما ظهر في العهد القديم المعارف بكل شيء، والذي يرى كل شيء، والرحيم، والقادر، والعدل وما إلى ذلك إنَّ الإله لا يُرى أبداً، إنَّه يمكن إدراكه عبر ما حقق فقط. وصدق المسيح قائلاً:

«إِنَّهُ رُوحٌ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَيَا لِرُوحٍ وَالْحَقُّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»

(يوحنا ٤ : ٢٤)

وفي واقع الحال إنَّ الإله حسب المسيح أكثر بشرية فهو ليس أب المسيح وحده، إنما أب البشر كلهم عندما سأل المريسيون المسيح عن أعظم لوصايا في شريعة موسى، أجاب:

«يَا مَعْلَمُ آيَةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْمَطْمَئِنَةُ فِي الدُّمُوسِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ لَوْبَ إِلَهِكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ ٣٨ هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْمَطْمَئِنَةُ مِثْلُهَا تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ ٣٩ يَهْئِئِينَ أَنْوَصَتَيْنِ يَتَمَلَّقُ السَّامُوسُ كُلَّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ»

(متى ٢٢ ٣٦-٤٠)

وفي شرائع موسى تتحدور هاتان الوصيتان، لكنَّهم لا ترتبطوا بحدتهما بل أخرى ارتباطاً مباشراً. أمَّا المسيح فقد وحد بينهما، فسأت المفزى محبة الإله هي محبة الإنسان،

محبّة القريب، ومحبّة القريب هي محبة الإله، محبة لروح الذي يدين له العكس موجوده ونضيف إن الإله حسب المسيح موجود في كل صُ وَأَنْ الصُّرِيقَ إِلَى إِلَه، هي الطُّرِيقَ إِلَى مَا هُوَ أَقْصَى مِنْ رُوحِ كُلِّ مَنْ

ولكن من هو القريب؟ وكانوا قد أبعوا هذا السؤال عن المسيح نفسه، فأجاب يسوع بمثال أليعازر، الذي سلبه للصوم وأوسعوه صرياً ورموا به على قارعة الطريق فمراً أباء حسنة يهود على مقربة ولم يقدم أي منهم العون له. بينما حمله السامري إلى النزل وقدم له المساعدة ودفع عنه دينارين لماء إقامته في المنزل وقال، إنه حاصر لدفع المريد إذا تطلب الأمر ذلك؛ علماً أن اليهود يحترمون السامريين ويفضّلون عدم اتّحادهم إليهم. وهكذا تبّهن أن السامري هو الأقرب. بل اليهودي وعليه فإنّه ينبغي تأويل معنى وصيّة: «أحب قريبك كما تحب نفسك» بأعصر مدى له فالقريب ليس من يقيم على مقربة أو من يربطك به قرابة، بل القريب هو مَنْ يقف معك وقت اشتدّة إلى القرب هو أيّ كان. بصرف النظر عن الانتماء العرقي، أو الاجتماعي أو.. ومدلول هذه الموصوعة الأساسية في تعاليم المسيح، هو أن تعاليمه موجّهة لكل إنسان يعيش على سطح الأرض

إذن، إذا أعلن أحدهم أنه يؤمن بالإله، أي يحبّ الإله، فيجب أن يُسأل بالضرورة ممّا إذا كان يحب القريب مثلاً يحب نفسه، مع كل ما يترب على هذه المحبة من نتائج. فلنتمعّن نحن في هذا الإيمان بالإله حسب المسيح، لا يعني سلاوة عدد معين من الصلوات كل يوم، والتّردّد على المعبد، وتقديم الشموع، والالتزام بالصوم، وما إلى ذلك وفعل هذا كله لا يعني الإيمان بالإله بعد فهمنا إيماننا بالإله، هو محبة الآخرين. وبما أن هذا الالتزام مفروض على كل إنسان فإن النتيجة تبدو واضحة: كلهم سوف يكونون بحير، لأنّ كلّاً سوف يتعامل مع الآخر كما لو كان يتعامل مع نفسه. ومن الملائم أن ندكر هنا بوصيّة المسيح الأخرى التي تتبّعها ما ورددها، أي:

«وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ فَفَعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هَكَذَا»

(لوقا ٦ - ٣١)

وهكذا، إذا كان الإله والإنسان حسب العهد القديم، كان في ظرف، وكان يتوجّب على الإنسان أن يقدم القرابين للإله، ويستعطفه، ويسرّعه، ويخافه. وفي ذلك هَلْ العهد الجديد، تعاليم المسيح، جعلت الإله في داخل كل إنسان، في داخل كل مَنْ، في الصّالح مَنْ كما في لشرير. إن الإله في روح الإنسان وهو يطلب الرحمة لا التّصديقات، لأنه يطلب المحبة، المحبة تجاه القريب، محبة محدّدة وسست مجرّدة، محبة الإنسان للإنسان. وليس شيئاً أن جاء في الإنجيل

«لَأَنَّ الثَّامُسَ يَمُوسَى أَتَطِي أَمَا الثَّمَةُ وَالْحَقُّ فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ صَارًا»

(يوحنا ١ : ١٧)

وفي هذا تحديدًا تقوم معالم مسيح بمعناها الالهي الحقيقي، لا بمفزاها المحرف المشوه.
 بعد جاءت وصية «أحب قريبك كما تحب نفسك» في شرائع موسى في العهد القديم
 لكن المسيح معها مغزى «كثر عصف بجمعه بين محبة القريب ومحبة الإله وقد تجاور في
 هذا شرائع موسى بصكثير. فقد طالب -

«تَكَلِّمِي أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي لَسَاوَعُونَ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحِبُّوا إِلَى مُبْتَغِيكُمْ
 «بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ وَصَلُّوا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ. «مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ
 فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا وَمَنْ أَحَدًا بِذَنَابِكَ فَلَا تَنْقُصَهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا»

(لوقا ١٦ : ٢٧-٢٩)

ثم ملأ المسيح مطلبه هذا فنقول:
 «وَأَنْ حُبَّيْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَبِئْسَ الْخَطِيئَةُ أَيْضًا يُحِبُّونَ
 الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ «وَأَمَّا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَبِئْسَ
 الْخَطِيئَةُ أَيْضًا يَعْمَلُونَ هَكَذَا. «وَأَنْ أَفْرَضْتُمْ أُولَئِكَ سُرَّجُونَ أَنْ تَمْتَدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ
 فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ أَيْضًا يُفْرِضُونَ الْخَطِيئَةَ لِكَيْ يَسْتَرْبُوا مِنْهُمْ لَمَلًا».

(لوقا ١٦ : ٢٣-٣٤)

وحسب تعليم المسيح أنه ينبغي أن نحب أعداءنا وليمت هذه يوتوبيا فقد أظهر المسيح
 نفسه هذا عندما صلبه أعداءه لصواري. إذ صلب من أجلهم وطلب من أبيه وأبيه الرب الإله قتلًا.
 «... يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»

(لوقا ٢٣ : ٣٤)

لقد عدَّ المسيح الإله أب أبشر مكلمهم، وليس أبوه وحده. فكان يحاطب بلا مناه
 ومستمعيه الآخرين دائمًا. طالباً إليهم أن يذرموا في حياتهم بالوصايا الإلهية، وعدند
 يصبحون أبناء الرب الإله

«وَأَمَّا نَا فَاقُولُ لَكُمْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ أَحِبُّوا إِلَى مُبْتَغِيكُمْ
 وَصَلُّوا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُم «لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي
 السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُخْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْبَاطِلِ وَالسَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْبَاطِلِ وَالسَّالِحِينَ»

(متى ٥ : ٤٤-٤٥)

لقد كان المسيح يدرك أن تحقيق هذا المطلق صعب جداً على أي من البشر فهو يدرك أن لإنسان خاطئ، يحيد عن الحق في تصرفاته ولذلك لا يعيش سعيداً ولكن الطريق إلى تحقيق استعادة الشخصية تمتد عبر تطهير النفس، والتوبة، والعودة إلى طريق الحق. وهذا العمل عمل سباق ومعقد إلى أقصى حد أنها المهمة الرئيسية التي وضعها المسيح لنفسه وللإنسان، ولشكل من يسبق تعلمه. وتقوم هذه المهمة في الدفاع عن كل مرتد، وصالح، وساقط وقال

﴿ لَا يَحْتَاجُ لِأَحْيَاءٍ إِلَى صَبِيحٍ بَلْ أَمْرَضَى. لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلْ خَطَاةَ إِلَى التَّوْبَةِ ﴾

(مرقس ٢ : ١٧)

والأمر المهم هنا، هو أن بمنزلة المرء بخطاياها صادقاً ويسدماً حقيقياً ويتوب توبة صادقة، ويصنع للأحرار عملاً اقترهه من أخطاء، يحقه. وحسب المسيح أن من يفسر يفهم له والغاية الأساسية، هي تحقيق الكمال الروحي السأحلي. لقد قال المسيح

(فَكُونُوا أَنْتُمْ كَذَبِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَذِلْ)

(متى ٥ : ٤٨)

ما هي مملكة الإله؟

﴿ لِأَنَّ مَا مَلَكَوْا اللَّهَ دَاخِلَكُمْ ﴾

(لوقا ١٧ : ٢١)

وعندما يظهر أول اصنافين في قبولهم تعاليم المسيح والعيش وفقها، يكون مملكة الإله قد قامت فهي تقوم لأولئك الذين يحققون الكمال الروحي، ويعيشون وفق تعاليم المسيح

ويكن هذه ليست وحدة من الشكليات. إنها ولادة جديدة، ولادة كما قال المسيح، ثابته من فوق، من الروح.

﴿ فَمَنْ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَدِّ مِنْ فَوْقِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ. ﴾ قال له نيقوديموس: كَيْفَ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَمْ يَلِدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنُ أُمِّهِ تَابِتَةً وَيُولَدَ؟ أَجَبَ يَسُوعُ: الْحَقُّ لِحَقِّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكَوْتَ اللَّهِ. ﴿لَمْ يُؤْمَرُوا مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. ﴾ لَا سَمْعِيئَ أَسِي

قُلْتُ لَكَ يَتَّبِعِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. ❀ أَلرَّيْحُ نَهَبٌ حَيْثُ نَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا
لِكَيْتَكَ لَا تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ تَدْبِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ ٤

(يوحنا ٣ : ٨-٣)

يجب ألا تنتظر أن تباغتنا مملكة إله بحضوره في لحظة زمنية محددة فيما أنها في
داخل كل منا ، فإن لحظة حضوره تختلف من شخص لآخر
وما لمعت ، لاشياء أن التأويلات المسيحية المعاصرة لفكرة مملكة الإله مختلفة كلياً
فانتقلت المسألة من المجال الروحي الى المجال التطبيقي - التراتبي ، ويتطرق المؤمنون للمملكة
السمائية بصفتها طائفة سوف يصير في وقت محدد (لا يعرفه إلا إله وحده) وبهذا المعنى تفقد
المملكة السماوية شيئاً ما لا يرتبط بما ، مع أن سلوكها هو الذي سيعتد ما إذا كنا نسمح بل
هناك أم لا وفي وقع الحال إن هذا المفهوم هو حسب المسيح أكثر عمماً بكثير لأنه يتطلب بدل
قوى استثنائية من كل منا ، وتحقيقه في الوقت نفسه أكثر واقعية. فحول المرء المعنى لمملكة
الإلهية مرتبط بها سلوكه لشخصي وهو مدعو شبات لا لمحاولة دخول هذه المملكة ، إنما
لإنشائها في داخل روحه فحسب المسيح إذن ، إنه منذ أن ظهرت تعاليم المسيح وبدأ التبشير بها ،
أخذت مملكة السماء تمتلئ في أرواح البشر الذين اعتنقوا تلك التعاليم بصدق ، ومع ظهور مثل
هؤلاء ، تبدأ الولادة من فوق ، الولادة من الروح ، الولادة من حديد وتسير هذه العملية المتواصلة
سيراً متكاملاً. أحياناً بكثير من النجاح ، وأحياناً أخرى بكثير من الصعوبات ، لكنها لا تتوقف
أبداً وبم يشك لمسيح أبداً في أن الناس كلهم سوف يحققون هذه الحالة الروحية فقال :
(وَيَأْتُونَ مِنَ الْعَشَارِقِ وَمِنْ الشَّامِ وَالْجَنُوبِ وَيَتَكُونُونَ فِي
مَلَكُوتِ اللَّهِ).

(لوقا ١٣ : ٢٩)

لقد كان المسيح يعلم أنه

(❀ وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِأَبِ
بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لِأَنَّ الْآبَ طَائِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ ❀ اللَّهُ رُوحٌ وَالَّذِينَ
يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَتَّبِعُونِي أَنْ يَسْجُدُوا)

(يوحنا ٤ : ٢٣-٢٤)

أما حسب التعاليم المسيحية المعاصرة ، فإن الطريق إلى مملكة السماء يمر عبر يوم
الحساب العظيم وكان المسيح قد قال

«وهذه هي الشهادة إن التور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة».

(يوحنا ٣ : ١٩)

ويستمد مما ورد هنا ، أنه بما أن النينونة تسبق الممكة السماوية ، فهي مستمرة إنش في روح شكل مأ ومن ثم صبح أنه إذا كمت مملكة السماء في داخنا فإن جهنم في داخنا أيضاً . ويتوفق هذا تماماً مع العلم المعاصر ، لكثفت لن نتحدث عن هذا إلا بعد حين ، إن النينونة الجارية في داخل كل منا ، هي عميقة موضوعية وتعاليم المسيح ليست واحدة من لتعاليم ، إنما هي التعاليم لوحيد ، التي تتوافق وبناء الكون (بما فيه الإنسان) ولذلك قال المسيح :
«وَأَنْ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ بِنَافْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَمَيِّتُوتِي عَادِلَةٌ لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي.»

(يوحنا ٥ : ٣٠)

فما هو مقياس هذا ؟ إنه جوهر اسمعيليم نفسها احكموا بانفسكم تقضي التعاليم لا بمحبة القريب وحسب إنما بمحبة العدو اللئود ، وصنع الخير لجميع ، وتحقيق الكمال اساتي ، والعيش برواحة ومساعدة الآخرين على ساءاتهم ، و . فهل يمكن أن تكون هناك تعاليم كثر صحة ، وصدقاً ، وملاءمة لمساعدة كل إنسان على أن يقترب من طريق الحقيقة وبلوغ السعادة فما الذي يمكن أن يكون أكثر سقامة من هذا ؟
أما مصدر الوداعة ومسامحة الآخر فإن موهب المسيح هو على الوجه الآتي عسما انضم إليه بطرس وسأله

«جَيْتَلْ تَقَمَّ إِلَيْهِ بَطْرُسُ وَقَالَ: يَا رَبُّ كَمْ مَرَّةً يَخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنْ أَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سِتِّعِ مَرَّاتٍ؟» قَدْ لَئِ يَسُوعُ: لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سِتِّعِ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَى سِتِّينَ مَرَّةً سِتِّعِ مَرَّاتٍ.»

(متى ١٨ : ٢١-٢٢)

(. إغفروا يغفر لكم)

(لوقا ٦ : ٣٧)

وقال في مكان آخر :

«إِخْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَيْحُهُ وَإِنْ تَابَ فَغْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سِتِّعِ مَرَّاتٍ فِي نَوْمٍ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سِتِّعِ مَرَّاتٍ فِي النَّوْمِ قَابِلًا. أَلَا تَأْتِبُ فَاغْفِرْ لَهُ.»

(لوقا ١٧ : ٣-٤)

لقد حذر يسوع من أن الحشع يتعرض مع التكامل الروحي، مع مملكة السماء. ولم يكن عبثاً أن:

«ثُمَّ قَالَهُ يَسُوعُ لِبَتَلَايِمِذ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَغْسُرُ أَنْ يَسْخُلَ غُلْيِي إِلَى مَلَكُوتِ اسْمَاوَات. لَئِنْ أَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَعَلٍ مِنْ تَحْتِ إِيرَةِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَسْخُلَ غُلْيِي إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ.»

(متى ١٩: ٢٣-٢٤)

ودعا المسيح

«إِعْمَلُوا لَا لِلطَّعَامِ، بَلْإِذِنْهُنَّ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي يُعْطِيكُمْ ابْنُ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ هَذَا اللَّهُ الْآبُ قَدْ خَتَمَهُ»

(يوحنا ٦: ٢٧)

وعندما سأله الجمع: ما العمل؟

«فَأَجَابَ مِنْ بُوْتَانٍ فَلَمَّصَ مِنْ لَيْسَ لَهُ وَمَنْ لَهُ عَطَاءٌ فَلْيَنْدُلْ هَكَذَا.»

(لوقا ٣: ١١)

ثم روى مثلاً عن لذي خزن خبث ماديّ لحياته الأبدية كسها، فقال له الآله يا أحمق! سوف يأخذون منك روحك في هذه الليلة، فلم يبق هذا الذي حرّبه؟ وأردف المسيح قائلاً: «وَقَالَ لَهُ اللَّهُ: يَا غَيِي هَذِهِ الْبُلْبُلَةُ تَطْلُبُ نَفْسَكَ بِكَ فَهَبِ الْيَتِي 'فَدَدْتُهَا' إِنْ تَكُونُ؟ هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيّاً لِلَّهِ»

(لوقا ١٢: ٢٠-٢١)

وتصاف إلى هذا التزامات أخرى تثبت عن أوصيه الرئيسية الأولى، فقيل:

«وَلَا تَقِيئُوا قُلُوبَكُمْ لَكُمْ أَنْ لَا تَقْفُوا عَلَى أَحَدٍ وَلَا يُقْضَى عَلَيْكُمْ، فَهَبُوا يُعْفَرُ لَكُمْ؟»

(لوقا ٦: ٣٧)

«وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَلْعَبِهِ وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلَا تُطَالِبْهُ»

(لوقا ٦: ٣٠)

وأخذ المسيح بحسبه أن برامجه هذا شأنه وشديد لتعقيد إذ يجب أن تشن «حرب» من أجل كسب كل إنسان، وفي سبيل انتفاذ كل روح هالكة والسلاح في هذه الحرب، هو عمل الخير، و التمسح، والصنف، والعمى، والوداعة، وما إلى ذلك وفي الصراع من أجل الأرواح، تمنح كل روح حلقة هرجاء لا حد له

«أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَجٌ فِي السَّنَةِ بِخَاطِبٍ وَاحِدٍ يُتَوَبُّ أَكْثَرُ مِنْ
تِسْعَةٍ وَتَمَعِينَ بَرًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيَّ تَوْبَةً.»

(لوقا ١٥ : ٧)

ويتحدث الإنجيليون عن هذا الصراع من أجل الأرواح مستخدمين مصطلحات معاصرة.
فيكتب لوقا على لسان المسيح

«تَتَطَلَّوْنَ أَنِّي جِئْتُ لِأَعْطِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ أَتَيْتُ سَلَامًا»

(لوقا ١٢ : ٥١)

وأورد متى اسم نفسه تقريباً

«لَا تَطْلُبُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَتِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ مَا جِئْتُ بِالْقِي سَلَامًا بَلْ
سِلَاحًا. فَإِنِّي جِئْتُ بِالْقَوْلِ الْإِنْسَانَ هَيْدَ أَبِيهِ وَلِأَتِيَ هَيْدَ أُنْهَى وَالْكَتَّةَ مِنْ
حِمَاتِنَا. وَأَعْدَاءَ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبَاهُ أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا
يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنَهُ أَوْ أُخْتَهُ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ لَا يَتَّخِذْ صِيبَةً
وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي.»

(متى ١٠ : ٣٤-٣٨)

لا شك أنه لا يجوز أن تأخذ هذين النصين بحرفيتهما. فالحديث يجري هنا عن الصراع
الروحي، الذي لا يقبل أي مساومة وعن هد

«فَقَدْ كَانَ لَهُ يَسُوعُ لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْخِيَرَاتِ وَيُطْفِرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ
لِمَلَكُوتِ اللَّهِ.»

(لوقا ٩ : ٦٢)

لقد شنَّ المسيح حرباً يومية على أشكاليات الدينية، لأنَّ كبار رجال الدين اليهودي كانوا
قد استبدلوا بدين الإله الحق ومحبة القريب اللذين تحدَّث العهد القديم عنهما في شريعته موسى،
كثرة من شئى الشعائر والمحرمات المشككة. ونحن كُنَّا قد تحدَّثنا عن بعضها، هالاعتسال على
سبيل المثال فتصصى تاذبة أربعة عشر إحصاء مختلفاً، يصب واحدما الآخر بدقة صارمة وعندما
تهموا المسيح بأنَّ تلاميذه ساشرون علمهم من غير أن يسئلو أيديهم وفق المثلج. أحابهم

«لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يَنْجِسُ الْإِنْسَانَ بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنْ أَعْمٍ هُنَا يَنْجِسُ
الْإِنْسَانَ. حِينَئِذٍ تَقْدَمُ تِلَاوِيَّةٌ وَقَالُوا لَهُ: أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ الْفَرِيسِيِّينَ نَحْنُ سَمِعُوا الْقَوْلَ
تَقَرُّوا؟» «جَابَ: كَسْ قَرَسٍ لَمْ يَغْرُسْهُ أَبِي السُّدُورِيِّ يُقْلَعُ. أَتُرَكُّوهُمْ هُمْ غَنِيْبُنْ

قَابَةُ عُنَيْنٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُولُ أَعْمَى يَسْتَظِنُ كِلَاهُمَا فِي حَقِّهِ ۖ وَقَالَ بَطْرُسُ
لَهُ: لِمَ لَنَا هَذَا الْمَثَلُ. ۞ فَقَالَ يَسُوعُ: هَلْ أَنتُمْ أَيْضًا حَتَّى الْآنَ غَيْرَ فَاهِمِينَ؟
۞ أَلَا تَفْهَمُونَ بَعْدَ أَنْ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الْقَمَّ يَهْبِطُ إِلَى الْجَوْفِ وَيُسْقِعُ إِنْسِي الْمَخْرُجَ
۞ وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ أَعْمَى الْقَلْبِ يَصْدُرُ وَذَلِكَ يُجَسُّ (إِنْ شَاءَ) ۞ لِأَنَّ مِنَ الْقَلْبِ
تُخْرِجُ أَفْكَارَ شَرِيرَةٍ: فَقُلْتُ زَيْتِي فَبُذِرَتْ سُرْقَةً شَهَادَةُ زُورٍ تَجْدِيبُ ۝

(متى ١٥: ١١-١٩)

وعندما لام المرسييون المسيح لأن تلاميذه لا يصومون، ردَّ عليهم بقوله، إنهم هم
لا يصومون إلا مراء ۝

۞ وَمَتَى صُنْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمَرَاتِينِ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ
يُظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَابِرِينَ. ۞ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ ۞ وَأَمَّا أَنْتَ
فَمَتَى صُنْتَ فَادْفَنْ رَأْسَكَ وَغَسِّلْ وَجْهَكَ ۞ لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَابِئًا بَلْ لِابْنِكَ
الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. ۞ فَابْنُكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَاقِيَّةً. ۝

(متى ٦: ١٦-١٨)

ويحذر المسيح من الأسرسل كثيرا في الصلوات. فقال:

۞ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى بَيْتِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ
الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. ۞ فَابْنُكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَاقِيَّةً. ۞ وَحِينَئِذَا تَصَلُّونَ
لَا تَتَكَبَّرُوا كَالْعَالَمِ قَبْلَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَكْتَرِبُ كَلَامَهُمْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ.
۞ فَلَا تُكْشِبُونَهُمْ بِهِمْ لِأَنَّ أَبَاهُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَجُجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ سَأَلُوهُ. ۝

(متى ٦: ٦-٨)

والإحسان أنصا لمح أن يعطى دور أن يكون الغرض منه تحقيق نواحي دائية فقد قال المسيح.

۞ حَتَرُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَفَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ
أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ۞ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُصَوِّتْ قُدَّامَتَ
بَائِسِينَ كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاوُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الْأَرْقَةِ لِكَيْ يُسَجِّتُوا مِنَ النَّاسِ الْحَقُّ
أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ ۞ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعْرِفْ
بِمَنَّاكَ مَا تَعْمُرُ بِمِثْلِكَ ۞ لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ ۞ فَابْنُكَ الَّذِي يَرَى فِي
الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عِلَاقِيَّةً. ۝

(متى ٦: ١-٤)

وكثيراً ما يتحدثون في الوقت الراهن عن كنيسة المسيح. فما الذي فكر فيه المسيح وقامه عن تأسيس تراثية صارمه بين أتباع تعاليمه؟ ونحن بمسكننا أن نحكم على موقفه من أحواله التي قالها بهذا الصدد.

«فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ خَادِمًا
وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَدِمًا. كَمَا أَنَّ ابْنَ إِنْسَانٍ لَمْ يَأْبَ
لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدِمَ وَلِيَبْدِلَ نَفْسَهُ بَذِيَّةٍ عَنْ كَثِيرِينَ»

(متى ٢٠ : ٢٦-٢٨)

يمثل هذا خالص المسيح لتلاميذه الذين كان يمكنهم أن يعدوا مؤسسي الكنيسة وفي سياق آخر قال لتلاميذه:

«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي لِأَنَّ مُسَبِّحَكُمْ وَاحِدٌ لِمَسِيحٍ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ
فَهَلَا تَدْعُوا نَحْنُ أَيًّا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا
تَدْعُوا مُسَبِّحِينَ لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ لِمَسِيحٍ. وَأَكْثَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمًا نَحْنُ. فَتَنْ
يَرْفَعُ نَفْسَهُ يُلْفِضُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ»

(متى ٢٣ : ٨-١٢)

إن هذين النصين يقدمان لنا تصوراً واضحاً عن العلاقات السليمة بين الرعاة في المسيح. دقة لحظة واحدة يمكن أن تسببها إلى الكنيسة التي ظهرت بعد المسيح إنها سرراً لأفخارستيا القربى المقدس وهناك وصف لهذا السرار في أربعة أماكن، لكنه وصف متماثل. فقد جاء في إنجيل متى

«وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ:
خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي وَأَخَذَ لُكْمًا وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ فَأَكَلُوا. اشْرَبُوا مِنْهَا
كَلِمَتَكُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسَنِّدُ بِنَ أَجْلِ كَثِيرِينَ
لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا»

(متى ٢٦ : ٢٦-٢٨)

ولكن أصل هذا السر يرجع إلى عبادة الإله ميترا لسابقة على المسيحية برمن صوبل. فقبل ألف عام من زمن المسيح عاش زرادشت وبنشر تعاليمه الزردشتية وكان الإله الأعلى الوحيد في هذه التعاليم، هو إله ميترا، إله النور. وقد اعتاد المؤمنون به أن يتناولوا الخمر ولبنيد، اللذين كانا يرمزان إلى حسد ميترا ودمه. وقد استخدم المسيح للمصطلحات عينها وهاكم بعض المقاطع من الأناجيل:

«فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبْرُ أَخِيهِ. مَنْ يُعِيلُ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي
فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا.»

(يوحنا ٦ : ٣٥)

وهال:

«فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ لِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ نَمَ سَأَكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ
وَنَشْرَبُوا دَمَهُ فَكَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ.»

(يوحنا ٦ : ٥٣)

أما فمكرة لقيامه فإن لها أهمية استثنائية وفيه الأنباجيل التي عرضت تعاليم المسيح
تحدث المسيح نفسه عن هذا بدقة ووضوح:

«لَأَتَمُّمَ فِي الْقِيَامَةِ لَا يُرَوِّجُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَايَكَةِ اللَّهِ فِي
السَّمَاءِ»

(متى ٢٢ : ٣٠)

ومن المدهي أن المسيح لم يفصل تعاليمه عنه هو ولذلك نقرأ في الأنباجيل
«أَنَا هُوَ الْبَابُ إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْتَبًا»

(يوحنا ١٠ : ٩)

«قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. مَنْ أَحَدَ يَأْتِي إِلَيَّ الْآبَ إِلَّا بِي»

(يوحنا ١٤ : ٦)

ومرة أخرى

«لَمْ تَكُنْهُمْ يَسُوعُ أَتِصًا فَلَيْلًا أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمُوتُ فِي
الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ»

(يوحنا ٨ : ١٢)

ولكن أن تتسع المسيح وتميش وفق تعاليمه ليس بالأمر اليسير ومن الأسهل بكثير
استقبال لآهده لتعاليم جوهرها بحكيمات حرافية عن مختلف صروب البعرات وبيدخيرة
محددة ومطلعة من الطقوس والشعائر فهذا سهل جداً، بل مريح أيضاً: بيد أنه ليس م هو
مشارك بينه وبين تعاليم المسيح فالمسيح كان يدرك أن العيش وفق قوايين الحضيضة أمر
شاق الصعوبة ولكنه لم ير احلاص إلا في هذا فقط، الحلاص الحضيضي لكل إنسان.
هقد قال

﴿لَأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَزَحَ أَعْنَامَ كُلِّهِ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي
الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟﴾

(متى ١٦ : ٢٦)

ورأى أن تلوح الكمال الروحي والعيش بالتوافق مع استعاليه، بقصصان بصروره. ن يعيد
الإنسان لنفسه انصوّر الصحيح عن قيم حياة، عن العالم المحيط. فقد قال المسيح:
﴿وَقَالَ: لَخُبُّ أَقْوَلُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَسْعِرُوا وَمَثَلُ الْأُولَاءِ فَلَنْ تَدْخُلُوا
مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ﴾

(متى ١٨ : ٣)

ويرى لئاس أن الأهم في الحياة، هو الثراء المادى، ويسقطون من دائرة الرؤية الأمر الأهم
﴿لَكِنْ أَطْلِقُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرُّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ﴾

(متى ٦ : ٣٣)

لقد كان المسيح يعرف أن السكينة الحقيقية، السعادة الحقيقية لا يمكن أن تتحصلا
إلا بالمسير على هذه الطريق فقال

﴿تَمَانُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَقِيلِينَ الْأَخْفَالِ وَأَنَا أَرْحَمُكُمْ﴾
يُورِي عَلَيْكُمْ وَقَلِّمُوا وَفِي لَأَنِّي وَبِيعُ وَمَتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ
﴿لَأَنَّنِي يُرِي هَيِّنٌ وَجَمِيلٌ خَفِيفٌ﴾

(متى ١١ : ٢٨-٣٠)

إن أساس تعاليم المسيح حريئاً أمر مرهوض، فهي تعاليم الحق والحياة، ولا يمكن
تحزيه، هذا أو تلك، نعم أو لا

ويجب ألاّ نمدح أنفسنا بأن التردد إلى المعبد، ونأدية باقي الشكليات، لظاهرة لأخرى،
يمكن أن يعوض الأثر بما يستفاد من تعاليم المسيح ولذلك أعلن المسيح بحرم:

﴿مَنْ لَيْسَ مِنِّي فَهُوَ عَلَيَّ وَمَنْ لَا يَجْنِعُ مِنِّي فَهُوَ يَفْرُقُ﴾
لَذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ:
كُلْ خَطِيئَةٍ وَتَجْدِيدٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ وَأَنْتَ التَّجْذِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَتَنْ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ.

(متى ١٢ : ٣٠-٣١)

إن الحصة، جوهر العالم، الحكام في حقل الإعلام الكوي، في الروح، هو جوهر
واحد، حقيقة واحدة لا يمكن الانترام بجزء منها فقط. إنها غير قابلة لتقسمة وهذه الحصة
موجودة في تعاليم المسيح «أنا هو الطريق، والحق، والحياة»

الفصل الحدي عشر

الحواريون والكنيسة

بعد أن بقي الحواريون وحدهم من غير المسيح، واصلوا نشر تعاليمه. وكان المسيح قد انتقى حواريه الاثني عشر بنفسه وكلمه (حواري) عنها تعني: الرسول. البشير، وهو النقب الذي أعطاه لمسيح لتلاميذه وهؤلاء الرسال الاثني عشر هم: أندراوس، وپطرس ويعقوب وبنو حنا، وهيليبوس، وبرثولماوس، وتوم (الزلوي)، ويعقوب (الأصغر)، ويهوذا، وسيمان (القاري) ويهوذا الأسخريوطي وكان أندراوس وسيمان - بطرس شقيقين، وكذلك كان يعقوب الأكبر ويوحنا أخوين أيضاً وقد مير يسوع يوحنا بن تلاميذه وحسنه بمعنة خاصة إذ دعاه بيوحنا الحبيبه وقد كتب يوحنا هذا الإنجيل الرابع، والرؤب، ورسالتين. وبدلاً من الأسخريوطي اختير بالفرجة مثنى رسولاً بدلاً منه. وبدا بات في لمجموعة اثنان باسم مثنى.

وعلاوة على الرسال الاثني عشر، كان للمسيح سبعون تلميذاً، كانوا مبشرين وقد أعدهم المسيح بنفسه لحسن عبه الرساله الملقاة على عاتقهم فلم يمنحهم وصاياه وتعليماته فقط، إنما علمهم كذلك المداواة وأشبه كثيرة أخرى تمكنهم من مساعدة الناس في السلمان اتي يروونها مبشرين وكان هؤلاء اتلاميذ الدرويون في الطريق دائماً وكانت خطوط سيرهم تمتد غالباً في بلدان بعيدة وهناك في تلك البلدان، كانوا يزرعون بدور المحنة، والعطاء، والتسامح، ولوداعة. وكان المسيح دائم الاهتمام بالناس الروحي لتلاميذه. ولم يسهم الكنيسة المسعبة أيضاً، فكرست لهم عيداً خاصاً بهم

وقبل صلبه وقبل كان المسيح يحذر تلاميذه مراراً أنهم سيكونون قريباً من غير إاع وقال لهم، إن صعوبات كثيرة بانتظارهم بعده، لكنهم في الوقت نفسه سوف يهيمون معرى تعاليمه فهم أكثر عمقاً وأكد لهم دائماً أن الروح لإبي سيساعده على ذلك

ولا نقرأ الإنجيل نرى أن الرسال أساس سدح لا يتوفر على أى مستوى علمي، وأنهم يتوفرون على قدر كبير من مختلف صروب الصمغ البشري. لقد كانوا يتقدمون ويتراجعون، وسقطون وينهضون، لكن إيمانهم بصحة تعاليم المسيح بقي ثابتاً مما منحهم لقوة على حمل لعبه الثقيل الذي 'لغي على عاتقهم لقد تحققت كلمات المسيح'

(وَتَسَاقُونَ مَعَهُ وَلَا تَزَالُ تَزِيدُونَ مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ لَهُمْ وَلَا تَزَالُ تَزِيدُونَ)

(متى ١٠ : ١٨)

ولكن تسيرون مع الرسل على مستوى الرسالة التي عهد بها إليهم.
وبعد عودتهم من الحليل حيث ظهر يسوع لهم، أقام الرسل في أورشليم وعاشوا مع
جماعة متلاحمة.

لقد واصلوا التبشير بتعاليم المسيح

﴿وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا وَكَانَ هَدْيُهُمْ كَيْسِي مُشْتَرَكًا وَلَا تَزَالُ تَزِيدُونَ
وَالْمَقْتَنِيَاتُ كَانُوا يَبْتَغُونَهَا وَيَقْسَمُونَ بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَاجَةٌ.
﴿وَكَانُوا كَيْسِي يَوْمَ يَوَاطِنُونَ فِي الْهَيْكَلِ يَتَقَسَّمُونَ وَاحِدَةً وَإِذَا هُمْ يَكْتَسِبُونَ الْخُبْزَ فِي
الْيَوْمِ كَانُوا يَتَكَادَرُونَ الطَّعَامَ بِاجْتِهَادٍ وَيَسَامِلَةُ قَلْبٍ مُسْتَحِينِ اللَّهِ وَلَهُمْ بَعْمَةٌ
لِذِي جَمِيعِ اسْتَعْدِي. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ﴾

(أعمال رسل ٢ . ٤٤-٤٧)

وتنصف أعمال الرسل في مكان حر

﴿وَكَانَ جَمْعُهُمْ يَزِيدُ آمَنُوا قَلْبًا وَاحِدًا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
يَقُولُ إِنَّ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ هَدْيُهُمْ كَيْسِي مُشْتَرَكًا وَيَقُولُونَ
عَظِيمَةً كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِعَمَّةٍ عَظِيمَةٍ
كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجًا لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا
أَصْحَابَ حُتُولٍ أَوْ بُبُوسَةٍ كَانُوا يَبْتَغُونَهَا وَيَأْتُونَ بِالْعَنَانِ الْمُبِينَةِ
﴿وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُورِثُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ
اجْتِهَادٌ﴾

(أعمال ٤ : ٣٢-٣٥)

لقد كان سلوك الرعاة في مثل تلك المجتمعات متوافقاً مع تعاليم المسيح. وكان بطرس
الرسول يدعم هذه المبادئ فكتب يقول

﴿أَطْلُبُ إِلَى الشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبْنُونَ، أَنَا الشُّعُوبُ رَفِيقُهُمْ، وَالشَّاهِدُ لَأَلَامِ
الْمَسِيحِ، وَهَيْكَلِ السَّجْدَةِ الْعَتِيدِ أَنْ يُبْنَى، ﴿لَارْعُوا رَهْبَةً اللَّهِ الَّتِي يَبْنِيكُمْ نُظَرًا،
لَا عَنْ اضْطِرَارٍّ بَلْ بِالْاخْتِيَارِ، وَلَا بِرَيْبٍ قَبِيحٍ بَلْ بِسُخَابِ﴾ وَلَا كَنْ يَسُودُ عَلَى

الأنبياء بن صائرين أمثلة لبروتية، وتؤمنى ظهر زهم الرعاة ثالون إكليل
النجى الذى لا يتلى»

(رسالة بطرس الأولى ٥ ٤-١)

بعد أن ترك تلاميذ المسيح الجليل خبت المسيحية هناك من هورها وتحول الحليس الذي
وهب المسيح للعالم، إلى الديانة اليهودية التي كان عليها من قبل، ثم تحول في القرون التالية
بى مركز لها، بى بلاد القلمود

وفي أورشليم كان عدد أتباع تعاليم المسيح حوالي المائة وأربعين نفرًا، وكان المعبد
هو مكان مكوثهم الرئيس، وكانت الديمقراطية هي لسائدة عملياً في حياة الطائفة، فغالب
ما كان الاختار هيب بحري بالقرعة. لقد كانت تلك هي الكنيسة السائدة ولم تتقل
لسلطة في الكنيسة إلى الإكليروس وتموت الديمقراطية فيها إلا بعد زمن طويل.

وحتى في زمن الرسولين بطرس وبولس كانت للكنيسة سلطة كسرة. فقد كانت خارج
قوانين الدولة وأكد رينان في هذا السياق، إن أصوت بطرس أخدم أناس كثير ممن ستهكو
قوانين الطائفة. فيروى أنه عندما أحصى الروحان سمعوا وحشياً جرءاً من المال الذي يابا به
، ضهما، قتلا في الحال حين عرفت الطائفة بالأمر. لقد كان المسيحيون الأوائل من يهود،
وحسب اسواقع الدينية كان رجم الإنسان حتى الموت عندهم أمراً معتاداً لقد تقاسم بطرس
سلطاته مع يوحنا، لكن الكلمة الفصل كانت له دوماً في الشؤون كلها. وكان المسيح قد
ظهر لأحبه يعقوب بعد قيامته فامس يعقوب بقيامه المسيح وانضم إلى طائفة ورشليم.

ولم تتميز اجتماعات الطائفة بإقامة أي شعائر دسة، فقد كانوا بمصون وقتهم
بالصلاة وقراءة الرسائل. وفي بادئ الأمر لم يكن ثمة كهنة بالمعنى المتعارف عليه ولم يكن
لراعي الطائفة أي سلطات كانت ولم يكن مصوباً من المؤمنين الحد سوى تلقي سر
المعمودية فقط وقد عمدوا كما كان يعمد يوحنا، ولم يكن عمدتهم كانت باسم يسوع
المسيح وأضافوا إلى سر المعمودية منح نعمة الروح القدس كان الرسل يصنعون يديهم على
رأس المؤمن الجديد وتنس الصلوات لعمدة في القدس. وهكذا كان يسوع يصنع يديه أيضاً.
فقد كانت هذه الحركة تبعث الصلوة الداخلية. وكانت هذه المعمودية هي المعمودية
الروحية وهكذا أضحت إلى المعمودية التي كانت تؤدى باسم الأب والابن، المعمودية أخرى،
هي المعمودية الروح القدس ويذكرها أن المسيح قال: لقد عمدكم يوحنا ساءاً، أما أنتم
فسوف تعمّدون بالروح القدس»

ومع مرور الوقت التتحق بالرسل مؤمنون حدد عيوروو ويشطون وكان برنابا واحداً من هؤلاء، اسمه الحقيقي هو يوسف هاليصي أو اللاوي، باع أرضه وأعطى ثمنها للرسل، لقد كان برنابا داعية موهوباً يمتلك نعمة السوءة وقد أدى دوراً شديداً الأهمية في كشر من الأعمال التبشيرية وثقة من عدة المبشر الثاني بعد بولس في لقرن الميلادي الأول و شتهر كذند داعية آخر هو مناسون الذي كان قبرصياً الأصل، مثل برنابا وفعل هد بملاكه كما فعل برنابا، وتحول إلى واحد من أنشط دعاة المسيحية وكان الاثنان من اليهود، واجرط في نشاط الطائفة أيضاً مرقس ابن أخت برنابا (وربما كان مرقس هذا واحداً من الإنجيليين)، وحلت ماريما والده مرقس حدو انها وأعطت ما تملك إلى الرسل، وشاركت مشاركه بنطه في أعمال الطائفة، وقد تحول بيتها إلى بيت بطرس الأبوى وعهد فام بطرس وبرنابا برحلات تبشيرية كثيرة رافقهما فيها مرقس، كما رفق هذا الأخير بولس أيضاً

لقد انتشرت التعاليم الجديدة كالنار في الهشيم وكرز بها أناس عمليون أنصروا ذاتهم وميزوا منهم على وجه الخصوص، ستيافان، والروحين أنديوتيك وبوليا، والزوحين اكويلا وأريستسيلا وعد هؤلاء الأخيرون مثلاً الأمثال الرسولية استثنائية وكان هؤلاء كلهم من اليهود أيضاً. بعضهم من فلسطين، وآخرون من اليهود الهسستيين، ولم يكن هؤلاء الآخرون معروفون اللغة اليهودية، فقرؤوا التوراة باللغة الإغريقية، وعلاوة إلى هؤلاء كان في الطائفة أناس آخرون ليسوا من أصل إسرائيلي، وقد كان هؤلاء يقيمون في شتى أحياء أورشليم، ولعنهم كتابوا من مشأ سوري، ومصري، وقوريني، ومن آسيا الصغرى ومن تمض عدة مسونات حتى باتت اللغة الإغريقية هي اللغة المائدة في الطائفة، على الرغم من أن اسمه الأرامي التي كان المسيح يتحدث بها، كانت هي اللغة الأمس في الأطوار الأولى، ولا ريب في أن ذلك التحول من الأرامي إلى الإغريقية كان حطة متقدمة في تاريخ انتشار المسيحية ففي تلك الحقب كانت اللغة الإغريقية هي اللغة التي يتحدث بها سكان اهلهم شرقي المتوسط وكانت هي لغة اليهود المنتشرين في شتى أرجاء الإمبراطورية الرومانية كلها، وسرعان ما أخذ «الهسستيون» يسيطرون على الطائفة، لقد كن أكثر المسيحيين الأوائل فقراء فاعتمد في الطائفة صدام على حلمية تقسامها إلى يهود وغير يهود، كم كان للصدام صند بإدارة شؤون الطائفة أيضاً، وكان الرسل هم الذين يصرفون بموارد الصنمه فأنهموهم بعين الأرامل من غير اليهود فقتل لرسل صلاباهم إلى سبعة أعضاء انتخبهم الطائفة وكان أكثر هؤلاء من الهسستيين فوضع الرسل أيديهم على رؤوسهم حسب طقس التكريس، وعوهم بالإغريقية «دياكويس»، أي الشماسية وبدأ تكون قد نشأت أقدم المؤسسات الكنسية، ثم ما

لبث الدياكونوس أن ظهرُوا في الطوائف الأخرى أيضاً وبكُنْ تلك الخطوة التي كانت بمثابة إجراء تنظيمي صرف. أفضت إلى بدلات جوهرية في حياة المشدَّة إضافة إلى الالتزامات الدينية وضعت القيادة الجديدة تنصُّها مهمَّة أخرى، هي الاهتمام بالمعقَّرات، ويؤكدون على أن دياكونوس ذلك الزمن كانوا دعاة مسيحيين، وهكذا تحوَّلت لرئاسة في لطائفه من الرسل، إلى الدياكونوس، وكان لذلك نتائج الإيجابية التي لم يتأخَّر ظهورها. فقد كان أولئك الأشخاص أناساً إنجيليين، واقتصدتدين، وتواصلوا مع الفقراء والمرضى، ولم يحب شيء عن دائرة نظرهم ولكنَّ الرسل حافظوا على مكانتهم ووقَّروهم في أورشليم. بيد أنَّ العمل الرئيس كان يؤدِّيه لدياكونوس، والمعرفة انحاسمة في سبيل المسيحية خاضها الدياكونوس. وما لبثت نساء أن انضممن إلى الدياكونوس، وحملن هذا تسمية أخوات. لقد كان أسديكونوس أناساً مكلَّوتين بالرحمة وقد أظهرُوا رحمتهم تلك دون أي شعائر أو طقوس. فكانوا يتصرفون بدعي الروح وحسب وتنازلوا في التحفيف من آلام الناس ومعاناتهم. كم كانت المسيحية الأولى حبيبة قتل السبوات الثلاث كانت سنوات مقدَّسه ساد فيه الصق، وأسفد، والفصيلة، ولذلك كانت السنوات الأكثر عطاء في تاريخ المسيحية، وكان للنساء دور هام في أهمية في ذلك العصر كله. فقد ساءت معاليم المسيح من المرأة والرجل مساواة تامة وباتت المرأة حرَّة، ولم تعد ملكاً من باقي أملاك الزوج. وحسب المسيح أن «الاله محبة» وكانت الحرية لأخلاقية للمرأة قد بدأت منذ اليوم الذي منحتها الكنيسة منه معلماً ورتداً، هو يسوع المسيح فيفضل حياة الرهبنة نجحت المرأة في أن تقطع هيود الزوج - الطاغية. كان الوحي الروحي بالنسبة إليها أكثر أهمية من الأب والروح وهذا من شديد الأهمية بالنسبة لتاريخ المسيحية كله.

إنَّ ما قلناه هنا ينسحب على الكنيسة ابدئية فقد كان لعمالون المشترك والإيمان لواحد يوحَّد بين أعضائها وبكُنْ مثل هذا المنح لم يبق حلال الأنبي عام التالية إلا في الأذرة ولم تمض ثلاث سنوات حتى بلغ عدد أفراد صائفة أورشليم عدة آلاف من المؤمنين. وكان هؤلاء ينمون إلى قبرص، ونطاكي، وقورين، ودي إنيهم شرقي المتوسط، وكان ثمة مستعمرات يهودية في تلك البلدان كلها.

ولكنَّ الأمور في طائفة أورشليم لم تكن على ما يرام فالدين صلبو المسيح، وصعدوا إبطافه تحت المرقعة، فاعتقل بطرس ويوحنا وأقرباء الأخوة الرسولية الآخرين. بيد أنَّ النتيجة كانت عكسية، إذ لم يزد السحر إلا إلى زيادة صلاة الرسل قوَّة وعندما كانوا يخدمونهم كانوا يعمِّرون عن مخرجهم لأنَّه نسئ لهم أن يخدموا المسيح. وقد جاء في «أعمال الرسل» نص دفاع عن المسيحية أعله لعالم اليهودي الشهير في تلك الأزمنة عميليثيل، «إذا كان هذا العمل

عملاً بشرياً فسوف ينهار ، أما إذا كان عملاً إلهياً فليس يكون دمقدوركم تدميره ، لأنكم ستجدون أنفسكم حصوم الإله. ولكن اقترح غمليثيل لم يؤخذ به

بيد أن آلام المسيحيين الحقيقية لم تبدأ إلا مع الدياكونوس سيمين. فقد كان هذا داعية موهوباً أرسلوا إليه أشخاصاً كان يجب أن يشهدوا ضدّه ورثاً عسى الإلهم. أنهم ستيمن أعضاء السينديريون بقتل المسيح «أيها الحلالون، يا ذوي الطوبى الدنسة والأرواح النجسة! أنتم ناهضتم أرواحاً لقدس دائماً، مثل أنفسكم أنتم هئى لالسياء لم يصطهدهم اداؤكم؟ لقد قتلوا الذين مشروا بمحى الصديق الذي حتموه أنتم وقتلتموه، ثم نظروا إلى السماء وبحماس مفرط: «بئى آرى السموات انصهت وابن لبشر يقف عن يمين الأب» فقادوه إلى خارج مدينه وقتلوه رحماً بالحجارة. وكان لشباب السلفي القيون شاول دور نشط في هذا كله. وشاول هو نفسه بوس لرسول فيما بعد

وما تجدر الإشارة إليه هو أن المسيحيين كانوا مصطهدين من قبل ابروما كما من اليهود. ومع أن أحكام لإعدام بسبب الجرائم الدينية كلى يجب أن تصبى من قبل ابرومان، إلا أن اليهود غالباً ما كانوا يستغلون الظروف ويسمون خصومهم حانهم، مع أن هؤلاء كانوا متفوقين عليهم أخلاقياً. لكنهم كانوا يمتثلون خطأً حديثاً على واردة رؤسائهم الدينيين.

لقد وقع إعدام ستيمن بين العامين ٣٦ و٣٨م وفيه يكون قد بدأ عصر شهداء المسيحية فاضطرت طائفة أورشليم إلى أن تشتت وتمككت الكومونه النموذجية. ولكن الرسل بقوا في أورشليم أما أعضاء طائفة أورشليم، فقد انتشروا في اليهودية والسامرة وبتشروا بتعاليم المسيح في كل مكان وبعد أن فقد الدياكونوس التزاماتهم الوطنية تحولوا إلى إنجيليين نازعين. لقد كانوا شباباً نشيطين. فالدياكونوس فيليبوس كرر في السامرة، وحقق هناك نجاحاً باهراً فألف سامريون طائفة وقد عمد فيليبوس أعضاءها، بيد أنه لم يكن مؤملاً لأنهم نعمة الروح القدس. ولهذا اعترض جاء بطرس ويوحنا إلى السامرة، فمع نعمة الروح القدس كان مقتصر على الرس فقط

وبعد أن استقرت شؤون لطائفة الكسبية هناك، عاد بطرس ويوحنا إلى أورشليم أما فيليبوس فقد توجه جنوباً إلى أرض الفلسطينيين. وبعد أن نجح في تأسيس طوائف مسيحية هناك، توجه إلى أشدود، ومنها إلى غزة ثم انحه هيليبوس شمالاً، وعبر الساحل كله حتى فيصريّة، مؤسساً طوائف كنسية في كل مكان. وهنا في فيصريّة أنشأ فيليبوس طائفة كنسية كبيرة وكانت هذه المدرسة تطمح إلى أن تغزو المدينة الرئيسة في اليهودية، إلا أنه تحولت على يدي فيليبوس إلى مرسى للمسيحية.

كم كمن يتشوم بمثل هذه الأعمال دسكوتوس آخرون، وسواهم من الذين عتقوا تعاليم المسيح. وثمة مكانة خاصة بين هؤلاء يشغلها بولس، الذي شارك في إعدام سيميان، ومن لا شك فيه أن بولس شغل المكانة الثانية من حيث لأهمية في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه ومرى اسروتستنت أن المسيحية لم تتحول إلى ديانة عالمية إلا بفضل بولس. ولو أخذ أي من كتاب العهد الجديد بين يديه لرأى فيه كثرة من رسائل بولس ومن حسن الحظ أن بولس ترك لنا أفكاره مكتوبة الأمر الذي يعطينا إمكانية الحكم عليها مباشرة أما ما قاله المسيح وإتنا لا نسمعه إلا عبر ما كتبه عنه تلاميذه. وما يؤسف له أن يسوع لم يدوّن فكره.

ولد بولس (أو شاول) في كيليكية، في مدينة طرسوس في حوالي العام ١٠ و ١٢م وهو من أصل يهودي خالص. وقد كان والده مواطناً رومانياً، وكانت عائلته بولس تنتمي إلى حزب الفريسيين، وحصل بولس على درجه عاليه من التعليم والثقافة فقد كان يقرأ الإغريقية ويكتب بها ويتحدثها دون صعوبة أما مهنته فهي صناعة السجاد والمسوحات، ولحياهم.

وفي أورشليم انتسب بولس إلى مدرسة أشهر شخصيات تلك الحقبة ثقافة عملت. وما لبث أن غدا قائد حرب الفريسيين الشباب ايعوزين اشديسي الحماس الذي أوعلوا في تمسكهم بماضيهم العرقي حتى أقصى حدود التطرف. وبولس لم ير المسح بعينه وكان لبولس إنش رسمي بالشك في بالمسيحيين. فكان يقف بهم إلى عياهب المسجون، ويأمر بحلبهم. ولتألمة عمله هذا توجه بولس إلى دمشق بصلاحيات خاصة. وهماصكم مقطعاً من نص أعمال الرس

«أَنَا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَرُبَا يَنْتُكَ تَهْدُوا وَقَدْ عَلَى تَلَامِيذُ الرَّبِّ فَتَقَنَّمُ إِلَى رُلَيْسُ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلُ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنْثَاً بَنَ الطَّرِيقِ رَجُلًا أَوْ نِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوْتَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ لَهُ الْقُرْبُ إِلَى دِمَشْقَ فَمَغْنَةُ أَتَرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَبِيلًا لَهُ: شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْهِدُنِي؟ فَسَأَلَهُ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ الرَّبُّ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي تَضْطَهِدُهُ. صَغَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْتَفُسَ مَذْجُحٌ فَسَأَلَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَتَحَيَّرٌ يَا رَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ قُمْ وَأَنْخَلِ السَّيِّئَةَ فَيَقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ وَأَمَّا الرُّجُلُ الْمُسَافِرُ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَابِئِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا فَفَلْهُصَ شَاوُلُ عَنِ الْأَرْضِ وَكَانَ وَهُوَ مَطْرُوحُ الْعَيْنَيْنِ لَا يَبْصُرُ أَحَدًا فَتَقَادَرُهُ بَيْنَهُ وَأَذْخَرَهُ إِلَى دِمَشْقَ وَكَانَ ثَلَاثَ أَيَّامٍ لَا يَبْصُرُ مِنْ يَأْكُلُ وَلَمْ يَشْرَبْ»

(أعمال ٩ - ٩-١)

ومن تلك اللحظة بدأت حياة شاول - بولس الجديدة. لشخصية الأكثر عطاء في تاريخ المسيحية، ولا يقلُّ بولس أهمية عن موسى وإبراهيم. وهو دون رب واحد من العشرة الأوائل في تاريخ البشرية.

فما هي المهمة التي بهض بها بولس؟ وإلى أي درجة كانت صعوبتها؟ لقد كانت اليهودية متجذرة وراسخة إلى نرجه يستحيل معها عملياً تطوير أي رؤية جديدة في إطارها. فهي تستند إلى أسس راسخ لا يتزعزع - العهد القديم، الذي كانت معارضة أحكامه أو حتى مجرد الشك في أي من تفاصيله الهامشية يحكك المبدأ بأكمله. وغالباً ما كان هذا يحدث، إذ دفع كثيرون جد حياتهم ثمناً لأقل من الشك. وكان لوسية القتل رجماً بالحجارة فعالة شديدة التأثير. لقد كانت تلقي رعباً عميقاً (بالمعنى المباشرة للكلمة) في قلوب بعضهم، وتحمل بعضهم الآخر معوراً. ولنتذكر أنه بعد قتل ستيفان رجماً تفكك طائفة مسيحيين في أورشليم مباشرة ولم تهض إلا بعد وقت ولكنها لم تعد الآن كما كانت من قبل. فكل فرد من أفرادها بات يولي انتباه كبيراً لحرمات اليهودية وعني عن البهاش أنه لم يكن من الصعب عليهم أن يضعوا أفضة اليهودية ويخفوا خلفها؛ فأفراد الطائفة كلهم كانوا يديون باليهودية أولاً بأول العهد القديم، وشرائع موسى والأنبياء. ولم يكن بمقدور أحد منهم أن يرفع يده في وجه هذه التعاليم الأحرى فلنتذكر أن المسيح نفسه، وهو مؤلف كتاب العهد الجديد، والمصلح الحازم قد أكد مراراً في لعاند وعلى الملأ: «لم أب لأخالف الناموس والأنبياء، إنما حئت لأتممهما» (إن لصد أرسيت التعاليم الجديدة بثبات التعاليم القديمة. ولد لك كانت صائفة أورشليم المسيحية دائمة للهوية طائفة لا ضرر منها إليهم يساعدون الفقراء أحسن، فليفعولوا، إن هذا لا يتعارض مع شريعة موسى. ولكن إذا ما تطاول أحدهم كما هم ستيغان فلا رحمة في التعامل معه وكان المسيح يحسه يدرك هذا جيداً، فعلى أبرعم من أنه لم يتطاول على العهد القديم، وإنما كل ما أراد. هو إتمام شريعة موسى إلا أن الدروب جعلها غلمت في وجهه، وعندما وصلت لأمر إلى هذا الحد، حين المسيح خلص إلى نبيحة واحدة الطريق الوحيد لإنفاذ تعاليمه هي الطريق التي تمر عبر الحلحة لقد كان ينبغي فعل شيء غير عادي لكي تحظى التعاليم بصدى يمكنها من اختراق درع اليهودية بيقيناً إن المسيح مشى إلى الصليب عن سابق إدراك ومعرفة، إذ وحى بمنتهى الدقة أنها إرادة الإله إرادة لضرورة، لأنه لم يكن ثمة وسيلة أخرى لإنقاذ التعاليم.

إذن بعد المسيح تأسست طائفة أورشليم التي كانت بمثابة الكنيسة البدائية التي وقف لرسول نص رأسها ولكن هل معنى هذا أن تعاليم المسيح اخترقت درع اليهودية وانطلقت إلى لرحاب المرأة؟ بالتأكيد لا. فما أهمية طائفة تعداد أفرادها مائة وخمسين نفرًا بالنسبة لمدينة أورشليم، واليهودية، ولعالم كله بدقة حسابية، لا شيء. فلم يكن بمقدور لرسول أو أتباع

التعاليم الآخرين التشهير به، علامة على اسلا، في ساحات المدن، ومعايها ههد، ثم يفعله أحد سوى المسيح. أما الآخرون فقد اقتصرت دعواتهم على أفراد في أحسن الأحوال، وبحذر شديد وفي بعض الأحيان كان مصاوروهم من الشخصيات المؤثرة، الذكية و ثرية وهذا ما انسى مثل هؤلاء إلى الطائفة، عد ذلك مكسباً معيولاً، وروحياً، ومادياً أيضاً. ومهما كانت الحال فإن ذلك لم يكن أكثر من دعم بسيط ساعد الطائفة على ألا تتأثر بها، كما حصل واندثر كثير من التعاليم التقسيمية التي ظهرت قس المسيح، لأنها عجزت عن احتراق درع اليهودية الذي خففها في مهدها لقد كان أتباع المسيح الأورشليميون يعدون يهوداً صابحين يؤدون الالتزامات نفسها التي كان يؤدونها اليهود الآخرون عملياً ولم يكن شئ جديد عندهم سوى عتر فهم بأن ليسب الذي تنبأ بمحيته أنبياء العهد القديم قد ظهر في شخص يسوع المسيح الذي صلبه اليهود. أما فيما تبقى فهم يهود لا يحدون عن شريعة موسى قيد شفرة. على الرغم من أن المسيح أعلن غير مرة أن موصوعاته شاحت وتجاوزها الزمن وقال المسيح أيضاً إنه أرسل إلى الشعب المختار الذي لم يقبله، ولذلك هي تعاليمه هي تعاليم للعالم، بمن في ذلك الوثنيين ولكن أهد طائفة أورشليم، بمن فهم الرسل التزموا حتى بالقرائن الشكلية لشريعة موسى، خاصة شعيرة الختان ومع أن غير ليهود حدثوا يظهرين في طوائفهم المسيحية، إلا أنهم أصرروا بعدد أعمى على أنه لا يجوز أن نعد سوى المختوس.

تلحم كانت صورة الوصع عندما ظهر بولس على المسرح ولم يكن عليه أن يبشر بتعاليم المسيح فقط، وبين الوثنيين على وجه الخصوص، وإنما كان عليه أيضاً أن يتحرر من قيود حواربي أورشليم الذين تمسكوا باليهودية بقوة ولكن بولس كان متفوقاً كثيراً على كل أتباع تعاليم المسيح وأحارهم وقتئذ، من حيث المستوى الذهني، والتحصيل العملي، وقوة الروح، ولنشأته، والحرم، وقوة الايمان هممته تلقاها من المسيح مباشرة، وكرس حياته كلها لتأديتها دون أن يترجح أو يرتد عن التعاليم حتى في أصعب لحظات حياته لقد أدرك بولس أنه لن يستطيع أن يحترق خطوط الدفاع الدورية إلا إذا استقر هرعاً أورشليم عاجزون تماماً عن مساعدته ولذلك عتمد على نفسه وعمر انرب فمصرف ثلاث سنوات يكرر في مختلف البلدان الوثنية، ويجمع حلالها في أن يمشي طوله ثوب مسيحية ويرودها بتعاليماته وإرشادته ولم يكتب بولس أن يشرح في رسائله تعاليم المسيح، بل طورها وعندما نقرأ تلك لرسائل فإننا نتذكر نداعي الأفكار فلاسفة مثل هيكل وكنت، وفيرباخ وسواهم من لفاسمة الكبار ولكن بولس كان الفيلسوف الأعمر والأشمل، ويحقق هذه التعاليم في لحياة تحت التيار المتواصلة التي كان يرميه بها خصم قوي عسار مسعود وفي الوقت نفسه كان هذا الرجل يمارس عمله بحريته صناعة الحياض لكي يعيل نفسه. ونحن لا نعرف المראה

الروحانية التي كان يحسن بها عملاق الروح هذا ، ولكنه عبر عنها مراراً ، وبصيغة أنه قال مره "بقدر ما يكون الجسد ضعيفاً تكون الروح قوية" ، ومثاله هو نفسه يؤكد صحة هذا القول

وما ينبغي قوله ، إن برنابا قدّم عوناً كبيراً لبولس ، لا سيما في المسائل الانطيمية ، عندما كان ينبغي تزييد حدة أحبار طائفة أورشليم الذين ألحوا على ضرورة أن يحتن كل من يتلمس سر المعمودية دون تأخير

تقد كرر بولس سمائم المسيح في دمشق وسواها من الدول لأحرى طوال ثلاث سنوات. بعد ذلك رغب في أن يقابل بطرس وكان بطرس يعيّن صعوبات كثيرة مع طائفة أورشليم لأنه عمد في رحسته قائد المائة كورنييلوس الذي تم يكر محتوناً ولكن بطرس كان يرى (وإن لم يكن ذنباً على موقعه دائماً) ، ومعه فيليپوس ، إنه ينبغي تعميد الوثنيين غير المختونين

وعن ريارته هذه إلى أورشليم كتب بولس في رسالته إلى أهل غلاطيا يقول
﴿وَأَعْرِضْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِخَسْبِ إِنْسَانٍ ،
لَأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ جُنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عَلَّمْتُهُ ، بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، ﴿فَإِنَّا كُنَّا
سَمِعْتُمْ بِسِرِّي قَبْلًا فِي الدِّيَارَةِ الْيَهُودِيَّةِ ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهْدُ كَنِيسَةَ اللَّهِ بِإِزْوَاطٍ
وَأُقْلِقُهَا ﴾ وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَارَةِ النَّهْرِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ تَرَابِي فِي
جَنَسِي ، إِذْ كُنْتُ أَزْفَرُ غَيْرَةً فِي تَهْلِيذَاتِ آبَائِي . ﴿وَلَكِنْ لَفَ سِرُّ اللَّهِ الَّذِي
أَقْرَبَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي ، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ ﴿أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ عِيَّ بِأَبَشَرٍ بِهِ يَبْنَى لَأَنْهُمْ ،
لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ نَحْمًا وَنَمًا ﴾ وَلَا صَدَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبِلْنِي ،
بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى أَعْرَبِيَّةٍ ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ . ﴿ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَيْنَ
صَدَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لَأَتَعَرَّفَ بِبَطْرُسَ ، فَصَلَّيْتُ عِنْدَهُ خُمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، ﴿وَلَكِنِّي
لَمْ أَرِ غَيْرَةَ مِنَ الرُّسُلِ لِأَنَّ يَنْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ . ﴿وَالَّذِي أَكْتُبُ بِهِ إِلَيْكُمْ هُوَذَا قَدْ
أَلَّهِ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ فِيهِ ﴾ وَبَعْدَ ذَلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةٍ وَكَلِيلِيكِيَّةٍ
﴿وَلَكِنِّي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِأَوُجْهِهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ
﴿غَيْرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهْدُنَا قَبْلًا ، يُبَشِّرُ الْآنَ بِالْإِيمَانِ
الَّذِي كَانَ قَبْلًا يُكَلِّمُهُ ﴾ فَكَلِّمُوا يُعْجَبُونَ اللَّهُ فِي ﴾

(علاصيا ١١ : ٢٤)

كما كتب في الرسالة عنها بقول

«هَنُ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَى أَنِّي أُؤْتِمِتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغَزَّةِ كَمَا يُطْرُسُ عَلَى
إِنْجِيلِ الْخِثَانِ. فَجَانُ الَّذِي عَمِرَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِثَانِ قَوْلُ فِيْ أَنفُسِ
لِلْأُمَمِ «فَإِذَا عَمِرَ بِالنَّعْمَةِ الْمُطَاعَةِ لِي يَنْغُوبُ وَصَدُ وَيُوحَنَّا، الْمُتَبَرُّونَ أَنَّهُمْ
أَعْمَدَةُ، أَعْطُونِي وَتَرْتَابَا يَبِينُ لَشُرَكَةٍ لَتَكُونُ نَحْنُ لِلْأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِثَانِ»

(قلاطيا ٢ ٧-٩)

وتمتخص نشاط بولس عن إنشاء كنيسة مسيحية في أنطاكيا وكتاب أنطاكيا هذه مدينة
عدد سكانها نصف مليون نسمة، وهي عاصمة الشرق في تلك الأرمية وتقع أنطاكيا في شمالي
سوريا لقد كانت المدينة معطاة بشبكة من الشوارع لطويلة مستقيمة ولتقاطع التي تربط
الأعمدة واسماثيل. كما كانت المدينة تحتوى على مبان عامة جميلة، ككثيرة من روائع الفن الإغريقي
لقد مكث يقوم هه عبيد أبولون والحدريات. وشكلت المدينة نقطة حدود بين اليونان وآسيا.

ولم يكن سكان أنطاكيا من الإغريق فقط، بل كان فيها أيضاً سوريين، وكثيرة
كثيرة من الأناضول الذين كان كلهم يتحدثون اللغة السورية وقد عاش هؤلاء معهم في
الصواحي والقرى المحيطة. ولم تكن الريفات المختلفة بين مختلف الأعراق محرمة هنا، بل
لم يكن للمسألة العرقية وجود أساساً فحسب القادمون كان كل غريب يستقر للعيش في
المدينة يصبح مواطناً فيها له الحقوق كلها. ولذلك عاش جميعهم بسلام هنا ويبغى على
القوميين المعاصرين «نقزمين أن يتذكرو تجربته أنطاكيا هذه التي بات عمرها الآن ألفي
عام، لكي يدركوا مدى العار الذي يلحق بهم إذ يصممون أنفسهم بالمتحضرين، وهم يسمون
بحماسة وحمة على الحماض على نقائهم لغيري لقد كانت أنطاكيا مركزاً من مركز
للعالم القديم، كانت تقطنها كثرة كثيرة من مختلف الأعراق، بما فيها مسيحيين يهودية
كان لسكانها حسب القابول الحقوق الأخرى كلها التي كان يحصى بها السكان الآخرون
بعد أن تفتتت طائفة أورشليم عدة إعدام ستيان، نفل كثير من أهلها نساخه إلى
اليهودية، والسامرة، ولحلبل ودمشق، وفلسطين. أما الطائفة المسيحية الأنطاكية فقد أسسها
عدد من المؤمنين الذين جاؤوا من قورينا، وقبرص، ولكن هؤلاء توجهوا إلى اليهود وكان اليهود
في الأرمية كلها والمدن كلها يسمون بمسيحيين عن المسكن الآخرين، فهي طقوسهم، ومظهرهم
لحارجي يسمون اليهود في الزمن، كحجر التيريمب الذي يبقى ملايين الناس على حاله ولكن
هنا في أنطاكيا حيث تخالط الكل وتداخل كل شيء مع الأشياء الأخرى تأتي لليهود أن
يتروكو أرسنتر صيتهم الدينية التي تباهوا بها في أورشليم ولكن ما لبث لميشرون الذي جاؤوا من

قبرص وقورينا أن يدلّوا تكتيكهم وأحلوا يعطون من يشاء من يهود ووثنيين والحقيقة أن العلاقات بين اليهود ويافى سكان المدينة كانت متوترة وقتلوا ولكن بعد الهبة الأرضية التي وقعت في ٢٢ آذار من العام ٢٧م. وسست بأذى كبير للمدينة، تراجع حدة المراع، وحشد كلهم فوه على الأسباب الخارقة للهزأ وفي ذلك لحو كان لموعظ المبشرين تأثير جبر، حصوا فيها نجاحات باهرة، فخلال وقت وحيز تأسس هنا طائفة مسيحية متعددة الأعراق وبعاً لبيتها والحالة العامة التي كانت سائدة في المدينة كانت تلك الطائفة (المسيحية) شديدة حيوية، متجدة، دائمة التطور لقد بكانت هذه الكنيسة تقع خارج حدود الدائرة اليهودية المحصنة التي أحاطت بطائفة أورشليم. ولذلك ظهر لها في أنصاكيا مهد لثاني، ومن حيث الأهمية، المهد الأول للمسيحية، وبهذه الكنيسة بالذات نربط صيرورة مونس، أنصاكيا بصفتها مهداً للمسيحية لا تقارن بها الإسكندرية، والقسطنطينية، وروما حتى تسمية «مسيحيين» ظهرت لها في أنصاكيا وبم يكن ثمة في أي طائفة مسيحية أخرى، بما في ذلك طائفة أورشليم، وحدة كاملة، وتماسك كاللذين كانا في طائفة أنصاكيا فوحده هذه الكنيسة كانت تامه وتماسك. وهكذا بعد عشر سنوات من صلب المسيح، نهجت المسيحية أن تحرق الحصار اليهودي، وبمناً في الوسط الذي كان المسيح يحلم به. وكان ذلك الوسط عبارة عن اندماج ديني جميع بين أعراق شتى، وهو ما كان المسيح يرضى به، خلافاً لأتباع العهد القديم.

ولكن أحبار كنيسة أورشليم وصلوا عدم رضاهم عن ذلك التخالط، واستمروا يعيشون وفق مثل اليهودية، وما انصكوا يناهضون مسألة الحتان. وباستثناء بطرس وبرنابا، بقي هؤلاء مشغولين بأفكار جريئة سطحية، ومسائل نافذة لا أهمية لها، فأرسلو برنابا إلى أنطاكيا بصفة ممتن. وقد أعطى الرجع خلاصة إحصائية عن نشاط الكنيسة المحلية هنا. وبقي هو بسبه يقيم في أنطاكيا، حيث عمل هن مع بولس عملاً كاملاً أنجرا فيه كثيراً ونسبة لتلك الجهود كلها باتت كنيسة أنطاكيا فوق همه لا ثمال. لقد كانت أنطاكيا واحداً من المراكز العالمية التي لا تتوقف فيها حركة اشعوب وفي مثل تلك المراكز كانت تحسم أهم المسائل الدينية والاجتماعية في أرملة الاستعمار لروماني

إذ لم تمض سوى عشر سنوات على صلب المسيح حتى انفصلت كنيسة أنطاكيا انفصالاً تاماً عن اليهودية، وتم التغلب على حالة التردد التي كانت تتحكم بسلوك تلاميذ المسيح الأوائل، بفضل بولس وبرنابا، لقد تراجع كنيسة أورشليم إلى العنق الثاني، وقيت تتحيط في شباك اليهودية

ولم يقتصر نشاط رعاة كنيسة أنطاكيا على طائفتهم وحدها فقد ظهرت حملة البعثات التبشيرية إلى سببا الصغرى كلها للعمل في صفوف الوثنيين. وكانت تلك الحملة

تتطلب نفقات، ولم تكن الكنيسة متمتزة إليها، فهي لم تنظم عملها كما فعلت طائفة
أورشليم ففي هذه الأخيرة سادت لشيوعية، وكانت اوردرات كلها تنفق على الفقراء،
والمحتاجين. أما في أنطاكية فقد كانت الطائفة تتوفر على واردات مهمة لأن أفرادها كانوا
أثرياء، لقد كانت طائفة مسيحيين (وأسصريين كما كانوا يدعونهم) في أورشليم تشبه
مجموعة من دعاة الحبر الحلس، ولكن أنطاكية تحكمت الآن، ومع ذلك بقيت العلاقات
بين الكيسيين طيبة، عندما انتشرت محاعة في أورشليم في العام ٤٤م، وباتت هائمتها
المسيحية في خطر، هبّ أحوثهم في أنطاكية وأرسلوا لهم مساعدات مادية لكن كنيسة
أنطاكية باتت مستقلة تماماً عن كنيسة أورشليم، فلم بعدئذ ضرورة لدعوة الرسل من
أورشليم لكي يصعدوا أيديهم على الرؤوس ويمنحو نعمه الروح القدس؛ إذ باتت هذه كله يؤدي
الآن في أنطاكية تحت إشراف كنيستها ولم يمض وقت طويل حتى سقطت كنيسة
أورشليم، وقد علّق المتخصصون على ذلك بما يلي «لقد كانت خصوصية المؤسسات التي
قامت على مبدأ الشيوعية تتمثل في أن طورها الأول يتميز عادة بريق جميل، لأن الشيوعية
تفرض دائماً حضور حماسة شديدة، لكن هذا كله لا يلبث أن يتبدد، لأن الشيوعية نفسها
مناقضة للطبيعة البشرية فالعسكر المطلق للذات يولد شرّاً أكبر بكثير من ذلك البشر الذي
يسعون لتقاديته عن طريق تدمير مؤسسة الملكية الخاصة». ومن الواضح دون لبس أن هذه
البيانات تستحق الاهتمام كله، بصرف النظر عن الظروف التي قيلت فيها.

قبيل سقوط الكنيسة المسيحية في أورشليم أمر لحاكم هيرودوس أنتيبا بمطع رأس
الرسول يعقوب بن ريدى (يوحنا، دون أي محاكمة دينية، كما أُلقي ببطرس في السجن.
والحقيقة أنه نجا من هناك بمعجزة ليلاً فتح باب رزاقته وأبواب السجن ثم تطوّرت الأحداث بعد
ذلك على الوجه الآتي سرعان ما مات هيرودوس أنتيبا وعادت أورشليم إلى الإدارة الرومانية
هناك الحال أفضل. فالرومان حدوا من اتصالات السلبية اليهودية إلى حد ما، ونجموا صراوة
السيدريون، لكن ما بيعت على الأسي أن الرومان لم يكونوا حازمين في هذا الاتجاه بما يكفي
أما يوحنا مرقس، ابن حالة برنابا، فقد كان معيماً شبيهاً للرسول بولس. ويفرصور
أنه هو الذي كتب لإنجيل الثالث وفي أثناء ذلك كانت العلاقات بين كنيسة أنطاكية
وكنيسة أورشليم قد زادت توتراً وتعقيداً، وكان مرقس هو صلة الوصل بين الكيسيين.
لكن برنابا ج، به إلى أنطاكية وصار هما إلى معاون له وبولس. فأرسل في بعثة لتبشير
بالتعاليم المسيحية وقد شملت تلك البعثة أنثى شامسة من الإمبراطورية الرومانية وما يسر
لمركس مهمته وحدة اللغة، وطرق المواصلات، وسلامة النقل. هو وحدة الإمبراطورية كانت

العاص الحاسم في انتشار المسيحية، إذ كانت هذه تستولي بسرعة هياسبية على كل مقاطعة من مقاطعاتها لكن ذلك العمل استغرق عشرات أعين. وما أن انقضى القرن الميلادي الثالث حتى تبيّن أنّه ثمة في الدولة لرومانية ديانة قادرة على بثّ دم جديد، روح جديدة في جسد الدولة ولذلك باث الكنيسة المسيحية الديانة لرسمية في الإمبراطورية ومكان سلّم توالي انتشار المسيحية على لشكل الآتي بعد ليهودية سوريا، ثمّ قبرص، هاسيا الصغرى، ومقدونيا، ولبوس، وإطاليا ومكذا خضع ساجل المتوسط كله تقرباً للمسيحية

لكنّ المسيحية لم تنتشر وحدها، فقد استشرت ليهودية أيضاً وقامت في لمرب مستعمرات يهودية كبيرة (في قورب، وقبرص، وآسيا الصغرى، ومدن مقدونيا، واليونان، وإطاليا) وكان تأثير الطوائف ليهودية قوياً في كل مكان. وهال المؤرّحون إن «اليهود المهزومون شرّعوا بمنتصرين عليهم شرّ نعم».

لقد كان الوضع السياسي الدولي في أواسط القرن الميلادي الأول شديد لتعقيد وكان ذلك الطور من أسوأ أطوار التاريخ لقد يم هالمجتمع ااروماتي واليوناني في النزاع الأخير واهتزب ثوابت دياناب شعوب الإمبراطورية وغرقت روما في العساد والصفيان. وفي عن البيا أنما لن نستطيع أن ندرس في هذا المقام تفصيلات الوضع السياسي في الإمبراطورية الرومانية آنسب. نكتب نقوه إلى أن لمللمات كانت تحرّم إنشاء أي كُبادات أو مطامب وكانت عقيدتها في ذلك، هي الدولة والمرد، أو بمسمى أدق، الدولة والموطن ولكي لا يتخص دور الدولة، حرّم هيام أي اتحادات؛ ما عد صاديق الدفن من كان يساهم شهرياً بمبلغ زهيد في الصندوق الاجتماعي، كان يصمّن إلى أنّه سوف يوضع على قبره إنشاء الرما، ولوحة مرمّنة صغيرة في المرء وسوف يكتب اسمه على اللوحة

وهكذا كان يبغي لأ يكون هناك أي طوائف مسيحية رسمية علنية ولكن هذه كن موجودة في واقع الأمر تحب يافطة صناديق الدفن هذه، ولذلك تحوّلت قبور أول الشهداء المسيحيين إلى أقدم المقدسات المسيحية.

لقد ظهرت الكنائس المسيحية بسرعة هياسبية في كل مكان. فالوضع السياسي والاجتماعي في البلاد هو الذي مهّد لها الطريق، عس الرغم من مقاومة اليهودية ونوحوت تعاليم المسيح (وفي ذلك ابوقت كانت الكنيسة لا سرال باقية عليها) إلى الناس كلهم، بصرف النظر عن الانتماء العرقي أو الاجتماعي. وإذا ما تؤخّنا لدقّه، فيها توجهت اساساً إلى امحرومين، ولعمدين، واسدين لا يمكنون. هس لم يكن له منزل أو أهل وجد في

الكنيسة ملحقاً وأهلاً، بالمعنى المباشر والمجري. فقد كان المسيحيون الأوائل يتذكرون حيناً لبّ تعاليم المسيح: محبة القريب والعفة به، والعكس في الوقت نفسه، اندغم المسيح ولدين الجديد بالنسبة لأكثر مسيحيي ذلك الزمن، سائلهم واليهودية، لقد كان «أسماء الإله» يظهرهم كالظفر في كل مكان، وتمهّدوا بأن يصنعوا المعجزات لكي يشتموا أنهم «أسماء الإله» فعلاً. وبحسب لن متحدث عنهم بالتفصيل، لكنا نشير إلى أن الأسماء من أساس الدين أعوهم فقدوا حياتهم. لقد كانت السلطات الرومانية تقع من غير رحمة مثل تلك العروض و الواكب واللقاءات المفرطة الحماسة إلى سرور الإنعاش نحو المعجزات، وميله الدائم إلى أن ينقذه أحد ما حر، هو نزوع قطري لا يندثر، وهو أقرب إلى طبيعته الإنسان من العمل الدؤوب لإنقاذ نفسه. وتطعيم حياته بطريقة تجعل عيش القريب هائلاً كعيشه هو نفسه.

وبحسب سفي غلبا أن مؤيدي مسيحي طائفة أورشلين الأولى حقهم، لأنهم فعلوا ما علم به المسيح حقاً بيد أنهم عجزوا عن الصمود. كما كان لمساعدة القريب مكانة بارزة في نشاط الكنائس المسيحية الناشئة الأخرى أيضاً ولكن سرعان ما تحولت الكنائس إلى منظمات تعلق عليها مصالح من بعد تلك التي تعرفها منظمات البشر الأخرى. فنشأت مسألة إدارة المنظمة، والعلاقات بين مختلف التنظيمات، وكما هو معتاد في مثل هذه الأحوال، فمد أحدثت تنشأ اتحادات قامت على المبدأ الإقليمي وكان يجب أن يرأس الاتحاد أحد ما. وبدأ تكون قد صهرت الأسقفيات التي جمعت تحت لوائها الخورسات وقد رُئس الأسقفية أسقف وسرعان ما أُرسي مبدأ توارث الكرسي الأسقفي. لم يكن الأساقفة ينتخبون كما كانت الحال عليه عندما كانت طائفة أورشلين الأولى تنتخب الدياكونوس، إنما كانوا يعيّنون تعيين وقد كانت المرتبة الدينية الأعلى، أي الرسل، هي التي تعيّن ثم بات كل أسقف يعيّن ورثاً له نفسه وهكذا تأسس النظام الوراثي في الكنيسة مسيحية. وكان هذا الوضع قد نشأ في امر الميلاي الثالث. وعن هذا كتب إ. أ. كريفليوف يقول: «إذا كان الأسقف في بادئ الأمر، هو لشيع الأول ورئيس مجلس الأساقفة الذي ينتخب بطريقة تنسم بكثير من الديمقراطية فإنه تحول بعد ذلك إلى وحده متسلط عالي الشأن، لا ينتخب انتخاباً إنما يتلقى بركة سلفه بوضع يده على رأسه، ويعلو فوق رؤس كما فوق رجال الأكسيريوس الأدنى منه درجة. قراراته تنفذ ولا تناقش، ويدير شؤون أسقفية كما يرى هو وحده وفي هذا يقوم «نظام الأسقفية الوراثي».

كما أنشأ الأساقفة ووجهاء الكنيسة الآخرون لأنفسهم القاب متميزه صاحب لقدسة، وصاحب الساقة، وصاحب الغبطة، والحر الأعظم و واحد هؤلاء يرتدون رداء بادحه جداً، ويقومون بزيارات «حبريه» ضخمة

لقد نسي هؤلاء قول المسيح عن أولئك الذين يرفعون أنفسهم ويتسلطون على حساب الآخرين. فكما صموا ذانهم وحببوا آمينهم عن الوصايا التي كان المسيح يرؤد بها تلاميذه وهم يهبطون إلى مختلف المدن والبلدان لنسبوا نالتعاليم الجديد، وتجاهلوا أن الرسن كانوا يتجولون عبر البلاد سيراً على الأقدام، وعاشوا حياة الكفاف على ما يهود لهم به فاعبوا اخير وفي أورشليم، وصح لرسن مضمعين ما يشبه ميثاق المسيحية لروحى، ودعوه، رمز الإيمان. وقد احتوى على ما يؤمن به المسيحي الحقيقي. وهاكم نصه:

«أؤمن بالله الأب الكلي القدرة، خالق السماء والأرض، وأؤمن بيسوع المسيح، ابنه الوحيد، ربنا الذي حمل به من الروح القدس، وولد من لعنراء مرياً، وتأنم على عهد بيلاطس السنطلي، وصب، ومات، وقبر، ونزل لى الحليم، ونعت في اليوم الثالث من الأموات، وصعد لى السماء، وجلس عن يمين الإله الأب الكلي القدرة. وسوف تأتي من هناك لنسب الأحياء والأموات وأؤمن بالروح القدس، وبالكيسة المقدسة الجامعة، وتو صل القديسين، وقيامة الحمت، والحياة لاسية».

لقد كان يعزب الرسول أسقف كنيعة أورشليم. فكتب في العالم ٥٩م رسله رسولية جامعة موجهة إلى المسيحيين المشتتين، يذكرهم فيها بأسم تعاليم المسيح المحبة والتعاون ولكن هدين كان يجب أن يتحققا في أعمال محددة. فالإيمان من غير أعمال يمان ميت. كان يعقوب الرسول قد وضع أول مراتب الخدمة النبوية (الإقامة سر القريان المقدس) ولا تزال هذه الخدمة تقام في معبد أورشليم حتى يومنا هذا في يوم عيد يعقوب. لقد وضع المريسيون بالمتف حداً لحياة يعقوب، لأنه حذب كتيرين حداً إلى المسيحية. وحدث ذلك في عيد الفصح فقد أرغموا يعقوب على الوقوف فوق خناح الهيكل يبقي موعظة في الشعب لكنهم رموا به من هناك وشرعوا بضربونه وأنهى تلك القطعة أحد الحوآخين الذي قلى رأس يعقوب بهراوة ثقيله. لقد هكان ذلك لرحل (واحد من الحشد) ومثلما جرت العادة عسى مر التاريخ كانت القوعاء تتحمل دائماً بمن لهم قدر ت هنية. وسمت أخلاقية وروحية متقوفة فهي لا تحترم سوى السوط، أما بطررس وبولس فقد راحا صحية أعمال التمل انتي أدارها الإمبراطور الروماني نيرون ضد المسيحيين في روما. وكنت بريعتة الظاهرية لإقامه تلك المجازر، هي الحريق الذي التهم روما في العام ٦٤م. وفي تلك الملاحقات استخدم الرومان ضد المسيحيين أكثر وسائل القتل ظاعمة. أذلوا بعضهم في جنود، لحيوانات ورموا بهم للكلاب الضارية، وحرقوا بعضهم الآخر، وصبروا بعضهم لثلاث وساقوا بعضهم الرابع إلى حلة السبرك لتبرقه الأسود. وأمر

نسرون باعدام أرسولين بطرس وبولس فقادوهم إلى السجن ومن هناك كتب بولس في رسالته إلى تيموثاوس يقول

﴿قَالِي أَنَا الآنُ مُكْتَبٌ سَكِينًا، وَوَقْتُ الْجِلَالِي قَدْ حَضَرَ ۖ نَذْ جَاهِدْتُ
الْجَهَنَّمَ الْخَسَنَ، أَكْمَلْتُ اسْمِي، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، ۖ وَأَخِيرًا قَدْ وَضِعَ لِي إِكْلِيلُ
النَّيْرِ، الَّذِي يَهْبُؤُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ انْتِيَانُ الْعَابِلِ، وَلَيْسَ بِي فَسْطٌ مِنْ
جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا.﴾

(رسالة تيموثاوس اثنائية ٤: ٦-٨)

وفي الأول أعدموا روحه بطرس أمام عيسيه، ثم أعدموا بطرس نفسه صلباً، وهو أكثر ضروب القتل دلالة عند الرومان أما بولس فلم يكن القانون الروماني يجيز قتله بتلك الطريقة المهينة، لأنه كان مواطناً رومانياً، ولذلك أنعموا عليه بقطع رأسه بالسيف. كما أعدم أيضاً الإنجليي لوقا ومرقس. وأعدم كذلك الرسل الآخرون، ومنهم أندراوس أول من دعاه يسوع، وقد امتد احتضاره على الصليب مدة يوم لإحالة أحد آلامه لم يلقو مسامير في يديه وقدميه، بل قُتِلوه إلى الصليب بالجمال أما يوحنا الإنجلي فقد تعرض لشرى صروب التمذيب، ثم نفى إلى جزيرة باتموس الصحراوية. وهناك طامع الرؤى لى وصمها في كتاب العهد الجديد (رؤيا يوحنا) كما وضع الإنجيل الرابع. لقد عاش يوحنا عمراً مديداً، ومات عموماً كهلاً في أوائل القرن الميلادي الثاني ومات يربابا تحت التعذيب في جزيرة سلامين. ولكن على الرغم من كل شيء، وصلت المسيحية انتشارها ففسرت إلى البارثيين، والفرس والمصريين، والنومنديين، ولاتسيان، والبريطانيين، والألمان وفي أواخر القرن الميلادي الثاني، خطب المسيحي برولين ائوئسيين قهلاً «لم تظهر نحن إلا في يوم أمس، وهم نحن نسلأ منكم وجرحكم، وقلاعكم، وقراكم، ولقاءكم، ومعسكراتكم، وقصوركم، وسبائككم، واجتماعكم، المسة لحاشدة، وساحاتكم، ولم نترك لكم سوى معدكم وإذا ما تركتكم كثرتنا هذه ومصت إلى مكان قصي، فسوف يذللكم خلواً منكم وقفاراً»

في زمن سيميروس أحد للمسيحيين باحتماعا عاتية، وإقامة طقوس عبادتهم بحرية وهكذا ظهرت المعابد الأولى لكن المعابد الحقيقية النديعة لم تشيد في مدن الإمبراطورية إلا في اقر ٢م فحينئذ ظهر الفن المعماري لكنسي كما كان المسيحيون قد أسسوا مد رسهم أيضاً وعندما استؤنف الاضطهاد من جديد دخل المسيحيون انداميس و لسانيب وقد دفن في تلك الأساق كثير من مسيحي القرون الأولى

ومع بدايت بناء المعابد المسيحية كان هذا شأناً نظاماً متكامل لتأدية شعائر الخدمة الإلهية، ولا يزال هائماً بسماته العامة حتى يومنا هذا وكان كل شيء يبدأ بما تركه المسيح لتلاميذه. كسر الخبز لقد كان مسيحيو الطوائف الأولى يقيمون جماعات تملك كل شيء ملكية مشتركة. وعندما كانوا يجتمعون كانوا دائماً يكسرون الخبز يومياً إحياءاً للذكرى المسيح ولكن مع تزايد أعداد المؤمنين تناقص عدد مرات إقامة هذا العرس، وصاروا يقيمونه في ولائهم العامة فقط. كما كانت إقامة هذا السرّ تترافق بصوت. وهكذا شيئاً فشيئاً نظام محدد لإقامة شعائر الخدمة الإلهية، مربية متميزة من مراتب الليتورجيا. وفي القرن الميلادي الثاني كان هذا النظام يتألف من قراءة الكتب المقدسة، وإشهاد الرماهير وسوى ذلك من الترانيم الروحية، وإلقاء المواعظ، وبلاوة الصلوات، وتكريس النعم بكلمات المخلص، والابتهال إلى أرواح القدس، ومسح التبركات. وفي تلك الآونة كان الدياكونوس يحملون سبات إلى المرضى ومن لم يكن بمقتورهم حضور، لقد من الإلهي

وبعد ذلك بات ينبغي على من يرغب في المداولة أن يؤدي قبل ذلك ملقوس الاعتراف بخطاياهم وإعلان بدمه وتوبته أمام الكاهن وكان بولس الرسول هو من استكر هذا الطقس بهدف اختبار المؤمن ضميره

وفي القرن ٣م كانت قد تشكلت التراتية العكسية وبيلورت (الأسقفية، الأبرشية، الخورنة)

لقد كان امطهذ السلطات الرومانية للمسيحيين يتكرر دورياً وكان الأمر يرمته يرتبط بشخصية الإمبراطور نفسه فملاحقات نيرون ومجارره ذهبت مع الماوسي وبسبب المسيحيون معابدهم وأحدوا يؤدون طقوسهم بأمان وسلام. ولكن لما أن اعتلى دقلسيان عرش الإمبراطورية حتى بدأت الملاحقات من جديد، وبسبب بقوة لا سابق لها فقد قسم الإمبراطور الإمبراطورية إلى شطرين، وأعطى شطراً منها إلى إمبراطور آخر هو مكسيميلين، وعين كل من الإمبراطورين معاوناً له بلقب قيصر وكان قيصر دقلسيان هو عاسريوس، الملقب بالجنود للمسيحيين، وقد نجح هذا في إفتعال الملاحقات فهي ٣٢ شباط من العام ٣٠٢م. وقع الإمبراطور أمراً بأجتناب المسيحية من جذورها خلال فترة رسة محدودة. وتفيداً للأمر دمروا معابد المسيحيين ونهبوها، وأحرقوا الكتب المقدسة، وبطلوا بالمسيحيين بأبشع الأوساليب ووصلت إلينا عدوناب كثيرة تصف تلك الفطائع، دونها شهود عيان، وعندما يقرأها المرء يتصح له إلى أي درجة يمكن أن ترقى روح الإنسان. ومن الواضح بالتأكيد أنه لن نستطيع أن نسوق هنا لوجزاً من تلك الشهادات. لكنا سوف نقول بعض الكلمات عن الشهيد العظيم

جيورجي الطافر فقد كان هذا جندياً شجاعاً أحبه الملك حباً كبيراً وفضح جيورجي بطلان عبادة الأوثان، وقاسم المسيحيين إيمانهم فأمره الملك بالارتداد عن المسيح، لكن الحندي كان صلباً إلى الحد الذي مكّنه من لمسك التعاليم وبصلايته هذه حذب كثيرين إلى المسيحية. حتى روجة الإمبراطور، الإمبراطورة ألكسندرا أعلنت على الملأ أنها مسيحية فحكم عليها بالموت. لكنها توفيت قبل تنفيذ الحكم وأعدم جيورجي أيضاً.

أمّا في الشطر الغربي من الإمبراطورية، فلم يكن هناك ملاحظات للمسيحيين، ففى أفريقيا وإيطاليا لم تبدأ الملاحقات إلا على يدي ماكسينتيوس

في عهد قسطنطين صدرت المسيحية إلى ديانة رسمية للدولة وقد ماثلت الكنيسة مآثر قسطنطين تحاها بمآثر الرسل. ولذلك دعت مثل الرسل. وكتب المؤرخ يوسيفوس يقول «إنه رأى الله من الحماسة أن نمنسك أمره بألوه لا وجود لها، ويبقى بعد هذه البراهين كنهها علقها في الضلال ولذلك اقتنع أنه ينبغي أن يبجل الإله الأب، وبدأ يستهل إبيه، ويتوسل لكي يظهر ويسير عقله ليراها، ويمدّ به يمه في عمله الذي هو صمدده، وقد كان ذلك حيماً قاد قسطنطين جيشه ببحرر إيطاليا من ماكسينتيوس، ثم يسابع يوسفوس روايته فتوى «ومرة في وضح لنهار، وبعد صلوات وتوسلات معنة، جاءت الملك من لس الإله آية من أكثر ما يكون لأمر عراة عندما أحدث الشمس تميل نحو الغرب - حسب رواية الملك نفسه - رأيت بألم عيني علامة لصليب مرسومة بالنور على صفحة الشمس، وتحتهما كتابه تقول، بهذا سوف نصبر. وقد ملأته تلك الرؤية رعباً، وكذا الجيش كله، الذي تابعه متأملاً مغزى المعجزة. فاحتر قسطنطين في أمره وحدث نفسه - ما تدعي هذه الظاهرة؟ لكنّ اللين هبص وهو مارال يفكر ويؤوّل، عندئذ جاءه المسيح في الحلم...» وقد ربح قسطنطين المركة، مع أنّ قواته كانت أقلّ عدد من قوات خصمه.

وبعد أن مات ماكسينتيوس غرقاً في نهر النيبير، بات قسطنطين الإمبراطور الوحيد على الشطر الغربي من الإمبراطورية أمّا في الشطر الشرقي، فقد كان العرش بين يدي ليسيبوس لقد كان قسطنطين حاكماً حكيماً إذ أصدر إرادة ملكه أعلن ههها حرية المعتقبات الدينية كاملة، فبات من حقّ الوثنيين، والمسيحيين أن يقيموا شعائهم بأمن وسلام من غير أن يتسبب أحدهما للأخر أو للدولة بأي أذى، كما أصدر إرادة أخرى أجاز ههها للمسيحيين بناء معابد جديدة، وأمر بأن تعاد لهم معابدهم القديمة التي انتزعت منهم في مرحلته الاضطهاد. لقد أدرك قسطنطين بوضوح أنّ إشعاع المسيحية وحدها المؤهلة لتجديد الإمبراطورية في الميدان الأخلاقي. وثمة كثير من القرائن التي توحي بتأثير تعاليم المسيحية

على إدارة قسطنطينين، وكان اسك قد درس هذه لتعاليم دراسة واهية فقد ألغى قسطنطين الإعدام صلباً، وألغى العروص الدموية في السيرك، وأخذ ليتامى والأطشال المرميين تحت رعايته، وأظهر رحمه نحو المعوقين والمقرء.

أما في الشطر الشرقي من الإمبراطورية فقد كان ليسيسيموس يبعث فساداً في الأرض، ويدمر وجود المسيحية هناك. فقاد قسطنطين حملة صده وهزمه، ثم أعدمه وبذلك يكون قسطنطين قد عد الإمبراطور الواحد في الإمبراطورية لرومانية الموحدة فسي لنفسه عاصمة جديدة دعاها القسطنطينية.

لقد نوهت سابقاً إلى ظهور مختلف تأويلات الإيمان المسيحي وكان طبعاً أن يثير ذلك خلافات، وبزاعات، وندوات داخل الكنيسة نفسها فقد طالت لتأويلات أحرص دثرة من المسائل، التي ولحق يقال، لم تكن لها صلة بحوهر تعاليم المسيح. إذ همّ المؤولون أكثر ما اهتموا بالتمسك صيل الشككية ومختلف صروب السفسطه واصطرت الكنيسة في هدر أفضل قواها لتجاوز تلك الانقسامات، أو كما اتفقوا على تسميتها تلك الهرطقات، وتحجور اختلاف حول مسائل مثل أي الطليعتين في المسيح هي العائلة؛ طبيعة البشرية أم الإلهية؟ ما هو الثالوث المقدس؟ هل تجوز الصلاة للأشودت، أم ينبغي العزوف عنها؟ .. ومن الواضح أن شيئاً من هذه المسائل لا يتصل مباشرة بتعاليم المسيح فهذه الأخيرة واسعة ومتماثلة إلى درجة أنه لا مجال للاختلاف في تأويلها وإذا كان قد قيل، «حبيب قريبك كما تحب نفسك»، وإذا كان قد تم توسيع مغزى مفهوم «قريب»، فأي اختلاف في تأويل هذا يمكن أن يظهر وما ينسحب على هذه الموضوعات المسيحية الأساسية. يسمح على الموضوعات الرئيسية الأخرى كلها ولخص سيطره أخبار الكنيسة التي لا نحلها حدود، ووجودهم خارج كل رقابة أو سيطرة، وتحولهم إلى حكماء غير فقراء، جعلهم يبحثون عن كل فرصة لزيادة صلاحيات سلطاتهم، ومصادر مواردهم على حساب أخبار الأسقفيات المجاورة الذين لا يختلفون عنهم في شيء، وللإطاحة بهؤلاء كان ينبغي إثبات اعتمادهم عن تعاليم المسيح، أو اتهامهم بسوء تأويلها ولذلك كانت أعراض أكثر تلك الهرطقات أغر صاً زمنية ونحن نقول هذا، لأن أول مجمع مسيحي أعراض أكثر تلك الهرطقات أغر صاً زمنية ونحن نقول هذا، لأن أول مجمع مسيحي اتنام فقط لكي يدحض إحدى تلك الهرطقات بل كان الهدف الوحيد للمجمع المسكونية المسيحية الأخرى كلها هو معالجة مسائل الهرطقة.

في حزيران من العام ٣٢٥م دعا الإمبراطور قسطنطين إلى عقد المجمع في مدينة نيقية (أنسي الصغرى)، واتنام اجتماعهم في قاعة القصر الملكي. يدعى هذا المجمع أيضاً بالمجمع الأريوسي، إذ كان مدعواً لوضع حد لهرطقة راعي الإنكسورية أريوس. وكان هذا قد أول مسأله اشالوث

المقدس بطريقته الخاصة. فقد أكد أريوس على أن يسوع المسيح ليس متماثلاً مع الإله لأب في الوجود، وإنَّ له زمن بدء، بمعنى آخر، رأى أريوس أنَّ الإله الأب خلق يسوع المسيح، وأنَّه كان ثمَّة زمن لم يكن يسوع فيه وجود وتكون لماذا أحدثت وجهة النظر هذه ذلك الصدى بكنهه، مع أنَّ أريوس لم يكن حتى أسقماً بقوم الأمر هنا في أنَّ أريوس كان شخصية فضاء موهوبة له القدرة على اسمالة مسيحية وشدة اهتمامهم ولذلك شاعت هرطقته شوعاً عريضاً جداً لقد كان أريوس يطمح إلى منصب أسقف الإسكندرية، وعندما لم يتحقق مطمحه تحول إلى دعة نشط جداً ووجه الإمبراطور قسطنطين نفسه رسالة إلى أريوس دعاه فيها إلى بدل كل جهد ممكن للحفاظ على وحدة الكنيسة وعند ذلك الوقت كان كثير من الأساقفة قد أخذ جانب أريوس في الصراع لكن رسالة الإمبراطور لم تخرج أريوس عن موقفه فطرح المسألة على المجمع ليبحثها واتخذ قرار بمثلها وقد شارك في الاجتماع ٢١٨ أسقماً ورافقهم الرعاة، والدياكونوس، وشعبيات روحية أخرى، وأخذ قسطنطين على عاتقه نعتية نقات المجمع كلها لمدة أمدان للمجمع هرطقة أريوس. ولم يقف معه سوى سبعة عشر أسقماً كما اتحدت قرارات في مسائل أخرى تحدد تاريخ الاحتمال بالمصيح المسيحي، على سبيل المثال، إذ تقرر أن يكون العيد في الأحد الأول الذي يلي منتصف قمر الربيع وكان المصيح المسيحي يتوافق قبل ذلك مع تاريخ المصيح اليهودي. وبوفشت هنا أيضاً مسألة بتولية رجال الدين. فتقرر أنه لا ضرورة لذلك ويمكن لرجال الدين أن يترؤج. وقيل عودة الأساقفة إلى استقفياتهم رؤددهم الإمبراطور بتوجيهات لم تقف أهميتها حتى يوماً هذ وماكم تمُّها

(حدروا حدة مناظر انكم بين احراكم ولا تحسبن أحد منكم الاساقفة للبين يظهر من حكمة ماهرة، هو قار أي منكم ونمُّره، هو وقار للكنيسة كلها لقد سموهم وتوَقَّعتهم، فلا تنهروا باستملاء وخلاء نحو لأدنى منكم، هاليله وحدد يعرف من هو المستوفى إنَّ الكمال نادر الوجود، ويجب أن يكون لدى المرء رفق بالأصعب من أحواله، احبوا كل ما هو غير مهم بالتصامح، وحدوا الضعيف البشري بحمايتكم، وتذكروا أنه لا يمكنكم استمالة بكل اساس بالمحاسنات لعلمية والعقلية، فحبو الحقيقة الصادقون قلبه يجب أن يكون كالأطباء، موافق كل دواء مع المرض الذي نُسَخِّصه، وتحالينا مع اختلاف ميول الناس، ولكنَّ لنتيجة الأساسية التي خرج بها مجمع نيقيا هي اعتماد الدعوة (بعقيدة م) مسيحية (أما هو إليها في المجمع التالية بعض الموضوعات) بيد أنَّ العقيدة التي أقرب لم

تكن سوى تقوية معتقة لرمز الإيمان الرسولي الذي أوردناه قبل قليل. أما هرطقة أريوس فقد أسدل عليها الستار وقد نجح أنصاره في أن يكتسبوا ثقة الإمبراطور قسطنطين فأمر بإعادته إلى الكنيسة ولصقته عندما اقترب في صباح ليوم التالي مع حشد من أنصاره من الكنيسة سقط ميتاً في الطريق. وقد وقع هذا قبل فصح عام ٣٢٧م ، وفي العام نفسه موته قسطنطين تاركاً الإمبراطورية لأسائه الثلاثة.

ولكن حدث أن سرعان ما سقط الابن الأكبر لقسطنطين قتيلاً في إحدى المعارك، فانقسمت الإمبراطورية الرومانية من جديد إلى شرقيه وغربية وكانت السيطرة في الشرق لأبناء أريوس. وبعد حين هلك إمبرطور الشطر الغربي، فعادت للإمبراطورية موحدة تحت ملطة إمبراطور الشرق كوستانسيوس. وهكذا تكون الأريوسية قد حققت نصراً تاماً. وقد سلك الإمبراطور ملوك الأباطرة الحقيقيين دعا إلى اجتماع المجمع الثاني في ميلانو وهرمس مسبقاً القرار الذي كان يجب على المجمع إصداره ومن اعترض على القرار نفي. وقام استمرار في الارتداد عن كنيسة أنطاسيوس أسقف الإسكندرية وخضع رئيس. ولم يستطع أنطاسيوس نفسه أن يواجه ضغط الإمبراطور ، فوقع رسالة الارتداد عن قرارات مجمع نيقيا

وعشر حكار أحبار الكنيسة على ما شعلوا أنفسهم به- الصراع ضد بعضهم بعضاً على السلطة أما معاليم المسيح فعلاً كان يتدكرها أحد منهم، إذ انصب اهتمامهم على ممتلكاتهم والصراع في سبيل السلطة.

وبعد موت كاستانسيوس تولى العرش ابن أخيه (أو أخته) يولييان، المعروف في الدراسات الكنسية بهولييان المرتد وكان هذا قد عمّد في طفولته، لكن أحداً لم يهتم بأن يحلق فيه طيبة المسيحيين صف إلى هذا أنه رأى بأن عيته لا أخلاقية دساتس رجال الكنيسة المسيحية. ولما صار إمبراطوراً ارتد عن معموديته وأعلن الحرب على المسحة واتخذ جانب الدفاع عن الوثنية لكن حكم يولييان لم يستمر سوى عامين. ويرى أنه قال بينما هو يحتضر «لقد انتصرت أيها الحلي!» وقد قصد لمسيح بذلك.

الفصل الثاني عشر

انقسام الكنائس

في العام ١٠٥٤م وقع الانحلال النهائي في الكنيسته المسيحية إلى كاثوليكيه وأرثوذكسية ولا تزال الحال على ما هي عليه حتى يومنا هذا وكانت قد سبقت هذا الانحلال قرون من الصراع على السلطة، والملكيات الزراعية، والثروات، ولتقدمت، وبعد أن باتت الكنيسة لمسحبة واحدة من مؤسسات الدولة تحولت شيئاً فشيئاً إلى قوة سياسية واقتصادية حاضرة. ودارت صراعات مديدة، بين الأسقفيات كان محورها النمو، الحصول على مزيد من مجالات النفوذ، وكان طبعاً أن يصل الأمر حد تدخل أسلمات لزمية في الصراع، كما كانت تقلبات ذلك الصراع متنوعة فقد كانت حدود الإمبراطورية الرومانية مترامية، وكان لكل إقليم مصالحه التي كان ينبغي على الكنيسه أن تأخذها بالحسبان.

لقد أفضت الحرب بين الأسقفيات، بل بين لأساقفة، إلى نشوء مركزين كنسيين. يسيطر وروما أما باقي الأسقفيات فقد كانت تابعة لهذا أو ذاك من هذين المركزين وكانت الأسقفيات هي أسقفية أورشليم، وأسقفية أنطاكية، وأسقفية الإسكندرية و... لكن الإمبراطورية الرومانية الغربية سقطت وبم بعد قسمة إمبراطور، بر حانب بابا روما يحصص له وينسق الشؤون الدينية معه. وكان ذلك جيداً بقدر ما هو سيئ، فبعد أن تحرر البابا من سلطة السلطة الزمنية كان عليه أن يجد لغة مشتركة مع حكام الأقاليم التي تنسب عن سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وانحصرت أن أخبار روما حققوا في هذا المجال نجاحات باهرة، إذ سيطروا سيطرة شبه كاملة على السلطات الزمنية. وهذا ما وضع بين أيديهم مساحات مهولة من الأراضي، بل صار لأخبار روما جيشهم الخاص، فشنوا الحروب (الحروب الصليبية مثلاً)، وقاتلوا بحكمون بضراوة فاقت بضراوة لحكام البرميين. فقد عدوا أن المصالح الجيد هو راع جيد

ما تطرقة القسطنطينية فقد كانوا يعملون جسداً إلى حسب مع أباطرة بيزنطة فقد عاشت الإمبراطورية الرومانية لسريرية ألف عام بعد سقوط الإمبراطورية الغربية وقد أمنت هذه الحالة إستراتيجية مغامرة تماماً فكان يمكن أن يقدم الإمبراطور مسعدته في إدارة

شؤون الكنيسة، لكنه كان يمكن أن يقتل عدواً سوداً لها أيضاً وقد عرّض مخنّف الأتوار هذا ودانك من مهسي الإمبراطور

وعسى عن البيان القول، إنّ الكنيستين مثلاً في ذلك العصر قوّه سياسية جبارة ويمكن اصراع بينهما استمرّد ثراً بذريعة أن كلّاً منهما تصوغ عقائد الإيمان الصحيحة فلم يتوقف الجدل حول طبيعة المسيح والروح القدس. والتأثير برأسه طول قرون. ومن كان منهم الأقوى كان يربح خصمه، فينميه أو يقتله بذريعة خصل بأويله للمسائل المطروحة.

هملى امتداد أكثر من مائة عام (من العام ٧٢٥ إلى العام ٨٤٣م) بوقشت مسألة ما إذا كان من المشروع استخدام الأيقونات أثناء إقامة الخدمة الإلهية أم لا. وكيف العمل مع المطلب الإلهي «لا تصنع لنفسك وشاً»، وسوى ذلك من موضوعات التوراة التي تقول، «إنه ينبغي الصلاة لإله لا للصور أو التماثيل؟ وكان المسلمون قد حسمو المسألة وحرّموا استخدام مثل هذه الأشياء. أمّا مسيحيون فقد هددوا زعماء طويلاً في صراع مرير حول هذه المسائل. وبحن يمكننا أن نهم موقف المدافعين عن استخدام الأيقونات لأنّ حضور هذه الأيقونة يحمل الصلاة أكثر تأثيراً، هالأيقونات تساعد المؤمنين على إقامة صلة مع إلهه، مع المسيح، مع والده الإله، ومع القديسين. لقد كان السجود أمام الأيقونات فعلاً سحريراً، وكانت تتحوّل هي نفسها إلى تماثيل، إلى طلاس. ولكن أطراف هذا الخلاف نجّوا إلى استخدام القوّة، إلى لحروب لحسم الخلاف. بيد أن الأيقونات لم تصن في واقع الأمر سوى ذريعة لاختصار القوى. فالخصمان الرئيسان في انراع هما بابا روما (نصير الأيقونات)، والإمبراطور البيزنطي ثون الثالث إيساور (خصم الأيقونات). وانحطبت في الصراع قوى أخرى قتل تأثيراً (ملك البولنديين، عسى سبيل المثال) وفي العام ٧٥٤م عقد الإمبراطور قسطنطين الخامس اجمع لمسكوى الخامس الذي اتخذ قراراً بتحريم السجود للأيقونات، ولكن اجمع المسكوي لندي عقد في العام ٧٨٧م، ألغى هذا القرار، وأقرّ وجوب السجود أمام الأيقونات.

لقد كانت سلطة البابا تتنامى بسرعة ملحقة. ولم تكن هذه السلطة سلطة روحية، إنما سلطة زمنية حقيقية هالكنيسة والأديرة كانت تسيطر على أكثر من نصف الأراضي الزراعية. وامتلكت موارد مادية مهولة، فطلت استقلالها عن السلطة الزمنية ولكي يكون القارئ تصوّراً عن قيام السلطة لرمة للكنيسة، ها نحن نسوق بعض المقاطع من كتاب تاريخ الدين (حقائق فقط):

لقد توافلت السلطات البابوية التي نرافقت بأعمال قتل فأطاح بونيفاسيوس تسابع سينديكيت السادس وأمر بقتله حنفاً في سجنه ثم اطلاق بيسديكت السابع

ببونيغاسيوس السابع هذا، وإلى العرش بعد ذلك إلى يوحنا الرابع عشر ولكن أياً من بينديكت السابع أو يوحنا نرايع عشر لم يعمل على اصعاف قوّة بونيغاسيوس، الذين نجح بعد استراحة استمرت عشر سنوات في تطبيع بيوحنا الرابع عشر. ولم يتردد لحظه واحدة في قتله. وبعد بعض الوقت واحه بونيغاسيوس لمصير عيه، وحرّت الحشود جثته في شوارع روما ثم رمتها في النهر. ومات وضع البابا التالي غريغوري السادس معقداً بسبب وجود خصمه البابوي يوحنا السادس عشر لكن هذا الأخير واحه مصيراً رهيباً ساء على أمر الإمبراطور أوتون الثالث اقتصب عين بيوحنا هذا، وبترت أنفاه، وحذع ابصه، وقصع لسانه، ثم وضع على ظهر حمار مالمصلوب، وجنوا به شوارع روما،

لن نواصل وصف ما فعله المرشدون لروحيو، الذين عدوهم حلماء المسيح في الأرض. فالاطلاع على عمالهم يجعلك تحس بالحر واللم هل ستبقى أفضل الأفكار التي كرسست خلاص الجنس البشري مطية لأكثر ليس خسة وضعة يستعملونها لتحقيق سيطرتهم على الناس؟

ومن المعروف أن هذا «الفساد» لم يقتصر على البابوية وحدها، إنما طال فئة رجال الدين كلها من الماعده إلى القمة. لقد باتت العقود هي المقبس الأساس عندهم. وبات لكل منصب تبعيرة رد إلى هذا أنه أصبح بالإمكان شراء مقبرة الخطايا بالنال. ألا يرغب قارضي في أن يردد حيف المسيح قوله: «يا أبتى! غفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون» لمد انتصد المسيح الصريمين وكتبيين، لكن تعاليمه آلت إلى الدنوب عيها، وبم تر هذه ضرورة لارتد، ثوب الحمل لقد عبّر لدوات عن رعتهم في ألا يكونوا بعد الآن ورثة نعرس الرسول. فأعلى البابا بونيكينيوس الثالث أن «رئيس كهنة روما هو حقاً ممثل، لكنه ليس ممثل إنسان، بل ممثل الإله. لحق لأنا على الرغم من كوننا ورثة رئيس الرسل لكننا لسنا ممثليه، بل لسنا ممثلي أي رسول أو بشر كان، إنما نحر ممثلي يسوع المسيح بمسبه». وهكذا إن بكل صراحة ووضوح، وبغير رياء أو نقصان! وممى هذا أن كل شيء يجب أن يخضع للبابا، والسلطة الرسمية أولاً. وقد نجمت البابوية في تحقيق ذلك فعلاً. همى أو ثل لقرن الرابع عشر كتب البابا بونيغاسيوس الثامن يقول: «إنا على ونقول، ونقرر، ونصرح علماً بأن حصوع اساس كلهم لأسقف روما أمر ضروري من أجل مصمتهم». بها من غير شك دروة تسلط بابوات روما ابتي أعقبها انصاف حاداً فاستحجم الملك الصرني فيليب بقوة استخداماً غير فاضل ضد روما، فتصدت سلطة البابا، لكن أمام الملوك فقط! أما بالنسبة للناس العاديين فقد رادت

صراوتها، وتكملت بهم شمع تتكامل عبر محاكم التفتيش. فما أن تحلّ حجان لتفتيش في المكان حتى تعلن في المعد أنه ينبغي على المؤمنين أن يقدموا لها معلوماتهم عن الهرطقات الموجودة في حلال أمان ستة وسكال مفهوم الهرطقة بالنسبة لهؤلاء عريصاً حداً ولا حدود له وبم يدع الواشون المششين ستظرون طويلاً، فقد كان كل منهم يحمل ما عبده صد الآخر وينقله سرّاً إلى هؤلاء قبل أن يمسسوا للأحر أن يسبقه هكذا كانت كضمة المسيح «تغرس» في بموس الناس وصيه المسيح الرئيسة. «أحبب قرييك كما تحب نفسك»

وما نحن نسوق رمز الإيمان المسيحي الذي استقر على ما هو عليه الآن بعد مناقشات كثيرة، إذ أمر أحرء في المجمع المسكوني الأول والثاني. وقد جاء هذا عبارة عن عرض موجز لحقائق الإيمان المسيحي كلها ومن لا يفضل هذه الحقائق، لن يكون بمملوره أن يكون مسيحياً حقيقياً وحات صياغة رمز الإيمان هكذا

«أؤمن بالله واحد اب، صادق الكل، خالق السماء والأرض، بكل ما يرى وما لا يرى»

وومن رب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور؛ نور من نور، اله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي به خلق كل شيء.

ولدى من أجلنا نحن اسشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات، ونجسد من الروح القدس، ومن ماري العذراء، وصار إنساناً وصلى من أجلنا على عهد دبلاطس السنطي، وقائم، وقبر، وفام في اليوم الثالث، حسب ما جاء في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب،

وسوف يأتي ثانية بمجد، ليدين الأحياء والأموات، الذي لا هاء لملكه. وومن بالروح القدس رب الوامب الحية، المبعث من الأب، مسعود له وممجد، كما للأب والابن، الذي تكلم عبر الرسل

وأؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة ككونية ورسولية واعترف بمعمونة واحدة لمعمرة الحملات. واترحن هياصة الأموات، وحياة لنهر الأقي أمين.

ورمز الإيمان واحد لدى الكاثوليك والأرثوذكس، ما عدا فقرة واحدة، هي أن الروح القدس ينبثق عند الكاثوليك من الابن أيضاً.

البروتستانتية

بعد انقصاد النبي مارسه كبار رجال الدين المسيحي فروباً طويلة، نشأت في النصح شروط يسهل مهمة وضع حد لحد الطغيان والتعسف. لقد بدأ إصلاح الكنيسة، وارتفعت حركته الإصلاح تلك باسم مارتين لوتر

ففي العام ١٥٢٨م اشتعلت متاعزة مسلحة ضد رجال الإقصاع والكنيسة وقد قادها ديلور و لكاهن جون بول وكان الآب الروحي للانتماسة هو الكاهن واللاهوتي البرز جون ويكلر وكانت مطالب ويكلر و صحة إذ رأي، وكان معقاً في ذلك، أنه لا حق للناس في العسطة لزمانيه، لأن المسيح نفسه قال، إن مملكته ليست من هذا العالم وأكد ويكلر أنه يمكن للكنيسة أن تتلقى التعمدات الطوعية والترعرات، لكنه لا يحق لها أنبدأ أن تقرر أنلأوت إلر مية ثم اعتقد ويكلر أنه يجب على أي أمره أن يعرف بعالمهم المسيح من الكتاب المقدس، وليس من أهواء مؤولى الكتاب من كبار رجال الدين. وما تجدر الإشارة إليه هو أن الكنيسة كانت قد احتكرت نفسها مهمة قراءة التوراة، ولم تكن تتعامل مع أي مؤس يقرؤها بمفرده واقترح ويكلر تقديم التوراة للمؤمنين بلعنتهم الأم وبعد ذلك الوقت كان تُرحم بعض كتب التوراة إلى اللغة الإنكليزية

وسرعان ما شاعت أفكار ويكلر في أوروبا، فهي تشيكية تلفاه ونشرها يان غوس، الذي شرع يؤكد أن الكنيسة ليست رجال الدين فقط، وأن هي المؤمنون على وجه العموم وأن بمصال رجال الدين عن المؤمنين الآخرين يتعرض مع نمائهم المسيح وطالب بمساواة رجال الدين والمؤمنين في سائر المناوئة، أي إن غوس طالب عملياً بإلغاء الوصع المميز الذي يحظى رجال الدين به، وكان هؤلاء قد صاروا إلى طبقة إقطاعية جبارة ولم يقف إلى جانب غوس الملاحون فقط، بل الوجهاء أيضاً وبينهم هو في أقصى ترجم غوس لتوراة إلى اللغة التشيكية وكان غوس قد صرد مرأت من كنيسة. وبعد ذلك دعي إلى عقد مجمع مسكوبي كاثوليكي في سكوتستانس، وقد دعي غوس للمشاركة. ولما كان

لإمبراطور قد يمهّد به بالحفظ على حيائه ، ففقد بوجهه نفوس إلى المجمع وهور وصوبه عتقلوه ، وأصدر المجمع قراراً بإعدامه حرقاً فاشتعلت إثر إعداده حركته ثوريه تواصلت عشرات السنين. وطالب العوسيون بمعاقبته رجال لدين من أصحاب السلطة الزمنية ، وباستعاد الكنيسة عن سلطة برمية ، وحق المؤمنين بأسعابه بالإجبال وما إلى ذلك. لقد كانت هذه الأحداث كلها مقدمات لإصلاح مارتن لوتر ونتيجة لهذه الأحداث تدخلت مواقع الكنيسة الكاثوليكية ، لكنّها لم تهرم

في عام ١٥١٢م بدأ راهب الأوحية الأوغسطينية ، والكاهن وروفسور اللاهوت مارتن لوتر صراعه ضد الكنيسة الكاثوليكية ، وكان هدفه هو تنقية تعاليم المسيح من السمات ، للحيضة السي معها رجال الدين فقام ضد الخدمات الخارقة التي أدّمت الكنيسة بأديها ، وطالب بوضع حد مهمل بيع صكوك العمران فاتهمته لكنيسة بالهرطقة. واستندمي إلى روم ليجيب على مسأله الباب لكنّه نجح في التخلّص من تلك السمرة بفصل مسانده الأمير اساكسونى فريدريك الثالث له. فقد بحث قضية لوتر في أوجسبورغ ، لكنه انتقل بمظنه واحتراس إلى هيتنبرج حيث كان يحظى بشعبية ودعم كبيرين جداً.

لقد كان الوضع الاجتماعي - السياسي برمته على الشكل التالي: ساندت مطالب لوتر الجماهير الشعبية ، والفئات الوسطى ، والنسلاء ، وكثير من الأمراء . وحتى الأمير ساكسوني كما كان الإمبراطور كارل الخامس بدوره معارصاً للمقاومة لوتر . حتى الإمبراطور ضاق ذرعاً بسلطة البابا ورجال الدين وقد اشتهرت إجابة لوتر لمن كان يطلب منه أن يرجع عن مطالبه «إني أفسدت بهذا ، وخلافاً لذلك لا أستطيع». لقد كان لوتر بشعل دون كلل ، لكنّه تنادى أي احتكاك مباشر مع خصومه. وهذا ما جعله يحافظ على حياته (خلافاً لنفوس) ، وعلى استمرار الأمر الذي كرس حياته له ووصفه خصومه هكذا. «لّه ليم يشرّ ، لّه الشيطان نفسه اتخذ صورة بشريّة ، ولكي يهلك الجنس البشري ارتدى جنة الراهب ، وجمع في كومة عمّة واحدة ، كل هرطقات الهرطقة التي أديت وقرب منذ أرمّة ، وانتكر هو نفسه بعضاً منها »

وكان لوتر قد دعا في لطور الأول لحركته ، إلى المواجهة المسلّحة ضد البابا ، والكرادلة ، والأساقفة و . لكنّه تخلّى بعد ذلك عن لصف وقال. «لا أريد أن يداد عن الإنجيل بالصف وسلك الدماء فالكلم انتصرت على العدم ، ويفضل الكمية تمّ الحفاظ على

لكنيسة ، وبالكلمة سوف تبث ، ومثلما نجح المسيح الدجال في تحقيق مآربه بغير عيب ، سوف يسقط أيضاً بغير عيب

لقد أخذ رجال الدين يتراجعون أمام اللوثرية شيئاً فشيئاً. وأهز الرايخسنتع بين العام ١٥٢١ والعام ١٥٣٠م عدداً من القرارات. وفي القرار الأخير صيغت البروتستانتية لأول مرة ولكن عقود من الصراع انصرفت قبل أن تحقق اللوثرية انتصارها الناحز ولم تأخذ نجاحات الإصلاح مشروعيته العنيفة. لأن موجب سلام ويستفال.

وبذلك يصحون الإصلاح قد استغرق نحو القرن ونصف لقرن، من العام ١٥١٢ حتى العام ١٦٤٨م. وقد شاركت في حركة الإصلاح تلك فئات المجتمع كلها ، التي نطلعت إلى الخلاص من قيود سلطة رجال الدين الكاثوليك التي لم يكن تحددها حدود ، كما لم يكن بها أي عامل مشترك مع تعاليم المسيح فقد كان هؤلاء كلهم يتطلعون على أفكار هذه التعاليم. فحولوه إلى أداة لتحقيق المنافع، وإشاعة العنف المثلث، واحتكار حق تقرير كل شيء على هذه الأرض. لمن تمنح الحياة ، ومن يجب أن يحرق ، ومن يجب أن يؤمن البشر ، ولم ينبغي أن تدفع الضرائب ، وفي سبيل من يتوجب الموت في الحرم ولكن نتيجة لإصلاح جاءت لتقص سيطرات رجال الدين والبابا ، ومع ذلك بقيت تلك السلطات قوية بما يكفي.

لقد جرى الإصلاح في سويسرا ابتداءً من طريق سويس وإيقاع ميباين ، كما احتلت نتائجها بين بلد وآخر فالحروب العوسية التي كانت بمثابة حركة الإصلاح ، بدأت في تشييكيا ، وتحرك لوثر في ألمانيا ، ثم تطورت الأحداث بعد ذلك في سويسرا ، وإسكتلندا ، وفرنسا ، و لارامي الوطنية (= هولندا)

ففي سويسرا كان يعمل الحقوقي واللاهوتي الفرنسي حين كالفين ، وكان هذا قد طهر في حبيب في العام ١٥٣٦م ، إذ كانت قد بدأت المعركة هناك ضد الكاثوليكية ولم تمض خمس سنوات حتى بات كالفين دكتوراً على الهندسة حتى آخر حياته في العام ١٥٦٤م وبعد أن أعلن معصاه عن الكاثوليكية ، لم يرجع كالفين إلى حليفه في الطور الأول من الصراع ، إذ أعده حرقاً بعد نظم كالفين الحياة في مدينته - دولته على نمط عيش الطائفة الديبية ، فمعرض عليها التقشف حرم عاء الأعاني الزمنية ، و لرقص ، والأكل حتى الشبع ، والشرب حتى الارتواء ، وارتداء أزياء البراهية الألوان وفرض التردد على الكنيسة واعتناق أفكاره. وكان الموت حرقاً بانتظر كل متردد وقام على رأس السلطات الروحانية والرمزية الراعي (كالفين) ، ومجلس من الأساقفة

ولم تقتصر الكالفينية على سويسر وحدها فقد ترسخت في إنكلترا أيضاً. وبحقيقة أن الكالفينية كانت تتوعدة من تنوعات البروتستانتية. ولكن إنكلترا مصت إلى أبعد. فبعد العام ١٥٢٤م. يقف ملك إنكلترا على رأس الكنيسة الأنكليكانية. ومن الوجهة التنظيمية حافظت الكنيسة في إنكلترا على النظام الأسقفي. ومن حيث الطابع المذهبي اقتربت الكنيسة الأنكليكانية من الكالفينية. وشاعت هنا أسرعت الأكثر رديكاً تحت اسم النوريتانية. وبحولت اسكتلدا إلى مركز للنوريتانية. لقد سار الصرع بين الكاثوليكية والكالفينية. وتعرض أبوريثيون للملاحقات ضارية، فهاجروا إلى البلدان الأخرى، خاصة أمريكا الشمالية وهكذا كان لبريتانيون أول المهاجرين من إنكلترا إلى إنكلترا الجديدة بحثاً عن حرية العقيدة الدينية ومع الرمن ترسخت مواقع البريتانية في إنكلترا.

كما تأوتت اسروتستانتية في فرنسا بالكون الكالفي أيضاً وكانت الكالفينية قد سررت إلى حد من سويسرا. وقد دعي أنصار الإصلاح في فرنسا بالهوجسوبيين. وقد اشتهرت من تلك لحقب ليلة دعيت ليلة برثولماوس التي وقعت في ٢٤ آب من العام ١٥٧٢م. وفيها أقام الكاثوليك مجزرة مروعة بالبروتستانت، وكان مركز الكاثوليك وقتذاك في جنوبي فرنسا ولم يكن البروتستانت الدين كانوا يعملون باتجاه الشمال، أقل وحشية من الكاثوليك. وقد وصف بابا روما ذلك بآخرة الصلاح الأصمى.

وقد تيار آخر في البروتستانتية دعي الأنابابيتية وقد اعتمد هذا، التبر على فقراء المدن ودمي هؤلاء أفكار المسيحية الحقّة، و تعيش جماعة كما عاش المسيحيون لأوئل، وقيل عن إيديولوجيتهم: بعضهم يحتفل بالقيامّة وآخرون لا يحملون بها... ودعوا أساس إلى مصرعه ضل شر بالصلوات، وحرّموا على مصارعهم أن يحملوا أي سلاح، ووقف الأدبابتيون صدأ اصطهد الإنسان للإنسان ور وا أن الإنسان يمكن أن يواصل مع الإله بتمسه من غير وساطة أحد.

لقد رفضت البروتستانتية حقّ الكنيسة في تأويل التوراة ومنحت هذا الحق لكل مؤمن. ولكن الوصية الأولى، الإيمان بالإله الواحد، بقيت هي الأساس. هكذا رأى لوتر، وكذلك رأى كالمين

وغني عن البيان أن الإصلاح الديني لم ينه وجود الكاثوليكية، هاتخذت هذه إخراجاً مضادة معوت في التاريخ باسم الإصلاح المضاد وفي نهاية المصاف عرقت بلدان أوروبا وعود الكاثوليكية و لبروتستانتية معاً. وقد دافعت الكاثوليكية عن موقعها بوساطة أحويه

اليسوعيين التي أنشأها البابا وفي انصرع من أجل مرض سيطرهما أسخدم الكاثوليك
واسرؤستب معاكم التفتيش استحد مأ عريضاً حدأ

وفي القرن ١٨م طلع أخوية اليسوعيين أوج اردهاره، فتعمل اليسوعيون . من
مختلف بلدان العالم . إلى الهند ، وجنوبي أمريكا . واليابان . والصين ، والكونغو ،
ومدغشقر ، والتيت ، وشالي أمريكا ، والباراغواي وقد شكلو في هذه لأخيرة دولة
داخل البونة ، واسمر حاكمهم هنا ١٦٠ عاماً متواصلة . وفي أوروبا أيضاً كانت مواقع
الأخوية قويّة ، فقد امتلكت هيا شبكة من المؤسسات لتعليمية ، ولكن في لعام
١٧٧٣م أصدر الباب كليمنت الرابع عشر إراد ، خاصة أعلن فيها حلّ الأخوية اليسوعية
ولم يفعل البابا ذلك إلا بعد صراع طويل بينه وبين ملوك أوروبا المريسة وأمرائها ، من
وقتاب المجتمع كلها ومن المعروف أنه لم يكن للأخوية سوى هدف واحد فقط ، هو
اصناف البروتستانتية بيد أنه باب من الواضح أنّ فعل ذلك هو ضرب من لجنون وتحميمه
أمر مستحيل

ولما ظهر نابليون بونابرت على المسرح الأوروبي ، نشأت بينه وبين البابوية علاقات
متباينة ففي أول الأمر عقد هذا تحالفاً مع البابا ، لكن الأمر ما لبث أن وصل حدّ إعلان
البابا حرمان نابليون من ابكتيسه ، وردّاً على ذلك اعتزل نابليون البابا وسحبه ، ولم يعد
هذا إلى روما إلا بعد سقوط نابليون . ولكن لم يمض وقت طويل حتى استسلمت دولة البابا
أمام صفت قوات الملك الإيطالي . وخرجت من الوجود نهائياً بيد أنّ الكنيسة
الكاثوليكية لم تفقد قوتها ، إذ كانت تملك في إيطاليا نصف مليون هكتار من أحصب
الأرض صبي الزراعية وتحصيل الفتيكان شيئاً هشيناً إلى تطوير نشاطاته بما يتلاءم
والمسجدات . أسس المصرف ، ومديق الادخار وسوى ذلك من الاستثمارات و المؤسسات
التي تدر أرباحاً جيدة . وفي العام ١٨١٤م أصدر البابا بيوس السابع إرادة لإعادة إحياء
الأخوية اليسوعية

وفي القرن ١٩م انقسمت لبروتستانتية . من عدد كبير من لبريات ، ملأوة على
اللوثرية والكالمبية ، والانكليكانية ، ظهرت تيارات أخرى مثل طائفة الأدفيسيين ، وحيش
الخلاص ، ، العلم المسيحي ، ، شهود يهوه ، و . كما تطورت كذلك الطوائف البروتستانتية
الساكنة والمبوتيتية ، وليثودية ، ولكو كبرية و . وقد حظيت البابية بانتشار خاص في
الولايات المتحدة الأمريكية وهناك تيارات كثيرة في البابية وقد بدأ منذ العام ١٩٠٥م .
الاتحاد العالمي للساكنين .

وفي العام ١٨٣٣م أعلن البابتي الأمريكي ميلر عن نشوء مذهب الأدينتية ومكان
مؤسس هذا المذهب يتنظر مع أنصاره الظهور الثاني للمسيح في العامين ١٨٤٢-١٨٤٤م.
وبقدس هؤلاء الست بدلاً من الأحد وهؤلاء صار أدينتي حاص يدعى أدينتي «اليوم
السبع». وبتنشر هؤلاء في شتى البلدان. وثمة هيئة تدعى المؤتمر العمومي لأدينتي اليوم
السبع

وفي العام ١٨٧٢م تأسس في الولايات المتحدة تيار أدينتي دعي في بادئ الأمر: «أنصار
التوراة»، ثم «معشر رسالة أنشوراة» بزج بحراسه. وبعد العام ١٩٢١م بات هذا التيار يدعى
«شهود يهوه»

لفصل الرابع عشر

الكنيسة الروسية الأرثوذكسية

في حوالي العام ٩٨٨م اعتنقت روسيا المسيحية في عهد أمير كييف، فلاديمير ولكن انتشار المسيحية في روسيا كان قد بدأ من قبل ذلك بزمان طويل، وتواصل مئات السنين الأخرى بعد اعتماد روسيا وقد اعتنق الأمير فلاديمير الإيمان المسيحي على أيدي كهنة سرنطة أمّا المؤسّس الحقيقي للكنيسة الروسية، فهو الأمير ياروسلاف الحكيم خليفة الأمير فلاديمير ولم يظهر المتروبوليت الأوّل في روسيا إلّا في العام ١٠٢٧م وكان هذا، هو الإعرمي فيوفيمب الذي جاء من بيرنطة والمتروبوليت الكييفية كانت تابعة لبطيركية بيزنطة. وكان بطرركة هذه الأخيرة هم الذين يميّزون متروبوليت روسيا. ولكنّ الأمراء الروس ما لبثوا أن أخذوا يعيرون لمتروبوليت بأنفسهم. فقد أسّسوا في روسيا مؤسسات لتعليم رجال الدين وأخذوا على عاتقهم مهمّة تمويل الكرسي الأسقفي. وهكذا مع ابوقت، أخذ رجال الدين الروس بتكاثرون في الكادر الكهنوتي للبلاد. كما تزايدت أعداد الأديرة في البلاد وكانت هذه مصدراً سكو در الدينيّة والأساقفة فتنة كثرة من أساء فئات المجتمع العلي دخلت الأديرة وكانت الحالة لاقصادية للكنيسة في تحسّن دائم. فقد كان عشر دخل سكان روسيا كلها يذهب إلى الكنيسة، إضافة إلى تقدمات الوجهاء، والإقطاعيين و وكان موهب الكنيسة الأرثوذكسية الروسية حيار اسماثل الاخلاقية وسواها من المسائل لأخرى مثله مثل مواهب الكنائس الأخرى، فالذين لهم صلة بالواردات والمطلبة يمشون من حيث السلوك في كل زمان ومكان.

في العام ١٣٢٦م. أُنشئت في موسكو لكرسي المتروبوليتية وانتقر مركز الكنيسة الأرثوذكسيّة الروسية إلى موسكو ولكن بقي تعيين الأمير للمتروبوليت يحتج إلى مصداقة بيرنطة فعادول الامر ديمتري دونسكوي تغيير هذا النظام. لكنّ بعض الأساقفة قاوم سعيه بيد أن السلطة المركزية أحدثت تكسب مريداً من العوة. ومع بزايد قونها صار الأساقفة يخصصون شيئاً فشيئاً لسلطة متروبوليت موسكو

وفي العام ١٤٣٩م توصل مجمع فلورنسا إلى وحدة بين الكاثوليك والأرثوذكس. ووضع الاتفاق متروبوليت موسكو، اليوسابي إيسيدوروس. لكنَّهُ وضع هور وصوله إلى موسكو موضع لإقامة الجبرية في الدير ومن تلك اللحظة تحررت الكنيسة الروسية من تبعية بطريركية القسطنطينية ويات مجمع رجال الدين لروس هو الذي يعيّن المتروبوليت وسرعان ما سقطت الإمبراطورية ليرنطية درمتها

لقد صكّن أساقفة الأرثوذكسية يدعون «سلاطين، حكاماً، أرساء»، وهي تسميات تعكس كلها واقع الأشياء. فالأساقفة المذكورون كانوا يوماً قطاععيين كباراً همذ كانت الكرسي لأسفعية مؤدّي وطائف قصائثه وكن تحت نصرتها حكامد بيروغراطي مهول: من جامعي العشر، والكتية، وناطري اصياع وما إلى ذلك.

ومذ العام ١٥٠٤م أحدث الكنيسة الروسية تشن حرباً ضارية ضدّ الهرطقة، فهي العام المذكور اتحد معمعهها فراراً باجتثاث كل صرب من صروب الهرطقات وتبع هذا القرار سيل من الإعدامات

وسعى إيمان الرهيب إلى مركرة سلطة الدولة ومعها سلطة الكنيسة فتعد مجمماً (مجمع المائة فصل)، أصدر قراراته في سنة هُمل سمعت مختلف مسائل حياة الكنيسة و الدولة

لقد أؤكد المجمع على أن «الخوارجة والقذلية في حالة سكر دائم في الكنيسة، ويمصون دون وجل يتبادلون الشائم، الأمر الذي يهلك أرواح المؤمنين سدى، و...

وحرّم المجمع على المؤمنين العرف على الآلات الموسيقية، وحلق اللحية، واللعب بالشطرنج وقراءة الكتب ذات المحتوى غير النقي، وتنظيم عروض ألعاب ومشاهدتها وحرّم عليهم أيضاً قامة أي صلات مع الأحناب، الدين عنوهم هراطقة، وملحدين

ولكنّ البطريركية الموسكوية لم تتأسس إلا بعد يقان الرهيب، فلم يتمخض هذا إنشاء مناهض لسلطته، لقد تأسس هدم في عهد القيصر فيودور، وقد أسسها هو وزوجته القيصرة إيرينا وأحوها نورييس غودونوف وتقررت المسألة برمتها دون مشاركة رجال الدين

وفي العالم ١٦١٢م انتخب المجمع المحلي معائيل رومانوف قيصرًا على روسيا وكان و لديه هيلاريت، بطريركاً. وقد أحد هيلاريت يحكم بدلاً من ابنه، الأمر الذي شكل سابقة للبطاركة الذين جاؤوا بعده، ولكنّ أسيصر الحكسي معالوفيتش وصبح حدًا لهذا، وأعاد الأمور إلى نصابها. لقد انتصرت السلطة الزمنية، بيد أنه تأتي لقيصر ان يحوض صراعاً ضدّ البطريرك بكون.

لقد كان نكحون هذا نموذجاً للشخصية الروحية العليا، التي نجح في وقت قصير جداً أن يجمع ثروة مهولة لا تقدر ولا تعد! فقد كان هذا الشخص الأكثر ثراءً في روسيا بعد القيصر مباشرة. ولذلك طال الصراع بين الرحلين وفي نهاية المطاف قرر اجتماع مجمع الأساقفة أو ممثلهم حراماً ليكون من مرتبة الطوبى، ونفيه.

وفي عهد نيكولاي وقع انقسام في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. ففي بادئ عهده عندما كان القيصر يدعمه، بدأ نيكولاي تدقيق كتب الصلوات وتصحيحها، فقامت أمام الكنيسة مهمة صحيحة توحيد الحياة الدينية في البلاد. وقد قصص ذلك وجود نص صلوات واحد متماثل، وشعائر واحدة، ومرثنة خدمة دينية واحدة.

وكان مجمع الفصول المائة قد أقر في حينه رسم إلتزام الصليب بإصبعين وليس بثلاثة. كما قرر أن ترسم الإشارة وفق حركة الشمس، وليس عكسها وقرر كذلك ترتيب الملوك مرتين وليس ثلاث، ولكن نيكولاي ألغى هذه القرارات واستبدل «المرتبة» بثلاث مرات، إلا أن رجال الكنيسة رفضوا الأمرات سلطات نيكولاي فأطلقوا عليهم اسم أتباع الطغوس القديمة وأخذ نيكولاي يلاحقهم ويضطهدهم بسبب عصيانهم أو مره، بيد أن التأثيرات بعد ذاتها لم تكن تستحق تلك الملاحقات، وذلك التثكيل، فقد قال نيكولاي نفسه عن كتب الصلوات القديمة والجديدة «هذه جيدة وتلك جيدة، ولا فرق؛ فأخدم بالتي تشاء منها». ولكن قد قال هذا في حديث خاص مع إيفان بيروفوف؛ بيد أنه في واقع الحال لاحق أتباع الطغوس القديمة بالسيف والنار. فمن منهم أعلن نوبته أعيد إلى الخدمة. وسمح له بأن يقيم الخدمة الدينية حسب الشعائر القديمة إذن. وكانت المسألة الأساسية في ذلك الصراع كله، هي إظهار السلطة، وإعلان عن أن تحدي تعيمات لشخصات الروحية السامية، هو من المحرمات

لقد كان مدى الملاحقات كبيراً جداً، فالدين وقموا في وجه التعليقات الجديدة فكانوا صكراً، ولم يقتصر الأمر على رجال الدين المسيحيين فقط، إنما قام ضد هذه المستجدات أمراء أيضاً ومن أشهر هؤلاء الأمير أفانكوف. لقد أنصروا الشعائر القديمة إلى ديرة معينة، وقطعوا ألسنة بعضهم وخذلهم بالسياف. فقط لأن هؤلاء المؤمنين أرادوا أن يرسموا إشارة الصليب بإصبعين لا بثلاثة فسألت الدولة، وفتش الأعلام في رحاب روسيا كلها. لما إذا كانوا يصطادون الناس على مناد السلالة كلها، فيعذبونهم، ويخربونهم، ويقطعون رؤوس بعضهم، ويحرقون بعضهم لأحراراً أم الأمير أفانكوف نفسه فقد عزلوه من سلك الكهنوت مع أنصار لطفوس القديمة الآخرين، وأرسلوه إلى سجن بوستويرسك وكان عليه أن يقضي ما

تبقى له من العمر هنا في حصره رطبة يبهشه فيه البرد والجوع واقتلوا ألمنة بكثرة ممن حكم عليهم بالتقي وقد تساءل أساقبكم يوماً «بالتشأ» بل بالسوط والمشاق يريسون أن يرسخوا الإيمان بالدين! فأى الرسل كرز بهدا؟ أنا لا أعرف. فمسيحي لم يأمر رسلاً بأن يعلموا «هكذا». في العام ١٦٨٢ م. أُحرق أساقبكم حياً في بوستوربرسك فتحوّل دير سولوفيه إلى حصن أنصار الطقوس القديمة. إذ رهض رجال الدين فيه الاسترشاد بكتب الصلوات القديمة ولإخماد العصيان أرسلوا القوات العسكرية ضدّ الدير، فحصره ثماني سنوات.

وفي العام ١٦٧٥ م. انتشرت موجة إحراق أنصار الطقوس القديمة أنفسهم وقد راح ضحية تلك موجة أكثر من عشرين ألف شخص رموا بأنفسهم إلى النار طوعاً واستمرت تلك الموجة على امتداد لقرن ١٨ م. كله ولم تتوقف أعمال لحرق الداتي تلك إلا في عهد كسرين الثانية

أما بطرس الأكبر فقد اتّحد من رجال الدين موقفاً وفعياً بعيداً عن لحوف والاحياء لكثته ثم يسمح بأن يرفع أحد يده في مواجهه الدين. وقد اشتهرت عنه الواقعة التالية عندما سحرف ر. ثاتيشيف من بعض أسفار التوراة، استدعاه بطرس إليه وضربه ضربة بعصااته الشهيرة، وهو يقرأ له «كيف تحرّو على أن توهن مثل هذا لوتر الذي يؤلف إنسجام اللحم كله؟ سوف أعلمك كيف تحترم المقدس! ألا تقطع حلقات السلسلة التي يحتويها الباء كلها فلم أحاول أنا أن أدرك من الجهة التي تندو فيها عدواً للمجمع والعكسية»

ثمّ أحيا بطرس الأكبر الأمر اسيري القاهمي بإدارة أملاك لكنائن والأديرة كلها. وانتقلت إدارتها الآن إلى الدولة وبعد ذلك ألغى بطرس الكرسى البطريركي وأدخل نظاماً جديداً لإدارة لكنيسة شبيهاً بإدارة الكنيستس البروتستانتية. فباتت لكنيسة تدار الآن من قبل لحنه روحية. وبذلك تكون لبطريركيه قد أبعيت وعدت الدولة تدبير شؤون الكنيسة وفيما بعد وضع بطرس على رأس الكنيسة «سينودوس حكومياً» قدس» وقد تألف ذلك «سينودوس» (مجمع كنسي م) من عدد من كبار الأخبار وكان هؤلاء تحت إداره شخصية زمنية حملت لقب النائب العام. وقضى أمر بطرس الأكبر بأن «ينتخب إلى السينودوس صابح صالح، يتمتع بالشجاعة ويكون قادراً على إدارة شؤون لسينودوس ومعرضها، وأن يكون له نائباً عاماً...». ثمّ أمر بطرس بتحويل حرم من الأديرة إلى ملاجئ ليجود الكهول واستقاعدين. وقد فعل القيصر ذلك كله لأن رجال الدين الأرثوذكس (والرهبان منهم في المقام الأول) قاوموا كل جديد أدخله.

كما وسعت كاترين الثانية بيورها رحل الدين تحت سيطرتها فهي حديثها إليهم قالت القيصرية: «إن مهمتكم هي إدارة الكنائس، وإقامة الأسرار المقدسة والكرامة بكلمة الإله، والدفاع عن أسس وإقامة الصلوات، والالتزام بالعفة. هأنتم علماء الرسل الذين أمرهم الإله بحث لناس على احتمار ثروات الدنيا، وهم أنفسهم كانوا فقراء جداً فعملتكم لم تكن من هذا العالم أتهمونني؟ لقد سمعت هذه الحقيقة من أفواهكم كيف يمكنكم أنتم، كيف تتجاسرون من غير أن تنتهكوا سمو مكانتكم على متلاك ثروات لا حصر لها، وأملك لا حدود لها تجعلكم على مستوى الملوك؟ أنتم متورون، ومكرسون، ولا تستطيعون ألا تروا أن هذه الثروات شكلها قد بُهِت من البولية. وإذا ما كنتم تحترمون انسابكم وكنتم من رعاياي المخلصين، فإنه ينبغي عليكم ألا تتأخروا بقيمة واحدة عن عاده كل ما استحوذتم عليه بطرق غير مشروعة، إلى اسولة»

إذن، لقد كان القيصر هو الذي يدير شؤون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عملياً أي إن هذه الكنيسة كانت كنيسة حكومية دحل الأراضي الروسية. ولذلك عد الارتداد عنها جريمة جنائية. وكانت تتبع الكنيسة شبكة من المدارس الحلية والمعاهد الأسقفية كما كان اللاهوت الأرثوذكسي يدرس في المعاهد التعليمية العليا وكانت هناك أعداد كبيرة من القباطات الروحية في الجيش والأسطول وأدارت الكنيسة الأرثوذكسية نشاطاً بشيرياً مكملاً لتحويل مسلمي الإمبراطورية الروسية، ويوديبها، وشامانيها، ويهودها إلى المسيحية الأرثوذكسية

سرُّ الجبروت

لقد قام جبروت جنكيز خان في أن ميثاقه (الياسي، أو كتاب المحرمات) قصي بحرقة العقائد الدينية واتخاذ موقف واحد متماثل تجاه الأديان كلها ولم يكن تلك أساليب مجرد رغبات، إنما مدني صارمة كان انتهاكها يكلف سره حياته وكان كل من حلفاء الخان العظيم يضمن قبل توليه العرش بمن الولاء «لكتاب المحرمات» والالتزام به وإذا ما حالف ذلك يُنزع لعرش منه وقد أُنكِت لأوامر الحانية بوجه خاص، على احترام دينه الروس وكان عصاب من ينتهضها شديداً.

وكتب المطران مكاروريوس يقول في هذا الصدد «وكان صميم أن يأخذوا الأديان تحت حمايتهم في كل مكان تقوم عليه سيصرتهم ويحيزوا لكل من رعاياهم والشعوب الخاضعة لسيطرتهم أن تحافظ على عقائدها الدينية، وتقيم طقوس عباداتها، فهم أنفسهم التزموا بالطقوس وكدوا يحضرون طقوس وشعائر مختلف المذاهب المسيحية، والمحمدية، واليهودية، وسواهم ومن المعروف على سبيل المثال، عن غايوب، أول أباطرة المعول بعد إخضاعهم لوطنا (يمصر روسيا، م)، أنه كان معه كهنة مسيحيون يتلقون نفقات شهرية منه، وأنه أقام أمام حيمته مصلى مسيحي ثابتاً كانوا يقرعون ناقوسه بحرق، ويؤدون فيه الخدمة أسبوعية وفق الطقوس الكنسية الإغريقية والملوك عنه أشهر به أيضاً لامبراطور. أو الخان العظيم، ما بعد (١٢٥١ ١٢٥٩م)، الذي أقام كنيسة عند مدخل قصره كان الكهنة المسيحيون يقيمون فيها طقوس حياتهم دون أي عائق. وماكم ما يشهد به شاهد عن مسيحي عن خليفة منمو، الخان العظيم كويلاي (١٢٦٠ ١٢٩٢م)، وكان الشاهد المعني بخدم عند الخان كويلاي لما كان الخان يعرف أن الفصح واحد من عيونا الرئيسية، فقد أمر بأن يأتي إليه المسيحيون معهم حاملين معهم الكتاب المقدس الذي يحتوي الأساجيل الأربعة وبعد أن يقرأ الكتاب بالبحر، قبله بكل احترام وأعطى الأمراء الحاضرين كلهم ليقبله كل بدوره أيضاً وفي هذا دينه في كل عيد من أعواد المسيحيين الكبيرة كما أقام أيضاً أعياد لمارتس، واليهوديين، والوثنيين، ثم ناع لمطران مكاروريوس روايته، فكتب

يقول «ومع ذلك هُتْمَ شيء واحد كان يتناقض مع ذلك التسميح لديني، وهو أن الحانات
كانوا يرغبون بعض الأمراء الروس الذين يزورونهم على تأديبه طقوس العبادة المنعولية، عبور
النار، والسجود لقرص الشمع، وبكس الحانات لم يروا في هذا أي شكل من أشكال
الإكراه، أو الانتقاص من أي دين كان لأنه كما أنهم هم أنفسهم يلتزمون بديانة شعبيهم،
ويؤدون في لوقب عينه يات، الاحترام مختلف الأديان الأخرى، ويحضرون في أحيان كثيرة
أقامة لقداس المسيحي، بل يقبلون الإنجيل أيضاً، وكذلك لم يكن بمقدورهم أن يحدوا أي
صور في أن يؤدّي الأمراء الروس طقوس ديانتهم (أي ديانة الممول. م.)، دون أن يكون بذلك
معنى الارتداد عن دينهم المسيحي. ولكن المفاهيم المسيحية تروى في السجود لألثة الباطل
كمرأ بالآله الحق، وبؤكّد على أنه ينبغي على مسيحي أن يموت في سبيل دينة، وألا يؤدّي
طقوس ديانة وشية.»

ولم يغيّر الحانات التتر موقفهم من اكنيسه لأنثودكسيه الروسية حتى بعد أن
عشقوا الإسلام، كما لم يغيّر موقفهم تجاه أي ديانة أو معتقد آخر، فقد بقيت محرمات
جكبير خان موضع التزام صارم وكان يأتي يدي اعتنق السيادة لروسيّة عمياً، قد أخرى
أول إحصاء سكاني في العامين ١٢٤٦-١٢٤٧م وكان الغرض من الإحصاء، هو تنظيم جندية
الأقوات، وماله دلالة أن رجال الدين كدوا خدح عملية الإحصاء، لأنهم لم يخصصوا لتأدية
الأقوات، وقد صدر الخانات التتر أوامر بسخت حقوق رجال الدين الروس، ففي الأمر الذي
أصدره الخان ميغو-شمير (١٢٦٦-١٢٨١م) وسلم للمروبوليت كيريل في العام ١٢٧٩م، أكد
الخات على ساحة دين لروس من أي انتقاص أو هانة، وحماية موجودات المداس الإلهي
الحرجية من كل تطاول وأكد الأمر خاصه على أنه إذا ما ستقص احد من مقام دينهم أو
شتمه، فلا كفارة لإشمة سوى الموت، أو بما في فانون مدارسهم وكتابهم، أو بأي شيء
آخر يصلون به للإله، لا يعطى، ولا يمسده.

وكما نوهت قبل قليل، فقد أعني رجال الدين من الأقوات، والرسوم، والحيات
وكانت أملاك الكنيسة وقصاً حرماً التطاول عليه وأعفي خدم الكنيسة الدين كانوا
تابعين للأساقفة، ولسلطة الكنسية. أعفوا من أعمال السخرة لدى الدولة، وقد شرعت تلك
الإعفاءات كلها بأوامر من الخانات كلهم، ممن فيهم الخانات الذين اعتنقوا لدين
الإسلامي.

ولم نمتصر حكمة التتر على هذا الموقف الحكيم من ديانات الشعوب الأخرى،
ففي كراكوروم كان يقيم في قصر الحانات العظام خدم ديانات لشعوب الحاضنة ستر

كلها وابتداءً من العام ١٢٦٦م. بات سروس ممثلهم لدى الخانات وقضى التقصد أن يكون أحد الأساقفة هو ذلك الممثل وهذا أضحوا به مراً في ساري. عاصمة الخانات. زيادة إلى هذا سمح للأسقف الأرثوذكسي أن يكرر بتعاليم المسيحية في عاصمته القتر. وأن يعقد من يكسبه إلى ديه من رعايا الخان، علماً أن الخانات أجمعهم كانوا وثنيين، وهكذا نجح الأسقف فيوغناس أن يكسب القتر إلى صفوف المسيحية في ساري نفسها إبان زمن الخانات الوثنيين وقد دعا الخان بيركه إلى ساري أسقف روستوف كيريل ملاً أن يمكن هذا الأخير من شفاء ابنه المريض وتميراً عن شكره أمر الخان بتقدمة سوية ثبت والدته لإله المقدسة ولكن الأسقف كيريل نجح في أن يقدم أكثر مما ينظروا منه. فقد روى لهم ببلاغة فائقة عن الإيمان الأرثوذكسي، وسدوا أن بلاغته وصلت حدًا جعل ابن أحم الخان يعود معه سرًا إلى روستوف حيث اعتمد. وفي عهد الأسقف غناطيوس بنى بيتاً في روستوف وتروّج هذه أرثوذكسية روسية وبعد أن ترمّل صار إلى راهب سمعته الكنيسة الأرثوذكسية لروسيه إلى طائفة القديسين ومنحته اسم بطرس. ولم تكن هذه القصة استثناء فالخانات رأوا أن التواجد بين الشعوب أمر من طبيعة لأشياء وفي وقع الأمر أن التروّج من الروس والتتر لم يكن من الأمور النادرة بحلول هذا الأمرء والوجهاء الروس كانوا يتزوّجون تترسات، وكما كانت هؤلاء تتحوّلن إلى الدين المسيحي. ففي العام ١٢٥٧م تروّج الأمير الإفلهاهي ييلوريرسكي، غليب فاسيلكويفيتش بتربيته الخان بيركه. كما تروّج أمير فيولور روسيسلافيتش يروسلافسكي رواجاً ثانياً بابنة الخان مينغو تيمير واعتمدت روحه الأمير متحدة اسم أنّا ويؤكد المؤرخون أن هذه المرأة تميّزت بصفة فائقة، وتروّج الأمير اوسكوف في عيوري دي يوفوفيتش بأخت الخان الأوزبكي وعتقت هذه الدين المسيحي أيضاً، ثم احتارت لنفسها اسم أعادها، بدلاً من اسمها كونيشتكا

وشقة حصول وعبرة في أنصاف الصلابة «لروسيه» الرئيسة ميشيرسكي، وأيتشكوف، وعودوفوف، وعليسكي، وغرنازي ووها نحن نسوق شهادة مؤرّج «من المشهورين الذين عسقوا لربنة المقدسة: بيكليميش ابن الأمير بهاميت الذي جاء في العام ١٢٩٨م من المعسكر الكبير إلى ميشيرا، فامتلكها وصار إلى مؤسس سلالة الأمراء ميشيرسكي. وفي ميشيرا، قبل بيكليميش سرّ المعمودية ومعه عدد كبير من القتر. وبعد المعمودية تسمّى بيكليميش باسم ميخائيل وبسكنهم بريوبروجيمسكيا. وفي العام ١٣٠١م جاء من المعسكر لكبير (مقرّ الخسان. م.) إلى الأمير يوحنا

د نيلوهيتش كاييتا، بيركا، من بحار، وهنل سرّ المعمودة على سد المتروبوليت المقدس بطرس، وتسمى بعدها باسم يوحنا، ثم بات جدّ المؤسس لسلالة أستشكوف، وبعد أن اعتمد أريديتش ابن الحارسات المسقف المؤسس لسلالة بيلووتوف ويتنمي إلى البيلووتوفيين، الأسقف مكاريوس مورزا تشيت الذي جاء إلى موسكو في العام ١٢٢٣م وفي المعسكر الكبير توفى ليأخذ قسماً من كراجه عند ملتقى نهر كوستروما مع نهر الفولغا وبينما هو نائم رأى تشيت المريض والدة الإله في حلمه وهي تحمل طفل الشارة، ومعهما الرسول فيليبوس بصليّ والقديس إيساتيوس عافرسكي وفي تلك اللحظة نال تشيت نعمة الشفاء، ولما وصل إلى موسكو قبل سرّ المعمودة ونسبى باسم ركريا، ثم نعى في المكان الذي ظهرت له الرؤيا فيه دير إيساتيوس الكوسترومي وقد أسس نشست - ركزت سلالة غودونوف وإلى الأمير العظيم ديميتري دوسكوي، جاء ابن الحارسات مركيز، الذي صار إلى مؤسس سلالة سناركوف «الروسية» وجاء حميد الحارسات ماماي، الأمير أويكسا، إلى الأمير الليتواني العظيم فيثوف، و اعتمد في كريف متخذاً اسم الكسندر، ثم أسس سلالة الأمراء انجليني، وإلى هذه السلالة كانت تنتمي الأميرة يلينا العظيمة، والدة القيصر إيمان ارهيب وإلى هنا نكتفي بهذا القدر من النص، مع أننا نستطيع أن نسوق كثيراً مما هو مهم من منشأ السلالات «الروسية الأصيلة» مهم لأن قوة الأمة، أو بمعنى أدق قوة العرق، تقوم في تحاليل القوميات. فالروس قوياً بكونهم ليسوا روساً صرف. من الأصح الحديث لا عن الروس، إنما عن الروسين. أم أفصل تعريف للعرق، وربما يكون التعريف الأكثر صحة ودقة، هو العرق الذي كان يتطور مردهراً أردهاراً قوياً على أرضي. لاتحاد السوفييتي، الشعب السوفييتي فلم يكن ذلك مجرد صيغة اسمية شكلية، ولم يكن مجرد مصطلح، إنما جوهر لعرق جديد كان يتمتع بعنصر روحي وأخلاقي كبيرين، مكناه من يهرم بنجاح العدو اللدود للشعوب والحصارة العنصرية القومية

لنعد الآن إلى السير التاريخي - المنطقي فثمة وقائع معروفة على نطاق واسع عن إعدام كثير من الأمراء لروس في المعسكر الكبير وهذه حقائق يعرفها كل مهتم، ويتضح جوهر ما حصل من الأمثلة التالية

في العام ١٢٤٦م، استدعى الأمير تشير فيغوفمكي ميخائيل هسيغولونوفيتش إلى المعسكر الكبير وقبل أن ينطلق من دياره أقسم الأمير أن يسمت دمه في سبيل المسيح

فقبل أن يدخل أي مكان إلى البحر، كان عليه أن يمر بين نارين ويسجد للشمس والنار
وكان الأمراء الروس كلهم تقريباً يؤدون هذه المرائض دون عترصات تذكر، لا سيما أن
أحدًا لم يرغمهم على الارتداد عن دينهم. لكن الأب لروحي لميخائيل شميغولودوفيتش كان
قد روده قبل انطلاقة بما عقد الأمر وزاده سوءاً. فقد قال له، إن قلّة من الأمراء الذين راروا
المسكرك الكبير حافظوا على وجدانهم المسيحي، وهكذا رفض الأمير رفضاً قاطعاً أن
يؤدّي الطلّس المبروص على جميعهم وقال «أنا مستعد لأن أنحني أمامك، فالإله هو الذي
منحه مجد السلطة على ممالك الأرض، لكنني لن أنحني لما يحزنني له هناك. فحاولوا طويلاً
إقناع الأمير. فأجابهم «لن أستمع لكم، لن أهلك روحي» فأعدم وريثه وكانوا قتيلاً قد
ذكروهم بالتوفد التتري الذي جاء إليه في كيبب من غير سلاح، بمعرض ستمسلا التتر
الحاصرين، فأعدم أعضائه.

وحسر حياته في المسكرك الكبير أيضاً الأمير الريداني رومان أولغوفيتش. فبينما
كان هذا في المسكرك الكبير لم يكف عن الانتقص من الحنان ودينته. وحين كما قد
نوهنا إلى أن التتري كان يخسر حياته إذا ما انتقص من الديانة الأرثوذكسية، ولدت كان
طبيعياً أن يكون محرماً الانتقاص من دين التتر أنفسهم.

وفي صراعهم على السلطة حاول الأمراء أن يحملوا النار بأيدي الآخرين. كان
المتصارعون يعملون على استمالة التتر كل إلى حائنه ولا يتوقفون لحظة عند الافتراء واحدهم
على الآخر. ونتيجة لذلك أعدم التتر ثلاثة أمراء روس. فقد دار صراع على عرش الأمر الأعظم
بين أبناء دانيال الموسكوفي والأمراء التتريسيكيين، وكان لكل من الطرفين حق شرعي
بالعرش موسكوفي لكن لأمبر الموسكوفي غيورغي. يوزي دانيلوفيتش، هو من حرّ التتر إلى
الآخر ط في الصراع، وكان غيورغي هذا متزوّجاً بابنة عمّ لخان أوزبيك، فسُ مع التتر في
العام ١٢١٧م. حملة على قهرسك. لكن الأمير ميخائيل ياروسلافيتش نجح في تدمير الحمة
العارية. ووقعت راحة دانيلوفيتش (أسة هم الحان) أسيرة لدى الأمير التتريسيكي، ومعها ابنائهم
التتري كوفتشادي. فأطلق الأمير ميخائيل سراح أسيريه، لكنهم أسة هم الحان مرضب وماتت.
ولم يفوت الأمير الموسكوفي لمرصه الساحة، بل عمل على أن يستقم من ابن قومه بسببوه التتر
وكانت الغاية الوحيدة هي لعرش، استبطه فما انقلب يفرى على الأمر ميخائيل حتى ألّب التتر
عليه وسبّوا حيثما صده مما اضطره إلى اسفاح عن نفسه. وقد جاءت الساحة مرضية دائسة
للأمر الموسكوفي دانيلوفيتش قبل أن يُعدم ميخائيل سيم مختلف صروب استعديب ثم أعدمه
دانيلوفيتش والفائد التتري كوفتشادي. فقد أقطع هذان قلب ميخائيل، ورموا بجسده عارياً في

الميدان، ولم يحرك المظفر شيئاً في صميم دانيلوفش. لكن البتري كوفتشادي اتهمت إياه وقال: «أخوك لأكبر بمثابة ولدك، فما بالك تنظر في جسده امرئياً؟ هاضمك يوري إلى أن يفتلي جثة مهتاتيل، ويرسلها إلى روسيا، وعاد هو إلى موسكو ومعها أمر بالولاية.

ولكن المحرم لا بد أن يلقى جراحه عاجلاً أم آجلاً. فعندما جاء الأمير ديميتري ميخالوفيتش تيرسكي إلى المعسكر الكبير، نجح في أن يوصل الحقيقة إلى الخضر فأعدم القائد البتري كوفتشادي الذي حاكم الأمير ميخائيل و عمه، لكن الأمير يوري لم يمس سواه لكن أمراً خائياً صدر بتولي ديميتري ميخالوفيتش عرش الإمارة العظمى. فثار لمقتل و لده وقتل الأمير يوري دانيوفيتش في المعسكر الكبير مباشرة فعاد الحسن تصرف ديميتري اعتداء على حرمته؛ وفي العام ١٢٢٥م أعدم ديميتري هكذا كان الأمراء الروس يحققون أغراضهم استيئة بأيدي المر، ولم تكن شؤون روسيا تمال كثيراً من اهتمامهم ومساعيهم، فما بالك بالضمير والدين، وتحسن حظ روسيا أن قلّة من أمرائها فصط سارت على هذه الطريق.

لقد درسنا في هذا الفصل نباتين. اليهودية والمسيحية، من الديانات الثلاث التي قامت على قاعدة لعهدين القديم والجديد وكما قد أشرنا سابقاً إلى أن اليهودية استندت إلى مفتر لعهد القديم فقط. واستندت إلى التوراة بآية أخرى، هي الإسلام فقد ظهر الإسلام عندما كانت المسيحية قد باتت ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية، وكان قد مضى على نشوئها مئة قرون، انقسمت خلالها في شتى الهرطقات المتصارعة في إطار الكنيسة المسيحية نفسها وفي تلك الأثناء كان كثير من المؤمنين المخلصين يدعون إلى العودة إلى مسامع لمسححة لتوراة. ودان هؤلاء مبدأ تمصيم كسار رحال الدين الذي كان قد بات معمولاً به، كما أدانوا الارتداد عن أسس مناميم المسيح

وفي ذلك المناخ المشبع بالطموح إلى تسمية الحضيضة اسمهم من التراكيمات الرديئة، ظهرت تعاليم جديدة، هي تعاليم الإسلام التي لم ير لبي معتمد فيها تعاليم جديدة فقد رأى النبي أن رسالته تقوم في إحياء الكتب المقدسة التي أعطيت لأبراهيم، وموسى، ويسوع لمسيح ونقلها إلى العرب أولاً

الفصل السادس عشر

أصول الإسلام

لقد ظهر الإسلام في وسط شبه جزيرة العرب، وكانت مكة هي مركزه الرئيس، وهنا ولد مؤسس الإسلام الرسول محمد (ص)، وكان هذا الدين الجديد قد نشأ على مقربة مباشرة من ديارتين قويتين تشكلتا منذ أزمنة بعيدة. اليهودية والمسيحية. فالمسافة بين مكة وأورشليم لمست بعدة حداثاً. فكيف تسنى إذن للديانة الجديدة أن تظهر وتتحول خلال زمن قصير إلى ديانة عالمية، وعلى مقربة مباشرة منها، بل تحيط بها ديانة أخرى لها من الجبروت ما لها المسيحية؟

وبكن مثل هذا السؤال لا يظهر إلا لدى غير المصنفين على القرآن. فالقرآن يروي مراراً وتكراراً عن إبراهيم، وموسى، وسواهما من أنبياء العهد القديم، كما يتحدث كذلك عن أشياء كثيرة مما ورد في أسفار التوراة. ملائمة للمسيحية مع الشروط التي كان يعيشها المؤمنون في السان الوثنية. ملائمة الكتاب المقدس مع الظروف التي كان يعيشها العرب في شبه جزيرة العرب. والحقيقة أن تحديث يجب أن يجري لا عن شبه جزيرة العرب كلها، إنما عن إقليمها الأوسط، المركزي فقط، حيث كانت تنتشر هنا قبائل لا تؤلف دولة وحدة. فالمناح العام الذي كان سائداً هناك، كان يحمل اعتناق تماليم المسيح أمراً مستحيلاً لأن مبدأ المحبة محبة البشر كلهم، ومعمرة الأخطاء والسياس، لا يمكن أن يحدثها هناك أي تربة ثقافية واداسات، وربما أي وليد «عباءة» وعادة لتأخر، وسادة ممدأ لمن بالعين والسن بالسن. هذا كله كان جزءاً متعديراً في سلوك سكان ذلك الإقليم.

ولم يكن هذا المبدأ سائداً في مكان خاو مقفر بعيد، إنما في مدينة مكة التي كانت نقطة تقاطع طرق القوافل التجارية الكبرى التي كانت تسر من اليمن وأثيوبيا إلى بلاد ما بين النهرين وفلسطين. ولم تكن مكة مركزاً تحدياً فقط، إنما كانت مركز ديباً كذلك. فإليها كانت تنوافد القبائل العربية لكي تسجد لآلهتها وكان هؤلاء الآلهة يجمعون في مكان واحد، هو عبارة عن معبد مربع الشكل يسمى الكعبة ومن المعروف أن حروباً متواصلة تسنت للسيطرة على مكة وكان محمد (ص) واحداً ممن شئوا وحدة من مثل هذه الحروب ولم

بمكن لأمر بسيطاً، لأنّ الذي بنى هذا المعبد هو إبراهيم نفسه، الذي منه خرجت قبيلة اسرب
الإسماعيليين، أي أحفاد إسماعيل من هاجر المصرية. فقد كان إسماعيل يعيش مع عائلته
مبصلاً عن عائلة إبراهيم. وبعد أن انصهرت سنو كثيرة جاء إبراهيم ليطمئن على أحوال ابنه
وهنا صُلّي معه على صخرة، وحسباً مع يداوان في شؤون الكون، وكان ثمّة قطعة من تلك
الصخرة على معربة من المعبد وهما قرب بئر مرمم أبدي مقل الملاك إسماعيل من مائه، شيد
المعبد وقد حدث ذلك كله منذ أزمان بعيدة، بعيدة، لكنه حدث بالتأكيد ولذلك كانت
القبائل العربية ترور المكان لو مرّة واحدة في العام عدّك عن هذا أن القنصل التي كانت تأتي
إلى هنا لتأدية صقوسها الدينية، كانت تمارس في الوقت نفسه العمل التجاري. ولذلك فإنّ المؤرخ
يقول، إنّ مكّة كانت المركز الديني - التجاري لقبائل شبه جزيرة العرب.

وما يحب التتويه به أيضاً أنّ شعوب شبه جزيرة العرب (في الجبوب، ولشمال،
والوسط)، كانت تعيش مستويات متساة من التقدّم في الجبوب عاشت قبل ميلاد المسيح
بقرور كثيرة، دول كانت على مستوى متقدّم جداً من الرقي الحضاري. وترك لنا بناء تلك
الثقافات معاند، وقصوراً، ومبشآت ثقافية أخرى بديعه وبقي أيضاً ما يوه من سدود،
وحسور، وأعمدة حصرو عليها نصوصاً دوت أهم أحداث تاريخهم. ولكن ما يؤسف له أنّ
المختصين لم ينجحوا حتى الآن في هك رموز تلك لنصوص حتى النهاية، وكانت التوراة قد
تحدثت عن واحدة من تلك الدول، هي دولة سبأ ولكن تلك لدول كلها اندثرت قبل ظهور
محمد (ص) بشرون كثيرة. وكان ثمّة عاملان رئيسان خلف سقوطها أولاً، تحول الطريق
التجارية بين الهند وبلدان البحر المتوسط عن عبور اليمن، ذات يسير غرباً عبر البحر
الأحمر، تاركاً العاصمة السبئية مأرب على بعمه أو يسار.

وهكذا فقدت دولة سبأ وأحد من أهم مصادرها ادهارها ورخائها ولكن الرأيا
لا تحل هراي. فقد وقعت الكارثة لثمة، وهي هرة أرضه أطاحت بسبأ مأرب الذي كان
يحزن بين حدرائه مياه التحال لصكي موزع بعد ذلك على الأراضي الزراعية. وكانت الزراعة
هي المصدر المهم الثاني لواردات لدوه. وهما هو قد اختفى بدوره فققد السكان ومبائل
عشهم، وتحرك كثير من القبائل شمالاً حيث كان يستوطن الإسماعيليون. وكانت واحدة
من تلك لمبائل قد بلغت مكّة، وسوتت عليها، وباتت هي التي تشرف على شؤون المعبد
ثم قامت على أنقاض سبأ دولة جديدة، هي دولة الحميريين. ومع أنّ هذه الدولة عاشت
هرواً، إلا أنها لم تحقق مستوى الادهار الذي بلغته سابقتها وقد مرّت حمية عتق هها
الأمرء وفريق من السكان الديانة اليهودية.

أما هبات شمانى شبه جزيرة العرب فقد تأثرت بالحضارات الإغريقية، والرومانية، والفارسية ونجحت في تأسيس دولها بيد أنها فشلت في احباط على استقلالها بسبب مجاورتها لدول قوية كبرى كبرى ويران. فعلى الفرات الأدنى قامت دولة عربية وقعت في تبعية المملكة الساسانية وقد توضع هذه في شمال - شرقي شبه الجزيرة العربية كما قامت في شمال غربيها دولة أخرى وقعت في تبعية وادي سوريا الرومي

فما الذي كان بحري في وسط شبه الجزيرة العربية ومن ظهور للإسلام لقد كان نمط امعيش العائد هناك نمطاً شبه وحشي، شبه بدوي. ولكن الموقع المتوسط لذلك الإقليم كانت له مبره لقد تقاطعت هب طرق العرب الذين كانوا يعيشون في الأقاليم الأخرى

وبرزت إلى جانب مكة مدينة أخرى هذ، هي مدينة يثرب. وقد كانت هذه مختلف احتلافا واصحاً عن مكة وإنا كانت مكة قد مثلت يوم المركز الديني الرئيس لقبائل شبه جزيرة العرب، فان يثرب كانت مكان تلاقي شبه الجزيرة مع الديانات الأخرى المنتشرة خارج حدودها. فقد كان يعيش في يثرب يهود (إلى جانب القبائل العربية) وكان هؤلاء يدورهم يعيشون قبائل كانت لها أسماء أصلاً بنو قنقغ، وسو مضر، وبنو قريظة لقد عاش لليهود هنا في أحياء خاصة بهم. وغير بعيد عن يثرب كانت تقع مستوطنة يهودية أخرى، هي حبير، وكان ثمة مستوطنة ثالثة، هي بيماء التي كانت تقع بعيداً نحو الشمال. ويجب ألا يثير وجود اليهود هنا أي دهشة، فالأماكن المذكورة لا تبعد عن أورشليم أكثر من ألف كم. كما يجب أن نذكر أيضاً، أن اليهود و القبائل العربية الإسماعيلية يردون بسهم إلى سلف واحد، هو إبراهيم صف إلى هذا أن لعتيها متشابهتان وعدا عن القبائل الإسماعيلية العربية، كانت تعيش في شبه جزيرة العرب قبائل أخرى تنتمي إلى الأرومة بمسها، هي القبائل التي تركت التوراة أنها القبائل التي خرجت من يقطان. ولعمد هذه القبائل قريبة حب من النمة اليهودية والحقيقة أن وجود اليهود في شبه جزيرة العرب لم يقتصر على وسطها، بل كان ثمة قبائل يهودية تعيش في جنوبها أيضاً. وقد حجج اليهود في أن يحكموا هنا لبعض الوقت. ولكن مكة كانت حالة تماماً منهم.

وفي الزمن الذي صهر الإسلام فيه كانت المسيحية قد انتشرت لدى كثير من الشعوب. وقد تسربت أفكارها إلى شبه جزيرة العرب، بما في ذلك إلى يثرب وكان ثمة تنافس دائم بين مكة ويثرب تحول في بعض الأحيان إلى صدام مسلح. وفي هاتين المدينتين كانت حياة محمد (ص) وآيات القرآن نفسها تنقسم إلى مكية ومدينة

محمد (ص)

لقد عاش محمد (ص) الأربعين عاماً الأولى من حياته بصمته محمد (ص) الأمين وحسب، أي مكاني موطن عادي صالح وينتمي محمد (ص) إلى واحدة من العشائر لسائدة مات ولده قبل شهرين من ولادته، ولم تعيش ولادته سوى ست سنوات بعد أن ولدت ابناً. وهكذا تحول محمد (ص) في السادسة من عمره إلى يتيم محروم من أي مورد من موارد العيش بيد أنه على أي حال كان وحداً من قريش، القبية لثرية، وكذلك لم يكن معرضاً للموت جوعاً فهي بادئ الأمر تولّى جدّه عبد المطلب رعايته، ثم بعد وفاة عبد المطلب، تولّى رعاية محمد (ص) عمّه أبو طالب وقد شأ، لمتى قطعاً ومحتجداً، بفهم الحياه، ويعي العلم، فمنذ صباه أخذ يرافق لقوافل التجارية إلى البلدان الأخرى وعندما رافق قافلة صمّه إلى سوريا، نبأ له الرهب النسطوري يحيى في بصرى بمستقبل عظيم، ولم يكتف المسمى محمد (ص) بأن يشارك مشاركة فعليه في الحياة اليومية لسلبيه. فقد شتم في وقت مبكر جداً رائحة الحرب. إذ عندما وقعت في العام ٥٨٤م الحرب بين قبيلته وبني هوزان، ساعد محمد (ص) أعمامه (كان يجمع لهم السهام المنسقطة) وفي أيام السلم كان يرعى لقطعان. وقد جعل الحياة النشطة، والرحلات، والاهتمامات الحادة الفتى محمد (ص) ينمو ويتصور عقلياً وأخلاقياً بسرعة واضحة، فكان دائماً يأخذ على عاتقه القيام بمهم حديّة، وكان في كل مرة يبعج في تأديتها

أمّا حياته الشخصية فقد عرفت منعطفاً مهماً عندما بلغ ثمانية والعشرين، وكان قد نال عندئذ لقب «أمين» وبم يكن هذا اللقب يعني الأمانة فقط، بل كان يعني أيضاً للأمانة، والموهبة، والشرف. وقد اعترف بها جميعهم به في ذلك العام جعلته فريسة بعيدة من أقاربه ناظر على أموالها، وكانت هذه هي الأرملة (متروحة مرتين) الثرية حديحة وكان طبيعياً أن ينتج محمد (ص) في داره استثمارات خديحة، بما في ذلك قيادة قافلته، لتجاريه إلى سوريا. وفي العام التالي تزوّجا، ويؤكد المؤرخون أنه على الرغم من أن خديجة كانت تكبر محمد (ص) بخمسة عشر عاماً، إلا أنهما عاشا حياة سعيدة، فأباحت خديجة من زوجها محمد (ص)

ثلاثة أبناء وأربع بنات لكن الأبناء ماتوا في سن صغيرة وفي الحادية والخمسين من عمره أنجبت خديجة أصغر بناتها وماتت خديجة في الرابعة والستين من العمر وعندئذ كان محمد (ص) في التاسعة والأربعين ويؤكد المؤرخون أن محمداً (ص) لم يتزوج أي امرأة أخرى في حياة خديجة، كما أنه لم يعرف أي امرأة غيرها، وعنه يمكننا أن نستنتج أن محمداً (ص) كان رجلاً شموهاً، لكنه في الآن عينه كان رجلاً منماسكاً مائلاً رمام نفسه وهذا ما كان له دور كبير في مجاحه سادة ذلك العمل التاريخي العظيم الذي أنجزه

رسول الله

لقد فكر محمد (ص) سويلاً بالمسائل الكونية ابتي لا نرا من مطروحة علينا حتى يومنا هذا؟ من هو الإنسان، ولماذا خلق، وكيف ينبغي عليه أن يعيش؟ ومن هو الإله؟ والدي لا ريب فيه أن محمداً (ص) كان على معرفة دقيقة باليهودية والمسيحية ومن البدهي أن يكون محمد (ص) قد أدرك أن الآلهة القبية لا يمكن أن تقارن بالإله الواحد الذي خلق كل ما في الكون، ولا يصف مع قبيلة واحدة بعينها وكان محمد (ص) قد صرف وقتاً كثيراً يفكر في هذا.

في كل عام كان محمد (ص) يقضي ٣٠-٤٠ يوماً منعزلاً في غار حراء، وباحسه واحد: يجب أن يكون للعرب إيمان بآله واحد، هو إله إبراهيم وفي واحدة من فترات انمراله تلك، وتحديد في شهر رمضان من العام ٦١٠ م، بينما كان محمد (ص) يففو وقع له الآتي. رأى في نومه أن أحداً يقترب منه ويهول له: ﴿اقْرَأْ﴾، فأجاب «ما أنا بصائر»، عندئذ أمسك به الرثر وكاد يكتنم أنفاسه، ثم قال له ذنبه: ﴿اقْرَأْ﴾ فأجابه ثانية: «ما أنا بقارئ»؛ ومرة أخرى أطبق لزاثر على أنفاسه وقال

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿بِئْسَ عَلَمٌ لِّأَهْلِ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ ﴿

(العلق ١-٥)

وعندما قرأت هذا انتعد الوحي عني، فاستيقظت. وقد أحسست أن تلك الكلمات قد كتبت على قلبي.

رُ ما حدث مرُ كيان محمد (ص) بموه، فأسرع عائداً إلى منزله وقصص ما جرى له على زوجته خديجة التي اتحدت من الامر موقفاً جدياً فامتدعت هريبه ورقة وروت له ما حدث مع محمد (ص) فقال: «إنا صبح هدا حليحة، فإنه يعني أن الباموس العظيم الذي رب

يوماً عسى موسى قد نزل عليه أنصاً، وإنه نبي شعيباً. أمّا محمد (ص) فلم ير نفسه نبياً بعد،
إنما رسول الله أسدي سوف يحاطب الله عبره العرب

ولما جاءه الوحي ثانية، كان محمد (ص) قد أمضى وقتاً في منزله، ثم عاد إلى مكان
عزلته وهو في حالة من الكآبة الشديدة، والتوتر الروحي المصلي. لقد كانت الكآبة أن
تزهى روحه ولكن ومن غير توقع أو انتظار أو سبب مفهوم أحسّ محمد (ص) بسكينة روحية
منهلة، وثقة لا حدود لها. ولما وصل إلى البيت كاتب قد اعترته حمى شديدة. فمصاب أن
يدخلوه، ثم ما لبث أن دخل ما يشبه الغيبوبة. وسمع وهو في حالته تلك، الكلمات التالية:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا فَطَّهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرَّحْمَٰنَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَسْتَكْثِرْ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾

(المدثر: ١-٧)

هذه كان به قدور محمد (ص) أن يشهد بعد ذلك لحظة في أن الله أحضره رسولاً به إلى
الشعب العربي؟

واحتار محمد (ص) طريقته لقد بات عليه الآن أن يؤدي الرسالة التي كلف بها من فوق
تشر فكرة للإله الواحد بين العرب، وياشر الرسول مهمته من فوقه. إذ أخذ يعطى بالقرآن، الذي
كانت مهمته الأساسية تقوم في نقله إلى الشعب العربي، وفي تلك الأثناء لم يكن لقرآن وجود
على الأرض، فقد كان لا يزال في السماء عند الله الذي أرسل محتواه إلى محمد (ص) أجزاء
والقرآن عبارة عن وحى إلهي، وكان محمد (ص) قد تصور القرآن كتاباً عربياً موجوداً عند الله
ونحن إذ نتحدث عن القرآن ينبغي أن نشير إلى أن له الآن بنية خاصة جداً فهو عبارة
عن جمع من المواضع المتفرقة، التي جمعت في كتاب واحد بطريقته ثم فيها تحامل التسلسل
الرمزي لكل منها، وأخذ بالحسبان حجم كل سورة بدءاً من السورة الأكبر وانتهاءً بالأصغر
ولذلك جاءت السور القصيرة في آخر النص القرآني، على الرغم من أنها كانت السور الأولى
لنبي أوحى بها إلى محمد (ص) ومن الصعب أن نقول عن تلك السور، بأنها مواضع لها على
الأرجح درر فلسفية شعرية إيقاعية متلاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن
شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

(الفلق: ١-٥)

لقد شرع محمد (ص) يدعو إلى تعاليم القرآن، لكنه لم يلق مساندة من معاصريه إنما على الضد، إذ رفض جميعهم تقريباً عظمته، ورأوا فيها خطراً حديداً على معبوداتهم ودياناتهم وحياتهم وحقائقه أنه كان ثمة مستنئات فقد آمنت برسائته ورجته حديجة وساندته كما وقف إلى جنبه أولاده وأثنى ممن بنى بهم لمد كان مبدأ بسبب المواقف هو السائد في قريش. ولذلك كان ينبغي على محمد (ص) أن يحصل على موافقة أبناء قبيلته وفق تقاليد معين، فقبل كل شيء كان عليه الحصول على موافقة بني هاشم الذين كان ينتمي إليهم مباشرة وعندها جميعهم يطلب منهم مساندتهم، صرخوا في وجهه قائلين: «قاتلك الآلهة! أم نحن هذا دعوتنا؟» ثم انفضوا وهم بهزؤون ويشتمون ويتضحكون. حقاً لا نبي في وطنه.

وهكذا رفضت العشيرة محمداً (ص). لكن هذا لم يثبط من عزيمته. فأخذ يدعو الناس إلى تعاليمه علانية وفي الأماكن العامة. ومع أن مواعظته لم تعجبهم، إلا أن أحداً لم يتعرض له، خوفاً من سطوة عشيرته. فأبى العشيرة ثم يتحلو عنه علناً، أي لم يحسموه، ولذلك بقي تحت حمى العشيرة وكان عمه أبو طالب يدافع عنه ويحميه بحمى وعيرة ولكنه لم يفعل ذلك لقناعته برسالة محمد (ص)، بل لأنه كان متعلقاً به ويحبه محبة شخصية.

ومضى الوقت من غير أن يستطيع محمد (ص) أن يحقق أي نجاح يذكر. فعلى مدى عدة سنوات لم يتجاوز عدد أتباع التعاليم الجديدة الثلاثة والأربعين نفرًا وكان أكثر هؤلاء من العبيد والفقراء. لقد كان محمد (ص) يحمي هؤلاء دائماً ويدفع عنهم في كل مناسبة، ويدعو باسم الله إلى الرأفة بهم والعطف عليهم ولكن أولئك المستعسرين لأوائل ذاقوا البول من ساداتهم. وفي ذلك الحرج طهر محمد (ص) بصير بات يده اليمى على مدى سبب مشاطة التالية كلها. إنه أبو بكر ولما كان أبو بكر من أغنياء قريش، فقد أنفق كثيراً من أمواله لشراء حرية كثير من أوشب الناعسين أدى اعتنقوا الإسلام أمّا أوشك الدين رفض ساداتهم أن يفتقروهم، فقد أدن لهم محمد (ص) بالارتد ظاهرياً عن الإسلام كما طهر محمد (ص) الآي مسجون آخرون لا سيما عثمان بن عفان.

فما الذي دعا إليه محمد (ص) في السنوات الأولى لمبعثته؟ لقد دعا أولاً وقبل كل شيء إلى أن الله واحد للناس كلهم وأنه خالق كل ما في الكون، وأنه يجب على كلهم أن يخضع لإرادته، لكل من يعيش على سطح الأرض بصرف النظر عن الانتماء القومي وبحر بؤها إلى أن محمداً (ص) كان على معرفة بكنهسي العهد القديم والعهد الجديد، وقد مر بالآله عبه الذي آمن به (يراهيم، وموسى، ويسوع المسيح، ودعا العرب إلى عبادته فمحمد (ص) لم يعمل قط على بتكار إله حديد للعرب (كما يرى كثيرون الآن)، إنما كرّس جهده ليعرف العرب

دلالة الواحد عليه أدى أمر به اليهود والمسيحيون. ويبدو أنه كان على يقين من أنه سوف يوصد أتباع موسى والمسيح. وقد بذت له المهمة ممكنة، بل ملحةً هؤلاء وأولئك إله واحد (إله إبراهيم) هؤلاء وأولئك يدعون إلى الرحمة والمضيئه. لَأَنْ مَسِيحِينَ نَهَبُوا إِلَى إِبْرَد وَكَتَبُوا عَلَى رَأْيِهِمْ أَحَبَّ عَدُوْلَهُ. ومع ذلك أمل محمد (ص) أن تكون مهمته بإعادة ليدائس إلى جوهرها الأصل، أي توحيد هما، مهمّة هائلة للتحقيق. وهذا ما يؤكّده النص اشرأني التالي:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ۝ إِنِّي أَوَّلَىٰ لَدُنِّهِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ وَحْدًا لِّنَفْسِي وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ۶۷-۶۸)

إذن لقد كان لحيصاء المسلمين موحودين في الأرض قبل ألفين وخمسين مائة عام من ظهور محمد (ص) وليس هؤلاء ممن كان لهم له خاص يؤمنون به ، إنما هم مؤمنون بحصاء أرسل الله لهم إبراهيم ، وموسى ، والمسيح يقول: **النص الصرائي** :

[illegible]

(البقره ١٢٣٥-١٤٠)

وهكذا هناك إله واحد، وهو نفسه الذي أرسل لثور هـ والإنجيل، وأعلن القرب
لرسوليه، محمد (ص) وعن هذا يقول الثمّس القزاسي

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ سَرَّكَ عَلَىكَ الْكَذِبُ يَافُحِقُ مُصَدِّقًا لِمَا تَدِينُ ۚ وَاتَّزَلَّكَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ۚ مَنِ قَبِلَ هَدَى النَّاسَ وَأَتَزَلَّ فَهَرَقَانِ... ۝﴾

(آل عمران: ٢-٤)

لقد رفض محمد (ص) رفضاً قاطعاً أن يكون قد جاء يدعي إسلامي حديد
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ۝﴾

(اشورى: ١٣)

رس الإيما واحد والدين واحد لأتاهما صدران من عند له واحد، ولذلك
﴿لِأَنَّ الدِّينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سُبُلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُفَرَّقُوا مِنْ أَتَمِّهِمْ وَلَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝﴾

(النساء: ١٥٠-١٥٢)

ادن لا فرق بين الرسل والأنبياء مواء كانوا يهوداً أم مسيحيين ولكن يتوجب على أولئك أن يكونوا صادقين في إيمانهم، وأن يلتزموا بتمسك وصواب دينهم وفرائضه وعن هذا يقول النص المراتي

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ سَمِعْتُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَتَّبِعُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنَّ مِنْ كَثِيرٍ مُتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَكَدُوا وَكَفَرُوا وَالْمُصْرَفِيْنَ مِنْ أَمْنِ اللَّهِ وَلِيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾

(المائدة: ٦٨-٦٩)

وجاء حديث محمد (ص) عن المسيح وأمه العذراء مريم حديثاً عسراً وجميلاً فتمت في
أقرا ن كلمات مثل:

﴿ وَأَيُّهَا الْإِخْوِيلُ فِيهِ هَدًى وَنُورٌ وَمَصَدَقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة: ٤٦)

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ... ﴾

(المائدة: ٧٥)

﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَعَسَىٰ فِيهَا مِن مَّوْحِبَةٍ وَأَنَا آتٍ بِالْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٩١)

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾

(سورة: ٣٣)

وقد يشير ما أوردها الحيرة، لأنَّ كلاً منَّا يعرف أنَّ المسلمين يعبدون، لهم - لله فقط،
هكيف بصير هذا إس؟ لقد تحققت هنا استنوع نفسيها، تنويع قصّة التفاحه التي أثمرتها
شجرة معرفه الحير والشرة هس أين يمكن أن تأتي التفاحه، ن شجرة ليست سوى هكرة
مجردة، رمز، رسم شجرة متحيل وحسب؟ إنَّ لحاله عيدها تظهر أمامنا بيه مساله الله هده.
لقد رُيد عمد براسنا لكتاب العهد القديم، أنَّ ليهود القدماء قد استخدموا للدلالة
على الذات الإلهية كلمة إله أو إلهيم. ولبست الكلمة الثانية سوى صيغة الجمع من الكلمة
الأولى وسحائل، المنحصرين حول ما ذا كان استعمال كلمة إلهيم دلالة على تعدد الالهة،
أم أنَّ لكلمة استخدمت بصيغة الجمع تعسراً عن التحبس ولاحترام ولعكن كلمة إلهيم
(إله) تعني في الاحوال كلها إله وحسب، ولذلك ترجمت كلمة إلهيم في النصوص التوراتية
كلها (ما عدا النصوص المتخصصة) بعمسى إله أو رب. ومن الواضح لقارئ الكريم أنَّ إله
والله بمعنى سواء. ولذلك ليس ثمة تناقض هنا أبداً بل على العكس، إذ إنَّ هذا يؤكد على
ما جاء في القرآن من أنَّ محمداً (ص) عدَّ إله العرب هو الإله الواحد السي يزس المؤمنون
كلهم به ومن المهم جداً أن يعي هذه الحقيقة المسلمون والمسيحيون اليوم خاصة.

الفصل التاسع عشر

حياة النبي ونضاله

لقد دعا محمد (ص) أبناء قبيلته وقبائل العرب الأخرى إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام بالإله الواحد والإله الذي دعا محمد (ص) إلى عبده كما أنبأ رحيماً عادلاً وكريماً ولذلك دعا محمد (ص) إلى الاحسان للمقيور، ورحمة اليتيم، والتمز يا وائدين، خاصة عندما سلفان سن اشيقوحة:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا بَنِعْنٰ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَنْفُسْهُمَا أَفْ وَلَا تَهْرُفْهُمَا وَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا كَرِيمًا﴾

(الإسراء: ٢٣)

أما الزبي فقد وصفه محمد (ص) في عظمته بأنه رذيلة وخسنة ووقف موقفاً صامداً ضد عادة وأد البهات التي كانت شائعة جداً منذئذ لدى القبائل العربية، وبزكد المؤرخون أن هذه العادة لم تبقى في أيام محمد (ص) إلا عند بعض القبائل البدوية، ولكن يبدو أنها كانت لا تزال مستمرة في الحد الذي جعل محمداً (ص) يشن عليها تلك الحرب الضارية لقد قلنا فيما سبق أن أهل مكة كانوا يحصلون على مورد عيشهم الأساسية من عائدات تجارة العبور، وتقديم لخدمات للقوافل التجارية، ولذلك كانت الأمانة مطلوبة وضرورية في العمل التجاري. فقد دعا محمد (ص) مرراً وتكراراً إلى الالتزام بالحق والعدل في الكيل والميزان ويقول النص القرآني

﴿وَبِلِّ الْمِيزَانِ﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢٠﴾

(المطففين: ٢-١)

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْكُلَ وَالْمِثْرَانَ ۚ﴾

(هود: ٨٤)

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا سُبِّحْتُ بِهِ نَحَالًا أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةً بِهِ الْمَوْتَى كُلَّ
لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَطْلَعُ بِمَا فِي الْأَرْوَاحِ أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَمُرُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا تَحْتَهُمْ سَاعَتُهُمْ سَاعَةً قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ
وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ﴾

(الرعد: ٣١)

وماذا يريد خصوم محمد (ص) منه لكي يعترفوا به

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْعَلَ لَنَا مِنَ الْأَمْْرِ شَيْئًا أَوْ تَكُونَ
لَكَ حَسَنَةٌ مِنْ نَحْنٍ وَعَنْبٍ فَتُفْعَلَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَجْبِرُ أَوْ تُسْقَطُ
السَّمَاءُ كَمَا مَرَعَمَتْ عَلَيْنَا كَمَا أَوْفَاتِنِي بِاللَّهِ وَامْلَأْهُ كَمَا فِيهِمَا
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ نَرْخُفُ أَوْ نَرْقُ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْدِكَ
حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤَهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
مُرْسُولًا﴾

(الأنبياء: ٩٠-٩٣)

لقد كان محمد (ص) على معرفة جيدة بمصير الأنبياء الذين حاوروا قلبه. وقدر درجة
عدم الإيمان تقديراً صحيحاً.

﴿وَلَقَدْ سَتَرْنَا مِنْ قُلُوبِكَ فَحَافٍ بَائِسٌ سَاحِرًا وَبَاطِلًا مَا كُنَّا لَهُ
بَسْمُورِينَ﴾

(الأنبياء: ٤١)

﴿نَسْتَأْذِنُكَ مِنْ كُلِّ مَا جَاءَ أَمْرًا مِنْ رُسُلِكُمْ كُلَّ مَا جَاءَ أَمْرًا مِنْ رُسُلِكُمْ كَذِبٌ فَإِن تَدِ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ أَجْعَلْنَا لَهُمْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(الزمر: ٤٤)

﴿وَإِذَا تَلَّوْا عَلَيْهِ آبَاءَنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَلْهَامٌ يَرِيْدُ أَنْ يُصَدِّكَ عَنْ
 كَانٍ جَبْدٍ أَنَا وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِيَّاكَ مُمْسِكِي وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥٠﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَذُرُّ سُوءًا وَمَا لَمْ نَكُنْ
 إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿١٥١﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ
 فَكَذَّبُوا أَمْ سَلَّمُوا فَنَكُفَّ عَنْ هَٰؤُلَاءِ كَذِبًا ﴿١٥٢﴾﴾

(سبأ: ١٤٣-١٥٠)

يُتَضَعُ مِنْ هَذَا كَمَا عَنِ مُحَمَّد (ص) فِي إِقْنَاعِ هُوْمَةِ بَتَعَالِيمِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
 بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ

لَقَدْ كَانَتْ لِمَسِيحِيَّةِ النَّبِيِّ ظَهْرَتْ قَبْلَ مُحَمَّد (ص) بِسِتَّةِ قُرُونٍ، قَدْ رَهَضَتْ مَهْدُ
 الْقَوْمِيَّةِ وَيَسُو أَنْ مُحَمَّد (ص) وَأَبْصَارُهُ قَدْ سَارُوا عَلَى الطَّرِيقِ عَيْنَهَا قَلَمٌ يَكُنْ بِمَقْدُورِهِمْ أَنْ
 يَقْصُرُوا إِيْمَانَهُمْ عَلَى قَوْمِهِمْ فَقَطْ، وَهَذَا تَعْرِضُ أَنْصَارِ مُحَمَّد (ص) الْقَاتِلَاتِ إِلَى شَيْءٍ صَرُوبٍ
 الْأَصْصَهَادِ وَالْمَلَا حَقَابِ فِي مَكَّةَ فَابْجَرُ قَرِيقَ مِنْهُمْ إِلَى إِثْبُوتِ (٨٢ رَحَلًا وَ ١٨ مَرَاة) وَهَذَا
 هُوَ لَاءِ عَشْمَانِ بْنِ عَمَانَ صَهِرِ مُحَمَّد (ص)، وَكَانَتْ رُوحَتُهُ ابْنَةُ مُحَمَّد (ص) بَيْنَ السُّوْقَةِ فَطَالِبَتِ
 قَرِيشَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ بِتَسْلِيمِهِمْ، لَكِنَّ الْمَلِكَ رَفَضَ الْحَلِيبَ، عَدُوَّهُ طَلِبَ الْقَرِيشِيِّينَ مِنْ أَبِي
 طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّ ابْنَ أَخِيهِ إِلَى جَدِّهِ الصُّوْبِ وَلَمَّا سَأَلَ أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّد (ص) الْأَمْرَ أَجَابَهُ (ص)
 وَصَعِدَا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَلَقَمَرٌ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَحْيَدَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يَقْضَى
 إِنَّهُ لَمْ يَنْصُرْ أَوْ أَهْلَكَ دُونَهُ. فَقَالَ لَهُ يُو طَالِبُ أَفْعَلُ مَا تَرَاهُ يَا ابْنَ أَخِي، وَأَنَا بِنَ اتَّحَلَّى عَنْكَ
 مَا حَبِيبَتِ.

وَهَكَذَا وَجَدَ مُحَمَّد (ص) نَفْسَهُ وَالْقَلْبَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ مُحَاصَرًا تَمَامًا مِنْ بَاقِي
 سَقَطَانِ مَكَّةَ وَفِي الْعَامِ ٦١٧مِ أَتَمَّقَى لِمَرِيشِيِّينَ عَلَى ضَرْبِ طُلُوقِ عَزْلَةٍ ثَامَّةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،
 وَقَصَى الْإِتِّصَاقَ بِمَنْعِهِمْ حَتَّى مِنْ الْإِقْتِرَابِ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَبَعْدَ بَيْعِهِمْ أَيْ شَيْءٍ أَوْ شَرَاءِ أَيْ شَيْءٍ
 مِنْهُمْ إِذْ الْحَصَارُ تَامَ، وَحُطِّمَ، هَؤُلَاءِ دَعَا لَآئِي تَعَالِيمِ بِمِيدَا عَنْ الْكَعْبَةِ، سَوْفَ تَكُونُ
 قَاعِيَّتُهَا صَعِيفَةً فَهَذَا قَرِيبُ الْمَسَدِ يَحْتَمِعُ الْحَكِييُونَ وَلِحَاجِجٍ - التَّجَارِ مِنْ لِمَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ
 الْآخَرَى. فَمَكَّةَ هِيَ فِي بَهَايَةِ الْأَمْرِ مَكَّةَ لَقَدْ كَانَتْ تَحْرِي هَذَا حِمَايَاتٍ وَمَسَابِاتٍ تَشَارِكُ
 فِيهَا حَشُودٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ وَهَذَا كَانَ يَقُومُ بَيْتُ أَبِي طَالِبٍ، بِنَ كَانَتْ الْمَصَاحِبَةُ كُلُّهَا
 تَدْعَى وَادِي طَالِبٍ

ولكن محمدًا (ص) لم يمسلم لهذا، وما كان محمدًا (ص) لو استسلم ودا كان قد منع من نشر دعوته في مكة، فلا بأس من نشرها في المدن المحاوره وصواحيها، فمُرَّ أن قريش وصعته تحت مراقبتها انصاره ولم تمتع تواحيه، ولكن لما لم يمتلوه لا بسبب إنسيبتهم طبعاً فقتل أي شخص كان بالنسب لأوسب الذير بشون فقد ت أكبادهم أمراً في غاية البساطة لكن العائق هو مبدأ الثأر من يقتل محمدًا (ص) كان يجب أن يقتل، لأن عشره محمد (ص) لم تخلعه (مع أنهم لم يقبلوا دعوته)

لقد وعده محمد (ص) في منى، وعكاظ، وسواهما من الضواحي الحجازية، لكنه لم يحقق نجاحاً، فحاول أن يترك مكة ويستقل إلى الملائف، كتب هذه مدينة قريبة من مكة ومحضه جيداً. لقد كان المكسبون بسخرون منه ومن دعوته، وقال به أحدهم يوماً: لو أن الله يريدنا أن نتحول إليه، ما احتارك أنت لهذا الأمر ولم يقتصر الأمر على رفض القرشيين للدعوة، بل كانوا يوماً أن يقتلوا محمدًا (ص) نفسه ومعه ريد

سيد أن الروح لم يدخل محمدًا (ص) وبينما هو عائذ ليلاً إلى مكة تلقى تأكيداً جديداً على متدعة رسالته في الدعوة إلى عبادة الإله الواحد وبينما هو يصلي عند النخلة، تراهي جمع كسر من الجبر، وقد سمع هؤلاء موعظته وسجدوا للإله لو حد ومن لجدير ذكره أن الجن من لشخصات الرئاسة في دبابات القنائل العربية وليس الحن صفة واحدة بعضهم لا صلة له بالبشر أو القنائل، وبعضهم لا آخر كان أولاداً للقداس وقد دعا العلماء هذا بتوثيرهم لكل قبيلة جنتها، لكن نحن أنفسهم كانوا في تواصل دائم معهم مع بعض، بل كانوا متحالطين، ولا شك أن معزى رؤيا محمد (ص) واضح وحلي لمعد سجد مسودات لقبائل العربية للإله الواحد إذن محمد (ص) يسير على الطريق لصحيحه، ودعوته موفقة تنصير. ولكن كيف؟ وما الذي يجب عمله بعد ذلك، إذ سلت السبل كلها، وحوصر في الرواية كاسمر لحريح؟

لقد بحث محمد (ص) طويلاً عن حانة، وظل يبحث حتى عثر عليها في نهاية المطاف. فوجد أن أمامه معرجاً واحداً وحيداً؛ لقد رهضي أهلي، إذن فلادع الغراء، وكانت هذه الوسيلة قد أثبتت نجاحها على مر التاريخ الإنساني، فالمسيحية رفضها أهلها وقتلها الآخرون، ونحن يجب أن نعمل نشيء عسه لقد وعى محمد (ص) التدرس جيداً وكان أولئك الغرباء على فقره، في مدينه يثرب المجاورة التي عدت بعد ذلك المدسة النبوة، سبنة أرسول ومن المعروف أن يثرب كانت بحوي يهوداً، و ليهوديه تدعو بدورها إلى عبادة الإله الواحد كما كانت هناك طوائف أخرى، بمن في ذلك المسيحيون إصافه إلى القبائل العربية.

وبدا محمد (ص) يحقق حخته رويداً رويداً، فكانت أولى صلاته بأهل يثرب مع قبيلة الخزرج التي كانت واحدة من قبيلتين رئيسيتين في المدينة، وكانت هذه القبيلة على صفة قريبة بمكة: الإله الواحد، لأنهم كانوا متحالفين مع يهود يثرب. وقد سمع لحزرج من اليهود مراراً وتكراراً، أنه يجب أن يظهر في الأرض ببي عظيم يحمل رسالة تدعو إلى الدين الحق، القويم وتقضي على الوثنية. وأحد محمد (ص) يدعو مجموعة من هؤلاء، يعرب عادوا من مكة إلى يثرب عبر طريق النخبة الحبلية، وإذا سمعه هؤلاء قالوا: كأننا إزاء إله يد قومه! أليس هذا هو النبي نفسه الذي حدثنا اليهود عنه وقالوا إن ربه قريب جداً، وأنهم سوف يتمونه عندما يظهر وينتقمون من كل أعدائهم العرب ويبعدونهم كما أُبعد قديماً عاد وارم الكاهن؟ أليس من الأفضل بالنسبة لنا أن نبلغهم وننتع النبي؟ وقالوا لمحمد (ص) إن قوماً من أكثر الشعوب مشاكسة وغيرة، ولذلك كما عزمنا على تركهم ولحكنها هو الإله الحق قد يعيد وحدتنا عبرك أنت ولذلك فإننا نعود إلى مدينتنا ونضع أمرنا أمام قوماً، ونسمعهم هذا الذي سمعناه منك، وإذا وجدهم الإله الحق حولك، فلن يكون في الأرض رجل أقوى منك.

ثم تركوه ومضوا، وبعد مضي عام كامل جاؤوا للقاء محمد (ص) في المكان المتفق عليه، على طريق العقبة الحبلية، وكان عددهم في هذه المرة أكثر، عشرة مؤمنين من الخزرج واثنين من الأوس، وقد أقسموا بيمين الولاء لمحمد (ص) على إيمانهم بالإله الواحد، وامتناعهم عن السرقة، والربى، ووُدِّ بياتهم، والاتيان بالباطل، وطاعة الرسول في كل عمل حق، فردَّ محمد (ص) قائلاً لهم: إذا ما التزمت بهذا كله، فإن الحق لكم، أما إذا تركتكم شيئاً فإن الله الأمر في أن يعاقبكم أو يفرج لكم.

وهكذا عاد المسلمون الجدد إلى يثرب، وأرسل محمد (ص) معهم مصعب بن عمير لكي يكون مرشداً لهم في دينهم الجديد ويعلمهم القرآن، ولم يفد مسلمو يثرب محسوساً في الأيدي، فقد جاؤوا إلى الحج التالي في العام ٦٢٢م ومعهم ٧٥ مرمناً بالله الواحد، والنبي هؤلاء مع محمد (ص) في المكان عينه على الطريق الحبلية، وعند ذلك الوقت كان محمد (ص) قد فقد سنده لرئيس، عمه أبا طالب كان فقد زوجته حديجة أيضاً وقد رافق محمداً (ص) إلى لقائه مع مسلمي يثرب عمه الآخر، العباس. وكان له في ذلك اللقاء دور مميز، وحتى للحظة كان محمد (ص) لا يزال تحت حماية عشيرته. وفي اللقاء الشهير أعلنه العباس حرّاً من التزاماته تجاه العشيرة، بعد أن أقسم مسلمو يثرب على حمايته من أي صيغ، وعرف ذلك القسم بالقسم العظيم أو قسم الرجال. وفور ظهورها نظمت طائفة

مسلم يثرب صفوفها وشؤون حياتها احتار محمد (ص) اثني عشر رجلاً منهم لإدارة شؤون جماعة (٩ من الحنابلة و٣ من الأوس). كما كان على هؤلاء إضاعة لذلك أن يعلموا بالقرآن.

وسرعان ما انتقل مسلمو مكة إلى يثرب. ولكن محمد (ص) بقي في مكة ومعه أبو بكر وعلي بيد أنه عندما أدرك أن بقاءه في مكة يشكل خطراً حقيقياً على حياته، أخذ يعدّ العدة لكي ينتقل بدوره إلى يثرب. فاشترى أبو بكر ناهتين وأرسلهما مع أدلاء موثوق بهم إلى مكان منفق عليه على الطريق الجبلية. وفي الليلة المحددة خرج محمد (ص) وأبو بكر من مكة ليلاً عبر مسالك امّنة، وأمضيا ثلاثة أيام في كهف خارج المدينة وبعد ذلك أحداً تنحركا نحو المكان الذي كان ينتظرهما فيه الأدلاء مع الناهتين، وعلى الرغم من أن المسافة بين مكة ويثرب لم تكن بعيدة نسبياً، إلا أنها استغرقت الآن ثمانية أيام كاملة، لأن محمد (ص) وأبو بكر اضطرا إلى سلوك ممرات جانبية بعيدة عن الطريق الرئيسة التي تسلكها القوافل. وهكذا تمّ خروج محمد (ص) من مكة إلى يثرب، وهو الحدث الذي عرف في التاريخ الإسلامي بهجرة الرسول. وفي يثرب استقبل محمد (ص) استقبالاً حافلاً شارك فيه المهاجرون والأنصار. ومن تلك اللحظة نالت يثرب تدعى مدينة النبي. فسبوا له فيها منزلين لزوجتيه. وبنوا إلى جانيهما بناء آخر خاصاً بتأدية فروض العبادة. وكان ذلك البناء هو أول مسجد في العالم. وبهذا يكون قد بدأ الطور الثاني، الطور المدني في حياة محمد (ص) بصفته نبياً. وقد بدأ محمد (ص) نشاطه الآن بوضع ميثاق لجماعة المسلمين، وكرّس النبي في ميثاقه شرائع تختلف عن تلك المعمول بها عند القبائل الوثنية العربية بواقعها العشيري وانقسامها القبلي. وبدا يكون محمد (ص) قد أرسى لأسس الأولى لنظام الإسلامي الديني والاجتماعي والسياسي.

فما الذي قصي الميثاق به؟ أولاً وقبل كل شيء تأسس شعب من المؤمنين الموحدين المتساوين في الحقوق والواجبات بصرف النظر عن انتمائهم إلى قريش أو المهاجرين أو الأنصار. لقد ألغى الميثاق الانقسام القبلي وبنات الأمر الأهم فيه، هو أن يكون المرء مؤمناً مسلماً ملتزماً بوصايا الدين الجديد لا تعصق، لا تزني، لا تتد بتاتك، لا يعمل الشر ولا تساعد عليه. ويجب حسب الميثاق نسيان الحسانات والمطالب القبلية والعشيرة القديمة كلها كما قضى الميثاق بترك مبدأ الثأر، وفرض على أفراد الجماعة المسلمة أن يدافعوا واحدهم عن الآخر بالسلاح ضد أي عداء من أي جهة كانت. أما المسائل الخلافية التي تنشأ فالقول الفصل فيها للنبي

وما هذا المسلمين كان يعيش في يثرب عرب وشيون، ويهود وقّع جميعهم اتفاقاً تعهدوا فيه بالدفاع عن المدينة، وكان يجب على العرب الوثنيين حسب الاتفاق ألا يسلبوا أعداء محمد (ص) القرشيين وحلفاءهم تعهد المسلمون بعدم حياضه أيّ خارج على القاتور أو إحمائه لقد كان بحالف المسلمين واليهود وثيقاً أكثر فقد تعهد فيه اليهود بمساعدة قررات محمد (ص)، وتقديم الدعم المادي للإسلام وحلال الأعوام العشرة لثمة (من العام ٦٢٢ إلى العام ٦٣٢م) عشى محمد (ص) في تأسيس الإسلام طريقاً أسعرق تجاورها من لسيحية ثلاثة قرون (من استيلاء قيطوس على أورشلنم في العام ٧٠م، حتى وفاة قسطنطين في العام ٣٢٧م).

هكف تمنى له ذلقة إلى الأسباب عديدة، ولكها غير واضحة لنا كلها بيد أن الذي لا ريب فيه، هو أن واحد من الأسباب الرئيسية قد قام في كون الإسلام كثر يسراً من المسيحية فمن الكؤوس الثلاث: كأس الماء، وكأس النبيذ، وكأس الحليب، اختار محمد (ص) هذه الكؤوس الأخيرة وأحدث يحرى هد عن حلم ليقظة، في لحظة بهجة الروح، عندما حمل جبريل محمداً (ص) إلى أورشلنم. وهناك قابل عند بيت الصلوات، الأنبياء إبراهيم، وموسى، ويسوع المسيح، وصلّى معهم وحبباً قديمو، بعد الصلاة، لمحمد (ص) الكؤوس الثلاث كأس الماء، وكأس لنبيذ، وكأس الحليب، سمع محمد (ص) صوتاً يقول إذا أخذ الماء فسيغرق مع طائفته، وإذا أخذ النبيذ فسيغرق مع طائفته في الضلال والفني، وإذا أخذ الحليب فسيمضي مع طائفته على طريق الحق

بعم لقد اختار محمد (ص) كأس الحليب، وديه أيسر من المسيحية، ورُبم كان هد هو السبب الذي جعل من الإسلام دينة عميه

ونحن سوف نلقى الضوء على تسلسل الأحداث خلال هذه السنوات العشر، ثم ملتفت بعد ذلك لسكي تعرّف على الموضوعات الأساسية للإسلام كما جاءت في القرآن.

لم يمض وقت طويل حتى نجح محمد (ص) في فصل صائفته المسلمة عن بني قومه، وعن اليهود أيضاً. فالعصر العرقي كان هو الغالب لدى اليهود (لقد كان محمد (ص) عربياً على أي حال) وعلاوة على هذا لم يعترف هؤلاء بأن محمداً (ص) هو النبي الذي ينتظرونه، وسرعان ما زادت الهوة عرضاً وعمقاً بين محمد (ص) ويهود يثرب ولكن النهاية المأساوية للعلامة بين الطرفين سوف تتأخر بعض الشيء أمّا الآن فقد اكتمل محمد (ص) بالتأكد على أن الله أرسل القرآن لليهود إثناً لكتابهم، ولعظمتهم لم يؤمنوا. وفي هذا الوقت بالذات بدّل محمد (ص) اتجاه القلة أثناء الصلاة، من أورشلنم إلى مكة وقد علل ذلك بالتبديل بالآية:

﴿ سَيَقُولُ لَسْمَاءٌ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ
الْمَشْرِيقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَكَونَ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ
شُهَدَاءُ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنِ يَتَّبِعِ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ
عَلَى عَقْبَيْهِ وَكَانَ كُنُوتَ لَكُمْ كِبْرًا إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَكَرُوفٌ رَجِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٤٢-١٤٣)

ولكن هتمام محمد (ص) لم يستصر على المسائل الدينية فقط، بل كان عليه أن يهتم
بعمل المسائل السياسية، والعسكرية ويصنع شرائع لتنظيم الحياة المدنية أيضاً، وشعاً رأي
شائع شيوعاً عريضاً مفاده أن لإسلام يحرص الجهاد على المسلمين ضد كل من ليس مسلماً
والحقيقة أن محمداً (ص) أدر حروباً مقدسة، بيد أن هد لا يعني إنه فرض الإسلام بحد
السيف يقول النص القرآني

﴿ لَا جِبَادَ لَكُمْ فِي الَّذِينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ... ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وجاء في نص آخر:

﴿ مَنْ عَمِلَ جَبًا بَعْدَ بَيِّنَةٍ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَمَا آتَى عَلَيْهِمْ مِنْ حُكْمٍ فَذُكِّرُوا بَعْضُهُمْ أَلْفَوْا بَعْضًا مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ ﴾

وعيد ﴿

(ق. ٤٥)

وهد حذر محمد (ص) في نص قرآني آخر عائلاً

﴿ وَفَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشَاءُ تَلْوُكُمْ وَلَا تَقْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْمُتَّبِدِينَ ﴾ وَأَقْبَمُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ
وَالْمُنْفِذُ أَشَدُّ مِنَ الْقُلِّ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَخْلُوكُمْ فِيهِ

فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ قَاتَلُوكُمْ كَذَلِكَ خِزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنْ شَهِدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَمُومٌ
مَرَّجِدٌ ﴿١٩١﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَبَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٢﴾

(البقرة: ١٩٠-١٩٣)

يقيناً أن الحرب المقدسة كانت بالنسبة لمحمد (ص)، حراً دينياً سياسياً مؤقتاً فرضته
لضرورة ولا يحور بحال من الأحوال أن تعدّ مبدأ دينياً ثالثاً
لقد أجمد المكيون على عداوتهم محمد (ص)، وفي ١٢ كانون الثاني من العام ٦٢٤م
وقعت المعركة الأولى بين المسلمين بقيادة محمد (ص) من جهة، والمكسيين من جهة أخرى. فقد
كانت ثمة قافلة تجارية لقريش عائدة من سوريا بقيادة أبي سفيان، وكان يرافقها جماعة من
٩٥٠ مقاتلاً معهم ٣٠ جمل ومائة حواد. أما محمد (ص) فلم يكن معه سوى ٣٠٤ مصانلاً
معهم ٧٠ حملاً وحوادان. ولكن المسلمين كانوا أكثر صلابه وإيماناً وتماسكاً وقد دار
القتال بين الطرفين في واحة بدر، ولكنه لم يستمر سوى سوياعات قليلة، إذ حقق المسلمون
فيه نصراً سريعاً واحسبوا وغنموا غنيمة كبيرة ووزعت، لغنيمة على المقاتلين بالتساوي بعد أن
أحبوا منها الخمس لست مال المسلمين ولم يحصل محمد (ص) إلا على جمل واحد وسيف
واحد احتارهما بنمسه

بعد بدر قرر محمد (ص) أن يصفي الحساب مع اليهود. وكانت الشراة التي أشعلت
التمثال شجار وقع بين مسلم حاول الاعتداء على امرأة يهودية، ويهودي أنبرى لدهاق عن انة
قرمه قتل المسلم، فأعلن محمد (ص) الحرب على بني قينقاع كلهم، ووقف اليهود الآخرون،
بمو النصير وسو قريظة على الحياد. ولم يستطع اليهود أن يصمدوا للحصار الذي ضربه
المسلمون حولهم، فاستسلموا. وكان عليهم بعد ذلك أن يشركو شبه جزيرة العرب ويرحلوا
إلى سوريا حيث أقاموا فيها وبعد عام واحد كان مصر بني لنضير مماثلاً لمصير بني قينقاع.
وبعد عام من معركة بدر كان المكيون قد أعدوا عدتهم للثأر من محمد (ص)،
فجمع أبو سفيان قوات كبيرة وقادها في هجوم على يثرب. كانت قوات القريشيين تتألف من
٣٠٠٠ مقاتل مسلحين تسليحاً جيداً ومعهم ٢٠٠٠ جمل و ٢٠٠ جواد وفي ٢٤ كانون الثاني من
العام ٦٢٥م، وصلت هذه القوات إلى مشارف مدينة يثرب. ولم يكن تحت قيادة محمد (ص)
سوى ٦٠٠ مقاتل و ٢٠ من سكان المدينة غير المسلمين الذين كانوا حلفاء لمحمد (ص)

وقرر محمد (ص) ألا ينتظر حتى يحاصر القريشيين المدينة فخرج لشائهم خارجها ولكن فرقه الثلاث مائة من غير المسلمين تركت محمداً (ص) لسبلاً وعاد إلى المدينة، ودارت رحى الواقعة في ٢٦ كانون الثاني، وعلى الرغم من التمرق المدي الذي كان لصالح قريش، إلا أن المسلمين حققوا النصر ولكن اشغال جماعة المسلمين باقتسام الغنيمة حولت اتحدهم الحركة وحمى القريشيون انتصاراً واضحاً ودمروا المسلمين حتى الشعر، وقتل منهم في تلك الواقعة أكثر من ٧٠ مهابلاً كان منهم حمزة عم الرسول وهكذا هزم المسلمون في أحد ولم يحصر يكون أكثر من ٣٠ مقاتلاً. وفي حديثه مع جنوده بعد الهزيمة قال لهم محمد (ص): طائف طعموني كان النصر حليفكم، ولكنكم عندما خالفتم إرادة الله وأمر رسوله من أجل منعة دنيوية، بلتم عما بكم وأنصبر عداؤكم عليكم إلا أن الله غفور رحيم، غفر لكم لتكم ولم يهلككم.

بعد أحد قرر المكيون أن يصفوا الحساب مع محمد (ص) نهائياً ولتحقيق هدفهم وحدوا كل القوى المعادية للإسلام في شبه جزيرة العرب. كانت تلك تتألف من القبائل الوثنية المقيمة في صوحي مكة، إضافة إلى ثلاث قبائل كبيرة أخرى، كانت تستوطن وسط شبه الجزيرة العربية، ومستعمرة حبر ليهودية التي انتقل إليها بنو النضير بعد أن طردهم محمد (ص) من المدينة وكان أبو سفيان نفسه قائد ذلك التحالف.

ولم يكن لدى محمد (ص) ما يكفي من القوى لمواجهة تلك القوات كلها، فبدأ بالتحاق الهزيمة بها. أشار عليه سلمان الفارسي أن يحفر خندقاً حول المدينة، وكان ذلك شجعاناً حديداً من الصفات التي لم يعرف العرب عنها شيئاً من قبل، عدا عن أنه كان وسيلة مكروهة، لأنه كان لدى المحاصرين كثرة من النجمل الضالفة المعاصرة بما عن عبور الخندق، وقد دخلت تلك الحرب التاريخ تحت اسم عروة الحسبي، لقد استمر حصار الخلف المكي للمدينة ثلاثة أسابيع، ولم تنويع لحصم أن الحصار سوف يطور، لم يحمل معه ما يكفي من المؤن، واضطُر إلى رفع الحصار عن المدينة. وكانت قد بقيت في المدينة حتى ذلك الوقت قبيلة يهودية أخرى وقد علم محمد (ص) أن يهودها كانوا يحاربون محادثات مع الحلف المتحيز أثناء الحصار، فصمى حسابه معها، إذ حكم على رجالها الراشدين كهم بالموت، وبيع أسراهم وأطفالهم عبيداً.

وبقيت مسألة مكة من غير حل فبعثها كان لمحمد أسدي رئيس الذي منع محمد (ص) من الوصول إليه وفيها أيضاً أعدائه الذين لاقوه طول سنوات دعوته، وفي ربيع العام ٦٢٨م. خرج محمد (ص) من المدينة على رأس قوة من ألف وحمس مائة مقاتل وأتته إلى مكة.

وكان الوقت هو شهر محرم، حيث هوى التقليد بتحريم أي عميات قتالية، بينما كان يشغل العمل التجاري ومع ذلك تسبّح المكيون وخرجوا للقاء محمد (ص) خارج المدينة ومنعوه من دخولها بحدّ السيف لكنّ محمداً (ص) دخل معهم في محادثات وقبّل شروط الاتفاق هي: يسمح له بزيارة الكعبة مقدّل ضمان أمن قوافل مكة التجارية لزمّن غير محدد وردّاً على هذا العرض، اقترح المكيون تأجيل دخوله مكة إلى العام القادم، فقبّل محمد (ص) الشرط، ووقع مع المكيين اتفاقاً مكتوباً هذاكم سوره

- ١- ان تصبح احرب اورارها بين الصريمين عشر سنوات
- ٢- يرد محمد (ص) من يأتيه من فريش مسلماً غير ادن والده، ولا يترحم فريش يرد من يأتيها من عند محمد (ص).
- ٣- من اراد ان يحالف فريشاً فله ذلك، ومن اراد ان يحالف محمداً (ص) من غير القرنيين فله ذلك.

٤- ان يرجع محمد (ص) ومن معه هذا العام من غير فائدة العمره، فإذا كان العام القادم دخلوا مكة بعد ان تخرج فريش منها، وليس معهم إلا سلاح المسافرين وهكذا استقرت العلاقات مع مكة، وفي أثناء ذلك قرر محمد (ص) أنه قد آن الأوان لوضع حد لوجود اليهود في شبه جزيرة العرب كلها وفي نيسان من العام ٦٢٨م، قاد قواته على مركز سكى اليهود في حير، وادي القري، وهكذا، وبمياء فاستسلم هؤلاء بعد حصار طويل، وسمح لهم بالسرح من منازلهم لكن شريطة أن يتركوا فيها كل شيء للمسلمين. ووقع في أثناء ذلك حدث كان له تأثيره على صعه محمد (ص) بن علي حينه كها فقد تناول لحم حروف مسموم سممته له امرأة يهوديه تدعى رينب كان المسلمون قد قتلوا أهلها، كلهم ويؤكد المؤرخون أن صيحة محمد (ص) أخذت تردّد سوءاً منذ أن وقعت تلك الحادثة، وترايت حالات مرضه

أما مع المكيين، فقد سارت الأمور على ما يرام وساء أن شروط الاتفاق سمّت بدقة، ففي موسم حج لعام ٦٢٩م رار محمد (ص) مكة. فقد دخلها مع قواه وأدى فرائض الحج واستقبله عنه العباس على ارحب وأوسع في منزله، بل عرض عليه أن يروّحه كمنته الأرمه وفي أثناء تواخده في مكة أقام محمد (ص) ومراقوه علاقات وثيقة مع أهلها، وحسب برب مع الاتفاق فنادى محمد (ص) مكة في الوقت المحدد

وما لبثت أن دانت لمحمد (ص) قبائل وسط شبه الجزيرة الأخرى، فعدا بذلك أقوى حاكم في ذلك الإقليم. ولكن مكة أقامت على عداؤها له

وفي تلك الأثناء، نهك المكيون شروط الاتفاق ورداً على ذلك، هاد محمد (ص) جيشاً مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل وتوجه إلى مكة. ولما كان لا يزال في الطريق، نصب إليه كمين من المشركين، ثم جاءه أبو سفيان، حصمه الأسود، وأجرى معه محادثات انتهت إلى انسحاب هذا الأخير إلى الإسلام. وهكذا لم يبق إلا أن يدخل محمد (ص) المدينة المقدسة دحول لعاتحين. فوقع مع أهلها اتفاقاً جديداً اعترفوا بموجبه بخضوعهم لسلطة محمد (ص) ووصفت الموات المكية كلها تحت تصرفه. وسرى الاتفاق بين أهل مكة وأهل يثرب، فالنظام يجب أن تقتسم بالتساوي. وأعلن مواطنو النوبة الجديدة سواسية أمام الله، وارتضوا بالخصموع لشرايع الإسلام. وتوافق إقرار الاتفاق بإحراق طقوسي. ركب محمد (ص) ناقته القصوة ودار بها حول الكعبة سبع مرّات، وكان في كل مرّة يلمس الحجر الأسود بمصاته.

وكان محمد (ص) قد قرّر أن يحل من يشرب مراً دائماً له. وبما كان يستعدّ لرحيل من مكة، من المدينة جاءه بيا اقترب تحالف بدوي جبار قومه ٢٠٠٠٠ مقاتل يرحف على ديار المسلمين لقتلتهم فقام من فورهم وقاد قوات المسلمين لملاقاة الخصم. وبمسو أن السوء كانوا، وتمس ثقة أكيدة بالنصر. ولذلك حملوا معهم أرزها لا حصر لها (أطعمهم، ودياءهم، وقطعتهم). ودار القتال لتحقيق نجاحات وهزائم متبادلة إلا أن النصر جاء حليف المسلمين في آخر المطاف. وكانت غيبتهم مهولة ٢٤٠٠٠ حمل، وأعداد لا تحصى من الغنم والاعر ومختلف ضروب الأرزاق الأخرى. ووقعت في الأسر ٦٠٠٠ امرأة وطفل فأعطى محمد (ص) الحزب الرئيس من العبيمة للمكيين، والنصت إلى قواته فخاصمهم قائلاً: يعقل ألا تكونوا راضين لأن المكيين ساقوا الأعمام والأحمان إلى ديارهم، وأسم الأنصار قاحسون معكم رسول الله أقسم بمن نفس محمد (ص) بين يديه أنني بو حيرت في مولدي لما حترت أن أولي إلا بين الأنصار وإذا ما سار العالم كله في جهة والأنصار في جهة الأخرى، لتريكت العسم نكمه وحثت مع الأنصار فأحابه هؤلاء صوتاً واحداً بحر راضون بقسمي يا رسول الله!

والحقيقة إن تصرف محمد (ص) كان بصرفاً حكيماً، فقد ربح قلوب المكيين بالعيمة، بينما كانت قلوب الأنصار قد باتت له منذ وقت. ولم يكن تصرف محمد (ص) مع القبائل المهرومة قتل حكمه، فقد أطلق لأسرى من النساء والأطفال دون مقابل وما لبث سلوكه الأخلاقي هذا أن فعل فعله. فقد جاء قائد التحالف المعادي ما لك من صوف واعتنق الإسلام. وحدت حدود القبائل الأخرى التي كانت تابعة له وهكذا أحد صود محمد (ص) يمتد شتاً هشيناً. ولذلك لم يكن إعلان عن حملة على بيضة أمر مستعرباً هموت المسلمين

بلغت الآن ٢٠.٠٠٠ مقاتل. ومع ذلك فإن الحمله لم يحدث من لوجهة العملية، ولم يكبد محمد (ص) يحصل حدود سوريا حتى توقف ثم امتنع عن مواصلة تحركاته القتالية، وعاد إلى المدينة، وبدل تطوّر الأحداث بعد ذلك على أن محمد أ (ص) لم يوقف حملته على سرنطة إلا لأن مرضاً ألم به، وكان هو نفسه قد أحسن بذلك وأدركه يدقّة

وكانت رحلة محمد (ص) الأخيرة إلى مكّة هي حجّة أسوداع، فأدى طقوس الحج، وألقى في الحجيج خطبة كانت خطبة الوداع. ذكر فيها شرائع الإسلام وشرائعه، وحثّ على العيش بسلام وأخوة ووحدّة، وفرك عاده السّار. وأرافة بالعيد كما أوصى بزوجاته خيراً، ثم ختم خطبته بقوله الشهير. «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» وهكذا أوحى محمد (ص) خلاصة حياته التي نثر الدهشة والإعجاب وبعد عدّة أشهر، في ظهر ايام من تصور من العام ٦٢٢م بوحي محمد (ص) عن ٦٣ عاماً من العمر

•

وصايا القرآن

يرتبط الدين، أي دين، بتصديقه لحسم المسائل المطروحة على كل إنسان وإحدى هذه المسائل، هي مكانة الإنسان في هذا العالم، في ان يكون، بمعنى آخر كيف يبدو نظام الكون، وما هو المكان الذي يشعه الإنسان فيه، وما هي ماهية المبدأ الذي يدين له الكون بوجوده، أي من هو إلهه وإذ يقرر الإنسان معصية الإله، فإنه يقرر بذلك مسألة تحديد مكانته في الكون وعندما يدرك الإنسان هذا فإنه يفقد إمكانية أن يسلك سلوكاً مستقيماً في علاقاته مع أنقاء حسه، ومع لعالم المحيط به ولذلك يمكننا القول، إن المسألة الثانية التي ينصبى لها الدين، هي مسألة العلاقات بين الناس، وإذا ما نجح الدين المعنى في إيجاد السبل الصحيحة للتعامل مع هاتين المسألتين، فإن الإنسان سوف يكون قادراً على بناء علاقات سميّة مع العالم المحيط به. ونحن نسعى إلى الكشف عن المشترك الذي يجمع بين الإجابات التي أعطتها الديانات الثلاث اليهودية، والمسيحية، والإسلام على هذه الأسئلة

وهنا يعمق مسألة الإله، قلنا إن محمداً (ص) أعلن أن الإله الذي يدعو العرب إلى عبادة هو الإله الواحد الأحد، إله إبراهيم وموسى والمسيح وقد فهم محمداً (ص) الإله ووصفه كما يصفه عالم لطبيعات المعاصر الذي يعرف أن الكون متي وفق محيطه وفق حظه، يقول النص القرآني

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَرَاشاً وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٠﴾

(السورة ٢٢٠-٢٢١)

والله حسب القرآن، هو المبدأ الوحيد للكون، كل اكون لدى لم يأت شيء فيه

مصادفة

والله حسب القرآن هو المبدأ الوحيد للكون المبدأ الذي يوحّد الأشياء كلها، والذي خلق ما في الكون كله كجهاز موحد معقد مبرمج بدقة متناهية. جهاز لم يأت أي شيء فيه مصادفة. يقول النمر انقرتي:

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ أَمَرَادُ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨١﴾﴾

(س: ٨١-٨٢)

بفينا أن من يقرأ هذه الكلمات القرآنية لا يستطيع أن سبخل الإله كجهاز عجول، لحينه بيضاء، ويستوى على سحابة هض شيء هما في القرآن أكثر عمداً ذ تكون لدى لقارئ صورة عن المبدأ الواحد، عن ذلك لقوم، عن تلك الحصة التي يحصص لها الكون، إن أي نظام كان، فما بالك بنظام معد كظام الكون، لا يستطيع أن يعيش من غير هذا المبدأ الواحد، القانون الواحد. يقول القرآن

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَكَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَظِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

(الأنبياء: ٢٢)

والحقيقة أن كل شيء في نظام الكون يعمل متوافق دقيق مع الآخر، ويؤكد القرآن تأكيداً قاطعاً وصحاً لا يس فيه، على أن الله هو المقصود بهذا المبدأ الواحد

﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَتَ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَمُضَرِّفٍ أَسْرَاحٍ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾﴾

(الفرقة: ١٦٣-١٦٤)

لقد طلبوا من محمد (ص) أن يأتهم بمعجرات ليؤمنوا بأنه مرسل من عند الله وأن هذا الإله موجود فعلاً، وكما قد تعرفنا إلى ربه عليهم. يقيناً لم يكن لرحم مثل محمد (ص)

يعني العدم المحيط به وعياً كاملاً. أن يرد رداً حر فكل ما يستطيعه الإنسان بنفسه، هو إدراك التقوايين لماعة في الطبيعة وهو عاجز تماماً عن فرض هوايته على الطبيعة، إنه يستطيع فقط أن يترك، أن يعيهم، أن يحسّ بصدد تلك القوانين التي تفعل باستقلال مطلق عنه فمن هو صانع هذه القوانين؟ الطبيعة؟ العقل الكوني، الإله، لا أهمية لأي تسمية كانت هنا وكل شيء خاضع لإرادة هذا المبدأ الإله:

﴿كَفَّ كُفْرُهُنَ بِاللَّهِ وَكُتُّهُ أَمْوَانًا فَأَحْيَا كُتَّهُ ثُمَّ بَيَّنَّاهُ لَهُ
ثُمَّ بَيَّنَّاهُ لَهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ سَوَّاهُ لِرَأْسِ السَّمَاءِ فَسَوَّاهُ سَمَاءً وَسَمَاءً وَهُوَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿﴾

(البقرة: ٢٨-٢٩)

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْسًا يُولِاْهُمُ وَهُدًى اللَّهُ لِلَّهِ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿﴾

(البقرة: ١١٥)

إن قدرت الأساس وموهبه المعرفة محدودة فالله وحده يعرف كل شيء، فالعلوم كلها سواء عن الحاضر أو الماضي أو المستقر موجودة في كنف حمل الإعلام الكوني ويمول النص المرآني عن هذا

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿﴾

(البقرة: ٢٥٥)

إن يرد أن من واجبتنا أن يورد النص القرآن الذي يظهر حملاً تاماً أن إله محمد (ص) هو ذلك المبدأ الكوني الذي يقره العلم المعاصر

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ لَحْيٍ مِنَ الْبَيْتِ وَمَخْرُجُ الْبَيْتِ مِنَ الْبَيْتِ
دَلِكُمْ اللَّهُ فَاَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ

وَالْقَصْرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ مُدِيرُ الْقُرْبَرِ الْعَلِيمِ ﴿١٩٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَحْوَ
تَهْدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٩٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ بَاشًا كُلَّ شَيْءٍ وَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا
نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ
وَالزَّيْتُونِ وَالنَّارِجَةِ مِنْ شَتَاهَا وَغَيْرِ مِثْلِهَا أَنْظُرُوا إِلَى شَيْءٍ إِذَا أَنْتُمْ وَصَّيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
ذَلِكَ لَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا قَوْمٌ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٨﴾

(الأنعام: ٩٥-٩٩)

وبرجو اشارى لكريم ان يمعن النظر خاصة في قوله «وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة» هذا نقلنا هذا القول إلى لغة العلم المعاصر فأنشأ يقول إن صورة كل مئة، هولوغراماً كل مئة، الحقل الحيوي (أي «روح») لكن مئة، صامدة من حقل الإعلام الكوني إننا جميعاً أحرصاً من روح واحدة، من حقل واحد وهذه حقيقة. وعليه هل ينبغي علينا أن نتذكر بأن أحداً مئة لا يتفوق على الآخر من حيث العرق، أو القومية، أو الجنس، أو وفق أي مبدأ آخر وبأسيساً على فهمه أنه نصفه مبدأ تكوينياً طبعياً، ومع تأكيد على تبجيله ليسوع المسيح، لا أن محمد (ص) لم يأخذ أبوة هذا الإله ليسوع بمعناها الحرة يقول النص القرآني

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ تدعى اسماءات والأرض أن يكون له وكه وكه
تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴿١٩٨﴾

(الأنعام: ١٠٠-١٠٦)

وعارض محمد (ص) بشدة، أن يوصع أي كان على قدم المساواة مع الله

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَسَى يَصْخَرُونَ﴾

اتَّخَذُوا أَحْكَامَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَمْرًا مَّا مَنِ دُونَ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أَمَرُوا
إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَٰهَا وَاحِدًا إِلَّا إِلَٰهًا هُوَ سَخَاهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٠﴾

(التوبة: ٣٠-٣١)

وفي حديثه عن المسيح مباشرة يؤكد محمد (ص) في نص قرآني آخر على أن يسوع
المسيح لم يطلب أن يسجد له:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ
تَقُلُّ مَا فِي فُجْئِي وَلَا أَغْلُظُ مَا فِي سُلْكِ الْيَهُودِ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا
مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُنتُ فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَقَّيْتِي كُنْتُ أَمَّا الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَمْتُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣٢﴾﴾

(المائدة: ١١٦-١١٧)

وتعد مسألة وحداية الله، هي المسألة الرئيسية بالنسبة لمحمد (ص) فالمرآن عاد إليها
مرات كثيرة. وها نحن نسوق بعض النصوص الأخرى التي يرى أن لها أهمية فائقة لهم لعرق
بين المسيحية والإسلام

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ دَاوُدَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٣﴾﴾

(آل عمران: ٥٩)

﴿مَا كَانَ كَشَرٌ أَنْ يُؤَيَّةُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْيُوسُفَ يَعْقِلَ لِلَّهِ
كَوْنُوا عِبَادَ لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِنًا يَفْهَمُونَ
الْكِتَابَ وَبِتَ كُنْتُمْ تَذَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالْيَحْيَى أَمْثَلًا أَنْتُمْ كُمْ بِالْكَفَرِ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلُكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

[آل عمران: ٧٩-٨٠]

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْدُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّا
 الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ آتَاهَا إِلَى مَرْجِعِهِ وَمِنْهُ قَابُ نَارٍ
 بِاللَّهِ وَمِنْهُ لَا تَقُولُوا نَلَكَ إِنهَآ خَيْرٌ لِّكَ إِنَّ اللَّهَ ابْنُ وَاحِدٍ سُبْحَانَهُ أَنْ
 يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَمْ بِاللَّهِ وَكِبَارُ ۖ لَنْ
 يَسْنَخَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ
 عَنْ عِبَادَتِي وَسَتَكْفِرُ فَيَخْشَرُهُمْ إِلَىٰ جَمْعِهِ ۖ﴾

(النساء: ١٧١-١٧٢)

ولم يدع محمد (ص) إلى إيمان بالإله الواحد من أجل الإيمان بحد ذاته ، فالإيمان بغير
 عمل إيمان ميت. وقد استرشد محمد (ص) بهذا المبدأ ، مثلما فعل المسيح قبله وكذلك رسنه
 إذن لم تكن المهمة تقوم في الإيمان وحسب، إنما في إحداث تغيير جسدي في نمط العيش
 برمته ، وفي تحاد موقفه آخر تجاه لعالم المحيط ، وتجاه الآخر ، ففي هذا بالذات مكان بقيم
 جوهر الإيمان. ولهذا باتت يعد الإيمان والدين المرتكز الروحي للمجتمع.
 فما هي طبيعة العلاقات التي يقضي بها القرآن؟ لقد عرضنا آنفاً لأهم مبادئ السلوك
 الإسلامي بإيجاز وسوف نبدأ دراستها الآن بالتفصيل ومن الطبيعي أن نطويع قواعد أسلوب
 قواعد عامة تسحب على كل إنسان وليس على المسلم فقط ، إنها المبادئ التي أقرتها الأديان
 كلها لا تسرق ، لا تزن ، لا تكذب ، أطلع والديت ، لا تفعل الشر وأعمل الخير ، كن صادقاً
 ومستقيماً ، ولا تكن متكبراً منعطساً مستبدلاً ، كن صلواً في وقتك مع الحق ، ساعد من
 يحتاج إلى المساعدة ، كن مسامحاً مع أعدائك ، وادع إلى اسلام بين الناس. عن هذا كله
 بقول لقرآن

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ لِيُظْهِرَ عَلَيْكُمْ أَن لَّا يَشْرِي كَيْفَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا
 يَسْرِفُ وَلَا يَزْنِي وَلَا يَقْتُلُ أَوْ لَا دَهْرٌ وَلَا يَأْتِي بِيَهْنٍ يُفْسِدُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنْزَلَهُمْ وَلَا
 يَعْصِيكَ فِي مَعْرِفٍ قَابُ نَارٍ وَسَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مُّرْجِعٌ ۖ﴾

(المائدة: ١٢)

{الثب ١١٤}

(٧:١١١)

(A. 2.2.11)

المستوفى: ٩١

(الإيسر: ٢٥-٣٦)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ إِنَّ
اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ أَبِي الْكَافِرِ﴾

(القمان: ١٤)

﴿يَا بَنِي آدَمَ اصْلُوا الصَّلَاةَ وَأَسْرِبُوا بِالْعُرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمَكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمُشْ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢﴾ وَأَقْصِدْ فِي سَبِّكَ وَأَعْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٣﴾﴾

(القمان: ١٦-١٧)

﴿ذَلِكَ الَّذِي يَشِيرُ اللَّهُ عَلَيْهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَرَلَا سَاءَ لَكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...﴾

(الشورى: ٢٣)

لاحظ عند المسيحيين: حب قريبك كما تحب نفسك

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَاَّ وَلَا السَّيْئَةَ أَذْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَانَ وَكِيًّا حَمِيمٌ ﴿١﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ هَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو خَطِّ عَظِيمٍ ﴿٢﴾﴾

(فصلت: ٣٤-٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمِيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا
نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَمِيَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا
بِالْأَلْقَابِ بُشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا فَسَوْفَ يَكُونُ الْإِيمَانُ وَمَنْ لَمْ يَبْتَذُرْ هُتًى هُمْ أَظْلَامُونَ ﴿١﴾ يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْبِسُوا كَثِيرًا مِنَ الظِّلِّ إِنَّ بَعْضَ الظِّلِّ إِتْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

وَأَقْسُوا إِلَهَكُمْ إِلَٰهَ تَوَّابٍ مُّجِيبٍ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرِكُمْ وَأَكْلُوا
وَسَبَّحُوا لِلَّهِ مَقَائِدَ الزُّمُرِ وَالْكُلُوبِ وَالُحْلَىٰ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَقْسَامِ الَّذِينَ أُفْسَدُوا فَامْكُرُوا عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ اللَّهَ وَلَعَلَّكُمْ تَخْذَعُونَ ﴿١١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ أَنْ يُخَالَفُوا وَلَا يَكُونُوا مِنَ الْخَالِفِينَ ﴿١٢﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ أَنْ يُخَالَفُوا وَلَا يَكُونُوا مِنَ الْخَالِفِينَ ﴿١٣﴾
شَهِدَ بَنُو اللَّهِ غَفُورٌ مُّجِيبٌ ﴿١٤﴾

(الحجرات: ١١-١٤)

لقد أعلن محمد (ص) عبر مرّة موقفه المدهش للحرب، والراعات والشقاق.
﴿وَلَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُ مُبْلَغِينَ﴾ فَإِنْ بَعَثَ إِلَهُمَا هُمَا عَلَيَّ
الْآخَرَىٰ فَمَا لِيَ إِتَىٰ بِغِيٍّ حَتَّىٰ تُلَاقِي الْأُمُورَ فَإِنَّ فَاتَتْ فَاصِلُهُمَا بَيْنَهُمَا فَاصِلٌ
وَأَتَسَلُّوا إِلَى اللَّهِ يَحِبُّ الْمُتَسَلِّينَ ﴿١٤﴾

(الحجرات: ٩)

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَىٰ الْحُكَّامِ
تَأْكُلُوا فَرِيقَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: ١٨٨)

وعن الإحسان يقول النصّ لقراءتي

﴿مَنْ تَذَلُّوا أَمْدَقَاتٍ فَنِعْمَ هِيَ وَلَنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هَذَا كُفْرُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِكْ فَلَا تُقْبَلُ عَنْكُمْ وَلَا تُغْفَرُ إِلَّا أَنْعَاءُ
وَحْهٍ لِلَّهِ وَمَنْ يُضْلِكْ فَلَا تُقْبَلُ عَنْكُمْ وَلَا تُغْفَرُ إِلَّا أَنْعَاءُ
وَحْهٍ لِلَّهِ وَمَنْ يُضْلِكْ فَلَا تُقْبَلُ عَنْكُمْ وَلَا تُغْفَرُ إِلَّا أَنْعَاءُ

(البقرة: ٢٧١-٢٧٢)

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدْنَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُبُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مِمَّا مَرَّاهُ
 النَّاسُ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَكُلُّهُ سَكَنٌ صَقْرَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ
 فَتَمَرَّكَهُ صُلْدًا لَا يُقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ ﴿وَسَلَّ الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ مَوَالِيَهُمْ أُبْعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَبَيَّنَ مِنْ
 أَنْفُسِهِمْ كُلُّ جَنَّةٍ مَرْبُوءَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُضِبَّهَا
 وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

(البقرة: ٢٦٣-٢٦٥)

قبل محمد (ص) لم يعرف العرب صلوات، ولما ظهر أقام صلوات منتظمة منذ أن
 جاء يثرب، ويرى المؤرخون أنه لما فعل ذلك متأثراً بما كان عند يهود ابلدينه فقد أدرك
 محمد (ص) عندئذ أي سحر للكلمة وفي الأول كانت الصلوات ثلاثاً، ثم رادت إلى
 خمس

وتختلف الصلاة في الإسلام اختلافاً مبدئياً عن الصلاة المسيحية، فالمسيح أُلْعِيَ على
 مفزى الكلمات استلوقة أمّا المسلمون فقد كانت صلاتهم منذ البداية تدبّر من حيث
 الصبيح، ومن حيث الطابع بالتوسل والناشدة. وقد قام بهاء الصلاة في الآتي. ترديد الصلوات
 عدداً محدداً من المرات في صبح دقيقة ووفق تعاقب صارم وفي عصور ذلك بحث أن يوافق
 الصبح مع اختلاف أوضاع الجسم، وهذه الأوضاع بدورها محددة تحديداً صارماً ويدهى عدد
 لصبح مع حركات الجعم ركعة ويجب ألا تقل الصلاة اسكامة عن ركعتين ولكل
 ركعة نية محددة، ويجب أن تضمن الركعة هب كل شيء إعلاناً عن عدد السجود التي
 يسوي المؤمن تأديتها ثم بعد ذلك تدخل نية الصلاة سورة الإحلاص بالضرورة. وبني ذلك
 مقاصع من مختلف السور الأخرى ويجب أن يردد المؤمن في أثناء ذلك دائماً قول: الله أكبر،
 ثم يؤدي الحركة الحسدية ذات الصلة. وعندما تؤدي الصلاة في المسجد فيلّ المسلمين كلهم
 يؤدّون الحركات الحسدية كلها في وقت واحد وعادة ما يقود الصلاة إمام. وتسبق الصلاة
 بالضرورة شعيرة الوضوء التي لها طابع شعيري صرف يذكر بالفعل السحري.

وقد جاء في القرآن عن الصلاة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ فَلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّكْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ
نَزَّادْتُهُمْ يَتَذَكَّرُونَ عَلَىٰ مَرَّهٍ يَذْكُرُونَ ۖ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا مَرَّرْنَا مِنْهُ
يُصْغُونَ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۖ حَمَّاهُمْ ذُرِّيَّاتٌ عِنْدَ مَرَّهٍ وَمَعِيْرَةٌ وَمِنْ زُرُقٍ
كَرِيمَةٍ ۖ ۞

(الأنفال: ٢-٤)

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النُّجُومِ وَيَسِّرَ لَكَ اللَّيْلَ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ
ذَٰلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ ۖ ۞

(هود: ١١٤)

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرِحَاجًا أَوْ زُرُقًا فَإِذَا أَسْتَدْفَىٰ ذِكْرُ اللَّهِ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا كُنْتُمْ
تَكُونُونَ تَقْلِبُونَ ۖ ۞

(المقرة: ٣٣٨-٣٣٩)

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ قُرْآنًا فَجْرًا
كَانَ مَشْهُودًا ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِ لَكَ عِشْيَا رَبِّكَ فَتَنَابَ
مَحْشُودًا ۖ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
أَمْرِكَ سُلْطَانًا ۚ ۞ وَقُلْ حَاءَ الْحَقِّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۖ ۞

(الاسراء: ٧٨-٨١)

وحسب القرآن يعي على المسلمين أن يصوموا شهراً في السنة هو شهر رمضان، وهبل
ذلك كان محمد (ص) قد فرض في المدينة الصوم يوماً واحد كل عشرة أيام وقد قال القرآن
بصدد للمصوم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ فِيهِ مَنَافِعٌ ۚ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْتُوا مِنِّي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٥﴾ أَهْلَ لَيْلَةِ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى بَسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ بِأَسْفَلٍ مِّنْ عِلْدِ اللَّهِ أَكْمُكُمْ ثُمَّ تَخَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَمَّا فَكَرْتُمَا لَا تَبْشِرُوا مَن تَسْتَعِينُوا مِنَّا كَمَا أَنتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَأَشْرُوا بِحَبْلِ النَّاسِ أَن يُبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوا مَن وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَفُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

(البقرة: ١٨٣-١٨٧)

وهذا نض القرآن في الطعام هي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَكُمْ فِيهِ مَنَافِعٌ ۚ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٤﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْتُوا مِنِّي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٥﴾ أَهْلَ لَيْلَةِ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى بَسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ بِأَسْفَلٍ مِّنْ عِلْدِ اللَّهِ أَكْمُكُمْ ثُمَّ تَخَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَمَّا فَكَرْتُمَا لَا تَبْشِرُوا مَن تَسْتَعِينُوا مِنَّا كَمَا أَنتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَأَشْرُوا بِحَبْلِ النَّاسِ أَن يُبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوا مَن وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَفُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

(البقرة: ١٧٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَمْثَارِ إِلَّا مَا يَسِرُّ
عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصِّدْقِ وَأَسَدُ خَيْرٍ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِنُ لُبِثَ
الْحَرَامِ يَتَتَفَعُونَ فِيهِمْ إِذْ إِذَا حُلُّهُمْ فَاسْطَافُوا وَلَا
يَخْبِرُكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تُعْبَدُوا وَتَعْبُدُوا
عَلَى لَرٍ وَالتَّقْوَى وَلَا تَقَافُوا عَلَى الْإِسْمِ وَالتَّقْوَى إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُئْتَنَةُ وَالْدَمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلُ الْقُبُورِ يَبِيهِ وَالشَّجَعَةُ
وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُسَرَّدَةُ وَالصَّلْبَةُ وَمَا أَكَلَ السَّعِ إِلَّا مَا دَكَّنْتُمْ وَمَا دَبَّعَ عَلَى
النَّهْبِ وَأَنْ تَنْفُسُوا بِالْأَمْرِ لَا مَرَدَّ لَكُمْ فُسُقُ الْيَوْمِ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
دِيْنِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ
عَلَيْكُمْ يَتَمَيَّيْ وَمَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ دِيْنٌ فَمَنْ أَصْطَفَى فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ
مَنْجَافٍ لِإِسْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

(سائدة ١-٣)

وعن الأضحية

﴿وَلَبَدَنَ حَلَلَهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ دِيْنًا غَيْرَ فَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَاذْكُرُوا وَحَسَنَ جَعَلَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْفَقِيرَ وَأَنْتُمْ
كَدَلِكِ سَحَرَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا
دِمَافَهَا وَلَكِنْ يَبَالَ التَّقْوَى مَعَكُمْ كَدَلِكِ سَحَرَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَتَشْكُرُوا الْخَيْرَ ﴿

(الحج: ٣٦-٣٧)

لقد عاش محمد (ص) وعمل في بيئته وجد نفسه فيها مرعياً على الاعتراف بالنار، ومع ذلك دع إلى ترك عادة النار هذه:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَيْثُ فَهُمْ يَنْصَرُّونَ ﴿٥٣﴾ وَخَرَاءَ مَسِيَّةٍ سَيِّئَةٍ تَمْلِكُ ﴿٥٤﴾ قَسَمًا عَمَّا وَأَصْلَحَ فَأُخْرِجُهُ عَلَى اللَّهِ يَهُ لَا يَجِبُ الْفَائِلِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَكِنْ أَسْرَرْنَا عَنْ عَالِمِنَا مَا عَلَيْنَاهُمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَلَّنْ نَمُنَّ فِي الْأَرْضِ نَعِيسَ الْحَقِّ وَلَئِنْ لَمْ يَأْتِ الْيُسُوءُ ﴿٥٧﴾ وَلَكِنْ حَسْرَةً وَعَفْوَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَرَضِ الْأَنْبَاءِ ﴿٥٨﴾﴾

(الشورى: ٥٣-٥٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِئَلَّامُ الْيُسُوءُ وَالْأَمْسِ بِالْأَمْسِ قَسَمٌ غَفِيٌّ لَهُ مِنْ أَحِبِّهِ شَيْءٌ فَأَتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَخُذْ ذَلِكَ وَلَهُ عَدَاةُ الْيُسُوءِ﴾

(الفرقة: ١٧٨)

لقد رأى محمد (ص) في القرآن شريعة العرب، وهذا ما حصل فعلاً بعد أن صارت السلطة في المدينة ثم في مكة، وبعدها في الخلافة عليها، إلى محمد (ص) ثم إلى خلفائه، فقد وضع محمد (ص) قانوناً مدنياً إذا صحَّ المول، ليحل محل القوانين القسرية فالقرآن الغني في ميدان التركات حو الأخت لا يكر على الأصغر، وأكد على أن الأولاد من الذكور لهم النصيب عينه بصرف النظر عن السن، كما ترك لقرآن نصيباً للمرأة أيضاً (نصيب نصيب الذكر) ووفى هذه الموازين قدمت العشيرة حقها في تركة ابنتها إذا ما أوصى بها لأحدهم وكان هذا القانون د طابع تقدمي واضح، فقد بات من حق الشخصية الاجتماعية أن تتصرف بموجبه بما تملك.

وهناكم أهم البصوص القرآنية التي صيغ هذه الشرائع فيها.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا خَافَ عَدُوُّكُمْ الْمَوْتَ أَنْ تَرْكَبُوا حَيْثُ أَوْصَى الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقٌّ عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾ فَمَنْ مَكَهَ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأُولَئِكَ إِنَّهُمْ

عَلَى الَّذِينَ يَدْلُونَ إِلَيْنَا اللَّهَ سَبْعٌ عَلَيْهِ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ حَتَّى أَوْشَى مَا صَاحَ
بِهِمْ فَلَا أَسَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُوسٌ رَحِيمٌ ﴿١٨١﴾

(البقرة: ١٨٠-١٨٢)

﴿لِلرِّجَالِ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نِصَبًا مَقْرُوضًا ﴿١٨٠﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَمْرٌ قَوْمُهُ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿١٨١﴾﴾

(النساء: ٧-٨)

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ
نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَهَبْ مِنْهُمَا تَرَكَ مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ
وَاحِدٍ مِمَّاهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَكَدَّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ
فَلِأَنَّهُ الثَّلَاثُ فَبَيْنَ كُلِّ امْنَحْوَةٍ فَلِأَنَّهُ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنِ
أَبَاؤُهُمْ وَلِلنِّسَاءِ مِثْلُ مَا لِلرِّجَالِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ أَقْرَبَ فَكُلُوا مِمَّا فَرَغَ مِنْهُ مِنْ اللَّهِ إِنْ
اللَّهُ كَانَ عَلَىٰ عِلْمٍ حَكِيمًا ﴿٧﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ زَوْجَاكُمْ إِنْ لَمْ
يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ وَلِلرِّجَالِ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَبَيْنَ كُلِّ امْنَحْوَةٍ
لَكُمْ وَلَكِنْ ظَهَرَ الشَّرْهُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ زَيْنٍ وَإِنْ كَانَ
مِنْ جُلْدٍ يُرَدُّ كَالْعِلَافَةِ أَوْ إِسْرَافٍ أَوْ كَلَامٍ غَيْرٍ مِمَّا يَشْكُرُ فَلَكَ لِزَوْجِكِ وَالْأَخِ وَالْأُخْتِ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ
كَانُوا أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكِ فَهُنَّ شَرَكَاءُ فِي الثَّمَنِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ
غَيْرِ مُمْسِكَةٍ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

(النساء: ١١-١٢)

﴿يَسْتَوُونَ قُلِ اللَّهُ يَفْتَحُكُمْ فِي الْكَلَامَةِ إِنْ أَسْرُؤْ هَكَذَا لَيْسَ بِهِ وَكْدٌ وَلَهُ
أُخْتُ فَلَهَا صَبْرٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرٌّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكْدٌ فَبِنْ كَأَنَّ التَّائِبِينَ فَلَهَا
التُّدْنُ مِنْ مَكَانِ تَرَكَ وَإِنْ كُنَا إِخْوَةً مَرَحًا لَا وَتَسَاءَ فَلَذَكَرَ مِثْلُ حَقِّ الْأَشْيَاءِ بَيْنَ
اللَّهِ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾

(النساء: ١٧٦)

وحرم القرآن الرِّبَا:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطُ السَّيْطَانُ مِنْ
النَّاسِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَدُ اللَّهِ لَكَيْفَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(البقرة: ٢٧٥)

وهرض القرآن ارتداء الحجاب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُتْرِيبُ وَأَخَوَاتِي وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينٍ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلَابِيقِهِمْ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٩)

ويصط القرآن العلاقات بين الأرواح و لروحات على الوجه الآتي:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِأَنَّهُمْ اتَّقَوْا مِنْ
أُمُورِهِمْ فَالْعِصْيَانُ لِمَنْ تَلْعَبُونَ وَاعْتَصِمُوا مِنْكُمْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ شُورُهُمْ
فَعِطُّوهُمْ وَأَقْبِرُوهُمْ فِي الْمَصَاجِمِ وَأَصْبِرُوا هُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْكُمْ فَلَا تُبَغُّوا عَلَيْهِمْ
سُبْحَانَ اللَّهِ مَكَانَ عِلِّيَّاهُ كَبِيرًا﴾

(النساء: ٣٤)

كما شرع القرآن مسألة الطلاق وأقسام الأملاك في مثل هذه الأحوال :

[illegible]

(ملحق: ٧-١)

[illegible]

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنُفُوتُهُنَّ أَحَقُّ سِرِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَئِنْ مَثَلَ إِنْشَاءِ
عَلَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَلِكُلِّ رَجُلٍ عَلَيْهِمْ ذِمَّةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٠﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ
فَإِنْ سَاكَ مَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِخَيْرٍ وَلَا يُجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا بَيْنَهُنَّ
شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَهْلَ بَيْتِهِمَا حَدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حَفِظْتُمَا أَهْلَ بَيْتِهِمَا حَدُودَ اللَّهِ وَلَا حَاجَ
عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ذَلِكَ حَدُودُ اللَّهِ فَلَا تَتَدَوَّهَا وَمَنْ بَعَدَ حَدُودَ اللَّهِ فَاُولَئِكَ هُمُ
الطَّاغُوتُ ﴿١٠١﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تُجِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَصْكَحَ نِزْوَحًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَسْرَاحَا بَيْنَ ظَنٍّ أَنْ بَيْتَهُمَا حَدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حَدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لَكُمْ
يَسِينُ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبُغِيَ أَمْهَلُنَّ فَإِنْ سَكَرْتُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخْتُمْ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَسْكَوْهُنَّ صِرَاحًا تَتَعَدَّوْهُ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا
تَتَدَوَّ أَبَاطُ اللَّهِ هَرُوفُ وَأَذْكُرُوا نَسْتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَسْرَكَ عَلَيْكُمْ مِنْ
كِتَابٍ وَالْحِكْمَةُ بَعْضُكُمْ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَلُّ شَيْءٍ
عَلَيْهِ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَكُلْنَ مِنْ أَجَلِهِنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَمْهَلُنَّ إِذَا
تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُرَافِقُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ أَمْرٌ كَرِيهُ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَسْمَى لَا تَتَّبِعُونَ ﴿١٠٤﴾
وَالْوَالِدَاتُ يُرْجِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنكِحَ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى
الْمَوْلُودِ لَهُ مِمَّا رَزَقَتْهُنَّ وَكَسَبَتْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا كُفْلُ نَفْسٍ إِلَّا وَمِنْهَا لَا نَصِيحَةً
وَالِدَةٌ يُكْذِبُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُكْذِبُهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ
مِنْهُمَا وَسَاوَمٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَادَتْهُ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا حَاجَ
عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ

تَصِيرُ ﴿۱﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ أَمْوَئَةً شَهْرٍ
وَعَشْرًا قَدْ دَأَّ كُفْرَ أَهْلِهِمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿۲﴾

(البقرة: ٢٢٦-٢٢٧)

﴿۱﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ أَمْوَئَةً شَهْرًا إِلَى
لَحْدِهِمْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ عَرَضَ فَلَاحْتِجَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ
تَعْرِفُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿۲﴾ وَالْمُطَلَّاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُسْنِينَ ﴿۳﴾

(البقرة: ٢٤٠-٢٤١)

كما نظم القرآن لتعامل مع المواليد:

﴿۱﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْشَأَ مِنْ رِضَاعَةٍ
وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ مِيرَاثُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا
تُضَاهَرُ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ
تَرَاحُصٍ بَيْنَهُمَا وَشَآؤُمَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَادَتْهُ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَهُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمَا مَا أَتَيْتُمَا بِمَعْرُوفٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿۲﴾

(البقرة: ٢٣٣)

القرآن عن القرآن والرسول

إنَّ القرآنَ يثيرُ دهشةً واستغراباً أيَّ قارئٍ غيرَ معدٍّ لقراءته، عدادُ جيداً ولا ينسحب هذا الحكم على النصِّ القرآني فقط، فليس هناك في النصِّ بنية محددة، لا في لقرآن ككل ولا حتى في كل سورة من سورته، فهكذا، تكوَّنَ لقرآن، الذي كان موجوداً دائماً عند الله (قبل أن يعطيه لمحمد (ص)) بامر لا يعرفه إلا الله) والله لم يرسل منه إلى رسوله إلا ما كان يراه ضرورياً للحملة المعينة

وفي أوَّل وحيٍ نزل على محمد (ص) قيل له

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

(العلق: ١-٥)

وقد جاء في القرآن عن القرآن نصه:

﴿ وَإِنَّهُ لَشَرِهُلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾ ﴾

(اشعرا: ١٩٢-١٩٦)

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعَمَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

(يونس: ٣٧-٣٨)

﴿ أَمْ هُمُودٌ أَمْ قُلُوبُهُمْ غَافَتْ أَعْيُنُهُمْ فِيمَا كَانُوا هُمُودًا وَمِنْهُمْ مُسْرِفُونَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِبُوا عَنْكَ فِئَافَافَهُمْ فَغَلَبُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَإِلَهُ إِلَّا هُوَ قُلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(هود: ١٣-١٤)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِّي افْتَرَيْتُهُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَبِيسَ وَمِمَّا أَجْرَمُونَ ﴾

(هود: ٣٥)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا عَدِلَ النَّاسُ بِفَرَحِهِمْ إِذَا أَنزَلَ إِلَهُكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُكْسِرُ مِصْرَةَ قُلُوبِهِمَا أَنْ آمَنُوا بِأَن يُغْنِيَهُ اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ إِلَهُهُ ادْعُوا إِلَيْهِ وَإِلَيْهِ مَتَابُكُمْ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَكَذَلِكَ أَتَتْهُمْ أَمْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا حَارَكَا مِنْهُ لَعَلَّهُمْ يَلْعَنُونَ ﴾

(إبراهيم: ٣٦-٣٧)

﴿ فَأَقْبَدَ وَجْهَهُ لِدِينٍ حَنِيفٍ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَكَكْفَرُ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الرؤد: ٣٠)

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾
﴿ فَرَأَاهُ عَرِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

(الرمز: ٢٧-٢٨)

﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ قُضِيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهَا غَيْرُ تَاخِرٍ ۝ يُخَوِّفُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ ﴾

(فصلت: ٢-٤)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنِ اتَّقُوا إِلَهَ وَاحِدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۖ وَأَنذَرْتُ لَكُمْ لِلْعَذَابِ كَوْنًا ۝ ﴾

(فصلت: ٦)

﴿ إِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَرَبِيٌّ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَا يُدَلُّكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِن قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ أَلْفُ مِائَةٍ مِّن مَّعْصُومَةٍ ۖ وَكَذُو عَقَابِ اللَّهِ ۝ وَكَوْجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا ۖ لِّمَا وَلاَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَأَعْلَمِي وَعَرِيفٍ ۖ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَنُورٌ ۖ وَلِذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آدَانِهِمْ وَقُرْآنٌ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ ۖ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝ ﴾

(فصلت: ٤١-٤٤)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّ فِي أُولَٰئِكَ لَآيَاتٍ لِّذِي بَالٍ ۖ حَكِيمٍ ۝ ﴾

(الزخرف: ٢-٤)

وحاء في القرآن أن القرآن بعد تأكيدها لما جاء به موسى .

﴿ وَأَذِّصْ رُفْقًا إِلَيْكَ قُرْآنًا مِّنْ أَمْرٍ يَسْمَعُونَ ۖ الْقُرْآنَ فَلْيَحْصِرْهُ قَالُوا أُنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِ مُتَذِمِّينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن عِندِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾

(الأحقاف: ٢٩-٣٠)

﴿لَوْ أَسْرَفْنَا هَذَا الْفَرْدَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ شَيْعًا مُصَدِّعًا مِّنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَلَوْلَا
الْأَمَلُ لَضُرِرْنَا مِنَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(الحشر: ٢١)

﴿مَرْءٌ عَلَيْكَ أَكْثَابُ الْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاقُ وَالْإِنْجِيلَ
مِنْ قَبْلِ هَٰذِهِ لِلنَّاسِ وَأَمَرَ الْفِرْقَانِ...﴾

(آل عمران: ٤-٣)

ومن المعروف أنه كان هناك من لم يعترف بمحمد (ص) رسولاً لله، إنما رأى فيه
شاعراً أو كاهناً، فردّ القرآن على ذلك بنصوص مثل:

﴿فَلَا أَقْبِرُ بِمَا يُصْرِفُونَ﴾ ﴿وَمَا لَا تُصْرِفُونَ﴾ ﴿إِنَّهُ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾
﴿وَبِهِ هُوَ قَوْلُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَا قَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾
﴿تَنْزِيلُ مَرْيَمَ إِتْمَامٍ﴾

(الحاقة: ٣٨-٣٩)

﴿فَذَكِّرْهُمَا إِنَّكَ تَخْتِمْ مَرْيَمَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ
شَاعِرٌ تَتَّبِعُهُ بِهِ مَرْيَمُ الْمُسَوِّينَ﴾ ﴿فَلِتَرَوْهُوَ قَائِمًا مَّعَكُمْ مِّنَ
الْمُتَرَفِّعِينَ﴾

(الطهم: ٢٩-٣١)

﴿وَمَا عَلَّمَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿لِيُذَكِّرَ
مَن كَانَ حَرًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(يس: ٦٩-٧٠)

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَذَكَرْكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْآيَاتِ
وَبِالْزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

(فاطر: ٢٥)

وكان محمد (ص) يعود بين وقت وآخر ليعطي تفويهاً لشخصه وعمله:

﴿وَالْقَمَرِ وَمَا يَنْطُرُونَ﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿وَإِنَّكَ لَأَجْرٌ
غَيْرُ مَنُونٍ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فَصَبِّرْ وَبَصِرْ ﴿وَبِأَيِّكُمْ
الْمُنُونُ﴾﴾

(القم: ١٠-٦)

كما أذن محمد (ص) غير مرة أن من وأخيه كرسول لله أن يبلغ الكتاب للناس

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ﴾

(المعجوت: ١٨)

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ
السَّيْنِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

(الأحراب: ٤)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿وَذَاعِبِ إِلَى اللَّهِ يَدِينَهُ
وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿وَلَا تَطْعَم
الْكَاغِرِينَ وَالْمُسَافِقِينَ وَذَرِغْ أَدْعَاهُ وَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَلِّ بِاللَّهِ وَكَلِّ﴾﴾

(الأحراب: ٤٥-٤٨)

وعن نساء لرسول يقول لقرآن

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ تَقِيتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيُطْلَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ سَرَصٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وقرن في يثرب كن ولا
تسرحن تسرح أبا هذيلة الأولى وأمن الصلاة وآتوا المركة وأطنن الله
ومرسوه إنما يريد الله ليذهب عكم الرجس أهل البيت ويظهر كهم
تطهرا ﴿﴾

(الأحراب: ٣٢-٣٣)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَوَّلْنَا لَكَ أَمْرًا جَدًّا لَكَ الَّذِي آتَيْتَ أَحْوَرَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَتَكَاتُ عَمَّا كُنْتَ وَمَكَتَ خَلْدَكَ وَمَكَتَ خَالَاتُكَ اللَّاتِي
هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمِّسَةً إِنْ وَقِيتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَحْكِمَهَا
خَاصَّةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمْ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿﴾
سرحي من تشاء منهم وشؤني إليك من تشاء ومن أمتعت من عركت فلا حرج عليك
ذلك أذن أن قمر أعينهم ولا تخربن وترضين بما آتينهن حكهن والله بعهد ما في
قوبكم وكان لله عبيدا حليما ﴿﴾ لا يحل لك السوء من بعد ولا أن تبدل بهن
من أموات ولا أعجبك حسنهن إلا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

مرقبا ﴿﴾

(الأحراب: ٥٠-٥٢)

لقد أكد محمد (ص) مرات كثيرة على أنه ليس شاعرا إنما رسول من عند الله
ولكننا بسا ندرك الآن إن واحدهما لا يعني الآخر ومن قرأ القران حتى مترحما يتيقن أنه
إبداع شعر متميز وما نحن بسوق مقاطع منه تأييدا بهذا الرأي.

﴿وَالطُّورِ﴾ وَكَتَابِ الْمُسْطَوْرِ ﴿فِي مَرِّ مَشْوَرٍ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ وَالْخَيْرِ الْمُسْجُورِ ﴿لِيُعَذِّبَ مَرْيَكَ لَوْ لَفَعَ﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿

(الطور: ٨١)

﴿وَإِذَا اسْتَنْسُ كُومِرَتْ﴾ وَإِذَا الْجُورُ أَكْدَمَتْ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سَوِيَتْ﴾
وَإِذَا لَعِنَتْ مَعْطَلَتْ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿وَإِذَا
النُّفُوسُ مَرْجَتْ﴾ وَإِذَا الْمَوْزُودَةُ سُكِنَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وَإِذَا الصُّعُفُ
سُفِرَتْ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُتْرِفَتْ﴾ عَلِمْتَ هَسَّ مَا أَخْصَرْتُ ﴿

(التكوير: ١٢-١١)

﴿وَالْفُجْحَى﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَحَى ﴿مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ وَمَا قُلَى﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرَ
لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴿وَكَسُوفَ بَطْنِكَ رَبِّكَ قَرَضَى﴾ أَسْمَرَ يَجِدُكَ تَبَسًا قَاوِي ﴿
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ وَوَجَدَكَ عَنِ الْآفَاقِ عَنِي ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ﴾ وَأَمَّا
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿

(الضحى: ١١-١٠)

﴿إِذَا نَزَلَ بِرَبِّكَ الْأَمْْرُضَ نَزَلَ بِهَا﴾ وَأُخْرِجَتْ الْأَمْْرُضُ أَهْلَهَا ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ
مَا لَهُ﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿بِأَنِّ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهُ﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
أَنْشَادًا لِّسْمِهِمْ أَعْتَدَ لَهُمْ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ ﴿

(الزلزلة: ١٠-٨)

﴿الْمُشْرِجَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿وَوَضِعْنَا لَكَ وَتَرَكْنَا الَّذِي أَتَمَّزَ ظَهْرَكَ ﴿وَمَرَقْنَا لَكَ دِصْرَكَ ﴿وَأَنْزَعْنَا لَكَ عُصْرَكَ ﴿لَا تَمَسُّهُ إِلَّا يَدُ الْمُتَنَبِّئِ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ فَاصْبِرْ ﴿وَلَا يَمَسُّكَ فَاتْرُكْ غَيْبُ﴾

(الشرح: ٨-١)

﴿وَالْعَصْرِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿إِلَّا أَدْبَرَ أَتُونَا وَتَعْبُدُوا الصَّالِحَاتِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّغِيرِ﴾

(العصر: ٣-١)

﴿قُلْ أَغْوَدُ بِرَبِّ الْعَلَقِ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

(العلق: ٥-١)

﴿قُلْ أَغْوَدُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿إِلَهِ النَّاسِ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

(الناس: ٦-١)

الفصل الثاني والعشرون

الإسلام بعد محمد (ص)

لقد ترك محمد (ص) دولة إسلامية ثيوقراطية كسرو، امتدت على مدى شبه جزيرة العرب كله، وبينما محمد (ص) على قيد الحياة كانت بين ندسه السلطتان الدينية والزمنية (الامارة والإمامة) وبعد وفاته انتقلت السلطة إلى خلفائه الذين أدوا مهمته تمسها فتولاها أبو بكر من العام ٦٣٢م إلى العام ٦٣٤م، تلاه عمر من العام ٦٣٤ إلى العام ٦٤٤م لصد كان الخلفاء الأربعة الأوائل من أصحاب محمد (ص) وأنصاره الأوائل، وحمل هؤلاء في الترويج الإسلامي اسم «الحق الراشدين» وقد مات ثلاثة منهم قتلاً، وواحد فقط، هو أبو بكر صمد مئة مئة طبيعية وبعد هؤلاء انتقلت السلطة إلى سلالة بني أمية، وبقيت لها حتى العام ٧٥٠م. لقد اتحد بنو أمية من دمشق عاصمة بهم ووضعت دولة الخلافة بمسما في مواجهة بيزنطة وفارس فهزمتها معاً، ثم استوت الخلافة على مصر. وأخذت دولة الخلافة تمتد غرباً على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط أمماً في الشرق فلم يحكمب الخلافة بإيران وحدها، إنما ضمَّ إليها إقليم ما وراء القفقاس أيضاً ووضعت حدودها في شمالي أفريقيا إلى سواحل المحيط الأطلسي وفي العام ٧١١م عبرت قوت خلافة بني أمية مصيق جبل طارق، واستولى العرب على شبه جزيرة إسبانيا كلها واستولت دولة الخلافة أيضاً على شطر كبير من آسيا الوسطى، وبك أفغانستان حتى حدود الهند إلى لقد نالت حدود دولة الخلافة عظيمه، لكن بيزنطة صمدت

وإنه وفاة محمد (ص) أحدثت مظهر دراسات له صانع المسيرة، واحتتمب هذه الدراسات كلها في مجلدات دعيت السيرة أو السير وعلاوه على هذه أضيفت تقماً شيئاً شبيهاً دراساب أخرى تناولت الأحاديث النبوية التي تنسب إلى شئني أطوار حياة الرسول. فقد كان من المهم لهم أن يعرفوا كيف تعمل محمد (ص) مع هذه المسألة أو تلك، ومادا قيل عن هذه المسألة أو تلك، وكان ينبغي أن يشكل هذا كله إضافة إلى القرآن مرشد عمل. وكان إسماعيل الحديث يبدأ من الصلابة عبر خلفائهم وصولاً إلى المدون بنسبه. وأطلقوا على هذا النص اسم المسند وقد جمعت الأحاديث الصحيحة كلها ودونت في كتاب السنة وهذا ما دأبت عليه الديانات

الأخرى كلها. ففي يهودية، إضاهة إلى أسفار العهد القديم، أنشأوا التلمود. وفي المسيحية أيضاً م تماثل هذا، لكن ما وصعوه لم يأخذ شكل إكتساب إقنابوسي المعترف به ونحو. تحدث عن هذا الأمر لأنَّ لِسنة أنتجت المذهب السُني الذي دخل منذ تلك الأرمة في صراع مربر مع المذهب الشيعي، ولا يزال الصِّراع مواصلاً حتى يومنا هذا فقد قاوم الشيعة السُنة انطلاقاً من أن القرآن وحده مصدر الحقائق لإسلاميَّة وللمنزهين مواقف مختلفان من مسائل «سلطة الأئمة، فالإمام بابن سبه للشيعة إسان معصوم، وله الحق في أن يميت وحده في أي مسألة كانت، أمَّا السُنة فيرون أنَّ الفتوى في المسائل الدسسية يجب أن تكون لأصماع أهل إراي، كما يختلف موقف كل من لِسنة والشيعة في مسألة لسلطة فلم بمترف الشيعة إلا بمحمد (ص) وإقرار، ورأوا أنَّ السلطة يجب أن تكون في سلالة الرسول فقط، وكان يسو أميه قد استولوا على لسلطة عنوة في حرب دموية ضارية وقد عمل هؤلاء استيلاءهم على السلطة بتعاليم السُنة التي كانت سبدهم الديني، وحارب اشيعه السُنة، أو بمعنى أدق حاربوا بني أمية. وقاد حربهم الإمام علي من أبي طالب ابن عمِّ محمد (ص)، وتواصل الصراع بين السُنة والشيعة على إمداد التاريخ الإسلامي كله، ولذلك يبدو من المهم أن نتعرف إلى حذور ذلك الصراع د حل لدين الواحد: الإسلام فكما في الديانات الأخرى، كذلك الإسلام عرف كثرة كثيرة من التيارات، والطوائف، والهرطقات، ولكب سوف نتعامل أكثرها في كتابنا هذا، لأنَّ عرضاً فيه يتلخص في إعطاء القارئ معلومات عن أصول الديانات، عن جذورها الأولى، ثم مقارنة الحقائق التي تتضمنها مع معطيات العلم المعاصر

في أوائل القرن ٨ م يمتد حدود دولة الإسلام أقصى امتداد لها من نهر لسنند إلى شواطئ المحيط لأفريقي، ومن شواطئ بحر قزوين حتى صمصاف نهر النيل ومن لواصح أنه كان من الصعوبة بمكان أن يدر تلك الدولة المترامية من مركز و حد في ظل مستوى وسائل التواصل الذي كان سائداً في تلك الأرمة صف إلى هذا أن الظروف في معتتب أجراء دولة الخلافة تلك كانت شديدة التباين، وكان طبيعياً أن يظهر مختلف ضروب الهرطقات التي أجمعت من دون رحمة، تماماً كما كانت لحال عند المسيحيين.

وكما كان الداب في كل زمان ومكان، فقد سار هنا أيضاً صراع متواصل على السلطة، وعزم خصوم الأمويين على انتزاعها منهم مهما كلف الأمر ومع في ذلك الوقت نجم اثنين من سلالة محمد (ص) أبو اعباس ونبو حممر هالاشان كذا يتبعان إلى العباس عم الرسول وقد نجح هذان في صراعهم معديسي أمة وقامت سلطه لعباسيين، وأول ما فعله هؤلاء، أنهم ألدوا خصومهم من أنصار بني أمة بعد أن دعوهم للمصاحبة، لكنهم عدرو بهم

لقد نقل العباسيون عاصمتهم من دمشق إلى بغداد، ومع وصول هؤلاء إلى السلطة بصرى قد بدأ طور تداعي الإمبراطورية الإسلامية الجبّرة اهتّم العباسيون اهتماماً خاصاً بالحفاظ على قوتهم العسكرية هضماً ألباء الأمم الأخرى ودلفوا في ذلك واستدأ من القرن ١٠م، في عهد الخليفة المقتدر، مات قائد الجيش أميراً على الأمر، أي أن شؤون الحكم كلها شُدت بين يديه ولم يبق للخليفة سوى لشؤون الدسيسة، هُت صدر هذا الرئيس الروحي للإسلام.

وبالر الخلفاء أنفسهم، في تدمير دولة الخلافة لوأحدة: إذ دفعتهم حاجتهم لسقوط إلى منح الأمر، ولايات بكملها إمبراطرات لقاء مبالغ متفق عليها وشيئاً فشيئاً أحد يظهر السلاطين و الملوك والأمر، الذين أداروا شؤون دولهم إذرة مستقلة عن مركز الخلافة، وبعد أوائل لقرن ١٠م، كانت قد انفصلت عن خليفة بغداد أسبانيا، وشمال أفريقيا، والولايات الشرقية بدءاً من إيران حتى الهند.

وفي العام ٩٤٥م سقطت الخلافة العباسية بصفتها دولة، ووقعت بغداد تحت سيطرة قبائل جنوبى بحر قزوين؛ فقد سيطر هؤلاء تماماً على السلطة الرسمية ولم يبق للخليفة سوى السلطة الروحية.

وفي القرن ١١م تعرضت بغداد لغزو كاسح شنه عليها مسلمون سنه، فالسلطة في بغداد كانت واقعة وقتذاك تحت تأثير لشيعة، وهؤلاء كانوا من مملكة الرسول، وكان أولئك المعزاة هم القبائل التركمانية التي كانت تستوطن سهوب آسيا الوسطى، ولم يكن قد مرّ من طويل بعد على اعتناقها لإسلام على المذهب المنيّ وبعد أن استولى التركمان على السلطة في بغداد أقاموا فيها على رأس السلطة سلطاناً منهم ويعكس القول في هذا السياق، «لا شرّ من غير خير» فالعزاة السنه هؤلاء أعادوا إحياء الدولة الإسلامية لوأحدة إثر فتوحاتهم في إقليم غربي آسيا.

وفي القرن ١٢م، عرّف لإسلام طور لصعود الثاني، بعدما خرج استول إلى مسرح التاريخ على امتداد عدة عقود شغل جنكيز خان إيران، وآسيا الوسطى، وأفغانستان، وألمقاس وجنوبي روسيا، وما لبث المنغول أن استولوا على روسيا كلها، ووصلوا حتى بولونيا والبحر وفي الشرق الأقصى استولى المنغول على الصين، ثم ادفعوا نحو وادي الرافدين، وسوريا، ومصر وكان الغزو المموني قد بدأ في العام ١٢٠٩م وفي العام ١٢٥٩م استولى هؤلاء على بغداد، وقد نجح ممالك مصر في إيقاف رحلتهم نحو حوض عرب لقد كانت ديانات معمول محترمة لىودية، والمسيحية، والعبادات الشمسية الوشية إلا أنهم سرعان ما

تحوّلوا شيئاً فشيئاً إلى الإسلام الذي كان قد باب منذ القرن ٨ م ديناً رسمياً للسوية المنغولية وعلى امداد أكثر من قرنين كانت سياسة آسيا مكلّمة تحت إدارة المغول.

ثم حُلِبَ الإمبراطورية العثمانية محلّ الإمبراطورية المنغولية، وقد اعتمد عثمانيون بدورهم على الإسلام أيضاً وفي العام ١٤٥٢ م نجح هؤلاء في الاستيلاء على القسطنطينية وبدأت سلسلة جديدة من الحروب الشبيهة بحروب العرب في اقرن ٨ م. ومنذ العام ١٥٠٢ م، تأسّست في إيران دولة إسلامية قوية، وهي بعد، في العام ١٥٢٦ م ظهرت دولة المغول العظام الإسلامية، التي عاشت حوالي القرنين، وأخذت تظهر في أندونيسيا بدل الدولة (أو وحدة غير الإسلامية، إمارات إسلامية مستقلة).

لقد استولت الإمبراطورية العثمانية على بيرمطة ومصر، وشبه جزيرة العرب، وواصلت رحمتها غرباً على طول اساحل الحنوبي للبحر المتوسط وناات مضائق الصخرة بين يدي اسلطان المشائي، فقد استولى على مكة والمدسة، وهكذا عدا سلاطين بني عثمان منذ اقرن ١٦ م الزعماء الروحيين للعالم الإسلامي يبد أن الشيعة لم يعترفوا بخلافة العثمانيين الأتراك ولذلك عدتهم سلطات الإمبراطورية أعداء مثلهم مثل لكاهن.

وفي أوائل اقرن ١٦ م قامت دولة المغول العظام في الهند وكانت هذه قد نشأت إثر انتصار التحالف الإقطاعي - الأفغاني - التركي على الإقطاعيين الهنود وكانت تلك الحرب هي حرب الإسلام ضدّ الهندوسية وكان أكبر من ألغ أباطرة الإمبراطورية المنغولية هنا وقد حكم من العام ١٥٥٦ م، إلى العام ١٦٠٥ م وراد أكبر من رقعة الإمبراطورية إذ ضمّ إليها هندوستان وأفغانستان.

في العام ١٧٢٠ م ظهرت في الإسلام حركة تمثّل أهميّة متميّزة، فقد دعت لحركة معودة إلى الإسلام لأول وهو ما يدكرنا بحركة الإصلاح الديني التي عرفتها المسيحية في اقرن ١٦ م. وقد دعت الحركة الإسلامية بالحركة الوهابية ودعا أصحابها إلى الالتزام بالقرآن وحسب ولم يصرّوا من السكّة إلاّ نما جاء في عصر الخلفاء الراشدين. و تعتمد الوهابيون على عمادة الأولياء التي كانت شاعت في الإسلام، مقوِّص عبادة إله الواحد، وتنتهك الموضوعات القرآنية، ولذلك رفض الوهابيون اسجود لأيّ من الأولياء يمس فيهم محمّد (ص). ورأوا أنه يجب لا يكون ثمة وسيط بين الله والمؤمن؛ وكان هذا يعني من جانب آخر أنه ليست هناك ضرورة لوجود رجال الدين، ودعا الوهابيون إلى العيش وفق القرائن الأولى التي جاء اقراراً بها تحريم الخمر، والتدخين، والابتعاد عن شتى ضرور العقائد الخرافية ولو تذكرنا الروتستانتية المبكرة لرأينا أنها دعت بدورها للعودة إلى تعاليم المسيح لسبئية، وترك تلك التي جاء بها رجال الدين فيما بعد محرّفة.

لقد تشكلت الحركة الوهابية كحركة عسكرية فقد ولدت في وساطة القبائل العربية البدوية، وقد احتضنتها هذه الأخيرة، وقاد الحركة أحد شيوخ تلك القبائل ابن مسعود ووضعت الحركة لنفسها هدفاً، هو الاستيلاء على شبه جزيرة العرب كلها وحقق الوهابيون على العراق، ثم على سوريا، ولكن محمد علي وامي مصر وقدرات حقق عدد من الانتصارات عليهم بين العام ١٨١٦-١٨١٨م. ونجح في إلحاق هزيمة بهم وأسر رعيهم، لذي أرسل إلى القسطنطينية حيث أعدم فيها. بيد أن دولة الوهابيين بقيت هتمة إذ تحولت إلى إمارة قام على رأسها آل سعود.

وقد وصلت الأيديولوجيا الوهابية إلى الهند وشكل انتصارها هنا «أخوية المحاهدين من أهل الدين» وما لبثت الأخوة أن شنت حرباً مسلحة ضد الشيخ وحققت فيها نجاحات واضحة، إذ انتزع المسلمون مساحات واسعة من أراضي السنج. وأسموا عليها دوستهم الإسلامية، ولكن سكان الدولة المملوكين قاوموا السطام الجديد ونهت الأمر بمقتل رأس أسوة على يد الشيخ في العام ١٩٢٨م. بيد أن الحركة الوهابية نفسها لم تسدر. ووجهت حريتها الآن ضد خصم جديد، هو الاستعمار الإنكليزي، وقد استخدم الإنكليز في تعاملهم مع الحركة العصا والجزرة فشنوا حملات تأديبية ضدها، لكنهم من جانب آخر أغروا زعماء رجال أسين واشتروا بعضهم بالمال وآلت الأمور في القرن التاسع عشر إلى العثور على لغة مشتركة بين الإسلام والإنكليز في الهند

وعرف الإسلام على امتداد تاريخه كثرة من التغيرات التي ألّف المؤرخون فيها معجماً كاملاً. وما له دلالة مهمة في هذا السياق، هو تيار اليهائية الذي أقره الإسلام. وقد اعتمد هذا التيار شعاراً رئيساً له، هو «الدين عامس توحيد وإدا ما تحول إلى سبب للفرقة هبته من الأهل بكثير الأ يكون له وجود أصلاً». وكان مؤسس هذا التيار بهاء الله قد عزم على تأسيس دينة عالمية جديدة توحد الديانات القائمة في العالم كلها وكانت الخطوة الأولى عده لتحقيق ذلك تتمثل في توحيد الصلوات، ولشعائر، وافرئض والحرمات، ولكن تحقيق ذلك كان ممكن بطريقة واحدة فقط، هي إلغاء هذه العناصر كلها. وأخذ قادة هذه الحركة أنفسهم يسلكون هذا السلوك فطرحوا شعار «الناس كلهم أخوة وسواسية». ولهم الحقوق عساها

وفي أواخر القرن التاسع عشر، ظهر في السودان تيار إسلامي آخر دعا إلى إحياء الإسلام الأول، هو الحركة المهدية. وقد أسمى للمهدية أن تحارب على أكبر من حجة ضد

المسلمين المبردين (الترك والمصريين). وضد المستعمرين الإنكليز، وكما يحدث في التاريخ غالباً، فقد بدأت هذه الحركة مدّة بسيطة كان زعيم الحركة هو اندريوش الموداسي محمد أحمد الذي اتخذ من حريته أباً في مظهر التملق مقلداً له، ومن هناك أرسل درويش إلى مختلف أرجاء البلاد يندون بالمساة لأخلاقه والنشر النذج ودعا هؤلاء في خطبهم وعظاتهم إلى إعادة توزيع الثروات توزيعاً عادلاً، ويرمي النير التركي - المصري. وما لبثت البنور المبروعة أن نبت وطرحت ضاراً وهيرة - طرد المستعمرون في أحر المطاف وتأسست دولة السودان المستقلة ولم يكن سرتب الشهري لكبار رجال الدولة فيها يزيد عن مرتب الموظف العادي، أمّا قيادة الجيش فقد تشكلت من أفراد نفّثت الشعبية النديا، وفرصت على المجتمع قواعد حياة التقشف. ولكن ما أن مضى بعض ثوقت حتى أخذ هذا النظام يتدعى، وانتشر الفساد، ثم إلى هذا كله في آخر المطاف إلى سقوط اسوة السودانية نفسها، ولم تمنح لحركة المهية منذ نشوئها في العام ١٨٧١م حتى سقوط دولة التي أسسها سوى سبعة وعشرين عاماً.

ولكن سقوط الدولة لم يؤد إلى سقوط فكره العودة إلى الإسلام الأول، إلى العدالة، فقد تواصلت الدعوة إليها في الصحف والمجلات، وعبر الصوات السياسية والدبلوماسية، ثم خرجت من الإطار القومي إلى العالم الحرجي كله

وقد جاءت النسخة الجديدة للفكرة في محتوى جديد دعا إلى توحيد مسلمي العالم كله في دولة إسلامية عالمية واحدة تدغم فيها المطلقة الزمنية بالسلطة، الروحانية، والحقيقة أن فكرة الوحدة الإسلامية العالمية كان لها أساس مادي، فتنهاها ودعا بها شيخ مصر محمد عبده، والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني وكان هذا الأخير يمثل قوة حقيقية للدعوة لقد قدم السلطان العثماني دعمه وحمانيته لمفكر الإسلام العالمية جمال الدين الأفغامي وكانت الخطة تقضي بتوحيد إيران، وأفغانستان والشطر الإسلامي من الهند، وآسيا الوسطى وعدد من بلدان شمالي أفريقيا في دولة واحدة. وكان السلطان التركي يأمل في أن يفتح على رأس تلك الدولة العالمية. كما كان يحب أن تشكل تركيا نواتها. ولكن ما أثار دهشة المؤرخين واستغرابهم، هو موقف السياسيين واسلوماسيين الإنكليز المبردين لهذه الفكرة، بد من المعروف أن التبداء الأساس الذي اعتمد الإنكليز هو «فرق تسد» وقد يمكن تفسير موقف الإنكليز هذا بكون تركيا كانت في تلك الحقبة تابعة لبريطانيا، ورأت بريطانيا أنها سوف تكون على رأس الهرم كله

وفي القرن التاسع عشر شاعت فكرة العودة إلى الإسلام الأول في الهند أيضاً وقد رأى زعيم الحركة هنا سعيد محمد خان، أن الإسلام النقي لا يمكن أن يبيع حركة تقدم

البشرية. لأنَّ تحقيق هر نفس هذا سين مرتبط ارتباطاً وثيقاً مع السويز وتنمية الحضارة» لقد عدَّ سعيد أحمد حاش أنَّ الطليعة هي كينونة الله، وقوانينها ملزمة، ويمدُّ تحلياً لحوهر الله، ورأى سعيد أيضاً أنَّ المعايير الرئيسة للحركة، هي «تحرير المسلمين من صبيح أُنق علماء لدين، وتحقيق حرية البراءة».

وعلى قاعدة حركته سعيد أحمد حين ظهرت في لبحاب حركة كدت واحده من سويغات حركته سعيد وقد تزعم لحركة هسا أحمد قاصبي، ولذلك دعيت الحركه بالحركة الأحمديه، و حركة القاضياني وقاصبياس هو أيضاً اسم منطقة ينتمي إليها علام أحمد وقد عدَّ علام أحمد نفسه نبياً مثله مثل محمد (ص) و مسيح ورأى أنَّه ليس ثمة تمايز جوهرى بين المسيحية والإسلام، وإنَّ الله ياتين يمكن أن تمدغما في دابة واحدة دون عائق. ومن اسمي أنَّه كان ينبغي أن تدعم الديانتان بالهندوسية أيضاً

ولا بدَّ في خاتمه حديثنا عن الإسلام من بعض الكمات عن الإسلام في روسيا، ففي النصف الثاني من القرن ١٦م. اسولت روسيا على الدولة القازانية ولولة الاسراحابية، ثم خصمت بعد ذلك الدولة لثوعانية، ويشكيب العربية، وحانية سيبيريا. وفي لمر ١٨م. حاصت روسيا سر عاً للاستيلاء على شمالي أذربيجان، وسحب في صمَّه إليها في العام ١٨٢٨م. وكانت روسيا قد ضمَّت إليها القرم في العام ١٧٨٢م ثم ضمَّت بعد ذلك، ن روسيا حابات ومارات آسا الوسطى وهكذا باتت روسيا تتوفر على كثرة كثيرة من المسلمين.

وفي بادئ الأمر رأى قباصرة روسيا أنَّه ينبغي استئصال حدود الإسلام من حوص الفولغا وسيبيريا ولكن الموقف العملاي هو الذي فرض وجوده بعد ذلك، وأقرت سياسة التمايش السلمي بين الإسلام والمسيحية وهذا ما يمكن أن تؤكده رسالة مفتي ريبيورغ سبطانوف إلى أئمة اساجد فقد جاء في تلك الرسالة «لقد وصلت إلني أخبار أنَّ إشاعات بين الناس، يساقها الملالي أيضاً، مزداها رعم بأنَّ المحمديين سوف يرعمون على اعتناق دين الروس... يمس لدى الحكومة أي بية لإرغامها على اعتناق المسيحية، بل على الضدَّ من هذا، إذ يسمع لنا أن نمارس عبادتنا الإسلامية بصورة علنية، وبحرية كاملة، وأنَّ بني مساحنا كم يريد...» إذن لقد دعم النظام القيصري الإسلام ففي لعام ١٨٢٢م. وضع اسميناتور به بوغدانوف وثيقة جاء فيها: «ساء على أمر عظمتة للإمبراطورية سيَّ روسيا ككلها بأمر مسلمي روسيا بأنَّ يلتموا بمرائس دينهم ككلها، ويتمسكوا بصلواتهم بكن عقائدهم وعقبات من يحالف تعاليم دينه الإسلامي المعاصرة الأولى عقابها لجلد بالقضيب، والثانية بالمصا و لثالثه بالكرداج». وحملت الوثيقة توقيع المفتي السري سليمانوف.

كيف عرف الإسلام الروسي بدوره طوائف وحرركات. لكننا لن نتوقف عندهما بشير فقط. بل أن الانقسام الرئيس توزع على المذهبين السنّي والشيوعي وكتبت صحيفة «في عالم الإسلام» تقول، إن انقسام المسلمين إلى شيعة وسنة، هو «خون عصبر»، لأن «الشيعة مسلمون أيضاً مثلهم مثل السنة، بالتالي كلنا مسلمون أخوة».

ومن البدهي أننا لن نحل كل لتيارات التي عرفها الإسلام والمسيحية، لأن مثل هذا الموضوع يتطلب وصح أكثر من كتاب ونحن عارمون هذا على التأكيد على بعض النقاط التي نرى أنها النقاط المهمة. وأنها حماقات الإسلام التي شاعت في بلادنا روسيا في عصرنا هذا. فثمة كتب أصدرته سمارة المملكة العربية السعودية في موسكو في العام ١٩٩٢م، وردت فيه المعطيات التالية:

إن الإيمان عند المسلمين، هو الإيمان بالله الواحد، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وحقبه وجود احيير واشتر. أمّا فيما يتعلق بالكتب المقدسة، فهي تؤكد بصدق الإيمان على أن مغزى الإيمان بالكتب المقدسة يتلخص في إيمان كل مسلم بوجود مكتب مقدس لدى العلي، أرسله إلى رسله، وهذه الكتب هي كلام الله النبي بعد حقيقة الالهة، وقد أرسل الله كنهه في صورة وحي إلهي وهذه الكتب هي: توراة موسى، ومزمير داود، وإنجيل يسوع المسيح، وقرآن محمد (ص). إضاهه إلى لصحف الأولى التي أرسلت قبل هذه الكتب الأربعة،

ومن المهم جداً أن يقر المسلمون بأن هذا كله بعد تراثاً روحياً للبشر، وليس لأمة معينة وطائفة معينة

وعن إرسال يقول الكتّيب المذكور «إن الركن الرابع المهم من أركان الإيمان، هو الإيمان بالرسول. ويتلخص مغزى الإيمان بالرسول في يقين المسلم بوجودهم عند العلي.

لقد أرسل الله إرسال ليعظوا الناس، وليبشروا الصالحين بالثواب، ويحذروا الكافرين من العقاب، ويبينوا للناس صلاح شؤونهم الدنيوية والدنيوية، فالرسول هم دعاة الحقيقة بين الناس. إنهم أحبار لحسن بشري وقد ذكر القرآن أسماء خمسة وعشرين منهم، وهم: آدم، ودريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وإيليا، وأليسان، ويوان، وزكريا، ويوحنا المعمدان، ويسوع المسيح، ومحمد (ص) وعلى اسم أن يؤمن بوجود الرسول كنهم دون استثناء.

فما هي الصلوات - لتوسلات التي يرهبها المسلمون الآن إلى الله؟

تشكل سورة الفاتحة جزءاً قائماً بذاته من القرآن، وبها يبدأ كل مسلم سلمه صواته اليومية، وقد فرضت على المسلم خمس صلوات كل يوم صلاة المجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء وعلاوة على هذا الفروض يمكن للمسلم أن يؤدي أي صلوات أخرى يريد، ولا سيما صلاة التهجّد التي تعدّ تجلياً خاصاً للتقاء والظهر، ومن لفاتحة هو

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾
(الفاتحة ١-٧)

ومن ادعاء للميت في الصلاة عليه:

﴿ اعفُ طيباً وميتاً، وشاهداً وغائباً، وصغيراً وكبيراً، وذكرنا وأنتنا، اللهم من
أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره
ولا تفتك بعده... اللهم اقلنا في قلوبنا، وحبل حوارك معه من قبة القبر
وعذاب النار، أنت الغفور الرحيم ﴾

من دعاء صلاة الاستسحارة:

﴿ اللهم اني استخيرك بعلمك، وأستقدر بك قدرتك، واسألك بفضلك العظيم، فانك
تقدر ولا اقدر، وتعلم ولا اعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم زكّ هذا الأمر - وتسببه -
جبراً وتوفيقاً في عاجل مري وأجله فأكتبه لي بغيره. وإن كان فيه شيء شرير فبغيره وبغيره
عاجل مري وأجله فأصرفه عني وأصرفه عنه وأكتب الخير حيث كان ثم ارضني به... ﴾
من ادكر النوم، ينبغي على المسلم عندما يستلصق ليد أن يستقي على حسه الأيمن،
ويضع يده تحت حذّه ويقول.

﴿ اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم، فأرسلني من سمائك فأرسلني
وأرسلني من سمائك فأرسلني من سمائك فأرسلني من سمائك فأرسلني من سمائك... ﴾

من استدعاء قبل الطعام

﴿اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه﴾ ومن سقاه الله لتَهْلِكْ ﴿اللهم

بارك لنا فيه وردنا منه﴾ .

الدعاء عند الفراغ من الطعام

﴿الحمد الذي أطعمني هذا، وورقنيه، من غير حول ولا قوة﴾ .

الدكر عند الخروج من المنزل.

﴿بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله﴾ ﴿اللهم إني أعوذ بك أن

أضل أو أضل أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أضلم، أو أجهل أو يجهل علي﴾ .

الدكر عند دخول المنزل

﴿بسم الله وحنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله﴾ .

دعاء السفر:

﴿الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرين وإنا

للمرتبنا منه قبلون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا، البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون

علينا سفرنا هذا، وطين عقابنا، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم

إني أعوذ بك من وعاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل﴾

دعاء الريح

﴿اللهم إني سألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من

شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به﴾ .

من دعاء اللهم والحرث

﴿اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع

الذي وعلة الرجال﴾ .

المغزى المكنون للحيات

لقد كان الدين موجوداً لدى الشعوب و لأفروا والقبائل كلها في الأزمنة كلها وقد حاولوا أن يعرفوا بشوته لأسباب شتى فالملاحدون حصوم الدين حاولوا تحليل تهاقت إيمان الإنسان بالإله بزعم ضعفه وعجزه وما إلى ذلك. وأشاعوا شعر الدين الأقوياء بحاجة إلى الإيمان.

ولكن ما ينبغي الانتباه إليه في هذا السياق هو ضرورة التمييز بين الإيمان بوجود إله والإيمان بالدين، ويمسى أنق الإيمان بالإله والموقف من أو تلك الذين يقيمون الشعائر اليومية التي يفرضها الدين. ورأى هؤلاء أنه يكفي أن تظهر أن الأباء المقدسون يمسوا مقسسين حتى تحققي مسألة وجود الإله تماماً. والحقيقة أن الآباء لمفسوس لميسوا مقدسين. هالإنسان هو الإنسان دائماً وفي كل مكان. في جهاز الدولة، أم في سلك رجال الدين، أم... هالانتهاء من لشرفلة نائرة، هذا إذا كان لهم وجود أصلاً. ولذلك ليس من المشروع احتصار الموقف من إله في مسألة سلوك الإنسان كقنة ما كانت الوظيفة التي يقوم بها أو المنصب الذي يشغله، سواء كان بنا أو بطريركاً.

وعلاوة على سعادهم لسلوك رجال الدين وحه اسجدون سهام هجومهم نحو الكتب المقدسة أيضاً، معراب، وبساعاتها ولكن هده لكتب دونها بشر في نهاية الامر بل لم يقتصر الأمر على تدوينها، إنما تسعت وأعيد بسجها مرأت ومراث، ودققت، ورشد، وصححت. وقد أدى ذلك ليعمل كنه بشر، وأبشر قادرون على همل أي شيء ولذلك يجب أن يكون لموقف من التراث الروحي المكتوب مؤمماً بقدياً عميقاً وبعيداً عن أي تحير فليس المطلوب أن نبحث في ذلك لتراث عمأ تريد أن نجده فيه، بل لطلوب هو قبول ما هو موجود فيه همللاً.

سوق مثلاً من المعروف ما لمسألة الخصيئة الأصنية من أهمية مبدئية إله بها أبأنا آدم وأما حواء هم اللذان اقرقا ذلك لإثم بذلك دت الحسن السري كله مسزولاً عن تلك الخصيئة. ظهرت الحروب، والاستبداد، وحرائم القتل، والخدع، والفسر وكل ما بات بتسم

له سلوك الإنسان مما يشبه هذا ونحن نؤكد على أن سلوك الإنسان «بات» هكذا وفق اختياره هو نفسه عندما وقف يوازن بين أن يبقى كما خلقه الإله (كاملاً، باراً، نقياً)، أو يتهلك ما حرّمه عليه، ويتعاوز ناموسه، ويصير إلى ما صار إليه الآن.

فما هو جوهر التحريم الإلهي، فيما قام ناموسه الذي انتهكه الإنسان الأول؟ يقول

ابعد التقديم

﴿وَعَرَّسَ الرَّبُّ لِلَّهِ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا وَوَسَّعَ هُنَاكَ آدَمَ ابْنِي جَنَّةٍ.
وَأَثْبَتَ الرَّبُّ لِلَّهِ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهْبَةً لِلنَّظَرِ وَجَنَّةً لِلْأَكْلِ وَشَجَرَةً
الْحَيَاةِ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ وَشَجَرَةً مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.﴾

(تكوين ٢ - ٨-٩)

﴿وَأَمَرَ الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ قَائِلًا: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا ۖ وَأَمَّا
شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ﴾

(تكوين ١٦ - ٢-١٧)

(وَكَمَا كَلَّمَا عُرْيَانَيْنِ آدَمَ وَامْرَأَتَهُ وَهُمَا لَا يَخْتَلِفَانِ.)

(تكوين ٦ - ٢٥)

﴿وَكَانَتِ الْحَيَاةُ أَخِيلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ الَّتِي غِيَلَهَا الرَّبُّ لِلَّهِ
فَقَالَتْ لِمْرَأَةٍ: أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ ۖ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ
لِلْحَيَوِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرٍ لُجْنَةً تَأْكُلُ ۖ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ
اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَسَاهُ لَعَلَّ تَمُوتَا ۖ فَقَالَتِ الْحَيَاةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! ۖ بَلِ
اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَلْتَمِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَتَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.
ۖ فَقَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعَيْنِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهْبَةٌ
لِلنَّظَرِ فَلَخْذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا يَصْ نَعْفَ فَأَكَلَ. ۖ فَتَفَتَّحَتِ
أَعْيُنُهُمَا وَهَبَّمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ فَخَاطَا أُوزَاقَ بَيْنٍ وَصَنَعَا لِنَفْسِهِمَا مَائِدَةً ۖ وَسَوَّعَا
صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهَ مَا شِئَا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَالْخَبَا آدَمَ وَامْرَأَتَهُ مِنْ
وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ ۖ فَتَادَى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ أَيْنَ أَنْتَ.
ۖ فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي لُجْنَةٍ فَخَشِيتُ لَأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ.﴾

(تكوين ٣ - ١-١٠)

وكما هو معروف فقد طرد الإله آدم ورواحته من الجنة لماذا؟ لأنهما أكلتا من ثمار شجرة الجنة هما كانت تلك الثمار؟ تفاحات كالتفاحات التي يرسمها الرسّامون في لوحاتهم ويردها المشركون والدعاة خلفهم؟ ولكن من أين أتى التصح إلى شجرة حملت ذلك الاسم الغريب «شجرة معرفة الخير والشر». ما هي هذه الشجرة وما هي الثمار التي كان يمكن أن يصير بها؟ وهل من المشروع الحديث هنا عن الثمر بالمعنى المادي، لشئ المباشرة لا نقول نحن الآن «ثمار المعرفة» أو «ثمار الجهل» أو ما شابه؟ وهذا أيضاً في انقصة التوراتية كانت مثل هذه الثمار هي المقصودة؟ ولم يكن ممكناً أن تنمو على شجرة معرفة للخير والشر أي ثمار أخرى. فيما الذي يستخلص من هذا؟ ستخلص أن مؤلف تلك الكلمات أعمل فكره طويلاً في هذه المسألة لماذا طرد الإنسان من الجنة، حيث كل شيء في غاية الروعة والمعجزة، ولماذا ظهر أمام الإنسان معضلات لا نهاية لها، ولا يعرف الكائنات الأخرى شيئاً عنها. وقد قرر المفسر أن تلك المعضلات ظهرت لدى الإنسان وحده، خلافاً للكائنات الأخرى كلها، لأن الإنسان خلافاً للكائنات الأخرى كلها يات يفرق بين الخير والشر، يات يعرف ماذا يعني الحجل... بمعنى آخر، لقد غدا الإنسان مستهلكاً لثمار معرفه الخير والشر، إن الإنسان كائن ضعيف، ولذلك انساق وراء غواية الشيطان، وهكذا لم يكن شئ ثمار حميفة لتأكل حواء منها وتعطي آدم لياكل، فالتدي كان فعلاً هو شئ أكثر عمقاً بمعناه، إنه تفكير معكّر في أحوال الإنسان. لماذا خرج هذا وحده خارج نسق الكائنات الحيّة الأخرى كلها وأخذ يقترب من هذه الشرور في الأرض، ومن الواضح أن مؤلف هذه القصة التوراتية لم يحرر على أن يقول إن الإنسان خلق هكذا، فلو فعل ذلك لألقى بضلال قائمة على الإله نفسه. ولذلك رأى أن المخرج الوحيد أمامه هو أن يلقي على الإنسان نفسه، على الإنسان الأول بكامل مسؤوليته. وهذا أمر طبيعي. وعلى هذه الصورة وضع مؤلف استواء الفكر، الفلسفية لعصمة عن مكانة الإنسان في الكون والغاية من وجوده فيه، ووجد لها حلاً في هذه الصيغة المحارية، فاستعيت عنه صيغة حكمية شعبية أبطالها آدم، وحواء. وألحى مع التماحة وهذه اللوحة الشعبية «ببتذلة التي لا يجمعها مشترك أي مشترك مع المعزى الحقيقي للنفس التوراتي، هي التي يرددونها وراء الرسامين والدعاة ولا شك أن من يفكر من الناس تفكيراً عقلياً، لا يمكن أن يأخذ هذا التأويل الساذج على محمل لحد فهو يمثل عائلاً جدياً أمام إيجاد حل لمسألة تحديد مكانة الإنسان في هذا الكون، ويحمل من الدين الذي يروح مثل هذه الأفكار اللهاء دين مرفوضاً من قبل كل من يفكر بعقله فكلم من الذي تسبب للدين الحق، وللإنسان بالإله إيماناً حقيقياً، أولئك الذين يستبدلون بالمعنى لمبقى مختلف صروب

المعجزات التي لا يمكن أن يفكر العقل اسلم بها ، لأنها تتعارض مع الجوهر الطبيعي للأشياء كلها.

وعلاوة على هذا شاع رأي يؤكد على أنه لا يمكن تأكيد وجود الإله إلا بوقائع وطلوهر وقرائن حارقة. أما ما استطاع إدراكه وفهمه حتى اليوم فهو كله ظاهري ومعتاد. وما لا يستطيع متابعه ، لا نستطيع إدراكه بنسبه إلى ميدان الخوارق ولكن ما لا نتجح في فهم كنهه اليوم ، يمكن أن نفهمه غداً أو بعد غد . فهكذا على وجه التحديد سارت وتسير معرفتنا للعالم المحيط بنا . فما طرأ لعلماء أنه آخر قزم السقرية . عندما أعلن لابلان في حبه أن لوحة العالم التي أنشأها ليست بحاجة إلى فرضية كفرضية الإله ، يرى العلماء بها اليوم مجرد غرور ضئيل لإنسان قرر أن العالم يمكن تناوله من كميات وكميات كما يعمل الاتصال في ألبانهم . وما يؤسف له أن رؤية لابلان التي قاسمه إياها علماء دواء مكابه مرموقة ، أثمرت كثيراً من التمار السلبية ، ولا تزال لتحتاج لدمرة لتلك النظرية ، بالنسبة لتقدم الحصاره الأوروبية برمتها ، غير مدركة باكمل.

ففي واقع الحال ، إن العالم المحيط بنا ليس بسيطاً كما افترض العقلايون ، ولو كان كما ظنوه لم استمر موجوداً . فلكي يستمر الكون كنظام واحد موحد ، يجب أن يحدث نوع من تبادل المعلومات بين مختلف أجزائه المكونة ، وبسرعة لا متناهية لكن هذا غير ممكن فحسب قانون انشتين أن أقصى سرعة هي سرعة الضوء ، وليس ثمة سرعة أكبر أي لا توجد في الكون سرعة لا متناهية فما لعمله لقد بين العلم المناصر أن الكون مبني وفق مبدأ (الهولوغراف) لا محتاج فيه نظامه إلى تبادل المعلومات بسرعة متناهية . فلا داعي لتأقلاها ، لأنها موحوده أصلاً في كل مكان وزمان ، وعن كل شيء بالجمع الكامل.

وقد احصاد كل ما على أن يرى العالم مبنياً وفق مبدأ التصوير الفوتوغرافي أي أن لدينا معلومات فقط عن الجزء الذي نراه من العالم . ونحن نستطيع أن ندري الجزء المعني إما على طبيعته ، وإما في صورته ، أو على شاشة التلفزيون ، أو حتى على شاشة السينما ولكن لن يكون لدينا معلومات إلا عما رأيناه وهذا ما يمكن توضيحه بالمثل الآتي . تخيل إنك تتعخص صورة كبيرة ، فأنت بالتأكيد ترى كل ما هو مصور فيها ؛ ولكن إذا ما قطع نصف تلك الصورة ، فإنك لن تستطيع عندئذ أن ترى على الجزء الباقي ما كان ظاهراً على الصورة كلها . ويمكن أن تقطع من الصورة نصفاً آخر ، وآخر إلى أن لا يبقى منها سوى قطعه صغيرة . وعلى هذه القطعة الصغيرة من الصورة أنت ترى ما يظهر هناك فقط.

ولكن لو كان الذي بين يديك منذ البداية هو هولوغراماً الموضوع المعنى وليس صورته، لرأيت عند تقطيعها، أي تقطيع الهولوغرام، أن كل شيء يجرى بصورة معايرة تماماً حتى لو لم يبق بين يديك سوى نصف الهولوغراماً لرأيت صورة الموضوع كاملة، كأن الهولوغراماً بقيت كاملة غير منقوصة وأكثر من هذا، إذ حتى لو لم يبق من الهولوغراماً سوى قطعة صغيرة، فإنك تستطيع أن تحصل منها على صورة كاملة عن موضوع وهذا يقوم المرق بين الصورة الفوتوغرافية والهولوغراماً

ولكن نتبين معرى الفرق بين الصورة الفوتوغرافية و لصورة الهولوغرافية، دعونا نتحليل الكون مصوراً على صورة فوتوغرافية وعلى هولوغراماً. فعندما تقطع جزءاً من الصورة فذلك بذلك نمحو المعلومات التي يحملها جزء الصورة المقطع عن جزء الكون الذي كان ظاهراً عليه. أما إذا ما بقي بين يديك مقصع من الهولوغراماً، فذلك تستطيع أن تستقي منه معلومات عن الكون كله مهما كان الجزء المتبقي صغيراً. والاستنتاج هو إن أي جزء كان من أجزاء الهولوغراماً يحمل معلومات عن كل العالم المحيط بنا، عن الكون كله فكل المعلومات عن الكون تتدرج مثلاً في هذا القلم الذي اكتب به هذا النص. وفي هذا يكمن جوهر الصورة الهولوغرافية لمعالم. ونحن نصيب عليها أن نقبل هذا، لأنها تتعامل في حياتنا اليومية مع مبدأ الصورة الفوتوغرافية، ما نراه هو الذي نراه وحسب ولكن العلماء يبتوا أن أجهره الإنسان عند الإنسان مبينة على مبدأ الهولوغرافية

ولكن ما هي خصوصية الصورة الهولوغرافية للعالم؟ إن كل ما في الكون مترابط بعضه مع بعض فالكون كله نظام واحد، مبطومة واحدة وتقضي الصلات بين عناصر النظام لواحد تتبدل متواصل بمعلومات بينها فكل فعل رد فعل. وفي تبدل يحدث في نظام يجب أن يكون له الأثر ارتكاس مناسب تحاهه ولكن إذا كان النظام كله، هو المتكون كله فبذلك المعلومات بين عناصره متناقلة مستمرة وقتاً ملبلاً ولكن ليس ثمة ضرورة لهذا إذا ما كان الكون مبيناً وفق المبدأ الهولوغرافية فهي مثل هذه الحالة بحتوي كل عنصر من عناصر النظام (أي تكون كله) على معلومات عن الكل أي سس ثمة ضرورة لنقل المعلومات. لأنها موجودة أساساً حيث يجب أن تكون إما سجلت عن عنصر الكون. وقد يكون هذا العنصر هو الإنسان، والكتكوت، أو حبه الكائن الحي، أو النحر فكل من هذه العناصر ينطوي على معلومات عن الكون كله، وهذه بالذات ما يحقق وحدة الكون، وتوافق أفعال عناصر النظام كله، وترانسها

وهذه المعلومات عن الكون كله، التي توجد في شكل عنصر من عناصرهما كإنسان صغيراً، هي التي تسمى حصل الإعلام الكوني. وهذا ليس شيئاً يتألف من أجزاء مستقلة، إنما هو وحدة كلية تتسم بمؤشرات متماثلة. ولذلك ندعى حقلاً

وكيف تتحقق البصنة بين الكل والأجزاء بفصل حقل الإعلام الكوني؟ لنشرح المسألة على مثل الإنسان الذي يُعدّ بالتأكيد عنصراً من عناصر الكون. فالعص الباطن عند الإنسان وحقل الإعلام الكوني هما بمثابة شريطين متوصلين وأحدهما مع الآخر وكل ما هو متوفر لدى حقل الإعلام الكوني، موجود في الوعي لباطن لكل منا ومن المعروف أن وعينا باطن متصل مع وعينا بقناة معلومات، هي عادة مغلقة لدى الناس الطبيعيين مغلقة «بسدادة» ولكن إذا ما حدث لسبب ما وانزحت «السدادة» وبات إغلاق القناة غير محكم، وجرى الاتصال بين الوعي الباطن والوعي الحقيقي، فإن هذا الأخير يمكن أن يتلقى المعلومات من اللاوعي، أي من حصل الإعلام الكوني. عندئذ يغدو مثل هذا الإنسان مستبصراً، لأنه يتلقى المعلومات من حقل الإعلام الكوني مباشرة. ولكن أحداً من هؤلاء لا يستطيع أن يشرح كيفية حدوث له هذا. فبعض الأنبياء كان يسمع أصواتاً، والبعض الآخر رأى لوحات شديدة التعقيد (حرقيا، ويوحنا)، والبعض الثالث كان يرى رموزاً وبهذه الطريقة أو تلك كان كلهم يتلقى معلومات من حقل الإعلام الكوني مباشرة.

وبفضل البنية البولوغرافية للكون تتوفر للإنسان إمكانية تلقي المعلومات كلها لكن هذا يحصل على مستوى الوعي الباطن. ولا تتقبل هذه المعلومات إلى مستوى الوعي سوى عند بعض الأفراد فقط، ونحن سوف ندعوهم بالحارجين على المقياس (لا تحكم «السدادة» عندهم إغلاق قناة المعلومات الواسلة بين الوعي الباطن والوعي) وإذا كان الإنسان خدحاً على المقياس (أي مصطنعاً) فإن قدرته على استقاء المعلومات من الوعي الباطن، أي من حقل الإعلام الكوني، نحسن في ظل ظروف معينة هي أقرب إلى حالات فقدان الوعي أو نوبات الحس. ويمهد السبيل لظهور مثل هذه الحالات صوم طويل متواصل، أو معانات عميقة، أو تركيز الانتباه صليلاً على مسألة معينة. وهذا ما كان يقص للأبياء. وهذا ما حصل لشخصيات تاريخية معروفة مثل جان دارك التي سمعت أصواتاً وعجرت عن الأسماء لها والرسول بولس تلقى الحقيقة السماوية من الحقل الإعلامي مباشرة إذ سمع صوت يسوع المسيح وبعد مصطلح حقل الإعلام الكوني مصطلحاً جديداً نسبياً، مصطلحاً معاصراً وهو يعكس لدور الحاسم للمعلومات وإمكانية تلقيها من مصدر كوني واحد ولكن هذا المصطلح يعاني من المحدودية وتقوم المسألة هنا في أن معلوماته ليست فقط عن كون كنه في الماضي

والحاضر والمستقبل، وإنما أيضاً في دراسة هذه المعلومات وتحليلها واتخاذ القرارات على أساس نتائجها. ولذا لك نحن نرى أن مصطلح «العقل الكوني» المستخدم من قبل أكثر دقة وملاءمة بيد أن المسألة في نهاية الأمر ليست في التسميات، بل في المحتوى، في أجوهر والحوهر، هو أن هذا الحقل موحود في كل مكان (يغطي المدى الكوني كله)، ويرى كل شيء ويعرف كل شيء (يحتوي على معلومات عن كل ما في الكون)، وقادر على كل شيء (قد يحدث في الكون كله إنما يحدث بأمر منه، بإشارات إعلامية)، ونحن كنا قد عالجت هذه المسألة بالتفصيل في كتابنا: «الإله، والروح، والخلود» ونهدف فيه إلى أن خالصات حمل الإعلام الكوني تتطابق تطابقاً تاماً مع حاصيات لإله (في التوراة كما في القرآن). ولذلك يمكن القول، إن العلم المعاصر يبذل دائماً قياسه، تصوّره عن بناء العالم الذي نعيش فيه

ولابد من التنويه هنا بسمة أخرى من سمات حقل الإعلام الكوني لعقل الكوني. وتقوم هذه السمة في أن الكون لم ينشأ نتيجة عملية ارتقاء بدأت بعد سحار عظيم بحث تأثير قوانين هيراثية (كوسية هيراثية)، بل وفق خطة موضوعة مسبقاً وكان العلماء قد توصّلوا إلى هذه نتيجة أثناء بحثهم مسألة ارتقاء الكون وظهور الحياة لعاقلة وتطوّرها فيه وقد ألقى الضوء على هذه المسألة في كتاب «حمايات خارج الأرض» ومحمداً وقع خلق العالم، ولكن يجب عدم فهم مسألة خلقه هذه فهم بداياتاً سلاحاً كفهم قصة لخطيئة الأسمية فارتقاء الكون وكديت ارتقاء الحياة فيه جرى وفق صيرورة، تقدمية، هادفة، ولم يحصل بطريقة لاصطفاء، عشوائية كما علم داروين. ولو سر لإرتقاء في الكون وفق العشوائية الداروينية لما كان لدى الكون ما يكفي من الوقت لبلوغ مستوى التقدّم الذي حققه.

الخلاصة: نفة في الكون معلومات موضوعية عن شكل شيء في الماضي، ولحاضر، والمستقبل وقد ترد هذه المعلومات بهذه الطريقة أو تلك، لأفراد، مجتازين، أفراد خارج المعيار البشري المعتاد، أفراد لم تعمق فتاة المعلومات الواصلة من وعيهم الباطني ووعيهم إعلامياً محكماً، وهؤلاء هم المبصرون، والانبيااء، والمنشؤون، ومعهم هؤلاء مستقبلي هذه المعلومات (بما فيها معلومات عن المستقبل). وهم في غالب الأحيان ناقلون لما يرد إليهم (يتلقونه ويعيدون بدعته) ولا شك في أن مثل هؤلاء لا يظهرون بين طهرانينا مصادقه (نيس في الكون شيء يدعى مصادقة)، بل يظهرون لكي يكونوا قنا، تمثل المعلومات التي من حقل الإعلام الكوني. من العقل الكوني، من الإله إلى البشر، إلى جسمين البشري وقد شاع رأي مصادق أن مثل هؤلاء الأنبياء الكبار، المنافسون الحارقون، لا يظهرون على الأرض

إلا كل ألف عام مرّة أو حتى لكل مائة عام مرّة وكان كثير من الأنبياء قد وصف نفسه بأنه النبي الأخير، الحاتمة، وكل من يأتي بعده سوف يكون دجالاً وهذا ما أكدّه على وجه الخصوص يسوع المسيح ومحمد (ص). وهذا ما يلحّ عليه المسلمون خاصة، إذ يصفون محمداً (ص) بختم الأنبياء. أمّا واقع الأمر فهو أنه طالما يعيش الناس على الأرض، فإن الصلة سوف تبقى قائمه بينهم وبين حقل لإعلام الكوني، والعقل الكوني، والإله ولا تتحقق هذه الصلة عبر كبار الأنبياء وصغار الأبياء فقط. بما يمكن أن تتحقق عبر أشخاص آخرين ليس لهم صفة الأنبياء وثمة مادة كبيرة تتوفّر لنا في هذا المصدر. لكننا لن نورد هنا سوى بعض الحقائق لكي نبين ما قلنا ونمكن القارئ من أن يتبين سبب المسألة

لقد قلنا قبل قليل إن الأفراد الذين يستطيعون استقاء معلومات من حقل الإعلام الكوني (مثلهم مثل كل العاقل على وجه العموم)، هم أفراد حارحون على المقياس المعتاد وقد يكون هؤلاء همكذ مند الولادة (عندما يكون أحد فصّي الدماغ متضخماً جداً بالنسبة للمصرّ الآخر)، أو قد يحدث هذا لهم بسبب شدة نفسية هانوا بسببها معاناة شديدة (ضربة تيار كهربائي، أو سقوط شديد لقوة على الأرض، أو مرض، أو...) ومثل هذا كان قد وقع لكثير من الأنبياء، وهو أمر معروف فمحجّ (ص) على سبيل المثال كان يتعرض لنوبات شديدة من فقدان الوعي، أو ما يشبه ذلك كما كان بعض الأنبياء الآخرون عندما يدخلون في اتصال مع حقل الإعلام الكوني، يعيشون حالة من تبدال الوعي يفقدون فيها سكونهم الروحي، ويفقدون معه قدرتهم على التعلّق بكلام مفهوم ومن المعروف أنه لدى العلم بتفسير واضح معنّ لمثل هذه الحالات.

وهنا نحن نورد مقطعاً من يوميات جورج هوكس الذي كان مؤسس سياب الكواكبريين. وما يجدر التنبّه به أن مؤسسي كل الديانات كان لهم بين الحين والآخر في أقلّ تقدير، اتصال مع حقل الإعلام الكوني. ولتست المسألة هنا في القواعد والمبادئ، والحقائق التي باتت أساس الدين المعنّي. وأما الأمر لرتنهم في الروح، في القناة التي توارث عبرها المعلومات، والطاقة إلى الناس بواسطة المؤسّس، التافل، التباسيودن، ويُعد هذا التيار الإعلامي الحيوي هو القوة الدافعة التي يمنحها الدين المعنّي. وبه يرتبط مدى انتشار هذا الدين، وأمد وجوده، ومقدار قوّته. فهذا التيار يسيطر على الناس ويجعل منهم مؤمنين على استعداد لأي تضحية كانت بما في ذلك التضحية بحياتهم في سبيل دينهم. ولا نجد ضرورة لإيراد أي أمثلة في هذا المصدر

ومزكك المقطع الذي سوف نورد من يومياً مؤسس ديانة الكواكبيين، على وجود

مثل هذه الصلة مع الحقل الكوني، مع العنل الكوبي، مع الإله

«سما مكيت انره يوماً مع أصدقائي، التفت إلى قبة ثلاثة أحراس، فهرني المتنظر حتى عماق نفسي فسألت أصدقائي: ما هذا المكان؟ فقالوا: إنه ليتشميلد وعلى غير انتظار أمرني صوت الإله أن أتوجه إلى هناك فطلبت من أصدقائي أن يدخلوا البيت الذي كنا داهبين إليه، دون أن أقول لهم عما عزميت عليه وبعد أن دخلوا أخذت طريقتي مباشرة عبر الأسبحة والأحاديث وتوقفت على بعد ميل واحد من ليتشميلد. وهناك كان الرعاة يحرسون أغنامهم عندئذ أمرني الإله أن أفرع حدائي فرددت، لأن الوقت شاء، لكن صوت الإله انشغلي كالثلمة فزعت حدائي وتركته لدى الرعاة فارتبك لمسكين لمسطر الذي رأوه أمامهم فمشيت ميلاً آخر، ومما سمعت المدينة، عاودني صوت الإله امرُ: «الويل لليتشميلد مدينة الدماء! همرت الشوارع كلها انادي بأعلى صوتي الويل لك يا ليتشميلد، يا مدينة الدماء! وبما أن اليوم كان يوم سوق فقد ذهبت إلى الساحة وأخذت أجوب هناك، وأتوقف بين المينة والأخرى من غير أن أكفُ عن المناداة: «ويل لك يا ليتشميلد يا مدينة الدماء! ولم يصع أحد عليّ يداً، وعندما كتب أسير في الشوارع مادياً نهياً لي أنني أرى جداول من الدماء تجري فيها، وأن سلحة السوق تحولت إلى مستنقع من الدم وبعد أن حققت إرادة الإله أحسست براحة كبرى، وتركت المدينة لسلام ثم عدت إلى الرعاة وأخذت حدائي بعد أن فقتهم بعض النقود لكن وهج لإله كان على جسدي كله، ولم أعرف كيف استع حدائي إلا بعد أن أدل لي الإله بدلس

عبدت عسايت قدمي وابستعت مغلي، وبعد ذلك دخلت في حالة نصكير عميق سائل نفسي: لماذا أرسيت لأفصح هذه المدينة وأدعوها بمدينة الدماء، لأنه على الرغم من الدماء العريرة لتي أريقت فيها في الحرب بين الملك وأسيرمان بسبب لصراع على السلطة، إلا أن أي حدث مثير لم يقع فيها يميزه عن الأماكن الأخرى ولكنني علمت فيما بعد أن الألف المسيحيين اصطلموها هناك ولكن بهم في عهد دقليسيوس. ولهذا كان عليّ أن أدخل المدينة حافي القدمين. إنها دعاؤهم التي سالت في شوارعها حدول شكلت مستنقاعاً في الساحة لمد كان عليّ أن أوقف دهمري الدم الذي أرسق هنا منذ ألف عام مصى وروى الشوارع هكذا سمعت د عويل ذلك الدم، وهكذا حصعت لصوت لإله».

لا شك أنه يمكن تأويل هذا بحدث على أنه منهجه لاحتلال حاله نفسيه ولكن ماد معي اختلال الحاله انفسية، وما الذي تعنيه لحله، انفسية السوية. حسب مبادئ الفيزياء، أن الحالة النفسية السوية هي الحالة التي تصادفها غالباً فالتدكر التوزيع، الطبيعي الذي أجراه هاوس. فهي مثل هكند، أحوال تنو الحالة النفسية لأشخاص مثل هوكس. ^١ وعبارة على وجه العموم، حالة غير طبيعية، لأن أمثالهم قلة. أمّا مثالا نحن لطبيين فإننا الكثرة، وعلى هذا الأساس فحققت طبيعيين إذن أولئك الذين يمتون عابسا الروحي (سالمسيقي، والأدب، وأديين)، أي العباقرة، والأنبياء، والمستصرين، أناس غير طبيعيين، مع علم أن المجتمع البشري من ضرهم يفقد بشريته بالمعنى المعاصر للكلمة، ويتحول إلى جمع من الناسين روحياً والعامةين أخلاقاً

ويقول مورو: «إنّ البعيرية ليست سوى ضمن من أخصان شجرة الجهر العصبي» ويقول له مورو «إنّ العقريه هي عرص من أعراس الانتكاس، وعريه من أقرب أقرباء الحنون» وحسب فيسبيت أن «كل إنسان تثير حياته الاهتمام إلى حدّ تقدر معه حياة تستحق الدراسة، هو إنسان مريض نفسياً وينبغي التثويه إلى أنه بقدر ما يكون امرء عبقرياً، بقدر ما يتبعد عن المعيار المعناد»

ولكن أيهما الصواب، المعيار أم الخروج عنه؟ إن كل ما أنشئ على الأرض بطريقة طبيعية هو الصواب يقيناً أما يحتاج إلى العبقرات (فهي فتاة معلوماتنا إلى الأسمى ادي خلقنا)، والعبقرات تحتاج لنا، لأن رسالة العقري تقوم في بث معلومات الحفل الكوني، العقل الكوني، لإله لنا نحن بانذات ولولا وجودنا لما كانت هناك حاجة بهم أيضاً ولذنب ليس مشروعا بأي حال أن نفهمهم بمعاييرنا نحن. معايير الأصم الأعمى بالنسبة للمستصير الحاد السمع وقد قال لعالم مودين عن دور العباقرة والأنبياء ما يلي «أي حق لنا في أن نظنّ بأنّ الطبيعة ملزمة بإنجاز وظائفها كلها بمساعدة لعقول الطبيعية فقط؟ إنّ خروج العقل عن المعبر مثل مناسبة لها آلة أكثر فاعلية بتحقيق أغراضها فالأمر المهم هو تأدية المهمة فقط، وأن صفات العامل تؤهله لأن يؤدي المطلوب على أكمل وجه ومن الوجهة الكونية لا فرق قص بين أن يرى أحدهم في هذا العامل المنفذ شخصاً مافقاً، أو مستهزأ مسيهاً، أو بهولاً شاداً، أو محبوباً.»

ويجب أن يكون غاية هذا العمل هي تحقيق سلوكك مناسب، وعمل مشر يوم نحن به، وقد قال إدوارد في هذا الصدد «عندما نحاكم أنفسنا في محكم الضمير، فإننا نعرض على ذاتنا مطالب عبيد التي نحن على يقين من أنها هي المطالب التي يطلبها القاضي الأعلى

منّا عندما نقف أمام وجهه في يوم الحساب.. وليس للمرء من قرينة يدل على بره وتقواه
أفضل من عيشه وفق فضيلة المسيحية فقيها دليل على درجة روحانية تحريشا وألوهيتها،
وخلاماتنا نحن وضحة شنة وقع موضوعي، معطى أول موضوعي، هو الحق
الإعلامي، العقل الكوني، الإله: ويفضل هذا الواقع الموضوعي ظهر اسكون (خلق) ومصلحة
سطور، وبشكل كل منّا جريئة غير مستقرة منه، ومعلومات الحمل الإعلامي موجودة في كل
منّا، في وعيا البطن. ولكن أفراداً فقط صنعوا بطريقة تمكنهم من استقاء المعلومات من
هناك ونقلها لنا جميعاً ومن يُعطى يطلب منه. وبذلك إذا ما اكتشف أحدكم أنه يمتلك
إمكانات مميزة في ميدان ما، فليفكر ويتقصّى حتى يحدد، لتنفيذ أي مهمة أعطيت تلك
الإمكانات له. إن الخالق يتعامل مع كائن حي واحد يشكل كل منّا خلية من خلاياه
ولكن الكائن الحي يعمل بانسجام وتوافق، يتبغى على كل خلية أن تؤدي وظائفها ومن
أحسن ذلك مع كل منهما صماته الخاصة، وغيرها تطلق قدرات المعلومات، وهي ملزمة بأن
ترتكس لهذه المعلومات ارتكاساً صحيحاً فهذا وحده يمكن أن يشكل صيانة لسر الأحياء
بصوره الطبيعية في الكائن الحي كله، وصيانة لسانه كل إنسان، أي كل خلية من خلايا
لكائن اسكوني الواحد.

وليس الأنبياء والمستبصرون وحدهم من يستقي المعلومات من حقل لإعلام الكوني،
من العقل الكوني، فمثل هذه لمعلومات ترد إلى كل منّا ولكن بشكل مفير. فليدرس هذه
لسألة بالتفصيل

ليس لكون وحده منياً وفق المبدأ الوثووعاري، بل الإنسان أبصاراً وفق المبدأ
عنه. فقد سن أسلماء أن تشكل إيمان هولوغراماه الخاصة به، وبعبارة أدق صورته الأصل
لخاصة به. وهي تطوي على شكل المعلومات الخاصة بالفرد المعني، فهنا بصميم الشخصية
عينا ومصيرها كذلك برنامج مستعبله ومصايفه لذي سبق ظهوره إلى الدنيا وهذا هو ما
يدعوه المتخصصون «دكرة الأسلاف» فالصورة الأصل لكن إيمان تحتوي على معلومات
كاملة عن أسلافه وعلاوة على هذا يرى العلماء أن هذه المعلومات يمكن أن تؤثر على مصيره
سلباً وإيجاباً ولامر كنه يرتبط بماهية التركة التي تركها له الأسلاف سلبية أم إيجابية
ومن هنا قالوا: «حتى الجيل التاسع» ولهذا بالذات يستطيع المرء أن يحسن وجود أسلافه الذين
به يره ولم يسمع عنهم أي شيء فقط. أنها ذاكرة الأسلاف: مكتوبة في صورتنا الأصل في
هولوغرامانا وعليه ننمى علما نحن أنصاً أن نمكّر في الإرث الذي تركه لأجدادنا (إرث
سلباً أم إراثاً إيجاباً) فما كان شائناً في سلوكك، في حياتك، في أفعالك، سوف يتعكس

في أهنائك وأحضانك من لأجيال المفيلة، ويبدو أن صورة الإنسان الأصل، هي نفسه باسمه. وفي زمننا هذا يتحدثون كثيراً عن الحس الحيوي للمرد. وما توفر للعلماء عن هذا الحقل حتى الآن، يظهر على الصورة الآتية.

فالحقل الحيوي سمرد ليس فقط هذه الحشرة من معلومات الشخصيه المعينه، إنما هو أيضاً حسر يصن بين الإنسان والكون، وتبعاً للحالة التي يكون عليها هذا الحقل تتحقق صفة الإنسان المعني بالكون بصورة جيدة جداً، أو عيدة، أو حتى بصورة رديئة إن الحقل الحيوي للإنسان هو عبارة عن شرنقة تخرج خارج حدود جسده الفيزيائي، وسية هذا الحقل شديدة التقيد فلم يسمح العلماء حتى الآن إلا في تحديد بعض مركزه، ويرتبط كل مركز منها بجهاز معين من أجهزه جسم الإنسان. وتتوضع العقدة السفلى في أساس العمود الفقري. وتتوضع هنا أيضاً المبيضان أو الخصيتان، وتتوضع العقدة البالية في منطقة السرة. وتقع هنا الغدة الكظرية وفوق القلب تتوضع العقدة التي تليها، وهما تقع أيضاً العدة الصغرى وثمة عقدة على البلعوم، وهما تقع العدة الدرقية وتتوضع العقدة الأخيرة بين الحجابيين. وتقع هنا الغدة الصوبرية

وهذه العقدة هي تيارات طاقة حيوية يراها الروحانيون بالعين الحرة وحسب وصفهم أن هذه العقدة عبارة عن دوائر من الضوء الساطع تدور بعكس اتجاه عقارب الساعة، ومع نمو الإنسان منذ لحظة تكوُّنه جيباً حتى بلوغه سن الرشد، تنمو هذه العقدة أيضاً بيلغ قطر واحدتها عند المولود الجديد حوالي السنتيمتر الواحد ويصل قطرها عند البالغين إلى خمسة عشر سنتمتراً وتتوضع هذه الأعضاء الثلاثة على سطح الجسم، وهي مربطة دوماً ودون أي استثناءات بالمحركات عينية رتباطاً صارماً

إن الحقل الحيوي عند الشخص السليم المعاني الذي يعيش حاله طبيعياً هو مستوي، مسطح به شكل البيضه الكبيرة، وحدوده تبعد عن الجسد ٤٠ سم. أما عند الأشخاص ذوي الإحساس الشديد المرط، فإن هذا الحقل يمتد على مساحة أمتار، بل عشرات الأمتار فمن المعروف أن الحقل الحيوي لبودا، أوزام، كان يعطي عينة بأكملها و لذي لا ريب فيه أن الأنبياء كلهم كانوا ذوي إحساس خارق.

ولكن الحقل الحيوي للإنسان لا يأخذ دائماً الشكل المستوي المسطح السميوي فلهذا سبب معينة يمكن أن يباله هذا القدر من التنوع أو دائره وعندئذ قد نحتمي الحقل تماماً في بعض الأماكن ونشكل في الأماكن الأخرى ذيول ممددة جداً ولا يستطيع الإنسان أن يعيش سليماً معاني مع مثل هذا الحقل الحيوي المشوه. هذا ما أصاب التالف الحقل، فإن عيبه

تبادل المعلومات بين الإنسان والكمبيوتر، بين صورته الأصل وحقل الإعلام الكوني، سوف تجعل وعياً ما ينوء للتخصيص، إلى أن القعد الفلائية عند الشخص المعني معلقه، وإذا ما حدث هذا فإن الجهاز ذو الصلة بالعقدة المعيبة، سوف يتوقف بعد حين عن تأديته وظيفته بشكل طوعي، أي بمرض وقيل مداواة الجهاز المريض نفسه يجب إصلاح لنشوء أسدي صاب الحقل الحيوي وساء على عمليات نشوء الحقل الحيوي يحدد التخصص وجود الورم الخبيث في المكان المعني، وعادة ما يكون مثل هذا التشخيص دقيقاً دائماً

ويتبدل الحقل الحيوي للإنسان تبعاً لحالته ففي أثناء تأدية صلاص صديقة صديقة رواد مدى الحقل الحيوي (عدة أضعاف في بعض الأحيان) للمصنعي، والحقل الحيوي عند الملهم الذي يملك مستوى ذهنياً عالياً، كبرمه عند غير المتطور، المكس.

ويشبه الحقل الحيوي كثيراً من حيث الجوهر، لرسم إبياني للهوائي، ومن المعروف أن لهوائي يرسل موجات كهربية متناظية، كما يتقط مثلها أيضاً، ويتطلب الأمر في الحالة الأولى وجود جهاز إرسال، وفي الحالة الثانية جهاز استقبال وأفضل البوابات، هو الهوائي الذي يستقبل موجات لست من أي اتجاه كان وإذا كان الهوائي يتألف من رقائق مستقيمة فإن الاستقبال والإرسال لا يجريان إلا ضمن مدى هذه الرقائق وهذا نفسه يحدث عندما يكون الحقل الحيوي للإنسان متقطعاً، مشوّهًا، إذ تحول عملة تبادل المعلومات والطاقة بين الوسيط الخارجي، والكمبيوتر.

وقد يكون الإنسان نفسه مسبباً لنشوء حقله الحيوي فكل المعاني سلبية، أو نوايا شريرة، أو أعمال سيئة تبدل الحالة الروحية للإنسان، حقله الحيوي يحدث خلل في ثبات المعلومات والطاقة، ويعمل الكائن الحي ولذلك فإن معايير بورفريوس إيفانوف تلح على ضرورة تمني الخير، والعافية والتوفيق لحبيبهم ولكل شيء دون استثناء، ولكن كثيرين لا يأخذون من تلك التعاليم إلا ما يملسون أنه عقلاسي، عارف عن ما يعتقدون أنه «عريب، نروة» وحسب، ونكس لمسألة كلها في أن هذا بالذات هو الأمر الأهم فالأهم هو أن تفهم موقفاً ونياً تجاه كلهم وكل شيء، والأثر التاخر لذي سوف يربد اليك.

ولا تنطوي الصورة الأصل (الحقل الحيوي) للإنسان على معلومات عن أسلافه فقط، إنما تحمل كذلك كل المعلومات عن الشخصيه المعنيه عيها (مماحبها، حاصرها، ومستقبلها) فهيها «محط سائ» كنه وليس شمة خلايا صدارة على حصص هذه المعلومات (رسم طويلاً دور تغيير، دور أدنى لحق وحده يستطيع ذلك ومن الحدرد أن سوء في هذا السبيل إلى أن العلماء المعاصرين يرون، أنه ممكن من حيث المبدأ إعادة الحسد الفيزيائي إلى الحياة

بعد موته، باستخدام الصورة الأصل للإنسان المعني ويسحب هذا على كل إنسان عاش على الأرض في أي زمن كان، وكان العالم أ لـد مائيب قد توصل إلى الاستنتاج التالي

يستمد منها عرصاء أن العلية في تحقيق اخلود الشخصي، بل أن الاعتراف بأن هي تكون الآن بطناً حيوية امتكك اخلود، و أن أمل لبشر بلقاء أخويهم في العقل هي القضاء الكوني، والثقة بالمدره المطلقة للمعرفة التي تهزم الموت على أن تعيد إلى حياة على اصاص ابرامج المعلوماتية لنظم لحقوق الحيوية، كل الذين غاصوا في العدم، ولكن بصورة جديدة أكثر كمالاً لا تقوم على أساس المادة الحية؛ إن هذا كله يمثل عناصر مهمة لرؤية علمية حقيقية. لقد دانت هذه المسألة مطروحة الآن على جنول أعمال العلم المتقدم الحقيقية إن مثل هذه الغايات المثلى تبعث الشعول، ويمكن أن تشكل دافعاً مهماً للإلهام في مختلف مبادئ النشاط العملي والنظري للبشرية التي أدركت واقعية مثل هذه الغايات

ونشر مره أخرى إلى أن معلومات أعمال الإنسان وأفكاره كلها ترد إلى حقل الإسلام الكوني وبعدو بمسائل أي كان. ومن لواضح أنها لا تتوفر على إمكانيات اللازمة هنا لتقديم وصف للتحارب التي تؤكد أن المعلومات لا تصل إلى الإنسان فقط، وإنما إلى كل من عالم الحيوان وعالم النبات. وتوصيح هذا المعطى نورد الآن تجربتين فقط، في التجربة الأولى رمي واحد من القريديس الحي في ماء مغلي بوجود نبات على مقربة مباشرة. ولحظة هلاك القريديس ارتكس القيص لكهربائي لدى النبات (قيس انتاثير الجلدي الحلماني) وفي التجربة الثانية كسرت بيضة دجاج ملقحة (نمت الحياة)، وفي اللحظة عيها ظهر السم نفسه على ورق البطاطا ونحن كنا نحسبنا عن هذا كله بالتفصيل في كتابنا «إله، الروح، اخلود» ونشر في الساق إلى أن حمار كشف لكذب مبني وفق هذا المبدأ نفسه.

وهكذا ينصح أنه ثمة حركة تبادل معلومات متواصلة بين الإنسان والحقل الكوني، وبما أن الإنسان يتوفر على قدر من حرية الإرادة، وحق الاختيار لذلك فهو الذي يصنع مصيره، وليس مصيره هو فقط أهوائه ومقاصده لا تؤثر على مجرى حياة لا حيال لآلية وحسب، وإنما تبدل نوعية الوسط لإعلامي المحيط أيضاً. وذا فعل الإنسان الشر فإنه يصعد الطاقة السلبية، ويلوث الوسط المحيط، وهو ما يثرب تأثره على الأحياء الموجودة كلها (انظر في كتاب «الأيكولوجيا المعروفة والجهول»)

ولذلك ينبغي على كل من أن يكف عن الاعتقاد بكونه كائناً له استقلاله الذاتي ويستطيع أن يفعل ما يحلو له يجب ألا نفهم الحرية فهماً خاطئاً فنحن كثر أسبان مسنن آليه كونية واحدة تخلق من أي مصادقات. وعليه فإن من لخطأ أن نرى في المجتمع جمعاً بسيطاً من الشخصيات المستقلة فالأمر هنا ليس عملية حسابية، فالمجتمع ليس نظاماً خطياً، و ٢×٢ فيه لا يساوي ٤، لأن التصرفات أو الأفعال الفردية التي تنبؤ فيه من النظرة الأولى صغيرة لا قيمة لها، يمكن أن تحدث امجار يودي بالمجتمع كله فالحرية المطلقة لأي كان لا وجود لها ولا يقوم التناسق إلا في فهم كل لدوره في هذه السلسلة الواحدة، وتأديبه بأمانة وصدق وإحقيقة أن هذه هي لطريق الوحدة لبلوغ السعادة والرخاء الاجتماعي.

ولكن، ما صلة هذا كله بالدين والإيمان بالإله؟ إنَّه صلة وثيقة ومباشرة فمد يُّعلاء أن معلومات الحقل الإعلامي معلومات العقل الكوني موجودة في كل منَّا ومعنى هذا أن الإله موجود كذلك في كل منَّا إلا أن دروسنا إليه تختلف

ويعد الأنبياء، الحاملين المباشرين لإرادته يودا والمسيح، ومحمد (ص) أمَّا نحن ناس العاديين فإننا نحس إلى هذه الدرجة أو تلك، بالمعلومات الواردة من وعينا الباطن إلى وعينا الأعلى ويمكننا أن نصاعف من إحساسنا هذا بطرق شتى وتمتد الصلاة واحدة من هذه الطرائق.

وعلى هذه الصورة فإن موضوعية وجود الإله تجد تفسيرها في المفهومين المعاصرين لحقل الإعلام الكوني، والصورة الأصل، الصورة الهولوجرافية؛ بيد أنه ينبغي ألا نتصور الإله دليل المحور لرحيم العقور إنَّه ماهية ما، الكون كله مكتوب بها ولكن كيف فسّر العلماء هذا الأمر سابقاً قبل اكتشاف هذين المفهومين؟ ماكم رؤية أحد كبار علماء القرن العشرين في هذا الميدان، و. جيمس: «تعدُّ «أنا» الوعي الباطن الآن معطى حقيقياً معترفاً به في علم النفس، وأنا أعتقد أننا نستطيع أن نعثر في هذا المفهوم تحديداً على المصطلح الذي يلزمنا لتعقيق لصله بين العلم والدين، ففي روحنا من الحياء والعمل إنسان ككل لحظة معنية، أكثر مما هي وجوده بكثير» ويقول أيضاً «وكاننا ما كان الشيء الذي في الحب الآخر من العالم، والذي يتواصل معه عبر انفعالاتنا في استجابه الدينية، فإنه بعد في هذا الحب من عدم استمراره لا شعورياً، لا واعياً لحياتنا لو عيه وعلى هذه الصورة فإن إد انطلقنا من المطلق الذي قرره ضم النفس واقعاً، واتحادنا قاعدة، فإن لا نطرح الحيط الذي يربطنا بالعلم وهو الحب انسي عادة ما يقلته علم اللاهوت من يديه وإلى جانب هذا يُعَلَّل تأكيد اللاهوت الذي يقول: إنَّ الإنسان المتدين هو إنسان منهم تقوده قوة خارجية، لأن واحدة من

سمات العيش في الوعي الباطن، الذي يحتاج العيش في الوعي الحقيقي هي قدرة الأول على أن يبدو وكأنه شيء ما موضوعي، ويوحى للإنسان بتصور عن نفسه وكأنه قوة حارحية وتمسك هذه القوة في الحياة لدينية، هي القوة العليا وبما أن القوى المتدخلية هي من حيث الأساس جوهر سمات عليها بحايث نفسها، فإن لإحساس بالتواصل مع قوة لحانب الآخر من عدم تمتلك بمحتواها شيئاً ما متحلاً، لكنه موجود فعلاً ثم يقول «ويمود «الأناء» الأعلى للإنسان، ليتحد مع «الأناء المطلق، لأن «الأناء» الأعلى متوحد مع الإله دائماً، مندعم بالروح أنكوني».

يتصح إد أن الحديث يدور عن الصورة الأصل، الصورة الولوجرافية، عن الحقل الإعلامي، يقو حيمس

«إن «الأناء» الواعي عند الإنسان، هو استمرار مباشر «لأنا» حجمه أكثر عرضاً، ينتج هي اللحظات الحرة حرة خاصة ومنح محسوس يحايث للإفعال الديني، وأنا أظن أن هذا الأخير كامل وحقيقي وموضوعي هي «حقل حجمه الحقيقي»

إن فكر الإنسان يولد خارج حدود حمده الفيزيائي، وليست لمفكرة الإيد عيه فكرة نبهها حركة لأفعال المنطقية، فهي «تخلق في بهوء»، في حقل الإعلام الكوني، ونحس لتعلقها من هنا بالذات ولا يلتعلها إلا من يمتلك جهاز استقبال جيداً وهوائياً جيداً، وهذه موهبة تولد مع شخص، وهي ما تسميه موهبة وقد اعتدنا أن نقول، «إن الإنسان «يولد الأفكار، لكن في واقع الحال أن أحداً لا يؤد شيئاً قصه فالكل يستقي من مصدر واحد وحيد، هو حقل الإعلام الكوني و لوهبة هي بالصيغ لقدرة على استقاء الموسيقى، والعلوم و ، من هناك فالملحوب حقاً لا يتكرر شيئاً، إنما يسجل ما يراه ويسمعه ولذلك نقولون». «موسيقى من عند الإله» ومرسام من عند الإله».

قد عاش حيمس وعمل منذ حوالي المائة عام خلت. ولذلك لم يكن بمصدوره أن يعالج مصطلحات العلم المعاصر وحصلته فبدلاً من مصطلح حقل الإعلام الكوني استخدم مصطلح «الروح الكوني» و... وقد أدخل إليه الصيغة العيني، والخرق، ومع ذلك فإن محاكماته صحيحة.

«من الواضح أن أكثر مراحاتنا الروحية تبنت في هذا الميدان بالذات، وإلا لما سيطرت علينا إلى درجة أننا لا نستطيع أن نصبر لأنفسنا أسباب ظهوره وبذلك ينبغي أن نعترف بأننا منتهي إلى هذا الميدان بدرجة أكبر بكثير وبالتصاق أقوى بكثير، من

انتمائنا إلى العالم المرئي والتصادف به، لأنا نعيش في ذلك العالم أكثر وصلتنا به حميمة أكثر، ففيه تولد وتعيش ذرات الروحانية ومثلها العلب ولكن هذا العالم غير المرئي ليس عالمًا مثاليًا فقط، بل له تأثير وصور على العالم المرئي. وبعد التواصل مع العالم غير المرئي عملية واقعية لها نتائجها التي تنعكس على الشخصية الإنسانية لأعلى، وهو ما ينحلي في تحديد هذه الأهمية تحديدًا أساسيًا، ويتعكس انعكاس الإنسان هذا عبر سلوكه اليومي، على شكل سمات مظهرها على أحداث العالم لطبيعي.

ولكن ما يحدث من تغيرات في المبدن الواقعي، يجب أن يكون واقعيًا أيضًا، وبذلك فإنني أرى أنه ليس ثمة ما يكفي من الأسس الفلسفية التي يحير بنا مشروعية نفي إمكانية وجود الحقيقي للعالم غير المرئي أو للعالم الصوري، العالم العيني

أما لتسمية المذهب للحقيقة الأسمى بالسنة لنا نحن المسيحيين في أقل تقدير، فهي كلمة «إله»، ولذلك فإنني سوف أدعو هذا المبدأ لاسمى من مبادئ الوجود. إلهًا، وبحر نستطيع أن نتواصل مع الإله، وبوصف لكوننا تحت نفوذه، نؤدي أعمق غايات وجودنا ويتعد العالم في أجزائه التي تشكل شخصيتنا صورة الخير والشر نبعًا لالتزامنا بفرائض الإله أو رفضها به، وأنا أظن أنكم توافقوني رأيي هذا، لأن ما أقوم به هنا لا يتعدى نمل البعض الفطرية العامة بالسمية للجنس البشري إلى لغة مبسطة: الإله موجود لأنه تصدر عنه أفعال واقعية حقيقية

.. إن المؤمنين على يقين بأن خلاصنا حقيقة. بصرف النظر عن آلام جهنم وعوايات الحياة الدن. ووجود الإله هو ضمان وجود نظام اسعاج أعلى باق على مر الدهور فالعالم سوف يهلك كما يؤكد العلم سوف يحترق أو يتحطم؛ ولكن إذا كان حراً لا يتحرر من الانسجام الأعلى، فإن مقصد هذا العالم لن يفتى وسوف يعطى ثماره ربما، في العالم الآخر؛ حيث الإله تكون المأساة عبدة، مؤقنة، وجرتية، أما هلاك العالم، فماذا فلا يمكن أن يكون هو النهاية الحقيقية لوجود كله

فالعالم المدرك على ضوء النين، ليس بأي حال من الأحوال، هو نفسه لعالم المادي مع بعض التبدلات الشكلية؛ لأنه علاوة على مثل هذا التغير، فإنه يتسم بمهيمه طبيعيه معبرة تمامًا لمهيمه العالم المادي فالشئ بهه وبين العالم عبر الديني بسيط إلى حد أنه يمكن أن تحدث فيه أحداث مغايرة تمامًا بالتالي يمكن أن يطلب من الإنسان أن يسلك فيه سلوك محتملاً اختلافًا كلاً

وكيف يمكن للإنسان، بشخص المرء أن يقترب من الروح الكوي، من احتل الإعلامي، و«نحن» به أكثر لكي تتوافق أفعاله مع الاستيعام العام؟ إن هذا يتحقق في الصلوات، التي تعدُّ فعل مكشوفة مع الذات، فعل وعي ذاتي، ولكن ينبغي أن نهم الصلاة فهم أعرض بصفاتها مستوى من مستويات التجربة النفسية، وعن هذا كتب أحد العلماء يقول يمكن الإنسان أن يتعلم كيف يتجاوز هذه الحدود المحيطة به (المكرة الأعلى) ويصل إلى درجات لقوى والمعارف المنشودة إن وجود الآلهة يترك في استجابة فالاستقبال إلى الدرجة الأعلى من الحالة الروحية، هو فعل من أفعال الوعي، لكنه فعل محدود ومحزّ وهو ليس مجرد أفعال منهم يحدث في ظلمات شبه الإدراك وهو ليس حالة من الوحدة، وليس حالة من الهيجان وهو ليس اتصالاً يتجاوز مستوى الوعي، بالمعنى الصيدي للكلمة ولا يستدعيه الإحساس الذاتي بالتكوين المعطيسي إنه بديل هادي، عادي، عقلاني عميق وصبيحي هي شكل الوعي الإنساني، به تحول من الظواهرات المدركة بالوعي الشعوري، إلى الظواهرات التي تدرك بالاستبصار: من التفكير الذات إلى ميدان أفكار أكثر سموًا فالأبسط، الأدنى على سبيل المثال، يمكن أن عامة على الاستكافة في لحظات دون عناء يدكر: بعصية، و ذرة، وقلق واضطراب، وحذر دائم ولكن هذا لا يتحقق للكلمات بل بتمرير قوتك الذاتية وسلطتك على إحساس بروح السكينة يمكن أن نحسه بالوضوح الذي تحسُّ به بالقطر في يوم حار، ويمكنك أن تستخدم قوتك بالثقة منها التي تستخدم بها المرأة المصممة لتكثيف أشعة الشمس لكي تصدر النار

لقد أعطت تجارب الاتحاد مع الإله ثمارها الحميمة في «مداواة الروحانية» التي شاعت شيوعاً عريضاً في أمريكا إبان القرن التاسع عشر، وكانت نتائجها العملية صاعدة عاد البصر للعالمين، وعاد لرجل يمشون مشية طبيعية وعادت للعافية التامة إلى مرضى كانوا قد وصلوا حدَّ اليأس من إمكانية شفايتهم وتمكن من لم يعتقد يوماً أنه يستطيع أن يمتلك فرصة اكتساب العافية الروحية، تمكن من اكتسابها الآن، وكتب الأنجيل الأربعة هي القاعدة التي قامت عليها مداواة الروحية. وماكم ما قاله أحد أولئك الذين برزوا من مرضهم بطريقة المداواة هذه

«إن العلة الأولى لكل مرض، لكل وهي، لكل مكانة تحصر هي إحساس إنساني صرف بالانفصال عن الصورة العليا التي ندعوها الإله، فالروح التي يمكنها أن تشعر

بثثه يقينيه، وتردد مع يسوع المسيح صرح: أبى وأنا واحد، لا محتاج بعد هذا لمداد أو مداوة، ففى هذا وحده تكفى الحقيقة كلها. إن توحيد الروح الراسخ مع الكمال الإلهي، هو الشرط الوحيد الممكن لاكتساب كتمان العافية، فالمرض عاجز عن الوصول إلى من اعتمد بقوة على هذه الصحوة، إلى من يحس روح الإله فيه في كل ساعة، في كل لحظة كيف يمكن لكأنه أن تمتلك عليّ إدر كي إذا كنت أحس أبي متحد مع كلتي القدرة؟ كيف يمكن للعلن أن تسد هذا النور الأزلي. ودا كان الإله معنا. فمن هو خصمنا دس؟ من الواضح إذن أن جوهر الأمر يقوم في أن الإله ليس مدرجاً بالنسبة إلينا إذا كنا لا نعايشه في دما فعلاً، أي إذا لم تكن موجهين يوماً إلى أعماق الوعي الداخلي لأننا لتحقيقي أو للإله في داخلنا، لكي نعال الصحة من الداخل. ويسكن لبّ التعاليم في الكلمات الآتية

«إن روح الحياة والقوة للانسانيتين، المتعلقين في كل شيء، والمتحلين في كل شيء، هو الأساس الأعظم للعالم وأنا أدعو العقل لنقدم في أسس العالم، وروح الحياة والقوة للانسانيتين، أدعوهما - الإله والأمر بالنسبة لي سواء أن تختاروا أي اسم يروق لكم: واهب النور، العسية الإلهية، الكائن لأعلى، أو الكلتي القدرة، احملوا ما يحلو لكم من أسماء، وطلما نحن على وفاق مع ساس العالم هذا، سيهبط الإله في أعيننا مائلاً لكون، وسوف يكون وجود كل شيء فيه وعمره إنه حياة حياتنا، ونحن مشاركون في الوجود الإلهي ومع أننا نتميز عنه بكوننا كائنات فردية، أفراد، بينما هو عقل لا متناه، إلا أن الحياة الإلهية والحياة البشرية منذ غمنا في الجوهر، ويقتصر التمايز بينهما على الدرجة فقط»

وبتمثل الحدث المركزي الأعظم في الحياة البشرية، باللفظة التي ندرك فيها إدر كما تماماً اندغم حياتنا بالحياة الانسانية، وبصبح قلنا للينسوخ الإلهي، وبصدر ما ترقى إلى مستوى التحلي الواعي لاتحادنا مع الحياة اللا متناهية، وبصبح قلبنا لتأثير إلهي، بقدر ما نحسد في ذاتنا صفات الحياة اللا متناهية وقوتها، ونعشو الأدلاء الذين يودعي عملهم عبرهم العقل اللا متناهي والإرادة اللا متناهية وبقدر ما يحقق الفرد وحده مع الروح اللا متناهي، بقدر ما تحل العافية في جسده محل المرض، والاسحاح محل التنافر، والطاقة المسجدة محل الحر والاسي وإد نعي ألوهية طبيعتنا، وصلنا لوثيقه بالعله الأوس

للكون، فالثالث نشأت باقل الحرصّة إلى المحرك المرصري للكون، ولا يبقى المرء هي الجسم إلا قدر ما يريد هو نفسه البقاء فيها، ويمكن أن يحلّق عالياً في السماء كما يريد؛ وفي اللحظة التي يحسم أمرنا فيها على الصعود، فتحد قوى لكون العنا كلها لتمد لنا يد نعون.

إن لبدا عدم التمدا والروحية مبدأ مفهوم، إذ يتمثّل في صبط الإسسن صبطاً تاماً على حقل الإعلام الكوني بهدف تبادل المعلومات بين الصورة الهولوجرافية للمرء وحقل الإعلام بقاعلية، بمعنى آخر يجب أن يكون هناك إيمان راسخ لا يشوبه أي شك، في وجود هذا الحقل، أي لإله. ولذلك عندما كان المسيح يدرس المداواة الروحية، كان يردد دائماً: «ليكن لك مثل إيمانك، وهذا ما كان يفعله رسوله أيضاً»

ومن المبادئ العملية للمداواة لروحية، الثقة اليقينية بأن القوّة العليا سوف تهتم بك اهتماماً أفضل من ذلك الذي سوف تلقاه من أطبائك ومعدّاتهم الحديثة. بيد أن ذلك لن يحدث إلا إذا اعتمد اعتماداً تاماً غير منقوص على هذه القوّة ووافقت على أن تتبعها. ولكي يتحقق هذا في الواقع العملي عليك قبل كل شيء أن تحسّن من حوزة جهاز الاستقبال الذي تملكه (أن تصنع الكرسي)، ومن لشكل البياني لأجواء حقلك الحيوي. ومن صورتك الهولوجرافية، وهذا يعني أنه يجب عليك أن تتخلص أولاً من الصخب والموانع وفي السياق الذي نحن بصدده، فإن هذه الأخيرة هي تداعيات أعمالك السلبية، وتصرفاتك وفكارك الرديئة. ولذلك تبدأ المداواة لروحية من ضرورة العمل على تسخير كل ما هو ربي، والكف عن الشكوى والتأفف لأي سبب كان وأحياناً من غير سبب. فهذا كله بحلق خلفية سلبية، وتشويشاً في الحقل الإعلامي يعيقك. كما يعيق المحطّين بك أيضاً، إذن ليس هذا مطلوباً هنا، وحدك، إنما من كان من قواصم معهم كذلك أن شكل فكرة هي فكرة واضحة، وثمة لها تداعيات هي المصير لمكرية، فكما أن الشخصيات كلها، والأبطال كلهم، السلاء منهم والمتوحشون، هم أشخاص حقيقيون موجودون بيننا سواء أردنا أم لم نرد، فيدخلون عالمنا من شاشات العرض أو العروض المسرحية. أمّا أولئك المسوخ، والعيال، والمتحرّجون، والمتسمعون لمغصبون، والسماحون في وجودهم في حياتنا يتردد أكثر فأكثر، وإذا أردتم أن سمعوا بفاعلية روحية وفيريشية، فهتقي ألا يكون لهم وجود (أكثر من ثلثي سكان الأرض) (م). فما يثير المعابد والنحوف يجب ألا يكون له وجود وليس صحيحاً أن الآلام مهيبة ووجونها حتمي، فالآلام التي يستدعيها الحسد، والحشع، والبعض، والتي تؤدي إلى الهلاك، ونفس القتل تعدّ حلقاً تاريخياً في حياتنا لقد أثبت على حقل الإعلام الكوني

بشويات حياتنا وأهوالها ، بملسمتنا البئس وشعاراتها عن الصراع ، حتى نتنا معرولين عنه عرب شه تامة ، وبدلاً من أن تسعى بانفسنا إلى هذه الصلة مع الحقل الإعلامي ، فإننا نضع أنفسنا تحب تصرف المشعوذين ، والدخالين الذين يشوّهون حقلنا الحيوي على هواهم ويشفرون وعينا لقاء أحر يتلقونه وليس هذا سوى ضرة جهنما بأهم مسائل وجودنا بمسائل العلة البدئية للكون ، أي العلة البدئية لحياتنا

فهناك آلة وحده تدفع الكون ونحن لسنا أكثر من مسننة مصفرة في هذه الآلية ، فما الذي يجب فعله لكي تدور هذه المسنة بانتظام ، من غير مسارع أو مبالغة لا شك أنها يجب عليها أن تعرف كيف قصي لها أن تدور ، وأن تقلل من مبادراتها إلى أقصى حد ممكن . والأحاول انتزاع نفسها من هذه الآلية أو تحاول تحسينها ينبغي لتحرك والعمل ضمن هذه الآلية ، ومن أجل أن يسير هذا كله سيره الطبيعي ينبغي الاعتراف أولاً بوجود هذه الآلية وبأنه نحن نشكل جزءاً لا يتجزأ منها . وأن نعي كيف يجب علينا أن نتصرف كي لا نحدث أي خلل في عملها ، لأن حدوث مثل هذا لخلل سوف يحلنا والمحيطين بنا تعساء ، وسوف يدمر المحيط من حولنا .

إذن ، إن نقاعد الأولى للمداواة الروحية ، للعناء المستقيمة تقوم في التحرر من كل ما هو سلبي ، بما في ذلك الخوف يقول وود : « الإنسان مطبوع على الخوف قبل أن يولد ؛ ويرى في الخوف ؛ وحياته كلها حاصصة للخوف من المرض والموت ، وعلى هذا الموال فإن روحه مستعبدة ، معدودة ، ومقهورة ، وغالباً ما يكون حسده انعكاساً لروحه تذكروا أيضاً ملايين أرواح أسلافنا التي كانت مكبوة بهد الإحساس عينه ، وعاشت تحت وطأة هذا الكابوس ، ومع ذلك ، أليس من العريب أن تكون العاقبة موجودة حتى الآن ؟ إن أحب إلإهي وطاقة الحياة الإلهية السبر بتحليل في روح من غير أن نري ، وحدهما لقائراي على مواهة هذا المحيط من الأسى» .

وقال المسيح يوماً : إذا أراد الإنسان انخلاص فإن عليه أن يموت أولاً ويولد من جديد بالروح ، أي أن عليه أن يولد من جديد ولادة ثانية . ويستعد من الإنجيل أن الذين كانوا يستمعون إلى يسوع لم يفهموا كيف يمكن أن يحصل هذا . وما يؤسف له أن المسيح لم يترك لنا أي شيء مكتوب عن طريقته المعالحة الروحية التي كان يمارسها ، فم يبق لنا منها سوى بعض لبادث استي نقل إليها عنها الإنجيليون ، وعندما عادت العافية إلى كثرة كثيرة من المرضى الميؤوس من أمراضهم في عصرنا هذا فقتنعنا بأن المسيح كان يشفي فعلاً أولئك الذين كان إيمانهم راسخاً لا يتزحرج ومن المعروف أن عمال المدواة التي قام بها المسيح

ورسله، ليست بمقتول الكنيسة، وعن هذا كتب أحد العلماء يقول «إن الأفكار التي تدعو إليها الكنيسة المسيحية اليوم ليس لها أي أهمية في معالجة الأمراض الباطنية، مع أنها أدت في القرون السابقة دوراً عظيماً في هذا الميدان»

وولادة الإنسان من حديد ليست مجرد كلام أو قول من الأقوال المثيرة وإذا استخدمنا لغة الفيزياء، فإن هذا يعني أن مأخذ النظام ومعرجه ينبغي أن ينكأ وبلتحم بمكانين جديدين مناسبين بحيث أن تتعزل روح الإنسان مع الحقل الكوني، مع الروح الكوني، مع الإله وهذا هو معنى لموت والولادة من حديد ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه ينبغي على الإنسان لكي يحقق هذا أن يؤذي هروم الكنيسة نأدية شكلية فكس إسمان يحقق ولادته الجديدة بطريقته الشخصية وهاكم أمثلة عمّن حقق ولادته الجديدة، ونجح في أن يدخل حقل الإعلام للكوني، ويوجد روحه مع الروح للكوني، مع الإله

فقد كنت إحد من التي عاشت هذه التجربة كلها، كتبت عنها تقول «لقد مرّ بي حين رأيت الحياة فيه مضنية إلى حد لا يطاق. كنت أعيش دوماً تحت وطأة الإحساس بالعكابة وتعرّصت مرّات عدّة لحالات من الانهيار العصبي رافقها قلق مُصنّع علي النوم طويلاً، فألقيت نفسي قرب مداخل حالة الجنون زد إلى هذا أنني كنت أعاني من عمل أخرى ممدد، لا سيما اختلال وظائف الحهاز الهضمي. وبسبب على رأي الأطباء بطلت من منزلنا؛ وأخذت أتدول الأدوية، فتركزت أعمالي كلها، وأولت عناية هائلة لنظام التعنية، وترددت على أطباء المنطقة كلهم. لكنني لم أسرد عافيتي إلا بعد أن تملكتني فكرة جديدة.

وإن اعتقد أن الانطباع الأخرى قد جاءني من إدراك ضرورة أن يبقى الإنسان على تواصل مستمر، أو على تماس روحي مع جوهر الحياة الحاضر في كل شيء، وهو الجوهر الذي منحنا نحن الاسم؛ إله، إن هذا الجوهر، هذه المهدية غير مدركة بالنسبة لنا إلا إذا اتصلت بها. عايشناها معايشة حقيقية في داخلنا، أي إلا إذا أحببنا دوماً إلى أعماق وعي أنانا الحقيقي. إله في داخلنا، لكي نزال الصخرة من ادخال: ألا نلجأ إلى الشمس طناً لسور والدفء لكي نفدّي قوائم وعندما يؤذي المرء هذا بربمن مدرّكاً أنه يلجؤه إلى ذاته، إلى عالمه الداخلي، إنما يعيش بذلك مع الإله أو مع جوهره الإلهي. عندما يدرك وهم ما كان لاحقاً إله من قبل، وإن ذلك لم يضاعف سوى قوائم اخارجية.

لقد أدركت صابة أهمية هذه الحالات لروحانية الحارجه بالنسبة للعالمية الفيزيائية، لأن هذه الأخيرة لا تأتي من لقاء نفسها كنتيجة غير منظور: هاكتسابها عبر فعل روحي خاص أو بامتلاك الرعبه لاكتسابها، أمر مستحيل إنها لا تعطى إلا بالطريق التي وصفتها

قل قليل وما نجعله عادة كنه حياتنا، لبُحسنا القسم الشجكمة التي سهافت على «ملاصكتها» واستي عاباً ما نحيا ونموت من أجلها ولكها لم تمنحنا المسكبة أو السعادة يوماً هذه كلها سوف تأتينا كنتيجة طبيعية للحياة السامية التي نحياها على خلقه الروح ومثل هذه الحياة، هي البحث الحميم عن لملكمة الإلهية، هي ابرعية الحقيقه في أن يسود الإله في قلبنا؛ ولذلك إن كل ما بقي سوف يعطى لنا، وقد يعصى من غير أن نتوقع، صف إلى هذا إن مثل هذه الحياة سوف تكون شهاداً على وجود توازن كام في قلب وجودنا

وحيثما أقول لنا اعتننا على أن نحسن جوهر حياتنا ما لا ينبغي عليه أن توليه أي اهتمام، فإنني أقصد بذلك كل ما يروى فيه قيمة كبيرة، ويعطونه أهمية خطيرة: النجاح في العمل، ومحب الكائنات، والرسام، والطبيب، والمحامي، الشهرة التي تكتسب بأعمال البر، فهذا كله يسمى أن يكون نبيجة، وليس غاية. ويمكن أن أضيق إلى حد كلة تلك المتع التي يعدونها متعة بريئة، بل جيدة، وهي المتع التي يسعون إليها لأن الأكرتية تترها، وأما أقصد هنا إلى الاعراف الديوية، وبمط اعيش الديوى ومعاييرها، لأن الإسراف لرديء الذي يعيب عليها يلش الاستعسان من قبل الدهماء».

وهاكم شهادة حري

«منذ ولادتي وحتى سن الأربعين وأنا مرمضة وعلى أمل أن يمنحني تغيير المكان والمنح بعض الراحة نقلت للإقامة في فيرمونت، ولكن قواي ما تفتت تتلاشى يوماً بعد يوم، وها أنذا في أحد الأيام من أواخر شهر تشرين الأول، عند مصف النهار أخذ قسولتي المعتادة، وفعها اسمع الكلمات الآتية: «أنت ستبرئين من مرضك وتحققين عملاً ثم تحرشي على أن نحلمي به». عتركت هذه الكلمات اضطباعاً هوباً جداً في روحي، وفكيت نفسي في اللعطة عيني، إن إله هو الذي يطلق بهذه الكلمات في داخلي، هأمنت بها على الصد من نفسي، على أصت من صغفي وألامي التي تواصلت حتى أحياء الميلاد عندما عدت إلى بوسطن. وبعد يومين من وصولي فترجت علي إحدى صديقاتي أن ترافقني لزيارة أحد المعالجين الروحانيين، وقال لي هذا لا يوجد شيء سوى الروح ونحن تحليلات للروح الواحد وما الحسد سوى وهم عابر، وهو تماماً كما يتصوره المرء منا، وسكنتي لم أستطيع أن أوافق على ما قاله المعالج، بيد أنني أولت ما قاله حيث تهيأ لي أنه له صلة بي لا شيء إلا إله، وأنا صغته وتدعة له تبعية كلكة، فقد مسحت العقل لكي استخدمه، وإ ما وجهته نحو بيئة حسدي لكي يعمل بصورة طبيعية، فإني سوف أحرر من تلك القيود التي أدخلني فيها جهلي، وحيثما وتجريتي لماصية وفي ذلك اليوم أكلت شيئاً مما أعدته العائنه، وأكدت لنفسي بصلابه: إن اقوة آتي صمعت

معدني يجب عليها أن تجعلها تتمثل ما أكلته ، وعلى امتداد اسهره كلها احتفظت بحالتي لروحيه هذه ، ثم نمت وصحوت فأتله بعسي أنا روح متدغمة بفكرة الاله عني لقد كانت تلك هي ليله الأولى في حياتي كلها التي نمت فيها الليل كله من غير أن أصحو مرة واحدة (كانت نوبات القلق تهاجمني في نحو المساعة لذبية صباحاً عادة) في اليوم التالي كان يعمرني إحساس يأتي تحوّل ، تغيرت تصماً ، كما لو أنني هاربة من ظلمات السحن ؛ وظهر لدي يقين بأنني اكتشف السر الذي سوف يعبد لي عاهيتي وبم يمض أكثر من عشرة أيام حتى بدأت أتناول مما كان يقدم للأحرين نفسه ؛ وبعد أسبوعين أحتت ألتقي إبحاءات مباشرة بحقائق تحوّل إلى معائم على طريقي ، وكانت هذه تتوارد مره كل أسبوعين تقريباً . وهذا أنا أذكر مصها :

١- أنا روح إدرك شيء حير .

٢- أنا روح إذن أنا معبولة

٣- رؤيا داخلية صهر لي فيها حيوان بأربعة أطراف يحمل وجهي عينه ، وأورام على كل أجزاء جسدي أتي كنت أحس بالألم فيها . طلب مني الحيوان أن أعترف بأنه أنا . هجمعت هوي وركّزت على فكرة واحدة أنا سليمة معافاة ، ورفضت حتى أن أنظر مجرد نظرة إلى صورة حالتي الماضية هذه

٤- مرّة أخرى رؤيا الوحش ، ولكن عن بُعد ، وكان صوته مسميماً جداً ورفضت مرّة أخرى أن أقر بكونه أنا

٥- تكررت الرؤيا للمرة الثالثة ، ولعكسي لم أرى هذه المرة سوى عيني وفيهما نظرة توسل . فكرت ذهني القاطع . ووجدت يقين ، يمين د على عميق بأبني الآن معافاة . وهكذا كنت في الماضي وأنا لم أكن يوماً إلا سليمة معافاة ، لأنني روح ، سجل لفكرة الإله الكاملة وغدا هذا النفس جداً صارماً بين ما كنت عليه فعلاً ، وبين ما سمّته لنفسي . وعن طريق ترسيخ هذه الحقيقة دائماً في نفسي بلغت المستوى الذي لم أفقد فيه بعد ذلك أبداً رؤيتي لا ناي الحقيقية . ثم شيئاً هشيناً ، على مدى عشرين من الجهد لصنني ، بلغت الحالة التي بات فيها جسدي كله يسمع بالعافية .

وعلى مدى ١٩ عاماً انصرمت منذ ذلك الوقت ، لم بدأت شي مرّة أن استدعي هذه لحقيقته ، مع أنني لم أفسح لحظة واحدة أن أعيش وأسلط بما يبغي معها . وعلى الرغم من صقراطي كلها ، إلا أنني تعلّمت أن أفكر بصدق ، وسراء مفل .

يستنتج من هذين المثالين أن القاعدة الأساسية للملوك في الحياة تقوم في ن تفتح قلبك لتعود القوى الإلهية . وتلتحق بالحق الإلهي ، بالنعش الكوني ، بالروح الكوني ويمكن أن

يتحقق هذا بفعل الخير، والابتعاد عن فعل الشر. هُتمة شعار عدد المعالجين الروحانيين يقول:

«نشأؤم يضعف المرء، والتفائل يمجحه القوة»

«إنَّ لأفكار هي أشياء حقيقية وإذا ما حشدت أفكارك على العافية، واسباب، واسوة، والنجاح، فإنك تتأل هذا كله حتى دون أن تلحظ كيف حصل ذلك هلا أحد يحب أمله في لتأثير المتمر لنظام الأفكار إذا أدبر تتماؤل ودأب. إنَّ لكل إنسان فرصة يحد فيها الصريق إلى الحالة الإلهية أما نظام الأفكار الأناسي لقائم على الخوف، والسوداوية، هبته بقود ل الهلاك» وهذا انعكست هذه الموضوعه عن حير وعلم الإقرار باستشر في صيغة أخرى: «الإله مقيم على الحيردائماً، ومعنى ذلك أنه لا وجود للشر بالنسبة إليك أيضاً وعليك أن يهب لإدراك وجودك الحقيقي».

ولكي يحضخ الإنسان وروحه حصوعاً تاماً للروح الكوني، لإله، عليه أن يمتنع عن اسمه أي مقاومة تعمق ذلك فهذا يخالف الأخلاق المعتادة التي يسغي عليها أن يُظهر فيها الحد الأقصى لرادتنا في تنظيم حياتنا وفق بعض المعايير ويمرض عليها هذا في وقع الأمر ألا نكون إيجابيين، بل سلبيين، لكي نستسلم تماماً دون أي مقاومة أمام القوى العليـب ومعنى ذلك أنه يحب ألا نقوى إرادتنا بل يضعفها «أسس الإحساس بالمسؤولة، و عرف عن السلطة على دانتك، وأترك لقوى العليا معسألة الاهتمام بمصيرك، وكن لا ميالياً تماماً حيال ما يمكن أن يفودك هذا إبه، وسوف تتأل عنديكم السكينة الروحية الكاملة، وحيرت الحياة التي عقلت بصدق أنك أرغمت على أن تعزف عنها إلى الأبد. إنه الخلاص عبر إبأس، إبه الموت من أجل الميلاد الحقيقي، إبه الانتقال إلى لعدم ولكي تصل، لن هذا يحب أن تعيش أزمة روحية، يهيمي أن سطر شيء ما في روحك تفسراً حرياً، يهيمي أن يكسر عدد هذا الشيء ويحبو حتى سدر».

اسأل، أين هو العلم الذي يحب أن يعني بصحفت إن لدينا تصور غير صحيح بدأ عن دور العلم ومكانته في حياتنا نمد بالعنا كثيراً في معطيم شأن العلم المعاصر لأنه سطر الذرة، وأطلق الأقمار الصصعية، وتعلعل إلى الحيات الوراثية، يهس أهد بدأنا بجنى ثمار هذه «المضائل»، وسوف يبين لنا المستقبل بصورة أوضح أي مصائب حلب لنا العلم

ن العلم الحقيقي ينحدر من هنالك، من حقل الإعلام التكويني، فالأفكار والنصريات فتحل في الهواء ولا يمكن استخراجها على ساس قوانين سطلق ولكي يمكن أن تكون الفرصة صححة، يجب أن تكون هرهنية جنوبية مد فيه استكماله أي حب ألا ندرج بأي صورة من الصور في تصورات كانت موجودة من قبل ولذلك، لا تقصروا بين العلم الحقيقي

و لإيمان بجدار صمّ. فالأساس لدى هذا ودك مصدره واحد. حقل الإعلام الكوني، العقل الكوني، الروح الكوني. وليس الطلاق الواقع اليوم بين العلم واللاموت، سوى نتيجة لقصر نظر اللاموتيين والعلماء. فإنّ دعاءات ممثلي العلم ليوم كادعاءات الطائفين المتعصبين، هي في أقل تقدير إدعاءات مرتحلة، متعجلة فالعالم أعمى بما لا يقاس مما يمكن أن تتصمّنه أي صائفة كانت، حتى لو كانت هذه طائفة علماء. وفي آخر الأمر ما الذي يمكن أن تمثّله يراهم العلمة كلها من غير تحرمة تتطابق إلى حدّ ذلك مع نظام من المفاهيم المجردة التي أشادها بحو والعمل؟ ولكن ولاء للحصيفة بتسلسل لماذا يجب أن يقرّباً نظام المفاهيم هذا وحده يمكن أن يكون صحيحاً؟ إنّ حصيلة تجربتنا كلها تقود إلى استنتاج معاكس تماماً: تبعاً لتباين الرؤى المشتركة يمكن أن تتباين المواقف من العالم؛ وفي واقع الحال نحن نقف على تنوع كبير في هذا الميدان، ففي كل لحظة مغنية يختار المرء الموقف الأكثر ملاءمة له تجاه العالم، متناسياً المواقف الأخرى الممكنة أو متجنباً إيّاها. إنّ العلم يقدم لنا التعرف، والإضاءة الكهربائية، والتشخيص الطبي لأعراضنا، وينجح أحياناً في استباق بعضها ومعالجته، أما الدين فإنه يقدم لبعضها عبر المداواة الروحية، السحرية الروحية والتوازن الأخلاقي، والسعادة، ويستبق بعض أنواع الأمراض أيضاً، وهو قد يكون بالنسبة لمئاته صامدة من الناس أفضل من لعم ومن هذا يتضح أنّ العلم وكذلك الدين يمكن أن يكون على حد سواء بمثابة مفتاح كسر العصور بين يدي ذلك الذي يستطيع أن يفل هذا وذاك في حياته. ومن الواضح كذلك أن أيّ منهما لا يجمّ وحده كنور لعالم كلها، وإنّ إمكانية اندغامها في كل واحد مر واردة آتيس العالم في نهاية الأمر، هو تركيب معقد لمجالات الواقع المحتملة التي يتداخل بعضها مع بعض»

الخلاصة لكي يستطيع الإنسان أن يعيش حياة طبيعية روحية وحيوية، ينبغي عليه أن يقيم صلة جيدة مع حقل الإعلام الكوني، مع العقل الكوني، مع الروح الكوني، مع الآلهة فمن هناك فقط يتلقى المعلومات الضرورية لتنظيم حياته، ووسط تصرّفه كلها.

مكنون العقل الكوني والدين

يبدو لب اللوحة الأولى أن العلم والدين لا يلتقيان في أي نقطة العلم يدرس العالم الواقعي، وتأخذ قوانينه شكل لصيغ، بينما يقوم العلم على ما هو فوق الطبيعي، إلهي، و إلهيهم، وعلى المعجزات وما يثير الأسى أن مثل هذه الرؤية سائدة بين العلماء، كما في أوساط اللاهوتيين وزحاح الكنيسة بيد أن هذا خطأ من حيث المبدأ فليس شئ ما هو صيغي وما هو فوق الطبيعي والخرق هناك عالم واحد ونحن لم نفهمه، وربما لن نستطيع أن نفهمه فهماً كاملاً في أي يوم من الأيام. فالطبيعي بالنسبة إلينا الآن هو ما يمكن لسه رؤيته، وسمعه بالعين المجردة والأذن أو بالأحرى التي نستعملها. فالحجاء بحمل الشئ إلهيهم، شيئاً يمكن تحسسه بأجهزة الإحساس. فمتدائه عام مثلاً لم يكن أي من العلماء لواقع معلن إذا ما قلب له إن شخصاً ما في نيوزيلندا سوف يتحدث بصوت خافت مع آخر يقيم في ريكس، وأن هذا سيسمعه ويجب على أسننته، ألهمت هذه هي الشعوة بعينها؟ ولكنها باتت الآن وقماً معتاداً لا يثير استغراب أحد إن ابن الحد بين لشعوة وما هو طبيعي؟ وهل هذا الحد ثابت لا يتغير، بل هل هو موجود فعلاً؟ إذ تقرأ هذا الكتب تركك أنه لا وجود لهذا الحد. فقد هائج المسيح مرمسى لم نتج أحد غيره في معالحتهم فهل كانت تلك شعوة؟ كلا فمتد زمن غير بعيد هل المعلمون الروحانيون، ولا يرأون الشئ نفسه، وفق طريقته عيها وتلك ليس مشروعا تقسيم العالم إلى قسمين طبيعي وخرق فوق الطبيعي والحد الماصل بينهما يدكره بحج الأفق الذي كلف اقتربت منه يصير بالاهتمام وهذا يعني أن العالم واحد موحد، ويجب أن يكون هذا هو منطق العلماء واللاهوتيين وليس العالم وحدة واحدة بالمعنى الفلسفي المعرف فقط، بل هو وحدة واحدة من حيث بنائه، من حيث تركيبه وبعد حقل لإعلام الكوني لحامل الأساس لهد البنين وجزاء الأساس وكل المعلومات التي تحتوي عليها هذا الحقل (معلومات عن العالم كله في الماضي والحاضر والمستقبل)، موجودة في وعيا الباطن أيضا وهي ترد من هناك بطرق مختلفة فعند الأنبياء، والمستنصرين، والمتحاطرين ترد هذه المعلومات من وقت لآخر من الوعي الساطر إلى الوعي الحقيقي بدرجات

ملحوظة ولكن الأمر كله يتعلق بالشخص المعني، بعالمه الروحي، بصميره، بكارماته، وكلما اقترب المرء من درجة الكمال الروحي أكثر، كلما مهدَّ سبيل توارث هذه المعلومات إليه. لقد كان الأنبياء يتلقون معلومات من حقل لإعلام الكوني مباشرة، ولذلك فإنَّ نبوءة أي نبي حقيقي لا يمكن أن تمحو نبوءات الأنبياء الذين سبقوه، إنَّا كانوا أميَّاء حقيقيين. وإذا يتلقى النبي المعلومات بقلها إلى الناس، ويضيف إليها المعلومات الضرورية لحل المسائل السياسية ومسائل الدولة التي تحكم الشعب في اللحظة المعينة وظهور هذه المعلومات الإضافية أمر حتمي إذا كان النبي لمعي مرعياً على تقرير المسائل اليومية لمجتمعه. فهو على سبيل المثال، لم يكن بمقدوره أن يقض عند حدود المعلومات المطلقة التي كان يستقيها من الحصن السكوني: من الإله، أي تلك المعلومات التي تؤكد أنَّ الإله واحد، وأنه يجب الإيمان به وحده. لقد كان على موسى أن يتشرب شعباً من حشود كانت حتى وقت قريب تتحبط في مستنقع العبودية، وينسئ نوله ومن الواضح أنه كان عليه أن يصوغ الشرائع المدنية والحنائية لدولة المزمع تأسيسها، ومن البديهي أنه كان يتوجه في كل حله مستجداً إلى لقوة لعبا، إلى الإله لكن القواعد التي أنشأها والقوانين التي وضعها جاءت متوافقة مع اشتراط المعطاة. وهذا هو ما فهمه النبي محمد (ص) أيضاً فعلاوة على المعلومات المطلقة (أنَّ الله واحد أوحد في لكون كله، وأنه يحب الإيمان به وحده) صاغ محمد (ص) شرائع المدنية والحنائية التي نظمت حياة شعبه بما يتوافق وشروط حياة هذا الشعب وينبغي أن نعطي هذين لنبيين ما يستحقان من التبجيل والاحترام، فقد حتموا في إنشاء ذلك بصحوه العقل، وسكنة الروح لقد أدخل موسى شرعة بتدريس أحداً بالحسبان مصلحة الشريعة العامة من المجتمع؛ لعبيد واستاعين تبعيه عبودية، فرفع القانون الضيم عن هؤلاء لو يوماً واحداً في الأسبوع؛ لم يكن بمقدور أيُّ كان أن يزعجهم على تأديبه أيُّ عمل في هذا اليوم كما قررت اشريعة مسألة تنظيم المجتمع، فالسبب كان يوماً «مسياسياً» إنَّا صمغ التعبير فيه كانت تؤدِّي شعائر الخدمة للإلهية وسوى ذلك من النشاطات الشخصية الأخرى ذات الصلة بالحياة الروحية للمجتمع.

وتوالى الحقب، وتبدلت الظروف، وتسحت هذه الشرائع وأعيد نسجها مرَّات ومرَّات، وأُعيد تأويلها من جديد وفق الظروف المستحدَّة ومن الواضح لكل من يفكر أن تغيير الظروف مع مرور الزمن يستدعي سوق هذه الشرائع في مصرى المستحدثات. وليس ثمة أيُّ إثم في هذا وعلى الرغم من أنَّ تعاليم المسيح نشأت على قاعدة شريعة موسى، إلاَّ أنها احتوت على تأويل جديد للوصايا العشر التي تشكل هيكل شريعة موسى

وكذلك فعل محمد (ص) أيضاً، إذ أضاف إلى الحقائق الأساسية في تعاليمه، حقائق أخرى كانت ضرورية للبناء الروحي - السياسي للمجتمع وأقام بهذه الأحير علاقات جديدة بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض، وبينهم وبين السلطات، و ..

ولكن يبقى الجزء الرئيس هو نفسه في اليهودية، والمسيحية والإسلام، وليس ثمة تباين هت أو تناقض فهل هناك فرق بين أن يسمي المسلمون إلههم باسم الله، أو يدعو اليهود الإله عيه باسم يهوه فالأمر سيان لأن الإله واحد 'وحد للناس كلهم، وللكون كله فقد جاء في نص القرآني أنه لو كان للكون إلهان لانهار وفي من السهوي أن يكون للنظم الواحد الذي يؤلف كلاً واحداً مثلاً هي حال الكون، قوانين واحدة، ومبدأ واحد، علة أولى واحدة وحيدة. أمّا فيما يتعلق بفرائض الحياة اليومية، فإنه يجب أن يكون مسببة بخلاف الشعوب، لأن هذه الأخيرة تعيش شروطاً متباينة، ويتسحب هداً على الحتان، والصوم، والطعم (لحم) لخزير على وجه الخصوص)، والخمرة، وعدد لزوجات وما إلى ذلك ويعي كس من يفكر أن الإله لم يوص الإنسان بحديداً ما إذا كان عليه أن يشرب الخمر أم لا. وإما أوصاه بأن يحب قريه مثلاً يحب نفسه وترك للإنسان أن يقرر بنفسه ما الذي يمهّد له اسبيل لتنفيذه هذه الوصية، وما الذي يعيقه عن ذلك أي ليست استمرقات يحدّ ذاتها هي المهمة، إنما نتائجها، تداعياتها ولذلك فإنّ اللوغماتية على وجه العموم، يمكن أن تسبب الأذى وحسب. تذكرنا موقف المسيح من العقائد، من الدوغما، فقد قل: لقد خلق الست من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل الست. وقال أيضاً ليس الشتر في أن لكل يبيدين غير معمولتين. لأن الشتر ليس فيما يدخ إلى الإنسان، إنما الشتر فيما يحرّج منه: المقاصد الشريرة، والنوايا السيئة، والحسد، والبخل، ومعداة لناس وما إلى ذلك. فكم من السماء سأل عبر تاريخ الأديان من أجل العقائد الجامدة، الدوغمات. وكان ذلك كله عجفاً بالنعري الحقيقي الأول تعاليم موسى، والمسيح، ومحمد (ص) وكان موسى ومحمد (ص) قد تركا لتسعيهما سرائع العيش المنسرت اشترع المادية والحنائية كما سلعنا ما المسيح قلم يترك شرائع حلقية قد قامت رسالته أصلاً في تفرير مضلات الجنس البشري وإيجاد حلول لها بعدد من الإزعج، والميف: عن طريق تحقيق الكمال الذاتي لكل إنسان. وحسب المسيح أن الإله موجود في كل منّا (وهذا ما أكدّه العلم المعاصر)، ومحبة الإله، والإيمان به، مماهما محبة للصريب، بن محبة الأعداء أيضاً، لأنّ إله حقّ كلهم دون استثناء، وكان المسيح يعرف أن ما تعاني البشرية منه يمكن أن يُحلّ بوسيلة واحدة، المحبة لقد كان يجب تعيين بعض والنمو، والحق، والكف عن فعل الشتر (حتى بالأفكر) حتى تتغير الحياة من تلقائها ولم

تكن تلك مجرد أحلام. فقد بُنيت المعالجة الروحية صفة ذلك ويكفي أن يلتزم الإنسان بهذه الوصية حتى يعمدو سلمياً معافى روحياً وفيزيائياً. ونحن لم نورد سوى مثالين عن وسيلة المعالجة الروحية، علماً أنه هناك كثرة لا تحصى منها. لقد أنشأ المسيح مرصياً فكان مؤموساً من شفائهم بطريقة عامة واحدة (ليكن لك حسب إيمانك، وبدأ فكانت هذه الطريقة ذات فاعلية بالنسبة للناس العاديين، فما بالك وقد استخدمها شخص روحاني كالنبي، اندي كان «لحين فتملأ على صلة بحقل الإعلام الكوني، مع الإله، ولذلك كان له الحق كله أن يقول «أنا وأمي واحد» ونحن نسمي الأُنرى في هذا أي ابتداء أو إلهام. فليست هناك ضرورة لبقاء هرم تراثي بقى الإله في أعلى قمم، فالإله في كل مكان، يرى كل شيء، ويعرف كل شيء، وقادر على كل شيء، والأشياء كلها مكلوءة به، الكائنات الحية والجمادات. ولذلك فإن ما يجب أن نتخلله ليس هرمياً إنما محيط متصل ببحار، ونهر، وحدائق وهو يتصل حتى بالبحيرات، وكل مصادر الرطوبة على وجه العموم عبر عملية التبخر والامتصاص، أي المطر هما الفارق بالنسبة إلهك من أين تشرب من «البحيرة» من النهر أو من النسيم فالأمر المهم الوحيد، هو وجود ماء الحياة، ولذلك يجب ألا نعاكس مختلف المصادر بالحمية عليها ينبغي عدم معاكستها بأي سمات خارجية شكلية كما ينبغي عدم الإيمان بأي عقائد لا تصدقوا اعتقادات (الدوغمات). فإذا ما قرأت تاريخ الطوائف وشئى «الهرطقة»، فإنك تدرك مدى بعد هؤلاء الناس عن الحقيقة رد إلى هذا أنهم يهوديون الآخريين إلى طريق لصال، إلى طوائفهم (إلى طوائفهم هم، وهو الأمر الأهم بالنسبة إليهم) فهم يحتفلون مثلاً حول كيفية صوم المسلمين في أصدائهم لتطبية حيث ينقسم العام إلى أشهر لا تقب الشمس فيها وأخرى لا تظهر الشمس فيها، إلى هذا الحد من العمق تفوق الدوغمات وإلى هذا الحد نفسه بقود الابتعاد عن المعنى، من الحقيقة وثمة تباين بين عدد من الطوائف الإسلامية عاملة الواحد، هو من من الأئمة سوف يظهر لمؤمنين في مجيئه الثاني الإمام الخامس، أم الإمام السادس، أم الإمام الثاني عشر، أليس هذا دليلاً على عمق الخلاف بين المؤمنين إلى التمسك بالدوغمات أمر معرر مصحح ومن المضحك أن ترى خليقي الروس من أتباع كيريشنا الروس، يسبيرون في شوارع موسكو شيا لا تتلاءم أبداً مع الفصل من العام، ولو نظر هؤلاء بإمعان إلى أصول الكيريشنانية، إلى لبها لغشرو على نسي، واحد في فكر ممكن منها محبة اقريب، والرحمة، والتماوى، ولأنهم كانوا أنه ليس من الضروري بالنسبة إليهم أن يرتدوا رأياً مثيراً ولا يبقى سوى الأمر الأهم، فعل الخير، عندما تقرأ المجلدات الضخمة التي سطرت عن الطوائف المسيحية فأنك تستغرب كيف يمكن لأناس مؤمنين طوائف، يطالبون بدور المعلمين

لرئيس من قبل لإله نفسه، أن يكونوا على هذه الدرجة من قصر النظر حتى يعجبوا عن رؤية الامر الأهم يجب ألا تمتاز، ألا تصح حاجزاً يفصل بينك وبين الآخرين، وألا تصالب بحقٍ خاص بك باحتكار الحقيقة، أي ألا تطالب بوضع نفسك فوق الآخرين.

لقد كنّا عرضاً بإيجاز تاريخ المذهب المسيحية والإسلامية ويمكنكم أن ترمضوا بسهولة ويسر كيف كانت انتماءات الدنيا تتفصل خلال زمن قصير عن المصدر الأول الذي بمضله ظهرت. بعد بآنت الكنيسة مؤمنة ليست أفضل من المؤسسات الأخرى التي تملك لسلسه، ولها مصالحها المادية، وقرائيتها اخدمانية ويستمد من الأناجيل أن المسيح لم يعرض بقاء أي بنية ترقيته مطلوبة لشر تعاليمه وكان قد عبر بوضوح وبقوة عن رأيه تجاه تقدم بعضهم على حساب الآخرين، على من يعلو عليكم أن يصبح حادكم ولكن ينبغي علينا أن نتعامل مع هذا كله بحكمة، انطلاقاً من معطيات عصرنا، ومن وقع طبيعة الإنسان نفسه ونحن لا نستطيع أن نؤيد مشروع التوحيد الشكلي للمعتقدات كلها فهذه خطة غير واقعية ولا لزوم لها لأن أي خطة لإعادة التنظيم، إذا كان تحقيقها ممكناً، فهي مرتبطة دون شك بكثير من الخسائر وسوف تصرف اهتمام المؤمنين عن موضوعات ذي بيانة فكانت عن العيش في عالم مع الآخرين، وعن محبة القريب. لقد سنت التحركة التاريخية أن الناس تميل نحو التركيز على ما له أهمية ثانوية، ولا يرى ما هو مهم وأساس ولذلك يجب أن نمسجل بخطة نوحنا المعتقدات كلها توحيداً شاكلاً، خطة أخرى، هي نشر المصروف العلمية والمعاصرة في أوساط المؤمنين وغير المؤمنين (فليس ثمة في العلم طوائف، في العلم الحقيقي في أهل تقدير)، وإعطاء جميعهم رؤية صحيحة، ولن يكون مثل هذه الرؤية أي معنى من غير الإيمان بوجود لإله الواحد لجميعهم، والإيمان بالعلمة الأولى للكون وكل ما فيه، مصدر الشرع كلها التي كشفت عنها الإنسان (كشفت عنها وله يصفها).

ولكن يجب ألا نغفل على تعميم تواصل الإنسان مع الإله لأن صلة كل إنسان بالإله قائمة فعلاً بصرف النظر عما يرى الإنسان نفسه مؤمناً أم ملحدٌ بعد آتته ينبغي على الإنسان أن يفهم ما يوسمه لترسيخ هذه الصلة وتقويتها وإذا ما أعلن المرء بسبب جهله وضعف معرفته أنه لا يؤمن لا بالشيطان ولا بالإله، فإنه يعيق بذلك تحقيق هذه الصلة ونشئ حور نفسه شائسة سلبية تحمل من الصعب على حمل الإسلام الكوني أن يصل إلى مثل هذه الشخص وتذكروا أن كل ما يموله لوحد مناً، أو يكره به بعد قوة حفيظه بها المدة على أن نجعله سعيداً أو تاعساً فاستعادة لا تحط رحالها إلا في حاله وحده، إذا ما عار امرء في ركاب حتر الإعلام الكوني واستجمت أعماله وأفكاره وتصرفاته، ونوفقت مع لعقل

اكوني مع الروح الكوني، مع الإله ولا يمكن بلوغ هذا السواقي إلا بطريق واحدة، عبر البحر وصد الشّر من حياتك العملية ومع حركتك إلى الأمام على هذه الطريق، سوف يتزايد أكثر فأكثر توجيه المعلومات الواردة من الحمل الإعلامي لحياتك، كما يمهّد الصلاة مسيل قيام صلح واسع بينك وبين حمل الإعلام الكوني، ويكسر الصلاة الصادق، أي لأفكار التي تتوجّه بها إلى القوى العليا ونحن كنا أشربا إلى أن الفكر والصورة الأصل التي يصنعها هما قوة حجارة ولذلك فإنّ صوائك الصادقة التي تخلق فيها أنت عالمك الروحي وأنت تسير نحو الحقيقة عبر التوبة، تنمّي روحك، تظهر عالمك الروحي، وتقوّي صلتك مع الإله إن كل ما نقول به هنا يستحب على جميعهم دون استثناء، بصرف النظر عن العقائد والمعتقدات وبممكنك أن تدرسي صلاتك في أي مكان كان يمكنك أن تفكر فيه بصديق وأمانة دون أن تسمح للشك أن يساورك. عليك أن تتكلم على نفس شأن الإله يسمعك، وأنتك سوف تعطى بحسب إيمانك، أنتك تستطيع أن تصلّي في حديقك، كما جاء في الإنجيل، أو في المعابد القديمة أو الحديثة هلست ثمّة فرائص في هذا لسان، فعلى الإيمان بمسه أن يحسّر أين وفي أي شروط يكون تواصله مع الإله أفضل، وأين تسمح الصلاة الراحة أكثر. ومن أوصاح أيضاً أنه لا فرق بين أن تتوجه بصلوات إلى الإله أم إلى أم الإله، أم إلى يسوع المسيح، أم إلى لله. وليس مهمّاً أديت صلاتك أمام أيقونة أم من غير أيقونة يقول بورفيرديوس إيفانوف، إنّه من المهم أن تتواصل العافية حتى لو توجّهت بصلواتك إليه هو أليس هذا تحديف؟ أبدأ فالحقل لإعلامي (= الإله) موجود في كل مكان وفي كل إنسان، وليس مهمّاً أبدأ من أين تستقي ماء الحياة، ولكن من المهم أن تقيم صلتك لتتمكن من أن تستقي من ينبوع. ومن المهم طمعا ألا يكون يسوع كاذباً، ملوّد بكرة الآخر

أما فيما يخصّ الأيقونات وسواها من الأشياء الأخرى التي نوجّه لها أفكارنا الصالحة السبلة، فإنّها تشعّن رويداً رويداً وأكثر فأكثر بالطاقة الإيجابية (المعلومات). ولذلك فإنهم يحدثون عن ممكن مشعّن بالصلوات، أو أيقونات مشعّنة بالصلوات، وهذه حقيقة أكّدها العلم لمعاصر هذا قدم العلماء الحمل الحيوي مثل هذه الأيقونات المشعّنة، ونبوّه في السبقي إلى أنه إذا كان الرسام قد رسم لوحته بإلهام حقيقي، فإنّها تبدي بسورها حقلاً حيويّاً يؤثّر على من ينظر إليه، وتترك مثل هذه اللوحات عادة انطباعاً مختلفاً وقد تحاكي اللوحة المرورة اللوحة لأصل من حيث المظهر الخارجي، لكنّها تفتر إلى الروح فلم يُثبت فيها ذلك الحقل الحيوي الذي مسحه الرسام اللوحة لأصل، إذ كان رسماً من عند الإله،

وهكذا ليس الانعزال في الحجرة شرفاً ملزماً للصلاة فقد تكون الصلاة في المسجد أمام الأيقونات المشحونة أكثر تأثيراً، لا سيما وأن لمعايد المية نساء سلباً تعد مخزناً للطاقة الحيوية، كما تصلوات المصلين معك تأثيره ايضاً، إذا كانت صلوات صادقة. ومن المهم جداً أن يكون اختيار الموسيقى ذهيباً بؤره، وكذلك الترانيل، و.. بيد أن الإيمان من غير أعمال، هو إيمان ميت وينبغي ألا تتحول الصلاة إلى استجداء مطالب صغيرة مجدة، لأن الأب كم قال لسيح، يعرف حاجاتكم قبل أن تطلبوها. فنور لصلاة، هو تمهيد سبيل التواصل مع لعل الكوني، مع الإله، وإعداد طريق ولاتك من جديد، تصهير روحك ولكن يجب أن تقوم حلف هذا كله أعمال صالحة، مقاصد طيبة، فمن يخطئ في فكره، يخطئ فعلاً.

إذن لن تستطيع أي كنيسة أو أي أب مقدس أن يحل لك صعوباتك كما لن تقضي هذه بتأدية الطقوس والشعائر التي فرضها الكنيسة. هصعودك تذللها أنت بنفسك، لأن لإله فيك وعليك أب بحد الطريق إليه.

إنك أنت وحدك فقط المارد على ن مسلسل بأعمالك الشريرة أعمالاً صالحة، وبأفكارك الشريرة أفكاراً صالحة وأن يعيش في هذا العمل الصعب أي شخص كان، يمر في ذلك الأب المقدس. ولكن لا تطلب من هذا الأخير أكثر مما تطلب من أي بسان عادي آخر، فهو بدوره يمكن أن يكون إنساناً شريراً كما يمكن أن يكون إنساناً صالحاً، وقد يكون حكيماً أو سلفياً ضيق الألق.

ولكن ما العمل مع طقس الاعتراف في مثل هذه الحال؟ كيف يمكنك أن تظهر روحك من الخطايا والذنوب التي تعدلها؟ إن الاعتراف من حيث جوهره، مكشفة بينك وبين الإله، وهو اتصال روحي بين روحك وبين الإله. والاعتراف ضروري جداً فهو إذا مكان صادقاً مثله مثل الصلاة بيدك أنت نفسك، بيدك صلب الروحى بدل روحك، ولا اعتراف هو حالة بدم، حانه توبه عميمة، هو عهد بأحده على نفسك قبل شكل شيء. بالأ تأتي مستقبلاً تأتي عمل إلا العمل الصالح. وألا تعود إلى الأعمال التي ندمت عليها وتحل من آثامك أشياء تدريك الاعتراف، ولا تظن أن الكاهن هو الذي يحل منكم، إنما تقوى العيا هي التي تعمل دلب وتكسها تحل بمعنى أنك أثناء الاعتراف تولد من جديد، وتعدو غير مؤهل لاعتراف الذنوب التي ندمت عليها فالاعتراف ليس مجرد صفة يعنى لمرء بموجبها من الآثام التي يقر بها إنه أمر سحري على مستوى اسروح واتصالها بحقل الإعلام لكوني، بالإله وهى شمة ضرورة لوجود طرف ثالث هنا؟ نعم. وقد أساء أسروستانت كثيراً إذ ألغوا طقس الاعتراف فقد ههوهو مسألة الحل من لخطايا أثناء بأدبة طقس الاعتراف، فهماً خاطئاً، ووضعوها على مستوى

و قد مع غفران الآثام لقاء نقود (بيع صكوك الغفران) لقد انتزع البروتستنت بذلك، انطص مع الماء من جري الممودية وهذا أمر مؤسف! فالاعتراف هو من حيث الجوهر، جلسة سيكولوجية ماضية، إلا أنها أكثر عمقاً من حيث توجُّهها نحو الصلاح، ونحو الصلاح فقط. تدهكر دوماً أن أسدين هو شأن حصن في المقام الأول، خاص بمعنى أن أيّاً كان سواك لا يمكن أن يعدّ لك مكاناً في لجنة حملة الإله في داخل كل منّا، وهي قائمة الآن، كما قال المسيح إن هذا الاتسحام مع لعقل الكوني، مع الإله، لا يمكن لأحد أن يصسه لك عيرك أنت، مع أن كثيرين يمكن أن يمدّوا يد العون لك في هذا السعى ونحن نأمل أن يكون هذا الكذب عوناً لك أيضاً وعلى أي حال هذه هي رغبتنا نحن في أقل صدير

وهو هل أحد العلماء عن الدين ذي الطابع الشخصي «في الدين ذي الطابع لشخصي يجب أن يتمكّل المركز الذي يجب أن يُعتمد الانشغال عليه، في الانفعالات الداخلية للإنسان صميره وحدته معجزة، وقصوره ومع أن ميل الإله للإنسان، سواء كان مفسوداً أو مكتسباً، يؤدّي دوراً مهماً في تحلّي تلك الحالة الديية التي تتحدّث عنها، وعلى الرغم من أنه يمكن للميل اللاموتية أن يكون لها هيها أهمية ليست بالقليلة إلا أن الأفعال، التي توظف مثل هذا الصبر من التدبّر ليس لها صانع ملقوس، بل طابع شخصي صرف المرء نفسه يحدد واجبه بنفسه، أمّ التظلم الكشمي بكونه، وطقوسه وسوى ذلك من مختلف الوسطاء بين الشخص والمعبود، فإنّ لهم المكان الثانوي في هذه العملية كلها، ويقوم تواصل مباشر بين قلب وقلب، بين روح وروح، بين الإنسان والخالق،

يمضي على الإنسان أن يسلم مصيره كنه لإرادة لأعلى، للخالق، كما جاء في هذه

الصلاة

«يا رب أنت تعرف ابن الحبر، فيمكن كل شيء وفق مشيئتك عظم ما تشاء، وتبدر ما تشاء، وحبب تشاء اصنع محي ما تراه حكمتك الأصلاح، وما يخدم عظمة محبتك ضعني حيث تمصل، في المكان الذي تكرمّه، وقدني في طرقتي كلها حسب إرادتك فهي يمكن أن يقع مكروه عندما تكون معي؟ أنا امصل أن أكون فقير معدماً من أهلك، وألا أكون ثرياً من أجل غيرك، فلاكن معك منشرداً هي لأرض لا منزل لي، ولا أريد أن أملك السماء بعداً عنك فحيث أنت هناك الممكة السماوية، وحيث لا وجود لك هناك سموت والحمام الناري»

الحاتمة

بمكسبا طمأ أن صبح حاتمة في عمده سمحات، ولكننا مع ذلك لن نستطيع أن نمُر
 عما نمُر عه الأمثلة لآنة
 تصول الأمثلة. عاش في الأرض إسمان بأعراجه وأحارانه، بإحلاصه وغدرة، بمعبته
 وكبرهه. وعرف هدأ في حياته كس شيء، الخير والشر، والصرح والألم، والعبطه والضنى
 وعندما انتهت طريقه في الحياة الدنيا، أخذ الرُّبُّ إليه، وأثناء استقبله له، معه إمكانية أن
 يرى طريق حياته التي قطعها كالآثار البقية على لرماس. وهناك على الرمال رأى، لإنسان آثار
 ثنين آثاره هو واثار الرُّبِّ الإله، لكنَّه لاحظ أن بعض، لأماكن، وهي اللحظات التي كانت
 قسى لحظات حياته وأكثرها مراراً، لا تحس سوى آثار واحد فقط وبأ لم يدرك الإنعاس
 لماذا يركه الربُّ في أصعب أوقات حسه، سألته عن ذلك، فأجابته الربُّ: في أصعب لحظات
 حياتك كنت أحملك بين يدي،
 بذكرُوا هدأ حيداً ولا تصعوا الرُّبُّ الإله من أن يحملكم بين يديه

الفهرس

٥	مقدمة
٧	الإب الاول
	الديانات القديمة
٩	الفصل الاول
	مكتوبات حكمه مصر
٢١	الفصل الثاني
	سرُ آلهة وادي الرافدين
٣٩	الفصل الثالث
	آلهة الإغريق القدماء
٥١	الفصل الرابع
	مجمع آلهة الرومان
٦١	الفصل الخامس
	السلطة السريّة للبرويدين
٧٣	الفصل لسانس
	هكذا تكلم زرامشت
٨٧	الفصل السابع
	سرُ الإله ميترا
٩١	الفصل لثامن
	انتصار مملكة النور
٩٧	الفصل التاسع
	آلهة السلاف قبل المسيحيّة

١٠٣	الفصل العاشر
	أسرار آلهة الهندوسية
١١٥	الفصل الحادي عشر
	كذب الهندوسية المقدّس وخلق العالم
١٢٥	الفصل الثاني عشر
	الجنة وجهنم في الهندوسية
١٢٩	الفصل الثالث عشر
	ديانة السيخ
١٣٧	الباب الرابع
	البوذية
١٣٩	الفصل الأول
	الهند قبل بودا
١٤٩	الفصل الثاني
	مناياغ البوذية
١٥٥	المصل الثالث
	حياة بودا
١٧٥	المصل الرابع
	تعاليم بودا
١٨٩	المصل الخامس
	بودا والأخلاق
٢٠٥	المصل السادس
	كثرة من «البود»
٢١٣	المصل السابع
	التلاميذ والطائفة
٢٣٩	الباب الخامس
	الكريشنائية

٢٥١ الباب الرابع

تعاليم جديدة (الأخلاق الحية)

٢٥٣ الفصل الأول

تعاليم جديدة عن الله

٢٦١ الفصل الثاني

نزوج الأرواح حسب التعاليم الجديدة

٢٦٩ الفصل الثالث

قانون الكارما

٢٧٩ الباب الخامس

الكونفوشيوسية

٢٨١ الفصل الأول

الصين قبل كونفوشيوس

٢٨٩ الفصل الثاني

الكونفوشيوسية

٣٠١ الباب السادس

الدأوسية

٣٣١ الباب السابع

التوراة والقرآن

٣٣٩ الفصل الأول

إبراهيم (أبرام)

٣٤٧ الفصل الثاني

موسى

٣٥٩ الفصل الثالث

داود و سليمان

٣٦٥ الفصل الرابع

يهودا و إسرائيل

٣٧٣ الفصل الخامس

بانتظار المخلص

٣٧٧	الفصل السادس
	حياة يسوع
٣٨٩	الفصل السابع
	المسيح المتعلم
٤١١	الفصل الثامن
	المواجهة
٤٢١	الفصل التاسع
	الاسبوع الاخير (اسبوع الالام)
٤٣٩	الفصل العاشر
	تعاليم المسيح
٤٥١	الفصل الحادي عشر
	الحواريون والكنيسة
٤٧٣	الفصل الثاني عشر
	انقسام الكنائس
٤٧٧	الفصل الثالث عشر
	البروتستانتية
٤٨٣	الفصل الرابع عشر
	الكنيسة الروسية الارثوذكسية
٤٨٩	الفصل الخامس عشر
	سر الجبروت
٤٩٥	الفصل السادس عشر
	أصول الإسلام
٤٩٩	الفصل السابع عشر
	محمد (ص)
٥٠١	الفصل الثامن عشر
	رسول الله
٥٠٧	الفصل التاسع عشر
	حياة النبي ونضاله
٥٢١	الفصل العشرون
	وصايا القرآن

٥١١	الفصل الحادي والعشرون
	انقرآن عن القرآن والرسول
٥١٩	الفصل الثاني والعشرون
	الإسلام بعد محمد (ص)
٥٥٩	الفصل الثالث والعشرون
	المفرد المكنون للديانات
٥٨٥	الفصل الرابع والعشرون
	مكنون العقل الكوني والدين
٥٩٣	خاتمة

من منشورات دار علماء الدين

- | | |
|---|---|
| ● لغز عشتار | ● هرم ستونيهنج الافتراضي |
| فراس السواح | أ. هزينوف، أ. زينويف |
| ● موسوعة تاريخ الأديان ٥-١ | ● رموز ومعجزات |
| فراس السواح | ارنست دويلوفر |
| ● الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى | ● المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية |
| فضل عبد الله الجثام | إ. س. سفينيسكايا |
| ● سحر الأساطير دراسة في الأسطورة القاريخ | ● سلسلة الأساطير السورية ديانات الشرق |
| الحياة | الأوسط |
| م. م. ق. البديبل | ● مجموعة من المؤلفين |
| ● معجم الأساطير | ● أساطير في أصل النار |
| ماكس شابيرو، رودا هنريكس | جيمس |
| ● دراسات في تاريخ دراسة عن المجتمعات البدائية | ● اليوم الآخر ونهاية الزمان |
| محمد الخطيب | د. خالد صناديقي |
| ● الفنون في الأسطورة عند العرب في الجاهلية | ● الإله والإنسان وأسرار جنائن بابل |
| محمد الخطيب | د. ماجد عبد الله الشمس |
| ● الفكر العربي | ● أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة |
| محمد الخطيب | س. برونشنيكين |
| ● المجتمع العربي القديم | ● بدايات الحضارة |
| محمد الخطيب | عبد الحكيم الذنون |
| ● حضارة أوروبا في العصور الوسطى | ● الحضارات القديمة ٢-١ |
| محمد الخطيب | ف. دياكوف - س. حقوفاليف |
| ● ديانة مصر الفرعونية | ● التاوتي نشيخ إنجيل الحكمة التاوية في الصين |
| محمد الخطيب | فراس السواح |
| ● هل هبط آدم في القفقاس | ● الوجه الآخر للمسيح |
| محمد عمر بغدادي | فراس السواح |
| ● الديانة الزرادشتية مزديسنا | ● جلجامش ملحمة الراشدين الخالصة |
| نوري إسماعيل | فراس السواح |
| ● الديانة الفرعونية | ● دين الإنسان |
| واليس بدج | فراس السواح |

